مجلة الأزهر

٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧٣

المجلد التاسع والخمسون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠٧هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان - ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

• صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الأنصار المهاجرون

كانت « الهجرة » حق الإسلام وحق المسلمين ؛ فليس الإسلام وقفاً على قريش .. وليس بواجب أن يكون المسلمون مكّيين ؛ فإن أبوا انتهى أمر الإسلام والمسلمين .

كلا ...!

فالإسلام خاتم الأديان عام للبشر ؛ ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الناس كافة ؛ قال تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ »(١) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »(٢)

وقد أبت قريش إلا الكفر فوجب الرحيل ؛ وفي الكتاب العزيز خطاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ »(٣) ... ووجبت الهجرة !

السنة التاسعة والخمسون
الجزء الأول
المحرم ١٤٠٧ هـ ـ سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٦ م

ولم تكن هجرة قبل السنة الخامسة من مبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا هجرة ـ كذلك ـ بعد فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة فى العام الثامن من الهجرة .. فمساحتها الزمنية ـ إذاً ـ نحو خمسة عشر عاماً ـ لا هجرة قبلها . ولا هجرة بعدها ..

● ● ●

كان « الأمان على المسلمين » ـ هو ـ مشغلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا معنى لأن يترك المسلمون بلداً يَصُبُّ عليهم العذاب ليستقبلوا بلداً يضاعف لهم العذاب ؛ فلما شرح الله صدر رسوله صلى الله عليه وسلم للحبشة ؛ واطمأن لملكهم « أصحمة » الصالح أذن للمسلمين بالهجرة إليها ؛ فسبقت تلك الهجرةُ وَأَرْسَالُها الهجرةَ إلى « يثرب » .

فأما هجرة « يثرب » فقد سبقها مواسم حج ثلاثة تَلَتْ موتَ السيدة خديجة ـ رضى الله عنها : التقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الموسم الأول بستة رجال من الخزرج أسلموا جميعاً ولم يعهد إليهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأكثر من الحفظ لدينهم ، فلا ذكر للتاريخ فيها بأكثر من الاسلام ..

ثم كان الموسم التالى فالتقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ باثنى عشر منهم اثنان من الأوس فأسلموا .. وكان بينهم وبين رسول الله عهد لا نص فيه على حماية ولا دفاع ..

ثم كان الموسم الثالث والأخير فالتقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين هما : نسيبة بنت كعب من بنى النجار ، وأسماء بنت عمرو من بنى سلمة .. وفى الرجال أحد عشراً أوسِيًّا . فآمنوا أجمعون ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ كامل نص على حق الحماية والدفاع .. وتم الاجتماع الثانى والثالث فى العقبة

وعادوا إلى « يثرب » فانتشر الإسلام فى كل بيت من بيوت « المدينة المنورة »... رضوان الله ـ تعالى ـ عليهم أجمعين ..

وأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين المعذبين بالهجرة .. فخرجت أرسالهم إليها ..

.. .. ..

وبعد :

فماذا كان بين البداية والنهاية للهجرة إلى المدينة ؟

كانت ـ هناك ـ بضعة حوادث لا تقع إلا من المؤمنين الراسخين ..

لقد انطلق ستة نفر من الأنصار أهل المدينة فخرجوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكونوا بجواره فى مكة نفسها ، وأولئك هم :

١ ـ أبو السبع الزُّرَقى : ذَكْوان بن عبد ق ، بن خَلَدَةَ بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق الخزرجى ، شهد العقبة الأولى والثانية(٤) ، وف بعد شهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدراً ، وقتل يوم أحد ، خرج إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظل مقيماً بجواره فى مكة حتى هاجر عليه الصلاة والسلام ، فهاجر إلى المدينة .

٢ ـ أبو عبد الله البياضى : زياد بن الوليد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية ابن بَيَاضَةَ الأنصارى الخزرجى ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ـ خرج إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وأقام معه بمكة حتى هاجر عليه الصلاة والسلام .

٣ ـ العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم ، من بنى عوف بن الخزرج الأنصارى ـ شهد العقبتين ، أو الأخيرة ـ بوجه خاص ؛ فقد أخذ لرسول الله ـ ﷺ ـ أشد العهد وأوثقه ـ أعنى العهد الأخير ، روى عاصم بن عُمَر بن قتادة أنه قال لقومه ـ حينئذ :

يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون رسول الله ـ ﷺ ـ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم تَرَوْنَ أنها إذا نُهِكَتْ أموالكم مصيبةً وأشرافُكُم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو ـ والله ـ إن فعلتم ـ خِزىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم مستضلعون به وافون له بما عاهدتموه عليه ـ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فهو ـ والله ـ خير الدنيا والآخرة .

قال عاصم : فو الله ما قال العباس هذه المقالة إلا ليشد لرسول الله ـ ﷺ ـ بها العقد .

خرج العباس ـ رضى الله عنه ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بمكة وأقام معه إلى أن هاجر ـ عليه الصلاة والسلام ، وقتل ـ رضى الله عنه ـ يوم أحد .

٤ ـ عقبة بن وهب بن كَلَدَةَ بن الجَعْدِ بن هلال بن الحارث ـ ينتهى نسبه إلى غَطَفان بن قيس عيلان الغَطَفانى ، حليف لبنى سالم بن غَنْم بن عوف من الخزرج شهد ـ رضى الله عنه ، العقبتين ، ثم شهد بدرا وأحدا .

قال ابن اسحاق : كان من أول من أسلم من الأنصار ، و لحق برسول الله ـ ﷺ ـ فلم يزل بمكة حتى هاجر رسول الله ـ ﷺ .

وهؤلاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ يتفق فيهم ابن سعد ـ رحمه الله ـ مع ابن الأثير فى خروجهم من المدينة إلى مكة وإقامتهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ قال ابن سعد :

« وكان نَفَرٌ من الأنصار بايعوا رسول الله ـ ﷺ ـ فى العقبة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة حتى قدموا مع أصحابه فى الهجرة فهم مهاجرون أنصاريون ، وهم :

ذكوان بن عبد قيس ، وعقبة بن وهب بن كلدة ، والعباس بن عبادة بن نضلة ، وزياد بن لبيد »

ثم قرأت بـ« أسد الغابة » عن ا‍ آخرين من المهاجرين الأنصار هما :

٥ ـ رفاعة بن عمرو بن قيس بن ثعل‍ بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج وقد اعتمدت في تسبه ما ذكره موسى بن عقبة بإسناده إلى ابن الزبير ـ رضى الله عنهم ـ في روايته عمن شهد بدراً والعقبة ، وقد صَدَّرَ ابن الأثير ـ رضوان الله عليه ـ ترجمة له تزيد عما ذكرنا فجعله :

رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة .. الخ وقال : شهد العقبة وبدراً وقتل يوم أحد ، قال : ويكنى أبا الوليد ، ويعرف بابن أبى الوليد ، لأن جده زيد بن عمرو يكنى أبا الوليد أيضاً .

خرج ـ رضى الله عنه ـ إلى مكة فأقام بجوار رسول الله ـ ﷺ ـ ثم عاد إلى المدينة .

٦ ـ عبد الله بن أُنَيْس الجهنى ثم الأنصارى حليف بنى سلمة من الأنصار .

كان مهاجرياً أنصارياً عقبيا شهد بدراً وأحداً ومابعدهما .

اتفق الواقدى وابن الكلبى على أن عبد الله بن أُنَيْس من الْبَرْك بن وبر من قضاعة ونسبه الكلبى ، فقال :

هو عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن حبيب بن مالك بن غَنْم بن كعب بن تَيْم بن نُفَاثَة بن إياس بن يربوع بن الْبَرْك بن وَبَرَة ، قال :

ودخل وَلَدُ البرك بن وبرة فى جهينة .

● ● ●

هؤلاء هم الستة المهاجرون الأنصار ، وعندى أنهم رضوان الله عليهم وقد شرفوا بهذه المنزلة ـ.. أبت نفوسهم إلا أن تجاور رسول الله ـ ﷺ ـ وليقدموا لإخوانهم المهاجرين ما يرشدهم حين يحلون بالمدينة المنورة وفاء منهم لله ورسوله ، وحبا فى هذا الدين الكريم الذى غمرهم نوره فآثرت نفوسهم أن يقدموا لرسول الله ـ ﷺ ـ ولإخوانهم المغلوبين بمكة ـ كل عون ما وجدوا إليه سبيلا ، رضوان الله عليهم أجمعين(٥)

د. على أحمد الخطيب

(١) سبأ ـ ٢٨

(٢) الأنبياء ـ ١٠٧

(٣) الذاريات ـ ٥٤

(٤) أى الاجتماع الثانى والأخير ، ففى العقبة وقع العهد الأول ، والثانى كما سبق ..

(٥) راجع لابن الأثير ـ أسد الغابة ١٦٨/٣٢ ، ٢٣٢ ، ٢٧٣ ١٦٣/٣ ، ٦٢/٤،١٧٩ مطبعة الشعب طبقات ابن سعد ٢٢٦/١ ـ ٤٩٨/٧

بالهجرة نشأت دار الإسلام واستقرت الأمة الإسلامية

لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق / شيخ الأزهر

بالهجرة نشأت دار الاسلام ، ووجد للمسلمين وطن ، ونزل الوحى بالتكاليف الشرعية العامة ، وظهرت خصائص الجماعة الاسلامية ، وخوطب المسلمون بانهم أمة ، ذات شريعة وذات مناسك ، انفردت بها عن غيرها من الأمم ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِى الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

كان المسلمون قبل الهجرة أفراداً مفزعين ، يتخطفهم الناس ، وتتفرق بهم الأنحاء هنا وهناك ، فلا تضمهم أرض جامعة ، ولا يميزهم عن غيرهم من الناس إلا انهم قوم يؤمنون بالله ـ لا يشركون به شيئا ـ ويوقنون بوعد الله سبحانه ، ويرقبون وعد الله بالنصر ـ لا يرتابون فيه ـ ويقفون انفسهم على الخير عامة ، ويتلون آيات الوحى تتنزل بينهم ، ويتبعون الرسول ﷺ : عبادة وطهارة ونسكا .

فلما وقعت الهجرة إلى المدينة استقرت لهم داراً للاسلام ، فاتجهت إليها أبصارهم وهفت نحوها أفئدتهم ، وأسرع من كان منهم بالحبشة يحتمون بها ، وخاطر من كان منهم بمكة ـ ذليلا مستضعفا ـ يهاجر إليها ، ثم تبعهم من كان فى غيرها من البقاع أوزاعا وأفرادا .

بهذه نبتت نواة الأمة الاسلامية ،

واستقرت جذورها فى دار السلام ، فنشأت لهذه الأمة وحدة اجتماعية ودينية وسياسية ، تربط بين أفرادها روابط الاخاء ، وتحكم نفسها بحكم الله ، ولا تخضع فى حكمها أو فى علاقاتها بغيرها ـ من الوحدات الاجتماعية الأخرى ـ لسلطان يعلو سلطانها الذى خصها به الاسلام ، ولا تقوم معاملاتها مع الآخرين إلا على أساس من الحرية والاستقلال والمساواة .

بالهجرة استقر الوطن الاسلامى ، ونشأت أمة الاسلام ولديها أهلية التكليف ومقومات الأمم كاملة ، فكانت قادرة منذ نشأتها على أن تضع قواعد العلاقات مع غيرها من المجتمعات وأن تبرم المواثيق والعهود .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ وادع مَنْ بالمدينة من اليهود وكتب بذلك كتابا ـ أى وثيقة وعهدا ـ بين المسلمين وبينهم . على ما روته كتب السيرة والسنة النبوية ، وكان هذا أول مقامه ـ ﷺ بدار الهجرة (المدينة) .

وفى هذه الدار نزل الوحى بالأحكام العامة التى هى من أسس الاسلام ومن خصائص هذا الدين الحنيف ففرضت الزكاة ، وكتب الصيام على المسلمين .

وأخذت التكاليف الشرعية تترى بعد ذلك ينزل بها الوحى فى شئون العبادات والمعاملات والعقيدة ، والأخلاق ، والهداية ، والارشاد حتى تمت النعمة وكمل الدين .

وفى دار الهجرة نزلت الآيات تصف المسلمين بأنهم أمة ، وتخاطبهم بهذا الوصف ، وتعاملهم على أساسه .

وباستقراء آيات القرآن الكريم لا نجد الخطاب واردا بهذا المعنى على دقته إلا فى أربعة مواطن تتدرج في الحديث عن الأمة الإسلامية تدرج حال الأمة نفسها .

فلقد كانت الأمة المسلمة دعوة أبينا ابراهيم عليه السلام ، ثم تحقق وجودها برسالة محمد ﷺ ، فقامت تفصل بين الحق والباطل ، فيما التبس على الأمم السابقة . ثم اكتملت لهذه الأمة خصائصها العامة ، ونزل الوحى بخيريتها وتكريم الله لها واتمام نعمته عليها .

هذه المواطن الأربعة التى أبرزت معالم الأمة الاسلامية ، وخاطبت المسلمين بهذا الوصف وردت فى آيات مدنية نزلت فى دار الهجرة .

بدأت هذه الآيات بذكر الأمة الاسلامية فى سياق البشرى للمسلمين ، أن الله تعالى سيجعل منهم أمة صالحة على ملة أبيهم ابراهيم ، استجابة لدعائه عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت واسماعيل ، وَيُسْكِنُ ذريته بواد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ، فنادى ربه أن يجعل من ذريته وذرية اسماعيل أمة مسلمة ، وأن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأن تعمر الأمة هذا البيت الحرام ، وتطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود . ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

ثم تنتقل الآيات إلى مرحلة أخرى فتتحدث عن جنوح الأمم السابقة ، وتحريف ما نزل إليها ، ثم تذكر الأمة الاسلامية وأنها على الحق المبين ، وأن الوحى الذى نزل إليها هو الفيصل ، وهو الميزان الذى يوزن به ما درجت عليه الأمم من قبل من أعمال وعقائد ، فتشهد الأمة الاسلامية على هذه الأمم بمقدار قربها ، أو بعدها من الهوى والحق ، ليكون المسلمون هم الأمة الوسط ، والأمة العادلة التى تشهد على الناس .

قال عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

ثم يأتى الموطن الثالث الذى خوطبت فيه الأمة الاسلامية بهذا الوصف ، وهو الموطن الذى تتحدث فيه الآيات عن مقومات هذه الأمة وخصائصها العامة فتصفها وصفا جامعا ، أمرا ، ونهيا ، يقول الله سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

والمعنى : والله أعلم بمراده ـ أن جماع خصائص الأمة الاسلامية : أنها أمة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالبر ، وتفعله ، وتتناهى عن المنكر وتجتنبه ، وأن العاقبة لها بالفلاح والفوز فى الأولى والآخرة .

إنها أمة لا تتمثل بأمم أخرى تباعدت عن عمل الخير ، تقول الإثم ، وتأكل السحت ، ولا تتناهى فيما بينها عن منكر ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

ومن ثم جرت الآيات فى هذا الموطن بتحذير المسلمين أن يجرى عليهم ما جرى على أقوام وأمم أخرى من التفرق والاختلاف من بعد ما جاءهم البينات

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ .

وإذا كان الخطاب فى الآية موجها إلى المسلمين أن تكون منهم جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر يكون المعنى : أن الفئة الداعية إلى الخير هى بعض المسلمين ، وأن الوجوب هنا وجوب كفائى ، والوصف قائم بالبعض .

وهناك فهم آخر له وجاهته وهو أن الأمة بهيئتها كأمة خيرة مخاطبة بهذا الأمر ، فالمعنى : كونوا أمة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ويرشح هذا الرأى ويزكيه قوله تعالى فى نفس الآيات : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ والوصف هنا راجع إلى المسلمين عامتهم وخاصتهم .

لا يكاد ينتهى هذا السياق الجميل من الأمر والنهى الذى يحدد للأمة خصائصها حتى يرد الموطن الرابع الذى يختم فيه الوحى وصفها بهذا الوصف العظيم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

إذ يتضمن هذا القول الحكيم بيان حال هذه الأمة فى الفضل على غيرها من الأمم وفيه دليل على أن هذه الأمة الاسلامية خير الأمم على الاطلاق ، وأن هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متفاضلة فيما بين أجيالها وأفرادها على ما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم .

هذه الخيرية التى ثبتت للأمة الاسلامية ، هى فى أصلها خيرية الاسلام فى ذاته ، وقد أورثها الاسلام هذه الخيرية ميراثا عاما ، وحكما قاطعا بوصفها أمة ، فلا يقضى لأفراد بفضل على الناس إلا من ذكر الوحى فضله ، ذلك أن الله تعالى جعل الفضل للتقوى وهو سبحانه أعلم بمن اتقى .

وقد نالت الأمة الاسلامية هذه الخيرية بشروطها وحدودها ، وخصائصها التى وفرتها دار الهجرة ، وحفظها ذلك الجيل الصالح عن صاحب الهجرة رسول الله ﷺ .

والأمل أن تنال الأمة اليوم خيريتها ، فتسير على ما كان عليه أصحاب دار الهجرة عملا ، وسمتا ، وعبادة ، وتراثا .

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السُّدى فى هذه الآية قال : قال عمر ابن الخطاب : لو شاء الله لقال : ﴿ أنتم خير أمة ﴾ فَكُنَّا كُلُّنَا : ولكن قال : [كنتم] فى خاصة أصحاب محمد ، ومن صنع مثل صنعهم : كانو خير أمة أخرجت للناس .

وأخرج ابن جرير أيضاً عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال : [ياأيها الناس : من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها] .

فما أحرانا اليوم ونحن نتذكر حادث الهجرة النبوية الشريفة . أن نتمثل فضلها ، ومنة الله علينا فيها ، فنحفظ هذا القول من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونرعى نغمة الانتماء إلى هذه الأمة الخيرة ، الآمرة بالمعروف ، والناهية عن المنكر .

ما أحرانا أن نتآلف ونتآخى وأن نترك الشقاق ، وأن نعود إلى شرع الله نحكمه فى أمورنا ففيه دواء أدوائنا ، وصلاح أحوالنا ، وجمع كلمتنا ، ثم هو سمتنا وبه نسمو على غيرنا من الأمم .

ما أحرانا أن نسارع إلى انقاذ شرع الله فى مجتمعنا حتى نكون المجتمع المسلم المسالم وأن نهجر تلك البضائع الخاسرة التى ألهتنا عن الحكم بالاسلام ، عقيدة وشريعة .

ماأحرانا أن نهاجر إلى الله فنخلص

البقية ص ٣٣

دراسات اسلامية

تأمين قاعدة الإسلام بالمدينة

استغفار ابراهيم لأبيه

الحق والباطل

تأمين

قاعدة الإسلام

بالمدينة بعد الهجرة

من أهم ما ينبغى على الأمة الاسلامية أن تذكره فى هذا العصر بالتأمل والدرس أن قاعدة الاسلام فى المدينة بعد الهجرة كانت هى حجر الأساس فى بناء التاريخ الاسلامى المجيد ، وأن الأسس التى قامت عليها كانت تجسيدا لتعاليم الاسلام فى توجيه حياة الأمة ، وتنظيم أركان الدولة فى مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ٠

ولو ركزنا النظر على القدرة الدفاعية ، لوجدنا أن سياسة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى بناء تلك القدرة قد حققت فى خلال عشر سنوات فقط اعداد جيش قادر ــ ليس على تأمين شبه الجزيرة العربية فحسب ــ بل على مواجهة جيوش القوى الكبرى المحيطة بها : فارس فى الشرق ، وبيزنطة فى الشمال والغرب ٠

أولا ــ اقامة جبهة داخلية صلبة :

ولقد كان أول ما عمد اليه الرسول ﷺ فى المدينة ، اقامة جبهة داخلية صلبة وذلك بجمع صفوف المسلمين وتوحيد جبهتهم وايجاد رابطة قوية بينهم ، وبتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشركين واليهود :

*** بربط المهاجرين والأنصار بالمؤاخاة ٠**

*** وبتوحيد صف الانصار من أوس وخزرج ٠**

*** وبعقد معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى لتنظيم شئون الحياة لهم جميعا ٠**

ثانيا ــ القضاء على محاولات تفتيت الجبهة الداخلية :

وحرص الرسول ﷺ على تأمين سلامة الجبهة الداخلية بالتصدى لمحاولات تفتيتها أو اضعافها ٠ ومن ذلك ما أخرجه ابن اسحاق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مر شاش ابن قيس ــ وكان يهوديا ــ على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة ، فأمر شابا من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ، ففعل ،

للـواء : أ ٠ ح ٠
محمد جمال الدين محفوظ

فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان : أوس بن قيظى من الأوس ، وجعار بن صخر من الخزرج فتقاولا (تبادلا التفاخر) وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم فسمعوا وأطاعوا الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ » ٠

ومن عجيب صنع القرآن ــ وهو يحذر من الفرقة والاختلاف ــ أنه عبر عن الاختلاف بالكفر ، لأن الاختلاف يوصل الى الكفر أو لأنه ملامح الكافرين ودأبهم ــ وهو ما يفهم من قوله تعالى « وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ (تختلفون) وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (آل عمران ١٠١) ٠

ففي ذلك توجيه للمسلمين بأن يكونوا أثبت الناس على الحق وأشدهم تمسكا به ، وأنهم لن يضلوا ما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله وعملوا بما فيهما ٠٠

ثم يوجه الله تعالى نداءه الى المؤمنين ليصغوا اليه ويهتموا بأمره ونهيه وارشاده ، ويأمرهم بأن يتقوه حق تقاته وأن ينفضوا عن أنفسهم كل آثار الجاهلية من الكفر والفرقة والعداوة والبعد عن الخضوع لغير الله ، وعليم أن يذكروا ما كانوا عليه فى الجاهلية من عداوة وتقاتل وتفرق مما تسبب عنه اضعاف شأنهم وتسلط عدوهم عليهم :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ٠ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (آل عمران ١٠٢ ــ ١٠٣) وفى صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق جماعتكم فاقتلوه » ٠

وينبه القرآن الكريم أيضا الى خطورة الدور الذى يؤديه أعداء الدين والأمة فى التخذيل وتثبيط العزائم واضعاف الهمم ، ويوضح أنه كلما لقيت دعواهم آذانا صاغية فانهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا شأنهم فى كل عصر ٠

ومن الأمثلة التى أوردها القرآن أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين الى أن يتخلفوا عن الخروج لغزوة تبوك : « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ • فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ »

(التوبة ٨١ — ٨٣) •

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات التخذيل ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الأمة والجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم •

ثالثا — حرمان الاعداء من مفاجأة المسلمين أو كشف أسرارهم :

فقد كان النبى ﷺ عيون وأرصاد فى المدينة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمسلمين فى السلم والحرب على حد سواء فاختار مثل حذيفة بن اليمان العبسى ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم •

كما كانت له عيون وأرصاد خارج المدينة ، ففى مكة كان عمه العباس وبشير بن سفيان العتكى ، وفى القبائل العربية الأخرى فى أنحاء شبه الجزيرة العربية كان (على سبيل المثال) عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فى قبيلة هوازن ، وكانت له أيضا عيون وأرصاد فى بلاد فارس وبلاد الروم •

وقد كان لهؤلاء العيون والأرصاد دورهم فى تأمين سلامة قاعدة الاسلام فى المدينة ، فلم تؤخذ على غرة أبدا ، فقبل (غزوة أحد) مثلا أرسل العباس عم النبى ﷺ رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد جيشها ، فأسرع حامل الرسالة بايصالها الى النبى ﷺ حتى انه قطع المسافة بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام ، فلما قرأ أبى بن كعب الرسالة على النبى طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد /

وقبل (غزوة الخندق) التى عبأ فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة كان النبى ﷺ على علم بنوايا أعدائه من خلال عيونه وأرصاده فى مكة والقبائل العربية ، وحفر المسلمون خندقا حول المدينة كان مفاجأة للمشركين لما رأوه حتى قالوا : « والله ان هذا لمكيدة ما كانت العرب تكيدها »

وهذه الواقعة لا تدل على يقظة عيون الرسول وأرصاده وكفاءتهم فحسب ، بل تدل أيضا على عجز الأعداء عن الحصول على معلومات عن المسلمين ، وذلك على الرغم من أن حفر الخندق استغرق حوالى عشرين يوما ، كانت كافية جدا لعيونهم لكشفه والاخبار عنه •

وقد تحدث خبير المخابرات والجاسوسية العالمى (لاديسلاس فاراجو) عن قدرة المسلمين على حرمان العدو من مفاجأتهم وكشف أسرارهم فقال : « عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والسلام نهائيا ، عبأوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبى ﷺ ، لأنه كان قد ترك فى مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما خصومه فلم يكن لهم عملاء

عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون الى المدينة ، أذهلهم أن يجدوا خندقا وجدارا يحيطـــان بالمدينة تماما احاطة السوار بالمعصم » •

رابعـا ــ تطهير المدينة من اليهود :

سالم النبى ﷺ يهود المدينة وعاهدهم على المناصرة والمساعدة ولهم الحرية فى دينهم وفى جميع أحوالهم وأعمالهم ما وفوا بما عاهدوا ، فلما غــدروا وخــانوا العهــد ، تخلص منهم جميعا ، وما أخذهم الا بما قــدمت أيديهم ، فأجلى بنى قينقاع وبنى النضير ، وقضى على بنى قريظة ، وترك أهل خيبر بعد انتصـــاره عليهم زراعا فى أرضهم ولهم نصف ما يخرج منها حيث لم يصبح لهم نصير من اليهـود أو الكفار •

خامسا : اجهاض تدابير العدو للعدوان :

ولم يكن الرسول ﷺ « يقف مكتـــوف الأيدى » أمام تدابير اعدائه للعدوان عليه ، بل كان عليه الصلاة والسلام « يتحرك بسرعة » الى أرض أولئك الاعداء فيجهض تدابـيرهم ويقضى عليها فى مهدها وفى الكتاب العزيز قوله تعالى : « **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِـذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ** » •

وأكبر دليل على قدرة المسلمين على الحركــة السريعة على ذلك النحو ، أنهم كانوا «يباغتون» أعداءهم فى عقر دارهم ، لأن الرسول ﷺ كان يتحرك فور علمه بأنهم يدبرون للعـــدوان ؛ فيباغتهم قبل أن يستعدوا للقائه ، حتى لقد كانوا يتركون أرضهم وديارهم فرارا من مواجهـــة القوة الاسلامية ، ومن أمثلة هذه العمليات :

غزوة بنى سليم ــ ذى أمر ــ بحران ذات الرقاع ــ دومة الجندل ــ بنى المصـطلق ــ بنى لحيان •

ولعل الدرس الذى نتعلمه من هذه العمليات ــ على يد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أنه لا قيمة لأية قوة اذا لم تكن لديها القدرة على الحركة السريعة نحو الخطر أو التهـــديد فى الوقت المناسب وقبل فـوات الأوان ، وأن اجهاض تدابير العدو للعدوان يجب أن يشكل ركنا من أركان الاستراتيجية العسكرية للأمـة الاســلامية •

سادسا ــ أقصى درجات التأهب والاستعداد :

والحق أن القدرة على اجهاض تـــدابير العدوان ، والقدرة على رد العدوان بسرعـــة وقوة كانت من الخصـــائص البارزة لجيش الاسلام فى عصر النبوة ، فقد حرص الرسول القائد ﷺ على أن يكون المسلمون على أقصى درجات التأهب والاستعداد للقتال ، ولقد ضرب عليه الصلاة والسلام بنفسه المثل على ذلك حين سبق أهل المدينة نحو مصدر الصوت الـــذى أفزعهم ذات ليلة ، فلما انطلقوا وجدوه راجعا وقد استبرأ الخبر على فرس عرى (بدون سرج) والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » !

وهكذا اجتمعت لدى المسلمين كل مقومات القدرة على الدفاع واجهاض تدابير العدوان :

١ ــ الانذار المبكر بفضل يقظة وكفاءة العيون والأرصاد ورجال الاستطلاع •

٢ ــ استعداد المسلمين الدائم للقتال وسرعة تلبيتهم لنداء النفير •

٣ ــ الكفاءة القتالية العالية بفضل التدريب على أساليب القتال بلا انقطاع حتى لقــد كان بعض المسلمين يتدرب فى أيام العيد ↰.

المعاصرون والهجرة

مع بداية المحرم يبدأ عام هجرى جديد هو امتداد زمنى فى تاريخ المسلمين ، وهو يذكرنا بالهجرة • هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ، تلك الهجرة التى قضت على كل توقعات المشركين وهزمت اعدادهم ، وقدمت للعالم نماذج انسانية فريدة لم تتكرر وهاهو الفلك يدور دورته فيمضى عام ويقبل عام جديد آخر •

عام مضى لا ندرى ما الله فاعل به ، وعام أتى لا ندرى ما الله صانع فيه هذا عام ينادينا : يا ابن آدم أنا عام جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى قبل أن أذهب ولا أعود •

يقول الله تعالى : « **إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ • الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » (سورة آل عمران ١٩٠ : ١٩١) •

الى تاريخنا ـ نحن المسلمين ـ ان أوله مشرق وهذا حاضره مظلم • أوله أمة قوية تكونت من لبنات صحراوية متفرقة جمع التوحيد بين قلوبها وربطت الأخوة الدينية بين عواطفها • رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الارض • بواطنهم كظواهرهم بل أجلى وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى وهممهم عند الثريا بل أعلى • ان عرفوا تنكروا • وان رئيت لهم كرامة أنكروا تحبهم بقاع الأرض وتفرح بهم أملاك السماء • قيمتهم فى علمهم وجهادهم لا فى حسبهم ونسبهم •

يقول الله تعالى :

« **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** » • (الحجرات ١٣) •

ويقول سبحانه مخاطبا نبيه ـ صلى الله عليه وسلم •

« **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** » (الكهف آية ٢٨) •

تلك أمة تركها الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه بعد أن حول جهالتها علما

للأستاذ محمد المحمدى مراد غنيم

وحكمة . وشكها ايمانا واطمئنانا . تركها بين الأمم قوية عزيزة مرهوبة الجانب . لها فى شئون العالم رأى . وفى مجال الحياة أعمال .

مارسوا كل صفة نبيلة جاء بها دينهم فكانوا تطبيقا عمليا لمبادىء الاسلام . فسموا فى الحياة وسمت بهم الحياة . لهذا كان تكريم الله للمهاجرين على خطى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتقديمه لهم بايمانهم الصادق وجهادهم الظاهر فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم جليا ومتكررا فى آيات القرآن الكريم التى جعلت رحمة الله والقربى اليه مرتبة بترتيب السبق الى هذه الهجرة من مكة الى المدينة لحاقا برسول الله — صلى الله عليه وسلام .

ثم السبق الى نصرة الله ورسوله بالجهاد الصادق .

ثم الاتباع له بإحسان يقول الله تعالى : **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ». (سورة التوبة آية ١٠٠) .

يرفع الله عز وجل درجة المهاجرين بايمانهم وجهادهم فيقول :

« **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ** ». (سورة التوبة آية ٢٠) .

ولهم رفعة بنسبة بلائهم وقوة صبرهم وانتصارهم للحق بعد ما تبين لهم يقول تعالى: « **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** » (**النحل ١١٠**) .

ويعدهم بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فيقول :

« **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** » (النحل آية ٤١ ، ٤٢) .

هذا صهيب الرومى لما أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا . وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك أبدا .

فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالى . أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم .

قال فانى جعلت لكم مالى فبلغ ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ربح صهيب .. ربح صهيب وفيه نزل قول المولى سبحانه وتعالى .

« **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** » وتلاها — صلى الله عليه وسلم — على صهيب » (البقرة ٢٠٧) .

والصديق : أبو بكر — رضى الله عنه — من قبل ذلك وضع ماله كله فى سبيل الله .. ووضع حياته كلها حمى لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الهجرة .

وكم من رجال لهم فى الهجرة أحداث يشيب لها الوليد تحملوها — فى سبيل الله — نصرة لدينه ، بل كم من نساء ضحين — فى سبيل الله — عز وجل — وهن الضعاف بالآباء والأمهات وترف الجاه ، وولين وجوههن الى الحبشة والى المدينة لله وحده فلما بدلت الأمة الاسلامية وغيرت — وفرطت وضيعت وهانت على نفسها وهانت عليها مبادئها وأعارت حوادث الدهر آذانا صماء وعيونا عشواء واشتغل أفرادها ورجال الفكر فيها بما لا يجدى من الفكر الخبيث وألوان العبث بدل الله عليها وغير أحوالها فتناوشتها الذئاب والسباع وطاح منها الأمن والسلام فهى كما يقول تعالى :

«وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (النحل ١١٢) .

وصدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم اذ يقول : توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكله الى قصعتها فقالوا : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم . وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : ما الوهن يارسول الله ، قال حب الدنيا وكراهية الموت) (متفق عليه) .

تحليل فى الهجرة :

هاجر الرسول — صلى الله عليه وسلم — **وهاجر المؤمنون :**

فكانت هجرة خالصة لله ليسلم لهم دينهم .

لم تكن هجرة لطلب مال .. ولا كانت هجرة لزهرة من زهرات الدنيا ، تركوا المال وراءهم ، وحرمت عليهم الأرض بعدها .

وعندما ارتحلت أبدان القوم وأجسادهم من مكة الى الحبشة كانت هجرة قوم هجروا المعاصى تماما فكانت هجرتهم سلامة لدينهم وتركا للمعاصى ثم استقامة دائمة على الأمرين فلم يذلوا بعد ذلك أبدا .

فليعلم من يريد العزة ، ويشتهى الكرامة أن هذا هو الثمن ، وليذكر المولى القادر القائل :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (الأنفال ٢٣ : ٢٦) .

الهجرة الباقية :

وهى الدائمة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول رسول الله — صلى الله عليه

وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية (رواه الشيخان) فالعمل ـ فى سبيل اللـه ـ لتعود للاسلام أرضه ويرفرف عليها لواء الحق جهاداً فى سبيل الله واعلاء لكلمته هو الهجرة الباقية ، فليست هى هجرة من بلد الى آخر انما هى ترك اللهو والمعصية من أجل الاقبال على الله ، جاء بمسند أحمد رضى الله عنه من حديث فضالة بن عبيد بن ناقد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع .

ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله . والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب .

وفى سنن أبى داود من حديث عبد الرحمن ابن عوف عن أبى هند عن معاوية قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد عنا كيد الطامعين . وأن يجمع كلمتنا على الخير والصلاح وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا .

وأن ينصرنا على أنفسنا وعلى أعدائنا انه قريب مجيب الدعوات ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

*** جمهورية مصر العربية**

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

*** باقى دول العالم .**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

وفد نجران

فى سورة آل عمران

قال الله تعالى : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » .

لما تم فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة ، عظمت هيبة الدولة الاسلامية الفتية ، وخافها جيرانها الذين لا يزالون على دينهم من مشركين وأهل كتاب ، فلهذا بعثوا وفودهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبون السلام أو يعلنون الاسلام .

ومن هذه الوفود وفد نجران ، وكانوا نصارى ، وعددهم ستون راكبا ، فيهم من أشرافهم أربعة عشر راكبا ، ثلاثة منهم يرجع اليهم أمرهم جميعا وهم : (العاقب) واسمه عبد المسيح ويعتبر أمير القوم وصاحب القول الفصل فى آرائهم .

(والسيد) صاحب مجتمعهم وملجؤهم فى وقت الشدة ، حيث يطعم الجياع ويغيث المستغيثين ، واسمه الأيهم .

(وأسقفهم) وعالم دينهم ، واسمه أبو حارثة ابن علقمة ، من فصيلة بكر بن وائل : فلما حضروا دخلوا على رسول ﷺ عقب صلاة العصر ، وكان عليهم ثياب (الحبرات) (١) — جبب وأردية (٢) — وكانوا مختمين بخواتم الذهب ، ومعهم بسط فيها تماثيل ، ومسوح جاءوا بها هدية للنبى ﷺ ، فلم يقبل البسط لوجود التماثيل بها ، وقبل المسوح ، فقال أصحاب النبى ﷺ : ما رأينا مثلهم جمالا وجلالة ، وحانت صلاتهم فقاموا فصلوا فى مسجد النبى ﷺ الى المشرق — أى الى بيت المقدس ، فقال النبى ﷺ (دعوهم) أى اتركوهم يصلوا كما أرادوا .

والعظة التى نأخذها من هذه القصة ، هى أنه يجوز لمن بيده الأمر أن يأذن لغير المسلم بدخول المسجد ، وأن يؤدى صلاته فيه حسب ديانته ، وهذا مثل أعلى فى التسامح مع أهل الأديان .

وأقام الوفد أياما يناظرون رسول الله ﷺ فى عيسى — عليه السلام — ويزعمون أنه ابن الله الى غير ذلك من العقائد الشنيعة ،

١ — ضرب من الثياب اليمانية .

٢ — جمع رداء وهو ما يلبس فى أعلى البدن .

لفضيلة الدكتور
مصطفى محمد الحديدي الطير

ورسول الله ﷺ يرد عليهم البراهين الساطعة، وهم لا يبصرون ، فنزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين آية ، وقد دعاهم رسول الله ﷺ الى المباهلة وسيأتى الحديث عنها بمشيئة الله تعالى •

ولو تتبعنا تلك الآيات التى نزلت بسببهم وشرحناها وناقشنا عقائدهم لاحتاجت الى سجل كبير ، وليس هذا مجال المجلات ، وانما مجاله الكتب الطويلة المبسوطة ، فلهذا نقتصر على بعض حججهم التى تبين طريقة فهمهم وتعصبهم لما عليه الأباء وان أباه الحق ، وناقضته البراهين ، واليك البيان •

« مناقشة عقائدهم » ••

بدأت سورة آل عمران بتقرير التوحيد بقوله تعالى «**الٓمٓ : اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**» وتقرير حقية القرآن والكتب السماوية قبل تبديلها بقوله سبحانه « **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** » •

ثم سار النسق القرآنى على هذا النحو من احقاق الحق وابطال الباطل ، ولما دعاهم الرسول ﷺ الى الاسلام بعد أن أوضح لهم الحق •

قالوا : كنا مسلمين قبلك •

فقال صلى الله عليه وسلم : « يمنعكم من الاسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن لله ولدا » •

قالوا فمن مثل عيسى خلق من غير أب ؟

فأنزل الله فى هذه السورة ردا عليهم «**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ • الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**» ٥٩ ، ٦٠ سورة آل عمران •

والواقع أن الله تعالى يضع من القوانين التكوينية ما يشاء ، ويخالفها بأخرى كلما أراد ومن ذلك أنه خلق آدم من تراب بغير أب وبغير أم ، ثم قال له كن فكان ، وخلق حواء من غير أم ، ثم قال لها كونى فكانت ، ثم خلق عيسى من أم دون أب ، وخلق سائر الناس من آباء وأمهات ، وبهذا ظهر لمن له عقل أن تكوين الانسان لا يتبع قاعدة واحدة ، بل هو الى الله تعالى يفعل فيه ما يشاء ، وظهر أن آدم أعجب من عيسى خلقا ، حيث خلق بغير أب وبغير أم ، وأن حواء تساوى عيسى فى أنها خلقت من أصل واحد لا من أصلين ، فقد خلقت من ضلع آدم فهو أب لها وليس لها أم •

وهناك من يرى أنها خلقت من فضلة طينة آدم ، فتكون كآدم بغير أب وبغير أم ، ولو

كان الأمر كما زعم هؤلاء ومن على شاكلتهم ، لكان آدم ابنا لله وحواء بنتا لله ، لأنهما مثله أو أولى منه بالبنوة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •

لقد خفيت هذه الحقائق على النصارى مع وضوحها ، فتعصبوا لأفكار مدسوسة على النصرانية ، وهم يعرفون من دسها عليهم ، وهم يعتبرونه رسولا وما هو برسول ، فانه لم يكن من الحواريين ، بل كان عدوا لدين عيسى ثم انقلب صديقا مؤمنا ليهدم المسيحية عن طريق الدين •

« لا حاجة لله فى أن يتخذ ولدا » ••

ونحن نسأل هؤلاء وأولئك : أى حاجة لله فى أن يتخذ له ولدا ، لقد خلق الله السموات والأرض ، ولم يعى بخلقهن باتفاق جميع الأديان، وأنه مازال يدبرها ويحفظها، وهو جل جلاله لا تعتريه شيخوخة ولا ضعف وهو حى لا يموت ، وكل ذلك أمر مسلم به فى جميع الديانات ، فأية حاجة له الى الولد •

ان الولد معوان لأبيه ، والله غنى عن الاعانة، والولد يرث أباه بعد موته ، والله حى لا يموت، وأناجيلهم وعهدهم القديم مشحونة بالرد على معنى البنوة الذى فهموه ، ومن ذلك النص على أن من أطاع الله كان ابنا لله ، ومن عصا الله كان ابنا الشيطان ، فالمطيع فى كتبهم ابن لله وليس المسيح وحده ولا عزير وحده ، والعاصى ابن للشيطان ، فالبنوة فى كلتا الحالتين كناية عن مجرد الانتماء الشديد ، وليست بنوة الولادة والتناسل ، ومثل ذلك ما جاء عن السيد المسيح — عليه السلام •

وروى أنهم لما قالوا للنبى ﷺ : أرنا عبدا خلق من غير أب •

قال لهم صلى الله عليه وسلم « أعجبتم من عيسى ليس له أب ، فآدم ليس له أب ولا أم ، فذلك قوله تعالى « **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** » •

« دعوتهم الى المباهلة » ••

ولما لم تنجح معهم الحجج والبراهين الساطعة دعاهم الى المباهلة ، وهى أن يجتمع القوم اذا اختلفوا فى شىء ، فيقولون لعنة الله على الكاذب أو الظالم منا ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** » •

فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا فانكم لو فعلتم اضطرم عليكم الوادى نارا فلهذا قالوا للرسول ﷺ : أما تعرض علينا سوى هذا ؟ فقال : « الاسلام أو الجزية أو الحرب » •

ومعنى الآية : فمن جادلك وخاصمك فى شأن عيسى بعد أن اتضح أنه عبد لله ورسوله — وليس ولدا لله — فقل لهم : اقبلوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نجتهد فى الدعاء أن يجعل الله لعنته على الكاذبين •

وقد رضى القوم بدفع الجزية بعد أن أخبرهم كبيرهم العاقب أنهم ان باهلوه

اضطرم عليهم الوادى نارا ، فان محمدا نبى مرسل ، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل فى أمر عيسى ، فتركوا المباهلة وانصرفوا الى بلادهم على أن يؤدوا كل عام ألف حلة فى صفر ، وألف حلة فى رجب ، فصالحهم الرسول على ذلك بدلا من الاسلام .

وزاد بعض المؤرخين أنه مع كل حلة أوقية من ذهب .

ثم قالوا أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ، وكان يسمى أمين هذه الأمة .

والمتأمل فى هذه القصة يرى أن امتناعهم عن المباهلة ، دليل على شكهم فى صدق ما هم عليه، وأن دعوة الرسول اياهم اليها دليل على ثقته بصدقه واطمئنانه الى نصر ربه ، وذلك من أعلام النبوة المحمدية .

أمره بدعوتهم الى التوحيد وترك الأرباب ..

ومما أمر به النبى ﷺ فى هذه السورة « قل **يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) » .

والمقصود من أهل الكتاب هنا من سيقت هذه الآيات لهم ، وهم وفد نجران وهذا ما قاله الحسن وابن زيد والسدى .

وقال قتادة وابن جريج وغيرهما : الخطاب فيها ليهود أهل المدينة ، خوطبوا بذلك لأنهم جعلوا أحبارهم فى الطاعة كالأرباب ، وقيل هم : اليهود والنصارى جميعا ، ونحن نرجح الرأى الأول ، لأن السياق يقتضيه ، وهذا لا يمنع من شمول الحكم لجميع أهل الكتاب ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولهذا كتبها الرسول ﷺ فى كتابه الى هرقل ، وقد جاء فيه .

« من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم الأريسيين (١) ، و « **يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** » .

فان قيل : هل يكفى فى الايمان عبادة الله وحده دون النطق برسالة محمد ﷺ كما هو ظاهر نص الآية — فالجواب أنه لا يكفى ، فالشهادة برسالته شطر كل من الاسلام والايمان وذلك مفهوم من المقام ، فانه لا يدعو الى عبادة الله وحده سوى الرسول ﷺ ، فمن عمل بما جاء به فلابد أن يؤمن برسالته ليأخذ عنه كل الأحكام الدائرة حول التوحيد وغيره من شئون الدنيا والآخرة .

والمقصود من اتخاذ أحبارهم أربابا من دون الله أنهم ينزلونهم منزلة ربهم فى قبول تحريمهم لما لم يحرمه الله ، وتحليلهم لما لم يحلله قالوا : والآية حجة على بطلان رأى أبى حنيفة بثبوت الأحكام بالاستحسان العقلى عند عدم النص ، فانه تشريع لما لم يشرعه الله كما كان الأحبار يعملون ، وفيها رد على الروافض القائلين : يجب قبول قول الامام دون ابانة سبب شرعى ، هذا وبالله التوفيق .

١ — المقصود من الأريسيين عامة الشعب .

استغفار ابراهيم لأبيه

قال الله تعالى :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ »

التوبة ١١٣ ، ١١٤ والآيتان مدنيتان تعددت الروايات حول سبب نزول الآية : ما كان للنبى والذين آمنوا

١ـ روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له رسول الله ﷺ : ياعم : قل لا إله إلا الله . أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب أبداً فقال عليه الصلاة والسلام : لأستغفرن لك مالم أنه عنه فنزلت الآية « إنك لا تهدي من أحببت » .

ولعل المؤمنين كانوا يستغفرون لأبويهم الكافرين ، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك فلما نزلت سورة التوبة منعهم الله من الاستغفار .

٢ ـ يروي عن على أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه المشركين قال : فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال : أليس قد استغفر ابراهيم لأبويه وهما مشركان ، فذكرت ذلك للرسول عليه الصلاة والسلام فنزلت هذه الآية : ما كان للنبى .

٣ ـ روي أن رجلا أتى النبى ﷺ وقال : كان أبى فى الجاهلية يصل الرحم ويقري الضيف ويمنح ماله ، وأين أبى فقال النبى : أمات مشركا ؟ قال : نعم ، قال : فى ضحضاح من النار فولى الرجل يبكى ، فدعاه ﷺ فقال له : إن أبى وأباك وأبا ابراهيم فى النار .

إن أباك لم يقل يوما أعوذ بالله من النار .

ومعنى الآية : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ويصح أن يحتمل التعبير معنى النهى بمعنى أنهم نهوا

آمنوا .. ما ينبغى وما يصح للنبى والذين

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

عن الاستغفار وسبب المنع من الاستغفار ما ذكره الله فى قوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » وقوله تعالى : « **إن الله لا يغفر أن يشرك به** » وقد سبق قضاء الله بأن يعذب المشركين ولا يغفر لهم بسبب شركهم بنص الآية والعلة المانعة من الاستغفار ظهور أنهم من أصحاب الجحيم فلا فائدة من الاستغفار وهذه العلة لا تختلف بأن يكون المستغفر لهم من الأقارب أو الأباعد ، ولهذا قال الله : ولو كانوا أولى قربى .

« وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » .

إن ابراهيم عليه السلام مع منزلته واتصافه بأنه أواه حليم منعه الله من الاستغفار لأبيه وقد حملت آيات القرآن استغفار ابراهيم لأبيه أكثر من مرة فيما حكاه القرآن فى قوله :

١ ـ « وَاغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ »
٢ ـ « رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ » .
٣ ـ « قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى »
٤ ـ « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ » .

والاستغفار للكافر لا يجوز ، وهذا يدل على أن ابراهيم عليه السلام قد أذنب فى طلب الاستغفار ، وكان الجواب ما حملته الآية : وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه .

والضمير فى وعدها يجوز أن يعود إلى أبى ابراهيم أى أن أباه وعده أن يؤمن فكان ابراهيم يستغفر له بناءً عن وعده له بالإيمان فلما تبين له أنه لم يؤمن وأنه عدو لله تبرأ منه ، وترك الاستغفار .

ويجوز أن يعود الضمير إلى ابراهيم وأنه قد وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » . وقد اختلف فى السبب الذى تبين به ابراهيم عليه السلام أن أباه عدو لله فقيل .

١ ـ إن الله عرفه ذلك عن طريق الوحى .
٢ ـ إن إصرار أبيه على الكفر هو الذى كشف لابراهيم عداوة أبيه لربه وقد ذيل الآية بقوله : « إن ابراهيم لأواه حليم » .

والأواه : هو شديد التأوه ، وإخراج النفس المحترق من صدره وروى عن النبي ﷺ : أنه قال : الأواه : الخاشع المتضرع وكان ابراهيم عليه السلام كلما تذكر تقصيره تأوه إشفاقا على نفسه واتصف ابراهيم كذلك بالحلم والصبر على الأذي والمحن .

ومن اتصف بهذين الوصفين تعظم رقته على الناس جميعا وبخاصة على أبويه حين يتهددهما مكروه فى الدنيا أو ينتظرهما شر عظيم فى الآخرة ، ومع هذه الرقة التى عرف بها ابراهيم فقد تبرأ من أبيه حين تبين عداوته لله .

رسل الله إلى ابراهيم

قال تعالى : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ . فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ . وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ . فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ . يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » هود من ٦٩ ـ ٧٦ اللام فى قوله : لقد تفيد تأكيد خبر القصة المتوقعة بعد أن ساق قصة عاد وثمود والرسل جمع رسول وأقل الجمع ثلاثة

وقد ورد قصة هؤلاء الرسل فى غير موضع من القرآن فجاءت فى سورة الذاريات : « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ »

وفى سورة الحجر « وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ »

وفى العنكبوت : « وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ »

وكان الرسل الذين جاءوا ابراهيم عليه السلام ملائكة واختلف فيهم وفى عددهم .

١ ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنهما جبريل وملكان معه .

٢ ـ وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل

٣ ـ وقال الضحاك : كانوا تسعة

٤ ـ وقال محمد بن كعب : جبريل ومعه سبعة

٥ ـ وقال السدي : أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم .

٦ ـ وقال مقاتل : كانوا اثنى عشر .

وكانت مهمتهم بالنسبة لابراهيم إبلاغ البشرى بالإنجاب من سارة بدليل قوله « **فبشرناها بإسحاق** » والمهمة الأخري أنهم أرسلوا إلى قوم لوط بالعذاب الذى كتبه الله عليهم بدليل قولهم فيما حكته هذه السورة « **إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ** » .

ولما كان المقصود فى هذه السورة ذكر أخبار أقوام الأنبياء ، وتكذيبهم لهم ولحوق العذاب بهم عدد الكثير من الأمم بأسلوب ، وإلى عاد .. وإلى ثمود .

أما ابراهيم فتغير الأسلوب حيث قال : « **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ** » لأن الرسل لم يجيئوا بالعذاب لقوم ابراهيم وإنما جاءوا له بالبشرى ولقوم لوط بالعذاب ولهذا تغير الأسلوب بالنسبة لابراهيم ، وعاد الأسلوب إلى ما كان عليه بالنسبة لمدين حيث قال وإلى مدين

واختلف فى البشرى التى جاء بها الرسل فى قوله « **وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ** » فقيل :

١ - البشرى بالولد فيما ذكر فى قوله تعالى : « فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » .

٢ - البشرى بسلامة لوط وإهلاك قومه الذين كانوا يعملون السيئات .

« قالوا سلاما » هذا استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : ماذا قالوا حين جاءوا وجاء الجواب قالوا سلاما ، وسلاما منصوب بفعل تقديره : سلمنا سلاما ، أو نسلم عليك سلاما « قال سلام » وهذا استئناف أيضا وقع جوابا بالسؤال تقديره : ماذا قال ابراهيم وجاء الجواب : قال سلام والمعنى أمرى سلام ، أى أنا أريد السلامة . ويجوز أن يراد سلام عليكم فحذف الخبر .

« فما لبث » ابراهيم « أن جاء بعجل حنيذ » العجل : ولد البقرة - الحنيذ : المشوى فى حفرة من الأرض بالحجارة المحماة ، وذلك ما يفعله البدو .

وقيل : الحنيذ : الذى يقطر دسمه وقد كان ابراهيم عليه السلام كريما يحب الضيفان ، ويسعده أن يقدم لهم الطعام .

وقد روي أنه مر عليه خمسة عشر يوما لم ير فيها ضيفا ، فلما رأى هؤلاء الضيوف « الرسل » عجل بتقديم الطعام لهم ، ومالبث فى المجيء ، أو لم يمض عليه وقت بعد أن حضر الضيوف حتى قدم لهم ذلك العجل المشوى . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه إلى الطعام أو إلى العجل المشوي « نكرهم » وأنكرهم ومادة « نكر وأنكر واستنكر » بمعنى واحد .

وقد امتنع الملائكة عن الطعام ، ولم تصل أيديهم إليه ، لأنهم ملائكة لا يـأكلون ولا يشربون .. وقد جاءوا على صورة بشرية ، ولمجيئهم على تلك الصورة أنكر عليهم موقفهم من عدم وصول أيديهم إلى ماقدم إليهم .

ولعل ابراهيم عليه السلام ما كان يعلم أنهم ملائكة بل هم من سواد الناس ، وقد خاف أن يصيبوه بمكروه ولذلك سارع إلى تقديم الطعام ، ولما امتنعوا عن الأكل خاف ، ولو أكلوا لأمن من الخوف .

أو لعله كان يعلم أنهم ملائكة ، ولكنه خاف أن يكون حضورهم لأمر ينكره من تعذيب قومه أو إيذائهم « وأوجس » أى أضمر من جهتهم « خيفة » حينما ظن أن حضورهم لأمر قد يكون شراً وكأن الخوف تجلت أماراته فى ملامح ابراهيم عليه السلام وحين سمع قولهم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أى بالعذاب زال الخوف من نفسه ولم يصرح فى هذه السورة أنهم أرسلوا بالعذاب ، وقد صرح به فى سورة الذاريات : « قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ » إلخ .

« وامرأته » سارة بنت عم ابراهيم « قائمة » وراء الستر تستمع إلى الرسل ، لأنها ربما خافت هى كذلك حينما رأتهم لا يأكلون أو « قائمة » تخدم الأضياف وابراهيم قاعد « فضحكت » ولعل ذلك الضحك أثرا للفرح بزوال الخوف عن ابراهيم حين قال له الملائكة : « لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ » أو لعلها كانت ناقمة على

قوم لوط لفعل الخبائث ، فلما علمت أنهم جاءوا لاهلاكهم سرها ذلك فضحكت.

وقيل : إن سارة كانت طلبت من ابراهيم أن يرسل إلى لوط ابن أخيه ليضمه إليه خيفة أن ينزل الله بقومه شرا لما يفعلون من الخبائث ، ولما جاء الملائكة وأخبروا ابراهيم أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط فرحت فضحكت ، لأنه سيحدث لقوم لوط ماتوقعته وقد يكون فى الكلام تقديم وتأخير والأصل : وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وكان سبب الضحك البشارة التى بشرت بها بالولد وقد قاربت المائة من سنى عمرها ..

وقيل : ضحكت ، بمعنى حاضت وذلك حين فرحت بالسلامة من الخوف ، وأنكر بعض علماء اللغة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت ، وقرر بعضهم وجود الضحك بمعنى الحيض فى اللغة « **وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** » .

« وراء » إما بمعنى بعد أى بعد إسحاق يعقوب .

وإما أن يكون الوراء بمعنى : ولد الولد .

وسئل الشعبى : أهذا ابنك ؟ فقال : نعم من الوراء ، وكان ولد ولده « قالت ياويلتا » الويل : أصله : وَىْ وهو الخزى ، فيقال : وى لفلان أى خزى له فويلك : خزى لك ، وقيل يقال ويل لمن وقع فى الهلاك .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : الألف فى ويلتا مبدلة من ياء الإضافة فى ياويلتى كما فى يالهفا ، وياعجبا .

« **ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخاً** »

حيث كانت سارة بنت تسعين أو تسعة وتسعين ، وكان إبراهيم عليه السلام ابن مائة وعشرين سنة . والبعل : الزوج ، وأصل البعل : القائم بالأمر ، فالبعل قائم بشئون الأسرة .

وشيخا : حال ، والعامل معنى الاشارة ، وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى : هو شيخ ، أو خبر بعد خبر ، أو هو الخبر ، بعلى بدل من اسم الاشارة أو بيان له وقد حملت الآية الكثير من التعجب فى قوله : ءألد وأنا عجوز ، وقولها : إن هذا لشىء عجيب وقول الملائكة : أتعجبين من أمر الله ، وقد تعجبوا من تعجبها .

وقد تعجبت بحسب العرف حيث إن المرأة التى تجاوزت التسعين ، وبعلها حين يتجاوز مائة وعشرين حين تبشر بالانجاب لا شك أنها تكون تنكر ذلك وتستكثره بسبب العرف المعروف ولم يكن التعجب بحسب قدرة الله .

وقد ذكرت بيان حالها فيما حكاه القرآن : ءألد وأنا عجوز على بيان حال الزوج فيما حكاه القرآن كذلك « وهذا بعلى شيخا » لأن بعد حالها من الولادة أعظم .

أما الشيوخ إذا تزوجوا بشابات فقد يكون الانجاب منهم كثير . والبشارة بالولد كانت متوجهة إليها ، ولهذا بدأت ببيان حالها فى أنها عجوز لا يتأتى منها الإنجاب .

إن هذا الشىء عجيب ، بالنسبة إلى سنة الله السائرة بين العباد ، والجملة استئناف

وقعت جوابا لسؤال مقدر ، وهى تعليل لا ستبعاد حدوث الانجاب فى مثل هذه الأعمار .

« قالوا أتعجبين من أمر الله » وهذا استئناف كذلك يقع جوابا بالسؤال مقدر تقديره فماذا قالت الملائكة ، وجاء الجواب : قالوا أتعجبين من أمر الله ، والمراد بأمر الله قدرته وحكمته ، وقد أنكروا عليها تعجبها ، ومدار الإنكار أنها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والآيات والمعجزات والخوارق ، فكان الجدير بها ألا تنكر هذه الخوارق التى بشرت بها من الانجاب فى هذه السن ، وكان الخليق بها حينما بشرت بذلك أن تسبح الله وتحمده وتكبره ولذلك قالوا : رحمة الله وبركاته عليكم حيث أن رحمته وسعت كل شىء ، ومنها يفيض الخير ، والبركات : الخيرات النامية المتكاثرة ومن بينها هبة الأولاد .

وقيل : الرحمة : النبوة ، والبركات : الأسباط من بنى إسرائيل ، لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم ، وأكثرهم من أولاد إسحاق ، أو من أولاد يعقوب بالأخص فإذا خص الله بيتا من البيوت بالكرامات والخيرات ، وظهرت فيه المعجزات والآيات البينات فما ينبغى أن يتعجب أحد من أهل ذلك البيت مما آتاهم الله .

« أهل البيت » منصوب على النداء أو على الاختصاص للمدح لأنهم أهل بيت خليل الرحمن إنه حميد فاعل كل ما يستوجب الحمد وهو المحمود الذى تحمد أفعاله « مجيد » كثير الخير والاحسان إلى عباده ، وهو الماجد ذو الشرف والكرم .

والمقصود من ذكر الحميد المجيد : إزالة التعجب حيث لا يتعجب من فعل الحميد المحمودة أفعاله الماجد الكريم العظيم الذى يفيض الخير على العباد .

وقد تداخلت قصة إبراهيم فى قصة لوط حيث قال الله .

« فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ » .

ولما ذهب عن إبراهيم الفزع ، وذهبت آثار الخوف واطمأن قلبه بعد أن عرف سبب مجىء الرسل .

والفاء فى قوله : فلما ذهب لربط أحوال إبراهيم بعضها ببعض تلك الأحوال التى بدأت من قوله تعالى : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى » حتى ينتهى ما يتصل بابراهيم فى السرد القصصي عند قوله تعالى : « وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » .

وأخر الفاعل فى قوله : « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ » لتبقى النفس منتظرة وروده حتى يجىء فيتمكن فى النفس تمكنا عظيما .

ولقد سر إبراهيم عليه السلام « وجاءته البشرى » بعد أن ذهب عنه الخوف حين أنكر الأضياف وجواب لما فى قوله : فلما ذهب عن إبراهيم الروع إما أن يكون تقديره : أخذ أو شرع لدلالة الكلام عليه .

أو يكون تقديره : فلما ذهب عن إبراهيم الروع جادلنا .

استغفار إبراهيم لأبيه

وإبراهيم لم يجادل الله وإنما جادل رسل الله ، والذى دفع إبراهيم إلى المجادلة أنه كان يريد تأخير العذاب عن قوم لوط بعد قول الملائكة : انا مهلكو أهل هذه القرية ، فقال إبراهيم : أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين ؟ أتهلكونها ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعون ، قالوا : لا قال : فثلاثون قالوا : لا حتى بلغ العشرة قالوا : لا قال : أرأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها ، قالوا : لا فعند ذلك قال إبراهيم : إن فيها لوطا .

وقد ساق الله القصة فى سورة العنكبوت على النحو الآتى :

« **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** » . فمجادلة إبراهيم كانت فى قوم لوط بسبب مقام لوط بينهم وقيل : ابراهيم حين جادل كان يرجو أن تلحقهم رحمة الله فيؤخر عذابهم أملا فى أن يقبلوا على الإيمان ، وأن يتوبوا عن المعاصي وفعل المنكرات .

وكان يفسر أمر الله فيهم بايصال العذاب لا على الفور بل يقبل التراخى .

وقد طلب من الملائكة أن يصبروا بعض الوقت لعلهم يتوبون .

أما الملائكة فكان رأيهم أن أمر الله فى هؤلاء لا يقبل التراخى ، بل ينبغى أن يكون على الفور ، فحصلت المجادلة حول تفسير أمر الله فى إيقاع العذاب بقوم لوط أيكون على الفور أم يصح فيه التراخى إلى حين أملا فى إيمانهم .

« **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ** » وهذا مدح من الله لإبراهيم .

الحليم : هو الذى لا يتعجل فى إيقاع العقاب ، بل يؤخر العقاب أملا فى حصول العفو فجدال إبراهيم كان يهدف من وراء إلى الوصول إلى تأخير العقاب حينا لعلهم يؤمنون وكان إبراهيم أواها شديد التأوه والتحسر والحزن حين علم أن مجىء الملائكة لإهلاك قوم لوط ، فأخذ يتأوه ، فوصفه الله بهذه الصفة : الأَوَّاه .

ومن كان أواها كان منيبا راجعا إلى الله فى كل أموره لاجئا إلى التوبة والانابة كلما أحس بتقصير فى جنب الله .

وبهذه الصفات بين الله ما حمل إبراهيم عليه السلام على جداله مع الملائكة .

« **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ** » لقد طلب الملائكة من إبراهيم الإعراض عن الجدال ؛ لأن أمر الله وقدره الجارى بإيصال العذاب إلى هؤلاء المجرمين قد جاء ، وإذا جاء أمر الله وقضاؤه بهذا العذاب فلا سبيل إلى دفعه ، ولهذا أمروه بترك المجادلة .

وكان أمر الله الذى جاء هو : «**وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ** » أى أن عذاب الله الذى قضى به لا يرد ولا يمكن دفعه بجدال ولا بدعاء ولا برجاء وانطلق ملائكة الله إلى حيث قرية لوط فيما ذكره القرآن بعد ذلك حول قصة قوم لوط فى قوله تعالى :

« **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا** »؟.

الزكاة .. والضرائب

للشيخ فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله

■ بين يدى البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :

فإن الاسلام دين الله الخالص أرسل به ـ سبحانه ـ اول رسله ، واول خلقه آدم ـ على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ـ ونادى به خاتم النبيين والمرسلين محمد ـ ﷺ ، فهو الدين الذى ارتضاه الله ـ عز وجل لعباده دائماً ابداً .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة [٣] .

لقد جمع هذا الدين محاسن الدنيا والآخرة ، فما من عمل دنيوى يمارسه المسلم عن طاعة لله ورسوله إلا كان له أجر عبادة فمنهجه خير كله ليس فيه مشاكل ، إنما المشاكل منوطة بالمناهج البشرية ومع ذلك فالاسلام لا يتخلى عن حل ، ومع الكتاب العزيز ، والسنة الشريفة ومناهج الصدر الأول من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ، ورضوان الله عليهم ـ إلى مناهج الائمة المقدمين الذين ارتضتهم هذه الأمة .. مع ذلك كله تزول العقبات ، وتتلقى الأرض رحمة السماء ، وتسير الحياة على خير ما يرجو البشر .

لقد ترك الاستعمار فى أكثر البلاد الاسلامية نظمه الاقتصادية التى ارتبطت بمصالحه ، وشيئا فشيئا كبَّلتِ الأممَ الاسلامية وعاقت نهوضها ، ولقد آن الأوان أن نمارس نظام الاقتصاد الاسلامى الذى

أرسى دعائمه رسول الله ـ ﷺ وتوالى به العمل من خلفائه ثم من بعد ذلك إلى قرون ، نَعِمَ المسلمون فيها بالخير وفاضت عليهم النعمة فلما غَيَّروا وبدلوا سيطر عليهم الاستعمار وأورثهم فقرا ، بل ذلا فى أكثر الأحيان .

والزكاة احدى ركائز الاسلام وركن من أركانه أوجبته الشريعة وطالبت به رءوس الأموال حقا لله لا يمكن أن يتلاعب به مسلم بينه وبين سريرة نفسه وضميره لعلمه وايمانه بأن الله علام الغيوب ، والزكاة لا يجحدها إلا كافر ، وما منعها إنسان إلا وجب قتاله عليها ، والمسلمون ـ والحمد لله ـ يمارسون فرائض دينهم ـ فيما بينهم وبين أنفسهم طواعية لله ، وملايين المسلمين تلتزم باخراج الزكاة مع أن غالبية دولهم لا تطالبهم بها ..

ولــكـــــن .. !

ما أكثر من يتهرب من الضرائب ، وما أكثر من يحتال لاسقاطها ، وما أكثر من ينجح فى ذلك ، وقد يفعل دون أن يحس من ضميره بتأنيب أو ألم ، فإن احساسا دينيا « ما » غير مرتبط بتلك الضرائب .. ها نحن نرى المسلم يمتنع عن الطعام والشراب ولذائذ الحس فى صيامه رمضان دون رقيب عليه إلا نفسه لعلمه اليقين أن الصوم فريضة من الله .. وكذلك احساسه فى الزكاة وغيرها .. ومحال أن ترتقى إلى هذه الدرجة شرعة ليست لله ـ عز وجل .

من أجل ذلك .. !

كان البحث .. وقد ألقينا الضوء ـ فيه ـ على الضرائب الجاهلية ، ونعنى بها ما كانت قبل الاسلام وما شاكلها .

وأرجو أن يكون هذا الجهد محل تقدير من علماء الأزهر الشريف[1] . والله أسأل كمال التوفيق .. إنه نعم المعين .

منهج الاسلام

للاسلام منهج يكون به المال حلالا ويكتسب شرعية اسلامية تجعله طيبا سواء منه ما يئول إلى الدولة .. أو يئول إلى الفرد ، وهو فى كلا حاليه المالُ الطيبُ الذى استخلف الله ـ عز وجل ـ فيه عباده .. والله ـ سبحانه ـ طيب ، لا يقبل إلا الطيب وما كان على غير هذا النهج فليس له عند الله قبول ، بل هو من الجاهلية وعلى شرعتها قديما وحديثا .

لقد تجمعت الميزانية الأولى فى الاسلام من موارد الدولة التالية :

الزكاة ، الغنائم ، الجزية ، الخراج ، القطائع ، العشور .. ولكل مورد من هذه أحكامه الشرعية التى يتحصن بها من الحرام فيكون حلالا كله ، ولم يكن من بينها المَكْس

[١] كاتب البحث احد علماء باكستان ، وإمام مسجد مبارك بـ« لاهور » ، واحد اعضاء الدورة الثانية للأئمة التى اقامها الأزهر بمدينة البعوث الاسلامية لتخريج ائمة على مستوى عال ينتفع بهم فى مجال الدعوة الاسلامية فى كافة انحاء العالم .

ملاحظة : فى بداية هذه الهوامش ننبه إلى ان المراجع قد اعد منها الباحث وهو بـ[باكستان] .

الذى نلقى عليه الضوء هنا باعتباره لونا من نظم الجاهلية الحرام :

المَكْس .. الماكس أو المَكَّاس :

وقد وردت فيه أحاديث شريفة تحرمه - باعتباره - ضريبة ظالمة ، ويطلق على مُحَصِّلِها « الماكس » أو « المَكَّاس » أو « صاحب المكس » وكان ضريبة تؤخذ جبرا فى الجاهلية ، قال رسول الله - ﷺ -

« إن صاحب المكس فى النار »[2] وقال - عليه الصلاة والسلام :

« لا يدخل الجنة صاحب المكس - يعنى العشار »[3] .

قال الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ - بصدد ما حل ببعض الديار الاسلامية من هذا النوع من الضريبة :

« ... أما الآن فإنهم يأخذون مكسا باسم العشر ، ومكوسا أُخَر ليس لها اسم بل شىء يأخذونه حراما وسحتا ويأكلونه فى بطونهم نارا ، حجتهم فيه داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد »[4] .

لقد رأى المنذرى هذا من بعض الحكام فتصدى لهم بالبيان فى القرن السابع الهجرى وجاء مثل ذلك فى « الفتح الربانى » قال :

« إن المكس من أعظم الذنوب ، وذلك لكثرة مطالبات الناس ومظلماتهم ، وصرفها فى غير وجهها »[5] وقال - فى مكان آخر من مؤلفه :

« إنما كان فى النار لظلمه الناس وأخذ أموالهم بدون حق شرعى ، فإن استحل ذلك كان فى النار خالدا فيها أبدا ، لأنه كافر ، وإلا فيعذب فيها مع عصاة المؤمنين ما شاء الله ، ثم يخرج ويدخل الجنة »[6] .

ولننظر - فى الموارد التى أقرها الاسلام :

■ الجزية :

وهى مال يؤخذ من أهل الذمة للإجتزاء به فى حقن دمائهم أى فى مقابل وجوب دفاع المسلمين عنهم وحماية أنفسهم وأموالهم وأرضهم ، وليس ذلك ليكون عنوان قهر لهم كما يحلو للبعض أن يردده حقدأ على الإسلام والمسلمين ، ولأن وجوب الدفاع منوط بالمسلمين لم يكن عليهم جزية ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس على المسلم جزية »[7] .

فلم يفرضها الاسلام كما فرضها كسرى عنوان قهر وظلم[8] .

---

[٢] الأموال لابى عبيد ص ٤٦٩ - مسند احمد ١٠٩/٤ ، الفتح الربانى للساعاتى ١٧/١٥ .

[٣] سنن الدارمى ص ٣٠٩ ، وانظر مسند احمد ١٥٠/٤ ، والأموال ص ٤٦٩ ، والمستدرك للحاكم ٤٠٤/١ وابا داود ص ٤٠٨ .

[٤] الترغيب والترهيب ٥٦٧/١

[٥] الفتح الربانى للشيخ عبد الرحمن الساعاتى ١٨/١٥ .

[٦] الفتح الربانى ١٧/١٥ .

[٧] راجع المفردات للراغب الأصبهانى ، وسنن ابى داود باب فى الذى يسلم فى بعض السنة هل عليه جزية ... ؟

[٨] انظر تفسير المراغى ٩٦/١٠ .

روى أبو داود بسنده إلى عثمان بن أبى سليمان أن النبى - ﷺ - بعث خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُومَةَ ، فَأُخِذَ ، فأتوه به فحقن له دمه وصالحه على الجزية[9] .

وهى واجبة على أهل الذمة المصالحين للمسلمين قال تعالى :

«قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ »[10] .

ذكر الحافظ ابن حجر أن هذه الآية هى الأصل فى مشروعية الجزية ، قال :

واختلف فى سنة مشروعيتها فقيل : فى سنة ثمان ، وقيل : فى سنة تسع ١٠ هـ .

وليس كل أحد يؤخذ منه الجزية ، ولا كل جماعة ، فهذا عمر لم يأخذ جزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - أخذها منهم[11] وإذا تتبعنا باستقصاء أحوال الجزية وجدنا للإمام فيها فسحة فى إيجابها أو رفعها عن البعض فى أحوال خاصة ، وكان من منهج الخلفاء الراشدين التسهيل فى أخذ الجزية ، وتقديرها فى ضوء استطاعة المأخوذ منه .

سأل ابن نجيح مجاهدا : ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير ، وأهل اليمن عليهم دينار ؟ قال : ذلك من قبل اليسار[12]

خففت على أهل اليمن بسبب ضعفهم المادي .

■ الخـــراج :

من موارد الدولة الاسلامية ، وشاهدها على حفظ الثروة المحلية لأهلها ، وهو ضريبة موضوعة على رقاب الأرض ، وضعها عمر بن الخطاب فى الشام والعراق ومصر ، وأبى مصادرة هذه الأراضى وتوزيعها على الفاتحين .

روى عن العلاء بن الحضرمى - رضى الله عنه - أنه قال :

« بعثنى رسول الله - ﷺ - إلى البحرين فكنت آتى الحائط[13] يكون بين الأخوة يُسْلِمُ أحدهم ، فآخذ من المسلم العشر ، ومن المشرك الخراج »[14] والقاعدة فى ذلك كله الرفق فى التحصيل .

فقد استدعى عمر - رضى الله عنه - عثمان ابن حنيف ، وحذيفة بن اليمان ، وكانا قد تَوَلَّيَا مساحة الأرض بالعراق فسألهما : هل حملتما الأرض ما لا تطيق ، فقال عثمان : حملت الأرض أمرا هى له مطيقة ، وقال

---

[٩] سنن ابى داود - باب فى اخذ الجزية .
[١٠] التوبة ٢٩ راجع تفسير الآية لدى الفخر الرازى .
[١١] راجع فتح البارى لابن حجر ٢٥٩/٦ ، وانظر سنن الدار قطنى ١٥٥/٢ ، وكنز العمال ٥٠٢/٦ .
[١٢] صحيح البخارى - كتاب الجزية ، وانظر مصنف عبد الرزاق ٣٣٠/١٠ .
[١٣] الحائط :البستان .
[١٤] رواه احمد وابن ماجه .

حذيفة : وضعت عليها أمراً هى له محتملة ، وما فيها كثير فضل ، فأطمأن عمر[١٥] .

بل إن الاسلام يهدف إلى الرفق حتى فى الأحوال الخاصة كضريبة الغلة التى يفترضها السيد على رقيقه ، روى الامام البخارى - رضى الله عنه - عن أنس بن مالك قال :

« حجم أبو طَيْبَةَ النبى - ﷺ - فأمر له بصاع أو صاعين من طعام وكلم مواليه فخفف عن غلته أو ضريبته[١٦] .

وشدد رسول الله - ﷺ - النكير على المستهين بآلام الناس ، فعن حكيم بن حزام - رضى الله عنه : أنه مر بالناس - من اهل الذمة - قد أقيموا فى الشمس بالشام ، فقال : ما هؤلاء[١٧] ؟ قالوا : بقى عليهم شىء من الخراج ، فقال : إنى أشهد انى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« إن الله - عز وجل - يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس » .

قال : وأمير الناس يومئذ عمير بن سعد على فلسطين ، قال : فدخل عليه ، فحدثه فخلى سبيلهم[١٨] .

« يتبع »

---

[١٥] راجع للدكتور بدوى عبد اللطيف - الميزانية الأولى فى الاسلام - ص ١٩ ، ٢٠ سلسلة الثقافة الاسلامية ١٨ القاهرة ١٣٧٩ - ١٩٦٠ .

[١٦] صحيح البخارى باب ضريبة العبد وتعاهد ضرائب الاماء ، وانظر للترمذى - الجامع الصحيح باب ما جاء فى الرخصة فى كسب الحجام .

[١٧] .... اى ما حال هؤلاء .

[١٨] رواه مسلم ، وانظر مسند احمد ٤٠٣/٣ .

بالهجرة نشأت دار الإسلام - بقية

العمل ، ونستديمه عملا صالحا ، مثمرا نبتغى به وجه الله وصالح المسلمين .

إن هذه الأمة باقية بفضل الله إلى يوم الدين ، معصومة بعصمة الله عن أن تجتمع على ضلال ، مرعية فلا يضيع منها شىء من شرع الله الحنيف .

ما أحرانا أن نجتمع على الخير ، ونأتلف على الرشد ، ونتعاون على البر ، ونوثق روابط الاخاء الاسلامى ، على مثل ما وثق به محمد ﷺ الاخاء بين المهاجرين والأنصار فى يوم الهجرة ، ثم ننأى عن الشقاق ، ونسعى بكل ما نستطيع إلى الحب والتراحم والوفاق .

إنه ليطيب لى فى مطلع هذا العام الهجرى الجديد أن أهدى خالص التهنئة إلى جميع المسلمين فى أقطار الأرض ملوكهم ورؤسائهم ، وأمرائهم وقادتهم وشعوبهم .

وأخص بالتهنئة أبناء شعب مصر . ورئيس مصر الرئيس محمد حسنى مبارك وأسال الله أن يجعله عام خير ، ويسر ، وبركة ، وسلام ، وأمن ، وعافية للمسلمين فى كافة الأقطار .

وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدولة الإسلامية

اجتماعيا .. واقتصاديا .. وسياسيا

ـ بداية تكوين الدولة الاسلامية :

لقد (١) كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بمثابة بداية تكوين مجتمع اسلامى ذى شخصية متميزة مستقلة ٠

ولوجه الحقيقة ، فانه لا يمكن القول بأن الدولة الاسلامية الأولى قد قامت فى المدينة أثناء حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعد اتساع رقعة الدولة ، وشمولها لمعظم الجزيرة العربية ، فما كان محمد صلى الله عليه وسلم الا رسول الله ، ينطق بما يوحى اليه ، ويدير شئون حياة المسلمين الدينية والدنيوية على مقتضى ما ينزل به الوحى الالهى ٠ يقول الله تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا » (الأحزاب/٣٦) ٠ وعلى هذا فممارسته صلى الله عليه وسلم للسلطات السياسية فى الدولة لا يعدو الممارسة الواقعية التى اقتضتها طبيعة الاجتماع ذاتها ، وما كان المجتمع الاسلامى آن ذاك الا النواة التى قامت عليها الدولة الاسلامية فيما بعد ، والمدرسة التى لقنت فيها المبادىء العامة الاسلامية والأسس التى تقوم عليها حياة المسلمين ، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوضيح والتدريب العملى على تلكم المبادىء والأسس العامة ٠

فالدولة الاسلامية نشأت فى عصر أبى بكر أول الخلفاء الراشدين ، واكتملت نشأتها فى عصرى عمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ٠ والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى طبقت آنذاك كانت هى النظم الأصيلة المستندة الى أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ٠

بيد أن هذه النظم على مثاليتها لم تستنفد كل الأغراض التى من أجلها أقام الأسلام دولته ، فقد كانت الخلافة الراشدة بداية مثالية لاقامة النظام الاسلامى على المبادىء العامة الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأن هذا النموذج المثالى قابل للتطور فى اطار المبادىء العامة التى جاء

---

(١) المقال فكر الكاتب ومسئوليته الشخصية ، وحق نقده ثابت لكل متخصص ٠٠ مجلة الازهر

للعميد (ا ٠ح ٠)

الدكتور فوزى محمد طايل

بها الاسلام ، تبعا لتطور الحياة وتجدد المصالح وتبدل الأعراف •

ــ مصادر الأحكام فى الدولة الاسلامية : ــ

ان هدف قيام الدولة الاسلامية يتمثل فى تعمير الأرض ، وتحقيق وصيانة صوالح المسلمين ، وجلب السعادة للمجتمع الاسلامى كله ، ولبنى البشر جميعا ، فهو باختصار ، اقامة نظام الحياة الاسلامى بعناصره الدينية ، والمدنية ، والحضارية ، فالاسلام كل شامل لا يتجزأ ، وهو دين وشريعة وعقيدة • يقول الله تعالى : « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » • (الحج/٤١) •

وعلى هذا فان المجتمع الاسلامى لابد أن يستمد كل أحكام المبادىء العامة التى تحكمه اجتماعيا ، واقتصاديا ، وسياسيا من المصادر الالهية التى أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يوجد فى المبادىء العامة لهذا المجتمع نظرية بشرية ، لأن الأحكام العامة التى تحكم العبادات والمعاملات وشئون السياسة والحرب والاقتصاد والاجتماع ، كلها من وضع الخالق جل شأنه ، وانما ينحصر دور العلماء فى فهم النصوص والقواعد الكلية ، واستنباط أحكام الفروع •

ويعتبر كتاب الله (القرآن الكريم) والسنة النبوية الصحيحة هما المصدران اللذان لا خلاف بين فقهاء الشريعة الاسلامية كافة فى كل زمان ومكان على أنهما أصل ومصدر الأحكام والقواعد الكلية • وهما مصدران نقليان ، الأساس فيهما هو النقل الصحيح •

بيد أن هناك مصادر نقلية أخرى جرى حولها جدل بين علماء أصول الفقه ، وهى بصفة عامة الاجماع (١) ، وقول الصحابى ، والشرائع السماوية السابقة ، والعرف •

وحيث ان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد اشتملا فى الغالب على المبادىء العامة ولم يتعرضا لكل الأحكام الجزئية ، فقد اعتمد الفقهاء على مصادر عقلية تتمثل فى القياس ، والمصلحة المرسلة والاستصحاب ، وكلها تدخل فى معنى الاجتهاد ، وبناء الأحكام التفصيلية على ما جاء فى القرآن الكريم

(١) الخلاف فى الاجماع غير معتد به خاصة اجماع الصحابة • راجع مراتب الاجماع لابن حزم •

والسنة النبوية الشريفة من أحكام ومبادىء عامة .

على أن الأدلة النقلية — مع ذلك — تحتاج الى عمل عقلى فى فهمها واستخراج الحكم منها ، كما أن الأدلة العقلية لاتكون معتبرة شرعا الا اذا استندت الى النقل .

ولزيادة الأمر وضوحا نورد فيما يلى شيئا من التفصيل :

١ — القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربى ، والمنقول الينا بالتواتر كتابة ومشافهة ، والمدون بين دفتى المصحف ، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ، وهو وحده الذى تصح الصلاة به ، كما يتعبد ويتقرب الى الله بتلاوته فى تدبر ، ويحكم بكفر من ينكره جملة أو تفصيلا ، وهو العمدة والمرجع الأول فى استنباط الأحكام الشرعية .

وعلى هذا فلا يعتبر تفسير الآيات قرآنا كما لا تعتبر ترجمات معانى الآيات الى لغات أجنبية — مهما بلغت دقة الترجمة — قرآنا .

وبرغم أن آيات القرآن الكريم كلها قطعية[(١)] الثبوت ، الا أن دلالتها على معانيها قد تكون قطعية ، وقد تكون ظنية[(٢)] ، ومنها ما تكون معانيه ظاهرة محكمة ، ومنها ما تحمل معانى تحتاج الى بذل الجهد لفهمها واستخراج الأحكام منها .

ونصوص القرآن الكريم يوضح بعضها بعضا فخير ما يفسر به القرآن هو القرآن كما أن نصوص القرآن الكريم يقيد بعضها بعضا ، ويخصص بعضها بعضا ، فلا يجوز أن يفهم بعض نصوص القرآن الكريم بمعزل عن غيرها من النصوص القرآنية الأخرى .

٢ — السنة :

لفظ « سنة » فى اللغة العربية معناه « الطريقة »[(٣)] ، أما فى الاصطلاح الشرعى فيعنى ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير .

والسنة التى تعتبر مصدرا من مصادر الأحكام فى الدولة الاسلامية هى تلك التى صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد التشريع والاقتداء ، ونقلت الينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه .

ولم يختلف أحد من فقهاء الشريعة الاسلامية حول اعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المصدرين الأساسيين للأحكام فى الاسلام ، وأن غيرهما من الأدلة الشرعية لابد أن يكون راجعا اليهما ، بل ان معظم المذاهب

---

(١) قطعية : أى تدل على معنى واحد لا يختلف عليه العلماء كقوله تعالى : فاعلم انه لا اله الا الله . و (قل هو الله أحد)

(٢) ظنية : اى تدل على اكثر من معنى ، وهى محل اجتهاد مثل قوله تعالى فى الصيام : « كما كتب على الذين من قبلكم » حيث جعله البعض خاصا بمن قبلنا مباشرة والبعض جعله عاما منذ آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

(٣) .. أى محمودة أو مذمومة ..

الفقهية الاسلامية تعتبرهما المصدر الوحيد للأحكام فى الشريعة الاسلامية .

فالسنة مع القرآن تبين ما جاء فيه من مسائل كلية ، وتفصل مجمله . ولا يمكن أن يكون لها البيان الا اذا كانت صحيحة .

واذا كان هذا هو شأن السنة النبوية الشريفة فان المصادر النقلية الأخرى من اجماع أو قول صحابى أو عرف أو شرائع سماوية سابقة على الاسلام لا تصلح أن تكون مصادر مستقلة للأحكام فى الدولة الاسلامية (١) .

فالاجماع بمعنى « اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم فى عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع » يكون فيما فيه اجتهاد عن شورى تؤدى الى اتفاق .

ولعل من الانصاف أن نقرر أن أحدا من الصحابة الكرام لم يعتبر اجتهاده ، ملزما لأى صحابى آخر على الاطلاق .

واذا كان (العرف) ليس سوى « مصلحة عملية » فأساس الحكم به مراعاة المصلحة ونفى الحرج ، **لذا فالعرف ليس دليلا نقليا ثابتا ،** فلا يمكن بناء حكم شرعى فى الوقت الحالى على عرف نشأ واستقر فى عهد الدولة الاسلامية الأولى ، ثم تبدل ولم يعد له وجود الآن .

وأخيرا فان ما جاء بالشرائع السماوية السابقة على الاسلام من أحكام لا يجوز اعتباره مصدرا من مصادر الأحكام فى الدولة الاسلامية ــ ما لم يقره القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة .

٣ ــ الاجتهاد : ــ

الاجتهاد هو اصطلاح شرعى يقصد به أن « يبذل الفقيه غاية الجهد العقلى فى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية » .

وقد وضع علماء أصول الفقه فى الشريعة الاسلامية شروطا معينة لابد من تحققها حتى يوصف من تتوفر فيه تلك الشروط بوصف (المجتهد) .

مجملها : العلم بمواضع آيات الأحكام فى القرآن الكريم .

والعلم بمراجع الحديث ومواضع الأحاديث فى كتب السنة المعتمدة .

ومعرفة قواعد اللغة العربية .

والعلم بمقاصد الشريعة الاسلامية (٢) .

والاجتهاد هو المصدر المتجدد من مصادر الأحكام الذى يحتفظ للنظم الاسلامية بالقدرة على مواجهة تطور أحداث الزمان ، واختلاف البيئة والمكان ، وهو الذى يحقق التناسب والتوازن بين هذه النظم وبين مقاصد الحياة ونظم تكوينها .

يقول فضيلة الامام الاكبر محمود شلتوت

---

(١) أى الآن ترجع الى الكتاب والسنة .

(٢) ومن ضروريات المجتهد : أن يعرف أيضا مواطن الاجماع حتى لا يحكى الخلاف فيما اجمعوا عليه كما يعرف مواطن الخلاف حتى لايحكى فيما اختلفوا فيه .

رحمه الله : « واذا ما كانت طبيعة الاسلام تدل على أنه دين يتسع للحركة الفكرية العاقلة ، وأنه لا يقف — فيما وراء عقائده الأصلية وأصول تشريعه — على لون واحد من التفكير ، أو منهج واحد من التشريع ، وقد كان بتلك الحرية ، دينا يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة التى يتفتق عنها

العقل البشرى فى صلاح البشرية وتقدمها مهما ارتقى العقل ونمت الحياة (لخلصنا الى أن) للمرء أن يناقش المسألة — كما ناقش كثيرون من أعظم فقهاء هذه الأمة عبر الأجيال — فيقول ان المدى المحدود للأحكام المنصوصة فى القرآن والسنة لم يكن نتيجة سهو وقع من الشارع، ولكن على العكس ، أراد به أن يكون درعا لا

غنى عنه ، يقى الأمة من الجمود التشريعى والاجتماعى .. » .

والاجتهاد لا يكون مع النص القطعى الصريح اذ لا اجتهاد مع هذا النص ، وانما يكون مجاله حيث نجد نصا ظنى الورود والدلالة ، أو ظنى أحدهما فقط فيكون الاجتهاد فى هذا النص ، أو حيث لا نجد نصا يحكم الواقعة محل الاجتهاد .

وللاجتهاد أدواته التى يمكن اجمالها فى القياس ، والمصلحة المرسلة بتطبيقاتها من استحسان أو عرف أو سد الذرائع والاستصحاب ، وهذا الاخير يعبر عنه علماء الشريعة الغراء بأنه « آخر مدار الفتوى » (١) .

صفوة القول أن الاسلام ، خاتم الديانات ، هو الشريعة (أى القانون) التى تحكم المسلمين فى كل أمور حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأنه قد جاء بأحكام عامة وأخرى تفصيلية لتقام على دعائمها الدولة الاسلامية .

د. فوزى محمد طايل

(١) هذه الامور تتمه شروط المجتهد .

الحق .. والباطل

للأستاذ السيد حسن قرون

أكثر الكلمات دورانا على ألسنة الناس كلمة (الحق)، (وكلهم أصحاب حق وظلموا فيه) وتسمعهم يقولون : تريد الحق ام ابن عمه؟

ولقد تحريت فى معرفة ابن عم الحق ، فلم أعرف له اسما ولا رسما ، والمتحدثون به لا يريدونه ويعتقدون انه من قبيل الباطل ولقد تحريت عنه وتفقدته فى الريف والمدينة وفى دواوين الحكومة والمؤسسات التجارية والصناعية وفى كل موطن من مواطن التجمع فعرفت أنه من مواليد النفاق وانهم يلجئون اليه ذرا للرماد فى العيون ، أو يسوقونه فى الظرف وتبادل الدعابة لنيل المراد .

وليس الحديث عنه ، وانما جاء استطرادا ومن قبيل تداعى المعانى والا فالحديث يدور حول (الحق الصريح) و (الباطل الصريح)، وأيهما له الغلبة والظفر فى الحياة ؟

كان العقاد فى الثلاثينات والاستعمار الانجليزى يتربع على هام البلاد يصرخ فى شعره .

يا حق لا تبرح خباءك
أتعبتنا سعيا وراءك

وكنا نعجب من هذا القول فاذا قبع الحق فى خبائه ورضى الخنوع بانطوائه صارت الحياة جحيما لا تطاق ، وضل بالناس أملهم ، وحل اليأس فى كل مسعى ومنحى ، ووقف دولاب العمل ، وماتت الابتسامة على الشفاة ، وتمنى الناس أنهم لم يخلقوا ، ولكن ما هكذا يكون الحق وأولياؤه،وأولياء الحق من الكثرة بمكان، فالعدل والانصاف والشجاعة والضمير الحى والمروءة والحب والوفاء وما الى ذلك من الفضائل كلها من أوليائه وأحبائه وأنصاره ولا يمكن أن يختبىء أو ينطوى أو يترك دوره فى الحياة .

وتسألنى ما الحق ؟

وأنت تعرفه وتحس به وتتطلع اليه وتخشى أن يضيع منك ، وما من شك فى أنه الشىء الثابت الذى لا يزول ولو زالت السماء والأرض ، فهو من أسماء الله الحسنى :

الحق.. والباطل

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٦ سورة الحج)

أما الباطل فهو الشيء الزائل ، والله يخاطب بنى اسرائيل قائلا : « وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٤٢ سورة البقرة) •

ويقول القرطبى فى تفسير هذا القول : قال ابن عباس : يعنى : كتمانهم أمر النبى - ﷺ - وهم يعرفونه ، والباطل فى كلام العرب خلاف الحق ومعناه الزائل •

قال لبيد :

« ألا كل شىء ما خلا الله باطل » •

وأنت تجد الحق فى القرآن الكريم فى أكثر سوره من سورة « البقرة » الى سورة « العصر » والمعانى قد تتنوع ولكنها ترجع الى أمر واحد هو الثبات والقوة والظهور فليس من حق العقاد أن يقول ما قاله ، ولا أن يطلب الى الحق الاستتار وقد جعل للظهور والانتصار •

وتجدهم يقولون :«دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة»•

وهو قول قد لا يروق لمظلوم أو مضطهد أو جائع أو عريان أو لشعب يئن تحت سياط الهوان مثل أفغانستان أو جنوب افريقية ، ولكن بقليل من التأمل تجد الحق فارعا رائعا يجتاب المسالك والممالك ولا يهدأ ولا يستقر حتى تسمع بعودة الحق الى نصابه•وقد جاءت على أيام كنت لا أنام من كثرة حديث النفس عن رحيل الانجليز من بلادنا وكان يغيظنى كتابنا حين يرددون فى مقالاتهم دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة •

ولقد عرف الناس الحق والحقوق من عهد ابنى آدم « إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ» عرفته الخلية الاولى وهى الاسرة كما عرفته المجتمعات المحلية والدولية ، وعرفته تجمعات العمال والمظاهرات النسائية ومن عجيب أمره أنك مطالب به نحو نفسك ، فقد روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال لى رسول الله ﷺ :

« يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلت : بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ؟ فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لِزَوْرِكَ عليك حقا ، وان بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله • فشددت فشدد على • قلت يا رسول الله انى أجد قوة قال : فصم صيام نبى الله داود عليه السلام ولا تزد عليه ،قلت : وما كان صيام نبى الله داود عليه السلام ، قال : نصف الدهر ، فكان عبد الله يقول بعدما كبر : يا ليتنى قبلت رخصة النبى ﷺ » •

وهذا الكلام عن صيام التطوع وقد قيل مثله لأبى الدرداء •

أما الحق الذى يختصم الناس حوله ، وتندلع الحروب فى سبيله فهو الحق الذى يجب أن يسود ولو أنصفوا لاستراحوا ، ولقد ألفت الكتب وألقيت الخطب وتعددت وسائل الدفاع عنه فى الاذاعة المرئية والمسموعة

وفى الصحف ليتغلب الحق على الباطل ، ولكن الباطل له زخرفه وسرابه الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ومـــع ذلك لا ينتهون عن طلابه والسير فى ركابه والتغنى بمزاياه وجدواه ، وفى ميراث أسلافنا ما يعطيك صورة عن التخاصم والتقاتل بين الحـــق والباطل .

وفى ذلك حكايات مشهورة ونوادر معروفة، ونحن نذكرها لنؤكد هيمنة الحـق وسلطانه المبين فى ميادين الحرب والسلم ، وفى قاعات المحاكم وأندية المجتمعات ، ونحن نقرؤهـــا ونقصها ليهتدى الأبناء بمواقف الآباء .

قال أحدهم : انى لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم ، فكان آخر من تقدم اليه وقدهم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللـــه وبركاته . فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم . فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمى فى حاجتك ـ ويحيى قاضى القضـــاة ـ فقالت : ـ والخطاب للمأمون ـ :

يا خير منتصف يهـدى له الرشـــد
ويا اماما به قـــد أشرق البلـــد
تشـــكو اليك عميـد القـوم أرملة
عدا عليها فلم يتـرك لهـــا سبد (١)
وابتز منى ضـياعى بعـد منعتهـا
ظلما ، وفرق منى الأهـــل والولد
فى دون ما قلت زال الصبر والجلـد
عنى وأقرح (٢) منى القلب والكبـد
هذا أوان صــــلاة العصر فانصرفى
وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا
ننصفك منه ، والا المجلس الأحـــد

فأطرق المأمون حينا ، ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

كان المأمون الخليفة العباس عادلا ويحب العفو عند المقدرة ، فلما كان يوم الأحـــد انعقد المجلس فكان أول من تقدم اليه المرأة ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال وعليك السلام . أين الخصم ؟ فقـــالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال : يا أحمد بن أبى خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمـــد ابن أبى خالد ـ الوزير ـ يا أمة الله ، انك بين يدى أمير المؤمنين وانك تكلمين الأمـــير (العباس بن المأمون الخليفة والحكم) فاخفضى من صوتك . فقال المأمون : دعها يا أحمد ، فان الحق أنطقها وأخرسه ، قال الراوى ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس لها وردها الى بلدها مكرمة بكتاب توصـــية الى عامله ، وأمر لها بنفقة السفر .

وهذا العمل ينظر الى قـــول النبى ﷺ : « ان لصاحب الحق مقالا » وقد كان العربى أقدر الناس على تصوير ما يصيب الحق من محن ، وما يتراءى من الباطل من صلف ، فمما

---

١ ـ ماله سبد ولا لبد بفتح الباء فيهما اى قليل ولا كثير ، والسبد من الشعر واللبد من الصوف .

٢ ـ اقرح : جرح .

الحـــق .. والبــاطــل

يُتَنَدَّرُ به ما حكاه « المبرد » فى كتابه « الكامل » عن موقف (عبد الله بن حسن بن حســن ابن على بن أبى طالب) من صديقه (عبد الله ابن مصعب الزبيرى) — يجتمعان فى قصى — وكان الزبيرى شاعرا يحب العلوى ويحترمه ولا يجد صدى لما يفعله فقال يصف ما بينه وبين صديقه :

له حـــق ولـــيس عليه حـــق
ومهما قال فالحســـن الجميـل
وقد كان الرســـول يرى حقوقــا
عليـــه لغيره وهـــو الرســـول

يقول المبرد : فالذى يفتخر به عبد اللـه (العلوى) يرى للناس عليه حقا فالمفتخر بـه أجدر ويستمر المبرد فيقول : وقد قيل لعلى ابن الحسين (زين العابدين) وكان بين الفضل — رحمه الله — ما بالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة ؟ فقال أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطى مثله ، فكأن المبـرد باستطراده بقصة زين العابدين مع الرفقـة يوازن بين موقفى حفيد الحسن وابن الحسين .

وكأن هذه القضية شغلته ، قضية التعامل بين الأصدقاء ، فيذكر قول جرير :

وانى لأستحيى أخى أن أرى لـــه
على من الحـــق الذى لا يرى ليا

ويشرح المبـرد البيت فيقـول : هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه ، وانما تأويله أنى لأن جريرا يود أن يكون له من الفضـل على أخيه مثل الفضل الذى لأخيه عنده . لأستحيى أخى أن يكون له على فضل ولا يكون لى عليه فضل ومنى اليه مكافأة فأستحيى أن أرى له على حقا لما فعل الى ولا أفعل اليه ما يكون لى به عليه حق ، وهذا من مذاهب الكرام ، ومما نأخذ به أنفسنا .

وهذا الشرح منه وتذييلـــه بقولـــه « ومما نأخذ به أنفسنا » دعـــوة منه الى مكارم الأخلاق ومحاسن التصافى ، وهـــذا البيت وأمثاله تربية وتهذيب ورفع لمنار الكرامة الانسانية .

وهذه الخصال التى نذكرها لأسلافنا يجرى العالم نحوها ويعلنها ولكنه فى داخل نفســه يرفضها فالأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية قامت بعد الحرب العالمية الثانية لتسوى بين الشعوب من حيث الحرية وحـق تقرير المصير وحقوق الانسان ، وجعلت عاما للطفل وعاما للمرأة ، ولكنها شعارات لا تثبت عند طلب المساواة .

ومن الكلام المأثور : « لا يضيع حق وراؤه مطالب » .

وأحق ما يروى ما جـــرى بين عمـــر ابن عبد العزيز وابنه عبد الملك (مات عبد الملك فى سن الثامنة عشرة من عمره) .

قال عبد الملك لأبيه عمر الخليفة : يا أبت ما لك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور . فقال له عمر : لا تعجل يابنى فان الله تعالى ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة ».

هل قصر عمر ؟ أنا أعتقد أنه من حماة الحق والاستشهاد فى سبيله ، وكم للحق من أعوان وكم له من ضحايا ، **ولكن النصر له عـلى الباطل فى كل زمان ومكان .**

دراسة مقارنة :

تحمل التبعة

في التنفيذ الجبرى على أموال المدين في الفقه الإسلامى

لفضيلة الدكتور
عبد الحكم أحمد شرف

من المعلوم أن تحمل التبعة قد يكن تحمـلا لتبعة هلاك ، وقد يكون تحملا لتبعة ضمان . كما أن الأخير قد يكون متمثلا فى تبعة ضمان الاستحقاق وقد يكون متمثلا فى تبعة ضمان العيب الخفى ، وفيما يلى كلمة عن جهة تحمل التبعة فى كل نوع من هذه الانواع كما نص عليها الفقه الاسلامى بصدد موضوعنا ذاك ، مع الاشارة العجلى الى موقف القانون الوضعى ، ومدى الاتفاق أو الاختلاف بينه وبين الفقه الاسلامى فى هذا الصدد .

المطلب الأول

تبعة هلاك أموال المدين فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى

تمهيد :

قد تهلك أموال الدين وهى تحت يد القضاء ، أو تحت يد الحارس عليها قبل قسمتها بين دائنيه وذلك دون اعتداء أو تقصير من هذا ولاذاك ، فمن ذا الذى يتحمل تبعة هذا الهلاك ؟ ترى أن يكون المدين هو المتحمل لهذه التبعة بحسب أن هذه الاموال لازالت على ملكه ؟

أو أن الدائنين هم المتحملون لهذه التبعة بحسب أن التنفيذ على تلك الاموال يجرى لصالحهم ؟

أو أن القاضى أو الحارس هو المتحمل لهذه التبعة بمقتضى أن هذه الأموال فى حوزته وتحت يده ؟

نعرض أولا لما يراه الفقه الاسلامى فى هذا الصدد ثم لما يراه القانون الوضعى فى الفرعين التاليين :

الفرع الأول

تبعة هلاك الاموال المحجوز عليها فى الفقه الاسلامى .

لقد انقسم الفقه الاسلامى بصدد هذا الموضوع الى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول

يرى أن المدين هو المتحمل لهذه التبعة ، اذ أن يده وان كانت قد رفعت عن هذه الأموال الى أن يتم تصفيتها لحساب الدائنين الا أنه لا مشاحة فى أن ملكيته لهذه الأموال مازالت باقية ، ولا يغض من ذلك أن يكون التنفيذ عليها بالبيع يتم جبرا عن المدين لحساب دائنيه ، اذ أن ذلك يجرى للوفاء بحق لزمه — ومن ثم فانه يكون أحق هؤلاء بتحمل تبعة هذا الهلاك .

اذ أنه لا يمكن القول بتحمل الدائنين لهذه التبعة ، نظرا لكونهم لم يحوزوا هذه الأموال لعدم قسمتها عليهم بعد وبالتالى فهم براء من تحمل تبعة هلاكها .

كما أنه لا يمكن القول بتحمل القاضى أو الحارس على هذه الأموال لتبعة هلاكها كذلك، فكلاهما من ذلك برىء لأن دورهما لن يعدو دور الأمين أو المودع لديه ، وكل منهما لا يستأهل تحمله لهذه التبعة الا اذا ارتكب كل منهما ما يناقض دور الأمين أو فى حالة ما اذا التفت عن الرعاية الواجبة لها فهلكت بتقصير منه ، والفرض أن الهلاك فى حالتنا تلك ، لم يكن بتعد منهما ولا تقصير كذلك . وهذا هو ما اعتنقه جمهور الفقه حيث أنه يمثل رأى الأحناف (١) والشافعية (٢) .

---

(١) وفى ذلك تقول الفتاوى الهندية جـ ٥ ص ٦١
« اذا باع القاضى عندهما — أى الامامان محمد وابو يوسف — مال المديون لقضاء دينه .. فان العهدة على المطلوب (أى المدين) لا على القاضى وأمينه .

والعهدة هى المسئولية عن تبعة الهلاك فى مصطلح الفقه الاسلامى

(٢) وفى ذلك يقول الامام الشافعى فى الام جـ ٣ ص ١٨٦ .
« ولو مات رجل او أفلس وعليه ألف درهم وترك دارا بيعت بألف درهم فقبض أمين القاضى الألف فهلكت من تحت يده واستحقت الدار فلا عهدة على الغريم الذى باعها لـه ، والعهدة على الميت المبيع له او المفلس (وهو المدين) .

وقد علل الامام الشافعى لهذا الحكم قبل ذلك فى ص ١٨٥ من نفس المرجع بقوله : « والعهدة فيما باع رأى القاضى — على المفلس لانه يبيع له ملكه فى حق لزمه فهو بيع له وعليه ، وأحق الناس بأن تكون العهدة عليه ، مالك المال المبيع ولا يضمن القاضى ولا أمينه شيئا ولا عهدة عليهما ولا على واحد منهما » .

والحنابلة (١) ، والظاهرية (٢) والفقه الامامى (٣) •

الاتجاه الثانى

ويرى أنه يجب التفرقة فى هذا الصدد بين فرضين •

الفرض الأول

أن يكون تلف المال أو هلاكه حادثا بعد نزع المال من تحت يد المدين وقبل بيعه وهنا يكون المدين هو المتحمل لتبعة هذا الهلاك •

الفرض الثانى

أن يكون التلف أو الهلاك واقعا بعد البيع وقبل القسمة وفى هذا الفرض الاخير يكون الدائنون هم المتحملون لهذه التبعة •

ــ ومن ثم ــ فان هذا الرأى الفقهى يكون قد نزل بيع أموال المدين منزلة قسمتها بين دائنيه ولو لم تكن هذه القسمة قد تمت بعد وثبت ترتب على ذلك براءة المدين من كل حادث يصيب هذا المال بعد ذلك البيع وهذا هو ما ذهب اليه جانب من الفقه المالكى (٤) •

الاتجاه الثالث

ويرى أنه يجب التفرقة كذلك بين فرضين •

الفرض الأول : أن تكون قسمة المال المنزوع من تحت يد المدين غير محتاجة لسبقها بالبيع كما اذا كانت أموال المدين كلها نقود سائله •

وآنذاك يكون الدائنون هم المتحملون لتبعة هذا الهلاك •

ــ بيد أن ــ تحمل الدائن لتبعة الهلاك فى هذه الحالة ، انما هو مشروط بقدرته على القسم بأن كان حاضرا لاجراءات التنفيذ بالبيع ، أما اذا كان الدائن غائبا فانه لا تحمل لهذه التبعة بالنسبة له •

الفرض الثانى : أن تكون قسمة المال المنزوع من تحت يد المدين غير ممكنة الا بعد سبقها بالبيع لكون المال يتمثل فى عروض أو عقارات مثلا •

وهنا يكون المدين هو المتحمل لهذه التبعة :
ومبنى ما ذهب اليه أنصار هذا الاتجاه الأخير :

---

١ ــ وفى ذلك يقول الامام بن قدامة فى المغنى جـ ٤ ص ٤٩٧ •

« واذا تلف شىء من مال المفلس تحت يد الامين او بيع شىء من ماله وأودع ثمنه فتلف عند المودع فهو من ضمان المفلس (أى المدين) » •

٢ ــ وفى ذلك يقول الامام ابن حزم فى المحلى حـ ٨ ص ١٧٤ المسألة رقم ١٢٧٩ •

« وما تلف من عين المال قبل أن يباع فمن مصيبته ــ أى الدين ــ لا من مصيبة الغرماء لان حقوقهم لا فى شىء بعينه من ماله » •

٣ ــ انظر فى ذلك تحرير الاحكام الشرعية حـ ١ ص ٢١٦ •

٤ ــ وفى ذلك يقول صاحب أسهل المدارك جـ ٣ ص ٥ •

« اذا تلف بعد تفليسه ومنعه من التصرف فيه وقبل البيع فعليه (أى المدين) ، وأما بعد البيع فمصيبته على الغرماء » •

وأنظر لذلك بداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٨٩ حيث يقول : « اذا هلك مال المحجور عليه وقبل بعض الغرماء ممن يصيبه ؟

•• قال ابن الماجشون : مصيبته من الغرماء اذا وقفه السلطان » •

أن قسمة النقود السائلة لا كلفة فيها ، كما أنها لاتحتاج الى وقت لاتمام بيعها ، فيجب الاسراع بقسمتها ، فاذا مالحقها الهلاك بسبب تراخى الدائنين فى اتمام قسمتها فتكون تبعة الهلاك عليهم أما قسمة العروض والعقارات ، فانها غير ممكنة فى الحال لاحتياج ذلك الى سبقها بالبيع ولا شك أن هذا الاخير يحتاج الى وقت فاذا ما لحقها الهلاك ، كان تحمل التبعة هنا من نصيب المدين لعدم قدرة الدائنين على المبادرة بقسمتها .

وهذا الاتجاه الأخير : هو المشهور فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه (١) ويبدو لنا رجحان ما ذهب اليه أنصار الاتجاه الأول : وهو ذاك الذى يقضى بتحمل المدين لتبعة الهلاك فى هذه الحالة وذلك لما يلى :

أولا :

لأن الفقه يجمع على أن المال الذى فى حوزة القضاء بعد رفع يد المدين عنه ، انما هو على ملك هذا الأخير وأن اجراء التنفيذ عليه بالبيع الجبرى انما يتم باسم هذا المدين ، وان كان القضاء فى ذلك عنه نائبا وما من شك فى أن المالك هو المتحمل دون غيره لتبعة مثل هذا الهلاك .

ثانيا :

لأنه من المسلم به لدى اجماع الفقه . أن نماء المال — وهو تحت يد القضاء — انما هو من مغانم المدين — ومن ثم — فان المنطق الفقهى يقضى بحتمية تحمل المدين لمغارم هذا الهلاك اذ أنه لا مشاحة فى أن الغرم بالغنم كما يقول الفقهاء بحق (٢) .

ثالثا :

لأن القول بحتمية تحمل الدائنين لتبعة

---

١ — وفى ذلك يقول الامام الخرشى فى شرحه لمختصر خليل جـ ٥ ص ٣١٦ .

« ان الحاكم اذا وقف مال المفلس أو مال الميت كله ليقضى منه ديونه ، فتلف ذلك المال ، فالمشهور أنه اذا كان عينا ذهبيا أو فضة ، فضمانه من الغرماء الحاضرين لتفريطهم فى قسمة العين ،

اذ لا كلفة فى قسمتها ، لأنها مهيأة للقسم ، واما العرض اذا تلف فضمانه من المفلس او من الميت (المدين) لا من الغرماء وعدم الضمان فى العرض مطلقا سواء كان مثل دين الغرماء ام لا ويكون من ضمان المفلس .. اذا كان العرض مخالفا لدين الغرماء وعليه اذا كان مثل دينهم فضمانه منهم لا من المفلس وهو قول ابن رشد لان المحاصة فيه كالعين لا تحتاج لبيعه فيضمنه الغريم .

وانظر لذلك الامام بن رشد فى المرجع جـ ٢ ص ٢٨٩ حيث يقول « اذا هلك مال المحجور عليه بعد الحجر وقبل قبض الغرماء ، ممن مصيبته ؟ .. قال ابن القاسم ما يحتاج الى بيع فضمانه من الغريم — اى المدين — لانه انما يباع على ملكه وما لا يحتاج الى بيع فضمانه من الغرماء فهذا هو القول فى أصول أحكام المفلس الذى له من المال ما لا يفى بديونه .

٢ — وهذا هو ما عبر عنه الامام ابن قدامة فى المرجع والموضع السابق بقوله .

« وقال مالك العوض منماله والدراهم والدنانير من مال الغرماء وقال المغيرة الدنانير من مال أصحاب الدنانير والدراهم من أصحاب الدراهم .. ولنا انه من مال المفلس ونماؤه له فصار تلفه عليه » .

هذا الهلاك فى حالة ما اذا كانت قسمة المال ممكنة دون بيع ــ كما هو الحال فى النقود ــ وذلك بدعوى تراخى الدائنين عن اتمام هذه القسمة ــ انما هو قول محل نظر ــ ومرد ذلك ــ أن افتراض نسبة التراخى فى قسمة النقود الى المدين ، لا يمكن التسليم بها وذلك لما يلى :

١ ــ لأن الأمر فى اتمام القسمة أو عدمه ، ليس الشأن فيه الى الدائنين بل هـــو الى القضاء •

٢ ــ لأن القسمة لا تتم عادة الا بعد تصفية جميع أموال المدين •

٣ ــ لأنه لا يمكن عقلا أن يرفض دائن قسمة ما يمكن قسمته من أموال المدين دون بيـــع اذ كيف يرفض عاقل عودة جزء من أمواله اليه على أى وجه يكون ذلك •

رابعـــا :

واذا اضيف الى ما سبق :

أن المدين كان هو السبب الأصيل فى خروج أمواله من تحت يده ، بامتناعه عن الوفاء لدائنيه لأدى ذلك الى حتمية القول بتحمله لما يترتب على ذلك من نتائج دون نظر الى منطق تسلسل الأسباب فى حالتنا تلك فبحسب الظاهر أن المدين لو وفى دائنيه اختيارا ما كان ثمة وجود للحاكم الذى قضى برفع يده عن أمواله لكـــل هذا :

فانه يبدو لنا أن ما ذهب اليه جمهور الفقهاء هو عين الحق والعدل ــ ومن ثم ــ فانه يكون الأولى بالقبول والترجيح •

الفـــرع الثانى

تبعة هلاك الأموال المحجوز عليها فى القانون الوضعى ••

يجمع الفقه الوضعى على أن تبعة هـــلاك المال المحجوز عليه ، انما تقع على عاتق المدين اذ أن ملكيته للمال الذى نزع من يده مازالت قائمة (١) •

وبالتالى فان حق الدائنين لاينقضى بسبب هذا الهلاك ولايتحملون تبعته (٢) ويستوى فى ذلك أن يكون هذا الهلاك حادثا قبل البيع أو حادثا بعده ، طالما لم تقسم حصيلة التنفيذ بين الدائنين •

وبذلك ينعقد الحكم الذى ذهب اليه اجماع الفقه الوضعى مع ما ذهب اليه جمهور الفقهاء فى الفقه الاسلامى •

المطلب الثانى

جهة تحمل تبعه الضمان بعد التنفيذ بالبيع•
تمهيد وتقسيم ••

---

١ ــ فتحى دالى ص ٢٠٥ ، ٣٦٨ ، محمـــد حامد فهمى ص ٢٥٣ ، ص ٢٣٢ •
٢ ــ انظر فى ذلك •
الاستاذ/ فتحى دالى فى التنفيذ الجبرى ــ المرجع السابق فى ٢٠٥ ص ٣٦٩ ط ١٩٨٠ •
الاستاذ / وجدى راغب فى النظرية العامـــة للتنفيذ القضائى ص ١٦٠ ط
د / محمد محمود ابراهيم فى اصول التنفيذ الجبرى على ضوء المنهج القضائى ص ٤٩٥ •

تقضى القاعدة العامة فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى بتحمل البائع لتبعة ضمان الاستحقاق والعيب الخفى فى حالة ما اذا كان هذا البيع باختيار المدين وارادته .

وقد يتضح وجود مثل ذلك فى حالة البيع الجبرى الذى يتم فيه التنفيذ على أموال المدين وفاء لحقوق دائنيه .

فمن ذا الذى يتحمل تبعة هذا الضمان فى حالتنا تلك ؟

هذا هو مانشير اليه فى الفرعين التاليين .

الفرع الأول : تبعة ضمان الاستحقاق ومداها بعد التنفيذ بالبيع .

أولا : فى الفقه الاسلامى .

لقد أجمع الفقهاء على أنه اذا اتضح أن المبيع الذى بيع جبرا عن المدين ، مستحق لغير هذا المدين ، فان الدائنين هم المتحملون لتبعة هذا الضمان سواء كان هذا الاستحقاق كليا أو جزئيا .

الا أنهم اختلفوا حول مدى مايرجع به صاحب الحق فى هذا الضمان (من رسا عليه البيع) الى اتجاهين .

الاتجاه الأول :

يرى أن المشترى وهو صاحب الحق فى هذا الضمان لا تعدو منزلته فى هذه الحالة أن تكون كمنزلة سائر الدائنين الآخرين .

ومن ثم — فان له أن يحاصص سائر الدائنين الآخرين بقيمة مايستحقه من هذا المبيع فيقتسم معهم أموال المدين قسمة غرماء أن كانت حصيلة التنفيذ لم توزع بعد على الدائنين الآخرين ، كما أن له أن يرجع على كل واحد منهم بنفس هذه القيمة التى يستحقها بموجب هذا الحصاص (أى التداخل معهم) .

اذا كانت حصيلة التنفيذ قد وزعت على الدائنين الآخرين وهذا الاتجاه هو ماذهب اليه الفقه المالكى (١) والأصح فى الفقه الحنبلى (٢) ومبنى ماذهب اليه أنصار هذا الاتجاه الأول :

أن حق المشترى آنذاك لايتعلق بعين معينة من أموال المدين بل هو يتعلق بذمته فقط فصارت منزلته كمنزلة سائر الدائنين العاديين .

ولاريب أن قصر تعلق الحق على ما فى ذمة المدين انما يستتبع ضرورة خضوعه لقسمة الغرماء .

---

١ — وفى ذلك يقول الامام الخرش فى شرحه لمختصر خليل جـ ٥ ص ١٧٤ .

« اذا بيعت سلعة من مال المفلس .. ثم استحقت تلك السلعة فان المستحق من يده يرجع على كل واحد من الغرماء بالحصة التى تنوبه فى الحصاص فقط ، فلا يأخذ أحد عن أحد ، فلو كان عليه — أى المدين المفلس عشرون دينارا لاثنين ولم يوجد عنده الا سلعتان كل سلعة بعشرة ، وأخذ كل واحد من غريمه عشرة على قدر دينه ، ثم أستحقت احدى السلعتين ، فان المستحق من يده يرجع على واحد منهما بثلث ما فى يده وهو ثلاثة وثلث لانه غريم طرأ على الغرماء » .

٢— وفى ذلك يقول الامام المقدس فى الشرح الكبير على هامش المغنى جـ ٤ ص ٤٩٩ « ولو باع شيئا — أى القاضى — او باعه وكيله .. وخرجت السلعة مستحقة ساوى المشترى الغرماء لان حقه لم يتعلق بعين المال فهو بمنزلة أرش جنايات المفلس » .

الاتجـاه الثاني :

ويرى أن رجوع المشترى صاحب الحق فى هذا الضمان لابد أن يكون قيمة الثمن الذى اشترى به كاملاً ، بل هو مقدم في الوفاء بهذا الثمن على سائر الدائنين الآخرين إذ أن منزلة هذا المشترى فى حالتنا تلك كمنزلة المرتهن ، ولا نزاع فى أن هذا الأخير إنما هو مقدم فى استيفاء حقه على سائر الدائنين الآخرين وهذا هو ما ذهب إليه الفقه الشافعى [١] .. ومقابل الأصح فى الفقه الحنبلى [٢] كما أنه يمثل الراجح فى الفقه الإمامى [٣] ومبنى ما ذهب إليه أنصار هذا الاتجاه الأخير يتمثل فيما يلي : ـ

أولاً : إن ما ذهب إليه أنصار الاتجاه الأول من القول بإخضاع المشترى لقسمة الغرماء فيما يستحقه من الثمن المقابل لهذا المبيع المستحق للغير يؤدي إلى إعراض الناس عن شراء أعيان أموال المدين وذلك لتخوف المشترى من ضياع جزء من حقه إذا ما خضع لقسمة الغرماء مع سائر الدائنين الآخرين ومؤدي ذلك ولازمه أن تقل الرغبات فى الشراء مما يستتبع قلة الثمن لعدم الرغبة فى الشراء ، ولا ريب أن فى ذلك إضرارا بالمدين والدائن والمشترى كذلك ..

ثانياً : إن المشترى صاحب الحق في ضمان الاستحقاق لا تعدو منزلته فى تلك الحالة أن تكون كمنزلة من وجد عين ماله فى حوزة المدين المفلس ولا ريب أن هذا الأخير له الحق فى استرداد تلك العين على ما يراه جمهور الفقه [٤] وقياسا على ذلك فإنه يثبت للمشترى فى حالتنا تلك ، الحق فى استرداد الثمن كاملاً لأن عين حاله الذى وقفه مقابلاً لهذا المبيع ..

وليس شك فى أن ما ذهب إليه أنصار هذا الاتجاه الأخير هو الأولى بالقبول لقوة

« ١ » وفى ذلك يقول صاحب أسنى المطالب جـ ٢ صـ ١٩٢

« وإذا استحق ما باعه الحاكم أو أمينه قبل القسمة والثمن المقبوض غير باق قدم المشترى بيد له على الغرماء ولا يضارب به معهم لئلا يرغب الناس عن شراء مال المفلس فكان التقديم من مصالح الحجر كأجرة الكيال ، وليس الحاكم أو أمينه طريقاً فى الضمان لأنه نائب الشرع ولا حاجة لقوله ـ من زيادة قبل القسمة بل يوهم خلاف المراد »

« ٢ » وفى ذلك يقول صاحب الشرح الكبير الإمام المقدسى فى المرجع والموضع السابق

« وذكر القاضى احتمالاً آخر ، أنه يقدم على الغرماء ـ أى المشترى فى ضمان الاستحقاق ـ لأنه لم يرض مجرد الذمة فكان أولى كالمرتهن ولأنه لو لم يقدم على الغرماء ـ لامتنع الناس من شراء مال المفلس خوفاً من ضياع أموالهم فتقل الرغبات فيه ، فيقل ثمنه فكان تقدم المشترى بذلك على الغرماء أنفع لهم ، ثم يقول بعد ذلك فإن كان الثمن موجوداً يمكن رده وجب رده وينفرد به صاحبه لأنه عين ماله ، لم يتعلق به حق أحد من الناس وكذلك صاحب السلعة المستحقة بأخذها » ..

« ٣ » وفى ذلك يقول صاحب مفتاح الكرامة جـ ٥ صـ ٣٣٥ « لو خرج المبيع على المفلس مستحقاً رجع المشترى على كل واحد من الغرماء بجزء من الثمن إن كان قد تلف ويحتمها الضرب مع الغرماء لأنه دين على المفلس والأقرب التقديم لأنه من مصالح الحجر لئلا يرغب الناس عن الشراء ..

« ٤ » انظر مدونة الإمام مالك جـ ٤ صـ ١٢٢ ، والأم جـ ٣ صـ ١٧٧ والمغنى لابن قدامه جـ ٤ صـ ٤٥٦

ما اعتمد عليه من أدلة ، وذلك فضلا عما يستتبعه اعمال هذا الرأى من مصلحة محققة للدائن وللمدين ، فضلا عمن قرر له المشرع الحق فى هذا الضمان وهو المشترى الذى استحق المبيع من يده ..

ولكن : ماذا عن موقف القانون الوضعى ، مما أثاره الفقه الإسلامى فى هذا الصدد ذلك ما تجيبنا عنه الكلمة الآتية : ـ

ثانيـاً :

موقف القانون الوضعى من تحمل الدائنين لتبعة ضمان الاستحقاق ..

فى البيع الجبرى ومداره

لقد انعقدت كلمة الفقه الوضعى ، على ثبوت حق المشترى فى الرجوع بقيمة الثمن الذى دفعه مقابلا للمبيع الذى اتضح استحقاق الغير له « أى المشترى » وهو من رسا عليه المزاد فى حالة التنفيذ الجبري على أموال المدين ..

بيد أن الفقه الوضعى قد اختلف حول المتحمل لهذه التبعة فى ظل مجموعة المرافعات السابقة عنه في ظل المجموعة القائمة رغم أن مصدر الحكم فيهما يكاد أن يكون واحداً وهو النص القانونى ..

ففى ظل المجموعة السابقة :

كانت المادة ـ ٦٤٠ ـ مرافعات تنص على أن « كل شرط فى قائمة البيع يقضى بعدم ضمان الاستحقاق أو بأن يكون المشترى ساقط الخيار ولا يترتب عليه إلا الاعفاء من التضمينات لا من رد الثمن ..

وفى ظل هذا النص كان جمهور الشراح يذهبون إلى القول : بأن المدين هو المتحمل لتبعة هذا الضمان وفقا لما نصت عليه المادة ـ ٤٤٣ ـ من القانون المدنى مستدلين على ذلك بما يلي : ـ

أولاً :

إن المدين يعتبر بائعاً ، وللمشترى أن يرجع بهذا الضمان على البائع ، ولئن كان البيع فى حالتنا تلك يجرى جبراً عن المدين ، إلا أن ذلك لا يمنع من الرجوع عليه باعتباره بائعاً بحسب القواعد العامة .. إذ كما يوجد بائع بإرادته قد يوجد من يبيع بغير إرادته ..

ثانيـــاً : ـ

إن المدين قد اشترك فى إجراءات التنفيذ ، وأعلن بقائمة شروط البيع ، وكان واجبا عليه إن كان غير متأكد من ملكيته أن يبدى ملاحظته بهذا المعنى ويطلب إضافة شرط عدم الضمان ..

ثالثاً :

إن الأصل هو تطبيق ما تنص عليه المجموعة المدنية بالنسبة لحقوق والتزامات المشترى ، على المشترى بالمزاد ما لم يوجد نص خاص يستبعد حقا أو التزاما معينا ، ولا يوجد مثل هذا النص بالنسبة لضمان الاستحقاق (١) بيد أن تحميل المدين لتبعة

(١) انظر فى ذلك : جـ ٤

ـ الأستاذ / محمد حامد فهمى فى تنفيذ الأحكام والسندات الرسمية والحجوز التحفظية سنة ١٩٥١ ط ٣ ف ٤٤٩ صـــ ٤٢٩

ـ الأستاذ / أحمد أبو الوفا فى إجراءات التنفيذ فى المواد المدنية والتجارية جـ ١ ١٩٧٦ ف ٢٧٧ صـــ ٧٩١ .

هذا الضمان كان محلا لنقد جانب كبير من الفقه حتى عدل عن ذلك الحكم في ظل المجموعة القائمة ، وأصبح الدائنون هم الملتزمون برد الثمن والتعويض إن كان له وجه ، وذلك وفقا لما فسر الشراح به ما نصت عليه المادة ـ ٤١٦ ـ من تقنين المرافعات الحالى والتى تقضى بأنه « إذا استحق المبيع كان للمشترى الرجوع بالثمن والتعويضات إن كان له وجه ولا يجوز أن تتضمن قائمة شروط البيع الإعفاء من رد الثمن » ..

وكان مبنى عدول الشراح عن الحكم الأول كما ذكر الفقه هو : ـــ

أولاً :

إن ضمان الاستحقاق مرتبط بالبيع الرضائى ، وأساس الالتزام به هو إرادة البائع ولا أدل على ذلك من أنه يجوز للمتعاقدين الاتفاق على إنقاص هذا الضمان أو إسقاطه ـ م ٤٤٥ مدنى ..

وما من شـــك فى أن إرادة المدين ليس لها وجود فى هذا البيع القضائى ، ولا يتصور إلزام المدين بالتعويض بناء على بيع لا دخل لإرادته فيه ..

ثانيـــاً :

إن رجوع الدائنين في هذه الحالة لن يكون على أساس ضمان الاستحقاق المنصوص عليه فى المجموعة المدنية إذ أن هذا الضمان ، وفقا لما نص عليه القانون المدنى ، يرتب الحق فى التعويض الكامل عما لحق المشترى من خسارة أو ما فاته من كسب بسبب استحقاق المبيع ـ م ٤٤٣ مدنى ..

وذلك في حين أن المشترى في البيع القضائى لا يحق له إلا استرداد الثمن فقط ولا يستحق التعويضات إلا إذا كان لها وجه ، أى إلا إذا ثبت خطأ الدائن المباشر لإجراءات التنفيذ ..

وحتى في هذه الحالة فإن الدائن يكون مسئولا عن التعويض وفقا لقواعد المسئولية التقصيرية لا المسئولية العقدية ..

ثالثاً :

إنه لا يوجد ثمة بائع في البيع القضائى ، وكل ما فى الأمر أن المشترى الذى اتضح له استحقاق المبيع مد يده بحق ، له أن يسترد الثمن من خزانة المحكمة قبل توزيعه أو يسترده من الدائنين الذين حصلوا عليه عند التوزيع ، ولا يمكن اعتبار هؤلاء بائعين (١) ..

وخلاصـــة القـــول :

إن استحقاق المبيع في البيع القضائى ، يرتب للمشترى الحق فى الرجوع بالثمن قبل توزيع حصيلة التنفيذ أو الرجوع بهذه القيمة على الدائنين إن تم توزيعها عليهم وأن هذا لا خلاف عليه بين الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ..

الفرع الثانى : مدى تحمل الدائنين لتبعة ضمان العيب الخفى في البيع الجبري

أولاً : في الفقه الإسلامى :

لئن كان الفقه الإسلامى قد قضى بتحمل الدائنين لتبعة ضمان الاستحقاق في البيع

---

(١) انظر فى ذلك : الأستاذ / فتحى والى فى المرجع السابق ف ٢٩٩ صـ ٥٠٦ ، ٥٠٧ الأستاذ وجدى راغب صـــ ٢٠٦

الجبري لأموال المدين ، فهل يتحمل الدائنون كذلك تبعة ضمان العيب الخفى كما تحملوا من قبل تبعة ضمان استحقاقه ؟

— لم أعثر بجهدى المتواضع على نصوص فقهية من كتب فقهاء السنة - رضوان الله عليهم - تشير إلى الحكم في ذلك ، اللهم إلا ما ذكره الإمام ابن رشد في بداية المجتهد مما يفيد عدم الضمان في مثل هذه البيوع حيث يقول : « وقد ورد عنه - أى الشافعى - أن بيع البراءة - أى من العيوب - إنما يصح من السلطان فقط ، وقيل في بيع السلطان وبيع المواريث من غير أن يشترطوا البراءة » (١)

كما أن بعض الشراح المحدثين (٢) يرى أن ذلك هو ما يؤخذ من كتب فقه الشيعة الإمامية حيث ورد عنهم أن البيع بالمزايدة لا محل لضمان العيب فيه ، حيث جاء في كتاب وسائل الشيعة ..

« أن أحدهم كتب إلى عبد الله يقول : « جعلت فداك » المتاع يباع فيمن يزيد فينادى عليه المنادى فإذا نادى عليه برىء من كل عيب فيه فإن اشترى المشترى ورضيه ولم يبق إلا نقد الثمن فربما شهد فيه فادعى عيبا وأنه لم يعلم بها ، فيقول المنادى قد برئت منها ، ويقول المشترى لم أسمع البراءة منها ، أيصدق فلا يجب عليه الثمن ؟ أم لا يصدق فيجب عليه ، فكتب عليه الثمن (٣) ..

ثانيا : موقف القانون الوضعى

لقد قضى المقنن المدنى بأنه لا ضمان للعيب المحض في حالة البيوع القضائية والإدارية حيث نصت المادة - ٤٥٤ - مدنى على أنه « لا ضمان للعيب في البيوع القضائية ولا فى البيوع الإدارية إذا كانت بالمزاد » ..

والحكمة من استبعاد الضمان فى الحالتين واحدة وهى التى تحدثت عنها المذكرة الإيضاحية بقولها : إن هذا البيع « قد أعلن عنه وأتيحت الفرصة للمزايدين أن يفحصوا الشىء قبل الإقدام على المزايدة فيحسن بعد أن اتخذت كل هذه الإجراءات ألا يفسخ لسبب لا يمكن توقعه فتعاد إجراءات طويلة ومؤدى ما سبق :

أن هذه البيوع تتم بعد النشر والإعلان عنها مما يتيح الفرص أمام المشترى لفحص المبيع والتمكن من إدراك العيب وبخاصة أن شهود مثل هذه البيوع هم من الكثرة بحيث يستثير بعضهم ملاحظات البعض الآخر - إذ كلهم راغبون فى الشراء - وذلك يجعل احتمال عدم الوقوف على العيب أمرا نادرا وخاصة إذا ما وزع الثمن على الدائنين الذين يقومون بالإجراءات فيكون من الصعوبة بمكان إعادة الحال إلى ما كانت عليه قبل البيع ، ولا ريب أن كل هذه الأمور تدعو إلى توحيد الحكم فى الحالتين »(٤) ..

---

(١) الإمام ابن رشد فى بداية المجتهد جـ ٢ صـ ١٩٩ طـ ١٩٦٩
(٢) الأستاذ / حسن الزنون فى شرح القانون المدنى العراقى - العقود المسماة عقد البيع ف ٢٢٦ صـ ٢٥٣ طـ ١٩٥٢
(٣) رسائل الشيعة جـ ٣ صـ ٤٤٧ نقلا عن المرجع السابق للأستاذ حسن الزنون .
(٤) الأستاذ / توفيق حسن فرج فى عقد البيع والمقايضة صـ ٤٢٣ ، صـ ١٩٧٠

الإسلام في استراليا

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف عبد الفتاح

لقد شعَّ نور الإسلام : في القارة الاسترالية : في اوائل اكتشافها عن طريق المسلمين الافغان : الذين هاجروا إليها : منذ عشرات السنين ، وكانوا يستخدمون في تنقلاتهم حينذاك : الإبل .. وكانوا دعاة إلى الدين الإسلامي الحنيف : بالقدوة الحسنة ، والسلوك الحميد ، مع بيان محاسن الإسلام ، وقيمه وادابه .. ولم يفتهم ان يقوموا بإنشاء المساجد ، والزوايا لإقامة الصلوات الخمس في اوقاتها ، لا سيما في الولايات التي استوطنوا بها ..

وأشهر المساجد القديمة وأكبرها : جامع مدينة « بيرس » وقد أسس عام ١٨٠٥م .. وفيه تتجلى فنون العمارة الإسلامية القديمة .. وهذه القارة النائية : تمتاز مدنها وقراها : بروعة مظهرها ، وجمال تنسيقها ، ويبلغ عدد سكانها : حوالى خمسة عشر مليون نسمة .. ويبلغ عدد المسلمين فيها حالياً قرابة : أربعمائة ألف مسلم : يقطن ٩٠٪ منهم مدينتى « سدنى » و« مالبورن » وفى هاتين الولايتين توجد أكثر المساجد ، والجمعيات الإسلامية . وفى هذه القارة : يوجد سبعة وثلاثون مسجداً : موزعون فى سائر الولايات .

وأكبر الجاليات الإسلامية فى استراليا : الجالية اللبنانية ، يليها : التركية . وتمثلان تقريباً ٧٥٪ من عدد المسلمين . ثم بقية الجاليات الأخرى : المصرية ، واليوغسلافية ، والألبانية ، والباكستانية ، والهندية ، والماليزية ، والأندونيسية ، والسورية ، والفلسطينية ، والصينية ، والفيجية وغيرها من بقية الجنسيات الأخرى .. وكل جالية منها : لها جمعية إسلامية :

ومن مجموع هذه الجاليات : يتكون مجلس الولاية ، ثم تشترك جميع مجالس الولايات الاسترالية : فى تشكيل الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية : الذى يعتبر : القيادة العليا . والممثل الرسمى لجميع

الإسلام فى استراليا

المسلمين ، وبالتالى يكون حلقة الاتصال بين المسلمين المستوطنين بالقارة .. ومن فضل الله تبارك وتعالى : أن الإسلام : هو دين الإنسانية بأسرها ، والحريص على خيرها وإسعادها : قد عرف طريقه إلى قلوب الكثيرين : من الرجال والنساء : الاستراليين .. وللمسلمين الجدد : الذين اعتنقوا الإسلام : عن اقتناع تام : من أهل هذه البلاد : نشاطهم الملحوظ ، وجمعياتهم ذات الأثر الفعَّال ، فقد تحول بعضهم : إلى دعاة مخلصين : يبلغون غيرهم من بنى جنسهم : ما أفاض الله عز وجل عليهم : من حلاوة الإيمان ..

ويتمتع المواطنون والقاطنون بهذه القارة : باحترام حقوق الإنسان ، وحرية ممارسة الأديان .. والعيشُ الكريم : متوفر للجميع : فى ظل عدالة مشرفة ، وقضاء نزيه .. وحرية العقيدة .. مكفولة لكل الناس ، كما أن الحكومة تمنح كافة الجاليات : معونة لفتح المدارس الخاصة ، لتعليم اللغات على اختلافها .. وكل الجاليات لها الحق : فى إلحاق أولادها بالمدارس الحكومية ، بعد انتهاء الفترة الصباحية فى المدارس الأهلية : لتعليم أولادها : الدين الإسلامى ، واللغة الأصلية ، فهى تشجع تعليم اللغات غير الإنجليزية ، كما أن هناك ترخيصاً رسمياً بتدريس مادة الدين الإسلامى بصفة رسمية : ساعة فى الأسبوع ، فى كل مدرسة ، يوجد بها عدد من أولاد المسلمين . كما أن اللغة العربية : قد أدخلت فى المناهج كلغة ثانية بعد اللغة الإنجليزية : لمن يرغب فى تعلمها ..

ومما يثير الغبطة فى النفوس : أنه فى عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥م اعتنق الإسلام : ١٨٦ رجلاً وامرأة : من أصل استرالى وإنجليزى وألمانى وغيرهم : عن طريق بعض المناقشات والدراسات الإسلامية : بالمركز الإسلامى : بلاكمبا بسدنى ، وغيره من الجمعيات الإسلامية الأخرى .. وهم كالنبتة اليافعة يجب مدها بما ينميها : بالكتاب الإسلامى المترجم إلى اللغة الإنجليزية ، والشريط أو الفيلم الدينى الهادف الذى يعطى صورة مضيئة مشرقة عن القيم الدينية .

والحق يقال : إن الدعوة الإسلامية : فى المجتمع الاسترالى : تجد مناخاً جيداً . وعقولاً لا تعرف التعصب ، ولو وجدت حسن العرض مع الإخلاص ، وصدق النية ، والقدوة الصالحة : عن طريق الدعاة النابهين ، والهداة المرشدين : المؤمنين برسالتهم : ليكونن للإسلام : فى هذه القارة : شأن عظيم ، وانتشار على أوسع نطاق .. غير أن أولاد المسلمين فى هذه القارة : يواجهون ما يسمى بمشكلة الجيل الثانى : البنين منهم والبنات : الذين جرفتهم التيارات المادية ، والمغريات العصرية ، والاعلام المدنى المدمر :

ولا سبيل إلى حماية هذا الجيل من الذوبان : إلا بإنشاء المدارس الإسلامية ، والمعاهد الدينية .. والحال أنه لا توجد فى استراليا كلها : إلا مدرستان إسلاميتان إحداهما بها : ١٥٠ تلميذاً ، والأخرى بها : ٢٠ تلميذاً .. ورغم وجود آلاف التلاميذ الذين يعانون الضياع : ومستقبلهم فى ظل الأوضاع الراهنة : مظلم !! .. إن لم تكن هناك دراسة

جادة لهذه المشكلة ، وعمل إيجابى لإنشاء المدارس ذات الدوام الكامل ، والتى من شأنها : أن تنشىء جيلاً إسلامياً : فى هذه القارة ، وفى الوقت نفسه يكون أداة فعالة للإسهام فى بناء صرح المجتمع الاسترالى.

ومما يثير الأسى والأسف : أن حولت بعض المساجد التى سبق أن أنشئت فى : « أوليد » فى الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٨٠٥م إلى متاحف يرتادها بعض السياح ولم يبق من الأفغانيين السابقين الذين قاموا ببناء هذه المساجد والذين كان يبلغ عددهم حوالى أربعين ألف مسلم ، سوى أربعة آلاف لا تزال متمسكة بدينها وقيمها .. وما سوى ذلك : فقد جهلوا تعاليم الإسلام ، ومبادئه ، فهجر الدين ، وتغيرت الأسماء !! لعدم وجود الدعاة الفاقهين لدين الله !!

وهذا هو المصير المؤلم : الذى ينتظهر أولاد الجاليات الإسلامية المعاصرة ، إن لم تتدارك الدول الإسلامية ، وتقدر مسئوليتها أمام الله عز وجل ، قبل فوات الأوان ..

والأزهر الشريف على أتم الاستعداد : فى تغذية هذه المناطق بالدعاة المخلصين حتى تيسر له ذلك ، ولم تكن هناك عقبات تحول دون تحقيق هذه الرغبات ..

ولقد زرت بعض أسر الجاليات الإسلامية فى الفترة من ١٩٨٦/٥/٢٤ إلى ١٩٨٦/٦/١١م بسدنى لإلقاء بعض العظات الدينية ، ولاحظت أنه من المتعذر جداً التخاطب مع الأولاد باللغة العربية ، لأنهم لا يعرفون : سوى اللغة الإنجليزية : التى تدرس فى المدارس الحكومية ..

ومن أجل هذا التحول الخطير : لم تجد إدارة المركز الإسلامي بلاكمبا بسدنى بُدّاً : من أن تعمل جادة على حماية الفطرة ، لدى أولاد المسلمين ، وإنماءً لشجرة الإيمان فى قلوبهم ، بفضل الجهود المشكورة التى يبذلها المركز الإسلامى ، وذلك عن طريق عدة وسائل إيجابية تتمثل فيما يأتى بيانه :

(١) تحفيظ وتلاوة القرآن الكريم .

(٢) دراسة الأحاديث النبوية الصحيحة مع بيان ماترمى إليه : من نصح وتوجيه وآداب إسلامية .

(٣) تعليم اللغة العربية

(٤) تدريس الفقه الإسلامي بطريقة سهلة ومبسطة .

(٥) ممارسة الصلاة عمليا ، والتدريب عليها .

(٦) إقامة مسابقات للقرآن الكريم سنوياً فى العشر الأواخر من رمضان ، وتوزيع الجوائز المالية والعينية على الفائزين والفائزات فى ليلة القدر .

(٧) تعويد الفتاة المسلمة على الزى والحجاب الإسلامى من صغرها .

(٨) تأصيل العقيدة الصحيحة فى نفوس الشباب .

(٩) بيان واجبات المسلم فى المجتمع الذى يستوطنه ، ويعيش فيه ، وعدم الخروج على قوانينه فيما يتعلق بشئون الحياة.

ولاشك أن هذا عمل مشكور قام به ابن الأزهر ، ولكنه يحتاج إلى دعم من الأزهر الشريف قلعة الإسلام الحصينة ، بإيفاد الدعاة ودعاته الموثوق بهم علماً وخلقاً وسلوكاً ، ليكونوا مشاعل النور والهداية : فى هذه القارة التى هى فى مسيس الحاجة إليهم لتستنير بمبادىء الإسلام وقيمه « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ،

مفاتح الغيب

المفاتح والمفاتيح : جمعان واحدهما مفتاح ، وهو مايفتح به الباب المغلق .
والغيب : كل ما غاب عنا واستتر ، مما لم يشاهده إنسان ، ولم يطلع عليه مخلوق ، وهذا مما لا نتوصل إلى معرفته بحال ، ولا يعلمه على حقيقته إلا الله عز وجل .
ومفاتح الغيب ، ومفاتيح الغيب : ما خفى على الخلق والعباد ، من الآجال ، والأرزاق والأحوال والثواب والعقاب ، وسوى ذلك مما لا يحيط به علما إلا الله العلى العظيم .

والإنسان بفطرته ، شغوف منذ القدم ، إلى كشف خفاء المجهول ، والوقوف على كنه المستتر وحقيقته ، واستطلاع الغيب ، وماوراءه من أسرار ،، وقد دفعه إحساسه بالنقص ، وخوفه مما غاب عنه ، إلى الاشتغال بالتنجيم ، ومعرفة « البخت » وقراءة الكف و « الفنجان » وادعاء العلم بالغيب ، وغير ذلك من ضروب الظن والتخمين ، لينال من وراء هذا تقدير الوري ، ويوصف بينهم بسعة الأفق ، والإدراك الواسع ، والالمام بما عجز ويعجز عنه سواه من الناس .

ولكن هيهات هيهات ، فلا يعلم الغيب على حقيقته إلا الله رب العالمين ، وأحكم الحاكمين .

وعلمه جل جلاله . علم ذاتى غير مكتسب . فهو تبارك اسمه ـ ملم إلماما تاما ، بجميع ما يحوي هذا الوجود ، من المخلوقات والكائنات ، محيط إحاطة شاملة بالكليات والجزئيات ، ماوجد منها ، وما سيوجد ، على الوجه الذى يريده رب البريات ، حتى تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

وفى الآية التاسعة والخمسين ، من سورة الأنعام الكريمة ، يقول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق القائلين .

« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » .

ففى هذا النص الكريم ، جعل مولانا العلى العظيم ، للغيب مفاتح ، على طريق الاستعارة وروعة البيان ، لأن المفاتح يتوصل بها عادة ، إلى ما فى الخزائن ، المستوثق منها بالأغلال

لفضيلة الشيخ
أحمد على منصور

والأقفال ، ومن علم مفاتحها ، وكيفية فتحها وغلقها ، توصل إلى ما بداخلها ، فأراد الله السميع العليم ـ وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ـ أنه وحده ، هو المتوصل إلى المغيبات ، وإدراك حقيقتها ، فلا يتوصل إليها غيره مطلقا ، كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ، ويعلم فتحها وإغلاقها ، فهو الملم بما فى المخازن ، وما تحويه بداخلها ، دون سواه .

ومن تأويل بعض الصالحين ، لقول الله العلى القدير : « وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » أن عند مولانا ـ عز علاه ـ مفاتح الغيب ، لايدركها على حقيقتها إلا هو دون سواه ، وإن عندنا مفاتح الغيب ونحتاج دائما لنعم ربنا وعطاياه ، فمن آمن منا بغيب مولاه ، أسبل الستر على عيوبه وخطاياه ، ووفقه فى دنياه ، وشمله بعفوه ورحمته فى أخراه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله .

ولايخفى على الله جلت حكمته ، شيء فى الأرض ولا فى السماء ، ويعلم سبحانه وتعالى ، ما فى البر من النباتات والدواب ، وما فى البحر من الأسماك والحيتان والتماسيح . والجواهر واللآلىء وغيرها . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، فيعلم تعالى شأنه ، عدد الأوراق الساقطة وأحوالها ، قبل السقوط ، والوقوع على الأرض ، وبعد ذلك ، ولا حبة فى ظلمات الأرض وباطنها ، ولا رطب طري ، ولا يابس جاف ، إلا فى كتاب مبين .

ويصرح العلى العظيم ، بعد هذا النص الكريم ، فى سورة الأنعام المجيدة ، بأن بقدرته وحكمته يقبض أنفسنا عن التصرف فى الليل بالمنام ، ويعلم ما كسبنا فى النهار من الذنوب والآثام ، ثم يوقظنا فيه ، ليقضى أجل مسمى ، وتوفى الآجال والأعمار بالتمام ، ثم نرجع ونرد بالبعث بعد الموت ، إلى الملك العلام ، فيحاسبنا على ما كان منا فى الدنيا يوم الزحام ، والله ـ تنزهت صفاته ـ هو القاهر فوق عباده . ويرسل عليهم حفظة ، وملائكة حافظين ، كراما كاتبين ، لتدوين ما يعملون ، حتى يكون ذلك أبعد للعباد ، عن الاقتراب من المعاصى والفساد ، إذا تفكروا أن صحائفهم ، ستقرأ يوم التناد ، على رءوس الأشهاد ، وإذا حل الموت بساحة أحدنا ، توفاه بأمر الواحد القهار ، ملك الموت وأعوانه . دون توان أو تأخير ، ثم يرد المتوفون إلى حكم الله العدل ، وجزائه الحق ، الذى يلى عليهم أمورهم ، ويقضى بالإنصاف بينهم ، ولا حكم فى يوم الحساب لغيره . وهو سبحانه أسرع الحاسبين ، لا يشغله حساب عن حساب ، ويحاسب جميع الخلائق فى مقدار حلب شاة .

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً

وفى الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الجن ، يقول مولانا اللطيف الخبير : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً . لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً »

فالله تعالى جده ، وسمت عظمته ، يعلم الغيب وحده ، دون سواه ، ولا يظهر أو يطلع على غيبه ، أحداً من خلقه ، إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ، ليكون إخباره بهذا البعض معجزة له ، فأنه عز علاه ، يطلعه على ما شاء من غيبه ، حتى يكون ذلك أدعى لقومه ، إلى تصديقه ، والإيمان بما جاء به ، وفى هذه الحالة يسلك مولانا من بين يدى الرسول ، ومن خلفه رصداً ، وحفظة من الملائكة الكرام ، يحفظونه من الشياطين ، ويعصمونه من وساوسهم ، ويباعدون بينه وبين تخاليطهم ، حتى يبلغ وحى الله العلى القدير ، دون زيادة ولا نقصان ، وليعلم الله القوى القادر ، أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم كاملة ، وأنهم أدو الأمانات تامة ، ويحيط السميع المجيب ، بما لدي هؤلاء المرسلين . وما عندهم من العلم ، ويحصى جلت قدرته ، كل شيء عددا ، من القطر والرمل ، وورق الأشجار ، وزبد البحار ، فكيف لا يحيط بواسع علمه ، بما عند المصطفين الأخيار من وحيه وكلامه .؟

وقدرته عز وجل آخذةبنواصينا ، وحكمه العادل نافذ فينا ، وأمره بين الكاف والنون ، وبذكره يأنس الطائعون . وبتوحيده يبتهج الموحدون ، وبرؤية آثاره فى هذا الوجود تقر العيون ، ويهدي المتقين الصراط المستقيم ، ويعلم أنفاس خلقه بعلمه العميم ، ويري حركات أرجل النمل فى جنح الليل البهيم ، ويُدخل الصالحين النعيم ، ويسبحه الطائر فى وكره ، ويمجده الوحش فى قفره ، ويحيط بعمل العبد سره وجهره ، ويتكفل للمؤمنين بتأييده ونصره ، وتطمئن القلوب بذكره ، وكشف ضره ، وتقوم السماء والأرض بأمره ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

خمس لا يعلمهن إلا الله

وفى آخر آية من سورة لقمان ، يقول رب العالمين ، وأكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين .

« إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَافِي الْأَرْحَامِ وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» .

فالله عظمت حكمته ، عنده وحده علم الساعة ، ووقت مجيء القيامة ، وينزل الغيث والمطر فى وقته وإبانه . على ما تقتضيه حكمته ومشيئته ، ومصلحة البلاد والعباد ، من غير تقديم ولا تأخير ، ويعلم ما فى الأرحام ، ومواضع تكوين الأجنة ، داخل بطون الأمهات ، وهل فى هذه الأرحام والمواضع ، ذكور أو إناث ؟ وخلقهم تام أو ناقص ؟ وما تدري نفس ، بارّة كانت أو فاجرة ، ماذا

تكسب غداً ، فى اليوم الذى يلى يومها مباشرة ، من خير أو شر ، وربما عقدت العزم على فعل الخيرات ، فسبق عليها القضاء ، فوقعت فى أحضان الشرور والسيئات ، وربما كانت مصممة على عمل الشر ، فدفعها المقدر عليها من مولاها ، إلى أن تجري فى مضمار الخير أشواطاً ، وما تدري نفس ، طائعة كانت أو عاصية ، بأى أرض تموت ، وفى أى مكان تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وتغادر دار الزوال والغناء ، إلى دار الدوام والبقاء .

وربما أقامت بأرض ، وضربت فيها أوتادها ، وقالت لا أبرحها بحال ، حتى أموت بين ربوعها ، وأدفن فى مقابرها ، فترمى بها من حيث لا تشعر ، مرامى القدر ، وتشد الرحيل إلى أرض أخرى ، لم تخطر من قبل ببالها ، ولم تجر بالسابق فى حسبانها ، فتموت فيها ، ويوارى شبحها فى أجداثها وقبورها ، والله البارىء المصور ، هو العليم وحده بالغيوب ، الخبير دون غيره ، بما كان ، وبما سيكون . وبما هو كائن إلى يوم الحساب .

رأى أبـو جعفر المنصـور ، الخليفـة العباسي ، رحمه الله ، صورة ملك الموت فى منامه ، فسألة المنصور عما بقى من عمره ، فأشار بأصابعه الخمس ، ولما طلع النهار أحضر أبو جعفر مؤولى الأحلام ، وطلب منهم تعبـير رؤياه ، فعبـرها بعضهم بخمس سنوات ، وأولها آخرون بخمسة أشهر ، ورأى سواهم أنها خمسة أيام ، ولما سئل أبو حنيفة النعمان ، رحمه الله عن ذلك ، قال إنه إشارة إلى ماورد بهذه الآية الكريمة ، وأن الأمور الخمسة التى نصت عليها ، مما استأثر الله تبارك وتعالى بعلمه دون غيره .

وفى صدر هذه الآية الشريفة وختامها ، جعل العلم لله سبحانه ، وفى وسطها أسندت الدراية للعبيد والنفس ، لما فى العلم من الإدراك العميق للمعلـوم ، على وجهـه وحقيقته ، ولما فى الدراية من الختل وإعمال الحيلة ، فالنفس وإن أعملت حيلهـا ، واستخدمت مقاييسها ، ومواهبها وكل ما فى وسعها ، لا تصل بحال إلى معرفة ما يختص بها ، ولا شىء أخص بالإنسان ، وأشد اتصالا به ، من كسبه وعاقبته ، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما ، كان عن معرفة ما عداهما أبعد .

وقال النبي ﷺ : « مفاتح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله تعالى »(1) وتلا هذه الآية الكريمة . وقال عبد الله بن عباس ، رضى الله تعالى عنهما : من ادعى علم هذه الخمسة ، أو بعضها ، فقد كذب على الله رب العالمين . وأخرج الامام البخاري ، رضي الله تعالى عنه ، فى جامعه الصحيح ، فى باب قول الله عز وجل : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا » عن عبد الله ، ابن أمير المؤمنين ، عمر ابن الخطاب ، رضى الله تعالى عنهما ، عنى النبى ﷺ ، قال :

« مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم مافى غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأى أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله .

(1) يليها بيان بالمرجع

وأمور الغيب كثيرة ، وإلى الله جل وعلا ، وحده علمها على حقيقتها ، وجعلها المصطفى الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، خمساً فى هذا الحديث الشريف ، اقتداء بالقرآن العظيم ، فى الآية السابقة بختام سورة لقمان ، وتقريبا للأمر على السامعين . وتقليلا للأنواع ، وتسهيلا للإلمام بها وحفظها .

وفى قول المصطفى ، ﷺ ، بهذا الحديث الشريف : « **لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله** » إشارة إلى قول الله القوى المتين ، فى الآية الثامنة من سورة الرعد .

« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ، وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ »

وما فى « وما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام ، وما تزداد » إما أن تكون موصولة : والمعنى على ذلك ـ والله أعلم بمراده من كلامه الكريم ـ الله وحده هو الذى يعلم دون غيره ، الذى تحمله كل أنثى ، من الولد ، على أى حال هو ، من ذكورة أو أنوثة ، وتمام أو نقص ، وحسن أو قبيح ، وغير ذلك ، ويعلم وحده ـ جل شأنه ـ الذى تغيضه وتنقصه الأرحام ، التى تتخلق فيها الأجنة فى بطون الأمهات ، ويعلم وحده ـ تباركت نعمه ـ الذى تزداده هذه الأرحام ، وتشمل عليه ، من عدد الأولاد ، فإنها تارة يكون بها واحد ، أو اثنان أو ثلاثة ، أو أربعة ، ويعلم سبحانه أحوال الأولاد داخل الأرحام ، من تمام أو نقص ، وجمال أو تشويه .

ويعلم جل جلاله ، مدة مكث الأجنة فى هذه الأرحام ، فتكون تسعة أشهر فى الغالب ، أو أقل منها ، أو أزيد عليها ، إلى سنتين عند الحنفية ، أو إلى أربع سنين عند الشافعية ، أو إلى خمس سنين عند المالكية .

وإما أن تكون ما فى الآية الكريمة ، بالمواضع الثلاثة مصدرية ، فالمراد من النص الكريم على ذلك ـ والله أعلم .

إن الله جلت صفاته ، يعلم دون سواه ، حمل كل أنثى ، ويعلم غيض الأرحام ، وازديادها وكل شيء عنده ، عز شأنه ، بمقدار لأنه يخلق الأشياء بقدر وحدّ ، لا يجاوزه ولا ينقص عنه ، ولقد صرح مولانا عقيب هذه الآية ، بأنه وحده يعلم ما غاب عن الخلق وما يشاهدونه ، وهو الكبير العظيم الشأن ، الذى كل شيء دونه ، المستعلى على كل شيء بقدرته ، أو الذى كبر عن صفات المخلوقين ، وتعالى عنها ، علوا كبيرا .

ويدل هذا الحديث الشريف ، دلالة واضحة ، على جهل الإنسان التام ، بأمور الدنيا ، وأحوال الآخرة ، لأنه يجهل نفسه وهى أقرب الأشياء إليه ، فلا يعلم ما تغيض الأرحام ، ويجهل مستقبله فلا يعلم ما يكون فى غده ، واليوم الذى يلى يومه . ويجهل العالم العلوى ، فلا يدري وقت نزول المطر ، ويجهل العالم السفلى ، فلا يدري بأي أرض يموت ، ويجهل حاله فى آخرته ، فلا يعرف متى تقوم الساعة ، وإذا لم يبق للإنسان ، من ضروب العلم بالدنيا والآخرة شيء يذكر ، فعليه أن يسارع إلى طاعة مولاه ، الذى يحيط بكل شيء علما ، ويفيض النعم على خلقه جودا وكرما ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون .

الفتاوى

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ع . م . المصرى من الزقازيق

هل مكسب خياط الملابس الحريمى حلال أم حرام ؟

وإذا كان حراما فما هو الحرام فيه ؟ وهناك عمل جاهز وهناك تفصيل فأيهما الحرام وأيهما الحلال ؟

ج :حيث لم يقم الرجل بأخذ مقاسات السيدات ولا بملامسة أى جزء من أجسادهن ، والتى قامت بهذا العمل وهو أخذ المقاسات امرأة مختصة ، واقتصر عمل الرجل على التفصيل أو الخياطة فقط من غير أن يقوم بشىء مما تقدم لا فى الأول ولا فى الآخر ، فإنه لا مانع من ذلك شرعا ، ويكون الكسب الذى يحصل عليه فى مقابل عمله حلالا شرعاً .

س من السيد / ع . المراغى مصر الجديدة

هناك مجموعة من العرب الوافدين إلى مصر للمتعة الحرام عن طريق تحصين أنفسهم (بورقة الزواج العرفى) لمدة قد تصل إلى أسبوع أو خمسة عشر يوماً مقابل مبلغ يتفق عليه بين كل . من المحامى وهذا العربى الوافد وأهل الفتاة ... فهل يندرج هذا الموضوع تحت قائمة زواج المتعة المحرم ؟ وما الحكم ؟

ج : إذا تزوج رجل ما بزوجة بإيجاب وقبول صحيحين وشاهدين ومهر محدد لا يقل عن اثنى عشر جنيها صح النكاح ولو لم يوثق ـ غير أن الزواج غير الموثق لا يترتب عليه آثاره من نفقة ومتعة ونسب عند الإنكار ...

أما إذا اتفق رجل وامرأة على أن يقضى معها فترة محددة من الوقت بمبلغ معين فإن هذا الاتفاق باطل ، لأنه من نكاح المتعة التى اتفق أهل السنة على بطلانه وإن كان بشهود .

وبالنسبة للزواج الأول فقد أصبحت الزوجة زوجة شرعية لمن عقد عليها بالإيجاب والقبول والمهر والشهود . ولا يفسخ هذا النكاح إلا بالطلاق ..

أما زواج المتعة المؤقت بزمن لقاء مبلغ من المال فإنه لا يحتاج إلى طلاق ، فهو باطل ابتداء ويحل للمرأة أن تتزوج بعد بمن تشاء ، لأن معاشرتها له باطلة

أما الزواج الشرعى القانونى الموثق لدى الجهات الرسمية فإنه يكون صحيحاً شرعاً وقانوناً ، وتترتب عليه جميع آثاره ، من نسب ومهر ونفقة زوجية ونفقة عدة ومتعة .. إلخ .

س من السيد / خ . ا . عامر من أسيوط

أقام جماعة من المسلمين مركزاً إسلامياً للدعوة لا يتبع حكومة من الحكومات ، ولا يمول رسمياً من اى جهة ، وإنما يعتمدعلى التبرعات الشخصية . فهل يجوز صرف جزء من اموال الزكاة لهذا المركز ؟

ج : يجوز توكيل أحد أعضاء المركز بصرف هذه الزكاة فى مصارفها الشرعية ومن بين مصارفها الشرعية كل مرفق يتخذ لصالح الجماعات الإسلامية ، كالمساجد والمدارس والملاجىء والمراكز الإسلامية التى ترعى شئون المسلمين .

س : من السيد / ع . ب . محمد من الاسكندرية

توفيت امراة عن زوج ، اخت شقيقة ، جد لأب فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها ولا نفرادها ، وللجد لأب السدس فرضا لعدم من يحجبه والمسألة من ستة أجزاء وتعول إلى سبعة أجزاء .

للزوج ثلاثة أجزاء ، والباقى وهو أربعة أجزاء يكون للأخت الشقيقة والجد لأب مقاسمة بينهما للذكر ضعف الأنثى ..

س : من السيد / ح . ع . حسن من البحيرة ..

توفيت امراة عن : اخ واخت شقيقين . واولاد اخ شقيق فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : التركة كلها للأخ والأخت الشقيقين تعصيباً للذكر ضعف الأنثى ، ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالأخ الشقيق .

والله أعلم

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب خلاف

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

عالم أزهرى جليل وفقيه اسلامى كبير كان ينحو دائما الى معالى الأقوال والأفعال سمح الوجه عف اللسان تميز بالمروءة والكرامة والخلق الكريم مثل ما تميز باستقامة الفكر والعقل والنفس ، يتجه الى الحقيقة فى فكر واضح لا التواء فيه ، والى التعبير عنها فى عبارة مستقيمة، بينة لا ابهام فيها .

ذلك هو المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالوهاب عبد الواحد مصطفى مصطفى خلاف الذى شرفنا نحن رجال القانون بالتلمذة عليه فى مواد الشريعة الاسلامية وأصول الفقه فى أربعينات هذا القرن ابان عمله أستاذا للشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة فكان فى محاضراته ودروسه العلامة المتمكن فيما يبين ويكشف فى أسلوب سهل رصين ، يتخير من المعانى السهل المألوف والقريب المعروف ومالا يكون سهلا فى ذاته يقربه ويؤنسه ويختار له من الألفاظ والأساليب أقربها الى الأذهان وأوضحها فى البيان وأحسنها جرسا فى الآذان حتى لقد كان يعد أسلوبه البيانى بحق من السهل الممتنع .

يصفه زميله وصديقه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فيقول :

كان الشيخ عبد الوهاب خلاف مشرقا فى آماله ، كما كان صابرا فى آلامه ان أصابته الضراء صبر وان أصابته السراء شكر فكان شأنه شأن المؤمن دائما مأجورا فى الحالين لا تبطره النعمة ولا تؤيسه من رحمة الله النقمة

وكثيرا ما كان فى شدائده يردد فى ضراعة المؤمن (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) (١) وعندما فقد عزيزين من أبنائه كان يتأسى بأقوال المؤمنين ويتذكر عبارات الصابرين ويردد فى ايمان قول يعقوب عليه السلام فيما يحكيه القرآن الكريم عنه فى قوله تعالى (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) (٢) وكان فى مجالسه الخاصة مع زملائه وعارفى فضله اذا استقام الحديث بين يديه نسى همومه وآلامه وأمتع مستمعيه بمعان يجمعها فى قول كأنه السلسبيل العذب ، لأنه يملك من فنون الحديث والعلم بمداخل النفوس والقلوب الكثير (٣) .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمدينة كفر الزيات من أعمال محافظة الغربية فى مارس سنة ١٨٨٨ م وعندما درج صبيا انتظم فى أحد كتاتيبها حيث حفظ القرآن الكريم ، وفى سنة ١٩٠٠ م التحق بالأزهر الشريف وظل ضمن طلابه حتى افتتحت مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ م فانتظم فى سلك الدارسين بها اثر افتتاحها مباشرة وعند تخرجه منها سنة ١٩١٥ عين أستاذا بها واستمر ضمن هيئة التدريس بها حتى سنة ١٩٢٠ م حيث عين قاضيا بالمحاكم الشرعية وفى سنة ١٩٢٤ م استدعته وزارة الأوقاف ليعمل مديرا للمساجد فبقى بها حتى عين مفتشا بالمحاكم الشرعية فى منتصف عام ١٩٣١ ، وفى سنة ١٩٣٤ انتدبته كلية الحقوق بجامعة القاهرة ليعمل بها أستاذا للشريعة الاسلامية واستمر على ذلك حتى أقعده المرض مضطرا ثم وافاه قدر الموت فى يناير ١٩٥٦م (٤) .

كيف كان القاؤه للدرس :

كان القاؤه للدرس نسيجا وحده يزيد جمالا أن صوته ليس بالصوت اللين الرخو وليس بالأجش الخشن ، يستمع اليه السامع فلا يحس فى القائه تكلفا بينما تنساب — فى أثير صوته — مصحوبة بنغماته الالقائية المصورة بدقة لمعانيه التى يقصد احاطة طلبته بها .

منزلته المتميزة فى كلية الحقوق :

مما يلفت النظر أن كلية الحقوق بجامعة القاهرة ظلت متمسكة به بل وتمد فى خدمته بها حتى بعد احالته الى سن التقاعد سنة ١٩٤٨ واستمرت على ذلك حتى أقعده المرض ، ويبدو أن المسئولين بها رأوا فيه قوة للشريعة بشخصه المهيب وبيانه الرائع وبحوثه الفياضة ولا غرو فشريعة الاسلام بمكانتها القدسية

---

(١) سورة البقرة ٢٥٠ .

(٢) سورة يوسف ١٨ .

(٣) من مقال (الاستاذ عبد الوهاب خلاف) بقلم الشيخ محمد أبو زهرة منشور بمجلة لواء الاسلام العدد الحادى عشر السنة التاسعة رجب سنة ١٣٥٥ هـ — فبراير سنة ١٩٥٦ م .

(٤) كتاب الاسلام والمعاملات مجموعة أحاديث الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف ملحق بمجلة الاذاعة سنة ١٩٥٦ .

ودقتها الفقهية تحتاج دائما أمام الدارسين لها الى شخصيات قوية من أمثال المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف تجليها وترد عنها سهام الزائغين .

مكانته الوطنية والعلمية :

اشترك المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف فى ثورة سنة ١٩١٩ ضد الغاصبين والمحتلين الانجليز فبرزت فيها خلاله ومواهبه الخطابية والكتابية وبعد انتهاء الثورة سما بوطنيته عن النفعية والحزبية وابتعد عن الأهواء والأغراض فما كانت رغبته الا أن يرى الأمة المصرية والأمة العربية والشعوب الاسلامية فى مقدمة الأمم الناهضة القوية العاملة لخير العالم وسلامه ، وعندما انتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية أشرف على وضع معجم للقرآن الكريم .

ولقد سافر ـ رحمه الله أكثر من مرة الى الأقطار الشرقية الشقيقة للاطلاع على بعض المخطوطات النادرة فكان سفيرا ناجحا لمصر فى كل مكان ، ولما زار السودان فى شتاء سنة ١٩٤٦ م ألقى فى النادى المصرى عدة محاضرات تركت أثرا كبيرا وطيبا فى نفوس أبناء السودان الشقيق (١) .

تراثه العلمى :

ألف رحمه الله كتبا كثيرة فى الفقه وأصوله وفى تاريخ التشريع الاسلامى وفى أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية على

مذهب الامام أبى حنيفة وما كان عليه العمل بالمحاكم الشرعية كما ألف فى شرح قانون المواريث الذى صدر برقم ٧٧ سنة ١٩٤٣ تعديلا لما سبقه من قوانين وفى أحكام الوقف فى الشريعة الاسلامية وما كان عليه العمل بالمحاكم المصرية كذلك وضع كتابا نادرا فى السياسة الشرعية وترك ـ رحمه الله ـ بضعة مجلدات من تفسير القرآن الكريم بعنوان (نور من الاسلام) وهذا عدا مادبجه من بحوث ومقالات كثيرة نشرها فى مجلة القضاء الشرعى ومجلة الأحكام ومجلتى الرسالة والثقافة ومجلة لواء الاسلام ابان صدورها حتى تاريخ وفاته فى بداية سنة ١٩٥٦ م .

نماذج من أحاديثه فى الاذاعة المسموعة :

وهذا نموذج مما قاله ـ رحمه الله ـ بعنوان : الدين المعاملة : (بنى

(١) المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

الاسلام قانون المعاملات بين الناس على أسس تكفل تبادلهم حاجاتهم ومصالحهم من غير اضرار أحد بأحد ولا وقوع فى مشقة أو حرج ، ولا فتح باب للمنازعات والخصومات •

نهى عن أن يأكل أحد مال أحد بالباطل ، وان تكون المبادلات عن التراضى ، وكلمة الباطل تشمل كل وسيلة غير مشروعة لأخذ مال الغير فالنصب والغش والاحتيال واليمين الكاذبة وأشباه هذه كلها وسائل غير مشروعة والمال المكتسب بوسيلة منها مال حرام ، وأكل الحرام يحبط الأعمال ويمحق بركة المال الحلال قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**) **ويقول رسول** الله ــ صلى الله عليه وسلم (البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فان صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا ما ويمحقا بركة بيعهما ، وفى رواية ــ محقت بركة بيعهما • اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب) (١) •

وسدا لأبواب المنازعات والخصومات أمر الله بالاشهاد حين التبايع فقال سبحانه (**وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ**) (٢) وأمر بكتابة الدين المؤجل فقال سبحانه (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**) (٣) **وبين سبحانه حكمة هذا بقوله** (**ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا**) (٤) وأمر من اؤتمن أن يؤدى ما اؤتمن عليه فقال (**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ**) (٥) •

ورفعا للحرج عن الناس فى معاملاتهم اغتفر الاسلام الغبن اليسير فى المعاملات وهو ما يتسامح الناس عادة فيه ولا يمكن الاحتراز عنه ، واكتفى فى انعقاد البيع بالتعاطى أى باعطاء المبيع للمشترى واعطاء الثمن للبائع عن غير توقف على صيغة لفظية بالايجاب والقبول ، واعتبر عرف المتعاملين ما جرى عليه تعاملهم مالم يهدم حكما شرعيا أو يعارض نصا ، وأباح بعض أنواع البيوع التى جرى بها عرف الناس ودعت اليها حاجتهم كبيع السلم وبيع الاستصناع •

وتكميلا لهذه الأسس القيمة حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق فى

---

(١) أخرجه الخمسة وبذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف الامام المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى ــ الجزء الاول كتاب البيع صفحة ٥٣ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ •

(٢) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة •

(٣) جزء من الآية ٢٨٢ من السورة المشار اليها •

(٤) جزء من الآية السابقة فى السورة المشار اليها •

(٥) جزء من الآية ٢٨٣ من سورة البقرة •

المعاملة ذلك لأن المعاملة هى عنوان الذمة الطاهرة والتمسك بالحق والبعد عن الباطل والغش والكذب ولذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (التاجر الأمين الصدوق مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين) (١) .

ونهى الله سبحانه عن اللعب والعبث فى الكيل والوزن والقياس وأى نوع من التقدير فقال سبحانه (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (٢) ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السماحة والسهولة فى البيع والشراء والاقتضاء فقال (رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا شرى واذا قضى واذا اقتضى) (٣) والسماحة فى البيع أن يكون البائع باش الوجه حسن المقابلة وأن لا يكثر المساومة وأن لا يغالى فى الربح وأن لا يروج سلعته باليمين الكاذبة والمروجات الباطلة .

والسماحة فى الشراء أن لا يسئم المشترى البائع بكثرة الأخذ والرد ويستغرق جزءا كبيرا من وقته فيما لا فائدة فيه من تدقيق ممل .

والسماحة فى اقتضاء الحق أن يطالب الدائن مدينه فى هوادة ورفق وأن لا يشهر به ، بمطالبته أمام الناس وعلى مسمع منهم ، وألا يلح عليه فى الطلب فى وقت هو يعلم أنه فيه شديد الاعسار ولا قدرة له على الأداء لأن هذا اعنات وارهاق وليس اقتضاء للدين وأن لا يجعل أول وسيلة له الخصومة أمام القضاء بل يسلك أولا سبيل الود والمعروف .

والسماحة فى قضاء الحق أو الدين أن يؤدى ما عليه فى وقت استحقاقه ، ويؤديه كاملا غير منقوص ولا يحوج صاحب الحق الى احتمال عناء أو مقاضاة .

وهذه المعاملة الحسنة تيسر للناس قضاء مصالحهم وتبادل حاجاتهم من غير خصومات ولا منازعات وتزيد مودتهم واخلاصهم فى تعاونهم ، ومن صدق الناس صدقوه ، ومن غشهم غشوه وكما يدين المرء يدان وبالكيل الذى يكيل به يكال له .

كان الامام أبو حنيفة تاجرا بالكوفة يتجر فى البز ـ أى فى ثياب الحرير ، وقد ذهب مرة الى المسجد وترك عامله فى محل تجارته فلما عاد من المسجد أخبره عامله أنه باع الثوب الفلانى فقال له أبو حنيفة (وهل أعلمت المشترى بالعيب الذى فى هذا الثوب) قال العامل : لا فظهرت علامة الاستياء على وجه أبى حنيفة فقال له العامل (أنا أستطيع أن أدرك المشترى وأجىء به) فقال أبو حنيفة (أدركه) فلما عاد المشترى ومعه الثوب أخذه منه أبو حنيفة وبسطه وأطلعه على العيب الذى فيه وقال له « أنت الآن بالخيار » فقال المشترى لأبى حنيفة « أما وقد صدقتنى فأنا أصدقك

(١) أخرجه الترمزى بذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول السابق الالماع اليه كتاب البيع ص ٥٣ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) سورة المطففين ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) أخرجه البخارى والترمذى وبذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول السابق الاشارة اليه .

ان الدراهم التى أمامك فيها عشرة دراهم زائفة فردها الى لأعطيك غيرها » (١) •

أما عن كتاباته الرائعة فما كتبه عن علم أصول الفقه قوله « علم أصول الفقه هو مجموعة القواعد والبحوث اللغوية والتشريعية التى يتوصل بها الى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وذلك أن أساس التشريع الاسلامى والمصدر الأول يرجع اليه فى معرفة الحكم الشرعى لأى عمل من أعمال المكلفين هو القرآن الكريم والسنة النبوية التى فسرت مجله وقيدت مطلقه وخصصت عامه وكانت تبيانا له وتماما •

ونصوص القرآن والسنة باللغة العربية لأن الله سبحانه ما أرسل رسولا الا بلسان قومه ليبين لهم •

واستنباط الأحكام الشرعية من هذه النصوص يتوقف على أمرين :

أولهما : العلم بأساليب اللغة العربية وطرق دلالة عباراتها وألفاظها حتى تفهم معانى النصوص كما تقتضيه اللغة التى وردت بها •

وثانيهما : العلم بمقاصد الشارع من تشريعه والمبادىء التى وضعها أسسا له حتى يكون فهم النص الشرعى على ضوء مقاصد الشارع ومبادئه ويكون العلم بهذه المقاصد والمبادىء سبيلا الى استنباط الحكم فيما لا نص فيه•

تحقيقا للأمر الأول استمد الأئمة المجتهدون من استقراء الأساليب العربية ومما قرره أئمة هذه اللغة قواعد يستعان بها على استفادة المعانى من النصوص وفهم ما تدل عليه بأى طريق من طرق الدلالة بحيث اذا طبقت هذه القواعد يكون فهم النص القانونى من القرآن أو السنة فهما صحيحا مطابقا ما تقتضيه أساليب اللغة وموافقا ما يفهمه العربى الذى ورد النص بلغته وهذه القواعد اللغوية الأصولية هى الشطر الأول من علم أصول الفقه •

وتحقيقا للأمر الثانى استمدوا من استقراء المبادىء التى بنى عليها الشارع تشريعه ، والعلل التى علل بها أحكامه قواعد يستعان بها على فهم النصوص حسبما أراد الشارع بها بحيث اذا طبقت هذه القواعد يكون فهم النص محققا مقصد الشارع منه ومتفقا والمبادىء التى بنى عليها التشريع لأن الركون الى عبارات النصوص القانونية وحدها وعدم مراعاة مقاصد الشارع وأسرار التشريع ومبادئه قد يحيد بطالب الحكم عن الصواب ، وهذه القواعد التشريعية الأصولية هى الشطر الثانى من علم أصول الفقه ، وهى كما يهتدى بها فى فهم نصوص القرآن والسنة يتوصل بها الى استنباط الحكم فى أية واقعة لم يرد بحكمها نص فى القرآن أو السنة •

وعن نشأة وتطور علم أصول الفقه : يقول المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف هذا العلم من الفنون المستحدثة فى القرن الثانى الهجرى،

البقية ص١١٩

(١) كتاب الاسلام والمعاملات مجموعة أحاديث الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف

الشعر والشعراء

إشراف د. حسن جاد

الله والنفس

صدى الهجرة

قصة الهجرة

الله والنفس

صلـوات الليـل أقمنـاهـا دعـوات الصبح تلونـاهـا
ودعـونا مليـون دعـاء لم يبـرح حلقـاً وشفاهـا
مـانفـعُ صـلاة لقلـوب لم تعـرف يومـا بلـواها
لـم تـعـرف سر شقـاء - النفس - وسـر تـعقـد دنيـاهـا

***

وتريق العمـر بـلا أمـل أو تلـك حيـاة تحيـاهـا
يغـريهـا وهـم تصـورها ويضللهـا عن مسـراها
تـعشـو للنـور مكـابـرة وتفـر لا كـداس دجـاهـا

***

تنسى غـافلـة خـالقـهـا من ابـدعهـا من سـواهـا
من هـذّب كل مشاعـرهـا مـن الهمهـا كـل تقـاهـا
من اغـدق نعمـا لا تحصى ويضـاعفهـا من يـرعـاهـا
وادار الكـون لخـدمتـهـا ارضـا وسمـاء وميـاهـا
مـن أرسـل بـالحـق نبيـاً هـو خيـر الخلق وأصفاهـا
كي يصـل النفس بخـالقهـا ويخط لـهـا درب هـداهـا
مـا نَفْـعُ صـلاة لقلـوب قـد شغلت عنهـا بهـواهـا

للأستاذ: رشاد محمد يوسف

مـانفـع صـلاة لنفـوس ولـغيـر الله نـوايـاهـا
نسيـت أنسـاهـا أنفسـهـا وأضـل على الأرض خطـاهـا
ثملـت بـالإثم فـأسكـرهـا فتمشت خلـف خَطَايـاهـا
وحميـة مـعتصـم هـدأت وتـلاشى وَقْـدُ شظـايـاهـا

***

اللهَ اللهَ لحيـرتنـا لضلال عقـولٍ وَعَماهـا
الله لجيـلٍ مضطـربٍ لصـلاح نفـوسٍ ورضـاهـا
تلقـى مـن فيض محبتـه نـوراً لجبـين ... محيـاهـا
تلقى من عـزة طـاعتـه مـا يـرفـع أبـدا ذكـراهـا
تلقى من نـور هـدايتـه حـلاً لجميع قضـايـاهـا

***

مـا غـير الله وان ملكـوا أطـراف الأرض وأدنـاهـا
مـا غـير الله وان صعـدوا أطبـاق نجـوم وسمـاهـا
الله المـوعـد واللقيـا وأُخـوة روح وعـراهـا
ومشـاعـر وجـدانٍ حـيٍ وضميـرٍ يـرتقـب الله
الله الجنـةُ والمـأوى وشفـاء النفس ونجـواهـا

***

صلـوات الليـل إذ صلحـت سيعـز بهـا من صـلاَّهَا
دعـوات الصبـح إذااتجهـت لله رأت كـل منـاهـا

قصة الهجرة

للشاعر عبد العليم القبانى

خــواطـر مــن وحـــى السمــاء تــرود
تفيض علينــا مــن سنــا وتجــود
مــعطـرة الأنســام نشــوانــة الصــدى
لــهــا الكــون سمــع والــزمــان شــهيــد
تجلــت علينــا بــعــد عشـر وأربــع
مئينـا تــوالــت همســهــن رعــود
فــعـدنــا إلــى أرجـاء مكــة تلتقــى
بنــا نــذر مـــن أهلــهــا ووعيــد
وقــد جـابــه البــاغــين فيهـا « محمــد »
بــعــزم كحــد السيــف ليس يحيــد
ثــلاثــة عشـر كــالحـــات ســوافــع
تكــاد لـــهـــا صــم الجبـــال تميـد
يمــر قــذى فــى عيـن كــل مكــابــر
ويبــدىء فيـــهـــا بــالــهــدى ويــعيــد

صَدَى الهِجْرة

محمد عبد الرحمن صالح الدين

شادٍ على غصن المحرم قد شدا ... فى أيكة الدهر الطروب وغردا
كم هز أعطاف الوجود نشيده ... طربا وهدهد حِسَّه رجع الصدى
ماملَّت الأحقاب من ترجيعه ... أبدا ولا أودى به طول المدى
كم هجرة لمهاجرٍ فى الأرض لم ... تَـأبَهْ لها الأيام قد ذهبت سدى
والهجرة الغراء أَتْهَمَ ذِكْرُها ... كالعطر بين العالمين وأنجدا
ماهجرة تبغى المتاع كهجرة ... فى الله غَيرت المسار الأنكدا
أعظم بها من هجرة قد أطلقت ... فى الأرض نورا كان قبل مقيدا
فسرى حثيثا فى شعاب الدهر كى ... يهب الحياة نضارة وتوردا

★★ ★★

ياهجرة المختار إنك مرفأ ... والهول أرغى فى الحياة وأزبدا
ومنارة أضواؤها منشورة ... ظلت لطلاب الحقيقة مرشدا
ذكراك للإنسان أورف واحة ... والعيش من لفح الهجير توقدا
لى كل عام فى رياضك نزهة ... أجد السكينة فى رباها والندى
ويرق وجدانى ويشرق خاطري ... فأرى بعين الروح فيكِ محمدا
فى وحشة البيداء يسرى حاملا ... فى قلبه للناس مصباح الهدى
والشر يرصده بأعين حاقد ... ويبث فى كل المسالك مَرْصَدا
ليظل باب الرحمة المهداة من ... رب الوجود إلى الخلائق موصدا
لكن محال أن ينال الشر ... موصولا بأسباب السماء مؤيدا
فمضى يشيِّد أمة وسطا ... تقيم العدل فى الدنيا وتبنى المسجدا

★★ ★★

ياحادثا فى الدهر رَقَّ معينه ... مازلت للقيم الرفيعة موردا
تَرِدُ المشاعر والعقول حياضه ... ظمأى وتصدر بعد ما تشفى الصدى
إن تنفد الغدران من اغداقها ... فمعينُك الثَّرُّ الذى لن ينفدا
كم أرْفَد البحر الخِضَم وكم سقى ... عبر الدهور ولا يزال كما ابتدا
ما كان من مدد السماء فإنه ... يبقى على مر الزمان مخلدا

العلوم الكونية

طبيعة الغازات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .. [البقرة آية ١٦٤] ..

مع خلق الله سبحانه وتعالى نتدبر آياته جلت قدرته وتعالت عظمته بروية تنفيذاً لما أُمرنا به .. وسعياً للوصول إلى غاية الايمان وكمال المعرفة بخالق هذا الكون العظيم كيف دبر ونفذ بجلال واقتدار لا نظير له .. مع خلقه ــ تعالى ــ نتدارس معاً مخلوقاً ليس بالمألوف لعقولنا .. بل قد لا يكون ملموساً لأبصارنا ولكنه ـ والله ـ فيه نفس الدقة ونفس الكمال ونفس القوانين المنظمة للحركة .. فيه كل تفاصيل خلق الله وصفاته عَزَّ رَبُّنا وجل ـ سبحانه ـ

مع الغازات ذلك المخلوق الممتد غير المرئى بالعيون .. ولكن يمكن تدبر تفاصيل كنهه بشىء من الدراسة التفصيلية لنقف على صفاته وخواصه ونظريات حركته .. والقوانين التى تحكم جزئياته .. فلا يسعنا إلا خشوعاً للرحمن ..

أحوال المادة

خلق الله سبحانه وتعالى المواد كلها وأقر لها أحوالا ثلاثة يمكنها أن تكون عليها كما أعطاها المقدرة على التحول من حال إلى آخر بزيادة أو نقصان درجة حرارتها !! وهذه الأحوال هى :

أ ـ الحالة الغازية : حيث يتميز الغاز بعدم احتفاظه بشكل ثابت وإنما ينتشر ليملأ أى حجم يسمح له بالبقاء فيه .. كما أن تأثره بتغيرات الضغط ودرجة الحرارة كبير ..

ب ـ الحالة السائلة : وحال السائل

للدكتور محمد ابراهيم حسين

أيضاً ليس له شكل ثابت ويتخذ شكل الوعاء الموجود فيه إلا أن الكمية من السائل تحتفظ بحجم له سطح محدد ولا يتأثر هذا الحجم كثيراً بتغير الضغط ودرجة الحرارة ..

جـ - الحالة الصلبة : وتتميز بالمحافظة على الشكل المحدد لها ويمكن وصفه بأبعاد ثابتة .. وتأثره ضئيل جداً بتغير الضغط ودرجة الحرارة ..

هذا وكما ذكرنا سابقاً يمكن أن تتحول المادة من حالة إلى أخرى فتنصهر المادة الصلبة بتجاوز درجة حرارتها لدرجة الانصهار وتتحول إلى سائلة .. وهذه بزيادة درجة حرارتها إلى درجة الغليان فتتحول إلى بخار والبخار يتحول إلى سائل بالتبريد حتى درجة التكثف ويتحول السائل إلى جسم صلب بالتبريد إلى درجة التجمد !! سبحان الله الذى أعطى كل هذا بهذه البساطة والحكمة ..

وننتقل الآن بشىء من التفصيل القليل عن الغازات .. المؤثر عليها .. قوانين سلوكياتها .. سعتها الحرارية .. انتشارها .. نظريتها فى الحركة .. حيودها عن المثالية النظرية .. لعل العقل يتذكر والقلب يخشع والنفس تطمئن لذكر الله ..

العوامل الخارجية التى تؤثر على كيان الغازات

يتوقف كيان كمية من الغاز على الضغط والحجم ودرجة الحرارة .. وهذا التأثر يخضع لقوانين محددة تمت دراستها وتحديدها عملياً ونظرياً ويصبح لها صيغ علمية ثابتة كما سنرى فيما يلى :

فمثلاً إذا كان لدينا كمية محددة من الغاز ذات درجة حرارة ثابتة فإن هذه الكمية تتأثر مع الضغط الواقع عليها تأثراً عكسياً بمعنى أنه بزيادة الضغط الواقع على هذه الكمية الثابتة من الغاز .. وعند ثبوت درجة حرارتها فإن حجم هذه الكمية يقل .. وقد ثبت علمياً أن الانخفاض فى الحجم عند زيادة الضغط يسلك مسلكاً معيناً يلاحظ فيه شدة تأثر الحجم عند الضغوط المرتفعة وقلة تأثره عند الضغوط المنخفضة ..

أما عند ثبوت الضغط فإن الحجم الثابت لكمية غاز محددة يتناسب مع زيادة درجة الحرارة .. وهذا يعنى أنه عند زيادة حرارة كمية محددة من الغاز فإن حجمها يزيد وذلك أيضاً طبقاً لعلاقة رياضية محددة وثابتة علمياً .

طبيعة الغازات

وقد أمكن ـ علمياً ـ الوصول إلى علاقة عامة تسمى القانون العام للغازات يمكن منه حساب حجم كمية غاز عند تغير كل من الضغط ودرجة الحرارة فى وقت واحد ..

السعة الحرارية للغازات

وهى تعبير عن كمية الحرارة اللازمة لرفع وحدة وزن واحدة من الغاز بمقدار درجة حرارة واحدة ..

ولما كان تمدد الغاز ضد ضغط خارجى يلزمه شغل فتكون السعة الحرارية عند ثبوت الضغط أكبر من السعة الحرارية للغاز عند ثبوت الحجم بمقدار الشغل المبذول ضد الضغط الخارجى أثناء التمدد ..

الضغط الجزئى للغاز

عند دراسة ضغط وحجم مخاليط من الغازات عند ثبوت درجة الحرارة أمكن التوصل إلى أنه إذا خلط غازان أو أكثر عند درجة حرارة معينة دون حدوث تفاعل كيميائى بينهما فإن الضغط الكلى للمخلوط يكون مساوياً لمجموع الضغوط الجزئية لهذه المكونات .. ويعرف الضغط الجزئى لأحد مكونات المخلوط بالضغط الذى يحدثه هذا المكون لو ترك بمفرده ليحتل حجم المخلوط بالكامل عند نفس درجة الحرارة ..

الرطوبة النسبية للهواء

إذا تجمع غاز معين فوق الماء فإنه يختلط ببخار الماء المتصاعد من سطح الماء فى صورة غازية ويكون الضغط الكلى لمخلوط الغازات فوق سطح الماء مساوياً للضغط الجزئى للغاز الجاف مضافاً إليه ضغط بخار الماء ..

والهواء الجوى يعتبر مزيجا من غازات مختلفة مع بخار الماء حسب ما ثبت علمياً فى دراسة تكوين الهواء الجوى كغاز **ويطلق على بخار الماء الموجود فى الهواء الجوى لفظ الرطوبة** ولما كان عند كل درجة حرارة ضغط ثابت لبخار الماء المشبع أو بمعنى آخر حد أقصى لقيمة ضغط بخار الماء الذى يمكنه أن يختلط به الهواء عند هذه الدرجة من الحرارة أطلق على الهواء الذى يحتوى على رطوبة لها ضغط يعادل ضغط التشبع بأنه كامل الرطوبة أو أن رطوبته النسبية ١٠٠٪ ويطلق على النسبة المئوية لضغط بخار الماء فى الهواء عند درجة معينة إلى ضغط بخار الماء المشبع عند هذه الدرجة من الحرارة بالرطوبة النسبية ..

انتشار الغازات

الانتشار هو خاصية توسع المادة نتيجة لحركة جزيئاتها لتحتل أكبر حجم ممكن ونتيجة لهذه الخاصية تختلط الغازات مع بعضها وتنتشر المواد فى المذيبات لتكوين محاليلها .. وبدراسة انتشار الغازات وجد أن معدل انتشارها تحت ظروف متطابقة من الضغط والحرارة يتناسب عكسياً مع الجذر التربيعى لكثافتها .. فمثلاً معدل انتشار

الأيدروچين الغاز أربعة أمثال معدل انتشار الأكسچين حيث أن كثافة الإيدروچين أقل من كثافة الأكسچين ..

النظرية الحركية للغازات

وهى النظرية التى تفسر أسباب انصياع الغازات لما سبق شرحه من علاقات حيث تقوم النظرية الحركية للغازات على فروض معينة كالآتى :

١ - يتكون الغاز من جزيئات فى حركة مستمرة على شكل خطوط مستقيمة ويصطدم بعضها مع البعض أو بجدران الوعاء الحاوى لها ويعتبر الضغط الذى يحدثه الغاز على الوعاء نتيجة لهذه الاصطدامات ..

٢ - جزيئات الغاز فى حالة مرونة متناهية حتى انها لا تفقد شيئاً من طاقة حركتها أثناء التصادم ..

٣ - قوى التجاذب بين جزيئات الغاز وبعضها أو بينها وبين الوعاء الموجودة فيه يمكن تجاهلها لصغر قيمتها ..

٤ - الحجم الذاتى لجزيئات الغاز متجاهل بالنسبة لإجمالى الحجم الذى يشغله الغاز بالانتشار فمثلاً الحجم الذى يشغله جرام واحد من الماء عند ١٠٠ درجة مئوية وهو فى حالة سائلة هو السنتيمتر المكعب أما الحجم الذى تشغله نفس كمية الماء .. ولكن فى الحالة البخارية عند نفس درجة الحرارة هو ١٧٠٠ سنتيمتر مكعب ..

٥ - متوسط الطاقة الحركية لجزيئات الغاز يتناسب طردياً مع درجة حرارتها ..

وببعض العلاقات والاستنتاجات الرياضية يمكن التوصل إلى علاقة عامة تحكم حركة الغازات وتسمى بالمعادلة الحركية للغازات .. وهى تشكل علاقة بين ضغط الغاز وحجمه وطاقة حركة جزيئاته .. ومن هذه المعادلة يمكن اشتقاق الكثير من القوانين التى تفسر وتعبر عن الخواص الدقيقة للغازات ..

حيود الغازات عن المثالية

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فإنه فى حالة تعريض الغازات إلى ضغوط مرتفعة وبخاصة فى درجات الحرارة المنخفضة ثبت عدم خضوع الغازات للمعادلة العامة للغازات المثالية التى سبق عرضها باختصار .. وذلك لأن بعض فروض النظرية الحركية للغازات لا ينطبق فى حال ارتفاع الضغط ولذلك فإنه للحصول على معادلة عامة للغازات وجب إدخال تصحيحين على المعادلة العامة للغازات المثالية تشمل قوى التجاذب بين جزيئات الغاز والحجم الذاتى لجزيئات الغاز ..

وبعد هذه الدراسة المختصرة جداً لهذا المثال من مخلوقات الله التى لا نراها وأحياناً لا نستشعر وجودها على الاطلاق كلها تخضع لقوانين محددة تحكم تحركاتها ... دقة متناهية .. وكمال لا حدود له فى الخلق .. وتفاصيل دقيقة للمخلوق - وسبحان الله وتعالى عما يشركون ..

هــذه وهــذه
الأعشاب النباتات

٤

الحبة السوداء :

وهى المسماة « بالشوينز » فى اللغة الفارسية وتسمى ايضا (الكمون الأســود) ويسميهــا أرباب العطارة والأفاويف (الكمون الهندى) وقيل انها (الخردل) وروى أنه (ثمرة البطم) أو (الحبة الخضراء) وهذا وهم والأصح أنها (الشوينز) وما عداها باطل .

والحبة السوداء كثيرة المنافــع ، عظيمــة الفوائد ، تنفع كثيرا من الأمراض لاســـيما التهابات القولون ، والالتهابات الصــدرية ، ومعجون الحبة السوداء بالعسل يفتت حصيات الكلى ، ويدفع ما يوجد منها بالمثانة ، وتستعمل أيضا كمدر للبول واللبن والحيض .

قد لوحظ أن للحبة السوداء مفعولا قــويا طاردا للديدان الشريطية ، ولا أعتقد أنه يمكن الاعتماد عليها كعلاج جذرى اذ لابد من الرجوع الى الطب فى ذلك .

وقد ثبت فى البخارى (١٠/١٢١) ومسلم (٥/٢٢) من حديث أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم قال : « عليكم بهذه الحبة السوداء فــان فيها شفاء من كل داء الا السام » والســـام هو الموت .

وابن سينا فيلســوف الأطباء صاحب كتاب (القانون) وغيره من الأطباء قالوا بحيــوية دور الحبة السوداء فى علاج كثير من الأمراض بدخــولها كعنصر حيــوى فى كثير من تراكيب الأدوية المعالجة لها .

وقيل أنها تساعد فى علاج الجرب ، لكنى ــ أى الكاتب ــ أستبعد ذلك ولا أعتقده لكنهــا قد تنفع من البرص فهذا أقرب للتصــديق والاقتناع .

وقد ثبت أنها تشفى الزكام اذا دقت فى خرقه واشتمها مريض الزكام فانه يشفى .

وقال المجربون : انها تمحو الثآليل والشامة التى تظهر فى البدن ، ودهانها ينفع فى قــرص الهوام والحشرات وضمادها يذهب الصــداع و (الشقيقة) .

ومطبوخ الحبة الســوداء يزيــل أوجــاع الأسنان الحادة المبرحــة اذا اســـتعملت مضمضة .

للدكتور السيد الجميلي

ومسحوق الحبة السوداء مع الخل مجرب فى علاج البرص والبهاق اذا طلى به ، وغير ذلك من المنافع والفوائد .

الريحان : ــ

هو كل نبت أو عشب طيب الرائحة ، وفى كل بلد يختار له اسم ، فالعرب يسمونه الريحان ، وأهل المغرب يسمونه (الآس) والشاميون وأهل العراق يطلقون عليه (الحبق) .

والآس قاطع للاسهال ، مفرح للقلب ، مؤنس للنفس برائحته الطيبة الزكية ، ومقطوع ورقه اذا وضع على الرأس يذهب الصداع ويقطع الرعاف ، وقيل اذا ذر مسحوقه على القروح عجل بضمادها ، لاسيما قروح اليدين والساقين .

وهو برائحته الطيبة عندما يدلك به الجسم يطيب رائحته ويذهب (نتن) الابط و ــ (دفر) العانة والكرعين ، كما يجلو قشور الرأس ، ويقوى الشعر المتساقط ويعمق سواده ، كما يسكن التقلصات .

قال تعالى : ــ
« **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانِ** » الرحمن (٥٥/١٢) والعصف هو ورق الزرع .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم : ــ « من عرض عليه ريحان فلا يرده ، فانه خفيف المحمل طيب الرائحة » . أخرجه مسلم فى صحيحه .

قال تعالى : « **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** » الواقعة (٥٦ / ٨٨، ٨٩)

قال القرطبى : (فروح) أى فى القبر مقصود به طيب نسيم راجع تفسيره (١٧/٢٣٢) نقلا عن ابن قتيبة ، وورد نحوه عن أبى عمرو فى لسان العرب (٣/٢٨٦) .

الرمان : ــ

قال تعالى : ــ « **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** » الرحمن (٥٥/٦٨) ومعنى الآية : أى فى الجنتين من أنواع الفواكه كلها وأنواع النخل والرمان ، وقصد بالذات الفاكهة والنخل والرمان لأنها أغلب مأكولات العرب .

قال الامام الألوسى : فى روح المعانى (٢٧/١٢٢) ثم ان نخل الجنة ورمانها فوق (وراء) ما نعرفه » اهـ .

وقد وردت أحاديث لا تصح منسوبة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ولم نر داعيا حتى لمجرد سردها لأنها ظاهرة البطلان .

وحلو الرمان لذيذ الطعم جيد للمعدة والأمعاء يجلو الصدر ، وينفث المصدورين ، ملين للبطن ، يغذو البدن ويقويه ، وينفع المحمومين والناقهين كما يدفع فضول الطعام ويزيلها للخارج .

البقية ص ٩٦

ذكرى هجرة محمد

صلى الله عليه وسلم

كانت الهجرة خيرا وبركة ، فما أن أذن بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى انطلق المؤمنون أرسالا الى الحبشة ثم الى المدينة . كانوا يتقدمون الى النصر الذى وعد الله .. عز وجل .

تركوا مكة وزعماء الكفر وصناديد الشرك على جمر من غضب لم ينفعهم شيئا فما أن وقعت معركة بدر حتى طاحت هذه الرءوس وانتهت زعامة الشرك الى الأبد .

وقليل من الأناة فى دراسة الزعامة بمكة بعد غزوة بدر تعطينا أكثر من دليل على تهاوى الشرك وانتهائه من الجزيرة الى الأبد .

تلك هى الهجرة وما أدت اليه ، فيالها من هجرة مباركة لرسول مبارك اصطفاه الله ـ سبحانه ، وسدد خطاه صلى الله عليه وسلم دائما أبدا على خير مايحب ربنا ويرضى .

قال الأستاذ رحمه الله :

ذكرى هجرة محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

وقال تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » .

للحوادث الجسام رنين قوى على الأسماع حين ورودها عليها ، اذ تحدث برناتها القوية على السمع تكيفا للنفس ، وتأثيرا على الروح والعقل ، فتجعل السامع ينتقل بفكره من حالته العادية الى حالة السمو والارتفاع الى الدرجة التى تجعله فى مستوى من شاهد تلك الحوادث وكان منها على مرأى ومشاهدة .

وأعظم حادث عرفه التاريخ الاسلامى ، حادث الهجرة التى انطلق فيها محمد ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق من مكة خفية ، اذ خرجا من دار أبى بكر فى الثلث الاخير من احدى ليالى الصيف قاصدين الى يثرب ، وقد كانا يعلمان حمارة القيظ ، وماتتلظى به رمال الصحراء المحرقة الفسيحة فى تلك الآونة من

للأستاذ عبد الله مصطفى المراغى

اعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

الزمن ، ولكنهما لشدة ايمانهما وقوة يقينهما ومنتهى تضحيتهما من أجل غايتهما ، نسيا أهوال السفر ومتاعب السير ومشاق الرمال ، نظرا لأنهما قد ارتفعت أرواحهما ، وصفت نفوسهما ورقت أفكارهما الى درجة جعلت غايتهما منحصرة فى الوصول الى سلامة الدعوة التى حملها الرسول وآزره عليها صاحبه أبو بكر الصديق .

ولم يكن التفكير فى الهجرة والباعث اليها وليد الأسابيع والأشهر ، بل هو وليد السنين والظروف القاسية ، والحوادث المتتابعة ، التى أنبتتها الأحقاد والحسد فى نفوس قريش ، وما خافوا عليه من زوال سلطانهم ، وعفاء عزهم، وانمحاء سيطرتهم على أهل تلك الجزيرة ، وذلك لأنهم كانوا حراس الكعبة ، وبيدهم مقاليد البيت الذى تحج اليه العرب جميعها ، ويفدون اليه من كل صوب ، فاذا تفكير محمد فى الهجرة وبحثه عن مكان يبث فيه الدعوة قد جال بنفسه عقيب البعثة ، عندما نزل عليه قوله تعالى : ((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)) ، عندما دعا أهله وعشيرته ليتخذ منهم عونا على نجاح دعوته وابلاغ رسالته ، فما كان منهم الا أن سخروا منه ، وكانوا حربا عليه وعلى ما جاء به من الدعوة الى عبادة الله وحده ، وترك السجود لأصنامهم التى ورثوا عبادتها عن آبائهم ، وكانت ينبوع المجد والفخار عندهم .

ولقد أخذ التفكير فى الهجرة يزداد فى نفس محمد يوما بعد يوم ، فكلما وجد من أهل مكة اعراضا عن دعوته ، ومعاكسة لها ، ازداد تفكيره واشتد بحثه فى ايجاد بقعة صالحة يغرس فيها شجرة الايمان ، ويثبت فيها أصلها ويعلو فرعها ، بعد أن اشتد يأسه من اسلام أهل مكة ومن جاورها ، وبعد أن ردته ثقيف حين ذهب الى الطائف يلتمس من أهلها الظهير والمعين ، فما كان منها الا أن أغرت به سفهاءها وصبيانها للسخرية منه ، والاستهزاء بما دعاهم اليه ، حتى لقد بلغ به اليأس والقنوط ، فجلس بعد جهد سفهاء قريش له عند حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة يحتمى به من عبث السفهاء وسخرية الأغبياء من أهل ثقيف ، ولقد جلس الى ظل شجرة من عنب وابنا ربيعة ينظران اليه والى ماهو فيه من شدة الكرب وظلمة الدنيا فى وجهه وضيقها عليه على ما هى به من رحابة وسعة ، حتى لقد دفعته هذه الحادثة اذ يئس من النصير والمعين الى أن يرفع أكف الضراعة الى الله تعالى ، ويفوه بقوله عليه السلام : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ! أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل

على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولاحول ولا قوة الا بك » !

ولم يكن نصيب محمد من ثقيف بأكثر مما كان نصيبه من كندة وكلب وبنى عامر وبنى حنيفة وغيرها من قبائل العرب التى اشتد أذاها وفحش قولها له ، فقد قل نصيره ، واشتد أعداؤه ، حتى بلغ التفكير بهم الى العمل على اماتته مع من تابعه جوعا ، وكتبت بذلك صحيفة علقت فى جوف الكعبة تتضمن قطع العلاقات بين محمد وأتباعه ، وبين سائر قريش

ولقد كانت آخر تلك المكائد ونهاية السهام التى توجهها قريش الى محمد ، هو ذلك الاجتماع وتلك المؤامرة التى حدثت بدار الندوة اذ تشاوروا فى أمر محمد وكيفية الخلاص منه والقضاء عليه ، واستراحتهم من المخاوف التى ينتظرونها ، فأشار بعضهم بحبسه وتكبيله بالسلاسل والاغلال حتى ينحصر شره وتخمد نار دعوته وينساه أصحابه ، فعورض ذلك الرأى بأن أصحاب محمد لايتركونه دون أن يخوضوا غمار حرب تصطلى نارها جزيرة العرب وتدور الدائرة عليها .

وقال البعض الآخر : أخرجوه من مكة حتى تنقطع دعوته عن أهلها ويزول اتصاله بأتباعه ، فعورض ذلك الرأى أشد المعارضة لما كان يتوقعه المعارضون الذين لم ينسوا بيعتى العقبة الصغرى والكبرى اللتين أبرمهما محمد مع أهل يثرب ، وكان المعارضون يعرفون شدة الوفاء والمناصرة من أهل يثرب الذين قالوا عند العقبة الكبرى ، وهم زعماء الأوس والخزرج ، قولة صدق يفدونها بالمال والولد والنفس والنفيس : « بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » . فقد جال بخاطر المعارضين وطرقت آذانهم تلك المبايعة ، وما قطعته الأوس والخزرج على نفسها من مناصرة محمد ، والوقوف بجانبه ، والدفاع عن الحق الذى جاء به . كل هذه العوامل لم تغب عن أذهان هؤلاء المعارضين ، فاندفعوا لمعارضة هذا الرأى وقالوا : لاتخرجوه لأنه سيرجع عليكم مع أتباعه من أهل يثرب ، ويوقعون بكم شر البلاء وأعظمه .

وحينما عورض هذان الرأيان انبرى أبو جهل فى صلف وكبر وزهو ، لما عرف به بين أهله من قوة الشكيمة وشدة العارضة والخصومة لمحمد وأتباعه ، وقال : الرأى أن نجمع من كل قبيلة رجلا جليدا فيضربوه بأسيافهم ضربة واحدة ، فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على محاربة قريش كلها ، فيرضون بأخذ الدية . فانصاع الكل الى هذا الرأى ، وأخذوا يحبذونه .

وحينذاك صح العزم من الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة ، حماية للدعوة ، وأمر على بن أبى طالب أن يبيت فى مضجعه ، وأن يتسجى ببردته ، فبادر على الى طاعته ، مع اعتقاده أن القوم يتربصون الفرصة لاقتحام الدار لقتل محمد ، ولكن عليا لم يعبأ بهذه المخاطر ، بل عزم على التضحية بنفسه افتداء لمحمد ودعوته ، وصحب النبى

أبا بكر فى السير حتى دخلا غار ثـور ، ولـم يفتهما أن قريشا لابد أن تطلبهما فى غـداة اليوم الذى تركا فيه مكة ، وقـد تحقق ذلك فان قرشا ذهبت تطلبهما ، وحلقت حـول الغار الذى استترا فيه ، وفى تلك اللحظة من الزمن اشتد خوف أبى بكر على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا نزل قوله تعالى :

« إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » •

ولما اطمأنت نفسهما من خـوف قريش ، واصلا السير حتى وصلا الى المدينة التى تهيأ للقائه أهلها ، واستعدوا جميعا من يهـود ومشركين ومن آمن به من الأوس والخزرج ممن بايعوا بيعة العقبة الكبرى والصغرى ومن تابعه على الايمان •

وهنالك اشتد الزحام ، وخرج الكل يجتلى طلعة هذا القادم العظيم • وكان أول مافكـر فيه الرسول حينما دخل يثرب ، أن شرع فى بناء المسجد ، ومسكنه الذى يأوى اليـه • وطبيعى من محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعل أول تفكيره بناء المسجد الذى يـؤدى فيه الركن الأعظم من أركان دعوته ، والعماد القوى ، ألا وهو ركن الصلاة فانها عمـاد الدين وقوامه •

ثم فكر بعد ذلك فى جمع كلمة أهل يثـرب ، وازالة ما بينهم من اختلافات من أجلها اشتدت الحروب وطال أمدها ، فهو واجد أمامه الأوس والخزرج اللذين نشأت بينهما الحروب التى اختتمت ببعاث ، أكبر حرب عرفهـا الأوس والخزرج ، ووجد أمامه اليهود تحتل بقـاعا كثيرة فى المدينة وحولها ، وتحتكر التجـارة ، وغير هؤلاء وهم المهاجرون الذين تبعـوه فى الهجرة وتركوا أموالهم وأولادهم بمكـة • اذن لابد لمحمد من أن يعمل على جمع الكلمـة ومحو أسباب الخلاف •

ولقد وفق الى طريق يحقق له بعض مـا أراد ، وذلك هو طريق الاخاء بين المهاجرين والأنصار ، فقد آخى بين نفسه وبين على بن أبى طالب ، وبين عمه حمزة ومولاه زبير ، وبين أبى بكر وخارجة بن زيد ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى ، وتآخى كـذلك كل واحد من المهاجرين مع واحد من الانصار اخاء رتب عليه الرسول أحكام اخاء الـدم والنسب • وبهذه الوسيلة استطاع محمد أن يوحد بين المسـلمين القاطنين بيثرب ، واستطاع أن يقضى على الدسائس والوقيعة بين الأنصار والمهاجرين ، واستطاع أن يجعل للحرية فى العقيدة منزلة محترمة لايقدر أحد على مهاجمتها ، ولايعذب صـاحب الـرأى ولا صاحب العقيدة من أجل المخالفة وتـرك ما ورثه من التقاليد وعبادة الأوثان •

وفكر بعد ذلك أن يوثق الرابطة بيـن المسلمين واليهود حتى يأمن من شرهم على الدعوة ، فأبرم بينه وبينهم معاهدات حسن الجوار وعدم العدوان وتمكين الحرية ، وبذلك استطاع النبى أن يتفرغ لبث تعاليم الاسلام، ويوثق الروابط بين المسلمين ، ويزيد المودة بينهم والاخاء ، بتعاليمه ومثله العليا التى كان يضربها لهم بأفعاله وأقواله •

وفكر أيضا فى تمكين دعوته وبثها فى جزيرة العرب وما جاورها ، بل فكر فوق ذلك فى محو الشرك والوثنية والعمل على توحيد الله والإخلاص له ، وحدد عبادته بما فى قوله تعالى : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » •

ولم يترك الرسول أمر مكة وكفار قريش ، وكذلك لم يترك أهل مكة محمدا دون أن يعملوا على الكيد له ، وبذلك وقعت الغزوات بينه وبينهم من بدر ، وأحد ، وغيرهما ، وحصل بينه وبينهم صلح الحديبية الذى نقضت قريش ما جاء فيه وما قطعته على نفسها من عهود • ولقد كانت نتيجة النقض أن لايجد محمد بدا من القضاء على قريش ، وأن يضع الحد الفاصل ويقول الكلمة النهائية بينه وبينهم ، وذلك بأن يدخل مكة ويقرر مصير أهلها حتى يأمن شرهم وقد أعد جيشا عرمرما بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، وزحف به الى مكة قاصدا فتحها دون اراقة دم •

ولما اقترب منها خرج اليه عمه العباس بن عبد المطلب ، وسفيان بن حرب ، وبديل ، وغيرهم يستطلعون قوته ومعداته ، وينظرون الى ذلك الذى خرج من بلدهم مكرها مغلوبا على أمره بالأمس ، واذ به يعود اليوم قويا فاتحا عزيزا مكرما يحمل راية الحق والدين الذى دعاهم اليه ، فما كان منهم الا المعاندة والخصومة •

ولما استقر المقام بمحمد صلى الله عليه وسلم أخذ يستعرض صحيفة الماضى والذكريات الأليمة التى لحقته فى هذه الأمكنة من قريش ، والعذاب الذى ذاقه ولكن نفس محمد أعلى من أن ينتقم لنفسه ويثأر لها ، فقد شكر الله تعالى أن هيأ له الرجوع الى هذا البلد الأمين مكة ، أم القرى ، ومهبط وحيه ثم أخذ يطوف بالكعبة التى تشوقت نفسه اليها ، ولم ينقطع تفكيره عنها • ولما قضى طوافه وقف على باب الكعبة وتكاثر الناس حوله ، فقام فيهم خطيبا يتلو عليهم كتاب الله ، ويبين لهم حدوده وتعاليمه ، وأوامره ونواهيه ، ثم تلا عليهم قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » • ثم سألهم بعد ذلك فقال : يامعشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم • قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء •

لقد عفا محمد صلى الله عليه وسلم عن الأعداء بعد أن ملك ناصية أمرهم ، واستولى على أرواحهم ، وأموالهم ، وما ذلك الا لأنه قد وصل الى غايته ، وأدى رسالة ربه ، فليس فى نفسه حفيظة أو غيظ ، أو حقد أو حسد ، لأن روحه العالية قد سمت فوق الحفيظة والغيظ ، والحقد والحسد •

من أجل هذا كله كانت الهجرة وبواعثها من الأمور الجسيمة التى تحول الاسلام بسببها من حالة الركود والمعارضة بمكة ، الى حالة النشاط والجد والعمل بالمدينة : وهكذا كان الضرر والأذى والعنت الذى لحق النبى صلى الله عليه وسلم بمكة حتى أجلاه عنها سببا فى الخير ، ونصرة الحق ، واعلاء كلمة الله •

اللغة والأدب والنقد

بحوث من الماضي القريب

الهجرة والمهاجرون في القرآن

الفصل بين المضاف والمضاف إليه

بحوث من

من روائع الماضى القريب

حلقات الأدب فى الفسطاط

كانت (١) مدينة الفسطاط منذ القرن الثانى للهجرة مركز للتفكير والآداب ، يحج اليه كثير من أعلام المشرق • وكانت مصر قد أخذت تتبوأ مكانتها الفكرية والأدبية بين الأمم الاسلامية ، منذ استقرت شئونها السياسية فى ظل الدولة العباسية • ولم تكن مصر منذ افتتحها الاسلام اكثر من ولاية تابعة للخلافة ، ولكنها كانت بين ولايات الخلافة أشدها احتفاظا بشخصيتها وألوانها القومية •

وكانت منذ البداية تأخذ بنصيبها فى بناء صرح التفكير الاسلامى • ولكنها كانت تشق فى هذا الميدان طريقها الخاص • وكانت منذ الفتح مركزا هاما للسنة والرواية يحتشد فيها جماعة كبيرة من الصحابة الذين اشتركوا فى الفتح والتابعين الذين عاصروهم (٢) • وفى القرن الأول أيضا وضعت بذور الحركة الادبية فنمت وأزهرت بسرعة ، حتى أنه يمكن القول أن مصر كانت منذ القرن الثالث قد كونت أدبها العربى الخاص ، ولم يأت القرن الرابع حتى كان هذا الادب يتميز بخواصه المصرية القوية عما عداه من تراث التفكير العربى فى المشرق والاندلس •

وكانت الفسطاط عاصمة الاسلام فى مصر منذ قيامها عقب الفتح سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى منتصف القرن الرابع • وقد قامت بجوارها مدينتا العسكر والقطائع دهرا (٣) ولكن العسكر كانت مركزا للامارة والادارة فقط، وكانت القطائع، وهى مدينة بنى طولون مدينة «بلاط» فقط ، أما الفسطاط فكانت قلب الاسلام النابض فى مصر ، ومهد التفكير والآداب فى تلك العصور • وحتى بعد أن قامت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) لم تفقد الفسطاط أهميتها الفكرية والأدبية • بل لبثت بعد ذلك عصورا تشتهر بحلقاتها ولياليها الأدبية وكانت هذه الحلقات والليالى الأدبية من محاسن الفسطاط،

---

(١) الرسالة ــ السنة الاولى ــ العدد الاول ص ١٥

(٢) يفرد ابن عبد الحكم فصلا طويلا لذكر الصحابة الذين دخلوا مصر وروى أهل مصر عنهم (فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ وما بعدها)

(٣) مدينة العسكر اقامها الجند العباسيون فى شمال الفسطاط سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) ومدينة القطائع أنشأها أحمد بن طولون بجوار الفسطاط مما يلى الشمال أيضا سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م)

للأستاذ محمد عبد الله عنان
رحمه الله

يشيد بأهميتها وجمالها أدباء المشرق والمغرب الوافدين على مصر . وكانت فى الواقع نوعا من الأبهاء الأدبية Salans يجتمع فيها الأدباء والشعراء ، للقراءة والسمر والجدل والمساجلة ، وكانت مهاد اللقاء والتعارف بين الأدباء المحليين والنزلاء الوافدين من عواصم الاسلام الأخرى .

وقد بدأت هذه الحلقات الأدبية فى الفسطاط منذ القرن الأول . ولكنها كانت فى بدايتها دينية فقهية ، وكانت لها أهميتها فى تمحيص السنة والرواية . وكانت تجمع بين جماعة من أقطاب الفقهاء والحفاظ والمحدثين الذين يعتبرون فى الطبقة الأولى بين فقهاء الاسلام ورواة السنة، مثل يزيد بن حبيب ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب (١) ثم الشافعى وأصحابه .

ثم اتخذت هذه الحلقات طابعا أدبيا ، فكان يمزج فيها بين الكلام والأدب ، وكان معظم فقهاء هذا العصر أدباء أيضا يأخذون من الأدب بحظ وافر ، ولبعضهم فى النثر والشعر براعة خاصة . ونستطيع أن نذكر من هؤلاء الامام محمد بن إدريس الشافعى قطب الشريعة وحجة التشريع ، فقد كان أيضا أديبا مبرزا له فى الشعر والنثر محاسن وروائع ، وكذلك « آل عبد الحكم » الذين نذكرهم بعد ، وأبو بكر الحداد قاضى مصر ، والحسن بن زولاق المؤرخ، فقد كان هؤلاء جميعا من كبار الفقهاء والأدباء وكان الفقه والحديث والأدب (كل) يمتزج معا فى مجالسهم وأسمارهم . ولعل أبهى حقبة فى هذه الحلقات الشهيرة فى تاريخ الفسطاط (كانت) مستهل القرن الثالث الهجرى ففى ذلك الحين كان الامام الشافعى نزيل الفسطاط وكان مدى الاعوام التى قضاها بمصر منذ قدومه اليها فى أواخر سنة ١٩٨ هـ (٢) (٨١٣ م) حتى وفاته فى رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) قطب الحركة الفكرية فيها وكعبة الصفوة من فقهائها وأدبائها يجذبهم اليه غزير علمه ورفيع أدبه ، وبارع خلاله .

وكانت حلقات الفسطاط شهيرة قبل مقدمه ولكنه أسبغ عليها بهاء وسحرا وروعة ، **وكان أبو تمام الطائى الشاعر الأكبر اذا صحت الرواية عن مقدمه الى مصر صبيا واشتغاله بسقى الماء فى المسجد الجامع يغشى هذه**

---

(١) توفى يزيد بن حبيب سنة ١٢٨ هـ والليث ابن سعد سنة ٣٧٥ هـ وعبد الله بن وهب سنة ١٩٧ هـ .

(٢) هذه هى رواية الكندى (امراء مصر ص ١٥٤) . ولكن ابن خلكان يقول ان مقدم الشافعى الى مصر كان فى أوائل سنة ١٩٩ (١ ص ٥٦٦) ورواية الكندى أرجح فى نظرنا .

المجالس الأدبية فى حداثته وفيها تفتحت مواهبه الأدبية والشعرية والظاهر أنه كان طبقا لهذه الرواية يقيم فى الفسطاط فى خاتمة القرن الثانى أو فاتحة القرن الثالث أعنى فى نحو الوقت الذى كان فيه الشافعى نزيلها (١) ٠

وكانت أشهر هذه الحلقات أو الابهاء حلقة بنى عبد الحكم ، وهم أسرة مصرية نابهة كثيرة المال والوجاهة (٢) أنجبت عدة من كبار الفقهاء منهم عميد الأسرة عبد الله بن الحكم المصرى ٠

وهو من أقطاب الفقه المالكى أولاده محمد وسعد ابنا عبد الحكم وكلاهما فقيه ومحدث كبير ، وعبد الرحمن بن عبد الحكم أقدم مؤرخ لمصر الاسلامية (٣) ٠ وقد كان بنو عبد الحكم منذ القرن الثانى أعلام الفقه والتفكير والأدب فى مدينة الفسطاط وكانت دارهم كعبة العلماء والأدباء ومنتدى للدراسات والاسمار الأدبية الرفيعة ٠ وكانت حلقاتهم العلمية والأدبية تجذب أكابر العلماء الوافدين الى مصر من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، فلما قدم الامام الشافعى الى مصر كان بنو عبد الحكم أول من استقبله وأكرم وفادته ، وأمدته الأسرة النابهة بالمال ونظمت له سبل الاقامة والدرس ، وكانت أول من انتفع بعلمه وأدبه (٤) وبث مقدم الشافعى فى آداب الفسطاط روحا جديدة ، واشتهرت مجالسه وحلقاته الفقهية والأدبية ٠ وكانت حقبة علمية أدبية زاهرة (١٩٨ — ٢٠٤ هـ) ٠

وكانت حلقات المسجد الجامع الى جانب الحلقات الخاصة ، أشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة ، وكان المسجد الجامع أو جامع عمرو منذ انشائه سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) قلب الفسطاط الفكرى وكانت تعقد فيه مجالس القضاء الأعلى كما كانت تعقد مجالس الفقه والأدب الخاصة ٠ وصحن المسجد الجامع شهير فى تاريخ الفسطاط الأدبى ، وقد كان مدى قرون ندوة فكرية أدبية جامعة ، وكانت بين جدرانه توجه حركة التفكير والآداب فى مصر الاسلامية ٠ ويبدو مما كتبه مؤرخو الفسطاط فى هذا العصر أن هذه الحلقات كانت دورية وكانت منظمة برغم صفتها الخاصة ٠ وأنها كانت تعقد كل يوم تقريبا فى المسجد الجامع ٠ ولكن الظاهر أن أهمها ما كان يعقد فى عصر يوم الجمعة ، وأن مجالس الجمعة كانت تعتبر كموسم أسبوعى يغص المسجد فيه بجمهرة الفقهاء والأدباء والقراء والنظارة ٠ وفيها كانت البحوث الكلامية والمناظرات الأدبية ٠ والمطارحات الشعرية والرواية التاريخية تنظم فى حلقات فرعية أو متعاقبة (٥) ٠

---

(١) راجع ابن خلكان فى ترجمة ابى تمام (١ ص ٣١٢) ٠

(٢) ابن خلكان فى ترجمة عبد الله بن الحكم (١ ص ٣١٢) ٠

(٣) توفى عبد الله بن الحكم سنة ٢١٤ هـ وتوفى ولده عبد الرحمن سنة ٢٥٧ هـ وابنه محمد سنة ٢٦٩ هـ ٠

(٤) ابن خلكان (١ ص ٣١٢) ٠

(٥) راجع فى الاشارة الى حلقات عصر الجمعة بالمسجد الجامع — ابن زولاق فى كتاب أخبار سيبويه المصرى (الصورة الفوتوغرافية للخطوط المحفوظ بمعرض الكتب وهى رقم ٤١٢٠ تاريخ) ص ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧

وكانت هذه الحلقات الأدبية الشهيرة تتأثر بتطور السياسة والأهواء السياسية..اذ كانت موئل التفكير والدعـــوة الى مختلف المذاهب الفقهية والأدبية . ففي سنة ٢٢٦ هـ مثلا أمـــر محمد بن أبي الليث قاضي قضاة مصر تنفيـــذا لرغبة الخليفة الواثق بالله ، بالقبض على جميع الفقهاء والمحدثين والأدباء باسم الامتحـــان فى مسألة (خلق القرآن) وهى المعروفة بالمحنة فملئت السجون بالمنكرين لخلقه من العلمـــاء والأدباء .وأغلق المسجد الجامع فىوجه المالكية والشافعية ، وفضت حلقاتهم العلمية والأدبية ومنعوا من زيارة المسجد ، ومن بث آرائهـــم ونظرياتهم (١) وأخذ بنو عبد الحكم فوق أخذهم بالمحنة بتهمة أخرى ، هي تبديد أموال طائلـــة ائتمنوا عليها من على ابن عبد العزيز الجروى، وهو زعيم خارج تغلب حينا على بعض نواحى مصر ثم أخمدت ثورته ، واتهم بالخيانة ،وقضى بمصادرة أمواله، فاتهم باخفائها بنو عبد الحكم، وقبض عليهم وعذبوا واستصفيت أموالهم أداء لما قضى به وتوفى بعضهم فى السجن (ســـنة ٢٣٧ هـ) ثم أفرج عنهم بعد ذلك ، ولكن هذه المحنة ذهبت بوجاهة الأسرة النابهة وجاههـــا وهيبتها (٢) فاضمحل نفوذ هذه الفكـــــرة (٣) وتضاءلت أهمية هذه الحلقات الأدبية الباهرة التى اشتهرت بتنظيمها وعقدها زهاء نصـــــف قرن. وفى نفس هذا العام أمر الحارث بن مسكين قاضى القضاة بمطاردة الفقهاء الحنفيـــــة والشافعية واخراجهم من المسجد الجامع وقطع أرزاقهم وحظر اجتماعاتهم (٤) .

وهكذا شـــتت شـــمل المجتمع الفـــكرى فى الفسطاط حينا وانزوت حلقاتها الأدبية الزاهرة حتى منتصف القـــرن الثـــالث ولكنها عـــادت فانتظمت وازدهرت واستعاد المســـجد الجامع هدوءه وســـكينته وردت حـــرية الاجتمـــاع والدرس . وجاءت الدولة الطولونية (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ) (٨٦٨ ـ ٩٠٥ م) فأزهرت فى ظلهـــا الآداب والفنـــون وكان أحمد بن طولون أميرا مستنيرا يحب العلوم والآداب ويرعاها بتعضيده وحمـــايته ، ويجل مجالس العـــلم وحلقـــات الأدب (٥) . وكانت الفســـــطاط ومســـجدها الجامع أيضا مثوى الحلقات والمجالس العلمية والأدبية فى هذا العصر ، لأن مدينة القطـــائع التى شـــيدها ابن طولون لم تكن كما قدمنـــا سوى مدينة بلاط وبطانة . ونبغ فى هذه الحقبة القصيرة عدد كبير من الأدباء والشعراء ، وبكت دولة الشـــعر دولة بنى طولون عند ذهـــابها أيما بكاء ، فقال شـــاعرها سعيد القـــاص من قصيدة طويلة رائعة :

طوى زينة الدنيـــا ومصباح أهلهـــا
بفقد بنى طولون والأنجم الزهـــر

وفقد بنى طـــولون فى كـــل موطن
أمر على الاســـلام فقدا من القطر

تذكرتهم لمـــا مضـــوا فتتابعـــوا
كما ارفض سلك من جمان ومن شذر

---

(١) الكندى تسمية قضاة مصر ـ ص ١٢٧
(٢) الكندى ـ كتاب القضاة ـ ص ١٣٧ و ١٣٨
(٣) كذا ، ويبدو انه خطأ مطبعى وأن الصحيح

هو .. (الاسرة)
(٤) الكندى ـ كتاب القضاة ـ ص ١٤٢
(٥) ابن خلكان ـ ١ ص ٦٩ .

فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله
لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وفى أوائل القرن الرابع كانت الفسطاط تضم جماعة كبيرة من أقطاب المفكرين والأدباء وكانت أبهاؤها ومجالسها الأدبية حافلة زاهرة • ففى تلك الفترة اجتمع من زعماء التفكير والأدب أبو القاسم بن قديد وتلميذه أبو عمر الكندى مؤرخ الولاة والقضاة وأبو جعفر النحاس المصرى الكاتب الشاعر ، وأبو بكر الحداد قاضى مصر ، وأبو القاسم بن طباطبا الحسينى الشاعر ، وأبو بكر بن محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى ، والحسن بن زولاق المؤرخ الأشهر (١) وكثيرون غيرهم ، فكان لاجتماع هذه الصفوة العلمية والأدبية البارزة فى هذه الفترة أثر كبير فى ازدهار الحركة الفكرية بمصر فى أوائل القرن الرابع • فكانت حلقات الأدب فى أوج نشاطها وكان المسجد الجامع يومئذ جامعة حقة يموج بهذه الاجتماعات العلمية والأدبية الشهيرة • وكانت دولة التفكير والأدب فى بغداد قد أخذت فى الضعف والاضمحلال وأخذت مصر تتأهب للقيام بدورها فى رعاية التفكير الاسلامى فى المشرق وكان بنو الأخشيد (محمد بن طغج) وولداه (أنوجور) و (على) ثم وزيرهم الخصى النابه (كافور) — مدى دولتهم التى استمرت زهاء ثلث قرن (سنة ٣٣٤ — ٣٥٨ هـ) (٩٣٥ — ٩٦٩ م) — حماة للعلوم والآداب • وقد انتهى الينا من آثار الحسن بن زولاق المؤرخ ، أثر هام يلقى ضياء على تاريخ الحركة الأدبية المصرية فى هذا العصر وهو كتاب « أخبار سيبويه المصرى » وهو أبو بكر بن موسى الذى سبقت الاشارة اليه وقد كان صديقا لابن زولاق وزميلا له فى الدرس على ابن الحداد (٢) وكانت له أخبار وملح ونوادر أدبية طريفة عنى ابن زولاق بجمعها فى هذا الكتاب • وفى دار الكتب نسخة خطية وحيدة من هذا الأثر لاريب أنها من أقدم المخطوطات العربية التى وصلت الينا بل لقد انتهينا فى تحقيق شأنها الى أنها أقدم مخطوط أدبى مصرى وصل الينا وأنها من آثار عصر الفسطاط ذاته وبخط ابن زولاق نفسه (٣) •

وفى أثر ابن زولاق هذا اشارات كثيرة الى حلقات الفسطاط الأدبية فى عصره أعنى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى •

(١) توفى ابن قديد سنة ٣١٢ هـ وأبو عمر الكندى سنة ٣٥٠ هـ وأبو جعفر النحاس سنة ٣٣٨ هـ وأبو بكر الحداد سنة ٣٤٥ هـ وسيبويه المصرى سنة ٣٥٨ هـ والحسن بن زولاق سنة ٣٨٧ هـ •

(٢) راجع السيوطى — حسن المحاضرة — ج ١ ص ٢٥٤ وراجع بحثى عن الحسن بن زولاق فى ملحق السياسة الادبى عددى (٢٨٤٦و٢٩٠٦) •

(٣) راجع تحقيقا مستفيضا قمت به فى شأن هذا المخطوط مؤيدا بالوثائق والادلة الخطية والتاريخية وقد نشر مع صور فتوغرافية لهذه الوثائق فى ملحق السياسة الادبى عدد ٢٧٨٥ • سيبويه (٩من المخطوط وما بعدها) واعتقد ان فى هذه الابيات تحريفا يرجع الى صعوبة القراءة نظرا لقدم المخطوط وتخريمه فى مواضع كثيرة ، ولكن معانيها ظاهرة متناسقة •

ويبدو من سياق كلامه أن المسجد الجامع كان مثوى لأهم هذه الحلقات وأشهرها وأنها كانت ــ كما قدمنا ــ دورية منتظمة تعقد على الأغلب فى عصر يوم الجمعة وتجمع بين الفقهاء والأدباء وينعقد فيها الجدل الكلامى والحوار الأدبى والسمرى •

والظاهر أيضا أن هذا الجدل أو الحوار كان ينتهى أحيانا الى بعض ما ينتهى اليه فى عصرنا من مرارة واتهام وتراشق • وأن بعض المفكرين الأحرار كانوا ينقمون من عصرهم ما ننقم من عصرنا أحيانا من اعتداء على حرية الرأى والبحث ، وأن بعضهم كان يرمى بتهم المروق والالحاد اذا أطلق لنفسه حرية البحث والرأى على نحو ما يشير اليه سيبويه المصرى فى قوله من قصيدة أوردها ابن زولاق :

أَمَّا سبيل اطراح العلم فهو على
ذى الاب أعظم من ضرب على الراس
فَإِنْ سَلَكْتَ سبيل العلم تطلبه
بالبحث أبت بتكفير من الناس
وَإِنْ طَلَبْت بلا بحث ولا نظر
لَمْ تُضْحِ منه على ايقان ايناس
وانبذ مقالة من ينهاك عن نظر
نبذ الطبيب بذل القرحة الآسى (٣)

وهذه ظاهرة فكرية خطيرة يسجلها الشاعر المصرى على عصره أعنى أوائل القرن الرابع (حول سنة ٣٢٠ ــ ٣٤٠ هـ) وهى تدل على أن الجدل العلمى والأدبى كان يرتفع يومئذ الى مرتبة الايمان والعقيدة أحيانا وينحدر أحيانا أخرى الى درك التراشق والمهاترة •

كذلك هنالك فى قول الشاعر ما يدل على أن بعض المفكرين والأدباء كانوا يؤثرون الصمت على الجهر بآرائهم خيفة الاتهام والوقيعة •

وقد كانت حلقات المسجد الجامع بلا ريب أهم الحلقات الأدبية العامة ولكن هناك فى أقوال ابن زولاق ما يدل على أنها كانت تعقد أيضا فى بعض المساجد الأخرى • فمثلا كان الشاعر الأكبر أبو الطيب المتنبى الذى وفد على مصر سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ليستظل بحماية بنى الأخشيد يجلس فى مسجد يعرف بمسجد ابن عمروس وهناك يجتمع اليه الأدباء والشعراء ، وكانت حلقة المتنبى بلا ريب من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة فى هذا العصر (١) •

هذا وأما عن الحلقات والابهاء الخاصة فيشير ابن زولاق الى المجالس العلمية والأدبية التى كان يعقدها محمد بن طغج (الأخشيد) وولده (أنوجور) (٢) ثم مجالس الوزيرين ابن الفضل جعفر بن الفرات والحسين بن محمد الماردانى (٣) •

والظاهر أن هذه المجالس والحلقات الأدبية كانت يومئذ من تقاليد الحياة الرفيعة ، وكانت نوعا من الترف الذى يأخذ به الأمراء والعظماء والأسر الكبيرة فان لهم جميعا على نحو مابينا فى سير الأبهاء الأدبية فى تلك العصور أكبر نصيب وذكر ، ويرجع اليهم فى اقامتها ورعايتها أكبر الفضل •

البقية فى العدد التالى

د• ع • خ

---

(١) راجع ص ٤٨ و ٤٩ •
(٢) راجع ص ٣٦ من المخطوط •
(٣) راجع ص ٣٢ و ٤٠ من المخطوط •

مع رسالة جامعية
الهجرة والمهاجرون في القرآن والسنة

هذا عنوان الرسالة التى حصل بها الباحث/ محمد ابراهيم عبد الرحمن — المدرس المساعد بكلية التربية جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها . على درجة الماجستير فى الآداب تخصص الدراسات الاسلامية من كلية البنات جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز (١) .

وهذه الرسالة أشرف عليها كل من : الاستاذ الدكتور ابراهيم ابراهيم هلال أستاذ الدراسات الاسلامية بكلية البنات جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور/سعد أحمد دعبيس رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة عين شمس وشرفت بمناقشة كل من : الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ الدراسات اللغوية بكلية آداب عين شمس والأستاذ الدكتور مصطفى محمد حلمى أستاذ ورئيس قسم الفلسفة والعلوم الاسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

**** تتكون الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :**

* أما المقدمة فقد أشار فيها الباحث الى بواعث اختيار هذا الموضوع وضرورة البحث فيه فى علوم القرآن والسنة ، كما أشار الى أثر الهجرة النبوية فى تغيير وجه الحياة ، وأثر المهاجرين فى سبيل الله فى رفع راية الاسلام .

واستفاد من المخطوطات ولاسيما مخطوط « الهجرة » للامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل واستفادت الرسالة من كتب الامام ابن قيم الجوزية وكتب التاريخ الاسلامى وقصص الأنبياء والسيرة النبوية الشريفة الى جانب العديد من المراجع الحديثة وكتب السنة.

*** الفصل الأول وعنوانه : مفهوم الهجرة وأنواعها :**

وتتبع هذا الفصل مادة الهجرة فى أشهر المعجمات العربية ، ثم اتجه الى أنواع الهجرة فقسمها الى قسمين متميزين :

الأول : الهجرة طلبا أو هربا .

والثانى : الهجرة الى الله ورسوله .

ومن النتائج التى أبرزها هذا الفصل مايلى :

١ — الهجرة فى معناها الاصطلاحى لاتخرج عن أصلها اللغوى كما استخدمه العرب — اللهم الا فى زيادات ومعان هى فى الواقع تأكيد

---

(١) ما ورد بهذه الدراسة هو جهد الباحث وفكره .. فهى قابلة للنقد من اى متخصص .. مجلة الازهر .

عرض وتقديم
صفوت عبد الجواد

لهذا الأصل اللغوى الذى هو الترك والتحول أو الانتقال من أرض الى أخرى ، وترك الأولى للثانية بنية الاقامة فيها .

٢ ـ الهجرة كما هى متعارف عليها : انتقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشخصه وأصحابه ودعوته من مكة المكرمة الى مدينته (يثرب) حينما ائتمر أهل مكة بدمه ، وتربصوا به الدوائر بعد أن أعيتهم الحيل فى أثنائه عن دعوته .

٣ ـ كانت الهجرة واجبة على المسلمين حتى فتح مكة فانتهى هذا الوجوب لقوله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » ولكن بقيت هجرتان واجبتان :

(أ) هجرة المحرمات لقوله ﷺ : « ... والمهاجر من هجر مانهى الله عنه » وقوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَتَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَتَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » سورة الانعام (١٥١ ـ ١٥٣)

(ب) هجرة أهل المعاصى أى تركهم حتى يرجعوا تأديبا لهم .

٤ ـ الهجرة تكون اما طلبا واما هربا ، فالهجرة طلبا كالهجرة لطلب الدين والسفر للعبرة والاتعاظ ، والهجرة لطلب العلم ، والكسب والتجارة وغيرها . أما الهجرة هربا كالهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام .

والهجرة حذر المرض ... الخ .

٥ ـ انتشر فى ربوع الجمهورية العربية اليمنية كثير من القرى التى تسمى بالهجرات ، ويرجع السر فى تسميتها بذلك الى أن من كان يهاجر اليها لتلقى العلم يسمى مهاجرا لطلب العلم .

٦ ـ الهجرة من المعصية الى الطاعة من أهم أنواع الهجرة .

٧ ـ واجب على كل مسلم أن يهاجر الى الله ورسوله ، وتتمثل هذه الهجرة فى الوفاء

بعهد الله سبحانه وتعالى وعبادته وطاعة رسوله ﷺ واتباع سنته •

٨ ــ هجرة المسلمين الكبرى هى قيادة الانسانية الى الله ، قيادتها الى التوحيد لايجاد مؤمن موحد بالله ولن يتأتى هذا الا اذا بدأ كل مسلم بنفسه فزكاها

٩ ــ تتضمن الهجرة الى الله تعالى هجران كل مايكرهه سبحانه واتيان كل مايحبه ويرضاه لأن المهاجر اليه لابد وأن يكون أحب الى النفس من المهاجر منه •

١٠ ــ الفرار الى الله والهجرة اليه من صفات المؤمنين الصادقين فهم يفرون الى الله ، ويهاجرون اليه فى كل يوم وفى كل وقت فهو هدفهم وغايتهم فى كل أعمالهم.

١١ ــ تمثل الجوانب الروحية معنى من معانى الهجرة ، فالعبادات الاسلامية على تعددها واختلافها انما هى تنسيق وتنظيم لأنواع وألوان من الهجرة الى الله ، فالصلاة هجرة من البيئة والجو والمادة الى الوقوف بين يدى الله ومناجاته لحظة من الزمن فهى هجرة الى الله • والزكاة انفصال عن جزء من المادة تقربا الى الله تعالى فهى ذهاب وهجرة اليه •

١٢-ان الصورة التامة الكاملة للهجرة الاسلامية الكبرى ، انما تتمثل فى أروع مظاهرها فى قوله تعالى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ »

وقوله ﷺ : « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » •

والفصل الثانى وأسماه الباحث : « الهجرة فى القرآن والسنة » :

اشتمل هذا الفصل على احصاء لنصوص القرآن الكريم التى تضمنت مادة الهجرة وأسفر البحث عن ورود مادة الهجرة فى سبعة وعشرين موطنا من مواطن التنزيل الحكيم قسمها الباحث الى محورين رئيسيين :

المحور الأول : ويمثل الاتجاه الحسى أو الهجرة الحركية : وتضمن هذا المنحى احدى وعشرين آية من آى القرآن الكريم وعالج ــ من خلالها ــ الباحث الاحكام الآتية :

١ ــ اقتران الهجرة بالايمان والجهاد •

٢ ــ ثواب المهاجرين والانصار •

٣ ــ مقاييس الايمان الصادق •

٤ ــ الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان

٥ ــ نسخ حكم التوارث بالهجرة •

٦ ــ هجرة النساء وأحكامها •

والمحور الآخر : وهو الجانب المعنوى للهجرة وبلغت آيات هذا النوع ست آيات من آى القرآن الكريم قسمها الباحث الى الأحكام الآتية :

١ ــ أحكام هجر الزوجة التى يخشى نشوزها •

٢ ــ البعد الزمنى للهجرة •

٣ ــ حكم هجر القرآن الكريم •

٤ ــ هجر المشركين وأفعالهم •

ومن النتائج التى ابرزها هذا الفصل :

أولا : المهاجرون والأنصار أحق الناس

بأجزل الثواب وأعظمه لما تحملوا فى سبيل رفعة هذا الدين ٠

ثانيا : تجب الهجرة على المؤمن من دار الشرك الى دار الايمان فى أى زمان تنتهك فيه حرمة عقيدته ، ولا يستطيع حماية نفسه أو الدفاع عن دينه ٠

ثالثا : كان التوارث بالهجرة فى بداية الأمـــر حكمـا مؤقتا لعلـــة عارضة ثم نسخ هذا الحكم عندما زالت دواعيه ٠

رابعا : تناولت مادة الهجرة تشريـــع الأحكام لعقاب الزوجة التى يخشى نشوزهـا فى أسلوب ورقة تعامل حتى يستأصل المرض قبل أن يستفحل ويصعب علاجه

خامسا : أدت المرأة دورا كبيرا فى الهجرة وتحملت ما تحمله الرجال فى قوة عقيـــدة وسلامة ايمان ، فتركن أزواجهن فى الشرك حبا فى الله ورسوله فعوضهن الله خيرا ٠

وأما الفصـــل الثالث ــ وعنوانه المهاجرون فى القرآن والسنة ٠

فقد اشتمل على تمهيد بين فيه الباحث أهمية هذه الهجرات وضرورتها لبقاء الدعوة، ثم تناول فيه الباحث نماذج من هجـــرات الأنبياء فى القرآن الكريم ومن هذه النماذج

١ ــ هجرة الخليل ابراهيم عليه السلام ٠

٢ ــ هجرة لوط عليه السلام ٠

٣ ــ هجرة موسى عليه السلام ٠

٤ ــ هجرة يونس عليه السلام ٠

وعولجت هذه الهجرات بشىء من التفصيل الذى يبين أماكن هذه الهجرات ومعزاها وأثرها ونتائجها لنصل فى النهاية الى أن هجـــرة المصطفى ﷺ لم تكن بدعا بين الرسل ٠

وأما الفصل الرابع فعنوانه ــ « الهجـرة الأولى فى الاسلام ــ هجرتا الحبشة » :

وفيه عولجت المباحث التالية :

أولا : موقف قريش من الدعوة الاسلامية٠

ثانيا : اختيار بلاد الحبشة مكانـــا للهجرة ٠

ثالثا : هجرة المسلمين الأولى الى الحبشة واستقبال النجاشى لهم ٠

رابعا : رجوع مهاجرى الحبشة الى مكة وأسبابه وعلاقة ذلك بحديث الغرانيق ٠

خامسا : الهجرة الثانية الى الحبشة ٠

سادسا : وقفات مع هجرتى الحبشة ٠

وأما الفصل الخامس والأخير وعنــوانه : « الهجرة النبوية ونماذج المهاجرين » ٠

وتعرض الباحث القضايا التالية :

أولا : الدعوة فى الطائف ٠

ثانيا : حتمية الهجرة وأسبابها

ثالثا : نماذج المهاجرين وأختار الباحثعلى سبيل التمثيل : هجرة آل أبى سلمة ، وهجرة صهيب رضى الله عنه ، وهجرة عمر وأصحابه رضوان الله عليهم ٠

رابعا : موقف قريش من هجرة الرســول صلى الله عليه وسلم ٠

خامسا : خطــة الهجرة النبوية ووصــوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ٠

سادسا : حكومة الرسول فى المدينة وعالج الباحث فى هذه القضية المباحث الآتية :

١ ــ بنـــاء المسجد ٠

٢ ــ المؤاخاة بين المهاجرين والانصار

٣ ــ وثيقة اليهـــود ٠

وأما الخاتمة فتضمنت أهداف الدراســـة ونتائج البحث التى توصل اليها الباحث ٠

بقية

ومطبوخ شحمه بالقليل من العسل ودهانه كمرهم والاكتحال به يقطع التهابات العين •

الزنجبيل :

قال تعالى :

« وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً »

الانسان (١٧/٧٦) •

وقد ضربت العرب المثل بالزنجبيل مضروبا بالخمر ممذوقين معاً • راجع الكشاف للزمخشرى (٢/٥١٢) والقرطبى (١٩/١٤٠) ولسان العرب لابن منظور (١٣/٣٣٢) بنحوه ونحن فى التداوى نحذر طبعا من مذقه بالخمر لأن هذا منهى عنه على سبيل التحريم ، وما جعل الله شفاء الأمة فيما حرم عليها كما قال سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم (١) •

وقد ورد أن ملك الروم قد أهدى الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جرة زنجبيل ، فأطعم كل انسان قطعة وأطعمنى قطعة » وراوى الحديث هو أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وعليه عاد الضمير (وأطعمنى) (٢) •

والزنجبيل مفيد للكبد الضعيف كما يساعد على تحليل البلاغم واذابتها وطردها •

يتبع

---

(١) الصحيح الوارد فى ذلك عن ابن مسعود قال : ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم ١٠ هـ صحيح البخارى باب شراب الحلواء والعسل ••• مجلة الازهر •

٢ — لم نقع على هذا الحديث وليس موجودا بمسند ابى سعيد الخدرى عند الامام احمد وما عثرنا عليه بمسند انس بن مالك رضى الله عنه قال : اهدى الاكيدرلرسول الله صلى الله عليه وسلم جرة مِنْ مَنّ فلما انصرف رسول الله ﷺ عليه وسلم من الصلاة مر على القوم فجعل يعطى كل رجل منهم قطعة •• الحديث •• مسند احمد ٣ / ١٢٢ — الميمنية •

الفصل بين
المضاف والمضاف اليه

للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله

الاضافة بين اسمين نسبة تقييـــدية توجب لثانيهما الجر أبدا ، وهى ضربان :
(أ) غير محضة ، وهى اللفظية نحو قارىء القرآن حسن الصوت ، ولاتفيد هذه الاضافة تعريفا أو تخصيصا ، لأن الغرض منها مجرد التخفيف كاضافة اسم الفاعل لمعموله فى المثال الأول ، أو رفع القبح كالمثال الثانى ، لأن فى رفع الصوت قبح خلو الصفة عن ضـــمير الموصوف ، وفى نصبه قبح اجراء وصف القاصر مجرى المتعدى ، وفى الجر بالاضافة تخلص منهـــا .

(ب) محضة . وهى المعنوية التى تفيـــد تعريف المضاف ان كان المضاف اليه معرفا نحو كتاب خالد ، وتخصيصه ان كان المضاف اليه منكرا نحو ثوب رجل وصوت امرأة .

وانما يضاف الاسم الى غيره لكونه مختصا به نحو باب الدار أو مملوكها له نحو مـــال محمد ، وتكون الاضافة حينئذ على معنى اللام، أو لكون المضاف اليه ظرفا للمضاف كقوله تعالى « **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** » (١) فتكون الاضافة فى ذلك على معنى فى ، أو لكونه جزءا منه نحو خاتم فضة وباب ساج ، فهى على معنى من .

وقد تكون الاضافة لأدنى ملابسة كقـــوله تعالى : « **لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** » (٢) فقد أضيفت الضحى الى ضمير العشـــية ولاعلاقة بينهما سوى كونهما طـــرفين لشىء واحـــد .

هذا . والمضاف اليه فى التركيب الاضـــافى متمم للمضاف ويتنزل منه منزلة التنوين ، وكما

١ ــ الآية ٣٣ من سورة سبأ .

٢ ــ الآية ٤٦ من سورة النازعات .

لايجمع بين التنوين وأل ـ لايجمع بين الاضافة وأل »(١)

ومن ثم كان الفصل بين المضاف والمضاف اليه خلاف الاصل ، ولايجوز الا فى ضرورة الشعر بالظرف أو الجار والمجرور ، هذا هو مذهب جمهور البصريين ٠

قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : ولايجوز ياسارق الليلة أهل الدار الا فى شعر كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور (٢) أ ٠ هـ (٣)
ومنع أبو على الفارسى (٤) (ت ٣٧٧ هـ) حذف نون غلامين فى قولهم : لاغلامين ظريفين لك ، لما يلزمه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه بصفة المضاف ٠

وقد عقب عليه الشيخ عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) بقوله : وليس فى الكلام مضاف قد فصل بينه وبين المضاف اليه بصفته ، لاتقول : رأيت غلامى الظريفين زيد ، تريد غلامى زيد الظريفين وانما يجىء الفصل بالظرف نحو ماتقدم من قـوله :

كـأن أصواتِ من إيغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريج (٥)

ويكون ذلك فى ضرورة الشعر أيضا أ هـ (٦)»

وقد عده ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قبيحا وإن كان فى ضرورة الشعر اذ قال : والفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف وحرف الجر قبيح كثير ، لكنه من ضرورات الشاعر أ هـ (٧) وقد احتج لكثرته فى الشعر بأبيات منها بيت ذى الرمة المتقدم وقول أبى حية النميرى :

كما خط الكتاب بكف يوما
يهودى يقارب أو يزيل (٨)

وفيه الفصل بين المضاف الذى هو كف والمضاف اليه الذى هو يهودى بالظرف (يوما) لضرورة الشعر ، ومن ذلك قول درنا بنت عبعبة الجحدرية :

هما أخوا فى الحرب من لا أخاله
اذا خاف يوما نبوة فدعاهما (٩)

وفيه الفصل بين المضاف الذى هو أخوا والمضاف اليه الذى هو من بالجار والمجرور (فى الحرب) لضرورة الشعر ٠
ومن الفصل بغير الظرف قول الشاعر :

(١) ـ ينظر الاصول فى النحو لابن السراج ٢/٥ وشرح ابن يعيش ٣/١٩ والتصريح ٢/٥٤ والصبان ٢/٢٣٧ ٠
(٢)ـ يعنى المضاف والمضاف اليه ٠
(٣)ـ كتاب سيبويه ١/١٧٥
(٤)ـ الايضاح مع المقتصد ٢ / ٨١١ ٠
(٥) البيت من البسيط ، قائله ذو الرمة / د ٣٩ ، الكتاب ١ / ١٧٩ ، المقتصد ٢ / ٨١٢ ، ابن يعيش ٣/٧٧ الافصاح ١٢٨ ـ الفراريج : صغار الدجاج والميس شجر تصنع منه الرحال ، وقد فصل فى البيت بين المضاف الذى هو اصوات والمضاف اليه الذى هو أواخر الميس بالجار والمجرور لضرورة الشعر ٠
(٦) ـ المقتصد ٢/٨١٢٠/٦ : الخصائص ٣/٤٠٤ ٠
(٨) ـ البيت الوافر/فى الكتاب ١/١٧٩ الافصاح ١١٥ ، الانصاف ٢/٤٣٢ التصريح ٢/٥٩ . الاشمونى ٢/٢٧٨ وهو فى وصف رسوم الديار وقد عبث بها البلى كعبث اليهودى بالكتاب بالتحريف او الازالة وقد خص اليهودى لاشتهار اليهود بالتحريف والتغيير ٠
(٩) ـ البيت من الطويل / فى الكتاب ١/١٨٠ والمفصل ٣ / ١٩ والانصاف ٢ / ٤٠٥ والحماسة ١٠٨٢/١ النبوة : أن لا يصيب السيف مضربا ٠

تمر على ماتستمر وقد شفت
غلائل عبد القيس منها صدورها (١)

وفيه الفصل بالفاعل الذى هو عبد القيس بين المضاف (غلائل) والمضاف اليه (صدورها) والأصل غلائل صدورها •

وقول الطرماح بن حكيم :

يطفن بحوزى المراتع لم ترع ٠٠
بواديه من قرع القسى ، الكنائن (٢) وفيه الفصل بين المضاف (قرع) والمضاف اليه (الكنائن) بالمفعول الذى هو القسى لضرورة الشعر ومن الفصل بالمفعول قول الشاعر :

فزججتها بمزجة
زج القلوص ابى مزادة (٣)

فالأصل زج أبى مزادة القلوص • ففصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول الذى هو القلوص للضرورة أيضا ، وقد رأى (٤) ابن جنى ان فى هذا البيت دليلا على قوة اضافة المصدر الى الفاعل وأنه عندهم اقوى من اضافته الى المفعول لأن الشاعر قد ارتكب ضرورة الفصل مع تمكنه من العدول عنها •

لكن بعض النحاة لم يعتد بهذا البيت حتى استبعد الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) كونه من أبيات الكتاب قال الزمخشرى : ومايقع فى بعض نسخ الكتاب من قوله •

فزججتها بمزجة : زج القلوص أبى مزادة•

فسيبوبة برىء من عهدته أ هـ (٥) وقال عنه البغدادى : هذا بيت لم يعتمد عليه متقنو الكتاب حتى قال السيرافى : لم يثبته أحد من أهل الرواية وهو من زيادات أبى الحسن الأخفش (ت ٢٢١ هـ) فى حواشى كتاب سيبوبه فأدخله بعض النساخ فى بعض النسخ حتى شرحه الأعلم وابن خلف فى جملة أبياته أ هـ (٦) •

وانما برأ الزمخشرى سيبوبه من عهدة هذا البيت ولم يعتمده متقنو الكتاب لانه قد وقع الفصل فيه بالمفعول ، ولم يثبت أن سيبويه قد أجاز الفصل بغير الظرف (٧) •

ولاخلاف فى أن هذا البيت قد أثبت فى حواشى كتاب سيبويه بل انه قد أثبت فى أصل عدد من نسخ الكتاب كما أورده الفراء فى كتابه معانى القرآن مرتين : الأولى عندما تحدث عن قوله تعالى « **وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ**

---

١ ـ البيت من الطويل لم يعلم قائله / فى الانصاف ٢/٤٢٨/وشرح الرضى للكافية ٢/٢٩٣ والخزانة ٤/٤٧٣ الغلائل جمع غليل فالمراد بها الأضغان •

٢ ـ البيت من الطويل ايضا / فى ديوانه ١٦٩ والخصائص ٢/٤٠٦ والانصاف ٢/٤٢٩ واللسان الحوزى : المنفرد التوحد والمراتع اماكن الرتع، والرتع: الاكل والشرب فى رغد وهو فى وصف بقر الوحش وقد احاط الاناث منها بفحلهن آمنات من اعدائهن •

(٣) ـ البيت من مجزوء الكامل ، لم يعلم قائله / فى الكتاب ١/١٧٦ والخصائص ٣/٤٠٦ والافصاح ١١٦) والمفصل٣/١٩، والخزانة ٤/٤١٦ زج الناقة : رماها برمح ونحوه لتسرع فى السير المزجة: ما يزج به من رمح ونحوه القلوص : الناقة الفتية •

(٤) ـ الخصائص ٢/٤٠٦ •

١ ـ المفصل بشرح ابن يعيش ٣ / ١٩ •

(٦) ـ خزانة الادب ٤/٤١٦ •

(٧) ـ ينظر كتاب سيبويه ١/١٧٥ وما بعدها •

مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ (١) حيث استبعد قراءة نصب (أولادهم) وجر « شركاؤهم » بالاضافة الى «قتل » لما يلزمها من الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف حيث قال .

وليس قول من قال : انما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججها بمزجة
زج القلوص أبى مزادة

بشىء وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ولم نجد مثله فى العربية أ هـ (٢) والثانية عندما تكلم عن قوله تعالى « **فَلَاتَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ** (٣) إذ قال وليس قول من قال « مخلف وعده (٤) رسله » ولا زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (٥) بشىء وقد فسر ذلك ، ونحويو أهل المدينة ينشدون قوله :

فزججها بمزجة
زج القلوص أبى مزادة

قال الفراء : باطل والصواب زج القلوص أبو مزادة أ هـ (٦) .

وتصويب الفراء يقتضى أن يكون زج مضافا الى القلوص ويكون أبو مزادة فاعلا للمصدر (زج) فلا يلزمه الفصل بين المضاف والمضاف اليه .

ويفهم من كلام الفراء أن البيت قديم ، وقد أنشده أهل الحجاز وأهل المدينة قبل الأخفش والفراء وسيبويه ، أى أنه قيل قبل نهاية القرن الثانى الهجرى فهو صالح للاستشهاد به .

ولاخلاف فى أن الأخفش والفراء من أعلام النحاة بعد سيبويه كما أن الأخفش كان من أقرب الناس الى سيبويه تتلمذ عليه ورافقه حتى وفاته وكان الراوية الأوحد لكتابه ، ولولاه ما عرف هذا الكتاب .

ولقد كان الأخفش ضنينا بكتاب سيبويه حتى ظن به نية ادعائه لنفسه ، فاحتال عليه الجرمى (ت ٢٢٥ هـ) والمازنى (ت ٢٤٩ هـ) وقرآه عليه ونقلاه عنه ، ولم يؤثر عنهما ما يقدح فى ضبط الأخفش وأمانته العلمية .

واذا كان الأخفش قد أذاع الكتاب منسوبا الى سيبويه ، فلا مجال للشك فيما يرويه ، ولاحاجة للأخفش فى أن يقحم فى الكتاب ماليس منه ، لأن مكانته العلمية تسمح له بأن يجهر بآرائه وآراؤه الخاصة تملأ كتب النحو ، ومنها ما عارض به أستاذه ، فكيف نقبل ما يقال من أنه أقحم فى الكتاب ما ليس منه ؟ .

ان الاشفاق على تراثنا العلمى يدفعنا الى

---

(١) ـ الآية ١٣٧ من سورة الانعام .
(٢) ـ معانى القرآن ١/٣٥٨ .
(٣) ـ الآية ٤٧ من سورة ابراهيم .
(٤) ـ أى بنصب « وعده » وجر « رسله » بالاضافة الى « مخلف » .
(٥) ـ بنصب الاولاد وجر الشركاء على الفصل بين المضاف والمضاف اليه .
(٦) ـ معانى القرآن ٢/٨١ .

استبعاد أدنى شك فى الأمانة العلمية لأى واحد من النحاة الأوائل ، وبخاصة اذا كان ذلك النحوى هو الراوية الوحيد لكتاب سيبويه •

ولقد أخذ سيبويه نفسه أغلب نحوه فى الكتاب عن شيخه الخليل ، وهذا واضح فى كل صفحة من صفحات الكتاب ، وقد أقرأه الأخفس لتلميذيه الجومى والمازنى ، فلولا الثقة التامة بكل هؤلاء الأعلام لكان كل نص فى ذلك السفر الضخم — الكتاب — محتملا للشك والتشكيك •

ومن هنا نجد أنفسنا مضطرين الى التوقف فيما قاله الزمخشرى وتابعه فيه البغدادى ، وكون هذا البيت مجهول القائل لايقدح فيه ، ففى كتاب سيبويه مايقرب من خمسين شاهدا لم يعلم قائلها ، فاذا كانت صالحة للاحتجاج بها — فما وجه رد هذا البيت ؟ ولماذا لا يعد ضمن الضرورات الشعرية ؟

وقد جاء الفصل بالعطف فى قول الفرزدق :

يا من رأى عارضا يسر به
بين ذراعىْ وجبهة الأسد (١)

فقد فصل بين المضاف (ذراعى) والمضاف اليه (الأسد) بالمعطوف (وجبهة) لضرورة الشعر ، وقد عده المبرد (٢) (ت ٢٨٥ هـ) من قبيل حذف المضاف اليه من الأول استغناء باضافة الثانى ، وتابعه الزمخشرى اذ قال :

وأما قول الفرزدق :

•••••• بين ذراعى وجبهة الأسد

وقول الأعشى :

الا علالة أو بداهة قارح نهد الجزارة (٣)

فعلى حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثانى .أ هـ (٤)) وهو عند سيبويه (٥) من قبيل الفصل بين المضاف « علالة » والمضاف إليه « قارح » بالعطف قال ابن جنى : وهذا أمثل عندنا من مذهب غيره فيه أ هـ (٦) .

فالفصل بين المضاف والمضاف إليه لا يجوز عند البصريين (٧) إلا بالظرف والجار والمجرور فى ضرورة الشعر لأن الظرف والجار والمجرور قيدأن فى الجملة متممان لمعناها ،

---

١ — البيت من المنسرح / فى ديوان الفرزدق ٢١٥ والمقتضب ٤ / ٢٢٩ والخصائص ٢ / ٤٠٧ وابن يعيش ٣/٢٠ والعينى ٣/٤٥١ والخزانة ٤/٤١٦

— العارض : السحاب يعترض الافق ، ذراعا الاسد : كوكبان أما جبهة الاسد فأربعة كواكب وذراعا الاسد وجبهته من(أنواء)العرب المحمودة لما يعقبها من المطر الغزير •

٢ — المقتضب ٤/٢٢٧ وما بعدها •

٣ — البيت من مجزوء الكامل/ فى ديوان الاعشى ٧٨ والكتاب ١/١٧٩ والخصائص ٢/٤٠٧ وابن يعيش ٣/٢٢ وشروح سقط الزند ٢/٨١٠القارح من الخيل الذى أكل خمس سنين وبداهة القارح أول جريه/وعلالته بقية جريه •

(٤) الفصل بشرح ابن يعيش - ٣/١٩ ٢/٨١٠

(٥) كتاب سيبويه ١/١٧٩

(٦) الخصائص ٢/٤٠٧

(٧) ينظر الانصاف ٢/٤٢٧

ولذا صح إيرادهما حيث وقعا فى الكلام ، والظروف يتوسع فيها مالا يتوسع في غيرها ...

أما الكوفيون فيجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وبالجار والمجرور وبغيرهما لضرورة الشعر وقد احتجوا لذلك بما تقدم من الفصل بالفاعل فى قوله .

تمر على ما تستمر وقد شفت
غلائل عبد القيس منها صدورها

وبالمفعول فى قول الآخر :

فزججتها بمزجة

زج القلوص أبى مزادة

ومثله بيت الطرماح :

يطغن بحوزى المراتع لم ترع
بواديه من فرع القسى الكنائن

كما احتجوا لذلك بالفصل بالعطف فى قول الفرزدق

يامن رأى عارضا يسر به
بين ذراعى وجبهة الأسد

وقول الأعشى :

إلا علالة أو بدا
هة قارح نهد الجزاره

كما احتجوا بقراءة[1] « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ » بنصب « وعده » مع جر « رسله » بالإضافة إلى « مخلف » فيلزم الفصل بالمفعول بين المضاف والمضاف إليه .

ولم يستحسن الأخفش تلك القراءة إذ قال :

وقال « مخلف » وعده رسله « فأضاف إلى الأول ونصب الآخر على الفصل »[2] ولا يحسن أن تضيف إلى الآخر[3] لأنه يفرق بين المضاف والمضاف إليه وهذا لا يحسن اهـ[4] .

ومما احتج به الكوفيون أيضاً قراءة بن عامر لقوله تعالى « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »[5] **ببناء الفعل « زين » لمالم يسم فاعله ورفع « قتل » نائبا عن الفاعل مع إضافته إلى شركائهم « ونصب » أولادهم « مفعولا للقتل ، فيلزم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولكن بعض النحاة يستبعد مثل ذلك فى القرآن الكريم .**

قال ابن خالويه [٣٧٠هـ] والحجة لمن قرأه بضم الزاى أنه دل بذلك على بناء الفعل لمالم يسم فاعله ورفع به القتل وأضافه إلى شركائهم ونصب أولادهم بوقوع القتل عليهم ، وحال بهم بين المضاف والمضاف إليه ، وهو قبيح فى القرآن ، وإنما يجوز فى الشعر كقول ذى الرمة :

---

[١] ينظر معانى القرآن للأخفش ٢/٦٠٠ ومعانى القرآن للفراء ٢/٨١ وما بعدها .
[٢] يريد اضاف مخلف إلى وعده .
[٣] أى لا يحسن إضافة مخلف إلى رسله مع نصب وعده .
[٤] معانى القرآن للأخفش ٢/٦٠١ .
[٥] الآية ١٣٧ من سورة الأنعام .

كأن أصوات من إيغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريج

وإنما حمل القارىء بهذا عليه أنه وجده فى مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط اهـ[6] .

كما ردها الزمخشرى [٥٣٨ هـ] للسبب نفسه فقال : وأما قراءة ابن عامر « قتل أولادهم شركائهم » برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشىء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد «زج القلوص أبى مزادة » فكيف به فى الكلام المنثور ؟ فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ؟ والذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف « شركائهم » مكتوبا بالياء ولوقرىء بجر الأولاد والشركاء لكان الأولاد شركاؤهم فى أموالهم فوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب اهـ[7] .

وإذا كان ابن خالويه والزمخشرى قد ردا هذه القراءة لما يلزمها من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف فهذا حقهما باعتبارهما بصريين ، ولكن مالا نرضاه منهما ما ذكراه من أن الذى حمل ابن عامر على القراءة بها أنه وجد كلمة « شركائهم » فى مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط لأنه يوهم أن القارىء قد أعمل رأيه فى لبس عرض له ، والافتراض فى القراءة غير جائز ، كما أن أعمال الرأى والاجتهاد غير مقبولين فى هذا المجال ، لأنه خلاف المجمع عليه .

وهذه الجرأة فى نقد القراء تثير الشك فى قراءتهم ، وهو ما لايمكن قبوله ، وبخاصة إذا كان القارىء أحد القراء[8] السبعة كابن عامر [ت ١١٨ هـ] الذين أجمع المحققون من العلماء على الثقة التامة بقراءاتهم ، لفرط عنايتهم بالسماع المتواتر ، ولالتزامهم الدقة والأمانة فى النقل ، وقد اشترطوا للرواية[9] المقبولة شروطا أهمها :

١ - أن تكون الرواية متواترة عن جماعة يؤمن عدم تواطئهم على الكذب ، ومن طريق صحيح متصل برسول الله - ﷺ .

٢ - أن توافق الرواية الرسم العثمانى للمصحف الشريف .

٣ - إن توافق القراءة قواعد اللغة ولو بوجه من وجوهها .

فإذا استوفت الرواية تلك الشروط وجب قبولها ، قال ابن الجزرى [ت ٨٣٣ هـ] :
كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ، ولا يحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ،

[٦] الحجة فى القراءات السبع ١٥٠ ، ١٥١ .
[٧] الكشاف ٥٤/٢ .
[٨] القراء السبعة هم أبو عمرو بن العلاء ونافع بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن كثير ، وعاصم ابن بهدلة ، وعبد الله بن عامر [صاحب هذه القراءة] وحمزة بن حبيب الزيات وعلى بن حمزة الكسائى .
[٩] النشر فى القراءات العشر ٩/١ .

سواء أكانت عن الأئمة السبعة ، أم كانت عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين اهـ[١٠] .

بل إن القراءات الشواذ يصح الاحتجاج بها إذا وافقت القواعد ، قال السيوطى [ت ٩١١ هـ] :

أما القرآن فكل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية ، سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءة الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل ولو خالفته ، ويحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجر القياس عليه اهـ[١١] .

ولأن الرضى بصرى لا يجيز الفصل بغير الظرف فى ضرورة الشعر فقد رد هو الآخر قراءة ابن عامر إذ قال : والفصل بغير الظرف فى غير الشعر أقبح من الكل مفعولا كان الفاصل أو يمينا أو غيرهما ، فقراءة ابن عامر ليست بذاك ، ولا نسلم تواتر القراءات السبع وإن ذهب إليه بعض الأصوليين اهـ[١٢] .

وقد تمسك أغلب البصريين بهذا المنهج الذى حملهم على رد قراءة أحد القراء السبعة ، حتى أن أحدهم وهو الرضى لم يسلم تواتر القراءات السبع ، وهو خلاف ما عليه جمهور المحققين من العلماء .

على أن هناك من النحاة الذين غلبت عليهم النزعة البصرية من عارض ذلك المنهج كالعلامة ابن حيان [ت ٧٤٥] هـ إذ قال :

فجمهور البصريين يمنعونها ، متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضا فى لسان العرب فى عدة أبيات قد ذكرناها فى كتاب منهج السالك من تأليفنا اهـ[١٣] .

ولا أستبعد وجود « شركايهم » بالياء فى مصاحف أهل الشام كما ذكر ابن خالويه والزمخشرى فقد نبه على ذلك الفراء حين قال : وفى بعض مصاحف أهل الشام « شركايهم » بالياء ، فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغى أن يقرأ زين[١٤] ويكون الشركاء هم الأولاد ، لأنهم منهم فى النسب والميراث فإن كانوا يقرءون « زين »[١٥] فلست أعرف جهتها إلا أن يكونوا آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عشايا ، أى عشاء ، ثم يقولون فى تثنية الحمراء حمرايان ، فهذا وجه أن يكونوا قالوا « زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »[١٦]

---

[١٠] المرجع المتقدم

[١١] الاقتراح فى أصول النحو ص ٤٨ .

[١٢] شرح الرضى للكافية ٢/٢٩٣ .

[١٣] البحر المحيط ٤/١٣٠ .

[١٤] يعنى بصيغة المبنى لمالم يسم فاعله

[١٥] أى بصيغة المبنى للمعلوم .

[١٦] معانى القرآن للفراء ١/٣٥٧ .

أقول : لا أستبعد وجود « شركايهم » بالياء فى مصاحف أهل الشام ورؤية ابن عامر لها ، لكن المستبعد أن يكون ابن عامر قد تأثر برسم الكلمة فى تلك المصاحف وبنى عليه هذه القراءة ، لأن القراءة سنة متبعة وقد أخذت بالتواتر المستوفى لشروطه ـ حسبما تقدم ـ والمستند إلى التلقى عن رسول الله ـ ﷺ الذى تلقاه تلقينا عن الأمين جبريل عليه السلام ، فلا مجال فيها للرأى والاجتهاد ، ثم أن ابن عامر قد توفى سنة ثمانى عشرة ومائة للهجرة ، أى أنه تابعى ، وقد أخذ قراءته عن الذين سمعوا من رسول الله ـ ﷺ ـ شفاها ، إذ هو متقدم على الفراء المتوفى سنة سبع ومائتين للهجرة بما يقرب من مائة عام ، وليس فى القراء السبعة مَنْ هو عربى محض كابن عامر وأبى عمرو بن العلاء [ت ١٥٤ هـ] ، فابن عامر من أوثق القراء سماعا وأكثرهم ضبطا .

ومجمل القول أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه لم يجزه البصريون إلا فى ضرورة الشعر بالظرف أو الجار والمجرور ، فإن وقع فى الشعر بغيرها كالفصل بالمفعول أو بالعاطف فهو على تقدير حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثانى ، أما فى النثر فلا يجيزونه بحال ، ولهذا حاولوا تخريج قراءة ابن عامر لآية سورة الأنعام السالفة الذكر ، بل ردها كثير منهم ، وقراءة بعضهم « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله »[17] بنصب « وعده » وجر « رسله » بالإضافة إلى مخلف مع الفصل بينهما بالمفعول .

وأجاز الكوفيون عدا الفراء ـ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وبغيره فى الضرورة وفى الاختيار ، واحتجوا لمذهبهم بقدر مناسب من الشواهد الشعرية التى تقدم الكلام عنها ـ وبقراءة ابن عامر لآية سورة الأنعام « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » بنصب الأولاد وجر الشركاء وبآية سورة ابراهيم « مخلف وعده رسله » بنصب الوعد وجر الرسل .

أما الفراء وهو أحد أعلام المذهب الكوفى فرأيه فى هذه المسألة أقرب إلى البصريين منه إلى الكوفيين فهو لا يجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا فى ضرورة الشعر وبالظرف والجار والمجرور دون سواهما .

وإنما أجاز البصريون الفصل بالظرف والجار والمجرور فى الضرورة لأن الظرف والجار والمجرور قيدان فى الجملة متممان لمعناها ، فمن ثم صح إيرادهما حيث وقعا فى الكلام ، كما أن الظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها ، وكما جنح الفراء فى هذه المسألة إلى البصريين فإن ابن مالك [ت ٦٧٣ هـ] قد مال إلى الكوفيين فحذا حذوهم لذا أجاز الفصل بين المضاف المشبه للفعل والمضاف إليه بالظرف وبالمفعول وبالقسم وبالنعت ، وبالنداء للضرورة ، ولم يشترط سوى كون المضاف مشبها للفعل ، قال فى ألفيته :

[١٧] الآية ٤٧ من سورة ابراهيم .

فصل مضاف شبه فعل مانصب ..
مفعولا أو ظرفا أجز ولم يعب

فصل يمين واضطرارا وجدا ..
بأجنبي أو بنعت أو ندا

وقد تابع الأشمونى [ت ٩٠٩ هـ] ابن مالك فى شرح الألفية فقال : يجوز فى السعة [أى الاختيار] فى ثلاث مسائل

■ **الأولى** : أن يكون المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعله والفاصل إما مفعوله كقراءة ابن عامر « قتل أولادهم شركائهم» وأما ظرفا كقول بعضهم : ترك يوما نفسك وهواها سعى لها فى رداها .

■ **الثانية** : أن يكون المضاف وصفا والمضاف إليه إما مفعوله الأول والفاصل مفعوله الثانى كقوله تعالى « **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** » وأما ظرفه كقولك :

أنت آخذ منى قلمى ، بإضافة قلم إلى آخذ مع الفصل بينهما بالجار والمجرور ، وقولنا : أنت فاهم يوما درسى ، بإضافة درسى إلى فاهم والفصل بينهما بالظرف [يوما] .

■ **الثالثة** : أن يكون الفاصل القسم نحو هذا كتاب والله محمد ، بإضافة محمد إلى كتاب ، والفصل بينهما بالقسم ، وما حكاه الكسائى من قولهم : هذا غلام والله زيد ، بإضافة زيد إلى غلام والفصل بينهما بالقسم .

وما سوى ذلك مختص بالشعر وشواهده وفيرة تقدم الكثير منها ويفهم من كلام ابن مالك فى الألفية أن الفصل لا يجوز إلا والمضاف مشبها للفعل كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول ونحو ذلك مما يعمل عمل الفعل .

حتى تظل الصلة وثيقة بين المضاف والمضاف إليه مع الفصل بينهما فإذا كان الفاصل ظرفا للمضاف أو مفعولا له بقيت تلك الصلة بين المضاف والمضاف إليه وشيجة لأن الظرف قيد فى المضاف والمفعول معمول له ، وإذا كان الفاصل القسم فإنه تأكيد لمضمون الجملة وليس بغريب عنها .

وقد جاء الفصل بالنداء فى قول الشاعر :

كأن برذون أبا عصام
زيد حمار دق باللجام(١٨)

فقد فصل بين المتضايفين [برذون زيد] بالمنادى [أباعصام] لأنه تنبيه للمخاطب فليس بغريب عن الجملة .

وأرى أن ما ذهب إليه ابن مالك من اشتراط كون المضاف شبه فعل ـ غالب وليس بلازم ، فقد جاء الفصل والمضاف غير مشبه للفعل كالشاهد الأخير [كأن برذون ـ البيت] وما حكاه الكسائى من قولهم : هذا غلام والله زيد .

---

[١٨] هذا رجز لم يعلم قائله فى الخصائص ٢/ ٤٠٤ وفى الأشمونى ٢/٢٧٨ والعينى ٣/ ٤٨٠ البرذون الدابة والأنثى برذونة ، الدقوقة والدواق البقر والحمر التى تدوس البر ، فالمعنى كأن دابة زيد يأبا عصام حمار ملجم يدق البر ليفصل الحب عن التبن .

والخلاصة أن شواهد الفصل بالظرف وبالجار والمجرور كثيرة وبخاصة فى ضرورة الشعر ، وأن الفصل بالمفعول وبالفاعل وبالقسم والنداء قد جاء عن العرب ولكنه نادر فى النثر قليل فى الشعر .

ومن ثم فإن قول ابن الأنبارى[19] [ت ٥٧٧ هـ] عن شواهد الكوفيين [أما ما أنشدوه فهو مع ثلته لا يعرف قائله فلا يجوز الاحتجاج به] قد تضمن قدرا من التجاوز ، فليست كل شواهد الكوفيين مجهولا قائلها .

وكون قائل البيت مجهولا غير قادح فى الاحتجاج به بدليل أن أبيات سيبويه المجهولة القائل قد صح الاحتجاج بها .

كما أن قول الزمخشرى[20] وأما قول الفرزدق : بين ذراعى وجبهة الأسد وقول الأعشى :

إلا علالة أو بدا : هة قادح نهد الجزارة على حذف المضاف إليه من الأول[21] استغناء عنه بالثانى فيه التجاوز أيضا فضلا عن تكلف تقدير المحذوف ، وما لا يحوج إلى الحذف أولى مما أحوج إليه ، وقد أورد سيبويه[22] بيتى الفرزدق والأعشى شاهدا للفصل بين المضاف والمضاف إليه ولم يقل إنه على تقدير حذف المضاف إليه من الأول .

ومما يرجح رأى سيبويه أن القول بالحذف من الأول استغناء عنه بالثانى - قليل والكثير عكسه ، أى الحذف من الثانى لدلالة الأول ، لأن تقدم الدليل أوضح فى تعيين المراد من تأخره .

« والله أعلـــم »

تـــــم

---

[١٩] الانصاف ٢/٤٣٥ .

[٢٠] المفصل ٣/١٩ .

[٢١] تقدم الكلام عن هذين البيتين عند الحديث عن رأى البصريين .

[٢٢] كتاب سيبويه ١/١٨ .

طرائف

إيمانٌ نادر

اشترك الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص فى أكثر من غزوة تحت لواء ـ رسول الله ﷺ ـ وكافأه الرسول ـ ﷺ ـ بأن دعا له بأن تكون دعوته مجابة .

وحدث أن فقد سعد بن أبى وقاص بصره .

فقال له ابنه : ادع الله ياأبت أن يرد عليك بصرك ، فقد بشرك رسول الله ـ ﷺ ـ باستجابة دعوتك ، فقال سعد : لابنه .

إن تتلذى بقضاء الله أحب إلى من إجابة دعوتى .

قولٌ كريم

قال أبو عبيدة بن الجراح لرسول الله ـ ﷺ ـ .

هل أحد خير منا ؟ : أسلمنا معك ، وجاهدنا معك قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « نعم .. قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى .. » .

حقا

سئل أبو العتاهية : أى خلق الله ـ تعالى ـ أصْغَر ؟ .

فقال : الدنيا ؛ لأنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ثم قال : وأصغر منها من عَظَّمَهَا .

من أخلاق المؤمن

قال الحسن :

من أخلاق المؤمن قوة فى دين وحزم فى لين .

وحرص على العلم وقناعة فى فقر ، وإعطاء فى حق ، وبر فى استقامة ، وفقه فى يقين وكسب فى حلال .

ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

يا أخا الإسلام

لا تركنن إلى القصور الفاخرة
واذكر عظامك حين تمسى نَاخِرَه
وإذا رأيت زخارف الدنيا
فقل : يارب إن العيش عيش الآخرة

السعادة

السعادة ثلاثة :

أما فى النفس فهى الحكمة ، والعفة والشجاعة .

وأما فى البدن : فهى الصحة والجمال والقوة .

وأما خارج النفس والبدن : فهى المال والجاه .

قالوا ..

● أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا سأله ، وأبعد ما يكون من الناس إذا سألهم .

● العالم إذا لم يكن زاهداً فى الدنيا فهو عقوبة لأهل زمانه .

● ليست النفس فى البدن ، بل البدن فى النفس لأنها أوسع منه .

● من أظهر شكرك فيما لم تأته ، فاحذر أن يكفر نعمتك فيما أتيته .

● حسب المؤمن من الله نصرةً أن يرى عدوه يعمل بمعاصى الله ـ عز وجل ـ

● عجبت ممن يشترى العبيد بماله ، ولا يشترى الأحرار بفعاله .

● ما أوسع الفرق بين أناس يكبرون بالوظيفة وأناس تكبر بهم الوظيفة .

دعاء

اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

أنباء وآراء

بوادر مؤامرة ضد مسلمى اندونسيا

تشن حملة دولية كنسية ضد أندونسيا ليتمكن القساوسة المبشرون بمقاطعة «تيمور» من حرية الحركة ، فقد رفع هؤلاء القسأوسة احتجاجاتهم الى مجالس دولية وأثاروا فتنة « تقرير المصير » لهذه المقاطعة تمهيدا لعزلها عن الوطن الام : اندونسيا لاقامة دويلة تخصهم فى قلب هذا الجزء من العالم الاسلامى .

اذاعت لندن هذا الخبر بطريقتها الخاصة فى الثالثة بعد الظهر بتوقيت القاهرة يوم ١١ من ذى الحجة .

دورة تخصصية لتحقيق التراث :

أقام الأزهر الشريف دورة تخصصية لتحقيق التراث كان مقرها مكتبة الأزهر فى قاعتها العامة .

اختير للدورة أساتذة من مجمع البحوث الاسلامية ومن مكتبة الأزهر ومكتب الأمين العام انضم لهذه الدورة خمسة عشر أستاذا ، واستغرقت الدورة شهرا كاملا درست فيه المخطوط ومراجع التحقيق والمشكلات المنهجية فى التحقيق ، والمنهج الأمثل للتحقيق ، وقراءة النصوص ونسخها مع التعريف بمكتبة الأزهر .

حاضر فى هذه الدورة الأساتذة : د/ مهدى علام ، ود /حسين نصار ، د/ عبد العزيز الدالى د/ محمود فهمى حجازى وآخرون .

انتهت الدورة يوم الاثنين ٢٦ من ذى القعدة ١٤٠٦ هـ ٢/٨/١٩٨٦ م .

اجتاز الأساتذة اختباراتهم بنجاح ، وحصل الخمسة الأوائل على جوائز مالية ، قام بتوزيعها فضيلة د/عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

يستعد الازهر لاقامة دورة تالية لدراسة نسخ المخطوطات استكمالا لدورة التحقيق .

مكتبة عربية اسلامية

ساهم عدد من أعضاء الجاليات العربية والاسلامية العاملين فى فرع الأمم المتحدة بفيينا فى انشاء وتكوين مكتبة اسلامية تعمل بأحدث الأدوات والأجهزة الالكترونية . تضم المكتبة المراجع والكتب والنشرات والمجلات والصحف والمعاجم ، وتقدم خدماتها للوكالة الدولية للطاقة الذرية ومكتب الأمم المتحدة فى فيينا ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية « اليونيدو » .

محاضرات عن الاسلام بجامعة فوردهام

بدأت جامعة « فوردهام » بنيويورك فى

أحمد عبد الرحيم السايح

تنظيم محاضرات أسبوعية فى حرم الجامعة عن الاسلام دينا وحضارة .

وتلقت الجامعة مؤخرا المساعدات اللازمة من الجمعية الاسلامية للعلوم بالرياض لادخال مواد دراسية عن الاسلام واللغة العربية فى مناهج الجامعة .

من جهة أخرى قامت الجمعية الاسلامية بتسجيل المحاضرات التى القيت بمعهد « هارتنورد » عن الاسلام ، وتعتزم توزيع هذه المحاضرات على أكبر عدد من الجامعات .

تدريس الاقتصاد الاسلامى ضرورة شرعية

صرح الدكتور حسين شحاته مدير جمعية الاقتصاد الاسلامى والاستاذ بكلية تجارة الأزهر : بأن تدريس الاقتصاد الاسلامى بالجامعات ضرورة شرعية وذلك لحاجة المجتمع الاسلامى لمبادىء الاسلام الاقتصادية .

وقال : ان لوائح الجامعات يجب أن تنص على تدريس مناهج الاقتصاد الاسلامى بجوار الاقتصاد الوضعى ليتعرف الطالب على نظرة الاسلام الاقتصادية .

واضاف أن المنهج الاسلامى يدعو لرفع الكفاءة الانتاجية ولضبط وترشيد تكاليف الانتاج ، ولتنمية كفاءة العنصر البشرى كما يدعو المنهج الاسلامى الى الأخذ بنظام المشاركات الاسلامية كبديل للمعاملات الربوية .

صندوق النقد الدولى يتجه لدراسة الاقتصاد الاسلامى

بدأت لجان متخصصة بصندوق النقد الدولى فى دراسة الأسس التى يقوم عليها الاقتصاد الاسلامى وذلك بعد أن أشاد الصندوق بنظام المصارف الاسلامية التى ترفض التعامل بالربا على القروض .

وكانت مجلة « ستاف بيبرز » التى يصدرها الصندوق قد ذكرت أن النظام الاقتصادى القائم على الأسس الاسلامية هو أكثر استقرارا عند حدوث صدمات مالية . وهو ما لا يتوفر فى النظام المصرفى الغربى التقليدى .

السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة النبوية .

رسالة « دكتوراه » للزميل أحمد عبد الرحيم السايح محرر أنباء وآراء بمجلة الأزهر .

نوقشت الرسالة مساء الأربعاء ١٦ من شوال ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦/٧/٢ م تكونت لجنة المناقشة والحكم من فضيلة الأستاذ الدكتور محمد

أنبــاء وآراء

عبد الفضيل القوصى / وفضيلة الاستـــــاذ الدكتور محمد أحمد الشريف ، وفضيلة الاستاذ الدكتور محمود مزروعة ، وفضيلة الدكتور على معبد فرغلى •

حصــل الباحث على درجـــة العالمية مـــن درجـــة استـــاذ ـ الدكتـــوراه) مع مرتبـــة الشرف الأولى وفق الله الزميل وسدد خطاه •

ثلاثة آلاف بلجيكى اعتنقوا الاســـلام مؤخرا

أعلنت صـــــحيفة « لوفيفـــا اكسبرس » البلجيكية بأن ثلاثة آلاف بلجيكى اعتنقـــــوا الاسلام فى الآونة الأخيرة ، وتشهد العاصـــمة البلجيكية « بروكسل » حاليا نشاطا اســـلاميا ملحوظا لدعم الدعوة الاســـلامية فى الأراضى البلجيكية • فقد أقـــــام المركز الاســـلامى ببروكسل دورة تدريبية لجميع مدرسى التربية الاسلامية ببلجيكا •

بلغ عدد المشاركين فى هذه الدورة ستمائة مدرس • وتنقسم الدورة الى ثلاثة اقســــــام تبعا للغات : العربية والفرنسية والتركية •

مسلمات النمسا يتمســكن بالحجاب

ذكر الشيخ معصوم عيـــدى مـــدير المركز الاسلامى بالنمسا بأن المسلمات المقيمــــــات بالنمسا ملتزمات بارتداءالحجابالاسلامى كما يحرصن أيضا على أن ترتدى بناتهن حديثات السن الحجاب أو غطاء الرأس • وأضـــاف أن النمساويين عندما يشاهدون سيدة أو طفلـــة ترتدى الحجاب يعرفون أنها مسلمة • وبذلك أصبح الحجاب مظهرا من مظاهر المجتمع المسلم داخل أوربا •

وقال ان المراة المسلمة المـــرتدية الحجـــاب تنال احترام وتقدير المجتمع النمســـاوى ولا يمثل الحجاب أى عقبـــة أو مظهر من مظـــاهر التخلف • بل يعد مظهرا للتساؤل مـــن قبـــل النمساويين عن حكمة ارتداء المرأة المســلمة

الحجاب خاصة وهى تعيش فى مجتمع أوربى وأكد مدير المركزالاسلامى بالنمسا علىضرورة أن تربى الأسر المسلمة فتياتها منذ الصغر على ارتداء الحجـــاب وبث معـــانى الاســـلام فى صدورهن لحمايتهن من الانحراف والانحدار فى تيارات المجتمع الأوربى •

تعـــديل القوانين التى لا تتفق مـــع الشريعة

أنهت لجنة الشئون الدينية المنبثقة عن المؤتمر العـــام الرابع للحـــزب الوطنى الديمقراطى

أعمالها وأوصت اللجنة بالاسراع فى تعـــديل مـــواد القوانين التى لا تتفق مـــع الشريعـــة الاسلامية وفق ما سبق الاعلان عنه فى بيـــان الحكومة أمام مجلس الشـــعب لعـــام ١٩٨٦

وضرورة العمل على الانتقال التدريجى بالمجتمع من الأوضاع غير المتوازنة الى حالة من الكفاية

والعدل مع اعتماد اسلوب الاسلام فى الاصلاح المتدرج طريقا الى الانتقال بالمجتمع المصرى مما يشكو منه الى ما يرجو أن يكون عليه بالحكمة والطمأنينة •

وأوصت اللجنة التى ضمت كبار علماء الاسلام بتبنى الحزب منهجا اسلاميا لاصلاح المجتمع فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية يصل بمصر الى اقامة المجتمع الفاضل الذى تنشده • مع ضرورة العناية بالمؤسسات العاملة فى حقل الدعوة الاسلامية وفى مقدمتها الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف من جميع النواحى العلمية والمالية والادارية والاعلامية •

الاسلام وجامعة فرانكفورت

يواصل العلماء والباحثون المسلمون جهودهم لانشاء كرسى فى جامعة فرانكفورت الألمانية للدراسات العربية والاسلامية وتأتى الفكرة فى اطار برامج معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية التابع للجامعة الذى قطع شوطا بعيدا من مرحلة تأسيسه • وبدأ فى تنفيذ سلسلة من مشاريعه التى تهدف الى نشر الثقافة الاسلامية فى الجامعات الألمانية •

وكانت الحكومة المحلية لمدينة فرانكفورت قد زادت مخصصات الجامعة لتوسيع الكليات ومخصصات العلوم التطبيقية والانسانية • وستساهم هذه الزيادة فى امكانية دعم الدراسات الاسلامية بالجامعة •

ويقوم معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية بجامعة فرانكفورت حاليا بالتوسع فى تدريس اللغة العربية للأجانب وبخاصة الألمان • وفى نطاق هذه النهضة التى تشهدها جامعة فرانكفورت يصدر معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية بالجامعة مجلة دورية تشكل بعثا جديدا للدراسات العربية والاسلامية فى مجالات العلوم •

تنشيط جمع الزكاة وحسن توزيعها

طالب المؤتمر الاسلامى الثانى للزكاة الذى نظمته حديثا دار الفتوى اللبنانية • تنشيط جمع فريضة الزكاة ، وحسن توزيعها لأنها ترتبط ارتباط كليا باحياء الفرائض الاسلامية جميعها وخاصة تعزيز الدعوة الى الله ونشر الوعى الاسلامى للالتزام بأركان الاسلام شهد المؤتمر لفيف من العلماء والمفكرين من شتى بلدان العالم الاسلامى حيث أكدوا على ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لتنسيق الجهود من أجل جمع الزكاة وتضافر الجهود الاسلامية للاستفادة من فريضة الزكاة •

من خير ما كتب

الدكتور / سعيد إسماعيل على
أستاذ أصول التربية
جامعة عين شمس

البعد الإسلامى فى إعداد المعلم

على الرغم من المحاولات الشرسة التى شهدها تاريخ مصر الحديث منذ الالتقاء الساخن بالحضارة الغربية أثناء حملة نابليون الاستعمارية عام ١٧٩٨ بهدف « تغريبها » وغزو عقلها وثقافتها لفصلها عن جذورها الممتدة فى أعماق الثقافة الإسلامية . الا أن تلك المحاولات التى تجىء فقط على أيدى أوربيين وأمريكيين . بل دعا إليها وتشيع لها مصريون أعلام . لم تؤت أكلها ، وان كانت قد نجحت مع الأسف الشديد فى اصابة الثقافة فى مصر بعديد من الجراح والآلام .

ومن الحقائق الأساسية التى أصبحت فى حكم المسلمات فى الدراسات التربـوية المعاصرة ، أن التربية تشتق موجهاتها من ثقافة المجتمع الذى تمـارس فعلها فى أحضانه . ونحن اذ نقول « ثقافة المجتمع » فانما نعنى بها هذا المعنى الشامل الذى يجعل منها وعاء يشمل كل ما هو مكتسب نتيجة جهد الإنسان سواء كان ذلك ماديا أو فكريا . لذلك يصبح من الضرورى لعملية الاعداد التربوى للمعلمين فى مصر ، أن تستند إلى الثقافة القائمة فى المجتمع المصرى بخصائصها وتياراتها وينابيعها الماضية والحاضرة ، المحلية والعالمية .

واذا كان من المحتم أن تحدث عملية اختيار هنا وانتقاء ، لتعزز الاحاطة الكاملة والشاملة بهذه الثقافة يكون من الطبيعى أن يتصدر الطابع العام ، والاتجاه الغالب على هذه الثقافة ، وهو بعدها الإسلامى ، ويكون ذلك بأن تحتل « التربية الإسلامية ، فلسفة وتاريخا واجتماعية » مكانا رئيسيا فى مناهج إعداد المعلم .

واذا كان البعض قد يجد حرجا فى ذلك نظرا للحقيقة المؤكدة بأن ليس كل طلاب معاهد وكليات التربية فى مصر مسلمين ، فاننا نرى مبالغة فى الشعور بهذا الحرج لأن دراسة نوعية من الفكر لا تعنى ضرورة فرضه ولا تستلزم الإيمان به . اننا لا نود هنا أن نخلط بين أهداف الدراسة العلمية التى تنحصر فى المعرفة والتثقيف والتحليل والنقد ، بين أهداف الدعوة التى تتجه إلى التبشير والترويج وكسب الأنصار والأعوان . أن أوضح أدلتنا على ذلك هذا العدد غير القليل من الأساتذة والباحثين الغـربيين ممن اصطلحنا على تسميتهم بـ « المستشرقين » ، وهم يهود ومسيحيون ، نذروا حياتهم لدراسة الثقافة الإسلامية دون أن تشكل هذه

الدراسة خطرا على عقيدتهم ، وكم من معاهد ومراكز وأقسام فى العديد من الجامعات الغربية تتخصص فى الدراسات الإسلامية دون مخاصمة نتيجة اختلاف الملة والعقيدة .

ولم نذهب بعيداً ؟ فجميع الطلاب فى المدارس يدرسون تاريخ مصر الإسلامية باعتبار أنه يشكل حقيقة تاريخية لا يمكن اغفالها أو التغاضى عنها بغض النظر عن عقيدة الدارس ومذهبه .

إننا ونحن نعد طلابنا فى أقسام التاريخ والفلسفة بكليات الآداب ، نرى أن مستلزمات الدراسة التاريخية أن يدرس طلابها « التاريخ الإسلامى » ، وأن مستلزمات الدراسات الفلسفية أن يدرس طلابها « الفلسفة الإسلامية » وكذلك نجد أن مستلزمات الدراسة القانونية ، أن يدرس طلاب الحقوق الشريعة الإسلامية ، لأنها تشكل المصدر الرئيسى والتنظيم الاساسى فى العلاقات الاجتماعية فى مصر .. وبنفس هذا المنطق ، نرى نحن ضرورة أن تتضمن إعداد المعلمين فى مصر مادة قائمة بذاتها عن « التربية الإسلامية » .

الدكتور / جمال الدين محمود
رئيس محكمة النقض

العدل والرحمة جناحا المسئولية فى الإسلام

تعد المسئولية فى الإسلام تكليفاً على العباد من الله عز وجل والعقل فى الإسلام مناط التكليف فبهذا العقل شرف الإنسان على سائر مخلوقات الله لأن العقل والشرع معا هما فى الحقيقة جانبان لطريق واحد هو طريق الهداية للإنسان ـ وما أروع قول الإمام الغزالى : [العقل شرع من الداخل والشرع عقل من الخارج] .

وإذا كانت التكاليف الشرعية فى العبادات والمعاملات توجه إلى العقلاء فحسب فإن المسئولية أو الجزاء لا يمكن أن تلحق الإنسان إلا إذا كان عاقلاً مدركاً ـ فلا مسئولية على الحيوان أو الجماد ـ كما كانت بعض النظم القانونية القديمة ـ ولا مسئولية على الصغير الذى لم تكتمل طاقته العقلية أو المجنون الذى زالت طاقته العقلية من قديم أو لسبب طارىء ولم يكتف الإسلام بمجرد توافر القدرة العقلية فى الإنسان ـ وهى تتوافر للصبى الصغير المميز فى معرفة الخير والشر لا سيما ما كان فطريا فى الإنسان ـ ولكن الإسلام وضع قدراً لا تفريط فيه لقيام المسئولية كاملة أمام الله والناس وفى العبادات والمعاملات وهو بلوغ الإنسان مبلغ الرجال من الناحية الظاهرة وفى هذه السن وهى سن البلوغ الطبيعى يستعد الإنسان بحسب الفطرة للمشاركة فى تكوين الجيل التالى وهنا يرى الإسلام بحق أن قدرته العقلية تبرر محاسبته على التمييز بين الخير والشر وبين الطاعة والعصيان وبين الهدى والضلال ـ

ولا مانع بعد ذلك من التدرج فى محاسبته بحسب إدراكه وعلمه وخبرته فيما ليس فيه نص قاطع من الشرع يحدد المسئولية ويعين الجزاء .

العدل والرحمة فى الجزاء

وحين تفرض المسئولية فى الإسلام على الإنسان يراعى الشارع الحكيم طاقات الإنسان وقدراته كلها ـ فهو العليم بالخلق ـ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ـ ولذلك فان الله تعالى فيما ورد من الحديث الشريف يتجاوز عما يحدث الإنسان به نفسه من شر لا يرتكبه لأن توارد خواطر الإنسان لا يكون فى مقدوره دائماً منعه أو توجيهه وجهة الخير دائما ـ ومن ناحية أخرى فإن الإنسان لا يعيش منفرداً بنفسه منعزلا بنفسه عن غيره ولذلك كان لمواقف الغير ولظروف الحياة التى تفرض نفسها على الإنسان وزنها واثرها ـ فالمسئولية تنتهى حيث تقوم الضرورة ـ فالضرورات تبيح المحظورات .

« إلا ماا ضطروتم إليه » فكانت الضرورة استثناء شرعيا من المسئولية ـ وهى فى العقل توجب نفس الحكم لأنه لا تكليف إلا بمقدور وبذلك يبدو أن العقل والشرع كلاهما جانب من طريق واحد خطه الله للإنسان .

المسئولية تقابل الحق

وحيث تكون المسئولية يقوم الحق بجانبها ليوازنها وليعين الإنسان على القيام بواجبه ، فالحاكم الذى لا يملك سلطة مطلقة لا يسأل عن رعيته ولكنه يسأل إذا كان يملك عليهم من الطاعة ورب الأسرة يسأل عن أهله لأن الشرع أعطاه حق التوجيه والإرشاد والإصلاح والحساب والعامل لا يسأل عن عمله حتى يعطى أجره والمواطن لا يسأل عن العصيان فى المعصية وانما يحاسب إذا قصر فى العمل المشروع أو امتدت يده إلى غيره بغير حق وحيثما نظرنا فى المجتمع وفئاته وأفراده وجدنا أنه حيث تكون المسئولية يوازنها الحق وبذلك يكون كل المجتمع سائلا ومسئولا فلا يخرج أحد من نطاق المسئولية مطلقا إلا إذا رضى لنفسه أن يكون مجرداً من كل سلطة ومحروماً من كل حق وبذلك لا يكون هناك اعفاء من المسئولية لمن له سلطات أو حقوق فى المجتمع كما كان الشأن فى معاملة الملوك والقياصرة والأباطرة والأكاسرة أو كما يكون فى بعض النظم التى تقوم على الاستبداد والطغيان ـ فالإسلام يقيم نوعاً من الولاية المتبادلة بين الناس ـ « وَالمؤمِنُونَ وَالْمؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » وذلك لأن المجتمع كله بجميع أفراده يتبادل الحقوق والواجبات ومن ثم تصبح المسئولية فى مقابل الحق ولا يشعر إنسان أنه يتحمل كل المسئولية ولا يملك حقاً يوازنها أو يصبح لإنسان كل الحقوق وليس هناك واجب يلتزم به أو مسئولية يتحملها أمام الناس .

فضيلة الشيخ / أحمد حسن مسلم
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

الذين يركبون متن العناد

وهب الله تعالى الانسان العقل ليميز به الخير من الشر .. والحق من الباطل ، والنافع من الضار فى كل شئون هذه الحياة ، فإذا سيطر حكم العقل سعد الانسان وأفلح وربح ، وبالتالى يسعد معه مجتمعه الذى يعيش فيه ، ويسيطر عليه الأمن والأمان . والسلم والسلام ..

أما إذا خالف الانسان حكم العقل وسيطر عليه الهوى فإنه يركب متن العناد .. ومن ركب متن العناد قاده الشيطان إلى الهاوية وصدق الله رب العالمين حيث يقول : « **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » ؟

وإذا تمكن العناد من النفس قادها إلى كل سوء . وألحق بالمجتمع أفدح الأضرار ، وجعل هذه الحياة تعسة نكدة ، ولعل هذا هو السر فى قول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أى لا يؤمن الانسان ايماناً كاملاً يحقق له الخير والسعادة ويحقق لمجتمعه الأمن والرخاء إلا إذا كل سعيه فى هذه الدنيا متمشياً مع هدى الوحى الذى وصل إلينا عن طريق أنبياء الله تعالى ورسله وخاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ونحن إذا نظرنا بنور البصر وبنور البصيرة إلى الآثار المترتبة على العناد رأيناها عميقة الضرر الذى يلحق بالأفراد والمجتمعات ، ولا سيما إذا كان هذا العناد نابعاً من أصحاب القيادات فى البشر الذين لا يخضعون لحكم العقل والمنطق والصواب .

والذين لا يخضعون لقوانين شرع الله تعالى ، إنهم بهذا الانحراف فى الرأى يقودون أقوامهم إلى التهلكة . ولو حكموا العقل وحكموا ما شرع الله لعباده لسعدوا وسعدت معهم أقوامهم الذين يخضعون لرأيهم وينزلون عند فكرهم .

إن تعاليم السماء تقول على لسان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » ووقوف الانسان بين يدى الله تعالى آت لا محالة ولو طال الزمان .. فماذا يكون جوابه إذا سئل عن فساد رأيه الذى حمل قومه عليه ؟

وخلاصة القول : أن تحكيم العقل والدين أصل كبير فى تحصيل السعادة ، وأن الخضوع للعناد والهوى أصل كبير فى جر الشر والبلاء ..

الدكتور/ عبد الجليل شلبي

قرآن وسنة

الآداب العامة فى الاسلام السلام والاستئذان .

من ذلك أنه يسن لمن دخل على قوم أو مر بهم ـ جماعة أو أفراداً ـ أن يقرئهم السلام

بقوله : السلام عليكم . وأبخل الناس من بخل بالسلام وورد : « من قال : السلام عليكم كتب الله له عشر حسنات ، فإذا قال « ورحمة الله » كتب له عشرون حسنة ، وإذا قال « وبركاته » كتب له ثلاثون حسنة ..

والرد على المسلم واجب ، وفى القرآن : **« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »** والأحسن منها أن يزيد على ما قال المسلم ، فإذا قال : « السلام عليكم » رد عليه بقوله « وعليكم السلام ورحمة الله » أو زاد « وبركاته » .

أما إذا قال البادىء « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فإنه لم يبق لمن يرد عليه شيئاً يزيده ، فلذلك فهو يرد التحية فقط بمثلها .. ولا زيادة فى الشرع بعد هذا ..

وإذا دخل المسلم بيتاً فإنه لابد أن يستأذن أهله ، وإذا نادى من الخارج أو دق الجرس ، فقيل من ؟ فلا يقول أنا وإنما يذكر اسمه فإذا لم يؤذن له فى الدخول رجع بدون غضاضة أو امتعاض ، لأن الناس ليسوا على استعداد دائماً لاستقبال الزائرين .

وفى القرآن **« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون »** .

والبيوت غير المسكونة هى المحال العامة من بيوت التجارة ونحوها ، فهذه لا عورات فيها ، ولا تحتاج لاستئذان ..

وقد سأل رجل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عما إذا كان يستأذن على أمه أولاً ، فلما أرشده إلى الاستئذان قال إنها أمى ، يريد أن يبين مدى قربها منه ورفع الكلفة بينهما ، فقال له رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : أتحب أن تراها عريانة ؟! قال : لا . قال فاستأذن عليها .

وهذه المسألة من مسائل الذوق الاجتماعى ، والبداية بالسلام تحدث ألفة بين الشخصين ، وترفع الحجاب عما بينهما ، وقد طلبت الآية أن يستأنس الداخل ، أى ينشىء أو يطلب أنساً بمن هو داخل عليهم .

وفى الحديث : « تصافحوا يذهب الغل عنكم ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » .

فالحمد لله إن كان ديننا دين وعى اجتماعى ..

ويكره أن تقبل يد من تسلم عليه إلا شخصاً ترجى بركته ، أو يجب احترامه كالوالد . وقد قبل سعد بن مالك يد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، ولما وفد عليه عبد القيس ابتدروا يديه ورجليه وهو [صلى الله عليه وسلم] ترجى بركته ويجب احترامه وتقديره لا ريب ، صلى الله عليه وسلم .

ومن السنة أن يسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى .

هذا شىء من الآداب العامة أرشدنا إليه ديننا الحنيف ، وفيه من ذلك وأمثاله كثيرة والحمد لله ..

الشيخ عبد الوهاب خلاف - بقية

وذلك أن المجتهدين وأهل الفتيا فى صدر الاسلام كانوا فى غنى عن قواعد وبحوث لغوية يتوصلون بها الى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها .

وكذلك كانوا فى غنى عن قواعد وبحوث تشريعيه لأنهم قريبو العهد بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد شهدوا فجر التشريع ووقفوا على أسباب نزول الآيات وورود الأحاديث وعرفوا من ذلك كله مقاصد الشارع ومبادئه وأسرار التشريع وعلله واستقر ذلك فى نفوسهم وكون لهم ملكة تشريعية لم يحتاجوا الى غيرها فى فهم النصوص وفى الاستنباط فيما لا نص فيه .

وأما من جاءوا بعد الصدر الأول من المسلمين فلم تسلم لهم تلك الملكة اللسانية التى سلمت لسلفهم لهذا مست الحاجة الى وضع قواعد وبحوث لغوية يتوصل بها الى فهم النصوص العربية على مقتضى أساليب اللغة العربية ومسالكها فى الدلالة .

وكذلك لم تسلم لهم تلك الملكة التشريعية التى سلمت لسلفهم لبعد العهد بفجر التشريع فمست الحاجة أيضا الى وضع قواعد وبحوث تضبط مقاصد الشارع ومبادئه ليتوصل بها الى فهم النصوص حق فهمها والاستنباط فيما لا نص فيه .

وهذه الضوابط اللغوية والمبادىء التشريعية بدأت قليلة مبثوثة فى ثنايا الأحكام الفقهية وعللها ففيما كتبه أصحاب أبى حنيفة عنه من الأحكام ، وفى موطأ الامام مالك بن أنس ، وفى كثير مما دون فى عهد الأئمة المجتهدين بعض قواعد هذا العلم وبحوثه لأن كل مجتهد كان يشير الى ما بنى عليه اجتهاده من مبادىء لغوية أوتشريعيه .

وأول من دون من قواعد هذا العلم وبحوثه مجموعة مستقلة مرتبة مؤيدا كل بحث بالبرهان ، ووجهة النظر فيه الامام محمد بن ادريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة فقد كتب فيه رسالته الأصولية التى رواها عنه صاحبه الربيع المرادى وهى أول ما دون فى هذا العلم فيما نعلم ، ولهذا اشتهر على ألسنة العلماء أن واضع علم أصول الفقه الامام الشافعى ، وتتابع العلماء على التأليف فى هذا العلم بين اسهاب وايجاز (١)

وبعد

فلقد خدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الشريعة الاسلامية ، خدمها بقلمه وبمحاضراته وبأحاديثه وبحوثه خدمها بشىء آخر هو شخصيته الوقورة المهيبة، رحمه الله ورضى عنه وأجزل له عظيم الأجر وجميل المثوبة قال تعالى « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (٢)

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة المجادلة ١١ .

أ- حول مقال نسب الإمام الشافعي

رضى الله عنه وقسم المعلومات بالأهرام
المنشور بعدد ذي القعدة
١٤٠٦

كتب الأستاذ السيد حسن قرون إلى المجلة بالرسالة التالية:

الأخ العزيز الدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر تحية من الله مباركة وبعد .. فلقد عنَّ لى أن أردّ على رسالة الأديب عبد الرحمن سيد عبد الرءوف التى يأخذ علىّ فيها ما ذكرته فى المقالة فكتبت ..

فأرجو نشر تلك المقالة إن وجدت أنها تفيد الحقيقة للقارىء ولكم منى جزيل الشكر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

** ** **

السيد حسن قرون

جاءتنى رسالة قيمة من الأديب البار الأستاذ عبد الرحمن سيد عبد الرءوف مدرس اللغة العربية بمدرسة أدفو الاعدادية الحديثة . يأخذ علىّ شيئين فى شىء واحد هو البيت الذي نسبته لأبى طالب وجاء مكسورا وهو :

أيا أخوينا عبد شمس ونوفلا   أعيذكما بالله أن تحدثا بيننا حربا

والأستاذ عبد الرحمن عدَّ البيت مكسوراً بزيادة لفظ « بيننا » وبحذفه يسلم البيت وله مراجعة فى هذا الشأن شواهد « قطر الندى وبل الصدى » وكتاب السيرة النبوية لابن هشام وعَيَّنَ الصفحة فى كل كتاب .. وقال : إن البيت لطالب بن أبى طالب وبالرجوع إلى ما ذكرتبين لى صحة ما ذهب إليه ، وقد يكون لمحفوظاتى دخل فى الخلط بين قول الوالد « أبى طالب » والابن « طالب » فأبو طالب يقول فى بعض قصائده يخاطب بعض قبائل قريش الذين أفسدوا الود بين هاشم والمطلب وبقية بطون قريش ..

جـزى الله عنـا عبـد شمس ونـوفـلا
وتيمـا ومخـزومـا عقـوقـا ومـأثمـا

بتفـريقــهــم مــن بــعــد ود وألفــة
جمــاعتنــا كيمــا ينــالــوا المحــارمــا

كان هذا في بدء الدعوة إلى الإسلام في مكة ، ولكن ما قاله الابن طالب بن أبى طالب قاله عقب غزوة بدر ، وتراه مضطربا مفرق الفكر غير واضح الخطة ، فهو يبكى قتلى بدر في لهفة حارة ويمدح محمداً ﷺ بشعر صادق ، وتحار في ذلك الموقف فمن تلك الأبيات يجيء هذا البيت الذى يدور حوله المقال ففى صفحة ٢٧٣ من الجزء الثانى « سيرة بن هشام » جاء هذا العنوان ..

وقال طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله ﷺ ويبكى أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

ألا إن عينــي انفــدت دمــعــهــا سكْبــا
تبكــى عــلى كــعــب ومــا إن تــرى كــعْبــا

وكعب هو كعب بن لؤى رأس القبيلة المقابلة لعامر بن لؤى يقول فيها ..

فيــا أخــوينــا عبــد شمس ونــوفــلا
فــدًا لكمــا لا تبــعثــوا بيننــا حــربــا
ولا تصبحــوا مــن بــعــد ود وألفــة
أحــاديــث فيــهــا كلكــم يشتكــى النكبــا

وترى الألفاظ هنا متقاربة بين قول الأب أبى طالب والابن طالب ، وأن ما أسقطه الأستاذ عبد الرحمن للوزن مثبت هنا بالرواية الصحيحة : « فدا لكما لا تبعثوا بيننا حربا » فقد كان يرى كما رأى أبوه أن عبد شمس وما ولدت ونوفلا وما أنجبت يجب أن تكون مع أخويهما هاشم والمطلب وهم أبناء « عبد مناف » سيد قريش وكنانة ..

ويمدح النبي ﷺ ويحتج على موقف قريش منه فيقول :

فمــا إنْ جنينــا في قــريش عظيمــة
ســوى أن حمينــا خــير من وطيء التــربــا

وهو بيت في غاية الجمال يمثل صورة جميلة لخير الناس محمد ﷺ ولو كان طالب يملك عقله لآمن وانضم إلى جيش المسلمين ولكنه بكى ونهكته هزيمة قريش حتى قرر

الانسحاب والاتجاه إلى مكان لا يعرفه أحد لقد وقف أبوه مناصرا ابن أخيه وهو غير داخل فى الإسلام ولم يهرب من المواجهة ولكن طالبا خالف الشجاعة الهاشمية فلم يكن بطلا فى الحرب ولا داعية إلى السلم على حين كل اخوته قد أسلموا : على وجعفر وعقيل وكانوا أبطالا ..

واختلاف نوفل وعبد شمس ومنه أمية مع هاشم والمطلب والقتال الذى دار بين الفريقين فى بدر جعل هند بنت عتبة « من بني عبد شمس » وزوج أبى سفيان بن حرب بن أمية تقول فى مقتل أبيها وتذكر هاشما والمطلب :

أعيني جودا بدمع سرب
على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوةً
بنو هاشم وبنو المطلب

وتأمل قولها فى أبيها « خير خندف » وخِنْدِف تجمع كل قبائل الياس بن مضر من بني أسد وبنى تميم وضبةَ وكنانة وقريش ومزينة ، ومن قتل هذا العظيم ؟ قومه بنو هاشم وبنو المطلب ..

ولقد فتح نفسى لتجلية الموقف الأستاذ عبد الرحمن سيد" فتح الله عليه" وأشكره على إعجابه بمقالاتى فى مجلة الأزهر التى يهتم بها ويحرص على تجليدها ..

السيد حسن قرون ..

ب - حول مقال الأفكار الخاطئة

التي ينشرها المستشرقون

وردت الرسالة التالية إلى المجلة :
الأستاذ الفاضل / رئيس التحرير
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن اتبعهم إلى يوم الدين ..

ورد فى عدد شهر رمضان فى مجلة الأزهر الغراء مقال « الأفكار الخاطئة التى ينشرها المستشرقون » للدكتور موريس بوكاى صفحة ١٣٦٨ ، جاء بهذا المقال صفحة ١٣٧٤ على لسان د . بوكاى أن ترجمته لمعنى "العلق" أنه شىء يعلق كما يتفق مع حقائق علم الأجنة كما بينه بعد ذلك وأنه ليس دما متجلطا كما ورد فى الترجمات للقرآن .. وأرى هذا التفسير يختلف عن الحديث الصحيح للنبي ﷺ الذى رواه الامام البخارى ومسلم وجاء فى الأربعين النووية « عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وآله وسلم وهو الصادق المصدوق « أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد » ..
إلى آخـــر الحديـث ..

وكما قال الامام النووي فى الشرح « أنه قيل: إن النطفة فى الـطور الأول تسرى فى جسد المرأة أربعين يوماً وهى « أيام التوحمة » ثم بعد ذلك تجمع ويذر عليها من تربة المولود فتصير علقة ثم يستمر فى الطور الثانى فيأخذ فى الكبر حتى تصير مضغة ..
وإذا كان علم الأجنة يقول: أن البويضة المخصبة تعلق فى اليوم السادس فليس معنى هذا أن العلقة من التعلق ، بل نقول : أنها ـ كما جاءت فى كتب التفسير ـ من دم متجلط وانظر مثلاً إلى البيضة تجدها بعد فترة من الوقت إذا كانت فى درجة حرارة مرتفعة يصير بها دم .. من أين جاء هذا بدءا لتكوين الجنين والله أعلم ..

ورد أيضاً فى المقال رأى د . بوكاى فى آراء المفسرين عند التفسير لبعض الظواهر الطبيعية ، ولنا رأى أن كبار المفسرين لا يمكن أن نتهمهم بالخطأ هكذا بمنتهى السهولة ..

وهذا رأينا ونسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والله ولى التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د . محمود يوسف جمال
ماجستير طب الأطفال ـ الجزء الثانى
جامعة القاهرة

وهذا جواب كاتب المقال ، قال سيادته :

الجواب يتركز فى نقطتين :

الأولى : أن المترجم نقل رأى الكاتب « الدكتور بوكاى » بأمانة . وهو ليس مسئولا عن هذا الرأى ..

الثانية : أنه لا قطع برأى علمى تفسيراً للقرآن أو برأى علمى تحمل عليه مفاهيم الآيات القرآنية ..

ولقد نبه المترجم تعليقا بالهامش على الترجمة على أنه لا يوافق أن يفسر القرآن تفسيراً علمياً مباشراً ذلك أن المكتشفات والنظريات العلمية متغيرة بطبيعتها ..

وإذا سمح بالبيان العلمى كان السماح بشرط أن يكون البيان العلمى تعليقا على التفسير بالمأثور أوالتفسير البيانى ، لا أصلا تحمل عليه مفاهيم الآيات ، أو يلتحق بالنصوص ..

ومن هنا فإن تفسير « العلق » أو« العلقة » بالشىء الذى يعلق ، أو بالدم المتجلط ، لا يعدو أن يكون فهما ـ جائزا ، ولكل وجهة ..

ولا يصح القطع بأى منهما على وجه تجبر عليه الآيات ..

هذا وبالله التوفيق ..

محمد حسام الدين

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
◪ الأنصار المهاجرون	
د . على أحمد الخطيب	١
◪ بالهجرة نشات دار الإسلام	
للشيخ جاد الحق على جاد الحق	٥
بـاب دراســات إسلاميــة	
◪ تامين قاعدة الإسلام بالمدينة بعد الهجرة	
للواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ	١٠
◪ المعاصــرون والهجـــرة	
للأستاذ محمد المحمدى مراد غنيم	١٤
◪ وفــد نجران فى سورة آل عمران	
للدكتور مصطفى محمد الحديدى الطير	١٨
◪ استغفـار ابراهيـم لأبيـه	
للدكتور محمد محمد خليفة	٢٢
◪ بحـوث فـى الأمــوال [الزكاة والضرائب]	
للشيخ فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله	٢٩
◪ الدولـــة الإسلاميـــة	
للعميد أ . ح الدكتور / فوزى محمد طايل	٣٤
◪ الحـــق والباطـــل	
للأستاذ السيد حسن قرون	٣٩
◪ تحمـــل التبعـــة.	
لفضيلة الدكتور / عبد الحكم أحمد شرف	٤٣
◪ الإســلام فــى استــراليا	
لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٥٣
◪ مفاتـــح الغيـــب	
للشيخ أحمد على منصور	٥٦
◪ الفتـــاوى	
إعداد عبد الحميد السيد شاهين	٦١
◪ مــن اعــلام الأزهــر	
فضيلة الأستاذ عبد الوهاب خلاف	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٦٣
◪ باب الشعــر والشعــراء	
إعداد الدكتور حسن جاد	٦٩
◪ الله والنفـــس	
للأستاذ رشاد محمد يوسف	٧٠

الموضـــــوع	الصـــفحة
◪ قصـــة الهجـــرة	
للشاعر عبد العليم القبانى	٧٢
◪ صـــدى الهجـــرة	
للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين	٧٣
◪ طبيعـــة الغـــازات	
للدكتور محمد ابراهيم حسين	٧٤
◪ هذه الاعشاب وهذه النباتات	
للدكتور السيد الجميلى	٧٨
◪ مجلة الأزهر من خمسين عاما	
إعداد عبد الفتاح حسين الزيات	٨٠
باب اللغة والأدب والنقد	
◪ بحوث من الماضى القريب	
للأستاذ محمد عبد الله عثمان	٨٦
◪ رسالـــة جامعيـــة	
عرض وتقديم صفوت عبد الجواد	٩٢
◪ الفصل بين المضاف والمضاف إليه	
للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله	٩٧
◪ طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٠٤
◪ أنباء وآراء	
للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح	١١٠
◪ مـــن خيـــر ما كتـب	
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	١١٤
◪ رسالة قارىء	١٢٠
القســـم الانجليـــزى	
◪ المقالـــة الثالثـــة	
للأستاذ فتحى محمد يوسف	١٣٠
◪ المقالـــة الثانيـــة	
للدكتور فوزى محمد طايل	١٣٥
◪ المقالـــة الأولـــى	
للدكتور أنس مصطفى النجار	١٤٢

مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

alone is the sole directing force in the life of the whole universe including mankind. The aim of every person who submits to Allah (God) is not to make other people do what he wants, but what Allah (God) wants. This is living through Allah's guidance, accepting what is allowed and permitted, and rejecting what is forbidden. Islamic teachings constitute a complete integrated comprehensive code that is applicable and specific to all the various facets of human life. This code deals with personal individual conduct; family structure and ties community relationships; governmental growth, jurisdiction and authority; financial buildup and economic systems; individual and community health; scientific progress, mental and moral civilization founded on education and knowledge; combat of social diseases; regulation with precision of the individual's role in the society; and above all justice, dignity, and the real true rights of man. There is nothing that concerns the life of mankind that is not considered i; combat of social diseases;
regulation with precision of the individual's role in the society; and above all justice, dignity, and the real true rights of man. There is nothing that concerns the life of mankind that
is not considered if beneficial sound knowledge of the endless horizons of truth and reality. It satisfies the requirements of mankind both the material and the spiritual, and disciplines the desires and releases in safety the twists of human complexities. It is the saviour of mankind in this life and in the Hereafter to attain "Falah".

social disconcert and morbid violent confusion of human communities arises essentially from the deviation away from spiritual commitment. Man-made laws of social structure are evry diverse and inadquate, being basically founded on changing the material environment of the individual and that man can create his own truth and reality and mold himself to fit into it. Such philosophy with its opposing ideologies of socialism and capitalism has resulted in the formulation of false gods and has stranded human understanding into a state of selfish blindness and social injustice, into a form of virulent secular nationalism and self worship. The evils and malignancy of a materialistic secular society find support and advocates among members of the scientific arena who accept and provide logic to the various categories of secular knowledge because they know no other; and the best of them try to force religious and spiritual values to fit into that logic; while it is secular knowledge that should fit religious and spiritual values and disciplines.

The pursuit of man-made social reformation is a delusion that will elevate itself to a false god and will finally degenerate into the imposition of the founder's own selfish and narrow view of right and wrong on the saciety at large.

The essential task facing each individual is not how to change others, but how to change oneself. The objective is spiritual renewal at one's own level which is achieved by one's possession of basic human rights and dignity. These basic human rights and dignity are provided to mankind by Islam, and are supported by Divine Guidance how to implement these rights at all levels of human social structure; personal, familial, community, national, and mankind at large. Islamic teachings indicate that human nature is inherently good, and the continual rememberance of Allah (God) produces virtue and sustains righteousness. The uniquely complex disciplines of the human communities emphasize the need for structural innovation. Such requirements can be drawn from the dynamism, practicability and moderation of the Divine Guidance and the Islamic law of jurisprudence. In this law, there is no power struggle, no racial discremination or prejudice, no injustice. The Holy Quran states "And we have made you nations and tribes so that you may know and cooperate with one another. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah (God) is the one who is most God-fearing. Allah is All-Knowing, All-Cognizant. (Surat Al-Hujurat, XLIX, 13).

The ultimate aim of every religion is to restore the faith and belief in the hearts and minds of mankind that Allah (God)

man's fulfilment. The modern age appears to suffer a surgence of secular triumphalism; the blind understanding that man can create and uphold truth and reality, and solve all his problems without divine guidance is a grave mistake. This understanding inevitably results from man's arrogant and ignorant worship of the self, and claim power by extortion of an exclusivist monopoly of truth and reality, and rejecting to consider the validity of any other channel of thought. According to Islamic philosophy, all human activity and effort should be directed towards the achievement of spiritual and moral excellence. Man must utilize the powers of observations, analysis, reasoning and judgement in a logical scheme within the framework of freedom of choice, thought and action. This frame work of individual freedom originates from by the direct relationship of man with Allah (God), being alone responsible for his deeds and conduct, and his conscience answerable only to Allah (God). Man is provided with spiritual guidance and jurisprudence, and is endowed with qualities of thought and reasoning. Islam teaches that all human activity should to directed towards the achievement of "Falah" - which is a total comprehensive tangible understanding of a pan success and welfare of the individual in this life and the Hereafter. The society that neglects the preparation for the Hereafter can never achieve "Falah" in this life. Ibn khaldun indicates that the ascent and decline of civilizations and nationhood is spiritual and moral performance. The commitment to a transcendent goal in belief induces ascendancy, prosperity and "Falah" ; while indifference to the transcendent in rejection of belief leads to moral corruption, false gods, spirtual decay, social and individual injustice, and the downfall of the civilization. Every ultimate value or purpose other than Allah (God) is basically false and contrary to Reality.

The world wide surfeit of materialism and false gods resulted in a crescendo of social disruption and disintegration manifested in crime, rape, murder, sexual perversion, psychopathias, mental delusions delinquencies, alcoholic and drug addiction, and child abuse. These are some of the more common signs and symptoms of a diseased unhealthy human community. Inspite of all the vigilant painstaking diligant efforts of social reformers, the pathology and disease patterns of mankind the word over are rapidly increasing. No real safeguards remain to exist in the world social order of today, and human communities live in perpetual fear and unstability.

The origin and etiology of all forms and manifestations of

ISLAM AND MANKIND

By : Fathy Mahmoud Youssuf

The teachings of Islam have been precisely detailed in the Revelation of the Holy Quran. These teachings have been formulated in comprehensive laws of Sharia by the Hadith and the traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). The precepts of the Islamic Sharia encompasses all aspécts of the worldly life of mankind, and deals with precision and practical realism the fundamental rights and duties of man in society. The jurisprudence of the Islamic Sharia governs the moral and sociatal aspects of human life, and satisfies the requirements for a healthy pychological,spiritual and bodily balanced stability of man. The present treatise deals with major issues that are most relevant to mankind in current world circumstances. The understanding of the basic Islamic beliefs can most certainly releave mankind of existing social distortions. An analysis of Islamic thought and jurisprudence regarding the individual, the family, the community and the state, will provide a total integrated struture of a healthy human life. The only requirement is the proper and optimal implementation of the Islamic Sharia founded on gradual basis of education. The issues discussed are illustrative of the degree of pertinence and suitability of Islamic teachings to human nature. Inspite of, and contrary to the biassed unfounded and unscientific trends of prevailing unreligious world thought today, the teachings of Islam will remain to be the only and most suitable form of system for the life of mankind, if properly understoad and properly implemented.

The rapid and malignant growth of atheism materialism, and religious decline has identified the existance of polytheistic concepts that organised the formulation of false gods in the mind of man. These originate from subtle premises of thought, the goals of personal power, wealth, prestige or the like, that substitute for the belief in the One God in the person's value system. Such false gods eventually and inevitably destroy their own worshippers. This understanding is a basic message in Islamic teachings. The pursuit of false gods manifests itself in the deviation from truth and reality which are the prerequists to

dignity, freedem and respect. Communism is basically built on class antagonism and conflict, while Islam formulates respect, love, cohesion between classes. The core of communist ideology is abolishment of law system regulating the relationships between individuals, and between the society and state; such is absolutely rejected is Islam, where an integrated system of Sharia (Low of Jurisprudence) is most highly recognised.

The Islamic system is basically based on Islamic beliefs, all of which control the individual relations between people and safequards their interests; balancing that with the interests of the society and public at lavge. Power interference establishes and maintains the existance of this equilibrium. Without faith and belief, such equilibrium will be impossible to maintain, and individual interests will dominate as occurs in a liberal system, or power interferance dominate for its intersts as occurs in a communist system.

Islam teaches that Allah (God) has honoured man and guaranteed his freedom and human diginity, and essential equality. Those who are more beneficial to society are the preferable. The wellfare of man in this world and in the hereafter is the corner stone of Islam, for man is regarded as vicergent of Allah (God) on earth. Man in an implemented Islamic system has to practice his full rights and freedoms given to him, and to safeguard these rights, they become preserved for others.

The Islamic law controlls all walks of life, political, economical, cultural, social, scientific, familial and all other details. The head of the state enjoys same rights and falls under all obligations. The Islamic state has a unique independent personality derived from belief in Allah and submission to the Jurisprudence of the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him).

political power maintains a political guarantee for preserving human and freedom.

The nature of the Islamic system although it bears some similarities to current ideologies and political schools yet it is essentially unique and basically different to all other. The prime factor that determines this difference is that the Islamic system is derived from the Holy Quran, the Revelation from Allah, and from the Sunnah and traditions of the Messenger of Allah-Muhammad (prayers and peace be upon him). This makes the Islamic system totally divine; while all other political doctrines are man-made. This in itself makes the whole differences in oncepts, understanding, legislation and implementation.

An analysis of the similarities and differences between the Islamic doctrines and other ideologies can be made comprehensive by comparing Islamic teachings with other schools. Such an analysis will reveal that even in aspects of similarities there are root differences. Islam and neoliberalism have similar power activity to ensure social rights, however, their sources and ultimate consequences are very different. Again, the right of ownership bears different philosophies and limitations in both systems. The integration achieved between the individual and public interests in the Isalamic system is not realised in the neoliberalist system due to conciliation, fluency, and lack of confidence, between state and individual. The concept of secularism in the neoliberalist thought is too far reaching and severely encroaches on the spiritual element in the life of man. The concept of capital investment and the whole fiscal system is totally different in Islam than in liberalism. Another important facet of difference lies in the concept of human rights and freedom; such in the liberalist system is totally mutilated, misunderstoad, malpracticed, and wrongly implemented.

Islam socialist ideology rejects monopoly, exploitation and social injustica. However, the means implemented to prevent such social disorders are very diverse and different. Self criticism is a form of propaganda and hypocritical, while in Islam, it is a bosic ordinance akin to Towba (repentence). The concept of the "Shura" of group dicision-making is unprecedented in any man made ideology. Extreme socialist thought (Communist) essentialy rejects belief and religious practice, and consequently deprives the society from basic understanding of confidence, human

and wealth of the deceased takes place according to the exact text of the defined system of heirship heredity and testment and not according to the desire in a written statement of will.

Power interference in an Islamic system also aims at establishing, maintaning and controlling a very distinct equilibrium between individual and public interests. This is achieved by a sytem of social guarantee and upholding human rights and freedom.

The system of social guarantee is essentially the direct outcome of a healthy, virtuous, mentally stable, benificiary social environment. An honest society is a prosperous society where poverty and need should be erradicated; and where the highest degree of mutual respect and love prevail. In such society, all individuals Muslims and Non-Muslims alike enjoy the advantoges and values of social guarantee. This social provision dominates consequent upon two main essentials a material and a mental. The material aspect aims at establishing homogeneity and social cohesion by preventing class prejudice and distinction, by abolishing crime and its causes, avoiding capital influence, and prevention of social disorder. The mental aspect is the achievement of a stable healthy mental pattern of the society by always establishing what is right and forbidding what is wong-the optimization of virtue in the society. Social guarante is not a mere moral and religious instruction, it is a legalized legislated system which is protected by judicial claims, and the state power must interfere if necessary to ensure it.

Social guarantee of individual and public interests is verified by both legal and religious means. The legal aspest is achieved by the priority to protect and defend the working class as an apriori right maintaing a balance of this right and labour production, efficiency and output. The religious aspect constitutes "the Zakat", charity endowments, vows and the like. This premises of funds are properly redistributed in the society according to a well legalised legislated system made functional by Islamic teachings.

The upholding of human rights and freedom are ensured by both legal and political constitution. The Islamic system of "Hudud" is administered through an independent infallible judiciary function. The freedom of public opinion and public

of the individual, and the security of the state. The security of the individual comprises, the person, the family, the community and the society at large; and also inculcates the Islamic personality which is based on faith, discipline, fraternity, and moral excellence in a manner that leads to cohesion and balance of the society. This cohesion and balance is achieved and maintained by the system of the "Hisbah" which controls and protects individual rights and values; and by the penalty policy of the "Hudud". The security of the state is the preservation of the external security of the state which is achieved by the "Dawah" to Islam through the propagation and explanation of Islamic teachings, and by "Jihad". Jihad defends dignity, independence, freedom, and ligitimizes itself to oppose oppression and persecution, to defend freedom of belief, to maintain justice and human rights, to secure peaceful dawah, and to defend state treaties.

A second important aspect of power interfernce is the imposition of a specific economic system and controlled economic activity without encroaching on presonal freedom. According to the principles of the Islamic economy system, the economic activity of the individual should conform with the individual's material interests together with the economical public interest and balance. These activities on the part of the individual are basically controlled by personal moral principles of truth, honesty, promise, confidence and quality control of trade commodities. Such media of trade honesty and efficiency is safeguarded by state authority. The whole structure of trade and economic system guarantees equal opportunities, prevents monopoly and profiteering, rejects exploitation, extravagance, hoarding and black marketing. Usury (Riba) is absolutely condemned, while the trade concept of offer and demand is respected. Power interference on price control of commodaties takes place only in specific circumstances.

The Islamic system of state power establishes an accurate organization of personal ownership. In its practical application, it takes into consideration the innate quality of human nature to procure and preserve material wealth. There is no expropriation by the state except in case of necessity for public advantage and on prompt payment of adequate compensation. There is no confiscation of legally gained and legitimately obtained profits or property. Capital investment is highly encouraged. All property, trade activities, captial possession must be subject to the law of "Zakat". State authority is responsible for collection and redistribution of the "Zakat" in its proper legislated channels. The distribution of the property

THE ISLAMIC SYSTEM-ITS SOURCES AND NATURE

By: Dr. Fawzy Muhammad Tayel

The Islamic state is that whose constitutional structure is based on and derived from the Holy Quran and the Sunnah (tradition of the Prophet prayers and peace be upon him). This constitutional structure aims at implementing the Shariah (Islamic law of Jurisprudence) as its system of governance in all walks of life.

The first Islamic state was in reality established by the first Khalifa of Islam Abu-Bakre Ibn Kuhafa, and was later developed by his successor Omar Ibn Al-Khattab. The Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him), however,was essentially the founder of Islamic teachings as were derived from the Revelation of the Holy Quran, and his traditions. It was during the life time of the Prophet (prayers and peace by upon him) that the complete facets of Islamic teachings were recognised and practiced by the compainons that formed the Islamic community at the time.

The Islamic law of Jurisprudence derives its elements from the Holy Quran and the Sunnah as the fundamental sources of the Islamic constitutional system. Diligence and effort on the part of the learned men (Ulama) to understand, extract, derive, formulate, and explain the Islamic law system from its souress must be a perpetual duty.

One of the most important and critical aspects of the Islamic system of Shariah is power interference. The excercise of power activities in an Islamic state is a very balanced and calibrated authority; being essentially for safeguarding the integrity and security of the Islamic society, and the imposition of a regulatory mechanism upon economic structural systems and activities to safeguard the overall wellfare of the community and society.

The security of the Islamic society constitutes the security

Allah, an appraisal of devoutness, a practice of their perseverance, and an experience for long distance travel in adverse conditions. The unique nature and significance of the campaign to Tabouk was at the time and even today beyond complete appreciation and understanding; even those who remained behind experienced an acrimonous ordeal. It was the last campaign that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) commanded. Furthermore, the campaign of Tabouk and the great battle of Badre are the only two whose events have been detailed and particularized in seperate Suras of the Revelation of the Holy Quran.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was conscious of the mental patterns and psychological structure of the Muslim army as it tracked its way south from Tabouk to Al-Madinah. With great precision and tact of command, the army was governed back to Al-Madinah. Some chroniclers, however, relate that on the way back from Tabouk, there was an incident of an attempt to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It was schemed by a band of fourteen hypocrites to push the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from over a ridge as they rode over it. Huzaifa Ibn Al-Yaman and Ammar Ibn Yasser were close and were able to confront the masked renegades and blind their mounts but could not identify them. The identities of these men was revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) through divine knowledge, and their names were disclosed only to Huzaifa Ibn Al-Yaman and told to keep them secret. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) when asked to order the killing of those hypocrites said "I hate that people will speak that Muhammad kills his companions ".

The army was entering the outskirts of Al-Madinah and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "In Al-Madinah, there are folks who were with you at every pace you walked and at every valley you crossed, they were detained by excuse". It was the month of Ramadan of the nineth year of Hijrah when the Muslim army arrived at Al-Madinah.

Prayers and peace be upon our magnanimous prophet.

the heart, and the best deeds are those that are useful, and the little that suffices is better than the plenty that distracts, and the best of riches is the richness of the self, and the head of wisdom is the fear of Allah, and the best that dwells the heart is certainty of believe "Yaquin", and uncertainity is the root of disbelief, and intoxication is the gathering of evil, and the worst investment is Usury "Riba", and the worst food is the illicit possession of the Orphan's money, and the best of all characters of man is patience, I ask Allah forgiveness for myself and my people, I ask Allah forgiveness for myself and my people, I ask Allah forgiveness for myself and my people".

After the withdrawal of the Bezantine forces from the borders, and the organization of the peace treaties with the peoples of Aylah, Al-Jarbaa, and Azrouh; there was no purpose for the Muslim army to remain any longer in Tabouk. Preparations for the return journey were made, however, one more security measure had to be assured. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered Khalid Ibn Al-Walid at the head of four hundred horsemen to go to Dumat Al-Jandal to the north-east of Tabouk a stronghold on the roads from Al-Madinah to Syria and Iraq. There were fears that Ukaydir Ibn Abdel-Malek Al-Kindi, the Christian King of Dumat Al-Jandal would later allow and assist Berzantine troops to infilterate the frontiers and invade Muslim territory. Khalid Ibn Al-Walid went north - east to Dumat Al-Jandal, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the remainder of the Muslim army travelled south to Al-Madinah. Khalid entered Dumat Al-Jandal meeting no resistance and captured Ukaydir while out hunting, took him back to Al-Madinah with two thousand camels, one thousand sheep, grain and armour. At Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave Ukaydir his freedom and arranged a peace treaty of Muslim protectorship of Dumat Al-Jandal for a yearly tribute. Some chroniclers relate that Ukaydir entered Islam.

The journey back from Tabouk to Al-Madinah was also possessed with hardships. The very limited provisions of water and food, the extreme heat and dryness and the physical exhuastion of the men. The purpose of the whole campaign to Tabouk was not significant in the minds of many. There was no combat, no martyrdom, no bravery excersiced, no spoils of war collected. They could not appreciate the premonitory political, strategic and security values of the withdrawal of the Bezantine forces into Syria, and the peace treaties transacted with frontier communities; what has been achieved was not worth the extreme hardships they have experienced. Others fully identified the great importance of what had been accomplished, and also recognized that the whole campaign to Tabouk was ordained by

heavy sand storms that blinded people and mounts. The army pursued its march to Tabouk.

One night, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said to his campanions "Tomorrow, Allah willing, you will come unto the spring of Tabouk, you will not reach it until the sun be hot. Whoso cometh unto it, let him not touch its water until I myself be come" The first two men to reach the spring drank from it, and when the main army arrived, the water from the spring had become less than a trickle. The two men were rebuked for disobeying instructions. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered that as much water as possible to be scoooped up and made ablution and poured the ablution water over the mouth of the spring supplicating to Allah with stoicism and humbleness. Soon, water gushed forth from the spring and continued to flow to satisfy the needs of all. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)turned to Muadh Ibn Jabal, who stood nearby and said "It may be, O Muadh, that thou shall live to see this place as a vale of many gardens".

The Muslim army remained in Tabouk for twenty days. There was no encounter with Bezantine forces who left the frontiers to the interior of Syria for its defence under the impression that the Muslim army might invade Syria. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had no such intention and remained at the frontiers. While at the frontiers, several peace treaties were arranged with Christian and Jewish communities living on the frontiers and along the eastern coast of the gulf of Aqabah. In return for a yearly tribute, they were offered protection by the Islamic state. These peace treaties were with Yuhanna Ibn Rubah, the peoples of Al-Jarbaa, and Azrouh. A document of security was signed which stated. "In the name of Allah most Gracious most Merciful. This is a secrity from Allah and Muhammed the Messenger of Allah to Yuhanna and the people of Aylah, their mounts on land and sea. They have the covenant of Allah and the Messenger of Allah, and those with them from the people of Syria, and the people of Yemen, and the people from the sea. They are granted safe passage on all roads they travel".

Some chroniclers relate that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) spoke to his companions while in Tabouk with these words. With his back to a palm tree, he praised Allah and said "The speech of utmost truth is the Book of Allah, and the tightest bond is "Taqwa", and best faith is the faith of Ibrahim, and the best tradition is the sunna of Muhammad, and the most honourable speech is the remembrance of Allah, and the best examples for guidance is that of the Prophets, and the most honourable death is in martyrdom, and the worst blindness is unruliness after guidance, and the most evil blindness is that of

Indeed Hell surrounds the unbelievers.
(Surat Al-Tawba, IX, 48 - 49).

Among those who stayed behind were four men of good faith and devout in Islam. They did not deliberately decide to remain, no did they proffer excuses, they could not bring themseleves to make the necessary preparations to leave, till it was too late and the army had left. These men were Kaab Ibn Malik, Mararah Ibn Rabie, Hilal Ibn Umayah, and Abu Khaythamah Malik Ibn Qays. About ten days after the army had marched out, Abu Khaythmah came home on a day of intense heat to seek the cool shade of his garden. There were two huts clean and sprinkled with water, and a wife in each but ready with a meal and cooled water. He stood up and exclaimed "The Messenger of Allah is out in the glare of the sun and the blazing hot winds, and Abu Khaythamah is here in the cool shade, attended by two wives with food and water !, that shall not be, by Allah I shall not enter these huts until I have joined the Messenger of Allah". Abu Khaythamah prepared his provisions, saddled his camel and set off with all speed to join the Muslim army bound north. Abu Khaythamah met with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at Tabouk. The narrative of the other three men who stayed behind became subject to Quranic Revelation due to its specific significance. The details of this narrative will be considered in its propers place after the return of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Al-Madinah.

The army marched north in the blistering heat and scorching dryness consuming the limited supplies of water and provisions. The men dredged their way across the vast expansive desert, hungry, thirsty and exhausted; yet with equanimity and determination, they were in "Jihad" for the cause of Allah, following the Messenger of Allah. Despite all the hardships the men were experiencing, they remained very calm, placid and self composed, they showed obstinate resolution and challenging patience. There was a generalized inherent recognition of the divine nature of this campaign. They reached Al-Hijre where the dwellings of Thamoud were engraved and cut in rock. The men rushed to the wells for water; but the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced "Do not drink from these waters, and do not use it for ablution for prayers, and do not use it for making dough for bread, give any dough you have made to the camels and do not eat anything from it". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also ordered "Do not enter the dwellings of those who have been unjust to themseleves, and do not walk at night alone but in pairs". That place was famous for

Madinah, and Ali Ibn Abi Taleb was left responsible for the Prophet's family. The hypocrites spread the rumour that Ali was left behind because he would burden the Prophet who wanted to be relieved of Ali's presence. On hearing that Ali overtook the army at the first halt and reported what was said. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "They lie, return and remain to represent me in my family and in yours; O Ali that you should be unto me as Aaron was unto Moses, save that there is no Prophet after me".

The march north to Tabouk started, thirty thousand warriors, the largest Muslim consortium under the command of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They moved in the parching heat of the north Arabian desert uncertain of their destiny, yet very confident of the support of Allah, because they were out there for the cause of Allah. They were armed with the certainity, and "Yaquin" of their faith. Truely this was the "army of hardships"; hardships of the intense heat, hardships of lack of water and provisions, hardships in the very limited resources, hardships in the few number of mounts available, and hardships in the final confrontation of a strong enemy.

The leader of the hypocrites at Al-Madinah, Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool had gathered an army of hypocrites and those with doubt and uncertainity in their faith. They camped opposite the Muslim camp outside Al-Madinah. When the Muslim army started the northbound march, the hypocrite army returned to Al-Madinah with the excuse that the weather was too hot to bear and they announced that they cannot go out to join that campaign. The Quranic revelation in this context states:

> "Those who were left behind rejoiced in their inaction behind the back of the Apostle of Allah.
> They hated to strive and fight with their property and their persons in the cause of Allah. They said, "Go not forth in the heat". Say "The fire of hell is fiercer in heat". If only they could understand.
> (Surat Al-Tawba, IX, 18)

> "Indeed they had plotted sedition before, and upset matters for you; until the truth arrived and the decree of Allah became manifest, much to their disgust.
> "Among them many a man says "Grant me exemption and draw me not into temptation".
> Have they not fallen into temptation already ?

The time was the seventh month of Rajab of the nineth year of Hijrah, September-October 630 AD. The season was late summer, the drought and heat were very intense and oppressive. It was the time for the fruits to ripen. These reasons together with the formidable soldiery reputation of the imperial Bezantine legions, made many less devout Muslims reluctant to join and made excuses to stay behind. The hypocrites addressed people against joining the campaign, and some of them regularly gathered in the house of Sewilem the Jew to blunt and enfeeble the enthusiasm of Muslims to join the northern campaign to Tabouk. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered Talha Ibn Ubaidullah with some others of the companions to burn the house down. The majority of the people, however, were making ready with all possible speed. The rich men among the Muslims competed with one anather in their donations of money for the preparation of the army. Osman Ibn Affan gave enough for the mounts and armour of ten thousand men. Àbu Bakre gave all his wealth, Omar Ibn Al-Khattab gave half his wealth; and several others gave very generously. Several poor people went to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to ask for mounts. Some were given mounts, and others were not because no mounts were available, these turned away weeping in disappointment. A subsequent revelation glorified in honour the memory of those "weepers".

> "Nor is there blame on those who came to thee To be provided with mounts, and when thou saidst, "I can find no mounts for you" they turned back, their eyes streaming with tears of grief that they had no resources wherewith to provide the expenses".
>
> (Surat Al-Tawba, IX, 92).

The component conditions of the campaign to Tabouk were very taxing and challenging to the Muslims, severely testing their devoutness to their faith. The very long distance of travel, the intense heat and dryness, the season of fruit gathering, the very limited resources, and the reputed formidable enemy to confront. For such circumstantial difficulties, the army was popular by the name "the army of hardships". When all the worriors from the tribes arrived, the army was thirty thousand strong including ten thousand horsemen. The camp was outside Al-Madinah with Abu Bakre temporarily in charge, while the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was attending to the final arrangements and administrative matters before leaving Al-Madinah. Muhammad Ibn Maslamah was to be responsible for the ministership of Al-

THE EXPEDITION TO TABOUK

By : Dr. ANAS Moustafa El-Naggar MD, PHD.

In the name Allah most Gracious most Merciful.

The power structure of the Arab peninsula changed after the conquest of Macca, the battle of Hunayn and the siege of Al-Taif. This change crowned the Muslim community as the most powerful, and justified their need to implement the laws of Islamic jurisprudence and adminstrative and fiscal legislations in territories which accepted Islam and were in allegiance with Muslims. The whole Arab peninsula recognized the domination and authority of Islam, and accepted the mastery and ruling of the new creed. Non-Muslim tribes that remained in their faith had to pay dividend for their security, and Muslim tribes had to pay the Zakat. A status of power and social stability had been realized.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was diligently engaged in establishing that status of power and social stability within the Arab penisula under Islamic jurisdiction. From Syria the north frontier of the Arab peninsula, however, one danger appeared to be threatening the Islamic state. There were growing rumours that the Bezantine Roman Emperor Heraclius was making preparations for a military campaign against the growing Muslim state and was planning to invade their northern frontiers. Heraclius also enlisted for that campain the christian Arab tribes of Lakhm, Judham, Ghassan and Amilah and marched south to reach Balqa. These reports that reached the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were partially exaggerated and partially not the truth. However, summons were announced to all arab Muslim tribes to prepare and send at once to Al-Madinah all available armed and mounted worriers for the northern Syrian campaign against the Bezantines. Contrary to the usual practice not to divulge the true objective and direction of any expedition, this time there was no secrecy, and the exact purpose and destination of the campaign were fully and exactly declared. The campaign was to be under the command of the Prophet himself (prayers and peace from Allah upon him).

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

MUHARAM, 1407 H.

CONTENTS

1. The expedition to Tabouk
By: Dr. Anas Moustafa El Naggar.

2. Islamic System - Its Sources and Nature.
By: Dr. Fawzy Muhammad Toyel.

3. Islam and Mankind
By: Fathy Mahmoud Youssuf.

Preparation of Prints : Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

١٢٨
٢٢٢٢٦ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

السُّنَّة وأبعاد الضلال

لولم تكن السُّنَّةُ إلا « حكمة » من عين اليقين .

ولولم تكن إلا « هدى » إلى صراط مستقيم .

ولولم تكن إلا «تاريخا » يسجل خُطَا هذا الدين .

لولم تكن السُّنَّةُ إلا ذلك لَحَقَّتْ لها الحرمة والخلود ، فإنما هى تراث عزيز نادر لم تملكه أمة قبلنا ، ولا حازه شعب فى الوجود .

فكيف .. ؟

وهى ـ من قبل ذلك كله ـ تشريع فى الدين ، وتوجيه لفهم الكتاب العزيز ، وقدوة لمن احتاط لدينه وطلب رضا رب العالمين .

وهل آمن بالقرآن من نبذ السنة .. ؟!

كلا ... والله !!

الجزء الثانى

السنة التاسعة والخمسون

صفر ١٤٠٧ هـ ● أكتوبر ١٩٨٦ م

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

ما آمن بالقرآن من نَبَذَ السنَّة ، فإن القرآن لا يستغنى عن السنة ، وما القرآن والسنة إلا جناحا هذا الدين ، مَنْ مَسَّهُ - أو أحدهما - بسوء فقد طعن الدين ، وإنما يريد نَبْذَ السنة إنسان يستعد لذبح الكتاب العزيز فالمروق منهما جميعا .

ثم لماذا يضيق من ضاق بالسنة ؟!

هل بلغ من العلم ما يؤهله لأن يفهم الكتاب العزيز فهما يتضح له به الاسلام ، فلا يخرج على هذا الدين ؟

من عجب .. أنه لم يَدْعُ إلى نبذها ذو ثقافة عربية رفيعة ، أو عمق إسلامى مشهود !

وهل يعنى نبذ السنة إلا سيطرة الأهواء ، والخروج عما عليه المسلمون ، فتكون فتنة تتكاثف لها الظلمات ، وينأى عنها الهدى والرشاد .

وما غاب ذلك كله عن سيد المرسلين ﷺ ، ولا صحابته ، ولا صدر التابعين - رضوان الله عليهم أجمعين .

روى الإمام الحجة أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى فى « سننه » بسنده إلى أبى ذر - رضى الله عنهما - قال :

« أمرنا رسول الله - ﷺ - ألا يَغْلِبُونا على ثلاث : أن نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، ونعلم الناس السُّنَنَ » .

وهذا هو الاسلام يقيم فينا ما أقمنا هذه الثلاث ؛ فمن دعا إلى نبذها فليس منا ؛ فلينظر مِمَّنْ هو ؟ ... ولمن يفعل ؟

قال الإمام الزهرى - رضى الله عنه :

الاعتصام بالسنة نجاة .

وروى الدارمى عن عبد الله الديلمى - رضى الله عنهما - قال : بلغنى أن أول ذهاب الدين ترك السنة ، يذهبُ الدينُ سُنَّةً سُنَّةً ، كما يذهب الحبلُ قُوةً قُوة .

من أجل الدين - إذاً - كان الحرص على السنة .

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما :

إن كان ليبلغنى الحديثُ عن الرجل فآتيه - وهو قائل - فأتوسد ردائى على بابه ، فتَسْفِى الريحُ على وجهى التراب ، فيخرج فيرانى فيقول :

يابن عم رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك ؟

فأقول : أنا أحق أن آتيك ... فأسأله الحديث[1] .

ويوصى ـ رضى الله عنه ـ المسلمين ـ بالحديث فيقول :

« تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم ، فإنه ليس مثل القرآن مجموع محفوظ ، وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم ، ولا يقولن أحدكم : حدثت أمس فلا أحدث اليوم[2] ، بل حدث أمس ولتحدث اليوم ، ولتحدث غداً .

زاد :

فإنه من كان سمعه يزداد به علما ، ويسمع من لم يسمع »

.. .. ..

وليعلم مسلم : ما السنة ؟

روى الدارمى ـ بسنده إلى الامام الأوزاعى ، عن حسان ـ رضى الله عنهم ـ قال :

« كان جبريل عليه الصلاة والسلام ـ ينزل على النبى ـ ﷺ ـ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن » .

وبسنده إلى مكحول ـ رضى الله عنهما ـ قال :

السنة سنتان :

سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر ، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيره[3] حرج »اهـ

أليس قد علمنا أجزاء الصلاة وعدد ركعاتها ومقادير الزكاة وفرائض الحج من فعله ـ ﷺ ـ فمن جحدها كان كافرا وهل علم ـ من لم يعلم ـ أن « السنة قاضية على القرآن ، وليس القرآن بقاض على السنة » فكيف نتركها ؟!

.. .. ..

وهذه دورة المروق .. ، ودائرة الفتنة حيث خلايا الداعين إلى نبذ السنة لينقضوا ـ من بعدها ـ على القرآن الكريم :

روى الدارمى ـ بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ :

إن هذه السورة لما أنزلت على رسول الله ـ ﷺ :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ .

قال رسول الله ـ ﷺ :

ليخرجُنَّ منها أفواجا كما دخلوه أفواجا .

.. .. ..

وقد علمت ـ أيها المسلم ـ بم يكون الخروج ؟

أعاذنا الله تعالى .

فرجل مدع علما يتطاول إلى رد حديث رسول الله ﷺ :

حدث سعيد بن جبير رضى الله عنه يوما بحديث عن النبى - ﷺ - فقال رجل : فى كتاب الله ما يخالف هذا .

قال سعيد : ألا أرانى أحدثك عن رسول الله - ﷺ - وتعرض[٤] **فيه** بكتاب الله ، كان رسول الله - ﷺ - أعلم بكتاب الله منك .

قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه :

« إنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم .

ثم يوصى - رضى الله عنه - المسلمين ليمكن رد هؤلاء الأدعياء ، فيقول :

« فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع[٥] ، وإياكم والتنطع[٦] ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق » .

وآخر يردد حكما أو أحكاما اختلفت من صحابى إلى آخر دون أن يعنى ببيان ميدانها ، أو يقول لمحدثه : إنها بعيدة عما افترض الله ، ولو أن صحابة رسول الله - ﷺ - أجمعوا على **السُّنَّة** جميعا لضاق بالمسلمين الأمر ، وما يَسَّرنا اتفاقهم .

قال عون بن عبد الله - رضى الله عنه :

« مَا أُحِبُّ أن أصحاب النبى - ﷺ - لم يختلفوا ؛ فإنهم لو اجتمعوا على شىء فتركه رجل ترك السنة ، ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحد أخذ بالسنة » .

وثالث : همه متشابه القرآن يذيعه ابتغاء الفتنة ، وإيهام الناس بالباطل ، وفيهم روى الدارمى بسنده إلى عائشة - رضى الله عنها - قالت :

تلا رسول الله - ﷺ - :

﴿ **هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ فقال رسول الله ﷺ .

﴿ **إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم** ﴾ .

أو جماعة تنتهج دعوة تُسِرُّ بها دون عامة المسلمين ، وفيهم يقول عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه :

«إذا رأيت قوما يَتنجون[٧] بأمر دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة ».

أى نعم ، ماداموا يسرون بها ولا يجهرون ، وينتبذون بها المكان الخفى ولا يظهرون .

قال أبو قلابة - رضوان الله عليه :

« إن أهل الأهواء أهل الضلالة ، ولا أرى مصيرهم إلا النار ، فَجَرِّبْهُم فليس أحد منهم ينتحل قولا - أو قال حديثا - فيتناهى به الأمر دون السيف .

وإن النفاق كان ضروبا ثم تلا :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ ﴾ .

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ) .

فاختلف قولهم ، واجتمعوا فى الشك والتكذيب » اهـ

وتلك سمات واضحة على من يشق أمر المسلمين وهم جميع ، وقد تُطلَب الزعامةُ خلال ذلك النفاق.روى الدارمى بسنده إلى ربيعة بن يزيد قال ، قال معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه :

يُفتَّح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبى والرجل ، فيقول الرجل : قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَعْ ، والله لأقومن فيهم لعلى أُتَّبَعْ ؛ فيقوم فيهم فلا يُتَّبَعْ ، فيقول : قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَعْ ، وقد قمت فيهم فلم أُتَّبَع ، لَأحْتَظِرَنَّ فى بيتى مسجداً لعلى أُتَّبَع فيحتظر فى بيته مسجداً فلا يُتَّبَع

فيقول :

قد قرأت القرآن فلم أُتَّبع ، وقمت فيهم فلم أُتَّبع ، وقد احْتَظَرْتُ فى بيتى مسجداً فلم أتبع .

والله لآتينهم بحديث لا يجدونه فى كتاب الله ، ولم يسمعوه عن رسول الله لعلى أُتَّبَعْ .

قال معاذ : فإياكم وما جاء به ؛ فإن ما جاء به ضلالة .

وهكذا تدور الفتنة حتى يستهين المرء منهم بدينه أعاذنا الله .

د/ على أحمد الخطيب

مراجع أحاديث المقال :

هى ـ جميعا ـ من مقدمة الإمام الدارمى لكتابه سنن الدارمى" طبع دار المحاسن بالقاهرة عام ١٣٨٦ .

[١] قائل : نائم .. فأسأله الحديث .. أطلب منه ماجئت من أجله.

[٢] أى يضيق بالتكرار ، فأوصاه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بالتكرار .

[٣] أى إلى غيرها حرج ، فقد يكون (الغير) بدعة ـ عصمنا الله .

[٤] عرض الرجلَ : ناقض كلامه .

[٥] تبدع : صار مبتدعا .

[٦] التنطع : تنطع فى الكلام : تفصح فيه وتعمق ورمى بلسانه إلى نطع الفم : ما ظهر فى داخل الفم من الغار الأعلى حيث موقع اللسان من الحنك .

[٧] من النجوى وهى المساراه من السر .

فقيد الإسلام وفقيد الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ
حسين عبد المجيد هاشم

فى يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم لعام سبعة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية ، الموافق للتاسع عشر من سبتمبر لعام ستة وثمانين وتسعمائة وألف ميلادى نعى الناعى علماً شامخاً من أعلام الإسلام والأزهر هو فضيلة الأستاذ الدكتور حسين عبد المجيد هاشم وكيل الأزهر الشريف فافتقدنا برحيله بقية الأخيار الراحلين والسلف الصالحين الذين أضاءوا دروب العلم للسارين وطرق الخير والبر للسالكين .

فكان رحمه الله مثلا فى سلامة القلب ، واستقامة القصد ، وحسن الإدراك للأمور وتدبر العواقب ، وكان حسن المعاملة للجميع عن سماحة فى النفس تغضى عن غرور المغترين ، وحلم فى الطبع يعرض عن سفه الجاهلين ، وسعة فى الصدر تسع آمال الراغبين ، ونزاهة فى اليد والجوارح ، وعفة فى اللسان والخواطر ، فلا يرى الا هاشا باشا رضيا نديا سخيا ، يصدر فى أفعاله وأقواله عن همة عالية ترتفع به عن السفساف من الأمور ، والدون من الأغراض والغايات مع تواضع جم يخفض به جناحه من الرحمة ، وثقة بالله يصلب بها عوده من العزة .

نمته فى المكارم أسرة شريفة النسب عالية الحسب ذات قدر عزيز بين أهل العلم والتقوى والدين ، وذات منزلة كريمة بين تلاميذها ومريديها وذات مكانة رفيعة بين أهلها وعارفيها ، وذات مجد تليد وأثر حميد .

وفقيد الأزهر العزيز الراحل الأستاذ الدكتور حسين عبد المجيد هاشم قد ولد لهذه الأسرة الكريمة فى « بنى عامر » من أعمال محافظة الشرقية فى عام ١٩٢٥م خمس وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد وحفظ القرآن الكريم وانخرط فى سلك طلاب الأزهر الشريف حيث حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣م ، ثم على

للأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

شهادة العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٥٤م ، وعمل فى نفس العام مدرسا بالمعاهد الدينية ، ولكنه لم يقنع فى طلب العلم بهذا المستوى بل إنه بعد أن فتحت الدراسات العليا بالأزهر أبوابها تقدم إليها وواصل طلبه ودراسته العلمية فى قسم التفسير والحديث ، وقد استطاع الحصول على درجة الدكتوراه (العالمية مع درجة أستاذ) عام ١٩٦٤ وكانت رسالته التى قدمها لهذه الدرجة عن « الإمام البخارى : محدثا وفقيها » ، وقد نشرتها فيما بعد الدار القوميّة للطباعة والنشر .

وفى عام ١٩٦٥م تم تعيينه مدرسا للتفسير والحديث بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

ثم حصل على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٧١م .

ثم على درجة أستاذ عام ١٩٧٦م .

وفى مشيخة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله اختاره فى درجة « وكيل الوزارة لإدارة شئون مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر » .

ثم اختاره فى العام التالى أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية .

وكان آخر منصب تولاه رحمه الله هو منصب وكيل الأزهر الذى تولاه فى أوائل عام ١٩٨٥م فى المشيخة الحالية لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

وكان للفقيد الراحل نشاطه العلمى والاجتماعى الواسع ، فكان ـ رحمه الله ـ عضواً بمجمع البحوث الإسلامية ، وعضواً بالمجلس الصوفى الأعلى ، وعضواً باتحاد الكتاب ، وعضواً بجمعية التراث ، كما كان عضواً بلجنة الدستور في مشروع التكامل بين مصر والسودان .

وكان يشارك ـ رحمه الله ـ بفكره وعلمه فى كثير من نواحى النشاط المختلفة وذلك بالحديث فى المناسبات المختلفة ، وفى معالجة الأحداث المتجددة ، فى وسائل الاعلام .

والمنتديات العامة والخاصة ، فيثرى بذلك ملتقى الآراء ، ويساعد على اعتدال الفكر واستقامة الوجهة .

كما شارك بأبحاثه وآرائه ومناقشاته فى كثير من المؤتمرات العلمية ، ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر القرآن الكريم بالسودان عام ١٩٦٨م .

ومؤتمر الهيئات الإسلامية برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٧٣م .

والندوة التى نظمها المركز الإسلامى فى واشنطن عن الإسلام فى العالم المعاصر عام ١٩٨٠م .

ومؤتمر العلوم الإسلامية الثانى باستنبول فى جمهورية تركيا عام ١٩٨١م ومؤتمر علماء أفريقيا بالسودان عام ١٩٨٣م .

وافتتح المركز الإسلامى بتوليدو بولاية اوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣م .

وللفقيد الراحل من الكتب ما يزيد على العشرين بين تأليف وتحقيق وشرح من أهمها :

*** رسالته للدكتوراه بعنوان « الإمام البخارى محدثاً وفقيهاً » .**

*** شرح رياض الصالحين للإمام النووى ـ جزءان ـ .**

*** حجة الإسلام الغزالى ..**

*** البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف ـ ٣ أجزاء ـ**

*** خمسة أجزاء من مسند الإمام أحمد على نسق الأجزاء التى أخرجها من قبل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله**

*** الوحى الإلهى .**

*** الرصـــــافى .**

*** الدين القيم ـ جزءان ـ .**

عدا كثير من البحوث والمقالات التى حفلت بها المجلات العلمية والإسلامية .

ومع هذا النشاط الواسع لم يحرم طلاب العلم من ثمرات علمه وتوجيهاته ، فقد أشرف على عشرات من الطلاب الذين حصلوا تحت اشرافه على درجات الماجستير والدكتوراه سواء فى مصر أو فى البلاد العربية ، وقد صار بعضهم أساتذة كباراً وأصحاب ذكر بارز فى ميدان العلوم .

رحم الله فقيد الإسلام والأزهر الأستاذ الدكتور الشيخ حسين عبد المجيد هاشم رحمة واسعة ، وأجزل مثوبته بمقدار ما قدم للإسلام وللعلم ولأمته وفوق ما قدم من واسع فضله ، وأدخله برحمته فى عباده الصالحين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية
« أ . د / عبد الفتاح عبد الله بركه »

دراسات اسلامية

التفسير النحوي للقرآن الكريم

بحوث في الأموال

عبد الله بن كثير القاري

التفسير النحوي

للقرآن الكريم

نعم ، للنحاة سهم في تفسير كتاب الله ، فقد وقفوا وقفات طويلة عند آياته الكريمة ، وأوغلوا في تفهم معانيها ايغالاً ظهر واضحا فيما كتبوه من اعراب آيات الذكر الحكيم ، إذ ظهرت كتب مستقلة بالاعراب ، وكأنه أصبح غرضاً مستقلا لا يندرج في التفسير العام ، ونطيل القول لو تتبعنا ما كتب مستقلا عن الإعراب منذ بدأ به (قطرب أبو على) وتابعه (أبو حاتم السجستانى) ، و « المبرد » ، و « ثعلب » ، و « الأنبارى » و « ابن النحاس » ، و « ابن خالويه » ، و « مكى بن طالب » و « اسماعيل بن خلف » و « التبريزى » و « الحوفى » و « العكبرى » ، وقد أحصى الأستاذ ابراهيم الابيارى جماعة من هؤلاء فيما كتبه في القسم[1] الثالث من كتاب اعراب القرآن المنسوب للزجاج ، فليرجع إليه من يريد .

وكنا نحمد لهؤلاء صنيعهم وهو محمود في أكثره ـ لو أنهم خلصوا من التكلف البعيد ، بل أزيد فأقول : لو أنهم فكروا في المعنى قبل أن يفكروا في الإعراب ، وهذا من أهم ما يجب أن يتوجهوا إليه ولكن (الصنعة النحوية) تشتط بهم في بعض الأحيان فتدعوهم إلى اعتساف لا يقبله النظر المتئد .

وأضرب المثل بشاهدين أذكرهما من كتاب (منار الهدى في الوقف والابتدا) للعلامة الأشمونى ، حيث قدم الصفة النحوية الظاهرية . غافلا عن السياق العام للآيات .

فهو في قول الله عز وجل « كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » أجاز أن يقف القارىء على قوله : نمد ، ويبتدى بقوله [2] (هؤلاء وهؤلاء) وهو خطأ لا يميزه المعنى ، لأن (هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) ليست جملة مستقلة ، ولكنها منصوبة بما قبلها ، فكيف يجوز أن نقف على قوله تعالى نمد دون أن يفسد المعنى .

كما أنه أجاز في قوله تعالى « وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن

---

[١] اعراب القرآن جـ ٣ ص ١٠٩٢ ط ثانية .

للدكتور محمد رجب البيومي

يَنفَعَنَا ، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ »[٣] أجاز أن يقف القارىء عند قوله : « قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ » ثم يبدأ (تَقْتُلُوهُ) ومع أن الفعل مجزوم بلا فقد ذهب إلى رفعه بناء على لغة شاذة ، استشهد لها ببيت معروف ، وما أظن سياق المعنى يقبل ذلك .

وإذا كان موسى قد كان قرة عين لامرأة فرعون ، ولم يكن قرة عين لفرعون فهذا لم يتبين عند قول الزوجة ، بل تبين فى النهاية بعد أعوام طوال ، وقد يستسيغ هذا المعنى من يؤمنون بما يسمى بالتفسير الاشارى ، ولكن تكلف المعنى وتكلف الإعراب واضحان .

نحن لا نمنع أن يعرب مفسر القرآن بعض كلماته فى سياق التفسير ليدل على المعنى ، لأن الإعراب فرع عنه ، ولكننا نمنع أن يتحول تفسير كتاب الله تطبيقات لقواعد النحو ، وإذا كنا لا نستسيغ أن يشرح عالم قصيدة قديمة لامرىء القيس أو زهير فيوجه همه لإعرابها غافلاً عن تتبع المعانى ، فكيف نستسيغ أن يصبح تفسير القرآن مجالا لكل احتمال إعرابى يطرأ على ذهن المفسر ، وافق المراد أم خالفه ؟

إن وجود الإعراب الموجز فى تفسير بعض الآيات ضرورة ، إذ قد يسعف بتعيين المعنى على وجه محدود ، والإعراب الموجز يهدى ويرشد ، على نحو ما نجده فى تفسير الجلالين والنسفى والبيضاوى والزمخشرى ، والتفاسير الثلاثة الأولى قد نقلت عن الزمخشرى نقلا واضحا لا يخطئه الدارس ،

رأى العلامة ابن مضاء

نظر ابن مضاء إلى ما ذهب إليه النحاة فى الحذف والتقدير ، حيث قدروا كلمات حذفت ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وذلك من غير دليل متعين ، فقرر أن التأويل فى عبارات البلغاء من البشر خطأ لا عقاب عليه ، أما الخطورة كل الخطورة ففيما نعربه من كتاب الله حين نقدر محذوفا لا نتأكد أن الله عز وجل قد عناه فى مراده ، يقول ابن مضاء :[٤]

« وأما طرد ذلك فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وادعاء زيادة معان فيه من غير حجة ولا دليل إلا القول بأن كل ما ينصب إنما ينصب بناصب ، والناصب لا يكون إلا لفظا يدل على معنى ، إما منطوقا به ، وإما محذوفا مرادا ومعناه قائم فى النفس ، فالقول بذلك حرام على من تبين ذلك ، وقد قال رسول الله ﷺ ، من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .

ومقتضى هذا الخبر النهى ، وما نهى عنه فهو حرام ، إلا أن يدل دليل ، والرأى ما لم يستند إلى دليل[٥] ، وقال ﷺ : من قال فى

[٣] منار الهدى للأشمونى سورة القصص آية ٩ .

[٤] الرد على النحاة لابن مضاء تحقيق الدكتور محمد ابراهيم البناص ٧٣ .

[٥] كذا بأصل المقال ، وفى الكلام نقص ، والمعنى والله أعلم : والرأى ما لم يستند إلى دليل لا يقال به فى كتاب الله .

القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » وهذا وعيد شديد ، وما توعد الله على فعله فهو حرام ، ومن بنى الزيادة فى القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل قد تبين بطلانه ، فقد قال فى القرآن بغير علم ، وتوجه الوعيد إليه ، ومما يدل على أنه حرام بالاجماع على أنه لا يزاد فى القرآن لفظ « غير المجمع على اثباته ، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هى أحرى لأن المعانى هى المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها » .

وفى مجال التعليق على قول ابن مضاء نذكر أن المعربين من النحاة يتفقون معه فى أن زيادة أى لفظ على النص القرآنى حرام لا جدال فيه ، وهم عند أنفسهم لا يزيدون شيئا إنما يقدرون ما يفهم من السياق ، وفهمهم قد يعتوره الخطأ وهو ما حذر منه ابن مضاء ، ثم ما ندعو إلى التخلص منه حين نكثر من الأقوال المحتملة عندما نعرب القرآن .

وقد سبق ابن جنى رحمه الله إلى تقرير ذلك حين قال فى كتاب الخصائص تحت عنوان (بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى)[٦] :

فإذا مر بك شىء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه ، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى ، فهو ما لاغاية وراءه ، وان كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى ، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه ، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شىء منها عليك ، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه .

أمثله من زيادات المعربين

فى كتاب « إعراب القرآن » المنسوب إلى الزجاج ، اجتهاد كبير يدل على بصر فى الفهم ، واحاطة فى النظر ، وقد استقل بموضوعات نحوية أدرج تحتها الأمثلة الموضحة من كتاب الله ، على حين نجد الكثرة من زملائه لا ينهجون هذا النهج الشاق الدقيق ، بل يسوقون الآيات وفق ترتيبها فى المصحف الكريم ، دون أن يجمعوا النصوص المتفقة فى أبواب مستقلة مما يستدعى التفرغ والمعاناة .

وعلى جودة اتجاه المؤلف نجده يقدر من المحذوف ما يصح أن يكون موضع النظر ، بل ما نقطع بعدم صوابه فى بعض الأمثلة ، وهو ما حذر منه ابن جنى وأضرابه !

ففى الباب الأول من الجزء الأول فصل تحت عنوان (هذا باب ما ورد فى التنزيل من إعراب الجمل) وقد اشتمل على ثلاثين صفحة تشمل بيان المحذوف من كلام الله كما يراه المؤلف ، ونختار منه هذه الأمثلة .

(أ) ص ١٧ يقول المؤلف : ومنه ، أى من المحذوف من كلام الله ـ قوله تعالى : « وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ »[٧] ، أى قل للإنسان الطاغى واقترب تر العجب .

---

[٦] الخصائص جـ ١ ص ٣٨٤ ت الشيخ النجار .

[٧] سورة العلق آية ١٩ .

وتوجيه فعل الأمر إلى الإنسان الطاغى مما لا دليل عليه ، لأن الخطاب لرسول الله ﷺ وكلمة « تر العجب » من ابتكارات المؤلف ولا علاقة لها بالنص الكريم .

(ب) ص ١٨ ومنه « وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ »(٨) أى وسبيل المؤمنين ، ونحن نرى أنه لا حذف لأن استبانة سبيل المجرمين توضح النقيض وهو سبيل المؤمنين ، لذلك نقل الأستاذ الابيارى فى الهامش قول أبى حيان (وقيل خص سبيل المجرمين لأنه يلزم من استبانتها استبانة سبيل المؤمنين ، وعليه فلا حذف .

(جـ) ص ٢٠ ومن اضمار الجملة قوله تعالى « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ »(٩) أى فضربوه ببعضها فحيى وأخبر بقاتليه ثم خر ميتا ، ويدل على صحة الاضمار قوله ثم قست قلوبكم ، لأن قست معطوف على خر .

والحذف عند جمهور المفسرين هو فضربوه فحيى دل عليه قوله تعالى اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ، أما قوله : وأخبر بقاتليه وخر ميتا فلا يعلم من النص ولا دليل يعطيه من سياقه ، ولا أدرى كيف تعطف قست على خر وهى غير موجودة أصلا .

هذه أمثلة تدل على التسرع فى فهم الكتاب المبين ، وتؤكد ما عناه ابن مضاء حين حذر من التقدير المحسوب على النص القرآنى ، كأنه منه وهو عنه بعيد .

كتب التفسير

اهتمت كتب التفسير الموجودة بأيدينا منذ أبى جعفر الطبرى بالإعراب النحوى اهتماما جعل النحو جزءا من التأويل ، وتفسير الطبرى يضم من المسائل النحوية المتعددة ما لو جرد فى حيز مستقل لكان كتابا من أجزاء ، إذ كتب أبو جعفر رحمه الله فى تأويل دقائق الأسلوب القرآنى ، وفى توجيه بعض القراءات الأصلية وغير المتواترة ما دل على رسوخ قدم فى العربية ، وما ترك صداه فى أكثر ما جاء بعده من التفاسير ، ولكن الذى باعد بينه وبين الاشتهار بالرأى النحوى فى القرآن أن الرجل الكبير كان دائرة معارف علمية ، فقد أولى التفسير الفقهى والكلامى والبيانى واللغوى والتاريخى ما أولى التفسير النحوى من اهتمام ، وبهذه الثقافة المديدة المتشعبة لم يعز تفسيره المبسوط إلى فرع علمى واحد ،

أما التفسيران اللذان طارت شهرتهما فى التفسير النحوى فهما تفسيرا الزمخشرى وأبى حيان على ايجاز فى الأول ، وإسهاب فى الثانى ، ومن آية صاحب « الكشاف » أن خصومه الذين نازلوه الرأى فى معتقده الكلامى وتأويله الاعتزالى ، قد اعترفوا بنبوغه فى العربية ، فكان تفسيره البلاغى كتفسيره النحوى موضع الاهتمام ، وقد قلت : إن البيضاوى والنسفى كادا يحتذيانه فى الإعراب احتذاء بل إن نصوصه تنقل

[٨] سورة الأنعام آية ٥٥

[٩] سورة البقرة آية ٧٣ .

بألفاظها فى مواضع كثيرة ، والرجلان إمامان من أئمة أهل السنة ، ولكن مكان الزمخشرى الضليع فى علوم العربية لا يخفى على أحد ، ولا يستخف به منصف .

وقد كتب الدكتور عبد العال سالم مكرم فصلا جيدا من المنحى النحوى[10] عند صاحب الكشاف ، ختمه بحديث جيد عن أخطاء الزمخشرى النحوية التى نبه إليها الدارسون !

وأى علم لا يخلو من الأخطاء كما أتبعتها بما قاله متعقبوه وفى طليعتهم الإمام أحمد بن المنير صاحب الانتصاف ، ومما أشار إليه الدكتور مكرم هذا المثال الذى اعتده دليلا على لجوء الزمخشرى إلى ظاهر اللفظ ، وقوانين الإعراب وإهمال المعنى :

قال الزمخشرى فى قوله تعالى : « وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً »[11] : « منكم » ، أو « وإلا اتباعا قليلا » .

فرد ابن المنير بقوله « وفى تفسير الزمخشرى هذا نظر ، لأنه جعل الاستثناء من الجملة التى وليها بناء على ظاهر الإعراب ، وأغفل المعنى ، وذلك أنه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، ومن اتباع الشيطان إلى عصيانه وخزيه ، وليس لله عليه فى ذلك فضل ، ومعاذ الله أن يعتقد ذلك ، وبيان لزومه أن « لولا » حرف امتناع لوجود وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فإذا جعلت الاستثناء من الجملة الأخيرة فقد سلبت تأثير فضل الله فى امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة ، وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالإيمان وعصيان الشيطان الداعى إلى الكفر بأنفسهم لا بفضل الله »[12] .

وقد بين ابن المنير نقده بمثال جيد أعقب كلامه ، ولا أدرى لماذا أسقطه الدكتور مكرم فلم يذكره مع أنه يزيد الاعتراض سطوعا ، حيث قال ابن المنير عقب قوله « لا بفضل الله » : ألا تراك إذا قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتى لك لسلبت أموالك إلا قليلا ، كيف لم تجعل لمساعدتك أثرا فى بقاء القليل للمخاطب وإنما مننت عليه بتأثير مساعدتك فى بقاء أكثر ماله ، لا فى كله .

وهذا الشاهد وأمثاله مما يضاف إلى تسلط القاعدة النحوية لدى المفسر تسلطا يوقع فى مجانبة الصواب ومثل الزمخشرى لا يغيب عنه هذا الخطأ لو تابع النظر وردد التفكير .

تفسير أبى حيان

وقد طارت شهرة البحر المحيط لأبى حيان فى مجال التفسير النحوى ، لأن العالم النحوى الكبير قد أشبع الحديث الإعرابى فى كل ما تعرض له من التأويل ، والنحو مجال شهرته ، وموضع أستاذيته فليس بغريب أن ينفسح مجال الحديث عنه فى تفسير كتاب الله

[١٠] القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم ص ٢٣١ .

[١١] سورة النساء الآية ٨٣ .

[١٢] الانتصاف لابن المنير هامش الكشاف جـ ١ ص ٢٨٥ ط مصطفى محمد .

لمثل أبى حيان ، على أن من انصاف الرجل أن نشير إلى أنه لم يغفل الجوانب الهامة فى تفسير كتاب الله حين خص النحو بمزيد الايضاح ، إذ كان من منهجه فى التفسير كما ذكر فى المقدمة ، وكما لاحظ الدارس فى مجال الفحص ، كان من همه أن يبتدىء أولا بالكلام على مفردات الآية المراد تفسيرها لفظا لفظا والأحكام النحوية لهذه اللفظة مستقلة عن التركيب ثم يشرع فى تفسير النص ذاكراً ما يتعلق به من أسباب النزول أو المناسبة أو النسخ إن وجد ، ثم الإلمام بالقراءات متواترة وشاذة ، ناقلا أقوال السلف والخلف فى فهم معانيها وموضحا ما يخصها من غوامض الإعراب مع عدم التكرار إذ يحيل إلى السابق إذا عرض نظيره دون ترداد لما قيل ، وبذلك نجا تفسير أبى حيان من السأم الذى يغمر القارىء حين يطالع فى التفسير واحد ما سبق أن قاله المؤلف من قبل وقد لا يزيد الأمد عن صحيفتين أو ثلاث ، وهذا ما دفع ابن هشام إلى أن يذكر فى مقدمة المغنى ما لحظه من التكرار المسهب حول الآيات القرآنية فى مجال الإعراب ، وهو ينقد ذلك بوضوح يتجلى فى قوله(١٣) :

« فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام ، ألا ترى أنهم حيث مر بهم مثل الموصول فى قوله تعالى : « هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ »(١٤) ذكروا أن فيه ثلاثة أوجه وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل فى قوله تعالى « إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »(١٥) ذكروا فيه ثلاثة أوجه أيضا ، وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل فى قوله تعالى « كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ »(١٥) ذكر فيه وجهين ويكررون ذكر الخلاف فيه إذا أعرب فصلا ، أله محل باعتبار ما قبله أم باعتبار ما بعده أم لا محل له والخلاف فى كون المرفوع فاعلا أو مبتدأ (إذا) وقع بعد إذا فى نحو « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »(١٧) أو (إن) فى نحو قوله « وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ »(١٨) أو (الظرف) فى نحو « أَفِي اللَّهِ شَكٌّ »(١٩) أو (لو) فى « وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا »(٢٠) .... ثم يضرب ابن هشام أمثلة كثيرة يقول بعدها « مما إذا استقصى أمل القلم وأعقب السأم » .

ونحن فى التفاسير المعاصرة نلحظ الاعتدال فى الحديث عن مباحث النحو المتعلقة بآيات الكتاب ، وذلك ما نرجو أن يكون سائدا فيما يجد من التفسيرات ، لأن ايضاح المضمون فى كتاب الله هو الأصل ، ولا نحتاج إلى النحو إلا بقدر ما يكون عونا على الايضاح فحسب وما عدا ذلك اطناب فى غير مجال .

---

[١٣] مقدمة المغنى ص ١٠ جـ ١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
[١٤] البقرة الآية ٢ ، ٣ .
[١٥] البقرة الآية ١٢٧ .
[١٦] المائدة الآية ١١٧ .
[١٧] الانشقاق : الآية الأولى .
[١٨] النساء الآية ١٢٨ .
[١٩] ابراهيم الآية ١٠
[٢٠] الحجرات الآية ٥

مع إبراهيم وإسحاق ويوسف

عليهم السلام

نعمة الله على إبراهيم وإسحاق ..

قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . ﴾ يوسف ٦ والآية مكية

« وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ » .

الخطاب ليوسف عليه السلام ، والكاف بمعنى مثل ، أى ومثل ذلك الاجتباء الذى رأيت آثاره من سجود الكواكب النيرة يجتبيك ربك ، والمعنى : وكما اجتباك ربك لمثل هذه الرؤية العظيمة التى تنم عن الشرف والعزة يجتبيك ربك ويصطفيك على عظماء الخلائق ، وكما سخر الله لك الكواكب فسجدت لك فى الرؤية يسخر الله لك وجوه الناس وهاماتهم فتذعن وتخضع لك ، وقد اصطفى الله يوسف عليه السلام للنبوة والسلطان .

والاجتباء : قد يراد به النبوة وليس فى اللفظ ما يدل على أن المراد بالاجتباء النبوة وقد يراد به علو المنزله والدرجة .

وقد كان يعقوب شديد الحب ليوسف وأخيه ، واشتد حبه ليوسف بعد الرؤيا التى رآها فكان كثيرا ما يضمه إلى صدره ، وقد حسده أخوته لهذا الحب الشديد ، وأدرك يعقوب هذا الحسد وتجلت له أماراته .

ولما رأى يوسف رؤياه فى سجود الكواكب له أمره أبوه ألا يخبر أخوته بهذه الرؤيا ، لأنهم يعرفون تأويل الرؤى ، وذلك قد يدفعهم إلى الكيد ليوسف إذا قصها عليهم .

والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان فى النوم لا اليقظة .

« وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ » .

وتأويل الأحاديث قد يراد منها :

١ ـ تعبير الرؤى ، ويسمى التعبير تأويلاً ، لأنه يؤول ما يراه الناس فى منامهم وكان يوسف عليه السلام حجة فى علم التعبير .

٢ ـ تأويل الأحاديث : يراد به : معانى كتب الله وسنن الأنبياء ، وما اشتبه على الناس من مقاصد تلك المعانى ، والأخبار المروية عن الأنبياء السابقين ، وسميت كذلك لأنه يحدث بها عن الله ورسله .

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

٣ ـ قد يراد من تأويل الأحاديث : كيفية الاستدلال بأصناف المخلوقات على قدرة الله وحكمته .

« وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ »

إذا فسر الاجتباء كما سبق بالنبوة فيفسر هنا إتمام النعمة بسعادة الدنيا فى المال والولد والمكانة فى قلوب الناس وحسن الثناء ، ولسعادة الآخرة فى معرفة الله وحسن الخلق وفهم العلوم التى تعين على فهم دلائل قدرة الله وعظمته .

وإذا فسر الاجتباء بعلو الدرجة والمنزلة ويفسر إتمام النعمة بالنبوة ، وإتمام النعمة بالنبوة هى التى أتمها الله من قبل على أبويه إبراهيم وإسحاق .

ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب على ضوء تفسير إتمام النعمة بالنبوة يقتضى أن يكون أولاد يعقوب أنبياء .

وقوله : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، تأويله : أحد عشر نفسا لهم فضلهم ودينهم ، ويهتدى بهم كما يهتدى بالكواكب ، وهذا كذلك يدل على أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء وكيف يسوغ أن يكون أولاد يعقوب أنبياء وقد فعلوا مع يوسف ما فعلوا من القائه فى الجب ليطفئوا ثورات الحسد فى نفوسهم ، وأجيب بأن هذا الذى وقع منهم كان قبل نبوتهم ، وعصمة الأنبياء إنما تكون وقت النبوة لا قبلها وقيل : إن المراد من قوله : ويتم نعمته عليك بخلاصك من المحن كما أتمها على أبويك إبراهيم بإنجائه من النار حين ألقى فيها ، وقيل لها : يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ، واتخاذه خليلا وبفداء إسماعيل من الذبح .

وأتمها على إسحاق بأن جعل من صلبه يعقوب ومن صلب يعقوب يوسف والأسباط وكل أنبياء بنى إسرائيل من يعقوب .

ثم ذيل الآية بقوله : « إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » فالله عليم حيث يجعل رسالاته ، وعليم بمن يستحق الاجتباء ، ومن يستحق أن يعلمه تأويل الأحاديث ، ومن يستأهل أن يتم الله عليه نعمته ، وهو « حكيم » حيث يختار للنبوة النفس العالية المشرقة وهو فعال لكل ما تقتضيه الحكمة .

وقد أتم نعمته على آل يعقوب حين جعل منهم فى الدنيا أنبياء وملوكا ، ووصل ذلك بنعمة الآخرة عليهم حيث يجعلهم فى الدرجات العلى فى الجنة .

« يوسف السجين يكشف عن ملته وملة آبائه »

قال تعالى يحكى مقالة يوسف للفتيين فى السجن :

« وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » يوسف ٣٨ والآية مكية » طلب الفتيان السجينان مع يوسف تفسير رؤياهما وتلك الرؤيا حكاها القرآن فى قوله تعالى : « وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي

« أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ » وطلبا منه تأويل مارأيا .

فأخبرهما يوسف بأنه فى علم تأويل الأحاديث والرؤى فوق ما يفقه العلماء ، وأنه يستطيع أن يخبرهما بما سيكون من طعامهما الذى يقدم لهما فى السجن قبل أن يأتيهما ، فيصفه ، ويحدد لهما نوعه فإذا جاءهما الطعام وجداه كما أخبرهما يوسف وأخبرهما أن ذلك العلم مما علمه الله له ، وأوحى به إليه .

وجعل يوسف ذلك الإخبار هو المسلك الذى يدخل منه إلى قلبيهما قبل أن يذكر لهما التوحيد ، ويدعوهما إلى الإيمان بالله ويقبح لهما الشرك .

وحين تمكن من قلبيهما أعلن لهما أنه ترك ملة الوثنيين فيما حكاه القرآن فى قوله : إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله .

وهم أولئك الذين أجمعوا على الشرك وعبادة الأوثان ، وقال ذلك ليرغب صاحبى السجن فى الإيمان والتوحيد ، وينفرهما عما كانا فيه من الشرك والضلال ومعنى الترك هنا فى قوله : إنى تركت الامتناع عن تلك الملة لا تركها بعد أن دان حينا ويدل على أن الترك هو الامتناع عن الدخول فى تلك الوثنية قوله : « ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء » أى ما يصح لنا نحن الأنبياء لقوة نفوسنا أن نشرك بالله .

« وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ »

لقد أخبر يوسف صاحبى السجن بأنه نبى وقدم المعجزة التى أيده الله بها وهى علم الغيب ، ثم اتبع ذلك بإعلان أنه من بيت النبوة وأن أباه يعقوب وجده إسحاق وجد أبيه إبراهيم كل هؤلاء أنبياء وكلهم من آبائه فإذا عرف الفتيان أنه من نسل أولئك الأنبياء انقادوا له وتأثروا بقوله .

ونص الآية يدل على أنه على ملة إبراهيم وشريعته ، وقوله : ما كان لنا أن نشرك بالله يدل على أن الله طهر آباءه من الشرك .

« **ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ** » أشار بقوله : ذلك إلى ما تقدم من عدم الشرك وحصول الإيمان أو ذلك التوحيد من فضل الله حيث أيدنا بالنبوة ، ورشحنا لقيادة الأمة .

« **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ** » المبعوث إليهم « لا يشكرون » فضل الله أو لا يشكرون بمعنى لا يوحدون فإن التوحيد شكر لله على تلك النعمة .

وأن ذلك الذى نصبه الله من الأدلة لنهتدى به من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون بل ينساقون وراء أهوائهم كافرين غير شاكرين أو أن التوحيد من فضل الله ، لأن الله أعطانا عقولاً نستبين بها دلائل التوحيد .

وأعطى الناس كذلك عقولا « وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » أى لا يصرفون تلك العقول فيما خلقت له من التفكر فى آيات الله التى تقود إلى الإيمان به فكأنهم لا يشكرون الله على نعمة العقول حيث لم يوجهوها إلى ما خلقت له من التبصر فإذا لم يفعلوا ذلك التبصر فقد جحدوا نعمة العقل الذى يتدبرون به فى الآيات .

الخمر أم الخبائث

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

« الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ »
سورة الأنعام ٨٢

لا ريب أن الإيمان قوة تحمى المسلم من الانحدار إلى ارتكاب المنكرات ، واقتراف الموبقات ، لهذا جاء الاسلام ليدعو أتباعه إلى السمو والمكرمات ، وفعل البر والخيرات ، والبعد عن الخطيئات والإعراض عن اللغو وتجنب أهل السوء الذين اعوج سلوكهم فشردوا من طاعة الرحمن إلى طاعة الهوى والشيطان ، والله يريد من المؤمن أن يكون إنسانا بجسده ملكا بخلقه وسلوكه ليتخلص من وساوس الإثم وهواجس الشر ، لذلك كان الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فهو دين اليسر وعقيدته غير معقدة ، ولقد تبين من تدرج تحريم الخمر أن الفطرة السليمة تأبى على العاقل أن ينزل بشرب الخمور إلى منحدر سحيق يؤذى العقل ويضر بالصحة والمال والسمعة والله يقول :

﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ .

والاسلام شديد الملاحظة دقيق المراقبة فى اتخاذ الوقاية من كل ما يضر بالعقل والنفس والدين والعرض والمال ، لأن الوقاية خير من العلاج ، لذلك فهو يؤاخذ كل من لم يرحم نفسه ، وهو يعتبر من ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء ، لأن الرحمة بالنفس تصنع الطاعات ، وهذا الدين القيم كالحياة للإنسان ولن يستقر إلا فى نفوس الأبرار أولى الألباب السليمة .

الخمر رجس من عمل الشيطان

كان المسلمون ـ قبل تحريم الخمر ـ يشربونها فذهب عمر ومعاذ ونفر من

أصحاب الرسول رضى الله عنهم ذهبوا إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وقالوا له ، أفتنا يارسول الله فى الخمر : فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال ، وكأنهم يشعرون بوجدانهم - أن الاسلام سيحل الطيبات ويحرم الخبائث ومنها الخمر ، بل هى أم الخبائث ، لما فيها من المفاسد والإثم الكبير ، فنزل قول الله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ .

[سورة البقرة ٢١٩]

وهذا مما يرجح التحريم ، فحرمها فريق لأنها إثم كبير والإثم محرم ، وشربها فريق آخر لأن هذا التحريم ليس قاطعا فى نظرهم .

ولقد حدث أن شرب أحدهم خمراً فسكر ثم أم المصلين فخلط فى قراءته فقرأ « قل يأيها الكافرون . أعبد ما تعبدون » : فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فنزل قول الله تعالى :
﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ .

[سورة النساء - ٤٣]

فنادى مناد ألا يقرب الصلاة سكران ، ثم شرب ناس فسكروا فأخذوا ينشدون شعرا فيه هجاء يثير العداء ، فطلبوا من الله أن يبين للناس بيانا فى الخمر شافيا فنزلت الآية القاطعة فى التحريم وفيها قول الله تعالى « فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . .

أرأيت كيف تدرج الاسلام فى تشريع تحريم الخمر ؟ لأن العرب أكثروا من شربها وقد تفننوا فى وصفها فى أشعارهم ولم يكن يسيرا عليهم تحريمها مرة واحدة ، فلم يشق عليهم هذا التدرج ، حيث قال بعضهم نحن نشربها لمنافعها ، وقال غيرهم لا توجد أى منافع لنا فى الإثم فحرموها على أنفسهم ، ولقد كان التدرج فى تحريمها موافقا للطبائع البشرية ، ولما نزل قول الله تعالى « **لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ** » . . قال فريق نشربها ونجلس فى بيوتنا .

وقال آخرون لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة فى جماعة ، ومن ثم كان هذا التدرج فى التشريع لحكمة ، فكانت آية البقرة وآية النساء ، كانتا حلقتين للتحريم ، ومقدمتين للأمر القاطع بالمنع البات الجازم ، بآية سورة المائدة وقد بينت بيانا شافيا كافيا بالأدلة الواضحة والبينات القاطعة على التحريم بما لا يدع مجالا للشك أو التأويل ، لأنها رجس من عمل الشيطان ولا يسمى رجساً إلا كل محرم بالاجماع ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ .

وعمل الشيطان كله محرم ، والخمر موصوفة بأنها رجس من عمل الشيطان ولم

يقل أحد إن الشيطان عمله فيه خير ، ولكن فيه ضر وشر وذنوب وفى قوله « فاجتنبوه » أمر يؤكد التحريم ، لأن هذا الأمر للوجوب بتحريم الخمر ، والله قد رتب الفلاح على الاجتناب بقوله « لعلكم تفلحون » وشرب الخمر يؤدى إلى السكر ، والسكر يسبب العداوة بين الناس والبغضاء ، وكل ما يؤدى إلى ذلك فهو حرام ، وما حرم الله المسكرات إلا لأنها سبب البلاء والشقاء والمتاعب والعناء .

والخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة

الخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وما يصد عنهما فهو حرام ، وقد اقترن ذكر الخمر بالميسر وبالأنصاب وبالأزلام وكلها موصوفة بالرجس الذى نهى الله عنه بقوله « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » ، وكل رجس حرام .

وما هـــى الخمـــر ؟؟

كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، وعن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهاهم عن « الْجِعَةُ » وَالْجِعَةُ « بكسر الجيم وفتح العين » نبيذ الشعير « البيرة » فيحرم تعاطيها والاتجار فيها ، والمخدرات خمر يحرم الربح الناتج من تجارتها وتحرم زراعتها وتصنيعها لأن الحرام لا ينتفع به بأية وسيلة وأما تعاطى المخدرات فهو مهانة ودناءة وعدوان على العقل والمال ، والمال رزق الله والخمر اسم لكل ما يخامر العقل « كالكونياك والويسكى والشمبانيا » ومن الخمر كل ما أسكر سواء كان سائلا ، أو جامدا ، أو عصيرا ، لأن الاسلام ينظر إلى العلة فى التحريم وإلى الأثر الذى تحدثه بعد تعاطيها من اختلال العقل الذى يفسد العلاقات الودية ويطوع للنفس ارتكاب الموبقات وهذا فوق ضياع الأموال والأوقات ، ولا شك أن الاسلام يبنى أحكامه على تحصيل المنافع ودفع المضار ، لهذا كان حراما كل مسكر ومفتر سواء كان مشموما أو مأكولا أو مشروبا كالأفيون والحشيش والكوكايين لأنها تضر ، ولها من المفاسد ما للخمر ، فهى حرام بروح النص وعلته دفعا للضرر .

قال ابن تيمية:إن فيها من المفاسد ما ليس فى الخمر وقال ابن القيم: إنها « اللقمة الملعونة » فهى مدمرة ولهذا كان انتشارها خطيرا على المجتمعات ، ومن ثم وجب القضاء عليها بكل وسيلة وقد يتم الاصلاح بالقضاء على الخمور استكمالا لتطهير الجو الاسلامى من أم الخبائث شربا وبيعا وصنعا ، تنفيذا لأمر الله وحفظا على سلامة العقول والأبدان ، وصيانة للسمعة وحرصا على الأموال وهى نعمة من الله وأمانة فى أيدى المستخلفين فيها ، وإن اقتراف الموبقات وترك الطاعات

بفعل الانحرافات يحدث خللا فى النشاط الحيوى القوى والعقلى والاجتماعى ، فإذا تبين لنا أن أكثر المنحرفين قد سقطوا من حساب المجتمع بهذا الانتاج الشخصى الهزيل بسبب ضياع الثروات ثمنا للسموم التى تذهب بأصحابها فى النهاية إلى السجون أو مصحات العلاج ، وكان الأولى أن ينفق المال فيما ينفع ، فى التنمية الصحية والاجتماعية والثقافية ، حيث لا مبرر لارتكاب هذه المحرمات التى يمقتها الاسلام ويأباها ، والله يقول : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** . ﴾ .

[سورة البقرة ـ ٢٦٨]

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه

« كل أمتى يدخل الجنة إلا من أبى ، فقالوا ومن يأبى ؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

وروى الشيخان فى صحيحهما بسندهما عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » .. لأن الإيمان عصمة ووقاية وخشية من الله علام الغيوب .

وروى أبو داود بسنده عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : لعن الله الخمر وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها . وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وعلى هذا فإن التجارة فى الخمور حرام على كل مسلم يحترم دينه وويل للإنسان من نفسه الأمارة إذا أصيب بداء يدمر الصحة ويحطم الشخصية لتصبح ممسوخة كما نشاهده فى وجوه السكارى والمدمنين المساكين الذين يهدمون أنفسهم بأنفسهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم ، وترى وجوههم عليها غبرة ولو أنهم آمنوا واتقوا وتابوا وأنابوا لكان خيرا لهم ، وإن رسول الله ﷺ يقول :

« من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض » . « رواه ابن ماجه » .

وقد أجمعت الأمة المحمدية من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، على تحريم الخمور ، مهما حاول الذين أصيبوا بجنون التأويل إباحتها فإن تحريمها ثابت بالكتاب والسنة ، فقد روى أبو داود بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « ليشربن ناس الخمر يسمونها بغير اسمها » .

[رواه ابن حبان وصححه]

وروى ابن ماجه بسنده عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال : يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها رواه أحمد بلفظ لتستحلن طائفة من أمتى الخمر [سنده جيد] .

وروى النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : حرمت الخمر لعينها قليلها وكثيرها ، وبهذا استدل أبو حنيفة على أن الخمر حرام لعينها سواء أسكرت أم لا ، لأنها سموم وهموم ، وذنوب وعيوب ، وهى منكرات وموبقات ، وضرر وخطر ، والمخدرات مدمرات .

وهل يجوز التداوى بالخمر ؟

روى أبو داود فى سننه بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام وفى رواية : إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها .

وشذ من قال بجواز التداوى بها بحجة أن الضرورات تبيح المحظورات ، ويقول الأستاذ الدكتور / محمد جعفر فى كتابه ما من شىء يكون فى الخمر يتوهم أنه مفيد إلا وفى الحلال ما يغنى عنه .

إن الاسلام لا يحرم شيئا إلا لما فيه من أضرار تلحق بالبشر ، أفينكر عاقل جناية الخمر على الجوهرة الغالية وهى العقل ؟ وهل يجحد منصف مؤمن أخطار المخدرات وعدوانها على الصحة وعلى المال ، وعلى الذرية بسبب هذا الدمار الذى يلحق المدمن « فى بيته » ، لهذا فرض الاسلام وجوب الحد على شارب الخمر انصافا وتأديبا وردعا ، وقد أحسنت الحكومة صنعا حيث حاربت بكل قوة المدمنين والمهربين « أعداء المجتمع » الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فهم أعداء الإنسانية ، فهم غير أوفياء إذا عاهدوا ، غير أمناء إذا ائتمنوا ، غير صادقين إذا حدثوا وقد وصف ابن القيم المخدرات بأنها تذهب بنخوة الرجال والمعانى الفاضلة فى الإنسان ، ولو اطلع إنسان على ضخامة الأموال الضائعة فى المخدرات لهاله ذلك الضياع الكريه الذى بدل نعمة الله نقمة ، ولا ريب أن من يلعب بالنار يحترق .

والمسكرات أشد خطرا وأعظم ضررا من مرض الطاعون لأن الإدمان داء يؤدى إلى فساد العزيمة وضعف الهمة وفقدان الإحساس بالمسئولية ، ذلك لأن المخدرات بأنواعها تجعل حياة المدمن جحيما على كل مدمن أو سكير ، فهى تحطم الأعصاب وتصيب المرء بالضغط النفسى والدموى والعصبى ، وبضياع المال وسوء المآل ، كما هو مشاهد ، أفيجهل مسلم أن الاسلام قد منح المسلمين عزة الأقوياء وشرف الأوفياء ؟ فلا ضعف ولا استخذاء أمام هذه السموم والهموم فى رحلة الإدمان التى تنتهى بالخسران وبانهيار اقتصاد المدمن وصحته « ونفسيته » ومتاعب أسرته ، ذلك هو المدمن المسكين ، الذى ينتقل من طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان ، ومن حب التعمير إلى فعل التدمير ، ومن حرية الإرادة إلى أسر العادة ، ومن الاستقامة إلى الندامة ، ومن السعادة إلى الشقاوة وسوء المصير ، والله يقول :
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . ﴾ .

وقد انفرد الإنسان دون غيره من الحيوانات بتخدير عقله بإرادته وبظلم نفسه بنفسه ومن أصيب بالإدمان فقد حبط عمله وخاب أمله وانحدر إلى أحط الدرجات ، ذلك لأن الاستقامة هى اللبنة الأولى فى بناء الشخصية المثالية فى الرجل العظيم ، أما سقيم الوجدان فقد آثر نداء نفسه ، ولكن الاسلام يقدر الإنسان منذ كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا ، ولا يرضى له ربنا أن يكون ظلوما جهولا ، إن ضياع الأوقات والأموال والعدوان على العقل والصحة ، والعبث واللهو كل أولئك مدون عند الله الذى يعلم ما تكسب كل نفس وهو القائل :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

« سورة المجادلة ٦ »

إن الواجبات لكثيرة فلا لهو ولا عبث ، ولا إهمال ولا استهتار لأن حياة الأبرار تتطلب صالح العمل الذى يحقق الأمل ، والله يقول ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وويل للإنسان من صحبة الأشرار أصحاب الخلق الذميم الذى يعدى السليم المستقيم إذا لم يكن قويا أمام نوازع الشر ومثيرات الفتن .

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

[سورة الزخرف ـ ٦٧]

والله يقول ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ .

سورة الفرقان ـ ٢٧ ـ ٢٩]

من رحمة الله بالعباد أن جعل باب المتاب مفتوحا لمن تاب وحسنت عزيمته ونيته وخشع قلبه لذكر الله وما نزل من الحق والله يقول : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

[سورة الانعام ـ ٥٤]

(٢)

الدولة الإسلامية

للعميد : أ.ح
الدكتور فوزى محمد طايل

انتهيا فى مقالنا السابق إلى أن رسول الله محمداً ﷺ قد أقام مجتمعا اسلاميا على أسس راسخة مستمدة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإلى أن هذين المصدرين « القرآن الكريم والسنة النبوية » هما المصدران الأساسيان اللذان تبنى عليهما الأحكام ، وتصاغ على ما جاءا به من مبادىء - كل القوانين فى الدولة الاسلامية بالاجتهاد الذى تراعى فيه اعتبارات المصلحة ، وتغير الأزمان ، وتبدل الأعراف .

كان محمد رسول الله ﷺ رسولا نبيا معصوما ، لا ينطق عن الهوي ، يبلغ ما ينزل عليه من ربه ، فكان عليه الصلاة والسلام القدوة والمعلم ، ولقد أقام الخلفاء الراشدون الدولة الاسلامية الأولى التى اقتضتها الشريعة الاسلامية التى تنظم كل جوانب الحياة فى مجتمع المسلمين .

أو كما ورد فى التعبير الحديث أنه يوجد تلازم بين فكرة الدولة ووجود شريعة « نظام قانونى » وأنه لا يصح الفصل بين القانون والدولة لوجودهما فى حالة اعتماد وتساند متبادلين « ١ »

أوجه نشاط الحكومة فى الدولة الاسلامية :

تمارس الحكومة فى الدولة الاسلامية « وهى المنوط بها تنفيذ شرع الله » أوجه نشاط ترعى بها صوالح الأفراد والمصلحة العامة ، وتحافظ على كيان المجتمع من الداخل وفى الخارج .

(١) راجع ا . د . ثروت بدوى النظم السياسية دار النهضة ١٩٧٥ ص ١٥٨ / ١٦٧ .

وللمحافظة على كيان المجتمع من الداخل تعمل الحكومة كل ما من شأنه أن يحقق :

أولا ـ بناء الفرد المسلم :

نزلت الكثير من الآيات القرآنية مخاطبة الفرد من حيث هو فرد ، كما روي العديد من الأحاديث النبوية الشريفة منتهجة نفس المنهج ، وقد كان هدف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وضع الفرد أمام مسئوليته من جهة إذ يقول الله تعالى :

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَي ﴾ « النجم ٣٨ ـ ٤٠ » ومن جهة أخرى كان الهدف تهذيب نفس الفرد وضميره ، وحثه على تحسين سلوكه الخارجي والتمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل ، ولعل أوضح ما اهتم به الإسلام من أمور فى سبيل بناء الفرد المسلم ما يلى :

غرس الإيمان فى نفس الفرد : فالمؤمن هو من يؤمن بالله خالق كل شيء ، وبملائكته ، وبكتبه ، وبرسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره شره . وهو يعمل مراقبا الله فى كل أعماله . وجوهر الإيمان الانصياع لأوامر الله والانتهاء عما نهى عنه . يقول الله تعالى : فى أول سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « البقرة ١/ ٥ »

٢ ـ تعويد الفرد على النظام والانضباط :

فالمسلم يلتزم ، عن رضي وطيب خاطر بدافع من إيمانه ، وتحت رقابة وسلطان ضميره ، بأن يأتى بما أمره الله به من أمور تتصل بعلاقة الإنسان بربه ، أو علاقته بغيره من الناس ، وكلها أمور تعمل على جعل النظام والانضباط غريزتين تحكمان سلوك الفرد ، فالمسلم مأمور بأداء الصلاة بأسلوب محدد ، وفى توقيتات محددة ، خمس مرات فى اليوم والليلة . وهو مأمور بالامتناع عن الطعام والشراب طوال نهار شهر كامل محدد كل عام .. وهكذا باقى أركان الاسلام جاءت لخلق فرد منضبط فى مظهره وسلوكه .

ومن مظاهر الانضباط والنظام فى السلوك اليومى داخل الأسرة ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . « النور/ ٥٨ » .

٣ ـ تقوية انتماء المسلم لعقيدته دون سواها : فانتماء الفرد المسلم وكل ولائه لا يكون للأسرة ولا للقبيلة ولا للبلدة التى يعيش فيها أو القومية العرقية هذه أو تلك ،

وإنما يكون للعقيدة التى تمتلك على الفرد حسه ووجدانه ، وتدفعه إلى بذل كل رخيص وغال من أجل الذود عنها ولقد ذكر القرآن الكريم أن الانتماء إلى العقيدة الاسلامية هو انتماء إلى خير أمة على وجه الأرض ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ « آل عمران/ ١١٠ » .

فمن من البشر لا يحب أن يكون منتميا إلى مجتمع يعتقد أنه خير المجتمعات على الاطلاق .. ؟

٤ ـ الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق :

فلقد وصف الله تعالى رسوله الكريم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « القلم/ ٤ » ثم أمرنا بالتأسى به فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ « الأحزاب/ ٢١ »

لقد دعا الاسلام إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والتحلى بالفضائل والآداب ، وجعل ذلك من الواجبات العامة المفروضة على كافة أفراد المجتمع .

عن أبى ذر جندب بن جنادة ، وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » [رواه الترمذي]

وقد روي الترمذي أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام : يا خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار ، تدخل مداخل الأبرار ، فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله فى عرشي وأن أسكنه قدسى وأن أدْنيه من جواري » .

من أجل ذلك ربط الاسلام الخلق بالإيمان ربطا وثيقا ، وجعل عدم التمسك بحسن الخلق دليلا على ضعف الإيمان .

سأل رسول الله ﷺ أصحابه يوما قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » « رواه مسلم » .

الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق هى الخطوة الأولى لايجاد مجتمع اسلامى يسوده السلام الاجتماعى وهى الإجراء الوقائى لتلافى وقوع الجرائم ، خاصة فى مجالات النفس والمال والعرض .

لقد جاءت بعض الأحكام الأخلاقية فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متدخلة فى أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية للفرد المسلم :

أحيانا فى صورة الفرض كقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ « النور ٣٠/٣١ » .

وأحيانا أخري تأتى الأحكام فى صورة الأمر المندوب إليه : كآداب الطعام ، وآداب الطريق ، ورد التحية ، والدعوة ، والحلم ، والصبر والشجاعة ، والتواضع ، وقد تأتى هذه الأحكام مرتبطة بجزاء أخروي كالصدق والوفاء بالعهد .

ومن الأمور التى تتسق مع الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق ، تحريم سوء الخلق . وقد قرن الله تعالى سوء الخلق بالشرك به سبحانه ، وهو أكبر الكبائر ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « الأعراف ٣٣ »

وبذا نجد الاسلام قد نهى عن كل ما من شأنه إثارة الاضطراب وعدم الاستقرار فى المجتمع .

عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، التقويْ ههنا ، التقوي ههنا ، « ويشير إلى صدره » بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه . إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم . « رواه البخاري ومسلم » .

٥ ـ **التعليم** : فإن من تمام تربية الفرد تعليمه وإكسابه من الخبرات والمهارات ما يمكنه من أن يكون عضواً صالحا منتجا فى المجتمع ، ولا غرو فقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم مشيرة إلى التعليم باعتباره فرضا من فروض الاسلام ، إذا يقول الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . . ﴾ « العلق ١ / ٥ » ويعتبر قوله الكريم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ « طه ١١٤ » بمثابة شعار من شعارات الفرد المسلم ، وقد كرم الله العلم والعلماء فى غير ما آية قرانية ، فقرر أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله تعالى لما يطلعون عليه من مقدرة الخالق جل وعلا من خلال علمهم ، كما جعل من العلم معيارا

للتفضيل بين بنى البشر ، ومن آيات الله فى تكريم العلماء قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ « آل عمران / ١٨ » .

لقد كفل الاسلام حرية الرأى ، وحرية التعبير عنه لكل الراشدين من أفراد المجتمع بيد أن حرية الرأى ، وحرية التعبير عنه لن تكون لهما قيمة تذكر . بل ستصبحان ضارتين بمصالح المجتمع مالم تنبثقا عن إدراك صحيح بحقائق الأمور وتفكير سليم منطقى ، وهذان الأخيران لا يتحققان بدون التعليم والثقافة .

ما يجب تعلمه أولا :

من أجل هذا كان التعليم حقا للمواطن فى الدولة الاسلامية ، وفرضا عليه فى آن واحد . وإذا كان التعليم هو الوسيلة لفهم الأمور وإدراكها ، ثم التعبير بالكلمة المكتوبة أو بالقول ، بما يتفق مع ما جاء به الشرع ، وبما لا يتعارض مع نص محكم قطعى الدلالة ، فإن من الواجب أن تكون اللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة من العلوم الأساسية الواجب أن يتعلمها كل فرد فى المجتمع الاسلامى ، بل ويتقنها حق الاتقان تدريجيا فى كل مراحل التعليم ، بغض النظر عن معتقداته الدينية ، فإذا كان الهدف واضحا جليا بالنسبة للمسلمين ، فإنه أيضا واضح جلى بالنسبة لغير المسلمين من أفراد المجتمع ، إذ أنهم مطالبون فى غير شئونهم الشخصية ومعتقداتهم الدينية بالانصياع لأحكام الشريعة الاسلامية ، القانون الذى يحكم المجتمع .

والتعليم فى مرحلته الأولى فرض عين على كل المسلمين رجالا ونساء . شيوخا وأطفالا ، وهو فرض على الكفاية فيما بعد ذلك .

لقد سخر الله تعالى الشمس والقمر ، وسخر ما فى السماء ، والأرض وما بينهما للإنسان ، ومن مقتضى هذا التسخير استخدام العلم للاستفادة من هذه المسخرات ، وهذا التصرف فى حد ذاته يعتبر بمثابة العبادة لأنه امتثال لأمر الله تعالى .

وتعلم الصنائع والحرف والمهن وكافة الأعمال التى تنهض بالمجتمع الاسلامى وتجاري أحدث تطور وصل إليه العقل والفن البشريين ، كلها من الفروض الكفائية التى يأثم المجتمع كله ، حكومة وأفرادا ، خاصة وعامة ، إن لم يقم بها من يستطيع سد حاجة المجتمع الاسلامى والسعي به إلى الصفوف الأولى بين الأمم .

فالاسلام قد جعل من العلم المادى والعلم الدينى فريضة ، ولم يفرق بينهما ، ولم يجعل أى تعارض بين الدين والعلم .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . « الإسراء ٣٦ »

يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود : « فالسمع ، والبصر ، هما أساس العلم المادي ، علم التجربة والملاحظة ، أما القلب ، فإنه أساس العلم الالهامى .. ويضيف : إن مسألة التعارض

بين الدين والعلم إنما هى مسألة وهمية إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر » .

ثانيا ـ إقامة المجتمع الفاضل :

١ ـ تنظيم الروابط الأسرية : فالأسرة فى المجتمع الاسلامى هى الخلية الأساسية التى إذا صلحت صلح المجتمع كله ، وهى المدرسة الأولى التى يتم فيها تعليم الفرد وتربيته .

لقد جاء القرآن الكريم والسنة والنبوية الشريفة بأحكام دقيقة لتنظيم علاقات أفراد الأسرة كل منهم بالآخر ، وجاءت هذه الأحكام مفصلة تفصيلا مستفيضا خاصة فيما يتعلق بأسلوب بناء الأسرة وتسيير حياتها بدءا بالزواج وحقوق الزوجين كل منهما تجاه الآخر ، وعلاقات الآباء بالأبناء ، وأحكام المواريث والوصايا ، والنفقة ، ومسئولية الولاية على المال وعلى النفس ، وقد صور الاسلام العلاقة داخل الاسرة على أنها علاقة مودة ورحمة . وقد تولى الفقه الاسلامى تفصيل ما جاء مجملا من هذه الأحكام ، فقضى الاسلام بذلك على كثير من أسباب النزاع بين أعضاء الأسرة الواحدة قبل أن يبدأ هذا النزاع وجعل حل كثير من قضايا الأسرة الواحدة يحل داخلها فلا يعلم به غريب عنها .

٢ ـ تحقيق الأخوة بين أفراد المجتمع :

أوضح القرآن الكريم أن الأخوة بين بنى البشر جميعا تنبع من طبيعة خلقهم من أب واحد وأم واحدة . هذه الأخوة تقتضي منطقيا التساوى بينهم ، فلا يكون تفاضل على أساس جنس أو لون أو مالا دخل للإنسان فيه .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ « الحجرات ١٣ » .

ويقول رسول الله ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

وإذا كان الاسلام قد قرر الأخوة العامة بين بنى البشر ، فإنه قد خص المسلمين بأنهم أخوة ، وأنهم كالجسد الواحد يشعر كل منهم بشعور الآخر ويحس بإحساسه ويتألم لألمه ، كما أنهم جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

لقد أوصى الاسلام فى غير ما آية ، وفى غير ما حديث بالإحسان إلى الجار ، وإلى الصديق ، وإلى ذوى القربى ، وإلى أولى الأرحام ،

وفى سبيل المحافظة على جو المحبة والتفاهم بين أفراد المجتمع ، ينهى الاسلام عن القطيعة إذ يقول رسول الله ﷺ : « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما من يبدأ بالسلام كما يدعو الاسلام للإسراع فى الاصلاح بين المتخاصمين توقيا من وقوع الشر .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ « الحجرات ١٠ » .

وفيما رواه الترمذي وأبو داود قوله ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالو بلى قال : « إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة » .

٣ ـ صيانة الحرمات الفردية درءا للنزاع : فالاعتداء على الحقوق والحريات الشخصية للفرد يعد سببا أساسيا فى حدوث الفوضى ، وعدم الاستقرار ، وفساد المجتمع بأسره . لذا فقد أحاط الاسلام كرامة الإنسان بسياج من الاحترام إذ يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ « الحجرات /١١ »

ويعتبر الاسلام الاعتداء على النفس أو المال أو العرض من الكبائر التى تستوجب إقامة الحد فى الدنيا ، ولعنة الله فى الآخرة .

ومن كرامة الإنسان حرمة المسكن الذى هو من أخص خصوصيات الفرد فى المجتمع ، فهو مستودع حرماته ، ومقر أمنه ، وأهم مجالات ممارسته لحقوقه وحرياته الشخصية . من أجل هذا يصون الإسلام حرمة المسكن جاء أمر الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ « النور/ ٢٧ ـ ٢٨ » ويقول سبحانه : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ « البقرة ١٨٩ » .

٤ ـ حفظ التوازن بين مصالح الأفراد : فبعد أن نظم الاسلام العلاقة بين أفراد المجتمع ، وبعد أن وضع الحدود التى يمارس فيها كل فرد حقوقه وحرياته دون مساس بحقوق وحريات الآخرين ، يأتى دور السلطة الحاكمة فى اتخاذ إجراءات ايجابية من أجل حفظ التوازن بين مصالح الأفراد ، وقد سلك النظام الاسلامى فى هذا المجال مسلكا فريدا على مرحلتين :

المرحلة الأولى : إعادة التوازن فى العلاقات بين الأفراد حال بدء اختلال هذا التوازن ، وقبل تمامه ، وذلك عن طريق نظام الحسبة .

المرحلة الثانية : تقويض الخلل الذى حدث فى العلاقات الاجتماعية عن طريق إقامة الحدود ، أو توقيع العقوبات الأخرى .

أ ـ نظام الحسبة :

وهو أحد التطبيقات العملية لمبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وهو نظام تنفرد به الدولة الاسلامية دون سواها ، والحسبة تعد بمثابة إجراءات وقائية مبكرة تمنع أى انحراف عن النظام الاجتماعى الاسلامى القويم فى مراحله الأولى وقبل أن يؤتى آثاره الضارة المخلة بالمجتمع ونظامه .

وقد مارس رسول الله ﷺ الحسبة فيما رواه الترمذي عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها ، فقال : يا صاحب الطعام ما هذا ؟ فقال : أصابته السماء يا رسول الله ، فقال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ ثم قال : « من غشنا فليس منا » .

وقد كان الخلفاء الراشدون يمارسون الحسبة بأنفسهم وبخاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. فلما كثرت مهام الدولة ،

البقية ص ٢٣٢

أمانة الاختيار

والتكليف بالوسع

من مبادئ القيادة والإدارة في الإسلام

يجمع علماء الإدارة وخبراء القيادة على أن من أهم أسباب الخلل فى أجهزة العمل « عدم الملاءمة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذى يقوم به » أو ما يعبر عنه عادة بعدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

والواقع أن قيام الفرد بالعمل الذى تناسبه قدراته واستعداداته وميوله يُمكِّن من استغلال طاقاته أفضل استغلال مما يرفع من مستوى أدائه للعمل ، ومن مستوى الكفاءة فى تحقيق الأهداف وتحصيل النتائج المرجوة .

ويقرر علماء النفس أن هذا المبدأ ينطوى على عامل معنوى له وزن كبير فى مجال الادارة والقيادة ، وهو أن « التوافق » بين الفرد والعمل ، يحفظ له « صحته النفسية » لأنه يوفر له المناخ والفرصة « لتحقيق ذاته » فى ميدان العمل ، وتكيفه وتوافقه مع البيئة التى تحيط به ، ويجعل سلوكه على النحو الذى يتفق مع فكرته عن نفسه ، ويشعره بالسعادة والرضا عن نفسه وعن غيره من الناس .

أما إذا أُهمل هذا المبدأ ، وكُلف الفرد بعمل لا يتناسب مع قدراته وميوله ، فإن الاضرار التى تنتج عن ذلك لا تلحقّ بالفرد وحده ، بل تلحق بالعمل نفسه وما يحققه من مصالح الناس والأمة وذلك ما نوضحه فيما يلى :-

الأضرار التى تلحق بالفرد :

(١) تعرضه للاضطرابات النفسية نتيجة لعدم التوافق النفسى وشعوره بعدم الرضا .

(٢) تعرض صحته للضرر إذ يحتمل ألا يتحمل جسمه أعباء العمل أو قد يتعرض لإصابات العمل .

(٣) حاجته إلى وقت للتدريب أطول نسبياً مما يحتاجه زميله الذى تتفق قدراته وميوله مع العمل ، وقد يتسبب ذلك فى تأخير حصوله على الأجر .

(٤) ضعف الانتاج بالمقارنة بما يحققه زملاؤه مما يقلل من الدخل الذى يحصل عليه

للواء أ.ح : محمد جمال الدين محفوظ

وبخاصة فى المنشآت التى تربط الأجر بالانتاج .

(٥) قلة أو انعدام الفرص أمامه للترقية إلى الدرجات الأعلى .

الأضرار التى تلحق بالعمل :

١ ـ زيادة تكاليف التدريب وتكاليف الانتاج .

٢ ـ ضعف ونقص الانتاج .

٣ ـ زيادة معدلات الغياب أو حوادث وإصابات العمل .

٤ ـ كثرة مشاكل العاملين وبخاصة بينهم وبين رؤسائهم .

٥ ـ سوء العلاقات الانسانية .

توجيهات الإسلام :

والحق أن الإسلام وضع القـواعد الراسخة التى تضمن سلامة اختيار الأفراد للأعمال التى يكلفون بها والتى تعد أكمل مرشد إلى تطبيق مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب :

أولاً : اختلاف قدرات الأفراد :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الناس مختلفين بعضهم عن بعض فى الاستعدادات والقدرات وهو ما يسميه علماء النفس بالفروق الفردية ، فلايوجد فردان متشابهان تشابها تاما على الاطلاق حتى التوائم التى تولد من مشيمة واحدة لا تتشابه من جميع النواحى .

وحركة الحياة تنطوى على أشكال متنوعة من العمل ، لكل شكل منها طابع خاص ويتطلب فيمن يقوم به قدرات واستعدادات تتناسب معه ، فيكون من مستلزمات النجاح فى إنجاز الاعمال أن يتم التوافق بين العمل والعامل .

وقد كان الرسول القائد ﷺ القدوة المثلى فى تطبيق هذا المبدأ ، فسجل عصر النبوة قدرته الفائقة وبصيرته النافذة فى معرفة النفوس والمواهب والقدرات ومعرفة ما يلائمها من المهام والأعمال .

ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام فى غزوة أحد أمسك بسيف وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » ، فقام إليه رجال يريدون أخذ السيف ، لكنه أمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فأعطاه له ، ولقد أثبتت أحداث المعركة حسن اختيار الرسول القائد ﷺ لأبى دجانة ، فقد سأل رسول الله ﷺ قائلاً : وما حقه يارسول الله ؟ فقال الرسول ﷺ : « أن تضرب به العدو حتى ينحنى » ، ولقد قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالا شديدا فلما دارت الدائرة على المسلمين قام بعمل يدل على الشجاعة والفدائية المنقطعة النظير إذ حنى ظهره على الرسول ﷺ وجعل من ظهره ترسا أو درعا تحميه ، فكانت سهام الأعداء تقع فيه .

ثم إن المبدأ هو بعض ما يفهم من قول الرسول ﷺ : « كل ميسر لما خلق له » (رواه البخارى والطبرانى) .

ثانياً : قاعدة التكليف بالوسع :

والإسلام لا يكلف الإنسان بما لا يطيق وذلك بعض ما يشير إليه قول الله تعالى : « **لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا** » (البقرة ٢٨٦) ففى ذلك توجيه إلى مراعاة قدرات الفرد واستعداداته عند اختياره للعمل ، بحيث لا يقوم بعمل يتطلب قدرات ليست فيه أو لا يقوى على أدائه .

ثالثاً : سلامة الاختيار وأمانته :

ولكى يضع الإسلام الضمانات الكفيلة بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فقد جعل أمر اختيار الأفراد للأعمال أمانة فى عنق المسئول تتطلب العدل واستقامة الضمير والموضوعية والبعد عن اختيار غير الاكفاء محاباة أو نفاقا ، والله تعالى يقول : « **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (النساء ٥٨) .

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ، ألا تستعملنى « أى تولينى عملاً عاماً » . قال : فضرب بيده على منكبى ثم قال : « ياأبا ذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » (رواه مسلم) .

وعنه أيضاً أن الرسول ﷺ قال له : « ياأبا ذر إنى أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى ، لا تَؤَمَّرن على اثنين ، ولا تَلِيَنَّ مال يتيم » (رواه مسلم) « وقد فسر ضعف أبى ذر بضعفه عن القيام بوظائف الولايات والعجز عن تنفيذ أمورها ورعاية حقوقها ، وذلك لأن الغالب فى أبى ذر كان الزهد واحتقار الدنيا والاعراض عنها » .

وعنه أيضاً أن النبى ﷺ قال : « من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل ، فليتبوأ مقعده من النار » (رواه أحمد) .

وعنه أن الرسول ﷺ قال : « إذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة ، قيل يارسول الله ، وما اضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (رواه البخارى) .

وعن يزيد بن سفيان قال : قال لى أبو بكر الصديق حين بعثنى إلى الشام : يايزيد ، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أخوف ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ : من ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فَأَمَّرَ عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم (رواه الحاكم - وصرفا ولا عدلا : أى لا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا) .

وقد بلغ من اهتمام الرسول ﷺ بمبدأ سلامة الاختيار وأمانته أنه عدَّ مخالفته غشا لله ولرسوله وللمسلمين فقال : « أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس ، علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين » (رواه أبو يعلى عن حذيفة) .

رابعاً : سلامة الاختيار من أسباب نجاح الأعمال :

ويقرر الإسلام أن سلامة اختيار الأفراد للعمل من أهم أسباب النجاح فى الأعمال وتحقيق الأهداف ، ومن الأمثلة على ذلك

اختيار الرسول القائد ﷺ للعيون والأرصاد « رجال المخابرات » .

فوظيفة رجل المخابرات لا يشغلها بكفاءة إلا من تتوفر لديه قدرات وخصائص خاصة كالذكاء وحاسة حب الاستطلاع وسرعة البديهة والتصرف السليم .

وصفاء الرؤية ، والمرونة وسرعة التحول من حال إلى حال ، والثبات والاتزان فى مواجهة أخطر المواقف وأحرجها ، والقدرة على كتمان المعلومات .. الخ ..

ولقد كان للرسول ﷺ عيون وأرصاد سواء فى مكة أو فى المدينة وداخل شبه الجزيرة وخارجها ، وليس أدل على توفر صفات رجل المخابرات فيمن اختارهم مايلى :

١ ـ لم ترد فى تاريخ السيرة حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجال المخابرات المسلمين .

٢ ـ كانت نوايا الأعداء بالعدوان تبلغ الرسول القائد ﷺ فى وقت مبكر يمكنه من اتخاذ إجراءات المواجهة حسبما يقتضى الموقف .

٣ ـ لم يضع خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح عن العدو وعن الأرض والظروف المحيطة .

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال نذكر مايلى :

● فى غزوة الخندق كان النبى ﷺ على علم بنوايا أعدائه على نحو مبكر جدا مكنه من حفر خندق حول المدينة كان مفاجأة للمشركين

حين رأوه حتى قالوا : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » .

وقد نوه بكفاءة رجال مخابرات النبى ﷺ ، خبير المخابرات والجاسوسية العالمى« لاديسلاس فاراجو » فقال : عندما قرر المكيون « قريش » أن يتخلصوا من محمد ﷺ نهائيا عبأوا ضده قوة من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبى لأنه كان قد ترك فى مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما

خصومه فلم يكن لهم عملاء عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون إلى المدينة أذهلهم أن يجدوا خندقا وجدارا يحيطان بالمدينة»

● وفى الخندق أيضاً اختار الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان العبسى لكى يتسلل إلى معسكر قريش ويأتيه بالمعلومات عنهم وهى مهمة من أخطر مهام المخابرات ، فاستطاع حذيفة أن يدخل المعسكر ويندس بين الصفوف وكانت الريح تهب بشدة ، فقام أبو سفيان زعيم قريش ينادى : يامعشر قريش ، ليتعرف كل امرىء على جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون !!

يقول حذيفة : فأخذت بيد جليسى عن يمينى وقلت من أنت ؟ فقال : معاوية بن أبى سفيان ، وقبضت على يد من على يسارى فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص !

بهذا التصرف الذكى السريع ، أنقذ حذيفة نفسه من أن ينكشف أمره وهو مندس وسط صفوف الأعداء ، ولو لم يتصرف بمثل تلك السرعة ، أو أصابه الارتباك ، أو تأخر لحظة واحدة ، لبادره كل منهما بالسؤال ، وتعرض لأن ينكشف أمره ، ولضاع على المسلمين الهدف الذى أرسلوه من أجله .

المُحْرِم

عن أبى سعيد الخدرى « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] :

« لا تسافر المرأة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم »[1]

البيان

١ ـ تمهيد :ـ منذ بزغ فجر الإسلام ، وهو يعلن المساواة بين الرجل والمرأة فى القيم الإنسانية وتبعاتها ويقرر الحقوق والواجبات لكل منهما ، وأن للنساء ثواب أعمالهن الصالحة ، كما أن للرجال ثواب أعمالهم الصالحة ، فكلاهما ـ إذاً ـ مكلف مسئول ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوَلِئَكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾[2]

٢ ـ النساء يتحملن المسئولية فى حدود قدرتهن :

النساء يتحملن المسئولية فى حدود طاقتهن وطبيعتهن ، وتحملن العمل فى ميادين القتال مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وكن يقمن بواجبهن [وهن ربات بيوت] ، نحو المقاتلين خير قيام ، من تطبيب المرضى ، وتضميد الجرحى ، ونقل المرضى .

عن الرُّبَيِّعْ بنت مُعَوِّذْ ، قالت : « كنا نغزو مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] نسقى القوم ونخدمهم ، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة »[3]

وكن يخلفن المقاتلة فى منازلهم فيحرسنها ، ويحملن عنهم عبء حمايتها ، ومن البدهى ، أنهن ما ثبتن لهذه الأعمال إلا وهن مستعدات للدفاع عن أنفسهن .

عن أنس [رضى الله عنه] قال : [إن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقالت : اتخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه][4] .

وفى رواية أم عطية الأنصارية قالت : [غزوت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم ،

---

(١) رواه البخاري

(٢) سورة النساء آية ١٢٤

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه مسلم

للاستاذ محمد صابر البرديسى

وأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى][5] .

إن الاسلام ليرحب بكل جهد مثمر ، من أجل الجماعة ، مهما كان القائم به ، رجلاً كان أو امرأة ، وهو يبيح للمرأة أن تمارس كل عمل دعت إليه الحاجة فى السلم ، أو دعت إليه الضرورة فى الحرب ، بشرط التصون والعفة ، وعدم الابتذال والاستهتار .

أما أن تتخذ المواقف والمناسبات فرصاً للتهتك والفحشاء والمنكر ، باسم النجدة والعمل الصالح ، فذلك ما يأباه الاسلام والأخلاق ، وتأباه المروءة والشرف وكرامة الإنسان .

٣ ـ سفر المرأة :

قال العلماء : [يجوز سفر المرأة وحدها فى الهجرة من دار الحرب والكفر ، وللمخافة على نفسها ولقضاء الدين ولرد الوديعة ، والرجوع عن النشوز] وهذا مجمع عليه .[6]

أما السفر لغير هذه المواضع ، فإن المرأة لا تسافر إلا مع زوجها أو مع ذى محرم ، لما ورد عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم ، فقال رجل : يا رسول الله ، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا ، وامرأتى تريد الحج ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : أخرج معها][7] .

(أ) وهذا ما ذهب إليه إبراهيم النخعى والشعبى وغيرهما ، فإنهم قالوا : (لا يجوز للمرأة أن تسافر ـ سواء كان السفر قريباً أو بعيداً ـ إلا إذا كان معها زوج أو ذو محرم لها ، وقالوا بعموم الحديث ، واشتماله على حكم السفر مطلقاً) .

(ب) وذهب الحسن البصرى ومن معه إلى أن المرأة لا يجوز لها أن تسافر ليلتين بلا زوج أو محرم ، للحديث الذى صدر به هذا المقال ، فإذا كان أقل من ذلك فإنه يجوز .

(جـ) ومذهب عطاء وسعيد بن كيسان : أنه يجوز للمرأة السفر بمفردها فيما دون البريد[8] فإذا زاد فليس لها السفر إلا بمحرم واحتجوا بحديث أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى

(٥) رواه مسلم ـ ومعنى أخلفهم في رحالهم : أتعهد منازلهم بالحراسة عند ذهابهم لميدان القتال .
(٦) سبل السلام للعسقلانى ص ٣١٥ .
(٧) رواه البخاري
(٨) البريد : فرسخان ، وقيل أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع

الله عليه وسلم) « لا تسافر امرأة « بريداً » إلا مع زوج أو ذى محرم)[٩] .

(د) ومذهب الأوزاعى ، والليث ، ومالك والشافعى قالوا : (للمرأة أن تسافر فيما دون اليوم بلا محرم ، لكن عند مالك والشافعى ، لها أن تسافر للحج الفرض بلا زوج ومحرم ، فإنهما خصّا النهى عن ذلك بالأسفار غير الواجبة ، لما روى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذى محرم)[١٠] .

(هـ) ومذهب الثورى ، وأبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد ، قالوا :

« ليس للمرأة أن تسافر مسافة ثلاثة أيام فصاعدا ، إلا مع زوج أو ذى محرم ، فإذا كان أقل من ذلك ، فلها أن تسافر بغير محرم ، لما روى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم)[١١] . وللجمع بين هذه الآراء والمذاهب ، وبين الأحاديث التى وردت فى ظاهرها متباينة ، قال القاضى عياض :

فى رواية أبى سعيد (ثلاث ليال) وفى رواية أخرى عنه « يومين » وفى الأخرى « أكثر من ثلاث » وفى حديث ابن عمر (ثلاث) وفى حديث أبى هريرة (مسيرة ليلة) وفى الأخرى عنه « يوما وليلة » وفى الأخرى عنه « ثلاث » ـ وهذا كله لا يتنافى ولا يختلف فيكون (صلى الله عليه وسلم) منع من ثلاث ومن يومين ، ومن يوم ، أو يوم وليلة ، وقد يكون هذا منه (صلى الله عليه وسلم) فى مواطن مختلفة ، ونوازل متفرقة ، فحدث كل من سمعها بما بلغه منها وشاهده ، وإن حدث بها واحد ، فحدث بها مرات على اختلاف ما سمعها)[١٢] .

وقال النووى عن الأحاديث التى ورد فيها تقييد السفر بيوم أو يومين ، أو ثلاثة ، أو غير ذلك : (ليس المراد من التحديد ظاهره ، بل كل ما يسمى سفراً ، فالمرأة منهية عنه إلا بالمحرم ، وإنما وقع التحديد عن أمر وقع ، فلا يعمل بمفهومه) .

وأما أمره (صلى الله عليه وسلم) فى بعض الأحاديث للرجل بالخروج مع إمرأته ، فإنه أخذ منه الإمام أحمد ، أنه يجب خروج الزوج مع زوجته إلى الحج إذا لم يكن معها غيره .

وغير « أحمد » قال : لا يجب عليه ، وحمل الأمر على الندب ، قال : وإن كان لا يحمل على الندب إلا لقرينة ، فالقرينة عليه ما علم من قواعد الدين ، أنه لا يجب على أحد بذل منافع نفسه ، لتحصيل غيره ما يجب عليه).

والأرجح أن الحج مطلقاً لا يجب على المرأة إلا إذا وجدت محرماً بأن وجود المحرم من شرائط الوجوب ، ولما جاء فى الأحاديث .[١٣] .

والمراد بالمحرم : كل من لا يحل له نكاحها على التأبيد ، لقرابة أو رضاع ، أو صهرية ـ والعبد والحر والمسلم والذمى سواء

(٩) أخرجه الطحاوي والبيهقي وأبو داود (١٠) رواه مسلم من حديث أبي سعيد عن أبي هريرة
(١١)رواه ابو داود وأخرجه الطحاوى(١٢)عمدة القارى شرح صحيح البخاري جـ ٦(١٣) سبل السلام جـ ٢

إلا المجوسى (الكافر ولو كان أبا لها) لأنه لا يؤمن أن يفتنها[١٤] عن دينها ، وكذلك سائر القرابة المحرم من الكفار ، لوجود العلة ولأنه لا يحصل به المقصود ..

هذا (ولابد من شرط العقل والبلوغ ، لعجز الصبى والمجنون عن الحفظ) وعن الحماية لها والغيرة عليها .[١٥]

وتحج مع المحرم حجة الإسلام بغير إذن زوجها ، لأن حق الزوج لا يظهر مع الفرائض كالصوم والصلاة)[١٦]

ونقل ابن المنذر الاجماع على أن للرجل منع زوجته من الخروج إلى الأسفار كلها ، وإنما اختلفوا فيما كان واجباً[١٧]

(٤) سفر زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) للحج فى عهد عمر :

وقد سافرت زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) فى عهد عمر بن الخطاب وبعث معهن « عثمان بن عفان » و « عبد الرحمن بن عوف » رضى الله عنهم للحج ،

وفى الحديث (أذن عمر « رضى الله عنه » لأزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) فى آخر حجة حجها ، فبعث معهن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن رضى الله عنهما)[١٨]

قال الكرمانى : « فإن قلت : عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن ، لم يكونا محرمين لهن ، فكيف أجاز عمر « رضى الله عنه » لهن السفر دون محرم ؟ وفى الحديث [لا تسافر المرأة ليس معها زوجها أو ذو محرم]؟!

قلت : النسوة الثقات يقمن مقام المحرم ، أو أن الرجال كلهم محارم لهن ، لأنهن أمهات المؤمنين ، وكيف لا ، وحد المحرم صادق عليهما) .[١٩]

ويقول أبو حنيفة فى هذا المجال : (كل الناس لعائشة [وبقية زوجات النبى صلى الله عليه وسلم] محرم فمع أيهم سافرت فقد سافرت بمحرم وليس الناس لغيرها [وبقية زوجات النبى] كذلك ، لأن أزواج النبى [صلى الله عليه وسلم] كلهن أمهات المؤمنين ، وهم محارم لهن ، لأن المحرم من لا يجوز له نكاحها على التأبيد ، فكذلك أمهات المؤمنين حرام على غير النبى [صلى الله عليه وسلم] إلى يوم القيامة .[٢٠]

ومن هن اللواتى سافر للحج معهن « عثمان بن عفان وعبد الرحمن » ؟ إنهن أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأمهات المؤمنين اللواتى لا يطمع فيهن طامع ، ولا يرف عليهن خاطر .

وبعد فإن الاسلام سمح ، أجاز المرأة كل ما دعت إليه الضرورة والفطرة وصانها من كل شر ، ومن كل ما يمس كرامتها ، ولم يأب عليها إلا ما يتعارض مع طبيعتها .

بصر الله المرأة المسلمة إلى ما فى دينها ، من المحاسن ، ووفق الله الأمة الاسلامية إلى العمل لما فيه سعادتها وأمنها وطمأنينتها . والله الموفق .

---

(١٤) ولأن المجوسي يرى جواز زواج البنت والأخت .. فلا محرم بينهم .. مجلة الأزهر

(١٥) في هذه الشروط نظر لذا يتحفظ أمامها بعض العلماء .. مجلة الأزهر

(١٦) الاختيار لتعليل المختار ، تأليف د . عبد الله محمود مودود الموصلي الحنفي ص ١٨٤ ص ١٨٥

(١٧) عمدة القارىء شرح صحيح البخاري جـ ٨ ص ٤١٠ (١٨) رواه البخاري

(١٩) شرح صحيح البخاري ٤٠٧/٨ (٢٠) نفس المصدر

بحوث فى الأموال

الزكاة .. والضرائب

٢

العشور :

ولسنا نعالج منها عشور « الحرث » ، أعنى زكاة الزروع والثمار ، وإنما نعنى بها « العشور التجارية » تلك « المفروضة على أموال التجارة الصادرة من البلاد الاسلامية والواردة إليها ، وقد أوجبها فى الاسلام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث الفتوحات الكثيرة شرقا وغربا ، وقد أحاطها بالقيود التى تتفق وروح الاسلام فجعلها متنوعة ، فكانت على المسلمين ربع العشر .. [أى ٢,٥٪] وعلى الذميين نصف العشر [٥٪] وعلى الحربيين العشر [١٠٪] .. »[1] ..

عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ [لعامله][2] :

« خذ من المسلمين من كل أربعين درهما درهما ، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهما درهما ، وممن لا ذمة له من كل عشرة دراهم درهما »[3] » ..

وعن سعيد بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : يا معشر العرب ، احمدوا الله الذى رفع عنكم العشور [4] ..

قال الشيخ الساعاتى ـ فى شرح هذا الحديث ، مبينا معنى العشور فى الحديث : « يعنى ما كانت تأخذه ملوكهم ورؤساء قبائلهم منهم من الضرائب والعشور ونحو ذلك [5] ..

ونقل أبو عبيد ـ صاحب « الأموال » ـ بشأن العشور ، قال : إنه قد كان له أصل فى

« ١ » راجع الدكتور بدوى عبد اللطيف ـ « الميزانية الأولى فى الإسلام » فصل العشور

« ٢ » من أولئك العمال زيد بن جدير ـ رضى الله عنه ، نقل ذلك العلامة الشوكانى فى « نيل الأوطار »

« ٣ » المحلى لابن حزم ١١٥/٦

« ٤ » مسند أحمد ١٩٠/١ ـ مصنف ابن أبى شيبة ١٩٧/٣ ـ مجمع الزوائد للهيثمى ٨٧/٣

« ٥ » انظر للشيخ احمد عبد الرحمن الساعاتى ـ الفتح الربانى ١٩/١٥

لفضيلة الشيخ
فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله الباكستانى

الجاهلية يفعله ملوك العرب [6] والعجم جميعا ، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار أموالهم إذا مروا بهم [7] ..

سئل رسول الله ﷺ - عن العشور .. ؟ قال ﷺ :

« إنما العشور على اليهود والنصارى وليس على المسلمين عشور » [8] ..

ونقل الإمام الترمذى - رضى الله عنه - فى باب « ما جاء ليس على المسلمين جزية » فروى فى « جامعه » عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تصلح قبلتان فى أرض واحدة ، وليس على المسلمين جزية » [9] ..

قال الإمام الترمذى : والعمل على هذا عند عامة أهل العلم .. « و » أن النصرانى إذا أسلم وضعت عنه جزية رقبته [10] ..

وفى تفسير الإمام فخر الدين الرازى : تسقط الجزية بالإسلام والموت عند أبى حنيفة لقوله - عليه الصلاة والسلام :

« ليس على المسلم جزية [11] » ..

وكان أبو حنيفة يقول : لا يجتمع خراج وزكاة على رجل [12] ..

فليس على المسلمين - إذاً - إلا الزكاة فقط ، وما فرض على تُجَّارهم فى جزء من العشر بشرطه .. قال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ المزمل ٢٠ ، وقال تعالى عنها « فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ » التوبة « ٦٠ » ..

الزكـــاة :

وهى أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهى واجبة على كل مسلم ملك النصاب وحال عليه الحول ، وحَوْلُ كل شىء بحسبه ، فحول « الحرث = الزروع والثمار » دورته ، وليس سنة زمنية كالمال ..

ومن جحد الزكاة كفر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة ، ولهذا قاتل أبو بكر - رضى الله عنه - منكريها ، إنها حق الله فى المال ، وحق الله واجب الأداء ، فتؤخذ من مانعها قهرا [13] ..

« ٦ » قد يعتقد البعض أن العرب لم يكن لهم ملوك .. والحقيقة أن العرب أنشأوا ممالك بشمال الجزيرة فى الحيرة وغسان

« ٧ » أبو عبيدة - الأموال ص ٤٧٣

« ٨ » انظر للترمذى - الجامع الصحيح ٣/١٩ - وسنن أبى داود ص ٤٣٢ - ومصنف ابن أبى شيبة ٣/١٩٧

« ٩ » و « ١٠ » الترمذى - الجامع الصحيح ١/١٠٩ - مصنف ابن أبى شيبة ٣/١٩٧ - وانظر سنن أبى داود ص ٤٣٣ ونيل الأوطار ٨/٦٤ ، ومسند أحمد ١/٢٨٥

« ١١ » التفسير الكبير للفخر الرازى ١٠/٣٢

« ١٢ » مصنف ابن أبى شيبة ٣/٢٠١

« ١٣ » هذا إذا أقر بإمساكها وأنه لم يخرجها ..

قال رسول الله ﷺ :

« إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك » (١٤) ..

وقالت فاطمة بنْتُ قيس ـ رضى الله عنها : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « ليس فى المال سوى الزكاة » (١٥) ..

وقد روى عن النبي ﷺ ـ من غير وجه : أنه ذكر الزكاة فقال رجل : يارسول الله ، هل علىّ غيرها ؟ فقال : لا ، إلا أن تتطوع (١٦) ..

ونقل الإمام أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى ـ فى ضوء قول رسول الله ﷺ :

« ولا يجب على المسلم ـ فى ماله ـ حق سواها » (١٧) ..

إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكـاة أموالكم (١٨) ..

روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ : « دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة . ! قال :

تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا . ! فلما وَلَّى قال النبي ﷺ :

من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا (١٩) ..

قال رسول الله ﷺ : إذْ أرسل معاذا إلي اليمن :

« أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؛ فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »(٢٠) ..

وفـى روايـــة :

« فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة أموالهم » (٢١) ..

وفى حديث رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل :

« فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب » (٢٢) ..

ثبت ـ إذًا ـ من روايات البخارى وغيرها أن الزكاة واجبة على المسلمين فقط لا يخاطب بها غيرهم ، يؤديها منهم كل صاحب نصاب

« ١٤ » الترمذى ١/١٠٧ ـ ابن ماجة ص ١٢٨ ـ ابن حجر ـ فتح البارى ٣/٢٧٢ ـ زوائد ابن حبان ص ٢٠٤ ـ كنز العمال ٦/٢٩٣

« ١٥ » كنز العمال ٦/٣٢٢ ـ الميزان الكبرى للشعرانى ص ٢

« ١٦ » الترمذى ٣ / ٥

« ١٧ » الأحكام السلطانية ص ١١٣

« ١٨ » كنز العمال ٦ / ٢٩٦

« ١٩ » صحيح البخارى ص ١٨٧ ـ فتح البارى ٣ / ٢٦١

« ٢٠ » صحيح البخارى ص ١٨٧ (هو المقرر بمدارس باكستان) ..

« ٢١ » صحيح البخارى ص ١٩٦

« ٢٢ » صحيح البخارى ص ٢٠٣ ـ وأبو داود ص ٢٢٣ ، وابن ماجة

لا مخرج له من ذلك ، وليس لمحصلها « الساعى » أن يتعدى « وسط » المال إلى « كرائمه » كذلك ليس من حقه أن يأخذ مال الزكاة حسب رغبته زيادة أو نقصانا .

جاء فى عهد أبى بكر الصديق إلى أنس ـ رضى الله عنهما ـ حين أرسله إلى البحرين :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله ﷺ على المسلمين ، والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سُئِلَها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط [٢٣] ..

قال شاه ولى الله الدهلوى : إذا طلب منه زيادة فلا يعط [٢٤] ..

القدر المأخوذ :

ولما كان الاسلام نظام حياة المسلمين فقد احتفظ بمعطيات ما نحتاجه فى كل شئوننا قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ . ﴾ الأنعام « ٣٨ »

ولقد عنى الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ بوضع تفصيل دقيق لكل أنواع الزكاة : عَيْنًا وحَرْثًا وماشية .

فهى فى الحرث : الزروع والثمار العشر أو نصف العشر حسب كيفية الاستنبات إذا أديت بما لا مشقة فيه أو كان فيه مشقة ، ففى الأول العشر وفى الأخير نصف العشر ..

وهى فى المال ربع العشر أى ٢,٥٪ ..

وهذه الزكاة إنما تتوقف على صاحب النصاب فى أى منها .. فأما ما أخرجه من لا يملك نصابا : حرثا أو عينا أو ماشية ، فإنما هو صدقة ليست واجبة ، أى عبادة مالية تطوعية يؤديها المسلم عن طيب نفس ..

ولقد كانت الحاجة أشد ما تكون إلى المال فى عصره ـ ﷺ ، وإبان فترة المسلمين الأولى بالمدينة ، وساعد على تجاوز الأزمات دعوته ﷺ إلى التطوع بالصدقة غير الواجبة ، ومع شدة الحاجة وإلحاحها لم يفرض رسول الله ﷺ على المسلمين شيئا بعد الزكاة ، ولعل فى الحديث التالى ما يبين الشدة التى كان عليها المسلمون :

عن أبى موسى ـ رضى الله عنه قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ، ونحن ستة نفر ، بيننا بعير نَعْتَقِبُهُ فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت : « غزوة ذات الرقاع » لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا . »[٢٥] ..

وكان رسول الله ﷺ إذا عرض الأمر فاشتدت الحاجة حث أصحابه على الصدقة عن نفس راضية ، وما أخذ منهم شيئا إلا ما وجب عليهم ، وغزوة تبوك خير شاهد على ذلك ..

وعلى ذلك عمل الخلفاء الراشدون ، وبه تمسك أصحاب رسول الله ﷺ عن عائشة ـ رضى الله عنها :

توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا ..

ومات ﷺ وما عنده مال يكفيه ، ولا شاء جمع مال بغير مشقة ، ولم يشرع عملا يتخذه من بعده دليلا يفرض به على الناس ما شاء من مُكْسٍ أو غيره ..

« ٢٣ » صحيح البخارى ١ / ٢٢٢ طبعة الوهبية .

« ٢٤ » الحجة البالغة ص ١٥٣ .

« ٢٥ » صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ غزوة ذات الرقاع .

الانتماء

في ضوء الهجرة النبوية

أطلت على المسلمين فى شتى مشارق الدنيا ومغاربها ذكرى الهجرة النبوية المباركة ، لتكون معنى يتجدد عطاؤه فى كل سنة ، وواحة يتفيأ المسلمون ظلالها فى كل عام ، فيجدون فيها كل معانى العطاء والوفاء ، ويأخذون من وحى أحداثها عبراً تنير أمامهم الطريق وتأخذ بيدهم نحو الحياة الكريمة ، والسعادة الدائمة .

ومآثر الهجرة النبوية كثيرة ، ودلائلها متعددة ، أجتزىء منها فى تلك المناسبة ، ما يؤخذ من مجريات وقائعها ، ليكون نبراساً فى حياتنا الاجتماعية ، ودليلاً يبعث من خلالها مشاعر الوطنية ، لتجد مبادىء الاسلام فى ظل دولة يؤثرها أبناؤها بالحب ، ويتعهدونها بالوفاء والعطاء ، الرعاية الطيبة ، والتطبيق السليم .

وينبغى أن يكون معلوماً أن حب الوطن فى الإسلام لم يكن مجرد شعور انسانى يقتصر على ميول القلب ، دون أن يتخذ شكل السلوك البشرى المنضبط ، الذى يحاسب الانسان بموجب الخطاب المنظم له ، فيثاب على الوفاء له ، ويعاقب على التقصير فى واجبه ، ومن ثم كان حب الوطن إذا أردنا أن نبرز قدر قيمته فى نظر الشارع ، ونقيسه بمعايير العطاء البشري يتفوق على حب النفس والمال ، ويتجاوز حب الأهل والولد ، فكل تلك الأمور رغم خطرها فى حياة الناس تأتى بعد حبه فى المرتبة ، فإذا تعارض الحفاظ عليها مع الدفاع عنه ، فأنها فى سبيل تلك الغاية المقدسة تهون ، ومن أجل حب الوطن ترخص .

وفى هذا الصدد أيضاً نجد أن الاسلام وهو يقارن بين الوفاء بحقوق الوطن ، والوفاء بحقوق الناس ، عندما تحل ظروف التفاضل يعطى لحقوق الوطن مرتبة تفوق أخطر حقوق البشر ، ومنها على سبيل المثال حق الزوج على زوجته فى الطاعة الخالصة وعدم الخروج إلا بإذنه إذا هجم العدو على الوطن ، هذا الحق يسقط وجوباً ، لهذا السبب الأهم وتخرج المرأة بغير إذن زوجها مجاهدة فى سبيل الله ، ومدافعة عن حمى الوطن ، وما يقال على حق الزوج ، يقال على حق السيد على

للدكتور عبد الله مبروك النجار

عبده ، وهو حق مطلق الحدود فى جانب السيد ، فالعبد وما ملكت يداه ملك لسيده ، ورغم حساسية وضعه أمام سيده ، إلا أن القاعدة المستفادة من نصوص التشريع : أنه لا طاعة لمخلوق فى أمر إذا تعارض مع الدفاع عن الوطن ، حتى ولو كان هذا المخلوق زوجاً أو سيداً ، وكان هذا الأمر طاعة الزوجة للأول ، وخضوع العبد للثانى ، ففى سبيل الوطن يهون كل شىء ، وكانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ظرفاً لهذه المعانى ومصدراً لها على نحو ما سنرى .

مصادر حب الوطن فى الإسلام :

ومما لاشك فيه لدينا ، أن هذا التأصيل لحب الوطن شرعاً ، وذلك التقنين للولاء له ،. والقيام بواجب الانتماء إليه ، لم يأت من فراغ ، بل وجد له فى مصادر التشريع الاسلامى ، ما يبرر وجوده ، ويؤصل قواعده ، وبالرجوع إلى أصول هذا التشريع الاسلامى العظيم ، فى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، نجد أن لهذا النوع من الولاء صدى كبيراً فيهما ، فالكتاب الكريم ينطق به ، والسنة النبوية الشريفة كانت ترجمة أصيلة له قولاً وفعلاً وتقريراً ، وذلك ما نود أن نشير إليه بالتفصيل الذى يبرز هذا المعنى من الكتاب والسنة :

أولاً : من القرآن الكريم :

١ ـ يقول الله تعالى : « **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**[(١)] » .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

أن الله تبارك وتعالى ، قد حكى عن نبيه إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ما يعبر عن هذا المعنى فى قلبه ، حيث دعا ربه أن يجعل البلد الحرام الذى تعلق قلبه به .. واستوطن أهله فيه ، آمناً من الخوف ، مطمئناً من أحداث الدهر ، كما دعاه سبحانه أن يغدق عليه من وافر نعمه ، وعظيم فضله ، ثمرات طيبات مباركات يقتاتها أهله ، ويتنعم بها سكانه ، وإذا تأملنا ما جرى على لسان أبى الأنبياء إبراهيم من دعاء ، لوجدنا أنه يشتمل على أعظم نعمتين يمكن أن يكونا أملاً لأى وطن ، وهما نعمة الأمن من الخوف ، والطمأنينة على الرزق ، وقد من الله بهاتين النعمتين على قريش بقوله تعالى : « **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** »[(٢)] ، فالاطعام من الجوع والأمان من

---

(١) سورة البقرة ـ آية ١٢٦

(٢) سورة قريش ـ الآيتان ٣ ، ٤

الخوف ، هما غاية المراد ، فى المجتمع ، ومظهر حضارته ، بل هما أعظم نعم الله على أى وطن من الأوطان باطلاق ، ويتضح من هذا الدعاء الكريم مقدار ما يجيش به قلب إلى الأنبياء لموطن أهله ، وموئل أمله مع ربه ، ومستقر عبادته ، فهو علامة على هذا الحب وترجمان له ، وتعبير عنه ، لأن جانب الدعاء يفيد ذلك ، فليس من المعقول أن يلهج اللسان بالدعاء لرب الأرض والسماء بالخير لمكان ، دون أن يكون حبه قد سبق ذلك الدعاء ، وتلك قرينة تبرهن على وجود الانتماء للأرض والتعلق بالمكان ، على ضوء ما تقرره الآية الكريمة .

ولا يقدح فى وجه الاستدلال منها على ما نريد أن نصل إليه ، بأن ذلك كان فى شرع من قبلنا ، لأنه من المقرر شرعاً ، أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد دليل ناسخ ، وقد ورد فى التشريع الاسلامى ما يؤيده ، بل ويتفق معه ، فصاحب الملة الوارد فيها النص الكريم هو سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ، الذى ذم الله من يرغب عن ملته بقوله الكريم : « **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**(٣) ، كما مدح من يتبع ملته بقوله الكريم « **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** »(٤) ، وأمر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله : « **قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** »(٥) ..

٢ ـ ويقول الله تعالى : « **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** »(٦)

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

أن الحق سبحانه وتعالى قد خاطب نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما يكشف فى قلبه عن حبه للجهة الكائن فيها بيته الحرام ، ومن ثم كان قلبه معلقاً بهذا البيت المبارك ، راغباً فى التوجه إليه أثناء الصلاة ، وقد جاء أمر الله بتحويل القبلة إليه متوائماً مع ما يعلمه علام الغيوب ، الذى يعلم السر وأخفى ، كما يعلم ما تضمره القلوب .

وإذا كانت الآية الكريمة تبين جهة التعلق بمكان محدد . وبالنسبة لشخص معين هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى تعبر فى سيرته العطرة عن نوع من السنة ، يمكن أن يتخذ مصدراً شرعياً يقاس عليه كل مكان فى أرض الله يتحقق فى الانسان عليه معنى العبودية لله عز وجل ، لعبادة يقوم بها ، وقد جعلت الأرض للنبى صلى الله عليه وسلم مسجداً وطهوراً ، أو لواجب شرعى

(٣) سورة البقرة ـ آية ١٣٠
(٤) سورة النساء ـ آية ١٢٥
(٥) سورة الأنعام ـ آية ١٦١
(٦) سورة البقرة ـ آية ١٤٤

يؤديه تجاه زوجة أو ولد أو أهل فى أى بلد من بلاد الاسلام .

ثانياً : من السنة النبوية :

كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، تفيض حباً ورحمة ، وقد وصفه ربه عز وجل ، بقوله : « **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** »(٧) ، [سورة التوبة آية ١٢٨] .

وكان الحب فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، سلوكاً يتمثل فى كل ما يعود بالخير على الأمة الاسلامية ، والعزة للمجتمع الاسلامى ، وكان ذلك يمثل سمة بارزة فى حياة المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم ، ومن يستقرىء سيرته العطرة يجد أن حب النبى عليه الصلاة والسلام لأمته كان متعدد العطاء ، ومتشعب السخاء ، ومجسداً لكل معانى الوفاء والانتماء ، وكانت كل تلك المعانى إحدى دلائل هجرته النبوية المباركة .

مظاهر الحب فى الهجرة النبوية :

ولقد كانت الهجرة النبوية ظرفاً فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أراده الله ليكون محلاً لهذا الشعور النبوى الكريم ، وليظل معناه متجدداً فى حياة الأمة الاسلامية كلما استدار الزمان ، وأقبل موعد الاحتفال بها كل عام ، وليجد المسلمون فى كنف تلك المناسبة الكريمة ، وما يستنهض فيهم الهمة ، ويستحث فيهم الاخلاص لله ، والقيام بما يمليه واجب الوفاء للدين والوطن ، حيث كانت الهجرة النبوية المباركة مناسبة متجددة للتذكير بهذا المعنى الاسلامى الكريم .

وإنه لموقف تهتز له أشد قلوب الناس قسوة ، حين يجد الإنسان نفسه محمولاً على سبيل الاضطرار لمغادرة وطنه ومفارقة أهله ، الذين عاش معهم وأخذوا منه العمر كله إلا قليلاً ، فضلاً عن قلب سيد المرسلين وأشرف الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ، الذى يذوب رقة وحباً وحناناً ورحمة ، فكان ما أثر عنه من قول يبرز ارتباطه ببلده وتعلقه بالمكان الذى نشأ فيه ، بما يعتبر أعظم مصدر لحب الوطن والانتماء إليه ، ومن هذه الأحاديث :

١ ـ ما رواه الترمذى مرفوعاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين هم بالهجرة قال مخاطباً « مكة وهو واقف بالجزورة ، والله أنك لخير أرض الله ، وأحبُ أرض الله إلى الله ، وأحب أرض الله إِلَيّ ، ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت »(٨).

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد عبر

(٧) تفسير الجلالين ص ٢٠ ـ تحقيق الدكتور محمد شعبان اسماعيل ـ مطبعة الشمرلى .

(٨) الحديث أخرجه الترمذى ـ فى كتاب المناقب ، وابن ماجة فى كتاب المناسك ، والدارمى فى كتاب السير عن عبد الله بن عدى بن حمراء الزهرى ، وراجع : شرح حديث « إنما الأعمال بالنيات » ـ لشيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق عبد الله حجاج ـ ص ٥٣ ـ مكتبة التراث الاسلامى .

عن شعوره نحو مكة بما يظهر مكانتها فى قلبه ، ويبين منزلتها من نفسه ، وقد صرح بحبه لها حين قال : « وأنك لأحب أرض الله إلى » كما عبر أيضاً عن ولائه ، لهذا البلد الحرام ، الذى جعله الله مقراً لأول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، والذى شهد بزوغ فجر الدعوة إلى الله ، والاخلاص من صاحبها عليه السلام للرسالة التى بعثه الله بها ، ولقومه الذين يريد لهم من الله الهداية ، يفهم هذا المعنى من قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يعبر عن شدة تمسكه بها ، وشديد اعتزازه بكل ذرة فيها ، فذلك ما يستفاد من عبارته الكريمة : « ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت » ، أنه معنى الوفاء ، ومعنى الحب الذى شمل الزمان والمكان ، والناس أجمعين منه صلى الله عليه وسلم وهو يدل على معنى الولاء أبلغ دلالته .

٢ ـ ومن هذه الأحاديث .. ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وعك أبو بكر وبلال ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وأنقل حماها فاجعلها بالجحفة »(٩)

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شمل حبه كل مكان حل به ، وها هو يبرز فى هذا الحديث الصحيح بعضاً من جوانب هذا الحب النبوى الكبير ، لمكان كان يعيش فيه وهاجر منه فى سبيل الله ، ومكان حل به أيضاً فى سبيل الله ومن أجل الدعوة إلى الله .

وقد دل الحديث صراحة على حب النبى صلى الله عليه وسلم لموطنه ، حيث حظيت مكة من هذا الحب بجانب كبير ، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما نزل بالمدينة بعد الهجرة ، إذا به يدعو الله تبارك وتعالى ، بما يعكس فى قلبه الحب لهذا البلد الكريم ، ويترجم عن الوفاء له ، ولاشك أن توجه الانسان إلي الله بالدعاء وطلب الخير للمكان ، إنما هو أعظم دلائل الحب له والانتماء إليه ، وكان هذا السلوك النبوى الرشيد ، دليلاً على هذا المعنى الجليل ومصدراً له .

هذا وبالله التوفيق .

(٩) صحيح البخارى ـ جـ ٥ ص ٧٣ .

الحزب والأحزاب
في القرآن الكريم

للأستاذ / أحمد عزت محمد البرادعي

ما أشبه القرآن الكريم بالكنز الفريد المجيد . ولله المثل الأعلى . وهذا الكنز يضم في أرجائه مختلف اللآلىء وشتيت الجواهر . وكل ناظر فيه بالتعمق والتدبر يستطيع أن يحصل منه على بعض هذه الفرائد ، وتختلف حظوظ الناظرين فيه والعاكفين عليه من هذه الخرائد ، ولكن الجميع لا يستقصون جوانبه . ولا يحصون عجائبه . ومن غرائب القرآن الكريم انك تتابع كثيراً من الفاظه في متباين استعمالاتها ، فترى للفظ معنى عاما واسعا . يشمل استعمالاته او يغلب عليها ويمكنك من هذه المتابعة للفظ من الألفاظ أن تُقَعِّدَ لاستعماله في الغالب قاعدة أو ما يقاربها ولا يشترط أن تكون تلك القاعدة موجودة بنصها وفصها عند كل استعمال بل تكون هي او ما يشير إليها ، او ما يذكر بها من قريب او بعيد .

وللحزبية وما تفرع من مادتها حديث في القرآن الكريم قد يدخل في هذا التقعيد أو يدنو منه ، وقد تابعت استعمال مادة الحزبية في التنزيل المجيد ورأيت أن أعرض له بالبحث لعل في ذلك من الفائدة ما يتلاءم مع مناسبات الزمان وإلا فهو على الأقل تذكير بحديث القرآن .. وقبل أن نعرض للحزبية في القرآن يحسن أن نعرض معانيها في اللغة ، فقد تتعاون المعاني اللغوية مع الاستعمالات القرآنية لتلك المادة على إيضاح ما نريد استنتاجه من ذكر ألفاظ « الحزبية » في الكتاب الحكيم ..

نلاحظ أن معنى الحزبية الغالب في اللغة يدل على التفرق والانقسام والاختلاف والشدة والغلظة أحيانا ، فقد جاء في القاموس : « الحزب بالكسر الورد والطائفة والسلاح ، وجماعة من الناس والأحزاب : جمعه، وجمع كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبي ﷺ

وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه ، (انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) هم قوم نوح وعاد وثمود ومن أهلكه الله من بعدهم وحازبوا وتحزبوا صاروا أحزابا ، وقد حزبتهم ، تحزيبا وحزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه والاسم الحزابة .. وأمر حازب وحزيب شديد . جمعه حزب . والحزابى والحزابية مخففتين الغليظ إلى القصر كالحزاب بالكسر والحزب والحزباءة ، بكسرهما الأرض الغليظة وجمعه حزباء وحزابى .. وحازبته كنت من حزبه ..

وفى النهاية لابن الأثير : طرأ على حزبى من القرآن فأحببت ألا أخرج حتى أقضيه ، الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد ، والحزب النوبة فى ورود الماء .. وفى حديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن .. اللهم أهزم الأحزاب وزلزلهم ، الأحزاب الطوائف من الناس جمع حزب بالكسر .. كان إذا حزبه الأمر صلى ، أى إذا نزل به هَـمٌّ أو أصابه غم . ومنه حديث على : نزلت كَرَائِهُ الأمور وحوازب الخطوب ، جمع حازب وهو الأمر الشديد .. ومنه حديث الافك : ومضت محنة تحازب لها ، أى تتعصب وتسعى سعى جماعتها الذين يتحزبون لها .. ومنه حديث الدعاء : اللهم أنت عدتى إن حزبت[1]) ..

وها هو ذا الراغب الأصفهانى فى كتابه (مفردات القرآن) يشير إلى المعانى اللغوية العامة لكلمة (الحزب) فى القرآن الكريم ، فيقول : « الحزب جماعة فيها غلظ ، قال عز وجل : « أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » وحزب الشيطان ، وقوله تعالى : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » ، عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبى ﷺ « فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » ، يعنى أنصار الله ، فقال تعالى :

« يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ » .

والقاعدة العامة ، أو المعنى الغالب فى استعمال القرآن لكلمة (الحزب) هو الدلالة على الانحراف إلى السوء والشر ، والرمز إلى الباطل والسفه ، فلا يرد هذا اللفظ إلا فى مواطن الفسوق والإجرام ، اللهم إلا إذا أضيفت كلمة (الحزب) إلى الله ، فإن المقام يكون مقام خير وتبشير ، فى الحال أو الاستقبال ، وأما إذا أضيفت إلى غيره فهى سوء وضلال فى الحاضر والمآل ..

وكأن القرآن يشعرنا بذلك أن الحزبية البعيدة عن صراط الله سيئة أيا كانت ، وكأنه قد استعمل كلمة (الحزب) عند النسبة إلى الله لمجرد المشاكلة ومجاراة السياق ، على حد

---

(١) لم ننقل عن القاموس والنهاية كل ما ورد بها عن المادة ، بل قطفنا من كل منها الجزء الملائم للموضوع .

قوله تعالى : « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » ولذلك نرى تعبير القرآن « حزب الله » يأتى فى سياق التعرض لحديث « حزب الشيطان » .

وفى القرآن الكريم ذكر لأربعة أصناف من أحزاب الشر والضلال .

الأول : منها أتباع الشيطان مطلقا .

والثانى : القوم الكافرون الضالون الذين مضوا قبل مجيء الرسالة الهادية الخاتمة .

والثالث الأحزاب الذين تألبوا عليه فى غزوة الخندق ، وأذاقهم الله بقوته ما أذاقهم من النكال والوبال ، وقد خص الله سورة من سور القرآن الكريم باسمهم ، وكأن ذلك أيضاً من بين الاشارات إلى خطرهم وسوء تحزبهم ، فأمرهم يحتاج إلى التنبيه الجلى لنحذر منهم الحذر القوى .

والصنف الرابع هم شذاذ اليهود والنصارى الذين عارضوا الاسلام ووقفوا فى طريقه معاندين أو مفترين .

ويجمع هذه الأصناف كلها جامع الشر والضلال .

وشواهد هذا التصوير من القرآن الكريم ما يقوله ربنا فى سورة فاطر : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » وقريب من هذا قول الله تعالى فى سورة المجادلة : « اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » وهاتان الآيتان تشيران إلى الصنف الأول من أصناف الأحزاب فى القرآن ..

ولننتقل إلى الصنف الثانى منها ، يقول الله تبارك وتعالى فى الآية الخامسة من سورة غافر : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ » .

والأحزاب هنا هم الذين تركوا طريق الرحمن وخالفوا الرسل ، وهم عاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم وقد وصف القرآن هؤلاء الأحزاب بأوصاف سيئة ، فهم طغوا وبغوا على رسلهم وحاولوا ليتمكنوا منهم ويعذبوهم أو يقتلوهم وهم قد جادلوا مبطلين ، أرادوا بذلك محاربة الحق ، فماذا كانت عاقبة هؤلاء الأحزاب ؟ ... قال تعالى : « فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ » .. غافر .

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً فى الآيتين « الثلاثين والحادية والثلاثين » من سورة غافر : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ » .

والأحزاب فى الآية الأولى فسرتها الآية الثانية وهم قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم من الذين كفروا وتمردوا وعصوا الرسل فوصفهُم سَيىّء وجزاؤهم أليم ، فكل حزب

منهم كان له يوم دمار وقد فصل القرآن الكريم لنا ذلك فى مواطن كثيرة .

ومثل ذلك الآيات التى وردت فى سورة الزخرف : « وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ » .. (الآيات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥) .

وفى الآية الحادية عشرة من سورة (ص) نجد القرآن يقول : « جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ » وبعدها فى الآية الثالثة عشرة يقول : « وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ » والآية الأولى جاءت بعد آيات تصور جهالات الكفار على الرسول وعنادهم معه ، فهى تقول على لسانهم :

« مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ • أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا » ، فرد الله عليهم قائلا : « بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ . أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ • أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَابِ » وهذا استنكار من الله لطريقتهم السيئة ، ثم أرشد رسوله ألا يبالى بهم ، ولا يكترث بجمعهم ، ولا يهتم لعنادهم ، فقال : « جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ » ما هم إلا فئة من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ . وهم مهزومون فلا تبال بما يقولون وفى الآية الثانية نرى الأحزاب كما رأينا من قبل ضالين خاسرين ، وهم ثمود وقوم لوط وأصحابه الأيكة وكلهم خاسر فى طريقته ولذلك قال الله بعد ذلك : « إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ » .

ومما يتصل بهذا اللون من الأحزاب ، ويبين لنا بوضوح ما قررناه فى صدر الكلام من أن القرآن يذكرنا بأن كل حزب غير حزب الله ، وكل طائفة غير طائفة المؤمنين به ، وكل جمع غير الجمع المقبل عليه ، يكون فى خبال

وضلال ، قول الله تعالى فى سورة الروم : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » كانوا شيعا أى فرقا وأحزابا كل فرقة تطيع إمامها الذى يقودها ويغويها ، وكل حزب منهم فرح مسرور يحسب باطله حقا ، وهيهات .

ومثل ذلك قول الله تعالى فى سورة المؤمنون :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ • وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ • فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ • فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ. أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ »

الآيات رقم

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

(المؤمنون) .

ويأتى بعد هذا الصنف الثالث من الأحزاب التى تحدث عنها القرآن الكريم .

لقد أقبل رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام اقبال الفجر الساطع بعد الليل المظلم ، ولكن الكفار عاندوه وعارضوه ، وكانت بينه وبينهم مصاولات وغزوات ، وها هو ذا القرآن الكريم يتعرض لبعضها فيقول فى الآية العشرين من سورة الأحزاب : « يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ » .

وفى الآية الثانية والعشرين من السورة نفسها يقول : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا » .

والأحزاب هنا أيضاً جماعات شر وسوء وهم الكفار الذين حاربوا المسلمين فى غزوة الخندق ، فكانت عاقبة أمرهم وخيمة ، فهزمهم الله بالخوف الشديد والريح العاصفة .

ثم يأتى الصنف الرابع وهم الذين تأبوا على الاسلام من شذاذ اليهود والنصارى ، والقاعدة فيهم هى نفس القاعدة ، إنهم أحزاب ، وأنهم فى ضلال ، وأنهم إلى وبال ..

ففى القرآن فى الآية السابعة عشرة من سورة هود : « أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » .

نزلت هذه الآية فى التفرقة بين من آمن بمحمد والاسلام من اليهود ، والذين ظلوا على كفرانهم والمراد بالشاهد (القرآن) ، وبكتاب موسى (التوراة) التى كانت اماما يقتدى به فى الدين ورحمة ، أى نعمة عظيمة من الله إلى الذين نزلت عليهم ، ونلمح هنا طائفتين : طائفة استجابت لله فآمنت بدين الله عقلا واستدلالا ، فكانت من المهتدين ، وكانت من حزب رب العالمين ، وطائفة أخرى تحزبت وتفرقت وعملت ضد الهدى فضلت ضلالا بعيدا .

وفى الآية السادسة والثلاثين من سورة الرعد يقول الله تعالى : « وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ » .

وقد نزلت الآية فيمن أسلم من اليهود والنصارى ، واهتدوا بدين الله الحق ، وانضموا إلى حزب الله الصدق ، فكانوا من المفلحين ، والمراد بالأحزاب هنا كفرة اليهود والنصارى الذين أنكروا بعض ما فى القرآن ، وظلوا على عنادهم لرسول الله ﷺ .

وبعد أن عرضنا أصناف الأحزاب الأربعة التى تحدث عنها القرآن الكريم ننتقل إلى تبيان أن الحزب إذا نسب إلى الله كان خيرا وفلاحا ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى الآية

السادسة والخمسين من سورة المائدة : « وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » .

وفى سورة المجادلة رسم القرآن العظيم لنا الصورة الجميلة الحسنة لحزب الرحمن فى قوله تعالى : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الآياتان رقم ٢١ ، ٢٢ .

وقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال : هذه سبل كل شيطان يدعو إليه ، وقرأ

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا فرقة واحدة قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى(٣) .

« أحمد عزت البرادعى »

---

(٢) ، (٣) حرصت مجلة الأزهر ، وأعلنت أكثر من مرة تلفت نظر السادة الكتاب إلى وجوب تدوين مراجع الأحاديث الشريفة ، لا سيما وبعضهم يختار الأحاديث الشريفة من غير مصادرها الأصلية مما يؤود محررى المجلة بحثا وتنقيبا ، وأبسط واجبات التعاون أن يبين الكاتب مصدره فيوثق بذلك كلامه .

وقد وجدنا اشارات للحديث الأول فيما أورده ابن كثير - رضى الله عنه فى تفسيره لآية الانعام ٢/١٩٠ دار إحياء الكتب العربية .

وأما الحديث الثانى فيمكن النظر فيه فى مسند احمد ٢/٣٣٢ وأبى داود - السنة ، والترمذى - الايمان ، وابن ماجة - الفتن .

حصاد الدعوة الإسلامية

في وسط أفريقيا

للدكتور عبد الله نجيب محمد

كان من نتائج الفتح العربي وهجرة القبائل العربية إلى شمال افريقيا ان اغرقت البلاد بالدماء العربية، وتاثرت بشدة بحضارة العرب والثقافة الاسلامية، وانجلت النتائج بتعريب المنطقة، واعتناق «البربر» للاسلام، وتسابقهم في مضمار الفتوحات الاسلامية في الأندلس تحت إمرة القائد «طارق بن زياد البربري» مولى «موسى بن نصير» وتوالت ـ بعد الفتح ـ هجرات القبائل العربية على دفعات عبر مصر والسودان والمسالك الصحراوية إلى مناطق السافانا جنوب الصحراء، وبعض هؤلاء هاجروا ثم استوطنوا بعض المناطق المحيطة ببحيرة «تشاد»، فقبائل «كانم» و«البيجرمي» و«واداي» تعتبر من اقدم الشعو[illegible]ي دخلت الاسلام، بل هي امنع قلاعه في تلك البلاد، ولديهم نظم تعليمية ممتازة خاصة في «ابشر» عاصمة «واداي» لانها على اتصال دائم بالسودان النيلي ومصر.

والسودان شرقي بحيرة تشاد حتى مدينة «فاشودة» و«دارفور» و«كردفان» مأهول بالمسلمين، بينما لا يزال سكان «بحر الغزال» والسفح الغربي لهضبة الحبشة على وثنيتهم، أما الصومال وساحل كينيا وتنجانيقا (تنزانيا الآن) والجزر المتاخمة للساحل وخاصة «زنجبار» فقد أصبحت بلاداً إسلامية منذ زمن بعيد.

وانفسح مجال الإسلام تدريجياً ليشمل المنطقة الممتدة من «السنغال» و«النيجر»

إلى نيجيريا ، ثم امتدت التأثيرات العربية إلى الكاميرون والكونغو وأواسط القارة ، وللإسلام مراكز ومستقرات تحيط بالقارة من غربها وشمالها وشرقها ، تضيق وتتسع على شكل أشبه بالهلال وكانت الدعوة إلى الإسلام تسير في ركاب التجار ، وعلى طول الطرق الممتدة من شرق القارة إلى غربها مخترقة « أوغندا » و « الكونغو » ونشأت عدة مستقرات أساسية حول البحيرات العظمى و « كاسونجو » و « نيانجوى » وعلى طول أحد أفرع نهر الكونغو ، حيث أقيمت القرى التي تحيط بها المزارع ، والحدائق وتقام فيها الكتاتيب لتعليم الصبية القرآن الكريم .

دخل الاسلام شمال « الكاميرون » في عهد امبراطورية « بورنو » الإسلامية التي حولت قبائل « كوتوكو » المجاورة لبحيرة « تشاد » إلى الإسلام ، ثم ازداد عدد المسلمين في تلك المناطق بفضل قبائل « الفولا » في القرن الثامن عشر ، الذين غزوا المنطقة ، ونشروا الإسلام بها على نطاق واسع ، وخاصة في أعالي نهر « بنوى » (فرع من نهر النيجر) وفي هضبة « أداماوا » . أما في جنوب هذه المنطقة فقد نشأت دولة إسلامية على يد ملك « بامون » الذي اعتنق الإسلام في عام ١٩١٤ ، وأعلن أن دين الدولة هو الإسلام ، ولكن ظهور الأوروبيين في ذلك الوقت قضى على الجهود المبذولة لنشر الإسلام ، حيث اتبع الأوروبيون سياسة التفريق بين القبائل وضرب بعضها بالبعض ، علاوة على إنشاء المدارس التبشيرية بقصد اكتساب الناس إلى المسيحية .

أما في « الكونغو » فقد ارتبط الوجود الإسلامي به ، بجهود أهل زنجبار والمستقرات الإسلامية التي امتدت على طول ساحل شرق أفريقيا : اقتحم المسلمون بلاد الكونغو من « أوغندا » إلى « نياسا » ومن دعاة المسلمين وتجارهم المشهورين الذين كان لهم دور عظيم في نشر الإسلام « سعيد بن جمعة » و « سالم بن محمود » و « خميس بن بهلول » وعشرات غيرهم من أهل التجارة والسياسة ، الذين جابوا المناطق الأوغندية وحول البحيرات العظمى ، ومنهم أيضا « محط بن حلفان » و « بوانا عمر » و « الشريف ماجد » الذين جابوا مناطق « نياسا » و « تنجانيقا » (تنزانيا) وعلى رأس هؤلاء جميعاً « سليمان بن الزبير » رسول السلطان « برغش » في « زنجبار » الذي كان يقطع القارة من شرقها إلى غربها .

كان العرب قد سبقوا الأوروبيين في ارتياد هذه الجهات ، وقد اعترف بذلك « ليفنجستون » في رسائله إلى أوروبا التي يقول في بعضها : « كنت أجد آثارهم (أي العرب) أينما أحل ، وكلما حسبت نفسي سرت طريقاً ما سارها أحد منهم قبلي وأنا أعبر القارة من « تبشوانا لاند » خلال صحراء « كلهاري » وحول بحيرة « نقامى » وفوق نهر « زمبيزي » فأنجولا ، وعبر القارة مرة أخرى إلى « فليمين » عند ساحل موزمبيق ، بعد سبع سنوات من الأقدام انتهت سنة ١٨٥٦ عرفت أن عربياً اسمه « سعيد بن حبيب بن

سليم اللفيفي » طوف ما طوفت من قبلي بشهور قليلة » ولم تكن تسنده حكومة ولا جماعة ولا دولة تعنى بأمره كما كان الحال مع « ليفنجستون » وغيره .

كان المسلمون في الكونغو يلبسون جبباً بيضاء ، ويتلفعون بكوفيات مطرزة ، ويحرصون على وقارهم وحسن مظهرهم ، وكانوا ينقشون على أبواب منازلهم آيات من القرآن الكريم ، ويتدارسون العلم في مساجدهم ومنتدياتهم ومنازلهم .

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة في الكونغو « حميد الدين المرجبي » العُماني الأصل ، والذي عرف باسم « تيبوتيب » ، وقد ولد في مدينة « طابورة » في شرق أفريقيا بين سنتي ١٨٣٠ - ١٨٤٠ ، ورحل إلى الكونغو ، وأقام دولة إسلامية في منطقة « أوتيرا » الواقعة بين فرعين من فروع نهر الكونغو برعاية « برغش » سلطان زنجبار ، وما لبث أن سيطر على معظم مقاطعات الكونغو بين عامي ١٨٨٢ - ١٨٨٦ ، وبدأ الإسلام ينتشر تدريجياً في البلاد بجهود هذا الرجل العظيم غير أن ملك « بلجيكا » « ليوبلد الثاني » قام في تلك الأثناء بانشاء مستعمرة في حوض الكونغو ، وبدأ الضغط على الدولة الإسلامية الوليدة ، وفي نفس الوقت قامت انجلترا بتقليص سلطان « زنجبار » على المناطق الداخلية المتاخمة لدولته ، حيث اقتسمتها مع ألمانيا وفرنسا سنة ١٨٨٦ ، وما لبث البلجيكيون أن قضوا على « حميد الدين » وقتلوا ابنه « سيف » في معركة حامية ، واستولوا على دولته ، وأخضعوا المسلمين في تلك الجهات ، وبدأوا استعماراً فعلياً واستغلالا بشعاً لشعب الكونغو ، وبدأوا أيضا في إنشاء المدارس التبشيرية وإدخال الناس في المسيحية .

ومن المحزن حقاً أن يقضي على هذه الدولة الإسلامية التي كانت أملا لسكان وسط القارة ، ولكن الأوروبيين كانوا في خشية دائمة من قيام مثل هذه الدولة ، فعمدوا إلى محو آثارها والقضاء عليها نهائياً ، ومما يثير الأسى في نفس كل مسلم قول « جرنفيل » الذي كان وزيراً للدولة في حكومة « لومومبا » ! « لقد زَوَّرَ البلجيكيون كل شيء في الكونغو ، فليست مدينة « ستانلي ڤيل » سوى مدينة « تبوتيب » الذي أقام هذه المدينة قبل قدوم الرحالة « ستانلي » وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق . وإنما هم تلك الموجة الانسانية التى اختلطت بنا وصاهرتنا ، وتركوا لنا لغة مولدة من لغتهم (لهجة من لهجات اللغة السواحيلية) وديناً وحضارة وسماحة تسوي بين كل الناس ، كما تركوا على أرضنا دماءهم ، والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة ، وليس أعز علينا شيء من هذا الدم العربي الذي سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا على أيدي نفس أعداء العرب في القرن الماضي » .

في ركاب الاستعمار جاء المبشرون من كاثوليك وبروتستانت ، وخاضوا حرباً عنيدة مع العرب في وسط القارة ، منها (حرب العرب) كما سميت فيما بعد في « نياسا » وكانوا يحرضون حكوماتهم ضد العرب ، وقد

أراد « كارل بيتر » وأصحابه من رواد الاستعمار الألماني في « تنجانيقا » (تنزانيا) سنة ١٨٨٥ أن يكون التبشير « أداة مهمة من أدوات الاستعمار الأوروبي المسلح » فيما يقول « رونالد أوليفر » في كتابه « العنصر التبشيري في شرق أفريقيا » وكانوا يحثون حكوماتهم على أن تمزج الحركة التبشيرية بالحركة التوسعية في ألمانيا .

وعلى أي حال فقد قام صراع غير متكافىء بين العرب والوافدين الأوروبيين الذين استصرخوا دولهم فجاءتهم بالعتاد والسلاح والجيوش الجرارة ، بينما كان المسلمون ينصتون لعلهم يسمعون أخبار قدوم الجيوش المصرية أو العثمانية قادمة إليهم لتشد أزرهم وتنقذهم من محنتهم ، ويتسامعون بثورة المهدي في السودان ، وغضب سلطان عُمان وزنجبار ، فيصيخون السمع مرة أخرى ، على أمل أن تمتد إليهم يد المساعدة ، ولكنهم لا يجدون في النهاية من يقف إلى جانبهم فكانت النتيجة تساقطهم واحداً بعد واحد ، بعد أن بذلوا ما وسعهم ، وضحوا بأنفسهم في ساحة الشرف والجهاد .

وقد حاول الأوروبيون بشتى الطرق طمس معالم التأثير العربي في تلك المناطق ، فحاربوا الإسلام وادعوا عليه ادعاءات شتى ، وافتروا على أهله ، ورموهم بكل منقصة ، ولكن الحقيقة الجلية لا تطمسها الدعاية الزائفة . ويعرف الأفريقيون جميعاً أن العرب والمسلمين كانوا رسل حضارة ، تركوا حيث حلوا أسواقاً رائجة ، ومهدوا الطرق ، ونظموا أساليب الادارة والحكم ، وابتدعوا وسائل للزرع والحصد ، وأزالوا بعض الغابات وزرعوا محلها محاصيل متنوعة .. إلى آخر ما يقوله الأب « سلمانز » في كتابه عن « المسألة العربية والكونغو » .

كذلك حرص الأوروبيون على اتهام العرب بأنهم كانوا تجار الرقيق في المنطقة ، واتخذت هذه المقولة هدفاً لتنفير الأفريقيين من الاسلام ، مع أن العرب قد اقتصر دورهم في هذه التجارة على شراء الرقيق من بائعيهم الأفريقيين ، ولم يقتنصونهم بأنفسهم ، كما كان يفعل الأوروبيون ، كذلك كانت العلائق بين العرب ورقيقهم انسانية إلى أبعد الحدود ، وقد كتب في ذلك « ديوارت باربوسا » سنة ١٥١٨ قائلا : « وحال الرقيق في « محبسة » تدل على ما لأسيادهم العرب هنالك من إنسانية ، يعجز الواحد أحياناً أن يميزهم عن أسيادهم ، إذ يبيح لهم هؤلاء أن يقلدوهم فى اللباس ، وفى غيره من شئون العيش ».

وعلى أية حال ، فقد أدرك الأفريقيون الهدف من هذه الدعاية المسمومة (وإن كان بعضهم لازال متأثراً بها خاصة في جنوب السودان) ويبدو واضحاً أن النشاط يدب مرة أخرى في أوصال الدعوة الإسلامية في وسط أفريقية ، وأصبحنا نسمع كثيراً عن علماء وفقهاء يجددون النهضة الإسلامية الشاملة ، ويعملون على نشر اللغة العربية ، وزيادة الارتباط والاتصال بالشعوب العربية

الأخرى ، مما ينبىء بانتعاش وشيك للدعوة الاسلامية بين الشعوب الزنجية .

وقد عبر الشاعر الأوغندي « بيترمواني » في قصيدته المشهورة « قد قامت الصلاة » عن مشاعر الأفريقي الداخل في الإسلام وأحاسيسه ، حيث يقول :

كل شيء يتوقف بغتة
الابل تنيخ وتستريح
والسكون يعم كل مكان
وعلى الرمل الوهاج المتألق
يركع المسلم الغيور المتعبد
في اتزان وحسن ايقاع
يسجد لله مكباً في الرمل على وجهه
في دروب الصحاري برمضائها المحترقة
ترى أفواج الرجال وقوفاً يصلون
ما أشد الحرارة وما أقساها
ولقد خلا طريق القوافل من القوافل
وامتدت الصحراء رحيبة فسيحة
فما الانسان بشيء إذا قيس بها
كن معنا يا الله
الله بعيد قريب أقرب من حبل الوريد
إنه عند الهرم الراسخ
عند كثبان الرمل المهيل
عند سكون شواطيء النيل
وهدوء شواطىء الخرطوم
إنه تعالى في كل مكان
فرض علينا الصلاة
إذا قامت الصلاة

إن الاسلام ينطلق الآن إلى كل مكان حول خط الاستواء ولكن يجب علينا أن نبذل الجهد لمساعدة إخواننا الأفريقيين في كل مجال ، إن الصراع الدائر في أفريقيا الآن سوف يتحدد على أساسه أي الثقافتين هي الغالبة ، الثقافة العربية الإسلامية أم الغربية المسيحية . والله مظهر نوره ولو كره الكافرون

عبد الله بن كثير القارى

كثير من الناس حين يذكر ابن كثير تنصرف اذهانهم إلى جهبذ التفسير، واستاذ التاريخ الكبير، والمحدث الشهير، الحافظ الثبت الثقة عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية، رحمه الله تعالى ولا تجرى السنتهم بذكر علم من اعلام القراءات، وسيد من سادات التابعين هو عبد الله بن كثير القارى، المنسوب إلى تميم الدارى.

يقول عنه صاحب خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال ص ١٧٨ :

هو عبد الله بن كثير الكنانى مولاهم أبو معبد الدارى المكى أحد الأئمة السبعة القراء عن ابن الزبير ومجاهد بن جبر المكى، وعنه عبد الله بن أبى نجيح وشبل بن عباد وَثَّقَهُ بن المدينى والنسائى. توفى سنة عشرين ومائة عن خمس وسبعين سنة أ.هـ

خلاصةأقول : ومن هذه الترجمة القصيرة تظهر سكانة الرجل بين المحدثين والمقرئين.

يقول ابن الجزرى فى غاية النهاية ١ : ٤٤٣ عدد رتبى ١٨٥٢ قيل له الدارى لأنه كان عطارا، والعطار تسميه العرب دارياً نسبة إلى «دارين» موضع بالبحرين يجلب منه الطيب.

وقيل الدارى الذى لا يبرح داره ولا يطلب معاشا، أو إلى بنى الدار أو إلى تميم الدارى الصحابى الجليل. تابعى مولى فارس بن علقمة الكنانى كان إمام الناس بمكة لم ينازعه فيها منازع ولذلك نقل عنه أبو عمرو ابن العلاء الحافظ، والخليل بن أحمد الفراهيدى، والامام الشافعى.

يقال له: غالب القوم-يعنى القوم السبعة القراء ـ بالعلو والرفعة لما أنه لزم مجاورة مكة وأقام بها وهى أشرف البقاع عند أكثر العلماء إلا ما كان من أمر البقعة التى حوت جسد رسول الله ﷺ فإنها أشرف بقعة فى الكون على الإطلاق.

يقول أبو القاسم النويرى فى شرحه لطيبة النشر فى القراءات العشر «مخطوط» فى وصفه رضى الله عنه :

كان عبد الله بن كثير بن المطلب الدارى فصيحاً بليغاً جسيماً أبيض اللون طويلاً أشهل العينين، يخضب بالحناء، عليه

للأستاذ عبد الفتاح أبو سنة

السكينة والوقار لقى من الصحابة عبد الله بن الزبير ، وأبا أيوب الأنصارى ، وأنس ابن مالك ، وقرأ على أبى السائب عبد الله ابن السائب المخزومى ، وعلى أبى الحجاج مجاهد بن جبر المكى ، وعلى درباس مولى ابن عباس ، وقرأ درباس على مولاه ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبى ، وزيد ابن ثابت ، وقرأ عمر ، وزيد ، وأبىّ ، على رسول الله ﷺ .

وقيل : من أراد التمام فليقرأ بقراءة ابن كثير ، سأله الناس أن يجلس على كرسى الإقراء فأنشد أبياتا فى ذم نفسه :

بُنَىَّ كَثيرٍ كَثِيرُ الذنوب
ففى الحل والبل من كان سبه
بُنَى كثير دهاه اثنتان
رياءٌ وَعُجْبٌ يخالطن قلبه
بنَى كثير أكول نؤوم
وليسَ كذلك من خاف ربه
بنى كثير يعلم علما ؟
لقد أعوز الصوف من جز كلبه

ولعل القارىء الكريم يلحظ تواضع هذا الإمام من تمثله بتلك الأبيات . يقول العلامة ابن الجزرى : فى ترجمة ابن كثير القارى « المرجع السابق » رأيت بخط أبى عبد الله الحافظ قال : وبعض القراء يغلط ويورد هذه الأبيات لعبد الله بن كثير وإنما هى لمحمد ابن كثير أحد شيوخ الحديث .

قلت : وممن أوردها لابن كثير القارى أبو طاهر بن سوار وغيره أ هـ.

أقول لهؤلاء وهؤلاء : إن لم ينشئها فقد تمثل بها ليعرب عن تواضعه وحيائه وسماحته من جانب ، وليلقن الناس درسا فيما يجب على المعلم من التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل : كالرياء والعجب . فالرياء شرك خفى ، والاعجاب بالنفس أو بالرأى أو بالعمل آفات تهلك الرجال ، وكثرة الأكل والنوم تفوت الخير الكثير ، وتقسى القلوب ، وأن أبعد القلوب من الله القلب القاسى ، ثم يختم ابن كثير رضى الله عنه هذه الأبيات النادرة قائلاً : أى علم يقوله بنى كثير إنه بمثابة شعر الكلاب يجزها أصحابها لحاجتهم إلى الصوف ، والذين يستعملون « المغزل » يجيدون التمييز بين الخيطين ، وصانعو الثياب يحسنون التفرقة بين النسيجين . ولعل تصغير كلمة « ابن » تعطيك إحساسا بصدق صاحب الترجمة فيما يقول ، وحسبك من فضله ، وجلالة قدره ، وعلو كعبه فى سائر فنون العربية قول الأصمعى : « كان ابن كثير القارى أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر المكى » كما روى ابن مجاهد من طريق الشافعى ـ رحمه الله النص على قراءته عليه .

روى القراءة عنه إسماعيل بن مسلم ، وجرير بن حازم ، والحارث بن قدامة ، والحمادان ، وابنى أبى فديك وأبى مليكة وسفيان بن عيينة وأبى عمرو بن العلاء الحافظ . ولم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه فى القراءة بمكة حتى مات رحمه الله تعالى سنة عشرين ومائة .

الفتاوى

س : من السيد / ع . يوسف ... منيا القمح - شرقية

ضاق المسجد بالمصلين يوم الجمعة وتكرر ذلك .. فلجأ الأهالى إلى تمهيد سطح المسجد وأدوا صلاة الجمعة فوقه .. فهل الصلاة صحيحة علماً بأن المصلين يعلون الإمام ؟ وهل يمكن اعتبار سطح المسجد مكملاً للمسجد عند الضرورة ؟ .

◆◆◆

ج : لامانع من أداء المصلين لصلاتهم على سطح المسجد إذا ضاق المسجد بالمصلين وتعذر وقوفهم خلف الإمام .

س : من السيدة / ك . ك . كامل من أمريكا

أشهرت إسلامى فى شهر ذى الحجة سنة ١٤٠٦هـ - أغسطس سنة ١٩٨٦م .. ولى ولد يبلغ من العمر (١١ سنة) أحدى عشرة سنة . ووالده مسيحى ويريد أخذه فما الحكم ؟

◆◆◆

ج : ولد هذه السيدة من زوجها المسيحى السابق الذى لم يبلغ يتبعها فى إسلامها ، وهى أحق بحضانتها لـه من سواهـا لإسلامها ، حفاظاً على دينه وخلقه ...

س : من السيد / ع . م . إسحاق

أشهر الأب إسلامه إشهاراً صحيحاً وله طفل صغير فى حضانة أمه الكتابية فمتى يحق للأب ضم الطفل إليه ؟

◆◆◆

ج : الطفل يكون فى حضانة أمه الكتابية إلى أن يبلغ سنا يفرق فيه بين الأديان ويخشى عليه أن يتبع أمه فى دينها . وحينئذ يضم إلى أبيه فإن امتنعت أمه حكم القاضى بنزعه من حضانة أمه إلى حضانة أبيه أو حضانة من هو أقرب إلى أبيه المسلم من النساء .

س : من السيد / ف . ا . الباجورى من المنوفية

هل الأب مطالب بدفع دين ابنه المتوفى ؟

◆◆◆

ج : ما دام المتوفى توفى ولم يكن عنده مال ولا تركة وعليه دين ، فإن الدين فى هذه الحالة

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين

يسقط ، والأب ليس مطالبا بدفع الدين المستحق على ابنه ..

س : **من السيد / ا . ج . أحمد** من الصف

عقدت قرانى على بنت عمى ، وبعد العقد أخبرتنى والدتى بأننى رضعت من جدتى لأبى أكثر من خمس رضعات ، وأنا أصدق والدتى فى هذا . فما الحكم ؟

◆◆◆

ج : ما دام أخبرتك أمك بأنك رضعت من جدتك لأبيك خمس رضعات فأكثر ووقع فى قلبك صدق أمك ، فإنه فى هذه الحالة تعد الفتاة بنت أخيك من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحرم من النسب ، والواجب عليك الآن أن تطلقها وتعطيها وثيقة طلاق ، لأن العقد باطل شرعاً .

س : من السيد / ع . فتحى - مصر الجديدة

طلقت زوجتى طلقة أولى رجعية وكانت حاملا ، وبعد الطلاق بعشرة أيام وقبل أن أراجعها وضعت الحمل ، فراجعتها بعقد ومهر جديدين أمام شهود .

ومرة ثانية حلفت عليها قائلاً : (على الطلاق ما يدخل ابن أخيك البيت ولو دخل تكونى طالق) قاصداً التهديد والمنع تجنباً للمشاكل . ودخل .

ومرة ثالثة قلت لها أنت طالق . فما الحكم ؟

◆◆◆

ج : بالنسبة للمرة الأولى يقع بها طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لاتحل له إلا بعقد ومهر جديدين . وحيث إنك راجعتها بعقد ومهر جديدين فإن العقد صحيح شرعاً .

وعن الثانى بأنه يمين معلق ، وحيث إن الحالف كان يريد به التهديد والمنع فلايقع به طلاق .

وعن الثالث يقع به طلقة واحدة رجعية فله مراجعة زوجته ما دامت فى العدة فإذا انقضت عدتها منه حلت له بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وتبقى معه على طلقة واحدة .

س : من السيد / م . م . عدنان من العريش

توفى رجل عن زوجة ، إخوة أشقاء ذكور وإناث ، إخوة لأم ذكور فمن يرث وما نصيبه ؟

◆◆◆

ج : للزوجة الربع فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ، وللإخوة لأم الثلث فرضاً لعدم من يحجبهم يقسم بينهم بالتساوى ، والباقى للإخوة الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . **والله أعلم**

من أعلام الأزهر
الشيخ
أحمد الاسكندرى

علم من الأعلام كرس حياته لخدمة دينه ووطنه ، شارك فى الحياة العامة والفكرية وجال فى كل ميدان .. حلق فى سماء العلم وطوف فى ميدان الأدب فأخرج للناس ما شفى النفوس وطهر القلوب رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه بقدر ما دافع عن لغة القرآن وهذب النفوس وربى الأجيال .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ أحمد على عمر الاسكندرى فى فبراير سنة ١٨٧٥ م فى مدينة الاسكندرية .. ونشأ فى بيئة دينية فقد كان والده الشيخ على عمر الاسكندرى مقيما للشعائر وخطيبا من خطباء مساجد الاسكندرية عالما عاملا .. فلا غرو أن يقال .

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عَوَّدَهُ أبوه

فى البداية .. حفظ الشيخ أحمد الاسكندرى القرآن الكريم على يد والده ، فخلص له البيان واستضاء طريقه بنور القرآن ، واتقد قلبه حبا وشوقا وتطلعا إلى العلوم والمعارف . ثم انطلق إلى المعهد الدينى بالاسكندرية فالتحق به مكبا على الطلب شغوفا بالأدب . بل دفعه التطلع والطموح إلى الرحيل إلى القاهرة فالتحق بأزهرها الشريف حيث ارتوى بما شاء الله له أن يرتوى به من نبع العلوم الفياض ، وكعادة النابغين فى عصره أكمل مسيرته حتى انتهى إلى جدول من جداول الأزهر له أثره وتأثيره ففى سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة دار العلوم .. فكان مشربه من منبع أصيل : من الأزهر الشريف ، وجدول فياض معطاء زاهر دار العلوم .

شيوخه :

ولئن كان للبيئة أثرها وتأثيرها ، وكانت الثقافة تلعب دورها فى تكوين الشخصية وانطباعاتها وسلوكها فإنه لمن الخير أن نعرف ونتعرف على شيوخ أستاذنا ولعل من أبرزهم أصحاب الفضل والفضيلة : الحسين المرصفى ، وحمزة فتح الله ، وحسن الطويل ، وعثمان غالب ، وحسونة النواوى .

للأستاذ أحمد محمد الخواص

تخرجه :

وعلى يد هذه النخبة الممتازة من الفضلاء وبما ورثه شيخنا الاسكندرى من بيئته الأولى ، وما كمن لديه من استعدادات فطرية جبلته على حب التراث والدفاع عنه والعمل على إحيائه ، مع الملاحظة لماتتطلبه الحياة المتطورة .. على يد هذه النخبة وبهذه المؤثرات وتلك الدوافع تخرج الشيخ فى مدرسة دار العلوم ١٨٩٨ م ولديه أسباب للمشاركة فى البناء .

تخرج الشيخ فى مدرسة دار العلوم وقد زامل فيها إبان دراسته : أحمد راشد ، عبد الوهاب خير الدين ، مصطفى عنانى ، أحمد خليل ، حامد حسين والى ، مهدى أحمد خليل ، عبد الحميد مخلص ، عبد الرحمن الكنانى ، ثم حصل رحمه الله على درجة الأستاذية ١٩٣٨ م ومضى به وبهم ركب الحياة ..

تقلبه فى الوظائف :

الحياة مدرسة منها نتعلم وفيها نعلم ، وخيركم من علم العلم وعلمه ، ومن هذا المنطلق عرف الناس للعلم قدره .

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

عرف الشيخ قدر المهنة فامتهن التعليم .. عمل مدرسا بالمدارس الابتدائية والثانوية آنذاك ومن هذه المدّارس التى شرفت بعلمه وفضله : ـ مدرسة رأس التين بالاسكندرية ،

ومدرسة الغربية ، والسويس الابتدائية ، كما تولى نظارة مدرسة المعلمين بالفيوم ، والمعلمين بالمنصورة ، ثم صار مفتشا مساعدا بالمعارف العمومية .. ثم عاد من تجواله فى بساتين العلم إلى داره : دار العلوم ١٩٠٧ م .. مدرسا للإنشاء والأدب ، والعروض ، والقوافى ، والتوحيد وظل بها ربع قرن من الزمان يقرن الحديث بالقديم ويعيد إلى الحياة من العلوم ما شارف الزوال .

لقد اقترح* رحمه الله تدريس فقه اللغة فى هذه الدار فبعث هذا العلم بعد طول رقاد .. لم يكن رحمه الله صاحب شعار يرفع فحسب بل إن الشعور بالسعادة ليحيط به عندما يرى العمل والتطبيق لما أشار به أو اقترحه .. ومن ثم فقد سارع عندما استجيب إلى اقتراحه

مبادرا إلى حمل عبء تدريس هذه المادة .. فقسمها قسمين :

قسم خاص بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات .

وقسم خاص بوضع الألفاظ اللغوية للمسميات ..

واختير رحمه الله ـ عضوا مراسلا بالمجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٢ .

واستمرت جهود الشيخ وأثمرت .. وكان لجهوده المتواصلة ومواصلته للبحث والدراسة أثر أيما أثر فى توجيه الدراسات العربية فى دار العلوم .

ولم يقف شيخنا عند دار العلوم فحسب كما لم يقف علمه على طلبتها فقط فقد انتدب لتدريس الأدب العربى فى كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٣ ، وتقديرا لجهوده واعترافا بخبرته ووضعا له فى مكانته استعان به أحمد نجيب الهلالى (باشا) وزير المعارف سنة ١٩٣٤ فى وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ومراجعة كتب اللغة العربية لهاتين المرحلتين فارتفع قدره وعلا سهمه .

وعندما أنشىء مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٢ اثر محاولات سابقة وقع الاختيار على الشيخ ليكون عضوا من أعضائه ورفعه علمه إلى المشاركة فى سبع من لجان المجمع التى بلغ مجموعها إحدى عشرة لجنة .

وفى عهد وزارة محمد بهى الدين بركات (باشا) للمعارف تمت موافقة مجلس الوزراء على اختيار فضيلته عضوا فى المجلس الأعلى لدار الكتب ، ومع أنه (رحمه الله) قضى فى هذا العمل ثلاثة أشهر إلا أنه محا غبار النسيان عن لآلىء التراث .

وكما كانت البداية كتاب الله حفظا وأداء فقد شارفت النهاية وهو فى خدمة كتاب الله رسما وكتابة .

فى خدمة القرآن الكريم : ـ

قام رحمه الله بتصحيح النسخة الرسمية للمصحف الشريف مع حفنى ناصف ، ومصطفى العنانى ، وهى النسخة التى أمر بإخراجها جلالة الملك فؤاد ، ولا تزال تطبع حتى الآن مع أجزاء منفردة ومجموعة من الكتاب العزيز كما شارك فى وضع كتاب قواعد رسم المصحف الشريف وطريقة كتابته .

تلاميذه :

لهذا العالم الجليل أفذاذ تلقوا العلم على يديه :

إن الناظر فى الحياة العلمية المعاصرة ، والمتبصر لمعالم النهضة الحديثة فى عصرنا يرى الشيخ رحمه الله متمثلا فى تلاميذه أعلام العصر الحديث من أمثال : أحمد حسين والى ، ومحمد خلف الله أحمد ، وعبد الوهاب أبو العيون ، ومحمد المدنى ، وعلى الجارم ، ومهدى علام ، وهاشم عطية ، وعبد العزيز عيسى ، وعطية الصوالحى ، وابراهيم مصطفى ، وعلى النجدى ناصف ... إلخ .

هؤلاء هم الاعلام الذين سلمهم الشيخ لواء النهضة العلمية والأدبية فرحم الله شيخنا ومن رحل منهم عن عالمنا وأطال ـ جل جلاله ـ عمر من بقى فينا مواصلا المسيرة مسيرة العلم والإيمان .

رحلاته العلمية : ـ

لم يكن نشاط الشيخ العلمى والأدبى قاصرا على وطنه بل شارك فى المؤتمرات

الدولية وأدلى فيها بدلوه :

شارك فى مؤتمر المستشرقين السادس عشر المنعقد فى أثينا سنة ١٩١٢ وكان من أعضاء الوفد المصرى المشاركين له فى هذه الرحلة الشاعر : أحمد شوقى ، وحفنى ناصف ، وأحمد زكى .. واستطاع الشيخ بما أوتى من قوة الحجة وغزارة العلم وما جبل عليه من حرص على لغة القرآن الكريم استطاع أن يقنع المستشرقين فى هذا المؤتمر بإصدار قرار يقضى بأن اللغة العربية الفصحى هى التى تصح للبلاد الاسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف وأن من واجب الحكومات أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية .

كما مثل الشيخ مجمع اللغة العربية فى المؤتمر الطبى التاسع بالقاهرة سنة ١٩٣٦ .. وفى المؤتمر العاشر فى بغداد سنة ١٩٣٨ .

أعماله اللغوية والأدبية : -

لا يتسع المجال لسرد هذه الأعمال وبيان ما فيها فقط نكتفى بالإشارة إلى بعضها .. وهذه الأعمال منها ما اختص الشيخ بكتابته ومنها ما شارك غيره أو شاركه الغير فيها .. بل منها ما عرف طريقه إلى الطباعة ومنها المخطوط الذى لم ير بعد الطريق إلى القراء ..

فمما انفرد به الشيخ :

- تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى .
- تاريخ آداب اللغة العربية فى الأندلس والدول المتتابعة .
- نزهة القارىء .. للمدارس الثانوية جـ ١ ، ٢ .
- فقه اللغة جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
- معجم المعانى جـ ٢ .
- أمثال عربية .
- أبيات مختارة من مختارات الثعالبى .
- اقتراح المصطلحات الكيميائية .

ومن مؤلفاته التى أخرجها مع آخرين

- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه .
- المفصل فى تاريخ الأدب العربى جـ ١ ، ٢ .
- المجمل فى تاريخ الأدب العربى .
- سلسلة كتب المنتخب من أدب العرب .
- صفوة تاريخ مصر والدول العربية جـ ١ ، ٢ .

ومن مخطوطاته رحمه الله :

- آداب اللغة الدارجة المصرية .
- نزهة القارىء جـ ٤ ، ٥ ، ٦ .
- تاريخ الأدب العربى فى جميع عصوره .
- كتاب تاريخ المصاحف .
- معجم المعانى جـ ٣ ، ٤ .
- الرأى الفصل فى قضايا العصر .

والقارىء لنزهة القارىء وفقه اللغة ومعجم المعانى يستطيع التأكد من غزارة علم الشيخ وسعة اطلاعه ، فقد قدم دراسات عن الحيوان والكائنات الحية والجماد ، ومظاهر الطبيعة المختلفة ، والطب ، والأحياء ، والصحة ، والكيمياء ، والطبيعة ، والتاريخ ، والجغرافيا .. إلخ ..

هذا إلى جوار العديد من الخطب التى ألقاها فى المحافل الرسمية والمقالات التى نشرها فى المجلات المتخصصة والبحوث التى قدمها أو شارك فى مناقشتها منتصرا للغة العربية .

من ذلك خطبته التى ألقاها فى نادى العلوم حول منع التعريب فى المسميات الحديثة ، وخطبه التى ألقاها فى مؤتمر المستشرقين عن اللغة الدارجة وخطبته فى المؤتمر الطبى العاشر فى بغداد .

شعره : ـ

إن المتتبع لشعره وإن قل .. يشعر بما فيه من عاطفة متدفقة صادقة نحو العروبة ولغتها الأصيلة بل إنه ليحس باحساس الرجل فى حب العلم وطلبه ..

يقول رحمه الله : ـ

لغتى دون غيرها
سلمت من يد النوب
لغة الدين والدنيا
لغة العلم والأدب ...

هذه لغتنا وتلك مكانتها فما هى مكانتنا وكيف نسمو إليها .

يقول رحمه الله : ـ

فهلموا إلى العلا
نستعد بعض ما ذهب
ننشد العلم نافعا
فى ديار ومغترب
كل صعب ميسر
للذى جد فى الطلب

ولا أدل على الأصالة العربية فى شيخنا من نقده لابن خلدون فى مقدمته فيما زعمه عن العرب فى مقدمته ، نقد الشيخ رحمه الله حديثه بأسلوب علمى استند فيه على الوقائع والأحداث ودعمه بالاحصائيات التى لا تخطىء .

إنه الغيور دائما على العروبة والاسلام ولقد دفعته تلك الغيرة وفى غير تعصب إلى انتقاد جورجى زيدان فى كتابيه : ـ تاريخ الأدب العربى ، وتاريخ العرب قبل الاسلام حتى أن جورجى زيدان نفسه ليقر بموضوعية النقد معترفا بفضل الرجل إذيقول « إن انتقاد الشيخ أحمد الاسكندرى يشتمل على أمور حرية بالالتفات واصلاحات سننظر فيها .... » .

وتظهر مكانة الشيخ ومنزلته فيما حصل عليه من أوسمة ونياشين فقد حصل على « وسام الرافدين » المدنى ، كذلك حصل على « نيشان النيل » فى عهد الملك فؤاد الأول .

وتأتى شهادة تلو شهادة لتعترف للشيخ بفضله .

ومن خلال هذه المسيرة لشيخنا عبر الحياة نستطيع أن نؤكد أن شيخنا .. قد خلق فى سماء العلم ، وطوف فى كل بستان .. لثم الزهور وارتشف الرحيق فأخرج ما شفى النفوس ، وطهر القلوب .. غاص فى بحار المعارف فاستخرج الدر والياقوت .. ومكن للعربية أن تسود ومهد لأبنائها طريق البيان والبنيان .

وفاته : ـ

ولئن طال التنقل والترحال فى ركب الحياة فلابد من الرحيل إلى رحاب الله .

وجاءت ساعة الرحيل فى يوم الثلاثاء الثامن عشر من صفر سنة ١٣٥٧ هـ الموافق التاسع من ابريل سنة ١٩٣٨ م فانتقل رحمه الله إلى جوار ربه ..

أهم المصادر : ـ

- **أسرة الشيخ**
- **رسالة ماجستير عن الشيخ للباحث / ابراهيم عبد الرازق أحمد**

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

أنوار الهجرة

حوار مع النفس

صرخة زناجي

أنوار الهجرة

عادت تطل على الدنيا معانيها ... وتملأ الكون إشراقاً مرائيها
عادت بكل جلال الحق عاطرةً ... بكل ما حملت يوماً لياليها
ذكرى على الدهر ما زالت منائرها ... نبع الضياء إلى الدنيا وما فيها
تجلو الغيوم عن الأفهام كاشفةً ... ما رسبته الليالى فى دياجيها
أم القرى دارة التاريخ تذكرها ... وكيف طوّف بالآيات تاليها
محمد بكرها المعصومُ تعرفه ... يقرُّ بالفضل قاصيها ودانيها
وكيف بشرّ بالتوحيد وانطلقت ... الله أكبر ترقى فى مراقيها
نورٌ من الله يسرى فى رسالته ... فيملأ الخير والبشرى نواديها

***

أم القرى روعتها ندوةً عقدت ... يطوف بالشر والأحقاد ساقيها
أخانها الرأى أم ضل الرشاد بها ... وحاد عن خطوات العقل حاديها
راحت تقطع فى جهل وشائجها ... وتطفىء المشعل الهادى بأيديها
هل كان أحمدُ الا نبتَ واديها ... هل كان أحمد الا من غواليها
قد أجمعوا أمرهم والشر رائدهم ... أن يخمدوا جذوة بانت خوافيها
وحاصروا البيت من كل البطون فتى ... تشرب الحقد فى الأعماق يذكيها
والمصطفى فى أمان الله منطلق ... لغاية جل رب الكون معليها
ومر بالقوم فالأبصار غاشيةٌ ... وأصبحوا طرفةً للناس ترويها

***

وموكب النور نحو الغار غايته ... والغار يسيح فى أضوائه تيها
قد كان قفراً تجول الضاريات به ... فصار أنس الليالى فى صحاريها
به توارى رسول الله يصحبه ... خير الأخلاء عن أنظار رائيها
هنا انتهى أثر الأقدام وانطلقوا ... يريد أن يشبع الأحقاد طاغيها
بمدخل الغار دار الكفر دورته ... وداخل الغار خوفٌ من تلافيها
نفسى فداؤك نال القوم بغيتهم ... لو ينظرون إلينا من أعاليها
وينطق الصادق المختار مبتسما ... هون عليك فإن الله راعيها

للأستاذ / رشاد محمد يوسف

عادوا يجرون زيل الخزى وانتشروا   يفتشون دروباً فى بواديها
ويضرب الله أمثالاً لمن كفروا   لو أعملوا العقل فهماً فى مراميها
حماية الله للهادى وصاحبه   اوهى الخيوط إذا ما شاء يحميها

***

سائل سراقة والآمال تسبقه   والنوق تخطر فى دل تمشيها
ماذا دهاه وقد غاصت قوائمه   وهذه الرجفة العظمى يعانيها
وكيف عاد وقد عادت سكينته   ببشرياتٍ وأحلامٍ يرجيها

***

ما بال يثرب للترحيب قد خرجت   وفى مشارفها نادَى مناديها
أهل بدراً ونوراً ساطعاً وهدى   مِلْءَ المسامع والأبصار داعيها
عاشت إلى نوره تهفو مواكبها   وعاش فى قلبها أغلى أمانيها
حتى إذا عانقته بعد طول سرى   وصافحت ركبه الغالى دراريها
راحت تنافس من يحظى بجيرته   ويحرز السبق تشريفاً وتنزيها

***

لبيك ياداعى التوحيد سوف ترى   فى آل يثرب آمالاً ترجيها
الأوس والخزرج الأبطال قد مسحوا   كل العداوات وانجابت عواديها
مهاجرون وانصار وآصرة   على المودة والتقوى تلاقيها
هم عسكر الفتح حزب الله منطلق   يبنى الحياة على حق ويعليها
يؤسسون على اسم الله دولتهم   الحق رائدها والعدل قاضيها
والمصطفى مثل اعلى واسوتهم   اخلاق احمد جلت فى تساميها

***

ياهجرة المصطفى والنفس حائرة   والمسلمون حيارى فى فيافيها
والأرض والعرض والأخلاق فى خطر   فمن يرد العدا عنها ويجليها

***

ياسيدى يارسول الله بارقة   من الضياء إذا اشتدت دياجيها
لتستفيق قلوب المسلمين على   هدى من الله يهديها ويحميها

حوار مع النفس

للشاعرة جليلة رضا

« إن النفس كالحديقة لابد لها من تشذيب وتقليم »

دقت الساعة نصف الليل .. هيّا لِلرحيلْ
اهبطى الوادى ومُرّى بين هاتيك السهول
ثم سيرى فى مسافاتى ولا تخشى هوانى
وانظرى : هل من غريب جاءنا عبر الزمان
إن يكن .. فلتطرديه .. فهو يانفسى دخيل

■■■

إنّ سَهْلِىَ فيه أشجارٌ كثيفات الظلالِ
إنها تمتص آفاقى وتستدنى خيالى
شمّرى يانفس عن ساقيك حتى تصعديها
وارفعى الساعد ، هيا شذبيها شذبيها
آه ما أقسى الطفيلياتِ فى روض الجمال

■■■

هاهنا جذعٌ عقيم يتحدى فى العراء
وهنا قشرٌ سقيمٌ وغصونٌ فى التواء
إن تكلّ فابتريها فهى سُمٌ فى العروق
إن عندى معولى الدامى ومنشارى الدقيق
إن تكن آلات هدم فهى آلات بناء

■■■

انتهينا .. لا تخافى الآن من نزف الجراح
فغداً فى كل غصن سنرى ألف جناح
إن تكونى قد ملأت الآن سهلى بالضحايا
انت قد طهرت أنفاسا وضوأت حنايا
فاصعدى واديك جذلى .. ثم نامي للصباح .. ؟

صرخة زنجى

د عزت شندى موسى

أى ذنب أن تَبدَّى أسودا   وادعٌ .. ما مد بالسوء يدا
أى شأن للورى فى خلقتى   ذاك شأن الله . من قد أوْجدا
أهو الكفر بمن صورنا ؟   كل مخلوق بلون زُوِّدا
أم عقوق للذى أبدعنا   كل حى فى إطار قيدا

★★★

أى فضل يدعيه أبيض   أغلظَ البهتانُ منه الكبدا
أى حق يبتغيه طامع   وهو لا يملك فيه السندا
أى تمييز ترى ينشده   بئس ما امتاز به أو نَشَدا
أى حقد بات يكوى قلبه   إن شر الناس من قد حقدا
إن من عَيَّبَ خَلْقًا ، عاجز   هل ترى يخلق إن شاء .. يدا ؟
إن من حقَّر لونا كافر   أنكر المولى الذى قد عُبدا

★★★

أى قانون لهم يحرمنى   منه أضْحَى بابُ عيشى مُوصَدا
ماروى التاريخ فى عصر زها   أن ربَّ الدارِ منها طُردا
هل رأيت الأخَ يغتال أخًا   وشقيقا لشقيق وأدا ؟
ليس من فرَّق شعبا سيدا   إن من ألَّف كان السيدا

★★★

لم أشقى بين فقر مدقع   وابتئاس .. وهو يلقى الرغدا ؟
هل يعيب التبر أقتام عرا   أو صفار اللون عاب العسجدا ؟
أيها العادى تمهل واتئد   إننى لست عدوا كالعدا
نحن صنوان سنمضى صحبة   فى الحياة اليوم .. والموت غدا

وقفة أمام صقلية

للأستاذ / عبد العليم القباني

« صقليـة » انـداحـت لمـرآك أضلعى — وجفّت على أعمـاقهـا فيـك أدمـعى
وعـادت بى الذكـرى حشـودا تمـردت — علـى الصمت تخطـو بـى إلى كل موضع
هنـا ألـف تـذكـار ، هنـا ألف قصـة — هنا همسة التاريخ فـى سمـع من يعى
هنـا ياجـدار البحر ، يـاحضنه الـذى — تطـاول والـدنيـا بمرأى .. ومسمـع
تـوالت من الصحـراء يومـا شبـولهـا — فمـا المـوج فـى تيـاره .. المتـدفـع
ودوّت هنـا « الله أكبـر » فـانثنـت — جيـوش ، وولـت كـالقطيـع المُفـزَّع
وأحنـت حصـون شـامخـات بـروجهـا — لـديهـا وأوهـت مـوقعـا بعـد مـوقـع
هنـا ائتقلـت يـومـا حضـارة أمـة — تحـن إليـهـا الشمـس فى كـل مطلـع
أضـاءت بصحـراء الحجـاز وأقبلـت — عـلى هـدى ذيـاك النـداء المـوقّـع
فـألقـت بـأوهـام القـرون وأطلعـت — سنـى العلـم من ايمـانـهـا المتـرفـع
وأعلـت بنـاء الحق والـعـدل بعدمـا — لـوى الجهل أعصـاب الزمـان المروّع
فـواءسفـا والـذكـريـات تهـدّنى — وأين الـذى أبكى ، فيبكى أسىً معى ؟
صقليـة انـهـارت صـروح وأقفـرت — دروب ، وأوفـى مصرع بعـد مصـرع
وداست حمى الشرق الخطوب فهل تُرى — سيقـوى عليهـا بعد طـول التصدع ؟
فهـل تدركـين الآن مـابى ؟ وهـل درت — صخـورك كم كـانت مثـارا لأدمـعى ؟
علـى أننـى ألزمـت نفسـى رشادهـا — وعـدتُ بقلـب مستطـار التطلـع
أرى لمحـات الفجـر فى غيهب الـدجى — وقـد تشـرق الآمـال بـعـد التمنـع

العلوم الكونية

فلينظر الانسان مم خلق..؟ فماذا عن الحياة..؟

هذه الاعشاب .. وهذه النباتات

فلينظر الإنسان مم خلق..؟

فماذا عن الحياة..؟

تناولنا فى سلسلة المقالات السابقة ، تأملات فى قانون الحياة ، وأدركنا من خلالها ـ يقينا . أن « لااله إلا الله » هو ذلك القانون الذى يحكم كل أنواع المعرفة البشرية فى قمتها العلمية .
فماذا عن الحياة نفسها ؟

يخبرنا علم الأحياء أن هناك مملكتين كبيرتين للحياة : المملكة النباتية والمملكة الحيوانية .. فما نقطة البدء فى فهم الحياة وأسرارها ؟

لو عدنا إلى « ذلك الكتاب » لوجدنا أن أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ « سورة العلق » وفيها يقول المولى ـ عز وجل :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ . ﴾ .

ولذلك اتخذنا « خلق الإنسان » مفتاحا لفهم هذا اللغز المجهول ـ الحياة ـ فالإنسان قد فضله الله على كثير من خلقه ـ ولذلك فهو أحق بالبداية لتفهم أسرار الحياة .

يبدأ الجسم البشرى رحلة الحياة ، وزاده منها خلية واحدة هى الخلية المخصبة ـ الناتجة من اتحاد « بويضة » الأم بـ « الحيوان المنوي » للأب . وعلى الرغم من صغر حجم هذه الخلية ، حيث لا ترى بالعين المجردة ، إلا أن فيها كل أسرار الحياة ، وهى ككل الخلايا الحية لها تركيب محدد .

فما تركيب الخلية الحيوانية ؟

الخلية هى أصغر وحدة تعبر عن خصائص الكائن الحى وهى محاطة بجدار خلوى كروى الشكل تقريبا وهذا الجدار يفصلها عن الخلايا المجاورة ليصنع « من كل » كياناً مستقلا فى هذا التركيب الكلى .

وتوجد بداخل هذا الجدار الخلوى المادة الحقيقية الحية وتسمى « البروتوبلازم » ينقسم هذا البروتوبلازم إلى سائل هلامى

للدكتورة سعاد حسين البيلى

يعرف بـ « السيتوبلازم » وجسم كروى الشكل يعرف باسم «النواة » يحتوي السيتوبلازم على حبيبات صغيرة سابحة فيه ـ بعضها عبارة عن مواد غذائية مخزنة والبعض الآخر له وظيفة تنظيم العمليات الحيوية التى تتم داخل الخلية .

أما النواة فهى تحتوي على جسيمات صغيرة تسمى « الكروموزومات » وهى عبارة عن تراكيب خيطية ، وهى التى تحمل الجينات التى تحمل بدورها الصفات الوراثية التى تنتقل من جيل لآخر كالطول واللون والملامح ومستوي الذكاء .. الخ .

وبالقرب من الحدود الخارجية للنواة يوجد جسيم مزدوج يعرف بـ « السنتروزوم » وله دور خاص فى عملية انقسام الخلية هذا عن تركيب الخلية !!

فمم تصنع الخلايا ؟

تعتبر الخلايا أبسط التنظيمات التى لها أدق صفات الحياة ، لذلك فإن تركيبها فى « ذاته » له أهميته ، كذلك فإن مراحل تخليق هذه الخلية ـ من الناحية المادية له أهمية خاصة ـ وهذه المراحل مرتبة كالآتى :

١ ـ الذرات : وأقصد بها الذرات الخمس الرئيسية التى تدخل فى تركيب المادة الحية وهى : الايدروجين والأكسجين والكربون والنتروجين والفوسفور : وهى جميعا من العناصر الطبيعية الموجودة فى الأرض ، كذلك توجد عناصر أخرى ولكن بكميات أقل بكثير ، ومن الايدروجين والأكسجين يتكون الماء وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى بقوله : ﴿ « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ « الأنبياء ٣٠ » وهناك أيضا لفتة أخرى وهى قول الحق تبارك وتعالى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » فهذا الإنسان قد آل فى النهاية إلى عناصر الأرض كما خلقها ونسقها وأحياها رب السموات والأرض ـ سبحانه وتعالى

٢ ـ جزيئات بسيطة : وهى عبارة عن اتحادات بين « ذرات » ويطلق عليها أحيانا اسم « الجزيئات العضوية » ويوجد منها مئات الأنواع المختلفة فى الخلايا الحية وهى تبلغ عشرة أضعاف حجم الذرات الأساسية التى تدخل فى تكوين الخلية .

٣ ـ سلسلة جزيئات : وهى عبارة عن جزيئات بسيطة متصلة ببعضها بحيث ينتج عنها سلاسل طويلة ويبلغ حجم أكثر هذه السلاسل أهمية بالنسبة للتكوين الخلوى أكثر من « خمسمائة مرة » من حجم الجزيئات البسيطة أى أكثر من خمسة آلاف

مرة من حجم الذرات وأكبر جزيئات هذه المجموعة لا ترى إلا بأكثر المجاهر الالكترونية قوة .

٤ ـ التراكيب : وهى عبارة عن جزيئات متصلة ومرتبة فى تنظيمات هندسية داخل الخلية الحية ويصل أصغر هذه التراكيب حجما أكثر من مائة مرة من حجم الجزيئات المتصلة متوسطة الحجم ، وأكبرها حجما يصل إلى ألف مرة من حجم الجزيئات المتصلة أو أكثر من ذلك ، وهذه يمكن رؤيتها بالمجاهر العادية .

٥ ـ الخلايا : وهذه كما ذكرنا سابقا عبارة عن الحد الأدنى من التراكيب المنظمة الحية . وأغلب الخلايا ضئيلة الحجم ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتها بواسطة عدسة مكبرة أو مجهر عادي .

هذا عن تركيب الخلية بشكل عام ومراحل تكوينها من ذرات العناصر التى خلقها الله .

●●●

فماذا عن الخلية المخصبة تلك التى تمثل بداية تكوين الإنسان ؟

وما المراحل التى تبدأ السير فيها هذه الخلية « اللغز » بعد تكوينها ؟

تبدأ هذه الخلية « اللغز » رحلتها الانقسامية فى رحم الأم حيث تنقسم إلى خليتين ، وهاتان بدورهما تنقسمان إلى أربع خلايا ثم ثمانية وهكذا حتى نحصل ـ بعد حوالى خمسة وخمسين انقساما ـ على عدد من الخلايا الذى يُكَوِّنُ جميع أعضاء الجسم البشرى ، وكل خلية من هذه الخلايا تدخل فى تركيب نسيج ، ومن مجموع الأنسجة تتكون الأعضاء كالمعدة والقلب والرئة وغيرها ، ومن مجموع الأعضاء التى تتسق مهمتها لآداء دور معين يتكون الجهاز ، كالجهاز الهضمى والتنفسى والدورى . ومن مجموع هذه الأجهزة يتكون جسم الإنسان .

ويؤكد أساتذ علم الأجنة أن هناك سمتين رئيسيتين لتخليق الجنين .

السمة الأولى : أن الخلايا الناتجة عن الانقسام لا ينفصل بعضها عن بعض ولكنها تلتصق ببعض كما لو كانت تعلم مسبقا أنها تشارك فى مشروع عام على خلاف أى انقسام خلوى آخر ، حيث يكون ناتج الانقسام فيه عبارة عن وحدتين مستقلتين تماما ـ كما فى انقسام البكتريا وتكاثرها .

السمة الثانية : « **هى تخصص الخلايا** » ، كل مجموعة من الخلايا تعكف على القيام بعدد محدد من المهام الخاصة ، وعملية التخصص هذه غير عكسية ، فلا رجعة فيها إلى الوراء

ولنا أن نسأل : كيف ينشأ الاختلاف خلال التخليق الجنيني ؟

كيف تتوجه الخلايا حتى تصبح خلايا جلد أو عضلات أو خلايا عصبية أو خلايا عظمية ؟

إننا نعلم أن الجنين عبارة عن كتلة من الخلايا سريعة الانقسام هذا الانقسام الذى يستمر بنشاط سريع بعد الولادة ثم يتناقص معدل هذا النمو ببطء وإبان الطفولة وحتى مرحلة البلوغ عندئذ يتوقف انقسام الخلايا وتسهم كل خلية من خلايا الأعضاء والأنسجة على وقف عملية النمو هذه إسهاما متناسقا بدقة مدهشة .

فكيف تعرف الخلايا متى تتوقف عن النمو ؟

من الذي يخبرها أن الأعضاء التى هى جزء منها قد أصبحت الآن فى الحجم الصحيح ؟ وما طبيعة إشارة أو اشارات وقف الإنقسام ؟

يجيب علم الأحياء عن هذه الأسئلة الكثيرة إجابات مبهمة ويعد الباحثون بمزيد من مواصلة الأبحاث ولكننا نعلم علم اليقين أن الله ـ سبحانه وتعالى وهو صاحب القدرة المطلقة والمشيئة المختارة ـ قد أخبرنا فى « ذلك الكتاب » بأنه وحده « يعلم ما فى الأرحام » ليس جنس الجنين القابع فى رحم أمه فقط ، إنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم كل شيء عما فى الأرحام ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، والأكثر من ذلك أنه يقدر له قدره ويهيىء كل الأسباب التى تحقق هذه المشيئة الالهية .

إن الله وحده هو الذى يملك خلق العناصر وهو وحده ـ سبحانه ـ الذى خلق قانون تجميع هذه العناصر وترتيبها ، وهو وحده سبحانه الذى خلق فيها الروح ـ فلا يستطيع تركيب كيميائى ميت أن يحمل شعلة الحياة .

وأخيراً ، فإن نظرة عامة ثاقبة على الإنسان على كل أجهزته ، وأعضاء هذه الأجهزة وهى تعمل طيلة حياة الإنسان ، كل يؤدى دوره الذى خلقه الله من أجله بلا توانٍ أو تعجل .. فى تناسق كلى لا يستطيع القلم أن يصفه أو يضع له تعبيراً يتسق مع عظمته وإبداعه .

هذه النظرة الثاقبة يمكن أن تستشف شيئا من عظمة الله فتسجد له خاشعة راهبة .

هذه الأعشاب وهذه النباتات ٥

السنا والسنوت : ـ هو السنا المكى ، دواء مجرب يسهل افراز الصفراء ، وينشط خلايا الكبد ، وهو مأمون الغائلة ولم يقف صاحب « زاد المعاد » ـ رحمه الله ـ على حقيقة السنا والسنوت وذكر فيه سبعة أقوال فى كتابه « ٤/ ٣٢٠ » ط . دار الرسالة منها أنه حب يشبه الكمون وليس بكمون ، أو أنه الشبت ، أو التمر ، أو الرازيانج والصحيح غير ذلك .

السفرجل :

يمتاز السفرجل بأنه موسوم بصفة القبض وتسكين العطش وقطع القىء ، وإذهاب غثيان النفس ، وتهدئة المعدة الثائرة .

كما أن له مفعولاً مدراً للبول ، ويعالج قرحة الأمعاء إلى حد كبير ، ولمغسول أوراقه فوائد تشبه التوتياء فى تأثيرها المنظف للعين .

وأجوده ما كان مشويا أو مطبوخا بالعسل ، وحبه نافع لالتهابات الحلق والشعب الهوائية ، وهو يقوى القلب ويجلو الصدر .

روى ابن ماجة فى سننه « ٣٣٣٩ » عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال : « دخلت على النبى ﷺ وبيده سفرجلة فقال : « دونكها ياطلحة ، فإنها تجم الفؤاد » وقد ذكر هذا الحديث بطريق آخر الحاكم فى مستدركه « ٤/ ٤١١ » وقد توبع هذا الحديث فظهر فى رواية ابن ماجة ثلاثة مجاهيل كما أن رواية الحاكم معلولة السند لأن فيها عبد الرحمن بن حماد الطلحى ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ، قال ابن حبان وغيره : لا يحتج به .

وروى النسائى أيضاً من طريق آخر قال : « آتيت النبى ﷺ وهو فى جماعة من أصحابه وبيده سفرجلة يقلبها ، فلما جلست إليه ، دحا بها إلىَّ ثم قال : « دونكها أبا ذر ، فإنها تشد القلب وتطيب النفس ، وتذهب بطخاء الصدر » وقد حكم الشيخ شعيب الأرناؤوط على هذا الحديث بالضعف أيضاً .

ولكن صاحب « زاد الميعاد » ـ رحمه الله ـ

د. السيد ابراهيم الجميلى

ذكر هذين الحديثين ولم يخرج واحداً منهما ، وسكت عنهما .

السواك :

وهو ما يتخذ من خشب الأراك ، ونحذر من استعماله من أشجار مجهولة حيث يعمد البعض من الناس إلى استعمال بعض النباتات غير المعروفة كسواك وهذا خطر شديد فادح يجدر التنويه عنه والاشارة إليه .

وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يستعمل السواك أغلب أوقاته فكان لا يفارقه أبداً فكان لا يزال يستاك حتى ظن البعض من الصحابة أنه - أى السواك سيفرض مع الوضوء .

ننتهى إلى أن السواك سنة مأثورة ، وعادة مرغوب فيها ، وقد ورد فى الصحيحين حديث متفق عليه عنه ﷺ « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عن كل صلاة « البخارى « ٢/٣١٢ » ومسلم « ٢٥٢ » من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . وذكر البخارى « ٤/١٣٧ » تعليقا عنه ﷺ : - « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » .

وأخرج مسلم « ٢٥٢ » أنه ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فَاهُ بالسواك . وأخرجه البخارى أيضاً فى الصحيح « ٢/٣١٢ » .

كما ذكر مسلم « ٢٥٣ » أنه ﷺ كان إذا دخل بيته ، بدأ بالسواك . ﷺ وقد وردت فى السواك أحاديث كثيرة صحيحة .

الشبرم :

نوع من الشجر منه صغير ومنه كبير ، وله قضبان حمراء مائلة للبياض ، وثمره حب صغير أحمر لونه ، للشجيرات عروق عليها قشور حمراء والمستعمل منه لين قضبانه . وقشر عروقه .

والشبرم منقث ، ينفع المصدورين ، والاكثار منه قاتل ، ويعمد كثير من الناس إلى نقعه فى اللبن الحليب يوما وليلة ثم يخرج المنقوع ، ويجفف ويخلط معه الورد أو العسل أو عصير العنب ثم يعطى بعد ذلك مشروبا نافعا مفيداً ، وقد قتل المعالجون به أبرياء كثيرين نتيجة خطأ استعماله وعدم ضبط الجرعة العلاجية المناسبة منه .

وقد روى الترمذى وابن ماجة فى السنن من حديث أسماء بنت عميس ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « بماذا كنت تستمشين ؟ » قالت : بالشُّبْرم قال : « حَارٌّ حارٌّ » الترمذى « ٢٠٨٢ » وابن ماجة « ٣٤٦١ » وهو ضعيف الإسناد .

الصَّبر :

وله كثير من المنافع سيما الهندى ، فهو يذكى العقل ، ويزيل فضول الصفراء وينقى الجوف وينظف المعدة ، وقد خيف أن يأتى

بتفاعلات غير مرغوب فيها إذا وُصِفَ فى الجو البارد .

وقيل : إن فيه نفعاً لقرحة المعدة ، وعلاج أوجاع المفاصل كما أنه يساعد على التئام الجراحات الغائرة .

وقد روى أبو داود فى كتاب « المراسيل » أن رسول الله ﷺ قال : ـ « ماذا فى الأمرين من الشفاء ؟ الصَّبِرُ والثُّفَّاء » وهو حديث ضعيف وقد أخرج أبو داود فى سننه « ٢٣٠٥ » والنسائى « ٦/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ » من حديث أم سلمة قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ حين توفى أبو سلمة ، وقد جعلت علىَّ صَبراً ، فقال : « ماذا يا أم سلمى ؟ » فقلت : إنما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال : « إنه يشبُّ الوجه ، فلا تجعليه إلا بالليل » . وقد ذكره صاحب « زاد المعاد » « ٤/ ٣٣٤ » .

الطلح :

ذهب أكثر العلماء إلى أنه الموز ، وقيل هو الشجر ذو الشوك ، وقيل بل نبت آخر ، والأغلب أنه الموز وهو الرأى المختار عند أبى حيان فى بحره المحيط « ٨/ ٢٠١ » قال تعالى « وطلح منضود » الواقعة ٥٦/ ٢٩ وقيل الطالح عند العرب شجر من العضاه وذكره القرطبى فى التفسير ١٧/ ٢٠٨ والطبرى أيضاً « ٢٧/ ١٠٤ » وأجود الطلح النضيج الحلو ، يفيد المصدورين فينفث بلاغمهم ويدر البول وينقى المثانة ويزيد المنى ويقوى الحركة للنساء ويلين الطبيعة ، وإذا أضيف إليه السكر أو العسل كان أكثر نفعاً .

الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم ١٤

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

العمق الثالث عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القران الكريم :
هناك فرق كبير بين ما قد تبدو عليه بعض الأشياء ظاهريا فى الطبيعة وبين حقيقة أمر تلك الأشياء . والأمثلة على ذلك وفيرة كما سنرى . وكان من الطبيعى أن يحكم الإنسان البدائى على الأشياء حسب ما يبصرها أو ما يراه باديا من أمرها ظاهريا .

وهكذا كانت الأرض عنده أكبر من النجوم ومن الشمس والقمر مثلا وكثيرا ما خدعته الطبيعة بظواهرها كما يحدث فى السراب ، إلا أن الانسان سريعا ما عرف بالتجربة والمران أن السراب مجرد خداع بصر . ثم عرف تفسيره العلمى فى عصر العلم ، كما عرف معنى الوضع الظاهرى ومعنى « خداع البصر » فنحن عندما نركب القطار مثلا وننظر أثناء سيره إلى الشجر الثابت على سطح الأرض نري الشجر يجري تباعا ، ولكننا نعرف تماما أن الشجر ثابت وأننا نحن نتحرك منطلقين مع القطار !

ولقد تعرض القرآن الكريم فى سياق حديثه عن الكون « كتاب الله المنظور » إلى مثل تلك الظواهر المنبثة فى الأرض والسماء وبين الأحياء .. ولكن المعجز حقا أنه يذكرها بأسلوب علمى سليم لا يثير فضول الجاهلين ، ولا يوفر ذريعة للمكابرين أو الجاحدين . ويمثل هذا الأسلوب العلمى القرآنى العمق الثالث عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم . والله تعالى يقول :

١ - « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ » آل عمران « ٧ » والمعنى أن من حكمة الله تعالى أن جعل من القرآن آيات قد يدق معناها على أذهان كثير

من الناس أو يثير فضولهم ، من أجل أن يدفع العلماء على البحث والاجتهاد . ولا يعلم تأويل هذه الآيات إلا الله تعالى

والذين سبقوا بالعلم من الناس وتمكنوا منه .

ومن نعم الله تعالى أن جعل العلم يفتح أمامنا آفاقا واسعة فى ظلها تمكن العلماء من إدراك الوفير من المعانى العلمية القرآنية المعجزة والتعبيرات الأخاذة فى كتاب الله العزيز ، مصداقا لقوله تعالى :

٢ - « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » فصلت « ٥٣ » ومضمون المعنى أن اتساع معرفة البشر سوف يفتح أمامهم آفاق الإعجاز القرآنى ، وتظهر أعماقه الرائعة . ومن الآيات كذلك قوله تعالى فى هذا المجال :

٣ : وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ص « ٨٨ » - يعنى سوف تعلمون أيها المكذبون له صدق وسلامة كل ما اشتمل عليه القرآن الكريم من وعد ووعيد ، وأخبار ، وآيات كونية بعد وقت غير بعيد .اهـ هو ذا إعجاز القرآن يتجدد فى عصر العلم ويظهر إعجازه العلمى فى شتى المجالات .

أمثلة من الآيات :

١ - قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» العنكبوت « ٢٠ » ترسى هذه الآية الكريمة - فى بساطة لفظية - أساس علم طبقات الأرض « الجيولوجيا » من غير أن تثير فضول الجاهلين . فإن تاريخ الأرض منذ نشأتها الأولى مكتوب ومدون بين طبقات قشرتها التى نعيش عليها وذلك بلغة تسمى لغة الأحافير والأحافير . جمع « أحفورة » وهى ما تبقى من أجسام الكائنات التى عاشت على الأرض .

ومن آثار الماضى أيضا بقايا العناصر مثل اليورانيوم وعلى العلماء أن يسيروا فى الأرض ، وأن يجمعوا تلك الأحافير والبقايا ويربطوا بينها من أجل تتبع تاريخ الأرض وما عاش عليها من حشرات وحيوانات ونباتات ، وما توفر فيها من عناصر نادرة هذا هو مضمون تأويل الآية الكريمة التى تدفع الباحثين على التنقل بين أرجاء الأرض المختلفة لجمع الأحافير التى تدل على آثار الخليقة الأولى والتى هى فى مجموعها سجل حافل لتاريخ الخليقة حتى الآن .

٢ - « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ » الأنبياء « ٣٢ » - أى جعلنا مافوق رءوسكم - وهو الغلاف الجوى الذى يرتفع بغير عمد إلى علو ألف كيلو متر عبر الفضاء الكونى - جعلناه سقفا محفوظا ، أى تمسكه الأرض بقوة جاذبيتها فلا تتركه يفلت إلى الفضاء الكونى ، ذلك لأن من خصائص الغازات الاندفاع والتسرب إلى الفراغ الذى تعرض له وتتعادل قوة جذب الأرض مع قوة إفلات الهواء من أعلى فيظل الغلاف الجوي مرفوعا إلى علو ألف كيلو متر بغير عَمَدٍ نراها ، مصداقا لقوله تعالى :

٣ - وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ - الطور « ٥ »

٤ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا». لقمان « ١٠ »

والقرآن الكريم يستبعد عنصر الصدفة فى خلق الكون وماحوي والصدفة هى التى يعول عليها المكابرون ويلجأ إليها الجاحدون فى تفسير خلق الأشياء، ولكن هل الصدفة يمكن أن تجعل للشيء الواحد فوائد وآيات عديدة؟! وان استطاعت « جدلا » ذلك هل فى مقدورها أن تثبت تلك الفوائد والآيات على مر الزمن واختلاف المكان؟!! إن العقل السليم إنما يرفض مثل هذا الإدعاء ولهذا يقول الله تعالى:

وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ»

أى لايفكرون فى الخدمات التى يؤديها هذا السقف العجيب لأهل الأرض فيستبعدون عنصر الصدفة ويؤمنون بالخالق المدبر العليم.

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ» الملك « ١٠ »

ومن أظهر خدمات هذا السقف التى يؤديها لأهل الأرض كما عرفناها فى عصر العلم:

١ ـ ما فيه من غاز الأكسجين اللازم للحياة؛ لأنه يكسب الخلايا القدرة على العمل وتقل مقادير هذا الغاز كما يقل الهواء عموما بالارتفاع فوق سطح الأرض، وبذلك يشعر الإنسان عندما يصعد إلى أعلى بضيق الصدر والحاجة إلى صدر أوسع تدريجيا فإذا ما واصل الصعود يختنق تماما ويموت غير بعيد عن سطح الأرض، ولقد استطاع الإنسان فى هذا العصر أن يقيس معدلات التغير فى مقادير الهواء الجوى معبرا عنها بضغطها كلما ارتفع إلى أعلى على النحو الآتى:

الارتفاع بالمتر	الضغط الجوى	بوحدة المللبار
سطح الأرض	١٠١٣	مللبار
١٥٠٠	٨٥٠	مللبار
٣٠٠٠	٧٠٠	مللبار
٦٠٠٠	٥٠٠	مللبار
١٠٠٠٠	٣٠٠	مللبار
١٢٠٠٠	٢٠٠	مللبار
٢٠٠٠٠	٠٥٠	مللبار
٣٠٠٠٠	٠١٠	مللبار

ومن الواضح أن مقدار الهواء ـ ومن ثم الأوكسجين ـ يقل إلى نصف قيمته تقريبا عند الارتفاع إلى ستة كيلو مترات. وهذه الحقائق العلمية يعبر عنها القرآن الكريم فيقول:

«وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ» الأنعام « ١٢٥ ».

٢ ـ فى هذا السقف يوجد أيضا غاز ثانى أكسيد الكربون، وهو الذى تمتصه النباتات لتأخذ منه الكربون « عنصر هو الفحم » وتخرج الأوكسجين خالصا نقيا إلى الجو، والذى يقوم بهذه العملية هو « الخضر » أو « اليخضور » أو « الكلوروفيل » فى ضوء الشمس ويجيء ذكر هذه الحقيقة فى القرآن بأسلوب معجز أخاذ لم يثر فضول الجاهلين، ولكن أظهر الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى عصر العلوم، إذ يقول:

* يعادل الملليبارونزن نحو ثلاثة أرباع ملليمتر زئبق.

وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ». الأنعام « ٩٩ » ـ ، والكربون الذى يستخلصه الخضر من ثانى أكسيد الكربون الذى فى الجو هو أساس السلسلة الغذائية كلها . فمنه يصنع النبات الخشب ، والسكر ، والزيوت ، والنشا ..

٣ ـ فى هذا السقف يوجد بخار الماء الذى به تثير الرياح السحب فينزل منها المطر الذى هو مصدر كل المياه العذبة على الأرض .

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ».الواقعة « ٦٩ » ، والمزن هو السحاب الممطر .

٤ ـ فى هذا السقف يحدث ضوء النهار بتشتت أشعة الشمس فى الطبقة السطحية الرقيقة التى لا يزيد ارتفاعها عن « ٢٠٠ » كيلو متر ، وهى تواجه الشمس دائما وتنسلخ من جسم الغلاف الجوى المظلم كما نسلخ جلد البعير من البعير مثلا :

«وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . يس « ٣٧ »

وتتعدد آيات هذا السقف ولا يتسع المقال ولا المجال للدخول فى تفاصيلها ، ونكتفى بذكر بعضها :

٥ ـ فيه يسري الصوت .

٦ ـ يحرق الشهب فى طبقاته العليا .

٧ ـ يفتت النيازك قبل وصولها إلى سطح الأرض .

٨ ـ يحمى أهل الأرض من الأشعة الكونية الفتاكة ، وأغلب الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس .

٩ ـ يحول دون تسرب ماء الأرض إلى خضم الفضاء الكونى فلا تصير الأرض عالما جافا خربا مثل القمر .

١٠ ـ تعمل التيارات الهوائية على توزيع طاقة الشمس بالتساوي بنقلها من مناطق « وفرتها » بين المدارين إلى مناطق « شَحَّتها » عند القطبين .

كروية الأرض :

تكاد لا تخفى كروية الأرض فى هذا العصر على أحد ، خصوصا بعد أن تم تصويرها من الفضاء الذى تسبح فيه ويجيء ذكر هذه الحقيقة الكونية فى كتاب الله العزيز بأسلوب قرآنى لا يثير فضول الجاهلين فى آيات عديدة ومواضع مختلفة نذكر منها قوله تعالى :

١ ـ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ».. الزمر « ٥ » .

فلو لم تكن الأرض كرة لخيم الظلام ، أو طلع النهار ، على أرجائها دفعة واحدة ، ولكن هناك تتابع فى تكوير الليل على النهار والنهار على الليل يستلزم أن تكون الأرض كرة .

٢ ـ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً». يونس « ٢٤ » ، قال بعض المفسرين أن « ليلا أو نهاراً » هنا للتعمية حتى لا يعرف أحد زمن القيامة ، هل سيكون

ليلا أم يكون نهاراً . ولكن من الواضح أنه إذا كانت الأرض كرة « وتلك هى الحقيقة » فإنه عندما تقوم الساعة يكون نصف الكرة الأرضية فى الليل والنصف الآخر فى النهار ، نعم ، فالنصف الذى يواجه الشمس يكون فى النهار ، بينما يكون النصف الذى لا يواجه الشمس فى الليل ، ولذلك فإن قوله تعالى : ليلا أو نهاراً

يعنى ليلا ونهاراً بسبب كروية الأرض :

٣ ـ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا « النازعات « ٣٠ » ،

وتفسير الآية الكريمة الظاهر هو أن الأرض بعد ذلك مهدها وأعدها للسكنى . ولكن من الجائز أيضا القول بأن « دحاها » هنا اشارة إلى « الدحية » وهى البيضة فى بعض لهجاتنا العربية .

والواقع أن الأرض ليست كاملة التكوير ، إذ يزيد طول قطرها الاستوائى « بسبب دورانها حول محورها » على طول قطرها القطبى بنحو ٤٣ كيلو مترا .

ومعنى ذلك أن الأرض بيضاوية الشكل وهو ما تشير إليه كلمة (دحاها) ، وهى إعجاز علمى أخاذ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

*** جمهورية مصر العربية**

جنيه	مليم
٢	٤٠٠

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

*** باقى دول العالم**

٣٠ ثلاثون دولارا او مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

الدولة الإسلامية
بقية

وتخصصت وظائفها ، تميزت وظيفة المحتسب .

هذا وللحسبة ونظامها شروط ووسائل ومهام وأهداف لن يتسع هذا المقال لتناولها تفصيلا .. وسوف نعود إليها بإذن الله فى مقال لاحق .

ب ـ إقامة الحدود وتوقيع العقوبات الأخري :

فمهما بلغ المجتمع من الكمال ، ومهما كان المجتمع فاضلا فإن الطبيعة البشرية تأبى إلا أن يكون هناك ضعاف النفوس الذين لا يأبهون بنظام ولا تحد شهواتهم حدود ولاعادة التوازن داخل المجتمع فقد جاء الاسلام بنظام دقيق للعقوبات يمكن التعرف على أقسام ثلاثة فيه :

ـ القسم الأول :

وهو « الحدود » وهذه عقوبات قررها الله تعالى لأمهات الجرائم التى تنحصر فى « الزنا » والقذف ، والسرقة ، والردة ، والحرابة ، وشرب الخمر .

ـ القسم الثانى :

وهو « القصاص والدية » وتنحصر فى جرائم القتل ، والتعدي على ما دون النفس من أعضاء جسم الإنسان

ولا يسمح النظام السياسي الإسلامي بالتراخي في تطبيق أي من العقوبات السابقة أو الاعفاء منها أو تمييعها ، لأن ذلك قد يغري بالمزيد من الجرائم .

إن نظام الحدود والتعازير الذى جاء بها الإسلام يعد الوسيلة النهائية لاقرار السلام الاجتماعي في الدولة الإسلامية ، ومن خلاله يحفظ التوازن والاستقرار وتصان الحريات والحقوق .. وسوف نلتقي بإذن الله على صفحات مقال لاحق لزيادة الأمر تفصيلا وإيضاحاً .

وبعد .. لقد انتهينا من توضيح أوجه نشاط الحكومة في الدولة الإسلامية للمحافظة على كيان المجتمع من الداخل وذلك امتثالا لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ « النحل ٩٠ »

ولا عجب ، فإذا ما تم بناء الكيان الداخلي للانسان على أسس إيمانية قويمة ، منزلة من عند الخالق عز وجل ، وإذا ما تم تهذيب سلوكه في المجتمع ، حتى لا تفرز العلاقات الاجتماعية إلا الخير والفضيلة والمحبة والتآلف والتعاطف والرحمة بين أفراد المجتمع .. وإذا ما قامت الحكومة الإسلامية بدورها في صيانة الحريات ، وحفظ التوازن ، ومراقبة تطبيق شرع الله في المجتمع فإنه لن يكون إلا مجتمعاً تسوده الفضيلة والسلام والتماسك .

فماذا إذن عن دور الحكومة الإسلامية في المحافظة على كيان المجتمع في الخارج ؟ إن لها في هذا المجال طريقين متلازمين هما وجهان لعملة واحدة ألا وهما الدعوة الإسلامية والجهاد .. هذا ما سوف نتناوله بإذن الله في مقالنا القادم .

الرُّقية

وأخذ الأجر على قراءة القرآن

للشيخ عبد الرحمن الجزيرى

تقديم : الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

لعل الغفلة عن معانى الأحاديث الصحيحة إلى عدم الإحاطة بالأحاديث الثابتة فى الموضوع الواحد والعلم بأسبابها .. والمتقدم منها والمتأخر كل ذلك قد يفضى مع المتجرئين على العلم بحديث ما أنزل الله به من سلطان .

لكن الراسخين فى العلم يعلمون أن الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالية من التضارب والتناقض والاضطراب .

وفى المقال التالى ما يرشد إلى الصواب فى هذه القضية .

قال الشيخ عبد الرحمن الجزيرى ـ رحمه الله :

عن أبى سعيد « أن رهطاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا فى سفرة سافروها حتى نزلوا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء .

فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم ، لعله أن يكون عند بعضهم شىء ! فأتوهم ، فقالوا : ياأيها الرهط إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فهل عند أحد منكم شىء .

فقال بعضهم : نعم والله إنى لراق ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً ! فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى ما به قلبة .

قال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه .

الرقيــة وأخــذ الأجــر

فقال بعضهم : أقسموا ، فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا .

فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ أصبتم ، أقسموا وأضربوا لى معكم بسهم ». رواه البخارى فى كتاب الطب

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور :

(١) شرحه إجمالاً .

(٢) هل تجوز الرقية بالقرآن وغيره .

(٣) هل يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن والرقية به .

(٤) وإذا كانت تجوز فهل لها ذلك الأثر الذى يعتقده الناس .

(١) لعل معنى هذا الحديث ظاهر لاخفاء فيه إلا فى بعض ألفاظه ، وإليك بيانها :

« يضيفوهم » معناه : ينزلونهم ضيوفاً عليهم . يقال : ضيف الرجل بالتشديد تضييفاً : أنزله به ضيفاً .

« والرهط » : أقله ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقد يطلق الرهط على أكثر من ذلك ، وهو هنا ثلاثون كما صرح بذلك فى بعض الروايات ، حتى صرح أيضاً بأن عدد الجعل الذى أخذوه ثلاثون شاة فخص كل واحد منهم شاة .

« والقطيع » : هو الشىء المقتطع سواء كان من غنم أو غيرها ، والمراد به هنا الغنم كما ذكرنا . « فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين »: ينبغى أن يكون التفل بعد القراءة لا فى أثنائها . وقد قيل : إن حكمة ذلك أن بركة القراءة تحصل فى الجوارح التى يمر عليها الريق فتحصل البركة فى الريق أيضاً ، فإذا أصاب محل الألم كان له أثره فى البرء .

« ونشط من عقال »: المشهور فى اللغة أن نشط بالفتح وكسر الشين معناه عقد ، وأنشط معناه حل . فالمناسب هنا أن يقال أنشط لأن معناه حل من عقال ، أى حبل . ولكن الرواية نشط بضم النون وكسر الشين معناه حل من عقال ، وهذا لغة فيه .

« وقلبة » بتحريك حروفه كلها معناه : علة ، وسميت العلة قلبة لأن الذى يصاب بها يقلب من جنب إلى جنب لمعرفة محل العلة وموطن الداء .

« وما يدريك أنها رقية »: الغرض من هذا اللفظ تعظيم ذلك الأثر الذى ترتب على قراءة الفاتحة ، لأن « ما أدرك » كلمة تقال عند التعجب من الشىء ، وتستعمل فى تعظيم ذلك الشىء أيضاً ، وهو المناسب هنا كما بينا .

« والرقية » بضم الراء وسكون القاف : تجمع على رقى بضم الراء ، يقال رَقَى يرقى رُقْية ، ورقيت فلاناً أرقيه بمعنى عوذته من شر ما يؤذيه .

(٢) اختلف العلماء فى جواز الرقية بالمعنى الذى ذكرناه ، فمنهم من قال إنها لا تجوز لأن الدين الاسلامى مبنى على قواعد كونية ،

وأسباب معقولة مرتبطة بمسبباتها الطبيعية ، فلا يجوز للناس أن يتحولوا عن هذه الأسباب إلى الرقية والتعاويذ والتمائم ونحو ذلك ، ويذروا ما خلق لهم ربهم من العقاقير الطبية ، والأدوية النافعة لكل داء من الأدواء . وهذا الفريق الذى ينكر جواز استعمال الرقية ونحوها يقول : إنه قد ورد فى السنة ما يؤيد رأيه هذا ؛ من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به ». رواه أحمد .

ومعنى « لا تغلوا فيه »: لا تزيدوا فيه ما ليس منه ، سواء كان فى تلاوته أو فى غيرها . ومعنى « ولا تجفوا عنه » لا تتحولوا عن المبالغة فى احترامه . فهذا الحديث صريح فى النهى عن الأكل بالقرآن سواء كان على سبيل الرقية أو غيرها . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن واسألوا الله به ، فإن من بعدكم قوماً يقرءون القرآن يسألون به الناس » . رواه أحمد والترمذى .

ومن ذلك ما رواه ابن ماجة عن أبى بن كعب ، قال : « علمت رجلاً القرآن فأهدى لى قوساً ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخذتها أخذت قوساً من نار ».

ومن ذلك ما رواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان بن أبى العاص « لا تتخذ مؤذناً يأخذ على أذانه أجراً ».

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن كتاب الله تعالى قد أنزل على الناس للهداية وسلوك السبل القويمة التى توصل إلى صلاح المجتمع الانسانى ، والقضاء على كل ما يخالف العقل والسنن الطبيعية . فيجب على المسلمين أن يستمسكوا به ، وأن يفقهوا معانيه على وجهها الصحيح ، وأن يتدبروه كما أمرهم الله به فلا يتخذوه سلعة لا تجديهم نفعاً ويتركوا قواعده الخلقية والعمرانية ، والاجتماعية التى اشتمل عليها ، فإن ذلك خسران لاشك فيه .

هذا هو رأى القائلين بعدم جواز الرقية .

(٣) أما أخذ الأجرة على قراءة القرآن ، فقد عرفت من الأحاديث التى أسلفناها حجة القائلين بالمنع .

أما الفريق الآخر الذى يقول بالجواز ، فأنه يقف بإزاء ذلك الكلام موقف المستمسك بالأحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا المقام ، فيقول للفريق الأول : وماذا تصنعون بحديث البخارى الذى معنا وأمثاله من الأحاديث الصحيحة التى لا توازيها الأحاديث التى عولتم عليها فى الصحة والمتانة ؟ وقد أجاب بعضهم عن ذلك بأن حديث البخارى وأمثاله من الأحاديث التى تدل على جواز أخذ الأجرة على القرآن ، وعلى جواز الرقية بالقرآن ، منسوخة بهذه الأحاديث . ولكن هذا الجواب غير سديد ، لأنه لا دليل على النسخ مطلقاً . على أن الأحاديث الدالة على عدم جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن يمكن تأويلها : فقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الأول « لا تأكلوا بالقرآن » ، معناه : لا تطلبوا ولا تسألوا به

الرقية وأخذ الأجر

الناس ، أما إذا أعطيتم من غير مسألة فذلك جائز لا مانع منه .

والحديث الثانى صريح فى أن المنهى عنه إنما هو سؤال الناس بالقرآن . وحديث أبى الذى رواه ابن ماجة وإن كان صريحاً فى النهى عن أخذ القوس فى نظير تعليم القرآن أجرة ، ولكن يمكن حمله على خصوص هذه الحادثة .

هذا ما يقوله المحدثون وشراح الأحاديث . ويجمل بنا أن نذكر أيضاً آراء الفقهاء فى هذا المقام ، ثم نبين ما عساه أن يكون الصواب :

فأما الفقهاء ، فإن الحنفية يقولون : إن الإجارة على الطاعات غير صحيحة . وهذا هو أصل مذهبهم ، لأن كل طاعة عندهم يختص بها المسلم لا يصح الاستئجار عليها ، وكل قربة تقع من العامل إنما تقع عنه لا عن غيره ، فلو لم يكن أهلاً لأدائها فلا يصح أن يأخذ عليها أجراً من غيره . ويستدلون على هذا الأصل بالأحاديث التى ذكرناها .

أما حديث أخذ الأجرة على الرقية الذى معنا هنا وأمثاله فإنه ورد فى حالة خاصة وهى إكرام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فليست المسألة قاعدة عامة يمكن اتخاذها حجة ، وإلا كانت قراءة الفاتحة على من لدغ دواء عاماً ، والواقع غير ذلك ، فإن سورة الفاتحة قد اشتملت على عقائد وحكم ودعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم وغير ذلك من العلوم والمعارف التى لا يمكن استقصاؤها ولم تكن يوماً من الأيام دواء لمن يلدغ . وعلى فرض أنها دواء لذلك فالشرط فى إفادتها أن يكون الراقى بها له حالة خاصة تقربه من الله عز وجل كهؤلاء الأصحاب الذين أخلصوا لله ورسوله ؛ فهى بمنزلة دعاء يستجيبه الله منهم . وهذا هو رأى المتقدمين من الحنفية . أما المتأخرون منهم فقد أجازوا أخذ الأجرة على بعض الطاعات للضرورة كتعليم القرآن ، وتعليم العلم ، والأذان ، والامامة ، والوعظ . هذا هو رأى الحنفية .

أما المالكية فإنهم يقولون إن قراءة القرآن والأذكار والتهاليل ونحوها مختلف فى أخذ الأجرة عليها ؛ والمنقول عن الامام مالك رضى الله عنه ، أن هذه الأشياء لا يصح أخذ الأجرة عليها . فالرقية بالقرآن ونحوه مختلف فيها عندهم .

أما الحنابلة فإنهم يقولون : إنه يجوز أخذ الأجرة على الطاعات وتعليم القرآن ونحوه لا بعنوان كونها أجرة ، بل بعنوان كونها صلة ينتفع بها فى نظير حبسه على أدائها . ووافقهم الشافعية فى بعض الأمور ، فقالوا تصح الأجرة على الإمامة فى مقابل إتعاب نفسه بالحضور إلى موضع معين ، لا على أداء الصلاة نفسها . ومثل الامامة فى ذلك الخطبة . وأجازوا أخذ الأجرة على قراءة القرآن وعلى الأذان والاقامة ونحوهما .

هذا هو ملخص آراء المذاهب فى هذا الموضوع .

(٤) والذى ينبغى أن يعلم ها هنا أن العلماء اتفقوا على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط .

الشرط الأول : أن تكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته .

الشرط الثانى : أن تكون باللسان العربى .

الشرط الثالث وهو أهمها : أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، وأن المريض قد يشفى بإذن الله تعالى لا بهذه الرقية . ويدل على هذا ما رواه البخارى نفسه فى هذا الباب من أن النبى صلى الله عليه وسلم . كان يرقى نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات .

هذه الشروط ذكرها شراح الحديث كالحافظ ابن حجر وغيره .

وقد نقل عن ابن التين « أن الرقى بالمعوذات ـ وغيرها من أسماء الله تعالى إذا كان على لسان الأبرار من خلق الله مفيد قد يستجيبه الله تعالى ، ولكن قد عز هذا النوع فلم يوجد من المقربين من يستجاب له على هذا النحو . ومن الأسف أن الناس قد فزعوا إلى تلك الرقى المنهى عنها . ومن يفعل ذلك بغير اللسان العربى المفهوم كان متهماً بالشرك ».

هذا ما ذكره الفقهاء والمحدثون فى مسألة الرقية ونحوها . ولكن الناس فى زماننا هذا قد غفلوا عن معانى الأحاديث الصحيحة ، وتركوا آراء علماء المذاهب ، واندفعوا خلف المضللين الذين يتشبثون بظاهر الأحاديث فيصرفون الناس عن التمسك بالوسائل المشروعة طمعاً فى أموالهم ، فكثر لذلك الدجالون ، وساعدهم على تضليل الجهلة سوء فهم بعض الفقهاء لمعانى الأحاديث والفقه . ويا ليتهم فهموا منها ما قد يتبادر إلى أذهان الصالحين من أن تلاوة القرآن ونحوه من الدعوات الصالحات يجب أن تكون خالصة لوجهه الكريم ، لا أنها سلعة من السلع التى تبتز بها أموال الناس بالباطل . وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

عبد الرحمن الجزيرى

طرائف

حقيقة

قال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً .

ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعاً .

ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا .

نصيحة

يابنى : خذ العلم من أفواه الرجال فإنهم يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون .

العالم النصوح

ورد فى القول المأثور :

لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس :

من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة .

تفسير

قال بعض العارفين عن قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ﴾ هو طول الأمل وطمع البقاء . ﴿ ومن خلفهم سداً ﴾ هو الغفلة عما سبق من الذنوب ، وقلة الندم عليها ، والاستغفار منها .

خطايا وحسنات

قال لقمان الحكيم لابنه :

يابنى ، اجعل خطاياك بين عينيك إلى أن تموت . وأما حسناتك فالْهُ عنها : فإنه قد أحصاها من لا ينساها .

أمَا وجد الشيطان بريداً غيرك ؟

جاء رجل إلى وهب وقال : إن فلانا شتمك فقال : أما وجد الشيطان بريدا غيرك ؟! .

ومواقف

أنت والدق سواء

دق رجل الباب على الجاحظ
فقال الجاحظ : من أنت ؟
فقال الرجل : أنا .
فقال الجاحظ : أنت والدق سواء .

حقا

سمع حكيم رجلا يقول لآخر :
« لا أراك الله مكروهاً »
فقال له : كأنك دعوت عليه بالموت ؛ فإن صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها .

أحسن شعره

سئل ابن العتاهية عن أحب شعره اليه ، فقال :

ليت شعرى فإننى لست أدرى
أى يوم يكون آخر عمرى
وبأى البلاد تفيض روحى
وبأى البلاد يحفر قبرى

قالوا

● ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان المرض .

● كلام العبد فيما لا يغنيه خزلان من الله .

● ما تزاحمت الظنون على شىء مستور إلا كشفته .

● إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

● ينبغى أن نفرح بالموت ، ونغتم بالحياة لأنا نحيا لنموت ونموت لنحيا .

● من ألبسه الليل ثوب ظلمائه نزعه عنه النهار بضيائه .

● لأن أترك المال لأعدائى بعد موتى خير من أن احتاج لأصدقائى فى حياتى .

● كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس .

دعاء

اللهم الطف بى فى تيسير كل عسير ؛ فإن تيسير كل عسير عليك يسير .

من بلاغة الكناية

فى القرآن الكريم

الكناية واد من أودية البلاغة ، وركن من أركان الفصاحة ، وتفتقر إلى شىء من الدقة لما فيها من الغموض ، ومعناها : الستر ، يقال : كنيت عن الشىء إذا سترته .

ولها تعريفات متعددة :

عرفها عبد القاهر بقوله :

أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى ، فلا يذكره بلفظه الموضوع له فى اللغة ، ولكن يجىء إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيو مىء به إليه ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم : هو طويل النجاد ، يريدون : طول القامة ، وقولهم فى المرأة : نؤوم الضحى ، والمراد أنها : مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا فى هذا كله ـ كما ترى ـ معنى لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه فى الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت : طال النجاد ؟ ، وإذا كانت مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى [1] .

وعرفها ابن أبى الأصبع بقوله :

هى عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف [2] ، ومن عادة العرب أنهم يكنون عن الشىء بغيره إذا كان يقبح ذكره وعرفها الخطيب القزويني بقوله :

هى لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه [3] . واختلف علماء البيان فى الكناية : هل هى من الحقيقة أو من المجاز ؟

« ١ » دلائل الاعجاز ص ٦٦ : محمود شاكر

« ٢ » بديع القرآن ص ٥٣ ، تحرير التحبير ص ١٤٣ .

« ٣ » شروح التلخيص جـ ٤ ص ٢٣٧ .

للدكتور هاشم محمد هاشم

قيل : إنها من قبيل الحقيقة [٤] ، وقيل : إنها من قبيل المجاز [٥] :

وقيل - وهو الأشهر - إنها واسطة بين الحقيقة والمجاز [٦] .

ويفرقون بينها وبين المجاز من حيث القرينة ، فقرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، أما قرينة الكناية فمجوزة لإرادة المعنى الحقيقي [٧] .

ولابد أن تكون هناك صلة بين المعنى الحقيقي ، والمعنى المراد ، وإلا كان ذلك إلغازاً وتعمية ، ولم يكن بلاغة وبيانا ، فعندما تقول - فى مقام المدح مثلاً : « على نظيف اليد » ، يدرك السامع أن النظافة الحسية لليد ليست مرادة هنا ، حيث لم تجر عادة الناس فى المدح أن يذكروا مثل هذا المعنى التافه ، وإنما المراد أنه أمين لا تمتد يده لسرقة أو رشوة ، أو نحو ذلك ، وهكذا صارت الصلة بين المعنى الظاهرى . والمعنى المراد قوية جعلت مهمة الانتقال من المعنى الأول للكلام إلى المعنى الثانى المراد واضحة لا لبس فيها ولا غموض بعد أن ساعد على هذا الوضوح عرف اللغة ، وما اصطلح عليه الناس فى التعبير عن أغراضهم.

والكناية أبلغ من التصريح :

لأنها تبرز المعانى المجردة فى صور محسوسة ، فيكون ذلك أوقع فى النفس ، وأدعى إلى قبولها وتأكيدها ، كما أنها توقظ الفكر وتدفعه إلى البحث عما وراء الصورة الظاهرة للكلام حتى يصل إلى المراد ، ويعرفه عن طريق العلائق والصلات بين المعانى الظاهرة ، والمعانى المرادة منه .

كما أن أسلوب الكناية عندما يقع موقعه الأنسب له ، ويخرج عما اعتاده الناس ولاكته الألسن ، وابتذل على أفواه العامة يكون طريفا معجبا تأنس له النفس وتجد متعتها فى الإنصات إليه [٨] .

وأسلوب الكناية يؤدى المعنى مصحوبا بدليله :

ولاشك أن ذكر الشىء يصحبه برهانه ودليله أوقع فى النفس وآكد لإثباته من أن ترسله ساذجا غفلا من غير برهان .

فإذا قلت : هو جم الرماد ، كان أبهى

« ٤ » دلائل الاعجاز ص ٦٦ ، مفتاح العلوم ص ١٨٩ ، الاشارة إلى الايجاز ص ٣٨٥ .

« ٥ » الطراز حـ ١ ص ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، جوهر الكنز ط ١٠ .

« ٦ » شروح التلخيص حـ ٤ ص ٢٣٨ وخاصة حاشية الدسوقى .

« ٧ » انظر شرح ابن يعقوب حـ ٤ ص ٢٣٨ .

« ٨ » انظر من بدائع النظم القرآنى ص ٦٩ د . السيد عبد الفتاح حجاب .

لمعناك ، وأنبل لمغزاك من أن تدع الكناية إلى التصريح باللفظ المساوى لها فى الدلالة على المعنى ، كأن تقول : هو مضياف جداً ، فليست المزية حينئذ للكناية ، لأنك زدت بها فى ذات المعنى ، فدللت على قرى أكثر ، بل لأنك أثبت له القرى من وجه هو أقوى وأبلغ وأوجبته إيجابا هو أشد وأوثق (٩) .

وقد تكون الكناية طريقا من طرق الإيجاز والاختصار :

يقول الزمخشرى عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ (١٠) . الآية ٢٠ .

فإن قلت : ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار ، انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ ، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ، ولم ينقادوا ، ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم : إن استبنتم العجز فاتركوا العناد ، فوضع « فاتقوا النار » موضعه ؛ لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من حيث إنه نتائجه ، لأن من اتقى النار ترك المعاندة ، ونظيره أن يقول الملك لحشمه : إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطى ، يريد فأطيعونى واتبعوا أمرى ، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط ، وهو باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة ، وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه ، وإبرازه فى صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار ، وتفظيع أمرها (١١) .

شيء من صور الكناية القرآنية :

ولا مجال هنا للخوض فى تقسيمات المتأخرين للكناية إلى صفة ، وموصوف ، ونسبة إلى غير ذلك ، وإنما الذى يهمنا هنا هو الإشارة إلى بعض صور الكناية القرآنية من وجهة نظر المتقدمين الذين لم يتعلقوا بشيء من هذه الخلافات ، وإنما ذكروا أسبابا أخرى تتعلق بفن الكناية ، انظر إلى القاضى الجرجانى يقول ـ بعد أن عدد كثيراً من فوائد الكناية :

« اعلم أن الأصل فى الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التى تستر عن العيون عادة بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها تنزها عن إيرادها على جهتها ، وتحرزا عما وضع لأجلها ، إذ الحاجةُ إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها ، فالكناية عنها حرز لمعانيها (١٢) .

« ٩ » دلائل الاعجاز ص ٧١ ، ٧٢ ، ٢٦٢ .
« ١٠ » البقـــرة ٢٤ .
« ١١ » الكشـــاف حـ ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
« ١٢ » كنايات الأدباء ص ٤ لأبى العباس أحمد بن محمد الجرجانى الثقفى المتوفى ٤٨٢ هـ ط ـ الخانجى .

وللقرآن الكريم فى هذا الباب المثل الأعلى ، والمنزلة التى تعجز عنها أساليب الأدباء ومعلوم أن لكتاب الله تعالى غاية أخلاقية لها مكانها البارز بين الغايات السامية التى يحققها ذلك الكتاب المعجز ، وإذا كان هذا شأنه فلا بد من أن تتفق ألفاظه وأساليبه وصوره البيانية مع هذه الغاية ، وهذا يفسر لنا خلوه تماما من كل ما يجرح الذوق أو يخدش الحياء ، أو يتعارض مع التربية الخلقية التى يغرسها ذلك الكتاب الكريم فى النفوس المؤمنة (١٣) .

فكثيراً ما تأتى آيات كريمة تتضمن أحكاما متصلة بالفقه الاسلامى ، وبموضوعات لا يحسن التصريح بها فتقوم الكناية حينئذ بدورها ، أنظر إلى كناياته عن الاتصال الجنسي بالمرأة بـ « الرفث » تارة ، وبـ « المباشرة » تارة أخرى ، فى قوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ . ﴾ (١٤) . وكنى عنه بالسر فى قوله تعالى : ﴿ وَلَـكِن لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً »(١٥) ، وذكر صاحب البرهان فيه لطيفة أخرى وهى : لأنه يكون من الآدميين فى السر غالبا ، ولا يسره ماعدا الآدميين إلا الغراب ، ويحكى أن بعض الأدباء أسر إلى أبى على الحاتمى كلاما فقال : ليكن عندك أخفى من سفاد الغراب ، ومن الراء فى كلام الألثغ . » (١٦) . وكنى عنه بالغشيان فى قوله تعالى : « فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً » (١٧) ، وبالإفضاء فى قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ (١٨) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (١٩) .

أنظر إلى الأدب العالى والذوق الرفيع ، وصور الكناية التى تؤدى الغرض أداء أبلغ من التصريح ، ولقد توالت الكنايات فى الآية ، وأخذ بعضها بعناق بعض ، لأن الحقائق المعبر عنها بها مما يجب ستره وتغطيته ، فأدت الكناية دورها أروع أداء ، والكنايات فى الآية هى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ ﴾ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ ، وفى الكناية الأخيرة تجد التشبيه والكناية يتعاونان على ابراز المعنى فى صورة مهذبة ، أنظر إلى التشابه بين صلة الزارع بحرثه ، وصلة الزوج بزوجه فى

« ١٣ » انظر من بدائع نظم القرآن ص ٧٢ .
« ١٤ » البقرة ١٨٧ .
« ١٥ » البقرة ٢٣٥ .
« ١٦ » البرهان فى علوم القرآن حـ ٢ ص ٣٠٣ .
« ١٧ » الأعراف ١٨٩ .
« ١٨ » النســاء ٢١ .
« ١٩ » البقـرة ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

هذا المجال الخاص ، وبين ذلك النبت الذى يخرجه الحرث وذلك النبت الذى تخرجه الزوج ، وما فى كليهما من تكثير وعمران . وفلاح [٢٠] . كل هذه الصور والمعانى تنطوى تحت كلمة « الحرث » التى كنى بها القرآن عن المعاشرة الزوجية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا ﴾[٢١] .

فظاهر الآية دال على أن الأرض هى العقارات ، والديار هى المساكن والأموال والمنقولات وقوله : ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا﴾ يحتمل أن يكون كناية عن فروج النساء ، ونكاحهن وهذا من جيد الكناية ونادرها ، لمطابقتها لقوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ والحرث إنما يكون فى الأرض فلهذا إزدادت الكناية رشاقة وحسنا [٢٢] .

إلى غير ذلك مماكنى به الكتاب العزيز عن اللقاء الجنسي كالملامسة .

كذلك جاءت الكناية عن الأشياء المستهجنة باللغو فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ [٢٣] أى لا يذكرون الشىء بألفاظه المستهجنة ، وإنما يكنون عن لفظه ويتنزهون عن قوله معرضين عنه منكرين له [٢٤] . ومن المعانى التى أفادتها الكناية هنا عفة المؤمنين ، وحسن أدبهم ، وكريم شمائلهم ، وحيائهم ، وحرصهم على البعد عن الشبهات حيث لا يخالطون أهل اللغو والعبث ، فالمقام مقام مدح بالنسبة لهم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [٢٥] فقد كنى بالمراودة عن الفحشاء التى طلبتها هذه المرأة منه ، وقد عبر عن هذا المعنى بعبارة مهذبة أغنت عن ذكر القبيح .

وتأمل الكناية التمثيلية ، وما فيها من جمال التعبير ، وروعة التصوير ، وقوة التأثير ، وعرض المغتاب فى أفظع صورة ، وأقبح وجه فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ . ﴾ [٢٦] . يقول ابن القيم [٢٧] :

فمن بديع التمثيل قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ فإنه مثل الاغتياب بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخ ، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتا ، ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على

« ٢٠ » انظر التصوير البيانى ص ٧٥ ، ٧٦ .
« ٢١ » الأحزاب ٢٧ .
« ٢٢ » انظر الطراز جـ ١ ص ٤٠٦ .
« ٢٣ » الفرقان ٧٢ .
« ٢٤ » انظر كنايات الأدباء ص ٣ .
« ٢٥ » يوسف ٢٣ .
« ٢٦ » الحجرات ١٢ .
« ٢٧ » الفوائد صـ ١٢٧ ، وانظر الكشاف جـ ٣ ص ٥٦٨ ، وحاشية الشهاب على البيضاوى جـ ٨ ص ٨١ .

ماقصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله .

أما تمثيل الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً ، وذلك ، لأن الاغتياب إنما هو ذكر مثالب الناس ، وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل لأكل لحم من يغتابه ، لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة .

وأما قوله . ﴿ لَحْمَ أَخِيهِ ﴾ فلما فى الاغتياب من الكراهة ، لأن أرباب العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه ، ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الأخ فى كراهته ، ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه ، وهذا القول مبالغته فى الاستكراه لا أمد فوقها وأما قوله : « ميتا » فلأجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ، ولا يحسُّ بها .

وأما جعله ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغِيَبةِ والشهوة لها مع العلم بأنها من أذم الخلاَّل ، ومكروه الأفعال عند الله والناس .

وهكذا كلما مر بنا لفظ من ألفاظ هذا التعبير الكنائى زاد فى نفوسنا استبشاع الغيبة ، حتى إذا انتهينا من الآية قرَّ عندنا أنه لا مزيد على هذه الكراهة ، فانظر إلى أى مدى بلغ التصوير الكنائى فى اقناعنا بالنفور من اقتراف هذا الفعل الكريه ، والرغبة فى تناول أعراض الناس ، وقد آثر القرآن هذه الألفاظ على ما يماثلها فى تأدية معناها تعويلا على البلاغة ، واعطاء لجانب البلاغة ما يستحقه ، فنزل الآية على هذه الهيئة ، والتعبير الكنائى فى هذا الموضع له فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه الخاص به ، وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لأنه إذا صور فى نفسه مثال ما خوطب به كان أسرع إلى الرغبة عنه .

ولجمال هذا التعبير القرآنى فى إبراز صورة الغيبة وبشاعتها نراه يجرى على ألسنة الناس والأدباء والشعراء فى بساطة أخاذة ، فيصلون منه إلى دقة الغرض ومغزاه فيكون له فعل السحر فى ازدراء الغيبة ومن يتصف بها .

للكناية مدى واسـع

والكناية مجالها واسع ، فهى تضم فى دائرتها ـ فضلا عما تقدم ـ التعبير الذى يترك ظلالا خفيفة يشتغل بها الذهن ، ويعمل فيها الخيال ، فيتشعب المعنى ، ويتسع ويزيد بالايحاء من دلالة الكلام ، وإن كان المعنى شريفا واللفظ مقبولا (٢٨) ، وبهذا يكون التعبير بالكناية أبلغ وأوقع فى النفس ، وأكثر دقة فى الدلالة على الغرض المقصود ، وهذا حديث الكتاب العزيز عن نساء الجنة فى قوله

« ٢٨ » انظر القرآن إعجازه وبلاغته ص ١١٨ .

تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٢٩) فهذا كناية عن العفة ، لأن المرأة التى تقصر طرفها ، وتغض بصرها ، ولا تطمح بعينيها إلى غير زوجها تتصف بالعفاف والطهر .

ومن لطيف الكنايات وأحسنها قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (٣٠) وهى كناية عن فرج القميص ، أى لم يعلق ثوبها ريبة ، فهى طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة : الكمان ، والأعلى ، والأسفل ، وليس المراد غير هذا ، مشيراً إلى خطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي ، لأن القرآن أنزه معنى ، وألطف إشارة ، وأملح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل ، لا سيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس (٣١) ، فاحصان الفرج هنا رمز للطهارة ، وإيماء للعفة ، وإشارة إلى تكامل النموذج الانسانى فى أم عيسى عليهما السلام .

ومن التصوير الكنائى الرائع قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (٣٢) فخفض الجناح كناية عن التواضع ، ولين الجانب والمبالغة فى الرحمة ، والبعد عن الترفع والغطرسة فى حق الوالدين ، فالطائر يرفع جناحيه ويبسطهما إذا أراد الترفع إلى السماء ، ويخفض جناحيه ويقبضهما إذا أراد أن يهبط إلى الأرض .

ومن الكنايات القرآنية تصوير البخيل فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ ألا ترى أن التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق ، فيه تصوير محسوس لهذه الخلة المذمومة فى صورة قوية بغيضة منفرة فهذه اليد التى غلت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد ، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذى لا تستطيع يده أن تمتد بانفاق ولا عطية ، والتعبير ببسطها كل البسط يصور لك صورة هذا المبذر الذى لا يبقى من ماله شىء كهذا الذى يبسط يده ، فلا يبقى بها شىء ، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قويا مؤثرا (٣٣) .

ومن الكنايات القرآنية قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ . ﴾ (٣٤) يقول الزمخشرى : كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك ، كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين ، وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (٣٥)

والصور الكنائية فى القرآن الكريم كثيرة لا يدركها إلا من تذوق حلاوة القرآن .

« ٢٩ » الرحمن ٥٦ .
« ٣٠ » الأنبياء ٩١ .
« ٣١ » انظر البرهان فى علوم القرآن حـ ٢ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
« ٣٢ » الاسراء ٢٤ .
« ٣٣ » انظر من بلاغة القرآن ص ٢٢٦ .
« ٣٤ » الممتحنة ١٢ .
« ٣٥ » الكشاف حـ ٤ ص ٩٤ .

من الروائع

بحوث من الماضى القريب

حلقات الأدب فى الفسطاط

(٢)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لبثت الفسطاط عاصمة الاسلام فى مصر منذ قيامها سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) . وفى ذلك العام كان الفتح الفاطمى ، وكان قيام القاهرة المعزية التى وضعت خططها الأولى فى شعبان سنة ٣٥٨ ، ونشأت القاهرة بادىء بدء مدينة ملكية فقط لتكون قاعدة للدولة الجديدة ومنزلا للخلافة الفاطمية[1] ، ونشأ جامعها الأزهر الذى أسس بعد قيامها بأشهر قلائل (جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ) مسجداً للإمامة الجديدة فقط ومضى زهاء نصف قرن قبل أن تبدو العاصمة الجديدة فى شىء مما تميزت به بعد ذلك بين الأمصار الاسلامية من عظمة وروعة وبهاء ، وقبل أن يبدأ الجامع الأزهر تاريخه الأدبى الباهر ولكن ظلت الفسطاط بعد ذلك عصوراً تحتفظ بمكانتها الأدبية ، ولبثت حلقاتها ولياليها الأدبية شهيرة بين أدباء المشرق والمغرب .

وبدأ الجامع الأزهر ينافس المسجد الجامع فى حلقاته ومجالسه الأدبية منذ عهد الخليفة العزيز بالله ، إذ استأذن وزيره الشهير يعقوب ابن كلس سنة ٣٧٨ هـ أن ينظم بالأزهر على نفقته بعض مجالس القراءة والفقه .

وفى خاتمة القرن الرابع ، فى عهد الحاكم بأمر الله ، أنشئت دار الحكمة بالقاهرة ونظمت مجالسها ، فكانت مثوى للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية .

(١) راجع تاريخ القاهرة ونشأتها وتطوراتها ، وتاريخ خططها فى كتابى « مصر الاسلامية » و « تاريخ الخطط المصرية »

ولسنا نتحدث عن القاهرة ومكانتها العلمية والأدبية بين الأمصار الاسلامية فى العصور الوسطى ، ولا عن أزهرها الذى غدا فيما بعد أعظم جامعة اسلامية ، كذلك لسنا نتحدث عن دار الحكمة ومجالسها الشهيرة التى كانت تتخذها الخلافة الفاطمية أداة لتحقيق دعوات دينية فلسفية غامضة ، فذلك ليس من موضوعنا وإنما نتتبع تاريخ الفسطاط الأدبى ، بعد قيام القاهرة ، منافستها العظيمة الفتية .

فقدت الفسطاط أهميتها السياسية والرسمية ، ولكنها احتفظت عصوراً أخرى بأهميتها الاجتماعية والأدبية وفى فترات كثيرة كانت تتفوق على القاهرة بطابعها الأدبى وهذا ما يشيد به بعض أدباء المشرق والأندلس الوافدين على مصر فى عصور مختلفة ومن هؤلاء : أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى الذى وفد على مصر فى أوائل القرن السادس الهجرى[٢] فى عهد (الأفضل شاهنشاه) ودرس الحركة الفكرية والأدبية فى مصر يومئذ وكتب عنها رسالة لم يصلنا سوى شذور قليلة منها ، وفى هذه الشذور[٣] يتحدث ابن أبى الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها ، ومجالسهم واجتماعاتهم بما يدل على أن الفسطاط كانت ما تزال مركزاً هاماً للحركة العلمية والأدبية .

ووفد ابن سعيد الأندلسى إلى مصر بعد ذلك بنحو قرن ، نحو سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) ، ولبث بها أعواما طويلة يدرس شئونها وأحوالها ، فإذا بالفسطاط ما تزال تحتفظ بأهميتها الأدبية ، وإذا بها ما تزال مثوى للأدباء ومركزاً لأبهاء الأدب ، وإذا لياليها الأدبية ما تزال شهيرة ويفرد ابن سعيد فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » فصلا كبيراً للفسطاط عنوانه : « كتاب الاغتباط فى حلى الفسطاط[٤] » ، يتحدث فيه عن المدينة ، وزياراته لها واجتماعاته بأدبائها ، ولا سيما شاعرها الكبير جمال الدين أبى الحسن الجزار ، أشهر شعراء مصر فى هذا العصر ، وما لقيه من كرم وفادته وشهده من رائع أدبه ، وقد كان الشاعر الكبير يومئذ ، على ما يظهر شاباً فى عنفوان شاعريته لأنه توفى بعد ذلك بنحو أربعين سنة فى

(٢) توفى أمية بن أبى الصلت الأندلسى سنة ٥٢٩ هـ

(٣) توجد عدة صحف مخطوطة من هذه الشذور ، ذيل بها كتاب « أخبار سيبويه المصرى » الذى سبقت الاشارة إليه والمخطط بمعرض دار الكتب رقم (٣٥٤ تاريخ) ومما يدل على أن هذه الشذور إنما جزء من رسالة كتبها أمية بن أبى الصلت عن مصر هو اشارة ابن أبى أصيبعة إليها فى كتاب مناقب الأطباء (ج ٢ ص ١٠٦) وكذلك اقتباس (ابن أبى القفطى) منها فى كتابه « أخبار الحكماء » (ص ١٢٧)

(٤) راجع هذا الكتاب فى مجموعة الكتب التى يضمها كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد الأندلسى ومعه أربع مجلدات مخطوطة بدار الكتب هى الوحيدة منه وليست متصلة ولا متناسقة لأنها جزء من الكتاب الأصلى فقط (رقم ٢٧١٢ تاريخ) وقد نشر المستشرق (تاكلفت) منه قسما هو « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » .

(٦٧٩ هـ - ١٢٨٠ م)(٥) وهو صاحب الأرجوزة التاريخية الشهيرة المسماة « بالعقود الدرية فى الأمراء المصرية » وفيها يستعرض ذكر أمراء مصر وملوكها منذ عمرو ابن العاص إلى الملك الظاهر بيبرس(٦)، وكانت الفسطاط قد عادت يومئذ فاستردت كثيرا من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الملكية الجديدة التى أنشأها الملك الصالح فى جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط (٦٣٨ هـ) واتخاذها قاعدة للسلطنة، وانتقال البلاط والحاشية إليها ، وسكن كثير من الأمراء والكبراء بالفسطاط فى الضفة المقابلة لنهر النيل ، وهو ما يشير إليه ابن سعيد فى قوله ، « وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية (جزيرة الروضة) ، وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر » .

ويشير ابن سعيد فى كتابه السالف الذكر إلى ليالى الفسطاط واجتماعاتها الشائعة فى الليالى القمرية ، وأشهرها ما كان يعقد فى « القرافة » مما يلى المقطم فى قبة الإمام الشافعى التى كانت قد أنشئت على قبره وكان المسجد الجامع قد عفت أهميته شيئاً فشيئا منذ قام منافسه القوى ، الجامع الأزهر وغيره من المساجد والمدارس الجامعة بمدينة القاهرة ، ولكنا نراه ما يزال حتى القرن السابع مثوى للأدب واجتماعاته ، وبرغم عفائه وقدمه ونسيان أمره ، كانت تعقد فى عرصاته حلقات للقراءة والدرس ، وهو ما يشير إليه ابن سعيد أيضا خلال وصفه للمسجد الجامع فى منتصف القرن السابع ، بيد أن هذه الحلقات لم تكن من الأهمية والرونق والانتظام مثلما كانت عليه فى القرون الأولى يوم كان المسجد الجامع مجتمع الأمراء وأقطاب التفكير والأدب . وكانت يومئذ أقرب إلى الصبغة المدرسية ومع ذلك فقد بقى للمسجد الجامع حتى ذلك العصر - كثير من ذكرياته الأدبية المجيدة وهو كعبة الأدباء والشعراء يجتمعون فيه كلما سنحت فرص الاجتماع لعقد الأسمار والمطارحات الأدبية وإليك نموذجا لهذه الاجتماعات الشهيرة أورده ابن فضل الله العمرى فى موسوعته الكبيرة « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » فى حديثه عن المسجد الجامع :

« حكى على بن ظافر الأزدى قال : روى لى أن الأعز أبا الفتوح بن قلاقس وابن المنجم اجتمعا فى منار الجامع فى ليلة فطر ظهر بها

---

(٥) راجع ترجمة جمال الدين الجزار فى السيوطى حسن المحاضرة (ج ١ ص ٢٧٢) وقد أورد له ابن سعيد أيضا ترجمة فى المغرب فى المجلد الثانى من المخطوط الورقة ١٤١ .

(٦) نشرت هذه الأرجوزة برمتها فى حسن المحاضرة (ج ٢ ص ٤١)

الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كالنون ومعهما جماعة من هواة الأدب الذين ينسلون إليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة وإلى مستقرها جارية ذاهبة وقد شمرت للمغرب الذيل واصفرت خوفا من هجمة الليل والهلال فى حمرة الشفق كحاجب الشائب أو زورق الورق فاقترحوا عليهما أن يصنعا فى ذلك الوقت النزيه على البديهة فصنع ابن قلاقس :

انظر إلى الشمس فوق النيل عارية
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق

غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها
كأنما احترقت بالماء فى الغرق

وللهلال ، فهل وافى لينقذها
فى أثرها زورق قد صيغ من ورق ؟

وصنع ابن المنجم :

يارب سامية فى الجو قمت بها
أمد طرفى فى أرض من الأفق

حيث العشية فى التمثيل معركة
إذا رآها جبان مات لِلْفَرَقِ

شمس نهارية للغرب زاهية
بالنيل مصفرة من هجمة الغسق

وللهلال انعطاف كالسنان بدا
من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

« وحكى على بن ظافر أيضا قال : أخبرنى ابن المنجم الصواف بما معناه : قال صعدت إلى سطح الجامع بمصر فى آخر رمضان مع جماعة فصادفت به الأديب الأعز أبا الفتوح ابن قلاقس ونشو الملك على بن مفرج بن المنجم وشجاعا المغربى فى جماعة من الأدباء فانضممت إليهم فلما غابت الشمس وفاتت ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملا فى صفة الحال فكان ما صنعه نشو الملك :

وعشى كأنما الأفق فيه
لازورد مرصع بنضار

قلت لما دنت لمغربها الشمـ
س ولاح الهلال للنظار

أقرض الشرق صنوه الغرب دينـ
ـارا فأعطى الرهين نصف سوار

وكان الذى صنعه ابن قلاقس :

لا تظن الظلام قد أخذ الشمـ
س وأعطى النهار هذا الهلال

إنما الشرق أقرض الغرب ديـ
ـنارا فأعطاه رهنه خلخالا(٧)

---

(٧) مسالك الأبصار ج (طبع دار الكتب) ص ٢١ و ٢١١ .

ونحن نعرف أن الشاعر المصرى الاسكندرى الأشهر (ابن قلاقس) كان من شعراء النصف الأخير من القرن السادس الهجرى (٥٣٢ ـ ٦٠٧ هـ) وكذلك ابن المنجم من شعراء هذا العصر واذن فقد كان المسجد الجامع ، حتى أوائل القرن السابع منتدى لأكابر الأدباء والشعراء ، وكانت الفسطاط لا تزال شهيرة بلياليها وحلقاتها الأدبية ، حتى بعد ذلك بنحو نصف قرن على نحو ما يشير إليه ابن سعيد الأندلسى .

ومنذ أواخر القرن السابع الهجرى نرى الفسطاط تفقد أهميتها الاجتماعية والأدبية شيئاً فشيئا ، ونرى المسجد الجامع وقد غمره النسيان والعفاء وقلما نظفر فى سير القرن الثامن بما ينبىء عن مكانة الفسطاط أو أهميتها الاجتماعية أو الأدبية بل نرى الفسطاط فى هذا العصر تنتهى إلى ضاحية متواضعة لمدينة القاهرة ونرى القاهرة تغمر بعظمتها وبهائها وأهميتها العلمية والأدبية عاصمة الاسلام الأولى فى مصر ونراها مثوى كل حركة فكرية أو أدبية ونرى الجامع الأزهر كعبة العلماء والأدباء لا فى مصر وحدها بل فى العالم الاسلامى كله ، على أن مؤرخ الآداب فى مصر الاسلامية لايسعه حين يعالج تاريخ الآداب فى عصور الاسلام الأولى إلا أن يلاحظ أهمية الدور الكبير الذى أدته الفسطاط وحلقاتها ولياليها الأدبية ، وأداه مسجدها الجامع فى تطور الحركة الفكرية والأدبية فى مصر

تم البحث

« استدراك »

سقط من الفهرس الهجائى لاسماء المقالات من عدد ذى الحجة سنة ١٤٠٦ هـ « قضية الانتماء فى ضوء التشريع الاسلامى » للدكتور عبد الله مبروك النجار وقد توالت على الصفحات :

١١٧٨ ـ ١٣٨٥ ـ ١٥٢٠ ـ ١٧٠٦ ـ ١٨٦٥ .

رحلة الرهب إلى بحر اللهب

جلست على شاطىء البحر فوق صخرة ناتئة من الأرض كلسان هائم ممتد إلى الماء يروم الري والتبرد ، أو كأنها عنق طفيلي يتطلع إلى معرفة ما يكن البحر في أعماقه من أسرار وعجائب ، متحدية لطمات الموج وعربدة الرياح العاتية ، وقد أخذت في ترشف قدح من عصير الفاكهة المثلوج ، وأنا على أصفى ما يكون المرء ذهنا وحسا ، أستقبل الأنسام الندية العبقة وابترد بقطرات الماء الشاردة من الموج المتكسر على الصخرة الصماء التى أجلس عليها ، كل شيء حولي هادىء جميل البحر ساج وديع ، والسماء مصحية وشمس الضحى مازالت أشعتها في فتور النوم لم تحتد بعد ، ولكنها بعثت في الأرض الحيوية والأنس والبهجة .

وأرسلت طرفي إلى عرض البحر الذى لايبلغ مداه البصر أتابع الفلك القادمة إلى المرفإ والمقلعة منه إلى غاياتها ترفرف عليها أعلام الأمم التى تنتمى إليها . كل ما أراه ، وما أحس به ساحر بهيج يهدهد المشاعر والوجدان ، ولكن ما إن بلغت بى البهجة مداها والمتعة أوجها حتى وجدتنى على النقيض ـ كما هو شأنى عند حالات الانبساط النفسي ـ انبعاثا من حقيقة أن كل متعة في الحياة حين تصل غاية مداها تذبل وتجف ، وكل لذة عندما تبلغ أوجها تموت ، ففجأة وجدت لسانى يهينم بالآيات الكريمة ذات الأسرار الرهيبة « والبحر المسجور[١] » « وإذا البحار سجرت[٢] » « وإذا البحار فجرت[٣] » وقد أخذت معانيها تربو وتمتد وتتشعب في خاطري ووجدانى ، ورحت أسائل نفسي : ترى متى ؟ وكيف ؟ أمامتى فلاسبيل إلى معرفته ، فعلمه عند ربى قد تكون ـ أى الساعة ـ بعد لحظة ، وقد تكون بعد أجيال ودهور وأما كيف فكل تصوير وتخييل لما يحدث ماهو إلا تقريب يناسب عقل الإنسان الضئيل . وتجاربه المحدودة في الحياة ، وقدرة حواسه على التحمل ، وقد بلغ القرآن الحكيم مدى ما تحتمله الألفاظ ، ووفى غاية ما تستوعبه

« ١ » آية (٦) من سورة الطور .
« ٢ » آية (٦) من سورة التكوير .
« ٣ » آية (٣) من سورة الانفطار .

« ٤ » قد تحدثت عن هذه الآيات في بحث سابق أرسل إلى المجلة ، وليس ذا مجال تفسير .

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

على مدى الدهور ، إلا أن الحقيقة التى لا ريب فيها هى ان الساعة تأتى بغتة دون توقع وانتظار ، ومن يدري لعلها فى القريب تكون ، فإن الكثير من أشراطها ومقدماتها التى أخبر بها الصادق الأمين ـ محمد ﷺ قد ظهرت فى واقع الحياة وتوالت تترى.

وهنا تحركت لأغير من جلستى ، وأستنشق نفسا عميقا من نسيم البحر المترقرق وقد نجمت فى نفسى رغبة عجيبة ولكنها وجلة مرتعشة فهززت رأسي مبتسما وقلت : ما أكثر شطحات النفس وجنوحها ، وما أعجب أن ترغب فى رؤية البحر المسجور « المشتعل » على أن أكون فى درع الأمان وحصن السلامة !!

ولكن ما بال العلم ؟ هل عجز سلطانه وجبروته عن تحقيق ما يطمح إليه الانسان ذلك المخلوق العجيب ؟ أم ماذا ؟ ألم يحضر الذى عنده علم من الكتاب عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس فى الشام عبر آلاف الأميال فى طرفة عين . ولست أدري من يكون ذلك الذى عنده علم من الكتاب

أهو إنسان أم ملك أم مخلوق آخر ؟ إن القرآن الكريم لم يكشف لنا عن ماهيته وسره فليبق كما شاء الحكيم العليم فى طى الخفاء كما بقيت حقيقة البراق الذى سري بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ـ إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى ما فوق السماء السابعة ، وعاد به فى هزيع من الليل ، ولا تسل كم قطع فى تلك المرحلة المذهلة من مسافات بين السموات تستغرق بلايين البلايين من السنين الضوئية ، وجاء من رحلته تلك بأخبار عن الماضي والحاضر والمستقبل فلا شك إذاً أنه انطلق بسرعة تفوق سرعة الضوء المستحيلة على قدرة الإنسان وطاقته الطبيعية المعهودة ، إلا أن الحادثين قد وقعا ـ وإن كانا خارقين ، وما أحسبها إلا قدرة القدير الكامنة فى قوله كن فكان

ذلك ما كان فى غابر الزمان ، فما شأن العلم فى العصر والأوان ؟ لقد صنع الكثير المعجز من مفاتيح مكنون الطبيعة ، واستخدام ما توصل إليه من طاقات تعجز عنها مردة الجان ، ألم يصنع الإنسان بالعلم مركبات وأجهزة تسير بأسرع من الصوت ، فتصل ما بين أطراف الأرض فى لحظات ، وتنطلق فى الفضاء فتقتحم الكواكب والنجوم ، وتنقل إلينا نحن البشر فى كل مكان كل عجيب من مسموعات ومرئيات ونحن فى حجراتنا على المقاعد والأسرة ـ عبر آلاف الأميال فى دقائق إن لم يكن فى ثوان ، مخترقة الأجواء ، قاطعة الصحاري ، والجبال والأنهار .

كل هذا صحيح يجري فى الواقع فما علاقته بالبحر المسجور المستتر خلف الغيب فى

رحلة الرهب

المستقبل المجهول ، فلا تناله حواس أو عقول ؟

لقد جاء أساطين العلم ، وعمالقة المعادلات الرياضية التى مكنت الإنسان من إطلاق مارد الطاقة الجبار المذهل من سجنه والذرة التى لا تكاد تري ، وأضافت إلى الأبعاد الثلاثة « الطول والعرض والعمق » بعدا رابعا هو الزمن فما غير الكثير من المعتقدات والمفاهيم السائدة ، وجعل العلماء يقررون أن العلم لو توصل إلى صنع مركبة تنطلق بسرعة الضوء لقهر الأبعاد التى منها الزمن ، ولرأى الإنسان بعينيه حقائق الوجود ، وأحداث الزمان فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ولكنهم عادوا فأقروا بأن ذلك إن لم يكن مستحيلا فهو فى حكمه ، وهنا سطع أمام الفكر قول الله تعالى فى سورة التكاثر . « كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم » ومن لنا بعلم اليقين الذي يرينا الجحيم ونحن على ظهر الأرض قيد الحياة ، وآه من « لو » هذه تلك التى سدت الطريق أمام نزعات النفس وجنوح الفكر . فقلت : إذن العلم عاجز وطبيعة الكائنات تأبى ، ولستَ رسولا يخضع الله له نواميس الكون ، فأنى لى الوصول إلى البحر المسجور الذى تروم النفس استطلاع مشهده - والعياذ بالله - وما أكثر المنى وأقل الأسباب .

وبينما أنا فى بلبال من أمرى تدفعنى رياح الرغبة ، ويصدنى جبل القنوط إذ سنحت لى سانحة من خاطر حولت عجزى إلى قدرة ، وحيرتى إلى مضاء فقد اكتشفت أنى أملك المركبة التى تبلغنى ما تصبو إليه النفس بأسرع من الضوء الذى تحدث عنه العلماء دون شر يلحقنى أو خطر يتهددنى .

إنها التصور والخيال أجل .. أجل إنهما المركب الذلول التى يملكها كل إنسان حسب إمكاناته الفطرية والعلمية إن أحسن استخدامها ، وهى طوع أمره ، ورهن مشيئته .

عند ذلك لم أتردد ولم أتأن ، وفى أقرب من لمح البصر ، امتطيت متن التصور ، وبسطت أجنحة الخيال ، متزودا بتصوير القرآن ، وسافرت فى مستقبل الزمان إلى البحر المسجور ، فما هى إلا ومضة برق خاطف حتى كنت هناك ، فرأيت وسمعت ، ويا هول ما رأيت وما سمعت !! لقد انطفأت الشمس كما ينطفى المصباح حينما ينقطع عنه التيار الكهربى فى ليل حالك السواد لا نجوم فيه تلمع ، ولا كواكب تسطع ، فتجعل للوجود معالم وأبعادا تهدى فى ظلمات البر والبحر ، وكأنى قد هويت فى جُبٍّ محكم الغطاء لا قرار له ، وطفقت أتجلجل فيه لا أرى شيئا ، ولا أحس إلا بصقيع أكاد أجمد معه وأتحول إلى جليد ، ولاحت منى التفاتة حائرة مذعورة فوقع بصرى على مشهد رهيب .. رهيب ، ومنظر يشيب ، ويجعل الوليد مثلى بل يزيد ، إنه الرعب الساحق ، يعانق الهول الماحق ، وقعت بينهما وحيدا مفردا ، لا عاصم ولا ظهير ، وأظننى صرخت قائلاً : يا إلهى .. ماذا أرى: البحر نار تتأجج ، والموج سعير يتضرم ، ولهيب يشق صدر لهيب بألوان حمراء ، صفراء ، زرقاء ، سوداء ، بل كل

ألوان الطيف ، وينبعث من ذلك الأتون المتسعر شهيق وزفير ، وزمجرة وهدير مما يصعق كل حى ، ويذيب كل شىء ، وقد أخذ ذلك الجاحم المتفجر يتجشأ جشاء ما قرع الأسماع ولا اقتحم الأنوف أفظع ولا أنتن منه ، وما ذاك الذى يمتد من قلب السعير متقذفا فى هوج وجنون ؟ إنه أعناق هائلة من اللهب تتلوى وتتلفف فى عربدة وسعار ، وقد أخذت تتضخم وتستطيل حتى بلغت مدى كل حد ، ونهاية كل فج ، وملأت الآفاق ، وسدت كل منفذ ومهرب ، وقد أشرفت من تلك الأعناق رءوس بالغة العظم كأن كل رأس منها طور أشم ، لها عيون كفوهات البراكين الثائرة ، تحدق فى غيظ وحنق ، وهى تقذف بالحمم وترمى بالشرر ، وعلى سبيل التقريب كأنها عيون أصلات « ثعابين ضخمة » هائمة غازية ، ووحوش جائعة ضارية ، انطلقت من سجن تبحث عن فرائسها المشتهاة ، ومافرائسها إلا الناس والحجارة ، وقد برزت منها مناقير أصلب من الحديد تقصر وتطول ، أخذت تنقض هنا وهناك لتلتقط من بين الحشود الذاهلة من البشر من غلبت عليه شقوته ، كما يلتقط الهدهد ما تعرى من دود الأرض إلا أن الدودة تستقر فى حوصلة رطبة لينة وذاك يندفع إلى قرار الجحيم ، وصرت كلما التقط منقار من تلك المناقير الرهيبة إنسانا أحسست بقصعة داخل المنقار وأنا فى منأى عنه ، وأنا لا أعرف فى تلك الحشود البشرية أحدا ، ولا يعرفنى أحد ، وليس بيننا إلا رابطة الانسانية ، ودب فى نفسي أني أحمل سراً جعل ذلك اللهب المارد المهول يتحاشانى وينأى عنى ، وما كاد ذلك الخاطر يبسم فى خلدى حتى وجدت كل هاتيك الأعناق المسعورة تتحول إليَّ ، وتلتف حولى ، وتكاد تطبق عَلَيَّ من كل جانب ، ولا واقى منها ولا حاجز ، فاشتد بى الكرب ، وعلا وجيب القلب ، وانبهرت الأنفاس ، وزاغ البصر ، وليس ثم مناص أو مفر ، فناديت صارخا : يا أرحم الراحمين بك أستغيث وأستجير ، - وعند الشدة يعرف الانسان ربه - وسرعان ما نكصت جحافل اللهب مرتدة خابية ثم اختفت فى جوف اليم ، وكأن شيئا لم يكن ، ونظرت فإذا بى أجدنى جالسا على مقعدى فوق الصخرة الممتدة فى الماء ، وإذا الشمس ساطعة كما هى ترسل أشعتها العسجدية إلى سطح البحر الساجي الوديع ، ومددت يدي إلى قدح الشراب لأعبّ الثمالة المتبقية فيه ، كى أرطب حلقى الجاف ، ولسانى اليابس ، وقمت متثاقلا أجر قدمى من الإعياء ، وأنا أتلفت حولى كالمرتاب ، لأستيقن من أن الحياة الدنيا ما زالت تتحرك فى مجلسها المألوف ، وتجرى على سننها المعهودة ، ورحت أتمتم - وأنا كاسف النفس ، جائش الشعور - ، قائلاً :

لو أن الإنسان يتدبر القرآن بنظرات ثاقبة ، وأحاسيس مرهفة ؛ لتكشفت له حقيقة الوجود ، ولشاهد عظمة الخالق المعبود ، ولما قارف إثما ، أو دنس الأرض بخطيئة . ولكن ... لمن خلقت الجنة والنار ؟ !

مع رسالة جامعية

النزعة التأملية

فى الشعر العربي الحديث فى مصر حتى ١٩٦٠

نوقشت هذه الرسالة يوم الاثنين ٥ من شعبان ١٤٠٦ هـ الموافق ١٤ من ابريل ١٩٨٦ م .. بكلية اللغة العربية .. جامعة الأزهر .. بمدرج الشيخ ابراهيم حمروش .. تحت اشراف الأستاذ الدكتور / على على صبح ـ رئيس قسم الأدب والنقد بالكلية وشارك فى مناقشة الرسالة كل من :

الأستاذ الدكتور / سعد ظلام ـ عميد كلية اللغة العربية ـ بالقاهرة ..

الأستاذ الدكتور / محمود على السمان ـ أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية ـ بطنطا ..

وقد استمرت المناقشة أربع ساعات ، منح الباحث بعدها درجة « الدكتوراه » « مع مرتبة الشرف الأولى » .

ولقد اختار الباحث هذا الموضوع لثلاثة أسباب:

الأول : محاولة اشباع جانب عقدى ببيان موقف الاسلام من القضايا التى حملها شعر التأمل والموضوعات التى عبر عنها .

الثانى : اشباع ميل نفسي إلى دراسة هذا اللون من الشعر ـ يعني شعر التأمل ـ الذى يحمل موقف الشعر من قضايا الحياة والموت والمصير والايمان والشك ـ وما يشبه ذلك ـ فى حقبة زمنية هى من أشد الحقب خطرا ، وأوضحها أثرا فى الفكر العربى الحديث .

الثالث : محاولة اضافة جديدة إلى صرح الدراسات الأدبية فى المكتبة العربية وقد سجل الباحث الموضوع بعنوان « النزعة التأملية فى الشعر العربى الحديث فى مصر » ولم يقل « الشعر المصرى » تجنبا لشبهة الفصل بين مصر والعروبة وبعدا عن الترويج لفكرة الاقليمية المدمرة . وفى تحديد المدة الزمنية للبحث لم يشر إلى البداية اعتمادا على أن البداية الناهضة للشعر العربى الحديث معروفة مشهورة تتمثل فى ظهور رائد البعث الشاعر محمود سامى البارودى .

للباحث حسن أحمد عبد الحميد

وحدد الباحث نهاية مدة الدراسة بسنة ١٩٦٠ م بناء على أن العقد السادس من هذا القرن يمثل - فى تصوره - بداية مرحلة جديدة فى التاريخ السياسي والاجتماعي والأدبي في مصر تختلف عما سبقها ، وأن التغيرات الحقيقية فى ملامح الحياة بشتى جوانبها ظهرت مع بداية هذا العقد .

وفى محيط الأدب خاصة نمت مع بداية العقد السادس أو قبلها بقليل الدعوة إلى ما يعرف « بالشعر الحر » وظهر أدباء عنوا بالتنظير لهذا الشعر ونشر نماذجه وترويجه .

أما عن المنهج الذى اتبعه الباحث فى هذه الدراسة .. فيقول :

« استخدم البحث المنهج التاريخي في تتبع الجذور واستكشاف المؤثرات . وأفاد من المنهج النفسي في التعليل للظواهر والتعرف على ما بين الظروف الخاصة والمزاج النفسي للشاعر ونتاجه الفني .

واعتمد المنهج الفني في تقويم شعر التأمل من جهة الألفاظ والأساليب والخيال والتصوير والموسيقى ووحدة القصيدة ومن جهة المضمون .

وأخيراً اهتدى البحث بالقيم الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح في نقد مضمون شعر التأمل .

وهكذا يمكن أن يكون « المنهج التكاملى » الذى يستفيد بالمناهج جميعها هو منهج هذه الدراسة .

تقسـيم الرسالة :

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة أبواب تحوى عشرة فصول بين مقدمة وخاتمة .

أما التمهيد .. فقد تكفل بتتبع جذور التأمل في الشعر العربى القديم .

وأما الأبواب والفصول فهى :

الباب الأول : التجربة التأملية في الشعر العربي :

مفهومها - تطورها - المؤثرات فيها .

وينقسم فصلين :

الفصل الأول : مفهوم التجربة التأملية فى الشعر العربى وتطورها :

ويقع هذا الفصل فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : شعر التأمل بين المدلول اللغوى والمصطلح الأدبي :

وقد حدد الباحث فى هذا المبحث مفهوم شعر التأمل الذى على أساسه اختار نماذج الدراسة وقد استرشد فى تحديد هذا المفهوم بالدلالة اللغوية للفظ التأمل كما وردت فى معاجم اللغة .

المبحث الثانى : التأمل بين الدين والفلسفة والشعر :

وفرق الباحث فيه بين التأمل في هذه المجالات الثلاثة ، وانتهى إلى أن شعر التأمل شىء آخر غير المواعظ الدينية ، وشىء آخر غير نظم الأفكار واجترار الأخبار .

المبحث الثالث : تطور شعر التأمل في العصر الحديث في مصر :

وقد أشار الباحث فيه إلى أن تأملات البارودى وجيل الرواد جاء أكثرها في ثوب شعر الحكمة القديم ، ثم بين تفوق شوقى فى باب التأمل .

ونوه بدور جيل المجددين « شكرى والعقاد والمازنى » فى تطور هذا اللون من الشعر ، ثم بدور الجيل الذى تلاهم .

الفصل الثانى : المؤثرات فى النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث في مصر :

ويقع هذا الفصل فى خمسة مباحث تكفل كل واحد منهما بالحديث عن أحد المؤثرات وتلك المؤثرات هى :

١ ـ الاطار والشخصية .
٢ ـ تيارات الثقافة واتجاهات الفكر .
٣ ـ النقد الأدبي الحديث .
٤ ـ الترجمة .
٥ـ شعر المهجر .

الباب الثانى : **موضوعات التأمل في الشعر العربي الحديث في مصر** :

ويحوى ستة فصول هى :

الفصل الأول : الله ـ عز وجل ـ وقد بدا للباحث أن شعر التأمل في هذا الموضوع سار في ثلاثة اتجاهات :

١ ـ اتجاه صوفى مسرف في التعبيرات المشكلة عن مقامات الحب الالهى وأحواله .

٢ ـ اتجاه اسلامى ملتزم بحدود الاسلام فى تصور قضايا الألوهية والتعبير عنها .

٣ ـ اتجاه فلسفى يبدو فيه كثير من الشك والحيرة والتمرد .

ثم تأتى بقية الفصول هكذا :

الفصل الثانى : **الشيطان** .
الفصل الثالث : **النفس** .
الفصل الرابع : **الطبيعة** .
الفصل الخامس : **الحياة** .
الفصل السادس : **الموت** .

وفى هذه الفصول التى خصصها الباحث لدراسة موضوعات التأمل في الشعر أشار إلى الفكر الفلسفي والديني حول هذه الموضوعات إشارات موجزة لأن الشعراء عندما يتناولون تلك الموضوعات لامندوحة لهم عن التأثر بهذا الفكر أو ذاك .

الباب الثالث : **شعر التأمل في ميزان النقد** :

ولما كان شعر التأمل له خصائصه المميزة في الشكل وفى المضمون قسم الباحث هذا الباب فصلين :

الفصل الأول : خصائص الشكل فى شعر التأمل :

ويقع فى أربعة مباحث هى :

المبحث الأول : خصائص الألفاظ والأساليب .

المبحث الثانى : الخيال والتصوير .

المبحث الثالث : موسيقى الشعر .

المبحث الرابع : وحدة القصيدة في شعر التأمل .

أما الفصل الثانى : فعنوانه : « خصائص المضمون فى شعر التأمل » :

ولأن شعر التأمل يغلب عليه الطابع الفكرى خصص الباحث المبحث الأول من هذا الفصل للوقوف على مدى نجاح الشعراء فى المواءمة بين الفكر والعاطفة وهذا المبحث بعنوان « مضمون شعر التأمل بين الفكر والعاطفة » ..

وجاء المبحث الثانى من هذا الفصل بعنوان « مضمون شعر التأمل فى ميزان النقد الاسلامى » وفيه تقييم للمضامين التى حوتها أشعار التأمل فى ضوء القيم الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة . مستندا فى ذلك التقييم إلى ما يمكن تسميته « منهجا اسلاميا فى النقد » .

وبعد هذه الفصول تأتى الخاتمة ، وفيها ذكر الباحث أهم النتائج التى حققها البحث ، وتلك النتائج هى :

أولاً : شعر الحكمة هو الطور الأول لشعر التأمل .

ثانياً : الفكر العميق والعاطفة الجياشة هما جناحا التجربة التأملية فى الشعر .

ثالثاً : شعر التأمل يستفيد بمعطيات الفلسفة وآراء الدين ، ويحمل أطرافا من العلوم كالتاريخ وغيره .

رابعاً : خضع شعر التأمل فى الشعر العربي الحديث فى مصر لعدة عوامل أثرت فيه بوضوح وعمقت مجراه وحددت وجهته .

خامساً : يزاحم أحمد شوقى ـ من بين شعراء جيله ـ دعاة التجديد في ميدان التأمل ويشاركهم في أكثر موضوعاته ويفوقهم أحياناً .

سادساً : تخلو تأملات جيل الرواد والمحافظين من معانى الشك والحيرة والتمرد ، ويصدرون فى تأملاتهم عن تصوير اسلامى صحيح .

سابعاً : مع اشتداد حملات التبشير والاستشراق والاستغراب فى مطلع القرن العشرين ، علت فى شعر التأمل نبرات الحيرة والشك والتمرد .

ثامناً : ضرورة وجود منهج اسلامي فى النقد الأدبي ، يرشد إلى المفاهيم الصحيحة ويوجه الشعراء إلى استلهام التصور الاسلامى فى تعبيرهم عن قضايا ـ الوجود والحياة والمصير ـ وما يشبه ذلك .

تاسعاً : القول بعزل الدين عن الشعر غير سديد .

عاشراً : ليس من شأن الناقد التعرض لعقائد الشعراء ، وعليه أن يقف عند تحليل المضمون والاشارة إلى ما فيه من صواب أو خطأ لا يتعدى ذلك .

أحد عشر : لا يستدل بصورة قاطعة على عقيدة الشاعر من قصيدة ، لأن القصيدة نتاج موقف معين فى تجربة خاصة ووقت محدد ، وقد تتغير المواقف ، وتتبدل الأحوال وذلك هو ما يفسر ورود قصيدتين لشاعر واحد تعبر احداهما عن شك وحيرة ، والأخرى عن سكينة ويقين .

اثنا عشر : شعر التأمل شعر وجدانى غنائى ـ على الرغم من عنايته بالفكر . ذلك هو عمل الباحث فى تلك الدراسة ـ ندعو الله سبحانه ـ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به ـ ولله الحمد فى الأولى والآخرة .

أنباء وآراء

الرئيس مبارك يطالب رؤساء وفود الدول الإسلامية ببذل الجهود لايقاف حرب الخليج .

■ التقى مؤخرا الرئيس مبارك برؤساء الوفود فى مؤتمر العواصم الإسلامية ، طالبهم الرئيس بالعمل على وقف نزيف الدم فى الحرب الدائرة الآن بين العراق وإيران وأكد أن مصر تدعم القضية الفلسطينية وتبارك كل تعاون بين العواصم الإسلامية فى مجال تبادل الخبرات .

الاسلام لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة

أكد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : أن الإسلام لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة لأنه دين ودولة والإسلام فى مجمع أحكامه نظم حياة الأفراد وحياة الجماعات ونظم الحياة بالعدل بين الناس .

وقال الإمام الأكبر فى حديث لمجلة « الوطن العربى » التى تصدر فى باريس : إن التطرف الدينى الذى يحدث من بعض الجماعات سببه سوء الفهم للدين ، وأكد فضيلته على أن هذا التطرف يرجع أساساً إلى خلو مناهج التعليم التى يدرسها شبابنا بالمدارس والجماعات من القرآن ومن مبادىء الإسلام وأخلاقياته وطالب شيخ الأزهر بضرورة تعديل المناهج بالمدارس والجامعات حتى يعرف الأبناء المعلومات الكافية عن أحكام الإسلام وعباداته ومعاملاته وأخلاقياته . وأكد أن المناهج يجب أن تمتد لتشمل الأبناء من الحضانة إلى نهاية الدراسة الجامعية .

الدكتور عبد الفتاح بركة وكيلا للأزهر بالإنابة

أُصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قراراً بأن يتولى الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مهام وكيل الأزهر بالإنابة إضافة إلى عمله أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية .

السنة وشبهات المستشرقين

بدأ المركز الدولى للسيرة والسنة ممارسة عمله من مبنى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.. وصرح الدكتور محمد الطيب

د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

النجار : بأن الهدف الأول لقيام المركز هو تحقيق أمهات كتب التراث الخاصة بالسيرة والسنة النبوية ونشر المخطوطات التى كتبت عن الأحاديث النبوية وتاريخ العصور الأولى للإسلام .. كما يضطلع المركز بدحض الشبه والمفتريات التى نسبت زورا إلى رسول الله ﷺ فى سلوكه وفى معاملاته وفى علاقاته الخاصة والعامة وكذلك الرد على كتابات المستشرقين الذين دسوا على سيرة الرسول أموراً بعيدة عن الحق ، وشوهوا سيرته بطريقة فادحة ، متبعين أسلوب دس السم فى العسل .

وقال : إن الباب مفتوح لكل من يرغب فى العمل بالمركز من أساتذة السيرة والسنة النبوية والباحثين الإسلاميين فى هذا الشأن .

مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية

ضمن احتفالات القرن الخامس عشر الهجرى صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج كتاب « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية » والكتاب يقع فى جزءين ويبلغ عدد صفحاته ٦٥٠ صفحة ويتضمن أربع عشرة دراسة حول قضايا القرآن الكريم ، السنة النبوية ، السيرة ، الاقتصاد ، المعاملات ، الشريعة الإسلامية ، النظم السياسية فى الإسلام ، التاريخ ، الجغرافيا ، العلوم والحياة الاجتماعية ، الفن العربى الإسلامى ، الفلسفة ، الدراسات الأدبية ، وقد هدفت هذه الدراسة إلى تصويب الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون نتيجة للمناهج التى طبقوها فى دراساتهم للحضارة العربية الإسلامية وما خلفته من تراث فى مختلف العلوم والفنون ، وإلى توجيه اهتمام الباحثين إلى الأسس التى قامت عليها الدراسات الاستشراقية والنتائج التى توصلت إليها من تشكيك وافتراء وتزييف للحقائق .

علماء الاسلام يساهمون فى تطوير التعليم بالصين

زادت نسبة دخول الأطفال بمدارس المسلمين الذين بلغوا سن التعليم فى منطقة « قويوان » بمقاطعة « نينغشيا » وهى المقاطعة الإسلامية فى الصين بفضل مساعدة الأئمة وعلماء الإسلام فقد بلغت نسبة دخول المدارس للأطفال المسلمين ٨٢٫٦٪ فى المائة عام ١٩٨٥ بزيادة ٣٫٧ فى المائة عن عام ١٩٨٤م .. ساهم علماء

الإسلام والأئمة خلال العامين الماضيين فى تطوير التعليم بهذه المنطقة ، وأقنع بعضهم الأهالى المسلمين بإرسال أولادهم إلى المدارس وأنشأ بعضهم مدارس إسلامية مائة في المائة ومن المعروف أن عدد التلاميذ المسلمين يشكل ٣٤٫٩ فى المائة من إجمالى عدد التلاميذ فى المدارس الابتدائية بهذه المنطقة .

أول شركة اسلامية فى الصين

وافقت حكومة الصين الشعبية لأول مرة فى تاريخها على تأسيس شركة استثمارية صينية مصرية مشتركة تعمل وفقاً لمبادىء الشريعة الإسلامية وقد تأسست هذه الشركة بالاتفاق بين حكومة « نينغشيا » التى تقع فى غرب الصين وبنك فيصل الإسلامى ، ويقول الحاج اسحاق هونج زنجيو رئيس الوفد الصينى ومدير الشركة الإسلامية الدولية للاستثمار والائتمان بمنطقة « نينغشيا » لقد تكللت جهود عام كامل بالنجاح بفضل رعاية واهتمام رئيس حكومة الشعب فى « نينغشيا » ووزير الأوقاف المصرى .

استثمار أموال المسلمين وفق الشريعة الاسلامية

برز فى الولايات المتحدة مؤخراً نظام نقدى جديد يقوم على الأسس الإسلامية وهو بمثابة نظام (بنكى) خال من الفوائد ، ويتيح للمسلمين فى أمريكا استثمار أموالهم وفق الشريعة الإسلامية .

صرحت مصادر مالية فى واشنطن بأن صندوق الأمانة التعاونى وهو الصندوق الوحيد الذى يخضع للنظم والأسس الإسلامية قد انتهى تقريباً من عملية التسهيل مع اللجنة الأمنية المصرفية « سيك » خلال هذا العام محولا الحلم إلى حقيقة بالنسبة إلى المسلمين الذين يواجهون صعوبات حول كيفية استثمار أموالهم فى الولايات المتحدة وفق الشريعة الإسلامية .

مستقبل الجالية الاسلامية فى أسبانيا

ناقش المؤتمر الثالث عشر للمركز الإسلامى فى أسبانيا الذى عقد مؤخراً بمدينة « غرناطة » مستقبل الجالية الإسلامية فى أسبانيا ودارت أعمال المؤتمر الذى أقيم بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامى حول أربعة محاور أساسية هى :

قضية الدعوة ومنهجها ووسائلها ، وكيفية التعامل مع الحكومة الأسبانية ، وأسلوب العمل والتنسيق بين الجماعات الإسلامية والمطلوب منها ، وقضية الجيل الجديد .

وفى ختام جلسات النقاش أصدر المؤتمر بياناً تضمن توصيات عديدة تركزت بشكل واضح حول قضية الجيل الجديد وكيفية تجنيبه الضياع والأزمات ، والحفاظ على هويته الإسلامية والفكرية والعاطفية وتجنيده لخدمة مستقبل الدعوة الإسلامية .

جامعة اسلامية فى أوروبا

يعتزم الثرى الفلبينى أمير الله إقامة جامعة إسلامية كبرى فى مدينة لوسرن « بسويسرا » من المقرر أن يلتحق بالجامعة ثلاثة آلاف طالب وطالبة ويحاضر بها ثلاثمائة محاضر من كل ديار العالم الإسلامى يهدف المشروع إلى تجميع الدارسين فى العالم الإسلامى فى جامعة إسلامية واحدة تأكيداً للوحدة الإسلامية وحتى لا تتشتت جهود الدارسين وأفكارهم فى الدول الغربية وسوف تكون الدراسة باللغتين العربية والانجليزية .

نشاط اسلامى للمجلس الاسلامى الأوغندى

أعد فضيلة الشيخ حسين رجب كاكوزا قاضى قضاة أوغندا تصوراً جديداً لطبيعة عمل المجلس الإسلامى الأوغندى فى الفترة القادمة يستهدف التصور الجديد تكريس جهود الدعاة فى التعريف بالإسلام ، وتبيين جوانب العظمة الإسلامية فى مختلف الجوانب العقدية والأخلاقية والتشريعية . وصرح قاضى القضاة بأن المجلس يعمل فى اتجاه بعيد عن التحزب أو التعصب الطائفى .

الشيخ محمد متولى الشعراوى رئيسا لمؤتمر السيرة بأمريكا التليفزيون الأمريكى ينقل الجلسة الافتتاحية

يعقد المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية فى أمريكا يوم ٢٦ ديسمبر القادم ولمدة أسبوع .. يتولى رئاسة المؤتمر فضيلة الداعية الإسلامى الشيخ محمد متولى الشعراوى ويحضره عدد كبير من المفكرين والكتاب المسلمين يناقش المؤتمر سيرة الرسول ﷺ ومنهجه الذى ينتفع به فى مواجهة التحديات المعاصرة كما يناقش فى جلسة خاصة وسائل تربية الشباب فى الإسلام وتقرر أن تنقل برامج الإذاعة وموجات التليفزيون الأمريكى على جميع القنوات وقائع افتتاح المؤتمر وخطاب الشيخ الشعراوى الذى يلقيه فى الجلسة الأولى وسيتم لقاء عبر المؤتمر بين الإمام الشعراوى ورؤساء الجامعات الأمريكية بناء على طلبهم .

المطالبة بإعادة النظر فى مناهج المعاهد الأزهرية

■ طالبت شعبة التعليم الأزهرى بالمجالس القومية المتخصصة بإعادة النظر فى مناهج المواد الثقافية التى أدخلت على التعليم الأزهرى التى أفقدته ميزته التى تميز بها عما عداه من أنواع التعليم المختلفة ، وأكدت أن الاهتمام بالمواد الأزهرية سيمكن الطالب عندما يتخرج من أن يكون ملما بكافة القضايا الدينية التى تؤهله لأن يكون داعية يستطيع أن يواجه التيارات التى تحاول تقويض الإسلام .

مصر تشارك فى المؤتمر الأوربى للسكر

اشتركت مصر فى المؤتمر الأوربى الثانى والعشرين لدراسة مرض السكر .

يبحث المؤتمر أحدث الوسائل لمنع حدوث المضاعفات مع استعراض الجديد فى علاج مرض السكر .

من خير ما كتب

للدكتور/عبد الجليل شلبى

قران وسنة

كانت عقيدة التوحيد التى بثها الإسلام فى نفوس الناس وثبة بالعقلية العربية ، وان شئت فبالعقلية الانسانية بعامة . كان شاقاً على العرب كما هو شاق على الكثيرين أن يؤمنوا بإله لا تدركه الأبصار ، وليس لـه جسم ولا ولد ولا والـد ، وهـذه ولا ريب ـ ميزة امتاز بها الاسلام عن كافة الأديان والعرب لعجزهم من قبل عن هذا الادراك ـ اتخذوا لهم آلهة مجسمـة صنعوها بأيديهم ثم عبدوها ولم يكن لديهم تفكير ميتافيزيقى يمكن أن يدركوا به وجود خالق لا يراه أحد .

وقد كان أتباع الأنبياء من قبل يفعلون ذلك ، فاليهود قالوا لموسى : أرنا الله جهره وبين كل نبى ونبى كان الناس ينسون عقيدة التوحيد فأحياناً يتخذون لهم أوثاناً وأحياناً يعبدون المخلوقات ويتخذونها وسائط تقربهم إلى الله زلفى وأحياناً يصفون الله بصفات المخلوقين وهكذا .. وكلها مظاهر من عجز العقلية البشرية عن إدراك وجود اله ليس كمثله شىء ولا تزال مظاهر هذا العجز بيننا إلى الآن .

وكان الرقى الاجتماعى الذى توالت به أحكام التّشريع الاسلامى رقياً عقلياً أيضاً ، عرف كل إنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات عرف أن عليه أن يحترم ملكية الناس وأموالهم وأعراضهم وكانت الحياة الجاهلية تعتمد على القوة وحدها وأكبر من هذا وذاك أن عرف الانسان أنه يعمل دائماً تحت سمع الله تعالى وبصره فهو يخافه فى وحدته كما يخافه بين الناس فكانت المحافظة على حقوق الآخرين مكفولة بقدر ثبات العقيدة وعمق الايمان لهذا كان من الطبيعى أن يمشى التياران معاً تيار العقيدة وتيار التشريع جنباً إلى جنب .

ومما رقى به الاسلام العرب أنه عمل على محو أميتهم وتعلمهم فروع المعارف المختلفة فمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رد على المقوقس طبيبه أَمَرَ العرب أن يستشيروا الحارث بن كَلَدَة فى أمراضهم وأن يستعينوا برأيه وعلمه كذلك أمر أبى بن كعب أن **يتعلم اللغة العبرية وجعل فداء الأسير القارىء فى غزوة بدر أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .**

الدكتور/محمد رجب البيومى .

المسلسلات الاذاعية والتاريخ

توالت المسلسلات الاذاعية المرئية والمسموعة التى تتخذ التاريخ المعاصر

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

مجالاً لها ، وقد استطاعت أن تشد الانتباه بما تعرض من أحداث ، وتصور من شخصيات ، وتتقن من إخراج ، وتبدع من أداء ، كل ذلك حق لاشك فيه ، ولكن الذى يجب أن يكون موضع الانتباه الحذر هو أن المسلسل الاذاعى الذى يشاهده ويسمعه العامة ، ليس كالرواية التاريخية التى تطبع فى كتاب ، ويتداولها القراء ، وجمهرتهم من المثقفين .

فقارىء الرواية التاريخية على حظ من المعرفة يميز به بين الواقع والخيال ويعرف مدى حرية المؤلف فى اضافة أشياء خارجية تظهرالوقائع فى مظهر أخاذ وليست من التاريخ الحقيقى فى شىء .

أما الكثرة الكاثرة من مشاهدى المسلسلات الاذاعية فى التليفزيون وسامعيها فى الراديو فهم من العامة وفيهم الأميون الذين يعتقدون أن كل ما يعرض حق لاشك فيه .

ومهمة المسلسل الاذاعى حينئذ أن يحرص على الأمانة المفرطة فى تصوير الوقائع ورسم الشخصيات ، وارتباط الأحداث لأن الجانب الثقافى فى المسلسلة يوازن الجانب الفنى ولا يحب أن يطغى الفن على الحقائق شداً للانتباه وجذباً للأنظار ولا سيما إذا كان الواقع الحقيقى بأحداثه وشخصياته مما يكفى لدى المؤلف النابه والمخرج المقتدر والممثل الجيد أن يكون موضع الاستمتاع الفنى الباهر ، ومكان الغذاء الدسم للفكر ولكن ما نقرره الآن لا يجد التطبيق الواعى فيما نشاهد ونسمع ، حين يجور المؤلف على الحقائق ، ويفتن المخرج فى الاغراب ، فيعطيان الفكرة المخطئة ، ويظهران الشخصيات التاريخية فى غير واقعها المعهود ، وقد تكون هذه الشخصيات ذات عهد قريب ، رأيناها رأى العين ، وعرفنا حقيقتها السافرة ، وفهمنا دورها التاريخى من ألفه إلى يائه ثم تجىء المسلسلة لتبتعد عن الواقع الملموس ، فيكون ذلك موضع الدهشة البالغة والاستغراب العجيب .

الدكتور / سمير عبد الفتاح الجزار

ما قـــل ودل

إن بلوغ الحقيقة والخروج من أسوار الجهالة ، واستقامة الطريق ، وفتح العقول لضياء المعرفة ، كل هذا لا يتأتى إلا بطريق العلم ، فالعلم فى نظر المسلم هو قمة الهدى التى يبلغها الإنسان فهو السبيل إلى معرفة الخالق والطريق لفهم أسرار الحياة .

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » فالإيمان بالله جلت قدرته وعظم شأنه ما هو إلا نوع

من العلم بالله وما يكون التوحيد المطلق والايمان الصادق والعقيدة الراسخة إلا بالوقوف على حقائق الكون مدققا متمعنا وبادراك للقدرة التى تفردت بذلك الابداع متفحصا دارسا ، وبذلك يرتقى الإنسان إلى آفاق رحبة سامية يتعلم كل خير ويدرك قضايا الوجود ويتبصر فى كل ما يحيط به ويتيقن حقائق الحياة .

فالعلم لا خير فيه ولا رجاء منه ولا أثر له إن لم يهد إلى الحقيقة الأولى وهى معرفة الله سبحانه وتعالى.

الأستاذ / مصطفى أمين

فكـــــرة

عندما اختلفت دول الأوبك وعجزت عدة أيام عن الوصول إلى اتفاق هبط سعر برميل البترول إلى خمسة دولارات ، وعندما اتفقت هذه الدول قفز سعر البترول قفزة كبيرة أتمنى أن نستفيد من هذا الدرس ، وأن نعلم أن سبب خيبتنا أننا اختلفنا على كل شىء ، ولم نتفق إلا على الخلاف والانقسام !

ولو اتفقت الدول العربية والاسلامية لانتهت الحرب العراقية الإيرانية فى أيام ، ولانتهت المذابح اليومية فى لبنان ، ولخصصنا جزءا كبيراً من المبالغ التى ننفقها فى القتال والتدمير والتخريب على التعمير وإطعام الجائعين ومعالجة المرضى والتعليم ! .

ويجب أن نعترف أن الدول الكبرى أصبحت لا تحسب للعرب أى حساب ، ذلك أنها تعلم تماما أننا عجزنا عن أن نتفق على أبسط الأمور ، وأن ما تقبله الدولة الأولى ترفضه الدولة الثانية وتلعنه الدولة الثالثة ، وبعد أن كان لنا الوزن الهام فى الاستراتيجية الدولية أصبحنا صفرا بسبب هذه الصراعات ولا يهمنا إذا كنا صفرا صغيرا أو صفرا كبيرا المهم أننا صفر والسلام ! .

والغريب أنك لا تجتمع بأى سياسى عربى على انفراد الا ويعترف بالكارثة التى أصبنا بها ، ويقرر أننا نحن الذين ننتحر بطريقة «الهراكيرى» عندما نمضى فى خلافاتنا السخيفة ، ومع ذلك فإن أحدا منا لا يحاول أن ينهى هذا الخلاف الذى أصبح اللعنة التى أصابتنا !

واليوم نرى أن الاتحاد السوفيتى بدأ يغازل سرا إسرائيل ، وما كان يجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة لو وجدنا متحدين متضامنين.

من كان يصدق فى سنة ١٩٤٤ عندما انشأنا الجامعة العربية أن يكون حالنا بهذا السوء فى سنة ١٩٨٦ وأننا نعجز أن نجمع ملوك ورؤساء العرب فى اجتماع قمة ، بل نعجز أن نجمع وزراء الخارجية فى اجتماع ، بل نفشل فى إصدار قرار باستنكار العدوان الوحشى على أفغانستان ، ونعجز عن وقف الحرب فى لبنان ، وترسل دول عربية السلاح والذخيرة إلى إيران لقتل العرب والمسلمين فى العراق ! أخشى أننا أصبحنا نجهل القراءة والكتابة السياسية .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
◆ السنـــة وأبعـــاد الضـــلال د . علي أحمد الخطيب	١٤٥
◆ فقيد الاسـلام وفقيد الأزهـر للأستاذ د . عبد الفتاح بركة	١٥٠
◆ التفسير النحوى للقـرآن الكريـم محمد رجب البيومى	١٥٤
◆ مع ابراهيـم واسحـاق ويـوسف د . محمد محمد خليفة	١٦٠
◆ الخمـــر أم الخبـــائث للشيخ محمد حافظ سليمان	١٦٣
◆ الدولـــة الاسلاميـــة د . فوزى محمد طايل	١٦٩
◆ أمانة الاختيار والتكليف الموسع لواء محمد جمال الدين محفوظ	١٧٦
◆ المحـــــــرم للأستاذ محمد صابر البرديسي	١٨٠
◆ بحـــوث فـــى الأمـــوال لفضيلة الشيخ فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله	١٨٤
◆ الاتحاد في ضوء الهجرة النبوية د . عبد الله مبروك النجار	١٨٨
◆ الحـزب والأحـزاب فـى القـرآن الكـريم للأستاذ أحمد عزت محمد البرادعى	١٩٣
◆ حصـاد الدعـوة الاسلاميـة د . عبد الله بخيت محمد	١٩٩
◆ عبد الله بن كثير القارى للأستاذ عبد الفتاح أبو سنة	٢٠٤
◆ الفتــــاوى إعداد عبد الحميد السيد شاهين	٢٠٦
◆ من اعـلام الأزهـر [الشيخ أحمد الاسكندرى] بقلم : أحمد محمد الخواص	٢٠٩
◆ بـاب الشعـر والشعـراء اشراف د . حسن جاد	٢١٣
◆ انـــوار الهجـــرة للأستاذ / رشاد محمد يوسف	٢١٤
◆ حـــوار مـــع النفـــس للشاعرة جليلة رضا	٢١٦
◆ صـــرخة زنجـــى شعر د . عزت شندى مرسى	٢١٧

الموضوع	الصفحة
◆ وقفـة أمـام صقليـة للأستاذ / عبد العليم القبانى	٢١٨
بـاب العلـوم الكونيـة	
◆ فلينظر الإنسان مم خلق .. ؟ د . سعاد حسين البيلى	٢٢٠
◆ هـذه الاعشـاب وهـذه النباتات د . السيد الجميلي	٢٢٤
◆ الاعجـاز العلمـى فـى القـرآن أ . د محمد جمال الدين الفندى	٢٢٧
◆ مجلـة الأزهـر مـن خمسيـن عاما الرقية واخذ الأجر على قراءة القرآن للأستاذ / عبد الفتاح حسين الزيات	٢٣٣
◆ طـــرائف ومـــواقف إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٣٨
◆ من بلاغة الكناية في القرآن الكريم د . هاشم محمد هاشم	٢٤٠
◆ بحـوث مـن الماضى القـريب للأستاذ محمد عبد الله عنان	٢٤٧
◆ رحلـة الرهـب إلـى بحـر اللهب للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين	٢٥٣
◆ مـع رسالـة جامعيـة النزعة التاملية في الشعر العربى الحديث للباحث حسن أحمد عبد الحميد	٢٥٦
◆ انبـــاء وأراء للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح الأستاذ صفوت عبد الجواد	٢٦٠
◆ مـن خيـــر ما كتـب للأستاذ / عبد الفتاح السيد عبد السلام	٢٦٤
القســم الانجليــزى	
◆ المقالـة الثالثـة للأستاذ عبد الحليم حفنى باكرى	٢٧٤
◆ المقالـة الثانيـة للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٢٧٩
◆ المقالـة الأولـى للدكتور أنس مصطفى النجار	٢٨٦

of our youth, it is not homosexuality, it is not illicit intercourse in sex and production of illegitimate childern, it is not the amplification of lust and lewdness, it is not alcoholism, drug addiction, rape, or any form of social distortion and disease. Any human community experiencing such signs and symptonus of the twenty century disease syndrome is not at all civilized inspite of what it may have or what it claims to have. True civilization of the human community is the achievement of the best form and organization of the mental, physical, psychological, cultural and spiritual condition of the individual. This is attained by careful planning, instructing, preeching, management organisation, stability, of tranquility, ethics, and the unequivocal differentiation between right and wrong, betwwen virtue and vice, and the honest recognition and realization of the concept of freedom. Such assets are attained in a human community when they are basically practiced and implemented in the family as the fundamental unit of the human society. Islam in its most original teachings has provided mankind with the elements and structural ingredients for the emancipation of mankind from evil and social disease to virtue, liberation and real freedom.

them with harshness, that ye may take away part of the dower ye have given them, except where "They have been guilty of open lewdness. On the contrary, live with them on a footing of kindness and equity"
"And if you decide to take one wife in place of another, and ye had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit of it back; would ye take it by contortion and manifest wrong.".
"And how could ye take it when ye have gone in unto each other, and they have taken from you a solemn covenant".
(Surat An-Nisa, IV, 19,20,21)

The essence of Islamic philosophy in marriage is that the man takes up a wife in a solemn dignified reverent manner to love and cherish in honesty in the face of Allah, because the contract agreement of marriage is basically a covenant and promise with Allah, and the man takes that wife as a trust from Allah. With this understanding of security prevails the full rights and guaranteed position of the womnan. Besides these prerogatives, the wife has the right of affection, kindness and good companionship, satisfaction of emotienal requirements and physical needs. Any proof of the violation of these rights of the wife entitles her to file a divorce appeal in court, when the divorce can be granted.

The careful attention given by Islam to the family constitution springs from the full recognition that the family is the miniature structure of the community and humanity at large. Any damage, disorganisation or pathology in the family structure will certainly be transcribed and reflected unto the children of that family. Paternal differences, disputes, quarrels, selfishness, dishonesty, unchastity, hatred will engrave itself on the mental patterns and psychological network of the children. The result will be immorality, sin, delinquency, delirium and frenzy hysterical conduct prevailing among the human population. The true civilization and culture of human communities is certainly not measured by the size of budget, nor the strength of armies, nor the race in space and nuclear science or technology, nor the power to govern and twist the fate of nations to serve the purpose of the strongest. True civilization is not the sound of hysterical frenzy, violent music at discos, it is not the total loss and aimless conduct

Since marriage is essentially a contract between a man and a woman as two persons participating in matrimonial life, such a contract includes certain rights and obligations. For the husband, the most primer right is the right of guardian ship which is not power or authority. Guardianship refers to an understanding of provision, adminstration, and protection. The man essentially manages the affairs of the family; this managerial function of the husband is the (wilayah) of the man, it is not an exaltation but a serious responsibility for which he must be prepared in strength, wisdom, and other qualities and abilities. In her choice of husband, the woman must consent to a man worthy of this (wilayah) over her and the family. Within the concept of (Wilayah) lies an enormous amount of responsibility and function. With this understanding therefore, the term guardianship becomes no more a prerogative to the man but rather a commission of trust, an assignment to undertake, a duty to perform. This assignment entails, financial, educational, cultural, social aspects of the family. In this context, the Holy Quran states.

> "Men are protectors and maintainers of women, because Allah has given the one more ability than the other, and because they support them from their means. Therefore, the righteous
>
> women are devoutly obedient, and guard in the (husband's) absence what Allah would have them guard"
>
> (Surant An-Nisa, IV, 34).

Within the scope of rights according to Islamic teachings, the woman certainly enjoys more substantial and concrete rights than those enjoyed by the man. Such woman rights include essentially freedom of choice with no compulsion. This grants the woman the same authority of approval and choice of the husband as the man has in the choice of his wife. Another privilage of woman is her total independence in property; all that a woman owns is exclusively her own and the husband has no right to take or dispose of anything without her consent. She is also the sole owner of her dowry given to her at the marriage contract. She has no least financial responsibility to the fanmily except at her own free voluntary will. The Holy Quran states:

> "O ye who believe ye are forbidden to inherit women against their will nor should ye treat

In an explicit, precise, comprehensive statement, the Holy Quran categorises all the interdictions of marriage in Islam.

> "And marry not women whom your fathers married except what is past, it was shameful and odious, an abominable custom indeed.
> Prohibited to you (for marriage) are your mothers, daughters, sisters, father's sisters, mother's sisters, brother's daughters, sister's daughters, foster mothers (who gave you suck), foster sisters, your wife's mothers, your step-daughters under your guardianship, born of your wives to whom ye have gone in. Those who have been wives of your sons proceeding from your loins; and two sisters in wedlock at one and the same time, except for what is past. Indeed Allah is oft-forgiving most Merciful.
> Also prohibited are Women already married".
> (Surat An-Nisa, IV, 22-23).

For marriage to take place, certain provisions and requirements have to be fulfilled. The most essential of these provisions are mutual agreement and unequivocal consent; overtness by witnesses who legally testify such marriage because marriage is an overt social relationship. The dowry which is an specified amount of money paid by the groom. The money purse is unimportant; rather it is a symbol of honour to the bride and indication of his desirability and a sacrifice for her.

The soil of true relationship between husband and wife is the existance of genuine affection and honest intimacy. The sence of responsibility to share in the formation of a family must always prevail and become the governing facter of every action. Each partner must work to satisfy the psychological and physical needs of the other; keeping an equilibrium between both. the most vital qualities for successful relationships is honesty, humbleness, unselfishness, self denial, magnanimity and self sacrifice. This attains the prime goal of successful matrimonial relationships which will provide the environment to cultivate and school the progeny with similar qualities of virtue. There must be a continuous living air of kindness, emotion, mercy which both partners should always maintain by their conduct and behavior.

copiously rich in instructions of culture and education both relevant to parents and to children at all ages.

The foundation of family structure is the premise of marriage. The first and most important step in marriage for both woman and man is to make certain that no interdiction prevents the marriage. In Islam, the laws of jurisprudence (Shariah) describe two types of interdictions, permenant and temporary.

Permenant interdiction are certain conditions which render certain women permenantly not eligible for marriage to certain men. This according to the shariah occurs as a result of blood relationship, or as a result of first degree kinship, or as a result of foster relaionship. Interdictions because of blood relationship occurs when man and woman are directly related as mother (Son), daughter (father); or parent related as sister (brother), half sister, as well as their daughters (sons); or grandparent related as aunts (uncles). Interdictions because of relationship by marriage as stepmother (step father) even if divorced or widowed., Daughter-in-law (son-in-law), mother-in-law (father-in-law), wife's daughter (husband's son). Marriage in presence of Poster relationship is prohibited by Islam. A child who is breast fed by a woman other than his mother is considered his actual mother, consequently the some limitations of marriage apply exactly to her, and her children. The daughter of the foster mother become a sister, and the sister of the foster mother becomes an aunt. An obvious type of interdiction is to marry an already married woman.

Temporary interdiction are certain conditions where the interdictions exit for reasons that may terminate, and in this case the interdiction is eliminated when the reason no longer holds. A man must not marry two sisters at the same time, but if one is divorced or dies, he is allowed to marry the sister. Also, a man must not marry his wife's aunt except when the wife is no longer his wife. A Muslim man must not marry a mushrika "polytheist", he can marry a woman belonging to a Divive Faith, Christianity or Judaism. However, a Muslim woman is not allowed to marry a non-muslin man because of the husbands legal power over the wife. Consequently, a non-muslim legal power as husband would threaten the Islamic faith of the wife and that of her children.

Quran repeatedly stressed the loyalty of children to parents as next to the worship of Allah.

> "Thy lord hath decreed that ye worship none but Him and that ye be kind to parents. Whether one or both of them attain old age in thy life, say not to them a word of contempt, nor repel them but address them in terms of honour".
>
> (Surat Al-Isra, XVII, 23).

On the other hand, parents are advised to give guidance and good example to their children. They must instruct them, teach them, tutor them and train them to high standards of ethics, duty, morals and constructive understanding of right and wrong. The Holy Quran gives these consepts precisely in the example of Luqman giving his son wholesome advice, religious, moral, behavioral, social and conceptual.

> "Behold, Luqman said to his son by way of instruction; O my son join not in worship (others) with Allah, for false worship is indeed the highest wrong-doing".
>
> "O my son, establish regular prayer, enjoin what is just, and forbid what is wrong; and bear with patient constancy whatever betide thee, for this is firmness of purpose in the conduct of affairs".
>
> "And swell not thy cheek in arrogance and pride at men, nor walk in insolence over the earth, for Allah loveth not any arrogant boaster".
>
> (Surat Luqman, XXXI,13,17,18)

The whole integration and cohesion of the family is basically constructed on the conduct and behavior of the parents, their differentiation between right and wrong, their concept of virtue, and above all their faith. The children will grow up to follow the same patterns of behavior and temperament, and will achieve congruent understanding of the same elements of goodness and chastity. The Holy Quran and the Honourable tradition of the Prophet (prayers and peace be upon him) are

FAMILY CONSTITUTION IN ISLAM

By : Dr. Abdel Halim Hifney Bakry
Translated By : Dr. Sami Ayyad.

Islamic teachings and laws of jurisprudence have very meticulously dealt with and governed the family structure. Divine legislations have been revealed in the Holy Quran to establish the fundamentals of family constitution and relationship among the various family members. In very great detail aspects of marriage, divorce, inheritance have been extensively dealt with in the Holy Quran by Divine Revelation. This signifies and asserts the prime importance of the family structure as the building brick in a community and in the society at large (the ummah).

Islamic teachings focus on providing the family members with the best emotional and moral forms of relationships. Therefore, the husband wife relationship and unity should be based on genuine mutual love, affection, respect, selfishness, modesty, understanding and tolerance. This is to provide a healthy environment for the culture of children, and to attain a perpetual cohesion of purpose between the two partners. The Holy Quran states.

> "And among His signs is this, that He created for you, mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquillity with them, and He has put love and mercy between your (hearts). Verily in that are signs for those who reflect"
>
> (Surat Al-Rum, XXX,21).

The same importance was given to the relationship between the children and the parents which symbolizes the foremost model of loyalty, respect and reverence. The Holy

frameworks postulated. This escapism of man from all the theories advanced occurs in an illusive and subtle manner, and proves their utter failure for the suitability to human life.

Islam, however, provides a unique view of man in the universe which is uncompromising and which is everlasting. Man in the Islamic perespective is the "Vicegerent" of God on earth. His real true task and mission is total surrender and submission to the Will of Allah. Man does not make a law but submits to the law already made by God and adminsters it. Man was born with the freedom to be good or bad; if he develops his powers and administers his mental faculties for the moral, spiritual and material enhancement of mankind, his conduct is virtuous; but if he misuses his resources and freedom and utilizes his mental faculties for immoral selfish exploitation, his conduct is vile and abscene. The difference between the two opposing conducts of man is very subtle and thin. It is the guiding light of Allah that makes man distinguish the difference.

The believer "Momin" is the one that adheres and follows the path prescribed by Allah in the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). The believer is at peace with himself, in harmony with the environment and society. All conflicts are resolved and all knowledge and understanding are sequential and rooted. Islam is not static by a dynamic propelling force founded on the bond and linkage with the Transcendant force utilizing Transcendent universal knowledge strength, freedom in absolute form and abundant measures.

Let all Believers not be deceived by the black poison of those evil forces, Let us be aware lest they beguile us. "Our lord, Let not our hearts deviate now, after thou hast guided us, but grant us mercy, grant us guidance, grant us knowledge, grant us Light from Thine Presence, for Thou art the Grantor of bounties."

dignity. The role of divine guidance as the sole source of value is to provide mankind with the formula that suits his nature and the nature of the universe around him. "Tawhid" is the nucleus of man's commitment and submission to Allah, recognizing no authority except that of Allah and accepting no guidance other than that from Allah. The recognition of no authority except that of Allah is the fountain of real freedom and emancipation, it is also the source of strength and confidence, it is also the alphabet of knowledge and wisdom, it is also the soil of justice and equality. The acceptance of no guidance other than that from Allah is the positive commitment to the divine system, law, code "Shariah" of Allah as the only really totally suitable for man's life to attain welfare and success in this life and in the Hereafter. It is a divine system, founded on logic scientific bases, conforming with man's physic, and psychology, it is given to man from the Creator of man.

Those who reject "Tawhid" and those who antagonize the Shariah are the misguided the followers of diabolism, satanism and human demonism. They subject their minds and intellects to become the tools of wickedness and evil; they enslave their abilities to serve the forces of drakness, distortion, vice, perversion, corrpution, falsification, obscenity and evil. They worship false gods under the guise of capatalism, communism, Existen tialism, Zionism, Masonism and all the odd eccentric patterns of the errors of the human mind. they are the pagans of modern times, the idolaters of secularism, the founders and propagators of human infamy and disaster. They protect and provide erroneous logic and spurious justification to achieve their objective. This objective is to induce doubt and agnosticism in the minds of the human society, to produce a condition of human mental detachment with the reality of the Transcendent, with the Creator, with Allah.

Man is the main creation in this universe. There are various theories which deal with the functions, responsibilities, accountabilities, desires and aspirations of man in this life; his inter-relations with nature and environment, his social behavior and psychological patterns, his equilibrium amidst the infinite ocean of human existance, his temprements and concerns. All the theeories put forward have failed to command universal acceptance; from Plato, Aristotle, Ibn Khaldun, Freud, Gardiner and others; man showed escapism from all the

Such arguments are unfounded; scientific knowledge as known in modern ages is the creation from Allah, the Creator, the Transcendent that revealed the Holy Quran and gave knowledge to the Prophet to formulate the guidance and the code for humanity. The Holy Quran and the Sunna have been very precisely interpreted and implemented with unparalleled success at times in history to prove prosperity and goodness to the human race.

Islam is a specific system of belief, worship, and a code for a way of life, behavior and conduct. It completely encompasses the material and also spirital elements of mankind. It claims a universal following with a social order of structure composed from the doctrines of Allah, the Creator. Islam advances an integrated system, a unique ideology of moral, cultural, political and ecnomic principles. It is not mundane or purely theological issues of religious dogmas, but it is a subtle expansive practical, very optimized and scientific.

Islam aims to attain social human goodness, excellence, equality, justice, true freedom and spiritual elevation. This lost quality is the essence of human correctness. All those who shriek and shout, all those who critisize, all those who oppose and antogonise, all those who dwell in the mirage of false knowledge, all are devoid of spiritual clarity, transparency of understanding and are without the facility of perception and true comprehension. They are prisoners of their own haughty ignorance, and slaves to a dictated man-made equivocal ideology to which they become idolaters. They speak of freedom and they practice no freedom but despotic fascism; they speak of human rights which they themselves destroy and devilishly exploit.

Communism, Imperialism, Masonism, Zionism and the various other similar groups that deny the spiritual element of human nature are all in coalition against the belief in Allah the Creator, against the belief in the Transcendant Divinity, against "Tawhid". "Tawhid" is the essence of all faiths, and is the cornerstone and fountainhead of the Islamic faith. "Tawhid" is the concept and process for the transformation, culture and civilization of the human race and restoration of human

against Islam is self evident. Islam with its unique teachings, its infallible Quran, ubiquity of "Shariah", and its attainment of human excellence, virtue and honour was and will remain the solid bastion of human virtue and authentic reality and truth. Islam is preserved by Divine care, no power or force can touch a molecule of its structure; what is happening among the human race is only a test of stability, genuine belief, and "yaquin". Since the birth of faith and belief, such forces have existed. At the time of the Prophet (prayers and peace be upon him) the activity of the Hypocrites is well documented. These evil forces of human elements change their mask, their mechanism of function, their devious dishonest logogram to suit a certain purpose of evil at a certain time of history at a certain place. The trend nowadays is to defame Islamic personalities and undermine and shake the belief of the Islamic public in the text of the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). However, the Holy Revelation warns specifically of such actions.

> "And this He commands, Judge thou between them by what Allah hath revealed, and follow not their vain desires; and beware of them lest they beguile thee from any of the teachings which Allah hath revealed to thee ....".
>
> (Surat Al-Maidah, V, 49).

The current trend which these forces adopt is the frenzy avalanche attack against the implementation of the Islamic Shariah as a constitution of government. They develop and advance various false difficulties originating basically from their vile intentions, and secondly from their blank ignorance of the Islamic "Shariah" Some of them are stallions for an evil driver, and as belligerent gladiators imposing their stumpy secular knowledge to question, criticize, defame and with insolent insurgence denounce and condemn the Islamic faith as quoted from the Holy Quran and the Honourable Sunna. They go to the extent of emphasizing the impossibility of implementing the Quran and the sunna in what they claim to be modern age of knowledge and secular science . At other times, the argument is raised that the Holy Quran and the Honourable Sunna cannot be well interpreted to be a suitable source of governmental constitution.

BEWARE OF THEM LEST THEY BEGUILE THEE

By : Magdi Abdel Hameed Basheer

In a previous article under the same title, consideration was given that certain evil rooted groups find liberty among human communities to propagate evil philosophy and satanic thoughts. Their prime aim is to antagonise sound logic and genuine faith wherever that exists. These evil rooted groups take various names, guise behind political trends, and various philosophies, and plant rancor, deception and misguidance in the minds of the human race. Communism, Masonism, Bahaism, Zionism are all various embodements of the same evil.

The sequential outcome of world history showed that these forces have an inherent stringent hatred to Islam. By careful planning and organization, they aim at defaming and undermining the Islamic creed. In their logistics, they develop a mastery of twisting and diffusing facts to render the clear dimensions of any issue sink into the depths of nothingness. The members of these groups belong to various nationalities and ethnic backgrounds, and may belong also to various faiths, judaism, christianity and Islam. They, however, become devoid of any loyalty or sympathy of belonging to any nationality or religion They become esentially empty of all reality and fertility to achieve prosperity and human goodness. Behind the facade of humanity, brotherhood, human rights, the support of proletarian, and freedom; they conceal the ugly face of disbelief, heresy, immorality, corruption, and social turpitude. They are very skilled at rhetorical public address and demagogue; and are also very clever at distorting and doubting personal conversations. Behind the mask of friendship, brotherhood, and humanity; they are very poisonously critical of everything. They essentially constitute the evil forces of the human race, "the human devils" to spread demonism by all means and processes among the human race.

The existing and chronic hatred of these satanic groups

grave, for verily they disbelieved in Allah and His Messenger and died in their iniquity".

(Surat Al-Tawbah, IX,84).

According to other traditions, however, this verse had been already revealed immediately after the return from Tabouk and was no longer applicable to Ibn Ubii. The state of soul in which Ibn Ubii died was not known for certain, however, it was possible that the imminence of death had changed him. On his death bed, Ibn Ubii asked the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to give him a garment of his own in which he could be shrouded, and to accompany his body to the grave, and to pray Allah for his forgiveness. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did as he had promised. The son of the dead man Abdullah Ibn Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool the truely devout muslim was present throughout all these occasions.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

them from demolishing their idols with their own hands; and deputized Al-Mughirah Ibn Shubah to return with the delegation to destroy Al-Lat, taking with him Abu Sufyan Ibn Harb from Macca ao assist him.

The delegation entered Islam and fasted the remainder of the month of Ramadan at Al-Madinah and then returned to Al-Taif accompained by Al-Mughirah, Abu Sufyan joined the party in Macca. The youngest member of the delegation Osman Ibn Abi Al-Aas was the most knowledgable in Islam and Quran and was therefore commissioned as their Imam. At Al-Taif Al-Mughirah single handed destroyed the idol Al-Lat amidst the lamentations of a multitude of women who bewailed the loss of the idol. The city of Al-Taif and the Thaquif tribe finally submitted to Islam and with that the whole western region of the Arab Peninsula "the Hijaz" was under the banner of Islam from the Syrian Bezantine borders north to the borders of Yemen south. Many tribes from all over the Arab Peninsula sent envoys to Al-Madinah to declare Islam and proclaim fealty and allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The nineth year of Hijrah had been called the "year of deputations".

Abu Amer Al-Rahib the militant enemy of Islam was taking refuge in Al-Taif since he left Macca when the Muslims marched on the city. When Al-Taif gave in to Isalm, Abu Amer fled to Syria, and it was there that he died" a fugitive, lonely, despondent and homeless" thus fulfilling the curse he had unwittingly laid upon himself.

Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool the cousin of Abu Amer and the head of the hypocrites at Al-Madinah, fell seriously ill during the month of Shabaan of the nineth year of Hijrah. By the month of Zu Al-Quida of the same year, it was clear that he was dying. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited Ibn Ubii during his sickness, and led the funeral prayer beside the grave when he had been burried. Not long afterwards the verse was revealed with reference to the hypocrites.

> "And never pray the funeral prayer over one of them who dieth, nor stand beside his

Urwah Ibn Massour was at the time of the siege abcent at Yemen. When he returned to Al-Taif, he closely watched and recognized the growing influence of the Muslim State, and through his inherent wisdom, realized the truth of the new creed of Islam. He went to Al-Madinah, proclaimed Islam and returned to his tribe of the Taquif to summon them to enter Islam. They refused and finally killed him. This incidence made the tribes around the Thaquif highly repungent and antagonistic to the Taquif, which resulted in insecurity of graze pastures and routes of trade convoys of the Thaquif tribe.

Like the return from the battle of Great Badre, the return from the expedition of Tabouk during the month of Ramadan of the Nineth year of Hijrah was fraught with sadness. Another daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), Um kulthum had died during the absence of her husband Osman Ibn Affan with the expedition in Tabouk.

During the same month of Ramadan, the tribe of the Thaquif from Al-Taif finally decided to send delegates to Al-Madinah to discuss peace terms with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to consider asking for certain dispensations if they were to enter Islam. They were very arrogant militant tribe who had previously killed one of their chieftains Ibn Mossoud for embracing Islam. They were hospitably received at Al-Madinah and a tent was pitched for them not far from the Mosque. Khalid Ibn Said Ibn Al-Aas was commissioned to act as intermediary spokesman between them and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

It followed as a matter of course that if they entered Islam their territory would be under the protection of the Islamic State. they requested that their idol of worship Al-Lat be kept undestroyed for three years, and when refused, they asked for two then for one year and then for a month's respite which was also refused. They finally begged not to make them destroy Al-Lat with their own hands. They further requested sanction not to perform the canonical five daily prayers. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) insisted that they should pray; saying "There is no good in a religion that has no doctrinal prayer. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him), however, agreed to excuse

except to Him. Thereafter, He relented towards them that they might repent. Verily Allah is Ever-Relenting the Merciful"
(Surat Al-Tanwbab, IX,117-118).

The congregation rejoiced, and some hastened from the Mosque to inform the three men of the Prophet's announcement that Allah had accepted their repentance. The story of the three men is extensively related in the books of Sira and the books of Hadith as narrated by Kaab Ibn Malik himself, the youngest of the three.

Some authoritative authors classify those who did not join the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in the expedition of Tabouk into four classes of people. The first group included those who were instructed to stay to administer certain functions specified by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); this group included Aly Ibn Abi Taleb, Muhammad Ibn Maslamah, Abdullah Ibn Um Maktoom and few others. The second group were those with true genuine excuses as the prostrate, the old, the sick, and the weepers who wept when there were no mounts available to carry them and who were too poor to afford the price of mounts. The third group included the three who were truthful and made sincere repentance, and the seven who chained themselves to the pillars at the Mosque. The fourth group were the vicious hypocrites who really deserved the wrath of Allah.

The completion of the expedition to Tabouk had great repercussions all over the whole Arab Peninsula. All the Arab tribes had entered Islam or were seriously considering this matter. The diffusion of Islam all over the Peninsula had certainly been established, and the tribal clans were making preparations to unite with the Islamic State at Al-Madinah by sending envoys and delegations to Al-Madinah to proclaim their fealty and allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to Islam.

Among the first to consider the allegiance with Islam was the tribe of the Thaquif whom the Muslims had besieged at Al-Taif after the battle of Hunayn. The siege was lifted without the surrender of Al-Taif. One of their chieftains

them, and pray thou for them. Verily thy proyer is a salace for them, and Allah is Hearing Knowing".

(Surat Al-Tawbah, IX,102-103).

These men were weak and succumbed to the evil temptation of staying behind without excuse, although there was good in them. To these men was held out the promise of forgiveness if they repented and took up all acts of charity to purify their souls aided by the prayers of Allah's Messenger for their solace.

Among those who with no excuse could not drive themselves with enough enthusiasm and eagrness to join the expedition were Kaab Ibn Malik, Mararah Ibn Rabie and Hilal Ibn Umayah. These men were known to be devout staunch Muslims, and their absence from the expedition to Tabouk was a surprise to all and subject to enquiry. Facing the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), they proffered no excuses, but admitted their wrong doing with blunt truthfulness. They were ordered to wait until Allah would decide their case; and to remain as outcasts with no body to speak to them. Again they were ordered to avoid their wives. Certainly these men were very severely tested and acridly challenged as to the authenticity of their faith.

For fifty days they lived in acrimonous tightness and after the dawn prayer of the fiftieth day, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) annonunced in the Mosque that Allah has relented to them. In the word of the Holy Revelation:-

"Assured has Allah relented towards the Prophet, and the Muhajereen, and the Ansars who followed him at the hour of distress; after the hearts of a party of them had nearly swerved aside; and He then relented to them, for He is unto themm most clement, Merciful.

"And He relented also towards the three who were left behind until when the earth for all its vastness was straitened for them, and their souls were straitened; and they perceived that there was no refuge from Allah

Never stand thou forth therein. Surely a mosque built from the first day on piety is more worthy that thou shouldst stand therein. In it are men who love to purify themselves and Allah loveth the pure".
(Surat Al-Tawbah, IX,107,108).

The connotation of " a mosque built from the first day on piety " refers to the Mosque of Qubaa and the Prophet's Mosque at Al-Madinah. In a more general scence, it refers to any Mosque built on piety, where purity of heart, mind, soul and body is fundamental to a true Muslim. With this Revelation, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not pray in the mosque and instructed Malek Ibn Al-Dukhshom, Maen Ibn Adii and Assem Ibn Adii to burn down that false mosque of "Dhirar". By this ends the story of this building originally intended to falsify truth, scheme against Muslims, and act as a centre of hypocrite activity. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) realized that the dangers of hypocrite activity were now more effective due to the spread of Islam among most tribes in the Arab Peninsula Such new converts into Islam were easy subjects deceived to be by hypocrite influence. It was important therefore to expose the real intentions of the hypocrites and antidote their poison.

After the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) settled at Al-Madinah, the matter of those who had not taken part in the expedition of Tabouk came to the stage of events. The hypocrites among these fall-outs went to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to present various false untrue excuses which were accepted while being clearly reminded that Allah knew their most secret thoughts. These numbered eighty men. Another group of seven men who were honest Muslims chained themselves to the pillars of the mosque in repentance and refused to be unchained untill Allah decreed a judgement. In this respect, the Revelation of the Holy Quran states.

"And others hae confessed their faults, they have mixed-up a righteous deed with another vieious. Perchance Allah is to relent fowards them. Verily Allah forgiving, Merciful. Take thou almo of their riches, thereby thou wilt cleanse them and purify

AFTER TABOUK

By : Dr.Anas Moustafa El. Maggav Md, Phd.

In the name of Allah most Gracious and most Merciful.

The muslim army reached a place called Zi Awan on the outskirts of Al-Madinah on its way back from Tabouk. At this place, a group of hypocrites had built a mosque similar to that the muslims had built at Qubaa at the time of the Hijrah. These men were Khizam Ibn Khalid, Mutaab Ibn Qushayr, Thalaba Ibn Hatib and several others. This mosque was built on the request of Abu Amer Al-Rahib a militant enemy to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), to become a centre of hypocrite activity against Islam. In order to confirm the apparent nature of the mosque as a place of Muslim worship, the hypocrites asked the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to perform prayer "Salat" in that mosque. This request came as the expedition to Tabouk was starting; and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) apologized and postponed the matter until the return from Tabouk, if Allah willed.

As the Muslim army reached Zi Awan where that mosque of "Dhirar" was built, the hypocrites requested from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to bless the mosque by performing prayers in it. This time the Holy Revelation revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) the true nature of the mosque of "Dhirar" with instructions not to perform prayers in that mosque. The Holy Quran in this context states:

> "And there are those who put up a mosque by way of mischief and infidelity, to disunite the believers and in preparation for one who warred against Allah and His Messenger beforetime. They will indeed swear that their intention is nothing but good; but Allah doth declare that they are certainly liars.

Al-Azhar Magazine

English Section

Safar, 1407

Vol., 59, Part II

Contents

1. After Tabouk

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

2. Beware of them lest they beguile thee.

By: Magdi Abel-Hameed Basheer.

3. Family Constitution in Islam.

By: Dr. Abdel Halim Hifney Bakry.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Mohamad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

م ١٢٨
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

• صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الميلاد .. والأمل .. والقضاء

حكمة النبوة يختار الله ـ جل علاه ـ لها من يشاء ، ويؤتيها من يشاء ؛ فليس لبشر أن يُعِدَّ نبيا ، ولا لِعِلْمِ بَشَر أن يبلغ حكمة الأنبياء .

لكن الأمانى أحلام تُدير الرءوس ، وتُسكر العقول :

سأل خليفة بن عَبْدَةَ المِنْقَرى محمَد بن عدى بن ربيعة بن سَوَاءةَ بن جُشَم بن سعد المنقرى ـ رضى الله عنهما ـ : « كيف سَمَّاك أبوك فى الجاهلية محمدا » ؟

قال محمد : أما أنى سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال :

خرجت رابع أربعة من تميم : أنا أحدهم وسفيان بن مُجَاشع ، ويزيد بن عَمرو ابن حُرقوص بن مازن ، وأسامة بن مالك ابن جُندب بن العنبر

● الجزء الثالث ●
● السنة التاسعة والخمسون ●
● ربيع الأول ١٤٠٧ هـ ●
● نوفمبر ١٩٨٦ م ●

ـ نريد ابن جفنة الغسّاني بالشام ، فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير عليه سمرات ، وقربه قائم الدَّيراني ؛ فقلنا: لو اغتسلنا من هذا الماء وادّهنا ولبسنا ثيابنا ثم أتينا صاحبنا !! ففعلنا ، فأشرف علينا الدَّيْراني ، فقال :

إن هذه لَلُغَةُ قوم ماهي بلغة أهل هذا البلد !

قلنا : نعم ، نحن قوم من مضر !

قال : من أى المضائر ؟ قلنا : من خِندف

فقال : أما إنه سيبعث منكم وشيكا نبيٌّ ، فسارعوا إليه ، وخذوا حظكم منه تَرْشُدُوا ؛ فإنه خاتم النبيين !

فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد .!

فلما انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل منا غلام فسماه محمداً تأميلا أن يكون ابنه ذلك النبي المبعوث »

وفى الحق :

لقد كان أهل الكتاب يتحدثون عن ظهور النبى الخاتم ، وانتشرت هجرتهم إلى قلب الجزيرة العربية لعلمهم أن البعث وشيك ، وأنه فى هذه المنطقة ، معتقدين أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لابد أن يكون منهم ، مطمئنين لذلك كل الاطمئنان ، فها هى النبوة المرسلة توالت فى ذرية إسحاق بن إبراهيم ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ، منذ أكثر من عشرين قرنا فلم لا تستمر وتطاولوا يهددون العرب ويستفتحون عليهم به « وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » . البقرة (٨٩) .

وتاريخ انتشار بعث النبي الخاتم قديم ، يضرب فى تليد الزمن إلى أكثر من قرن ونصف من قبل الإسلام ، ولعله كَثُرَ ـ فقط ـ فى الجاهلية الأخيرة التى قضى عليها الإسلام .

عندما صارت دعوى أهل الكتاب أكثر إلحاحاً وأشد تهديداً.فإنَّ ثَمَّةَ أثراً يدل على وجود التسمية معاصرة لامرىء القيس بدليل ملحمة بينه وبين : « محمد بن حُمْران بن أبى حُمْران الْجُعْفِى » وقد لقبه امرؤ القيس ـ فى خصومته له ـ بـ« الشويعر » فقال ـ يهجوه :

بَلِغَــا عَنِّـى الشـويـعـر أنـىّ عمـدَ عـينٍ حَللتهن حَـريمـا

وكان محمد بن حمران شاعراً ، وقد نال من امرىء القيس نيلا شديداً ، إذ يقول :

وقـالـوا : هجـوت ، ولم أهْجُـه وهـل يَجِدَنْ فيـك هاج مـرامـا

ويذكر أبو جعفر : محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى البغدادى ـ فى كتابه : « الْمُحَبَّر » ـ الْمُسَمَّيْن بـ« محمد » فى الجاهلية أملا أن يكونُوهُ فَعَدَّ :

---

(١) جاءت رواية اللسان ـ مادة حمد :

بلـغـا عنـى الشـويـعـر أنـى عمـد عـينٍ بكيتُـهُـنَّ حَـرِيمـا

و(حريم)اسم رجل . اهـ

«محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الدارمى .
ومحمد بن البراء بن طريف بن عُتْواره بن عامر بن ليث الكنانى .
ومحمد بن خُزَاعى بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج السلمى
ومحمد بن حمران بن مالك الجعفى .... صاحب امرىء القيس .
ومحمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجلاح الأوسى من بنى جحْجَبَى .
ومحمد بن مسلمة الأنصارى أخو بنى حارثة .
ومحمد بن الجِرْماز بن مالك بن عَمرو بن تميم». اهـ

وعبارة ابن حبيب - رضى الله عنه - دقيقة؛ إذْ لم تسجل حصراً كما فعل « صاحب اللسان » الذى قال :« ومن سُمِّىَ فى الجاهلية بـ(محمد) سبعة » فأوقع الحصر فيمن ذكرهم ابن حبيب - رضى الله عنهما .

ومما يجدر التنبيه إليه - بصدد هذه المسائل وأشباهها - أنها أمور لا يتعلق بها حصر ، ولا تبلغها دقة ، فالقوم - حينئذ - أميون ، وتاريخهم يتناقلونه روايات ؛ فإن علق بأحدهم حادث فدار حوله القيل والقال وتناوله الشعراء عاش فى الذاكرة ، وإلا اندثر ، فالأسلم التجاوز عن القول بالحصر ، وكذلك عن القول : بأن (فلانا) بعينه كان أوَّلَ من سُمِّىَ محمداً ؛ فلا يعلم ذلك إلا الله - جل علاه .

لقد ذهب « ابن منظور » إلى حصرهم فى سبعة أشخاص ، كذلك ذهب إلى الحصر - بوجه ما - الإمام السهيلى - فى الروض الأُنُف - إذ ذكر : « أنه لا يعرف فى العرب من سُمِّىَ (محمداً) قبل النبى - ﷺ - إلا ثلاثة ، فذكر فيهم : محمد بن أحيحة ، ومعه محمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حُمران . وسبقه إلى هذا الحصر (الحسن بن خالويه) فى كتاب (ليس) وقد تعقبه مغلطاى فأبلغ » اهـ .

ولنتجاوز الحصر إلى ما وقع بأيدى المحققين وبخاصة ابن الأثير - صاحب (أسد الغابة) ، وابن حجر صاحب (الإصابة) لنرى أن الأمر أوسع مما تقدم ، فهذا :

(١) محمد بن عدى بن ربيعة الذى روى له أبوه (سر التسمية) ، وقد رجح ابن حجر إسلامه ، وترجم له فى الإصابة برقم (٧٧٨٧) ، وفى أسد الغابة ترجم له ابن الأثير برقم (٤٧٤٨) .

(٢) محمد بن الحارث بن حُدَيج أَحَدُ من سُمِّىَ فى الجاهلية وترجمتة بالإصابة رقم (٨٣٦٦) .

(٣) ومحمد بن أسامة بن مالك بن جندب بن العنبر ، ووالده أحد الأربعة المذكورين فيمن قصدوا ابن جفنَة ، ترجم له ابن حجر برقم (٨٤٩٣) .

(٤) محمد بن أسامة بن مالك بن جندب - والده أحد الأربعة ، ترجم له ابن حجر برقم (٨٤٩٣) ، وقال : مات قبل البعثة .

(٥) محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة بن حُرقوص ـ والده ثالث الأربعة المتقدمين لابن جفنة ، ترجم له ابن حجر برقم (٨٥٣٣) ، ولم يذكر شيئاً عن صحبته ، فكأنه كسابقه ابن أسامة .

(٦) محمد الأسدى برقم (٨٥٣٤) .

(٧) محمد الفُقَيْمى برقم (٨٥٣٧) .

ثم لا يعلم الغيب إلا الله .

وجدير بالذكر أن بعض من سُمِّىَ (محمداً) فى الجاهلية الأخيرة أسلم مثل : محمد بن مسلمة بن خالد بن عدى الخزرجى ـ رضى الله عنه ـ فهو مثل محمد بن عدى ابن ربيعة المتقدم ذكره ، وابن مسلمة ـ رضى الله عنه ـ ولد قبل البعثة بنحو عشرين سنة ، وأسلم قديما على يدى مصعب بن عمير ـ رضى الله عنهم ـ ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ وكان سفير عمر ـ رضى الله عنهما ـ المتجول إلى عُمَّاله للتفتيش عليهم ، قال فيه حذيفة بن اليمان :

« إنى لَأَعْلَمْ رجلا لا تضره الفتنة : محمد بن مسلمة »

ترجم له ابن الأثير برقم (٤٧٦١) وابن حجر برقم (٧٨٠٠) .

وليتم لهذا البحث حقه ينبغى أن أشير إلى التوصية الآتية ؟ فأقول :

إن كثيراً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ورضى الله عنهم حمل هذا الاسم الكريم ، ولم يُعْلَمْ ـ بقول فَصْل : هل نشأ فى الإسلام ، أم اعتنقه تاركاً للوثنية ، أعنى ـ بوضوح : هل هو مخضرم من حيث هذا الاسم الكريم فعاش به جاهلية وإسلاما . أم لا .. ؟ **ثم بعد :**

فقد تبخرت أحلام المتربصين الذين أسرعوا إلى هذا الاسم الكريم رجاء النبوة ، ولم يكن إلا أمر الله الذى يؤتى الحكمة من يشاء ، فهو ـ جلا علاه ـ الذى اختار سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ـ ليكون هو محمداً الخاتم ﷺ .

ولم يكن يبدو لأحد ، ولا للبيت الهاشمى نفسه أن النبوة ستشرق فيهم ، وأن آمنة بنت وهب فازت بالحمل العظيم الذى اهتز لولادته عرش كسرى وخمدت نيرانه ، وازدان الكون لمولده ، وعاش فى الناس إلى أبد الآبدين .

د. على أحمد الخطيب

المراجــــع :

أسد الغابة لابن الأثير طبع الشعب ـ الجزء الخامس .

الإصابة لابن حجر طبع مكتبة الكليات الأزهرية ـ التاسع والعاشر .

المحبر لابن حبيب البغدادى ـ دار الآفاق الجديدة بيروت .

لسان العرب مادة حمد .

مع الإمام الأكبر

والد الهدى

واقع الأمة الإسلامية

وُلِدَ الهُدى

هذا الانسان خليفة الله في أرضه : تتابعت أجياله ، وتشعبت قبائله ، وإنه ليطغى أن رآه استغنى ، ثم يجأر ويلوذ خاشعا خاضعا منيبا حين تقف به مواهبه ومآربه ، وتنسد في وجهه الطرق والفرج ، ويضل ويزل حين تستعبده شهواته ونزواته ؛ إلا من رحم الله سبحانه الذي تعهد الانسان بالهداية عصمة له من الغواية ؛ بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين يبلغون رسالات الخالق إلى هذا الانسان ليستقيم على طريق الله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى . حتى إذا كثر جحوده لخالقه ، وسادت حيوانيته ؛ وصارت حياته ظلما ، وظهر الفساد في الأرض بما كسبت أيدى الناس ؛ كانت رحمة الله وغوثه لهذا الانسان ، وكان أن : ولد الهدى فالكائنات ضياء : فهو ـ ﷺ ـ : الحقيقة الكبرى للانسانية المستخلفة في الأرض ، تستمد الأجيال المتعاقبة من هديه نورا يضيء لها آفاق الحياة « وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ .. سورة النمل ـ آية ـ ٩٣ ـ

في ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ نذكر أن الله قد أكرم به الانسانية حيث جعله نورا يهتدي به ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . سورة المائدة ـ آية ـ ١٥ ، ١٦ ـ

أدبه الله وعلمه كيف يتعامل مع خلائق الانسانية المتغايرة بل والمتنافرة ، فأنزل عليه قوله :
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . سورة الأعراف ـ آية ـ ١٩٩ .

سُموًّا برسول الله ﷺ عن عثرات الناس ، وقصور معارفهم وإدراكهم لتعظيم قدره ، وعلو منزلته ، حيث كان من سمة العظماء أن ينأوْا عن الصغار والصغائر وأن تبرز خصائص النفوس الزاكية عند جهل الجاهلين .

هذا النبي الذي حباه ربه بنعمه ، ففضله على جميع خلقه ، وكرمه وأكرمه بميزات لم يعطها غيره من الأنبياء والرسل ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ ، وبما لاطفه به وواساه ، وامتدحه وأثنى عليه ، وبما كمل به محاسنه خَلْقا وخُلُقا ، وبما أضفاه عليه من أسمائه :
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حرِيص عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . سورة التوبة ـ آية ١٢٨ .

وقد جعله الله أمانا لأمته . ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . سورة الانفال ـ آية ٣٣ .

ولقد تكفل الله بحفظه وحمايته ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ سورة المائدة ـ آية ٦٧ ـ كما تكفل بحفظ دينه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . سورة الحجر آية ـ ٩ ـ

نعم : كرمه الله وأكرمه : فلم يخاطبه باسمه كما خاطب السابقين من الرسل ؛ بل قال الله فى خطابه : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ . سورة المائدة ـ آية ٦٧ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ . سورة الانفال ـ آية ٦٤ ـ آيات كثيرات تعطى كرامته وتكريمه من الله ، بينما قال الله لغيره من الأنبياء ﴿ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا ﴾ سورة هود ـ آية ـ ٤٨ ـ ﴿ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللهُ ﴾ . سورة القصص ـ آية ٣٠

وأدب الله فى قرآنه أمته في الحديث معه وعنه تشريفا وتوقيرا ، واحتراما له وتقديرا فقال : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ .. سورة النور ـ آية ٦٣ ـ ونهى عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ فقال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمنوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْض أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . سورة الحجرات ـ ٢ : ٥ ـ

ذلك حكم الله وتأديبه فما بال بعض الناس في هذا العصر يغفلون عن هذا الأدب القرآني مع الرسول ﷺ ، حتى استباحوا ذكر اسمه الشريف مجردا من لقب الرسالة والنبوة ، وما بالهم قد رفعوا أصواتهم ، وأطلقوا ألسنتهم ، وشرعوا أسنتهم يغتالون سنته ويغتابون سيرته ، وينكرون ما ثبت ، ويصرفون المسلمين عن الأسوة به والاستمساك بدينه .. ما بال هؤلاء يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، ويتنادون بهجر السنة والسيرة والتشكيك فيهما ، وما بال بعض الصحف والمجلات قد سودت صحائفها بترويج هذا الافك والبهتان يلبسون الحق بالباطل ألا فليعلموا أنهم مسئولون عن حصائد ألسنتهم وأقلامهم و ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ سورة الفجر ـ آية ١٤ ـ

البقية ص ٣٣٧

واقع الأمة الإسلامية المعاصر

في حوار مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

على[1] مدى اكثر من الف وأربعين سنة خلت من الزمن قام الأزهر الشريف بدور عظيم في خدمة الاسلام والمسلمين ، وإعلاء راية التوحيد ..

ومن الأزهر خرج رجال غيروا وجه الحياة المعاصرة ، ورفعوا لواء العدالة ، ولا يزال الأزهر الشريف ـ على العهد به ـ الكعبة العلمية التي تشد إليها الرحال

والأزهر بماضيه المشرق يعايش كل صغيرة وكبيرة تمر بها الأمة الإسلامية وإذا كان حاضر الأمة الإسلامية يحوى المتناقضات ، وينم عن اضطراب شديد ، وخلل في موازين عديدة فهناك جوانب أخرى مشرقة تحتاج إلى دعمها للوصول من خلالها إلى تحقيق عزة المسلمين وقوتهم ، وسيادتهم .

ومن هنا كانت الانطلاقة لبدء الحوار مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

○○ قلت للإمام الأكبر شيخ الأزهر :

يعيش المسلمون في الحاضر صحوة إسلامية تتجلى في المطالبة بالأخذ بالحل الإسلامي للقضاء على المشكلات التى تراكمت نتيجة الانغماس في العمل بالمذاهب الوضعية .. فما الطريق إلى استمرارية هذه الصحوة ؟

■ **يقول فضيلته :**

ـ الإصلاح يبدأ دائماً بالتعرف على مواطن العلة .. شأننا في ذلك شأن الطبيب الذى يجتهد في علاج مريضه ، فهو قبل أن يصف الدواء لابد له من التعرف على مواطن الداء .

وهكذا ينبغى أن يكون قادة الصحوة الاسلامية في مستوى معرفى يتيح لهم الوقوف على أدواء المسلمين ، ومن ثم التوجه نحو علاجها ، وتخليص المجتمعات الإسلامية منها .

ولعل أبرز أدواء المسلمين المعاصرة هى الفرقة والتمزق والخلافات التى تطفو على سطح العلاقات في العالم الإسلامى بين الحين والحين .. وهى خلافات ليست عميقة الجذور في نفوس الناس ، فالأمة الإسلامية ـ والحمد

---

(١) عن الوعي الإسلامي ـ العدد ٢٦٥

أجرى الحوار
محمد الدسوقى محمد

لله ـ بخير ، وترعى فيما بينها ـ إلى حد كبير ـ قول الله تعالى : « **اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** » . والمسلمون فى الحاضر بخير ، ذلك أنهم يقومون بفروض دينهم وشعائره فى حدود الاستطاعة بعد أن انتهت ـ فى الغالب ـ حالة التبعية للدول الاستعمارية . تلك التبعية التى أثقلت كاهل المسلمين بالمشكلات ، وضاعفت آلامهم زمناً طويلاً .

غير أن هذا الاستعمار ما زال مسيطراً فكرياً على الأمم أو الشعوب الإسلامية ، وقد كان المستعمرون متفاوتين فى درجة السيطرة الفكرية لكنهم تركوا أثراً سيئاً يتمثل فى وجود مدارس ثقافية متعددة فى العالم الإسلامى .. وهى كلها مدارس وضعية لا تتلاقى مع القيم والمبادىء الاسلامية السامية .

وهذا هو الذى أحدث هذه الفرقة الفكرية ، بل والفرقة السياسية أيضاً ، فإذا أردنا لهذه الصحوة ـ التى لا جدال فى أنها واقع ـ أن تستمر رشيدة ، وأن نصل من خلالها إلى الغاية الكبرى فى تحقيق قوة المسلمين ، وعزتهم ، وسيادتهم فلابد من العمل المخلص والجاد من أجل تنقية الصفوف ، واستقامتها .

ولابد من الالتقاء على قدر كبير ومشترك من الفكر فى المجالات الحياتية المختلفة من اقتصادية ، وسياسية ، وعسكرية ، وإجتماعية ، ونحوها .. ولن يتحقق هذا الإلتقاء الفكرى فى مختلف القضايا التى تواجه المسلمين إلا بالعودة إلى المنابع الإسلامية الصافية .

إن العودة بالمسلمين إلى إسلامهم الصحيح أخذا بمنهاج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ضرورة عصرية تقتضيها الحياة الحاضرة بما حوت من أزمات ومشكلات لا خلاص منها إلا بمنهج الإسلام الحنيف .

وأؤكد أن العودة بالمسلمين إلى أصولهم الحقيقية ، ومنابعهم الصافية أمر ضرورى . ويجب أن نعمل لبلوغه تحقيقاً لمكانة الأمة الإسلامية التى جعلها الله تعالى باستمساكها بشرعه الحنيف خير أمة .. قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ آل عمران / ١١٠ .

والقواعد والأصول الإسلامية ثابتة صالحة للأخذ بها فى كل مكان ، وفى كل زمان ولا يضير المسلمين أن تكون الفروع المختلفة ، ذلك أن اختلاف الفروع وتجددها إنما هو تميز حتى تحتوى الأحكام الاسلامية كل جديد فى الحياة عن طريق خاصية « الاجتهاد » وبعمل ومثابرة العلماء والمفكرين والمجتهدين .

واستمرارية الصحوة الإسلامية تتطلب إعادة النظر فى كل ما تقدمه أجهزة الإعلام فى

ديار المسلمين ، فلابد من الإقلاع عن مجاراة ومحاكاة الإعلام غير الإسلامى فيما يقدم من مواد وبرامج تدعو إلى الإباحية والإلحاد .

تقويم اقتصاد المسلمين

○○ **وأسأل فضيلة الإمام الأكبر :**

يتخذ البعض من العلاقات الإقتصادية بين المسلمين وغير المسلمين تكأة لعرقلة التوجه الإسلامى المعاصر والحيلولة دون بلوغ المسلمين لغايتهم السامية فى الاحتكام لشرع الله ، إذ يلوحون بأن اقتصاديات المسلمين ستنهار نتيجة إنصراف غير المسلمين عن التعامل مع المسلمين على الأسس الإسلامية .. فكيف ترون هذه المزاعم ؟

■ يجيب فضيلته بقوله :

لماذا نبادر إلى الذيل ونترك الرأس ؟.. لابد أن نتوجه إلى إصلاح الرأس أولاً حتى يستقيم السلوك وليستقيم الناس فى أخلاقهم الخاصة ، ومن ثم تقوى روابط الأخوة بين المسلمين أجمعين .

نريد أن ننقى صفوفنا من المخالفات ، والمتناقضات مع أحكام الله سبحانه وتعالى على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب ثم يأتى بعد ذلك دور البحث فى المشكلات الاقتصادية المتشابكة مع غيرها لنعمل على تقويمها واستقامتها مع أحكام الدين الحنيف .

ونحن لا نفرض تحريم الربا على غيرنا ، وإنما نفرضه على أنفسنا ، ولابد من أن تكون معاملات المسلمين فيما بينهم فى نطاق شرع الله سبحانه وتعالى .

والحقيقة أن المسلمين بأيديهم أن يقضوا على مشكلاتهم وأزماتهم الاقتصادية المعاصرة متى خلصت النيات ، وقويت العزمات ، وأحسن التوجه نحو تحقيق خير المسلمين بالتكامل فيما بينهم ، فالأمة الاسلامية ـ بفضل من الله تعالى ـ تملك مقومات هذا التكامل . غير أن الخلافات والمشكلات التى يعيشها المسلمون الآن تقف حجر عثرة فى طريق تحقيق هذا التكامل الذى سيدفع حتماً بالأمة إلى مكانة رفيعة بين الأمم .

والعودة إلى أحكام الإسلام ، والعمل بشريعته لن يضر مطلقاً بالجانب الاقتصادى فى ديار الإسلام ، ويكفى لتوكيد ذلك أن نتذكر معاً أن حياة القرشيين الإقتصادية كانت تقوم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على التبادل التجارى مع القبائل المجاورة ، ومنها غير المسلمين ـ وتنزل آيات القرآن الكريم لتقضى بمنع المشركين من دخول البيت الحرام ، ومثل هذا ولد شيئاً من الخوف من انهيار الناحية الاقتصادية فى قريش لدى البعض غير أن القرآن الكريم أزال هذا الخوف وأكد أن الغنى الحقيقى إنما هو فى رضوان الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ التوبة / ٢٨ .

إن تطبيق أحكام الله تعالى يمثل الغاية السامية والكبرى التى تتبعها عزة المسلمين ، وقوتهم ، وسيادتهم .

دحض عمليات التنصير

○○ **قلت** :

العمليات التنصيرية تزداد وتشتد ضد التجمعات الإسلامية فى كثير من البلاد التى تعانى من النكبات والأزمات ، وتعيش ظروفاً غير عادية ، لدرجة أن القائمين على تلك العمليات لم يجدوا حرجاً فى أن يعلنوا أن زيارة « بابا روما » الأخيرة لعدد من دول أفريقيا كانت لإيقاف المد الإسلامى .. ترى ما واجب المسلمين فى مواجهة تلك العمليات .

■ يقول فضيلة شيخ الأزهر :

- ينبغى فى هذا المجال أن تكثف جهود القائمين على أمور الدعوة الإسلامية على المستوى العالمى المعاصر فى البلاد التى يوجه أعداء الإسلام إليها أنظارهم وجهودهم ، وعلى الدعاة أن يعملوا على إحياء روح التواصل بين الشعوب الإسلامية تحقيقاً ودعماً لروح التناصر فيما بينها لمواجهة تلك الأمور المؤلمة التى تقوم على إنتهاز الفرص ، واستغلال الأحداث الطارئة .

ومن المؤسف أن بعض الدول الأفريقية فى الحاضر يبلغ عدد المسلمين فيها نسبة عالية تمثل الأغلبية ، ومع ذلك تجدها لا وجود لها لضعفها داخلياً ، ولفرقتها شأنها فى ذلك شأن الأمة الإسلامية كلها .

والمأمول أن تنشط جهات الدعوة الإسلامية وتتكامل ، ذلك أنه لا يمكن أن تتحقق قوة المسلمين ، أو عودتهم إلى وحدتهم فى الكلمة والصف إلا إذا سار عمل الدعاة سيراً متوازياً مع المشكلات المعاصرة ، بحيث يحسن الدعاة اختيار طرق وأساليب الدعوة التى تصلح لكل قطر أو بلد أو مجتمع .

والعمل لدفع عمليات التنصير عن الشعوب الإسلامية ليس مهمة العلماء وحدهم ، فالعلماء مهمتهم تنتهى عند الكلمة لكن الحكومات لها فى هذا المجال دور كبير .. وحين أذكر أجهزة الدعوة إنما أعنى كل من يحمل العبء ويضطلع بالمسئولية تجاه نشر الإسلام وفى المقدمة الحكومات الإسلامية .

والعمليات التنصيرية كثيرة ومتعددة ولابد من مواجهتها بالعمل الجاد الحريص على الإبقاء على الخير فى النفوس الإسلامية ، ولابد من التكامل والتعاون بين مختلف المؤسسات والمنظمات الإسلامية فى هذا المجال .

أمة المسلمين واحدة

○○ **وأسأل فضيلة شيخ الأزهر** :

تعانى الأقليات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من ظلم واضطهاد السلطات غير الإسلامية لا لشىء إلا لردها عن دين الله تعالى ورغم الصيحات المستغيثة لهذه الأقليات فلا عمل للأمة الإسلامية يرفع الظلم أو ينهى الاضطهاد .. فما تعليقكم على هذا ؟

■ يجيب فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق :

- إن الإسلام الذى ندين به والقرآن الذى أنزله الله هادياً للتى هى أقوم قد جعل المسلمين أمة واحدة ، وقد حرص نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم على تأكيد أخوة المسلمين فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه أحمد .. وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » رواه الترمذى .

وهذا هو القرآن كلام الله يتلى علينا وفيه قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات / ١٠ .. وقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) آل عمران / ١٠٣ .

إن الإسلام بنى أمة متحدة ، ومجتمعا مترابطا يتواصى بالخير وبالحق وبالصبر .. ذلك المجتمع الذى وصفه رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه أحمد ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » متفق عليه .

هذه توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى ما ينبغى أن تكون عليه مسئولية الشعوب الإسلامية بعضها تجاه بعض . إذ لابد من قيام العلاقة بين هذه الشعوب مهما اختلفت لغاتها وألوانها ومواقعها على أرض الله .. ولابد أن تكون العلاقة علاقة تعارف شامل وتقارب إلى درجة الانصهار فى بوتقة واحدة حيث مثلها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد الواحد .

ومن أوليات ما ينبغى الاهتمام به بين الشعوب الإسلامية التعاون والتناصر والتعاضد للوقوف ضد أولئك الذين اتخذوا بلاد الإسلام هدفاً لغزوهم وأسلحتهم واضطهادهم ، وذلك بوصفهم مسلمين مستمسكين بقيم وتعاليم وأحكام دينهم الحنيف .

إن الأمر خطير .. ولقد آلمتنا الأنباء المفزعة عن القتل والتدمير والتشريد للمسلمين فى بلغاريا وغيرها .. تلك الأنباء التى رددتها بعض الصحف فى بلاد العرب والمسلمين على استحياء وكأن الأمر لا يعنى هذه الأمة شعوباً وحكومات وحكاماً بينما تفيض أنهار الصحف بالغث من الأخبار والحوادث .

لقد أخرست وسائل الاعلام العربية والإسلامية على اختلاف أشكالها وألسنتها ، وألوانها - إلا القليل - عن فضح هذه المخازى ونشرها على الشعوب الإسلامية بل وعلى العالم كله . بينما توافقت الصهيونية والشيوعية على القضاء على الأقليات الإسلامية تنقض عليها واحدة بعد الأخرى .

إن تصفية هذه الأقليات عار وإثم كبير يلحق بالعالم الإسلامى ، وهو مسئول عما يحدث الآن للمسلمين فى بلغاريا وغيرها من

الدول إن منظمة المؤتمر الإسلامى مسئولة مسئولية كبرى عن تحريك الشعوب الإسلامية وحكوماتها وحكامها للوقوف ضد هذه الاغتيالات الجماعية للمسلمين فى بلغاريا والفلبين وتايلند ، وجنوب أفريقيا وغيرها .. وهى مطالبة بفضح هذه الاعتداءات .

أين حقوق الإنسان وحرية العقيدة التى يتشدق بها الغرب والشرق على حد سواء ؟ أين مجلس الأمن ؟ وأين هيئات الأمم المتحدة المتخصصة وجمعيتها ؟

● إن الأزهر الشريف طالب منظمة المؤتمر الإسلامى بتحمل الأمانة بالتحرك السياسى باسم شعوب المسلمين لحماية الأقليات الإسلامية فى تلك البلاد من القتل والتشريد ، ومن تأييم النساء ، ويتم الصغار ، ومن إفساد العقيدة ، ومن الاكراه على الخروج من الإسلام بالتعذيب والتغريب والقتل .

وعلى المسلمين أن يتذكروا كيف قامت شعوب أوروبا وأمريكا بل وحكوماتها ضد إحدى دول أوروبا الشرقية حين ناهضت المسيحية والمسيحيين فيها ، وانتصرت هذه الشعوب وحكوماتها المسيحية ضد الشيوعية فهل أنتم فاعلون أيها المسلمون .

● إن النداءات تتعالى ضد التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وغيرها وأولى بالحكومات الإسلامية أن تتنادى بحماية الأقليات الإسلامية وأن تتبنى هذه القضية فى المحافل الدولية ، وهذه من أولى مهام المسلمين ، ولو أحسنت الأمة الإسلامية التوجه نحو تحقيق وحدتها وقوتها لاستطاعت أن تبسط حمايتها على المسلمين الذين يعانون من الظلم والاضطهاد على أيدى غير المسلمين .. إننا نجد أية دولة من الدول الكبرى تمد تفوذها لحماية رعاياها فى أى مكان لكن تمزق الأمة الإسلامية يحول بينها وبين تحقيق ذلك ، بل لعلى لا أبالغ حين أقول إن الأقليات الإسلامية تكتوى بنار فرقة المسلمين وخلافاتهم ففرقة المسلمين هى التى أضرت بالأقليات الإسلامية .

حماية الشباب من الغزو الفكرى

○○ **قلت** :

يتعرض الشباب المسلم لعمليات غزو فكرية متعددة تهدف إلى تذويب هويته الإسلامية وإحلال الصور البالية من التبعية الفكرية الهدامة للشرق أو الغرب محلها .. وهذا من شأنه أن يصيب الأمة الإسلامية فى شبانها الذين يمثلون الأمل والمستقبل .. فما الطريق للوصول بالشباب إلى شاطىء النجاة ؟

■ يقول الامام الأكبر فى معرض إجابته على هذا التساؤل

● المؤلم فى الحقيقة أن وسائل الأعلام فى بلاد المسلمين تبث وتنشر على الناس كل ما من شأنه أن يساعد ويساند القوى الأخري التى تروج للأفكار الفاسدة ، والآراء الوافدة على ديارنا ، والثقافات التى لا تصلح لشبابنا ، ولا تفيدنا فى شىء .. ولذا فإنه من الضرورى أن يتوجه القائمون على هذه الأجهزة إلى الأخذ بالثقافة الإسلامية لتقدم للناس ما يصلح حالهم ويدلهم على الطريق المستقيم .

وينبغى للقائمين على التعليم فى ديار الإسلام أن يعيدوا النظر على وجه السرعة فى المناهج الحاضرة لتوفير المزيد من العناية بتدريس مادة التربية الإسلامية أو الثقافة الإسلامية بحيث تكون للقرآن الكريم الدور الأعلى والأسمى فى التربية فى مختلف مراحل التعليم .

إننا حين نفعل هذا نكون قد أزلنا هذه التقلصات الفكرية الموجودة بين شبابنا والتى تظهره على أنه يعيش فراغاً دينياً شديداً .

أما تلك الجرعات البسيطة التى تعطى للطالب فى مراحل التعليم الأولى ثم تنقطع عنه فى مراحله العليا ، وفى الوقت الذى يتفتح فيه عقلياً لكل المعلومات والمعارف فإنها ليست كافية للحد من الدور المؤثر لتلك الوسائل المغرية التى تعمل لخدمة المذاهب الدخيلة على ديارنا .

ومن عجب أن المذاهب المعاصرة سواء أكانت اجتماعية ، أم سياسية ، أم اقتصادية لها نشراتها وكتبها وإذاعاتها ووسائلها الميسورة والجذابة .. فى حين نجد أن الثقافة الإسلامية غائبة لا يقوم عليها أحد ، وهذا من شأنه أن ينفر المتخصصين من العمل لها .

ووسائل الإعلام التى تملكها الدول الإسلامية - ولا أعنى دولة معينة - لا تعنى بعرض أو تقديم الثقافة الإسلامية .. اللهم إلا فى القليل من برامجها .

ومن هنا يجدر بنا أن ندعو تلك الأجهزة إلى العناية بعرض المبادىء الإسلامية بكثافة خاصة إننا فى هذا العصر ندرك يقينا ما لأجهزة الإعلام الحديثة من أثر قوى فى نفوس الناس .

لابد أن تتوجه هذه الأجهزة إلى تذكير الناس دائماً بما يصلح من شئونهم فى شتى أمور حياتهم ، وينبغى أن يتوجه المسلمون إلى الاستفادة بهذه الأجهزة لخدمة الدعوة الإسلامية ، فليس معنى نجاح أعدائنا فى استخدامها لخدمة الشر أن نرغب عن تطويعها للخير ، وإنما معناه أن نجتهد لنجعل منها أدوات ووسائل لبذر الخير ، وإصلاح شئون الناس فى الدنيا والآخرة .

ولابد أيضاً من قيام كافة الأجهزة داخل ديار المسلمين بالعمل لتنمية الإلتزام بالأخلاق والمبادىء الإسلامية لدى الشباب المسلم طواعية ، واختيارا عن طريق تجلية حقائق الدين الحنيف ، وشرح قضايا الشباب وإبراز الحلول الإسلامية الناجعة لها .

والذى لا يخفى على أحد ، ولا ينكره إلا جاحد أو مكابر أو جاهل أن حلول المشكلات العالمية المعاصرة موجودة ، وجاهزة فى الإسلام بما حوى من أحكام وقيم ومبادىء ، ذلك أن الإسلام يتميز على غيره من الديانات التى سبقته ، وعلى النظم والمذاهب والنظريات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية الحديثة والمتضاربة التى تسود العالم المعاصر ، والتى يقدمها مبتدعوها إلى العالم الإسلامى كثقافة عالية ليوقعوا الخلل فى صفوف المسلمين ، وليصرفوهم عن التماس علاج عللهم فى الدين الحنيف وفى مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

إن الإعلام الخارجى يوجه سمومه إلى الشباب المسلم باعتباره مستقبل الأمة بغية

إفراغ صدورهم من قيم الإسلام وأحكامه ، ولتحل محلها أفكار خبيثة من شأنها إحداث فرقة بين المسلمين ، وهذا يحتم أن تكون للمسلمين وقفة لمواجهة هذا كله .

الأزهر يمد يد المعاونة للجميع

○○ **قلت لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :**

برغم تعدد المنظمات والمؤسسات والجمعيات القائمة على أمر الدعوة الإسلامية فنحن نلحظ أن فكرة الغرب عن الإسلام لا تزال يشوبها بعض الخلط ، ويعتريها بعض التشويه .. فهل ترى أن هناك حاجة لتوحيد عمل تلك الجمعيات والمنظمات تحت إشراف هيئة واحدة مثل الأزهر الشريف ؟

■ يقول فضيلة الشيخ جاد الحق :

ـ نحن لا نطالب إطلاقاً بأن يفرض الأزهر نفسه على أية جهة من الجهات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية ، ولكن الأزهر دائماً يؤكد أنه يمد يد المعاونة والتكامل مع كل الجهات . ونحن نطلب الحد الأدنى الذى يمكن أن يقبل وهو التكامل بين المنظمات والمؤسسات القائمة على نشر الإسلام الحنيف .

لقد أصبنا فى عصرنا هذا بداء حب الذات ، والإعلام عنها بشتى الطرق ، فكل جهة تريد أن تعلن على الناس أنها تعمل ، وفى أحوال كثيرة يسبق الإعلان عن العمل تحقيق العمل نفسه .

ولابد فى الحاضر من التوجه نحو التكامل ـ لا مجرد التنسيق بين المنظمات والجهات القائمة على أمر الدعوة الإسلامية حتى يخرج العمل منتجاً ومثمراً فى هذا المجال .

ويتساءل الإمام الأكبر شيخ الأزهر : ماذا يضر لو عمل عالم الأزهر مع الجهة التى تستطيع أن تقدم المعونات المادية .. وبهذا نضمن وجود الكلمة مع المساعدة المادية ؟.. وماذا يضر لو قامت المؤسسات الغنية ببناء المؤسسات التعليمية فى البلاد التى تحتاج إليها ، ثم يوفد الأزهر مبعوثيه ـ على نفقته ـ لتعليم أبناء المسلمين فى هذه المؤسسات الجديدة ؟ أعتقد أن التعاون بين المنظمات القائمة على الدعوة الإسلامية لن يضر بأحد ، أو بمنظمة من المنظمات ، وإنما سيفيد فى مجال الدعوة فائدة عظيمة ما أحوجنا إلى الوصول إليها .

والأزهر يعلن ـ من خلالكم ـ استعداده التام للتعاون مع كل الجهات القائمة على أمر الدعوة الاسلامية فى شتى أنحاء العالم ، والأزهر لا يتعامل مع الحكومات وحدها ، وإنما يتعامل مع الشعوب ذاتها أيضاً ، فالجمعيات التى ترسل إلينا فى طلب مدرسين أو دعاة نرسل إليها بما يسد حاجتها ما دمنا نجد فى هذا فائدة تعود على المسلمين .

أكرر مرة أخرى .. الأزهر لا يفرض نفسه على أحد ولا هيئة أو جمعية ، ولا يطلب زعامة من نوع معين ، وإنما يطالب بضرورة التوجه نحو إيجاد تكامل بين الجهات القائمة على الدعوة الاسلامية فى سائر أنحاء العالم .

الحاجة ملحة للمعالجات الاسلامية

○○ **وأسأل فضيلة شيخ الأزهر :**

كيف ترى حاجة المجتمعات الإسلامية المعاصرة إلى القدوة القابلة للتقليد والمحاكاة والمسايرة على طريق دعم التوجه الاسلامى المعاصر ؟

■ يقول :

- فى الواقع هذا أمر على درجة كبيرة من الأهمية بعد أن أكثر الناس فى مجال الوعظ العام ، وأسهبوا فيه .. ذلك أن تقديم الممارسة العملية للناس من شأنه أن يكون أقوى فى التأثير ، ولذا أرى أن الدعاة مطالبون بأن يقدموا من أنفسهم ومن ممارساتهم نماذج عملية لما يدعون إليه من مثل عليا وأخلاق فاضلة وقيم سامية .

ونحن على مستوى الأمة - أفراداً وجماعات - علينا أن نقدم مؤسسات تلتزم بهذا الدين ، وتقدم ممارسات تبين فاعليته فى التأثير وصناعة الحياة .

هنالك مجال واسع لاقامة مؤسسات تبين فاعليته فى التأثير وصناعة الحياة .

هنالك مجال واسع لاقامة مؤسسات تقدم للناس ما يشبع حاجاتهم اليومية فى إطار إسلامى ، فعند تقديم المعالجات والحلول فى إطار إسلامى سوف يكون الأثر عظيماً فى جذب الناس للإسلام .

إن هذا الانسان الذى قامت مؤسسة إسلامية بتأمين فرصة التعليم له على أعلى المستويات ، والذى أشبعت حاجاته المادية الملحة عن طريق مؤسسات إسلامية لاشك فى أن استمساكه بالإسلام سيكون أقوى لأنه رأى القدوة فى كثير من الممارسات داخل المجتمع سواء أكانت هذه الممارسات فردية أم جماعية .

● على المسلمين أن يتيقظوا .. فالاستعمار الفكرى هو البديل الجديد للاستعمار العسكرى !!

نحن بحاجة إلى وجود القدوة على المستوى الفردى ، وبحاجة إلى مؤسسات تقدم هذا الدين فى مستوى معالجات متكاملة لواقع الحياة ، وهذا - بعون الله تعالى - سوف يقود إلى مزيد من المؤسسات ومزيد من العطاء ليلتزم المجتمع بكل قطاعاته بأحكام الشريعة الإسلامية ، ومن ثم تكون للأمة الإسلامية مكانتها التى اختصها الله تعالى بها .. قال تعالى : (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**) **آل عمران / ١١٠** .

الاسلام أمن .. وأمان

○○ كلما ذكرت الشريعة الاسلامية حلا للبعض أن يضع فى طريقها المعوقات ، ولعل أخطر ما ظهر فى الآونة الأخيرة ذلك السيل من الكتابات التى قصد منها إلى التقليل من شأن الشريعة وصد الناس عنها . فكيف ترون هذه العراقيل ؟

■ يقول الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

- أثار موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية حواراً ارتفع صوته ، وعلا صراخه ، حتى جاز أن نسميه جدلاً خرج عن الجادة ، وانحرف عن الهدف ، فصار قضية ساخنة ومثيرة

البقية ص ٣٩٧

دراسات إسلامية

محمد خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال

ابن جزي الأندلسي

محمد خاتم النبيين

ورحمة الله للعالمين

صلى الله عليه وسلم

قال تعالى « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » .. وقال سبحانه « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

البيــــــان

في صبيحة اليوم الأغر الثاني عشر من ربيع الأنور ، استقبل الزمان محيا طفل وسيم ، يسر مرآة القلوب ، ويؤنس وجهه الأرواح ، ويُقَرُّ سناه العيون .

ولم يكن في جملة مستقبلية والده عبد الله ، فقد رحل إلى ربه والحبيب في بطن أمه ، فأقبل على دنياه يتيماً ، ثم لم تلبث أمه الشابة الحسيبة النسيبة أن لحقت أباه ، فنشأ فاقد الأب ثاكل الأم ، ذلك الوليد الذي عنيناه هو محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

والأيتام عادة لا يقام لهم وزن ، ولا يهتم بتربيتهم ، وبخاصة من حرموا أمهاتهم ، فينشئون على أخلاق ليس لها ضابط ، ولا يتجهون فيها غالبا إلى الكمال ، لحرمانهم عطف الآباء ، وحرصهم على تجميل سجاياهم ، وبفقدهم حنان الأمهات وفائق رعايتهن .

لكن محمداً اليتيم لم يكن على أي نحو من الضياع والحرمان ، فإن العناية الإلهية ادَّخرته أزلا ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهادياً للعالمين ، ورافعاً لواء التوحيد والأخلاق الفاضلة بين الناس أجمعين ، فلذا كفلته بأجمل رعاية ، وربته على أكمل المناهج ، وسلكت به سبيلا من الأخلاق كامل الاستقامة ، ينتهي بصاحبه إلى تحمل أعظم التبعات فنشأ في صباه وفي شبابه على أعلى مستوى من المعايير الخلقية الفاضلة ، في صفاء النفس وطهارة الضمير وعلو الهمة وكمال السلوك ، فما حدثت منه كبوة ، ولا حدثته نفسه العظيمة بصبوة ولا بنبوة .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

طهارة أصوله

كان صاحب الذكرى العطرة رفيع الحسب ، جليل الأرومة طاهر الأصول ، إذ تبرأنسبه الشريف من سفاح الجاهلية ، ولم يعرف لوليد سواه مثل آبائه الغر الميامين ، في علو الهمة ومحاسن الشيم .

عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء »[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما »[2] .

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

اليهود كانوا يتوقعون ميلاده

كانت الكتب السماوية تبشر بقرب ميلاد رسول من بنى اسماعيل ، موطنه وادي فاران بالحجاز ، وقد جاء بتلك الكتب علاماته ، ومنها خاتم النبوة بين كتفيه ، وكان اليهود يتوقعون ظهوره في الفترة التي ولد فيها ، وكانوا أيام حروبهم مع الأوس والخزرج يستفتحون به عليهم ويتوعدونهم بأنهم سيبادرون بالايمان به ، ويقتلونهم معه قتل عاد وارم ، ولكنهم كفروا به ، وسارع الأوس والخزرج إلى الايمان به بعد حرب بُعَاث الشهيرة ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ

---

(١) الحديث من أول قوله : « خرجت من نكاح » إلى قوله .. « ولدني أبي وأمي » أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب علامات النبوة ـ باب : في كرامة أصله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعزاه للطبراني في الأوسط : عن علي . وفيه : محمد بن جعفر بن محمد بن علي ـ صحح له الحاكم في المستدرك ، وقد تكلم فيه ، وبقية رجاله ثقات . أ . هـ مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢١٤ ، طبع دار الكتاب العربي . وأخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور وفيه « ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » وعزاه لأبي عمر العدني في مسنده ، والطبراني في الأوسط وابن نعيم في الدلائل ، وابن عساكر كلهم : عن علي ـ رضى الله عنه ـ أ . هـ الدر المنثور جـ ٣ ص ٢٩٤ طبع دار المعرفة بيروت . وانظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٧٧ . طـ الشعب .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة : عن ابن عباس . أ . هـ الدر المنثور المصدر السابق .

كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » . وفي سورة البينة « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ، وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ » إلى آخر السورة وكان بحر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام ، وكان يقول : « يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم ، وهذا زمانه » رواه عبد الله بن عمرو بن العاص .

تبشير التوراة والانجيل به

جاء في الاصحاح الثامن سفر التثنية الذي هو أحد أسفار التوراة (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخونهم ، وأجعل كلامي في فمه ، يكلمهم بكل شيء آمره به ، ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه ، فأما النبي الذي يجترىء عليّ بالكبرياء ، ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل ، وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك : أن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ، ولذلك لا نخشاه) .

وقد أخبرنا الرسول بأخبار مستقبلة كثيرة حدثت كما أخبر عنها ومنها ما لا ينفع معه الحدس والتخمين ، كالإخبار بأن الروم سيغلبون الفرس بعد أن قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم ، وحدد زمن قهرهم ببضع سنين ، وقد حدث ذلك تماماً .

وبشر عيسى عليه السلام في الانجيل بأنه سيجيء بعده (الفارقليط) ومعناه أحمد ، ويصدقه في القرآن قوله تعالى في سورة الصف الآية : « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » .

ويوجد بالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب العهد القديم بشارات عديدة ، وحسب القارىء ما تقدم ، لأن المقال لا يتسع للافاضة في ذلك .

حاجة العالم إلى بعثة عامة

كان العرب يسيرون على منهج زعموه شريعة جدهم إبراهيم عليه السلام ، وما كان شيء مما يفعلون كما يدعون ، فإن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، فالصلاة كانت في شريعته لله ، ولكنهم جعلوها للأوثان ، والحج والعمرة في ملته كانا لله ، ولكنهم جعلوهما للأحجار والأنصاب ، ولم يكن في شريعته بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولا وأد للأطفال الصغار من الاناث أكثر من الذكور ، ولا كان فيها حرمان من الميراث للنساء ولا للصغار ، ولا غير ذلك مما يخالف المثل العليا التي تتسم بها الرسالات السماوية ولكنهم الصقوها زوراً بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وكانت الحرب بينهم سجالا لأوهن الأسباب وأدنى العلل ، فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكان وأد البنات لديهم من المكرمات خوفاً من العار ، ووأد الذكور عندهم حذراً من الفقر

والحرمان ، وكانت قلوبهم فيما يفعلون أقسى من الحجارة « وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .

وكانت الكلمة من زعيم القبيلة كالنص الإلهي ، فهي واجبة التنفيذ وإن جانبت الصواب وجلبت العار ، وكانت سوق الدعارة قائمة على ساق ، في بيوت خارج القرى ترفع عليها الرايات ، وكانت ضحاياها من الاماء غالباً ، وأحياناً تكون خلة بدون استعلان ، وكانوا لا يستحون من نسبة أولادهم من السفاح إليهم ، فتارة يستلحقونهم بمعرفة القائف وأخرى يجعلون الحق في إلحاقهم إلى المرأة البغي نفسها ، وقد جاء في كتب السير حديث تفصيلي عن تلك الجرائم وأحكامها لديهم ، رواه رواة ثقات .

وكان العالم من شرقه إلى غربه يمتلىء بالفتن ، ويموج بالبلايا والمحن ، وتسوده شريعة الغاب وقانون الضواري ، والأمم وقود للحرب بين أمتين تسيطران على شعوبه : الفرس شرقاً والروم غرباً ، وأرزاق الناس نهب لأولئك المسيطرين ، وأفرادهم عبيد لأولئك الجبارين ، ولا أحد من هؤلاء المسيطرين يخشى نقمة الجبار ، والديانتان السماويتان سخـرتهما الشهـوات لخـدمـة الطغـاة المستبدين ، وحرفت الأهواء كتبهما بثمن قليل ، فكان العالم كله بحاجة إلى بعثة عامة شاملة ، ترفع المظالم عن المعذبين ، وتكبح جماح الظالمين ، وتنظف العقائد من الوثنية ، وزعم البنوة للخالق الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وتطمئن كل عامل على رزقه ، وتنتقم للمظلوم من ظالمه ، وتنشر بين الناس الأمن والطمأنينة ، وتعيد الحق إلى نصابه ، والعدل إلى محرابه .

فكانت هذه البعثة من نصيب رجل عظيم ، من أنضر أرومة فيهم ، وأعرق مجد في أنسابهم ، أذاقه الله اليتم في طفولته ليعظم إحساسه بآلام الناس ، فإنه لا يعرف الألم إلا من جربه ورباه من غير أبوين على أرفع السجايا ، ليستطيع القيام بعبء هذه الدعوة العظيم ، وأمره في باكورة ثبوته بقيام الليل إلا قليلا ، لتصفو روحه أتم صفاء ، ويشتد عزمه في كفاح الأقوياء « يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . ان لك في النهار سبحا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا » .

القرآن والسنة دستور رسالته

لقد أيد الله رسوله الأمي العظيم بالقرآن المجيد . فإنه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وكما جعله معجزة باقية بقاء الزمان ، لتكون آتية في كل آن ، جعل لرسوله حق بيان مجمله بسنته ، وهو في كلتا الحالتين . « لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » .

فإذا قرأت القرآن والسنة وجدت مناهج سديدة ، يسعد بها البشر في كل أمة وفي كل عصر ، ووجدت نصوصاً مرنة صالحـة للاجتهاد الذي شرعه الله للناس ، وفق ضوابط يعرفها العلماء ، يسمونها « أصول الفقه »

فمن اجتهد في دائرتها وأخطأ فله أجر ، ومن اجتهد وأصاب فله أجران .

وحين شرع لهم الاجتهاد منعهم من الأخذ بالرأي والهوى ، حتى يعصموا أنفسهم من عذاب الجحيم ، فلا بد من رجوع المجتهد إلى النصوص في الكتاب ، والسنة ثم إلى الاجماع ثم إلى القياس على ما وردت فيه النصوص ، لوجود العلة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه ، ولن تجد أمراً يحدث في الناس على امتداد الزمان ، إلا وجدت أصلا فيما تقدم يعطيك الحكم المطمئن الذي يرفع عن الأمة الحرج ، وكل من خرج عن مناهج السلف الصالح في استنباط الأحكام ، فهو مبتدع وصاحب هوى ولا يقبل قوله .

لقد تضمن الاسلام قوانين عظيمة في التعامل مع الخلق والخالق ، تحل بها مشكلات البشرية في العقيدة والمعاملات ، ومناهج سديدة في السلوك والاخلاق ، وكل ذلك جاء به رجل عظيم عرف بالصدق والأمانة ، أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، نشأ بين أمة أمية ، مؤيد بمعجزة القرآن وسائر المعجزات ، فلا يسع المنصف العاقل إلا أن يؤمن به نبياً ورسولا عظيماً ، وبما جاء به شرعة ومنهاجاً ، ليسعد في دنياه وأخراه ، ولهذا ترى الاسلام يزحف سليمًا على الدول المتحضرة العالية الثقافة ، « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

شهادة المنصفين الأجانب

لقد حظى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بانصاف الكثير من الفلاسفة المستشرقين ، ومن هؤلاء الكاتب الانجليزي الأشهر (توماس كارليل) فقد قال في كتابه الأبطال : لقد أصبح من أكبر العار على أي متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى أناس حاقدين كاذبين على محمد ، وآن لنا أن نحارب مزاعمهم السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ، ما زالت السراج المنير مدة أثنى عشر قرناً ، لنحو مائتي مليون من الناس[1] خلقهم الله كخلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها هذه الملايين وماتت عليها أكذوبة وخدعة ، أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند الخلق هذا الرواج في الناس إلا بله مجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق ـ ثم قال : والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والتراب وما شاكلهما ، فما ذلك الذي يبنيه بيت ، وانما هو تل من الأنقاض لا يستطيع أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرناً من الزمان ، يسكنه الآن مائتا مليون مسلم ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم) .

ويقول الكونت هنري الفرنسي في معرض الاستدلال على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم : لسنا نحتاج في اثبات صدقه إلى

(١) كان عددهم كذلك في عهده ، ولكنهم يبلغون اليوم قريباً من مليار نسمة .

أكثر مما يأتي :

١] كان محمد أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا الوصف لم يعارض فيه أحد .

٢] وإنه لم يسترشد في دينه بمرشد تقدمه .

٣] وإنه كان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة وكان يعرف بوجدانه الواحد الأحد لما اعتكف وحده بغار حراء يعبد الله .

٤] ومع كونه أمياً جاء ومعه قرآن يعجز فكر البشر عن الاتيان بمثله لفظاً ومعنى .

٥] وإنه لما تلا جعفر بن ابي طالب ما جاء في القرآن عن زكريا ويحيى على النجاشي فاضت عيناه بالدموع ، وفي اليوم التالي طلب منه أن يقرأ ما جاء فيه عن المسيح ففعل ، فاستغرب الملك لما علم أن المسيح عبد الله ورسوله فآمن بمحمد وما جاء به .

٦] وأن محمداً أتى بالقرآن دليلا على صدق رسالته ، وهذا الكتاب سر من الأسرار لا يدركه ألا من صدق بأنه من عند الله .

٧] انه لا ينكر أحد أن مظهره كان مظهر نبوة فعلا ، وما بقى فيه فكر خاص به .

٨] إنه كان لا يميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل ، فقد كان يحلب شاته بنفسه ويجلس على التراب ، ويرتق ثوبه ونعله بيده ، وكان قنوعاً . خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز البر ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول حياته فى المال وكان كل ما يأتيه يتصدق به ، وبلغ من السلطان غايته .

إلى غير ذلك من الحقائق التي ذكرها هذا المنصف بلا تشويه .

رأي المسيو دينيه في الاسلام

يقول الفنان الكبير (المسيو دينيه) الرسام الفرنسي بعد أن أسلم وسمى نفسه باسم (ناصر الدين) أن العقيدة الإسلامية لا تقف عثرة في سبيل الفكر ، وكما أن الأسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات ، وهو كما يهيج الرجل العملي في أسواق لندن مثلا ـ حيث الوقت هناك من ذهب ، فإنه يأخذ بلب الفيلسوف الروحاني ، وكما يتقبله الشرقي صاحب الخيال الشعري في السماء والماء ، وضوء القمر وهدوء السحر ، والصحراء والمدر والزرع والشجر ، يأخذ بمجامع المفكر الغربي الذي عكف على الابداع في الفن ورسم الصور الرائعة في الشعر والنثر ، فكم من فيلسوف وقسيس ومصور وشاعر ، وطبيب وصيدلي ومحام وسياسي في الشرق والغرب قرءوا عن الاسلام فبهرهم رُواؤه ، واستحوذ عليهم تناسبه مع الفطرة السليمة ، وجذبتهم إليه عقائده وعباداته فآمنوا به راغبين راسخين ، لا رغباً ولا رهباً ، بل اقتناعاً عميقاً وحباً ، فهو الرحيق السائغ ، والمنطق السليم والمنهج المستقيم .. الخ .

الاسلام مؤتلف مع العلم والعقل

إن دين الإسلام الذي جاء به خاتم المرسلين صديق للعلم ، وصاحب وفي للعقل ، فلا ترى بينه وبينهما تنافراً ولا خلافاً ، بل مودة وائتلافاً ، وكما أن الإسلام يحصن على تعلم العلم وتحكيم العقل ، فالعقل يهدى إلى الاسلام ، والعلم ربيب آياته ، أو دليل على صحة اتجاهاته ، فالحق لا يؤيده أقوى من العلم ولهذا كانت عصور العلم في بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة وغيرها من العواصم الإسلامية ، هي أزهى عصور الأمة الإسلامية ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مولد الرسول الكريم
صلى الله عليه وسلم
وكيفية الاحتفال به

أحمد الله سبحانه وأصلي وأسلم على أشرف خلقه ، وسيد رسله ، وإمام انبيائه ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

كلما حال الحول وأهلّ هلال ربيع الأول دعانا داع للقيام بما يجب علينا للروح المحمدية الشريفة من الإشادة بذكرها والتنويه بها وفاءً ببعض حقها علينا وعلى الإنسانية كلها .

أما حقها علينا فيما أفدنا من عقائد صحيحة وآداب سامية وفضائل عالية وزعامة في الأرض لم تخصص بها أمة من قبلنا .

وأما حقها على الناس فلأن أساس دعوته « صلى الله عليه وسلم » كان توحيد الله « عز وجل » وتنزيهه عن الأنداد والشركاء ، وبذلك محا عن الإنسانية عار الشرك الممقوت ، وأطلقها من ذل التقليد البغيض ، وصرفها إلى عبادة الله المستحق وحده العبادة . وهذه الدعوة المحمدية أضاءت العالم بما نشرته فيه من العلم والحرية ، وما أتت به من نور ماز الحق من الباطل والخير من الشر والعدل من الظلم فاستنارت به نفوس كادت تصير أشباحاً من كثرة ما أحيطت به من خرافات وأباطيل . وبهذا النور استطاعت هذه النفوس أن تلقي من عواتقها أنياراً ، ومن كواهلها آصاراً ، وتخلع من أعناقها أغلالاً ، وأرجلها أصفاداً . بذلك خلصت الإنسانية من ظلمات متراكمة طال عليها الأمد فيها حتى كادت تنتكس إلى البهيمية الباحتة . لذلك حق عليها أن تحتفل بمولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

لماذا لم يحتفل المسلمون الأوائل بمولد الرسول الكريم ﷺ ؟

المسلمون في العصور الأولى لم يكونوا محتاجين إلى الاحتفال بيوم مولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » لأنهم لقرب عهدهم وتعلقهم به « صلى الله عليه وسلم » ، ولشدة تمسكهم وعملهم بكل ما جاء به

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

الرسول « صلى الله عليه وسلم » من عند الله « عز وجل » كانوا كأنهم يرونه « صلى الله عليه وسلم » أمامهم ، لا يبعد عن أبصارهم ولا يغيب عن أذهانهم لحظة واحدة ، فهم ـ وهذه هي حالهم ـ لم يكونوا بحاجة إلى الاحتفال بمولده « صلى الله عليه وسلم » وإظهار فرحهم وسرورهم بالمولد النبوي الشريف ، لأن فرحهم هذا لم يكن يفارقهم في حالة يقظتهم ، بل كان يلازمهم في كل روحاتهم وغدواتهم ، وفي كل حركاتهم وسكناتهم . لكن بكرّ الغداة ومر العشى ، وانقضاء العصر تلو العصر ، وتكاثر أعباء الحياة وزيادة مشاكلها رأى المسلمون أن يخصصوا وقتا من أوقات خضم مشاكلهم يظهرون فيه فرحهم وسرورهم برسول الله « صلى الله عليه وسلم » يشغلون هذا الوقت كله في دراسة سيرته النبوية الشريفة ويشرحونها لأولادهم وأحفادهم فاختاروا يوم مولده « صلى الله عليه وسلم » لتخصيصه بهذه المهمة الكريمة .

متى بدأ المسلمون يحتفلون بالمولد النبوي الشريف ؟

قال السخاوي : « إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ، ولا يزال أهل الإسلام فى سائر الأقطار وفي المدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات » .

مَن أول من احتفل بمولده « ﷺ » ؟

أول من أحدث الاحتفال بمولده « صلى الله عليه وسلم » من الملوك هو الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل . وألف له الحافظ بن وحية تأليفاً أسماه « التنوير في مولد البشير القدير » فأجازه الملك بألف دينار .

وكان احتفال الملك المظفر بالمولد الشريف في شهر ربيع الأول احتفالاً عظيماً ، وكان يصرف على المولد ـ كما قيل ـ ثلاثمائة ألف دينار .

لماذا تحتفل الأمم بذكريات أبطالها ؟

إن الأمم المختلفة تحتفل بذكرى عظمائها ونوابغها وقادتها للإشادة بذكرهم وتقدير أعمالهم وفاءلحقهم عليها وتذكيراً للحاضرين بأعمال الماضين ليحفزوا هممهم على الاقتداء بهم والسعي لبلوغ درجات المجد التي استحق المحتفل بهم من أجلها هذا التكريم . وهذه الذكريات تختلف في أشكالها تبعا لاختلاف الأمم في أمزجتها وميولها وعاداتها .

ولهذه الذكريات آثار بعيدة المدى عند من يفهم الغرض منها ويدرك السر في المحافظة عليها . وأهم ما يقصد من ذلك العظة والاعتبار والتذكر والاستبصار ، وتحفّز النفوس إلى القدوة وتشوقها إلي التشبه

بالأسوة ، وإغراء الشباب بالسعي في طريق الرقي لبلوغ المجد فضلاً عما في الاحتفال من تكريم المحتفل به وتخليد ذكره .

هل الرسول الكريم ﷺ في حاجة إلى مثل هذا التكريم ؟

الرسول الكريم محمد « صلى الله عليه وسلم » ليس في حاجة إلى تكريم الناس بعد أن كرمّه الله ـ عز وجل ـ فرفع ذكره ، وأعلى قدره ، وخلد اسمه فى الكتاب المبين ، وقرنه باسمه فى الشهادتين . ومقامه الكريم ليس بالمقام الذي يناله الإنسان بالسعي والكسب . بل هو منحة الله ـ عز وجل ـ وفضله ، يختص به من يشاء من عباده . وليس من بين المخلوقات من هو أولى بهذا المقام ممن أرسله الله رحمة للعالمين .

كيف يكون الاحتفال بهذه الذكرى العطرة ؟

يكون الاحتفال بذكرى مولده « صلى الله عليه وسلم » بإحياء سنته المطهرة بالعمل بها ، واتباع المبادىء السامية التى أتى بها ، والتحلى بالأخلاق الفاضلة التى اتصف بها ودعا الناس إليها . لا يكفي في هذه الذكرى العطرة أن تتلى قصة المولد ، وتضاء المصابيح ، وتلقى العظات ثم تنسى . لأن صاحب الذكرى « صلوات الله وسلامه عليه » لم يكن قوالا وإنما كان فعالاً . والكلام إذا لم يتبعه العمل كان الإيمان به ضعيفا ، إذ لا يكفي أن نقول لمحبوبك : إنى أحبك . وإذا كنت جاداً في هذا القول فإنه يتطلب منك أن تتحمل تبعاته . وأن تقوم بما يكلفك به هذا الحب من اتباع سلوك المحبوب وتجشم المشاق في سبيل رضاه .

تدبر قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . . [١] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [٣].

فإذا أحيينا سنته المطهرة ـ وذلك بالعمل بها ـ واتبعنا المبادىء السامية التى أتى بها ، وتحلينا بالأخلاق الفاضلة التى اتصف بها ودعانا إلى التحلى بها ، حيئنذ فقط نكون فعلاً قد احتفلنا بهذه الذكرى العطرة على الوجه الذي يرضى المحتفل به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ويفيدنا في الدنيا والآخرة .

والأخلاق الكريمة التى اتصف بها الرسول « صلى الله عليه وسلم » ودعانا إلى التحلي بها كثيرة جداً ، تولت كتب السيرة المحمديةبيانها . ونحن نذكر هنا بعضا منها بقدر ما يسمح به المقام :

---

[١] الآية ٣١ من سورة آل عمران .

[٢] الآية ٥٤ من سورة النـور .

[٣] الآية ٧ من سـورة الحشـر .

من أخلاقه ﷺ

كان النبي « صلى الله عليه وسلم » أعلم الناس وأشجعهم وأعفهم وأسخاهم ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم . وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره على وجه أحد ، يجيب دعوة الحر والعبد ، ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ، يبدأ أصحابه بالمصافحة ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده « صلى الله عليه وسلم » حتى يكون الآخذ هو الذي يرسلها . وكان إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يظن جليسه أن أحدا أكرم عليه منه . ينفذ الحق ولو عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، ولم يرقط مادأ رجليه بين أصحابه ، يعود المرضى ويشهد الجنائز ، ويمشي وحده بين أعدائه . يكرم أهل الفضل ، ويتألف أهل الشرف ولا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر ويمزح ولا يقول إلا حقاً . يتشاغل عما لا يشتهى ، ولا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يشافهه بمكروه ، ولا يحتقر مسكينا لفقره . ولا يهاب ملكا لملكه . يدعو هذا وذاك دعاء مستويا إلى الله تعالى .

جمعت له السيرة الفاضلة والسياسة الكاملة التامة . كيف لا وقد كان خلقه « صلى الله عليه وسلم » القرآن ، فسبحان من أدّبه وقال في وصفه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

وصيته صلى الله عليه وسلم معاذاً

وقد روت كتب الحديث أن معاذا « رضى الله عنه » قال :

أوصاني رسول الله « صلى الله عليه وسلم » باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح ، وقال : ـ أى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » لمعاذ ـ

« أنهاك أن تسب حكيما ، أو تكذب صادقا ، أو تطيع آثما ، أو تعصى إماما عادلا ، أو تفسد أرضا . وأوصيك باتقاء الله عند كل شجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية » .

إذا تحلينا بهذه الصفات الفاضلة التى ذكرناها ، وبالصفات الأخرى التى لم يتسع المقام لذكرها ، ونفذنا الوصايا الكريمة التى أوصى النبي « صلى الله عليه وسلم » بها معاذاً « رضى الله عنه » نكون حينئذ ـ كما ذكرنا سابقا ـ قد احتفلنا حقا بهذه الذكرى العطرة .

[٤] الآية ٤ من سورة القلم .

هل يثاب المحتفلون بهذه الذكرى العطرة ؟

قال الإمام أبو شامة - شيخ النووى - : « ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده « صلى الله عليه وسلم » من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور ، فإن ذلك مع باقية من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي « صلى الله عليه وسلم » وتعظيمه في قلب من يفعل ذلك . وشكر الله تعالى على ما مَنَّ من إمجاء رسوله « صلى الله عليه وسلم » الذي أرسله الله رحمة للعالمين ..

وذكرت كتب السيرة المحمدية الشريفة أن أبا لهب أعتق جارية « ثويبة الأسلمية » حين بشرته بولادة النبي « صلى الله عليه وسلم » سروراً بهذه البشرى وفرحا بولادة محمد « صلى الله عليه وسلم » . وبعد أن مات أبو لهب - وفي حقه نزلت سورة « ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ - رآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله بعد موته فقال له : إني أعذب عذاباً شديداً لكن هذا العذاب يخفف عني مساء كل اثنين بسبب إعتاقي لجاريتي حينما بشرتني بولادة محمد فرحا بهذه الولادة .

ولقد رأيت تعليقا لفضيلة الشيخ عليش الكبير - رحمه الله - على هذا الكلام في هامش كتاب للسيرة موجود بمكتبة مسجد الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة ملخصه : إذا كان الله « عز وجل » يخفف العذاب عن أبي لهب مساء كل اثنين لإعتاقه جارية حينما بشرته بولادة محمد « صلى الله عليه وسلم » مساء الاثنين سروراً بولادته فكيف لايثاب المسلم إذا احتفل في هذه الليلة فرحاً وسروراً بذكرى مولد المصطفى « صلى الله عليه وسلم » ؟ !

والعلامة ابن تيمية - رحمه الله - يشير في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم .. » [٥] إلى أن من احتفل بمولده « صلى الله عليه وسلم » إظهاراً لمحبته للنبي « صلى الله عليه وسلم » وتعظيمه يرجى أن يثاب على ذلك .

وفقنا الله - سبحانه - إلى إحياء سنته « صلى الله عليه وسلم » بالعمل بها واتباعه في كل ما أتى به حتى يتم احتفالنا بذكرى مولده العطرة على أكمل وجه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه .

---

[٥] راجع كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم .. » صفحة ٢٩٤ و ٢٩٧

النبي صلى الله عليه وسلم في مرآة أصحابه

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله رب العالمين ـ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد .. فقد أرسل الله سيدنا محمداً إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

وقد تناول العلماء والمفكرون قديماً وحديثاً سيرته الزكية ، وعرضوها أمام الأنظار ، ومهما كثرت الكتب في عرض هذه السيرة فإنها لم توف صاحبها حقه من البيان ، فما قام به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أعباء جسام وتبعات عظام نحو الإنسانية جمعاء أكبر من هذه الأقلام ، التي كتبت عنه ، ووصفت بطولته وعظمته وجهاده وأخلاقه وعمومية رسالته والآداب التي وضعها والتشريع الذي أرسى دعائمه ، أو دافعت عنه ضد بعض الأقلام الجامحة والأفكار الطاعنة التي لم تسلم من الحقد ولم تبرأ من الحسد .

والراوون لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمتحدثون عن نواحي عظمته ، والمدافعون عنه جميعاً قاموا بعمل عظيم له أثره الكبير وتقديره المشكور في ميدان العلم والأدب والتاريخ والإيمان والحب .

ولكن يبقى مع ذلك أن خير من يحكي لنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هم أصحابه الذين رأوه وعايشوه وصادقوه وأحبوه وآثروه على أنفسهم وذويهم وأموالهم ، وجاهدوا معه فأوصافهم له هي أصدق أوصاف ..

ونستعرض معا من خلال ما رواه هؤلاء الأصحاب رضوان الله عليهم والذين اعتنت بسيرتهم وأخبارهم كتب التراجم الصادقة الموثقة ـ بعض جوانب حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال رواياتهم لها ..

في البشارة بمولده :

جاء في ترجمة كعب بن عدي بن حنظلة ـ

فيما يرويه ابن الأثير ـ أن أباه كان أسقف الحيرة ، ويقص كعب بنفسه قصة اسلامه فيقول :

لما فرغ المسلمون من أمر مسيلمة مررت براهب فرقيت إليه فدارسته فقال لي : أنصراني أنت ؟ قلت : لا ـ قال : فيهودي ؟ قلت : لا . فذكرت محمداً فقال : نعم هو مكتوب . قلت : فأرنيه ، فأخرج سفراً ثم قال : ما اسمك ؟ قلت : كعب .

ففتح فقرأت فعرفت صفة محمد ونعته ، فوقع في قلبي الإيمان فآمنت حينئذ وأسلمت . ومررت على الحيرة فعيروني ، ثم توفي أبو بكر ، فقدمت إلى عمر فأرسلني إلى المقوقس .

(أسد الغابة ٤/٤٨٣)

ويحدث ابن الأثير أيضا عن الفلتان بن عاصم قال : كنا قعوداً عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأى رجلا يمشي في المسجد فقال : يا فلان ، قال : لبيك يا رسول الله

فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتشهد أني رسول الله ؟

قال : لا . قال : تقرأ التوراة ؟ قال : نعم . قال : والانجيل ؟ قال : نعم . قال : ثم ناشده . هل تجدني في التوراة والانجيل ؟ قال : سأحدثك . نجد مثل نعتك يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت نظرنا فإذا أنت لست به .

قال : من أين ؟ قال : نجد من أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وأنتم قليلون . فأهل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكبر ، وقال : والذي نفسي بيده لأنا هو ، وإن من أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً .

(أسد الغابة ٤/٣٦٨)

في الخوارق التي صاحبت مولده :

وقد صاحب مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ خوارق تدل على نباهة شأنه وعلو فضله ، من ذلك ما حدث به بعض من شاهدن ولادته ـ فقد قالت فاطمة بنت عبد الله ، وهي أم عثمان بن أبي العاص الثقفي :

شهدت ولادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وضعته أمه آمنة ، وكان ذلك ليلا . قالت : فما من شيء أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أقول : يقعن علي .

(الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ـ ٨ /٦٧)

وفي رواية ابن الأثير عنها قالت : شهدت آمنة لما ولدت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما ضربها المخاض نظرت إلى النجوم تدنى حتى إني لأقول : ليقعن علي ، فلما ولدت خرج لها نور أضاء له البيت الذي نحن فيه والجدار ، فما من شيء أنظر إليه إلا نور .

(أسد الغابة ٧/ ٢٢٨ ، ٣٦٦)

وجاء في ترجمة خالد بن معدان ما يرويه عن عتبة بن عيد عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أنهم قالوا : « يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال : أنا دعوة إبراهيم

وبشرى عيسى بن مريم ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام »

(أسد الغابة ٦ /٢٩٦)

وليس غريباً أن تتواكب الدنيا كلها في الاحتفال بمقدم سيدها ، فتدنو الكواكب وتشرق الكائنات وتنكس الأصنام وترجم الشياطين ويعم الكون كله البهجة والسرور .

جاء في ترجمة هاني المخزومي ما يروي عنه : « لما كانت ليلة ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارتجس إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة ـ وغاضت بحيرة ساوة وفاض وادي السماوة وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأي الموبذان إيلا صعاباً تقود خيلا عراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها » ..

الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ٥٢٤ ، أسد الغابة ٥/٣٨٢ .

و (ساوة) مدينة بين الري وهمذان ، و (السماوة) بادية بين الكوفة والشام ، و (المُوبَذان) ـ بضم الميم وفتح الباء ـ فقيه الفرس وحاكم المجوس .

وفي قصة فقده وهو صغير :

ويروي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد وهو صبي وجعل جده ينشده حتى عثر عليه .

روى ابن الأثير في ترجمة سعيد بن حيدة ما يرويه ابنه عنه . قال : حججت في الجاهلية فإذا برجل يطوف وهو يقول :

يــارب رد راكبي محمــداً
رد إلى واتخذ عندي يدا

فسأل عنه فقيل له : هذا عبد المطلب فقد ابنه محمداً . (أسد الغابة ٢/ ٣٨٥ ـ ٤ / ٥٠١)

ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سعيد بن حيوة ٢/ ٦١٤ وأخرج البيهقي هذا الخبر في دلائل النبوة في باب شفقة عبد المطلب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتمامه :

قال : هذا سيد قريش وابن سيدها عبد المطلب بن هاشم ، ومحمد هو ابن ابنه ، وهو أحب الناس إليه ، وله ابل كثيرة ، فإذا ضل منها بعث فيها بنيه يطلبونها ، وإذا أعيا بنوه بعث ابن ابنه ، وقد بعثه في ضالة أعيا عنها بنوه ، وقد احتبس عنه . قال راوي الحديث : فو الله ما برحت البلد حتى جاء محمد وجاء بالابل .

ويذكر ابن هشام أن هذا الفقد كان في أثناء رجوع حليمة به إلى مكة ، فالتمسته فلم تجده ، فأخبرت عبد المطلب فخرج يطلبه فلم يجده فقام عند الكعبة يدعو الله أن يرده .
وروى ابن سعد في طبقاته أنه قال :

لا هم أد راكبي محمــداً
أده إلى واصطنع عندي يدا
أنت الذي جعلته لي عضداً
لا يبعد الدهر به فيبعـدا
أنت الذي سميته محمداً

وفي خصائصه صلى الله عليه وسلم :

وقد خص الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصائص لم تتهيأ لغيره من البشر ، ويأتي في مقدمة ذلك : (وجوب الاستجابة له) مصداقاً لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » (الأنفال ٢٤)

وقد جعل الله اتباعه وسيلة إلى حب الله « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » آل عمران ـ ٣١ ـ

وجعل طاعته طاعة لله « مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » النساء ٨٠ .

واستجابة المدعو للرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ولو كان المدعو في الصلاة ، عن أبي سعيد المعلى قال : كنت أصلي ، فمر بي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فناداني ، فلم آته حتى فرغت من صلاته ـ فقال : « ما منعك أن تأتيني إذ دعوتك ؟ قلت : كنت أصلي . قال : ألم يقل الله عز وجل : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟ أتحب أن أعلمك سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ قال : فذهب يخرج فذكرته فقال : الحمد لله رب العالمين » .

(أسد الغابة ٦/ ١٤٣)

ومن خصائصه الشفاعة : حدث عبد الرحمن الأوزاعي قال : مررت بعبد الواحد ابن عبد الله بن بسر وأنا غاز وهو أمير على حمص ، فقال لي : يا أبا عمرو ألا أحدثك بحديث يسرك ، فوالله ربما كتمته الولاه ؟ قلت : بلى .

قال : حدثني أبي عبد الله بن بسر ، قال : « بينما نحن بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جلوس ، اذ خرج علينا مشرق الوجه يتهلل ، فقمنا في وجهه فقلنا : يا رسول الله إنه ليسرنا ما نرى من إشراق وجهك وتطلقه ، قال : إن جبريل أتاني آنفاً فبشرني أن الله عز وجل أعطاني الشفاعة . قلنا : يا رسول الله ، أفي بني هاشم خاصة ؟ قال : لا . فقلنا : في قريش عامة ؟ قال : لا . فقلنا : في أمتك ؟ قال : هي في أمتي للمذنبين المثقلين »

(أسد الغابة ٣/١٨٧)

وجاء في ترجمة عوف بن مالك الأشجعي ما يرويه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أتاني آت من عند ربي عز وجل فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » (أسد الغابة ٤/ ٣١٣) .

بل إن المؤمنين من أمته لهم شفاعة أيضا .

قال عبد الله بن أبي الجدعاء : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم . قلنا : يا رسول الله سواك ؟ قال : سواي ؟ »

أسد الغابة ٣/ ١٩٦ ورواه أحمد في مسنده ٣٠ / ٤٧٠ ـ وروى في أسد الغابة مرة أخرى ٦/ ٤٩ .

إلا أنه يخشى على أمته الاتكال على الشفاعة فيتركون العمل فيرشدهم ، قال

مصعب الأسلمي : « انطلق غلام لنا فأتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة . فقال : من علمك أو أمرك أو دلك ؟ فقال : ما أمرني إلا نفسي . قال : إني أشفع لك ، ثم رده فقال : أعني على نفسك بكثرة السجود » أسد الغابة ٥/ ١٨٠

وإن رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ المهداة للعالمين لتدنو حتى يدخل الجنة كل من رآه من المسلمين .

روى عقبة أبو عبد الرحمن الجهني ـ وكان أصابه سهم مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لا يدخل النار مسلم رآني ولا رأي من رآني ولا رأي من رأى من رآني » .

أسد الغابة ٤/ ٥٦

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ استجابة دعوته ولو كانت عارضة .

روى ابن حجر في الاصابة في ترجمة أم قيس الأنصارية ، قالت : « توفي ابن لي فجزعت فقلت للذي يغسله ، لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله ، فذكر ذلك عكاشة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : مالها .. ؟ طال عمرها ! قال : فلا نعلم إمرأة عمرت ما عمرت » الاصابة ٨/ ٢٨١

فمن باب أولى استجابة دعوته المقصودة :

دعا لأنس بن مالك رضى الله عنه بكثرة المال والولد ، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان ، ومات وله من ولده مائة وعشرون ولداً ، وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، وكان فيه ريحان يجىء منه ريح المسك » .

أسد الغابة ١/ ١٥١ .

وهو سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ومن كان سيدهم في الآخرة فهو سيدهم في الدنيا ..

ولعلو منزلته وقربه من ربه ـ جل وعلا ـ جاز التوسل به ، بل هو أمر بذلك فقد روى عثمان بن حنيف : « أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ادع الله أن يعافيني » ، فقال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك . قال : ادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في » الاستيعاب لابن عبد البر الترجمة رقم ١٧٦٩ ـ ٣/ ١٠٣٣ ـ أسد الغابة ٣/ ٥٧٧ ـ ورواه الترمذي وابن ماجة ، وفي تحفة الأحوذى أبواب الدعوات ـ وذكره المالكي في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح ص ٥٢ وذكر توثيق ابن تيمية له ـ .

هذه شذرات من سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسان أصحابه رضى الله عنهم ـ نقدمها تحية في ذكرى مولده المبارك راجين من الله الرحمة والمغفرة والرضوان .

عبد الحفيظ فرغلي القرني

من أحداث السيرة النبوية

بيعات العقبة الثلاث

من الأحداث الجديرة بالتسجيل فى تاريخ السيرة النبوية العطرة بيعات العقبة الثلاث[1] لأنها تمثل فى السيرة مواقف تاريخية فذة تعتبر بحق المقدمة لحادث الهجرة النبوية ولذلك تعد من أخطر اللحظات فى تاريخ البشرية إذ انبعثت فى لحظة تمامها طلائع النور لتبدد ظلمات الصدور وانفجرت من خلالها ينابيع الاستنارة الدينية لتتدفق بالخير فتغسل أدران الأرض . إنها البيعات التى توثقت بين النبى ﷺ وبين القادمين من يثرب إلى المواسم فى مكة وكانت النواة لجبهة الأنصار .

والعقبة لغة الطريق الوعرة فى الجبل : أضيفت جغرافيا إلى خليج العقبة الذراع الشرقى للبحر الأحمر ويقع على طرفها الشمالى ميناء العقبة ، وورد للفظ فى سورة البلد فى قوله تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » بمعنى مجاهدة النفس والشيطان لبذل النفس والنفيس فى طاعة الله ثم هو فى الحجاز اسم للمكان بين منى ومكة المكرمة حيث وقعت أحداث البيعات يؤمه حجيج المسلمين كل عام أول افاضتهم من عرفات حيث تقوم الجمرة المنسوبة إلى العقبة وقل من يذكر منهم حين وقوفه لرجم الجمرات أكثر من أنه منسك من مناسك الحج يؤدى برمى الجمرات فى حين أن المكان يثير فى نفوس العارفين ذكرى عزيزة على كل مسلم ، وهى لحظات من النور تمت خلالها البيعة بين النبى ﷺ وبين الأوس والخزرج .

والبيعة عقد يأخذه الإنسان على نفسه ببذل الطاعة والوفاء بالالتزام الذى يتضمنه ميثاقها .

ومبايعة رسول الله على أمرٍ مَّا هى فى حقيقتها مبايعة لله سبحانه وتعالى .

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ

---

[١] ثابت ـ قطعا ـ وقوع البيعتين : الثانية والثالثة فى العقبة ، وكذلك الأولى ، نقل ذلك العدوى عن ابن القداح ـ فى ترجمة : عُوَيم بن ساعدة ـ رضى الله عنهم بأسد الغابة ٣١٦/٤ ترجمة رقم ٤١٣٢ ـ قال : إنه شهد العقبات الثلاث ، وذلك أن ابن القداح قال : العقبة الأولى ثمانية ، والثانية اثنا عشر ، والثالثة سبعون .... اهـ .... مجلة ، الأزهر .

للأستاذ محمد الليثي على محمد

فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

وقد كان النبى ﷺ يُبَايع على شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وعلى إقامة الصلوات الخمس لوقتها وأداء الزكاة المفروضة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد فى سبيل الله والنصح للمسلمين كما بايع على الاقدام فى أمر الله عز وجل وعلى أن لا يأخذ المبايع فى الله لومة لائم إلى غير ذلك من خصال الخير التى جاء بها الإسلام[1] .

وقد مكث الرسول ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم وفى مواسم أسواقهم وحجهم يقول :

« من يؤوينى .. من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة » .

فلا يجد مجيبا وإن أَحَسَّ أحدهم ميلا إلى دعوته خاف بطش قريش فكتم فى نفسه وانصرف ؛ فكانت البيعة على النصرة من أهداف عرض نفسه ﷺ على القبائل وقد حدث أن تعرض فى موسم الحج لستة نفر من الخزرج من موالى يهود منهم أسعد بن زرارة فدعاهم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الاسلام وإلى معاونته فى تبليغ الرسالة فقال بعضهم لبعض « إنه للنبى الذى كانت توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه . فقد كانت تهددهم اليهود كلما كان بينهم شىء .

« إن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم » لذلك آمنوا وصدقوا وقبلوا ما عرض عليهم من الاسلام وقال سعد بن زراة : انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزمنك وتواعدوا على المقابلة فى الموسم المقبل . وكانت هذه أول بادرة تبرق بالأمل فى نشر الدعوة فى يثرب فلما عادوا دعوا أهل يثرب حتى فشا فيهم الإسلام ولم تبق دار بها إلا وذكر فيها رسول الله .

فلما كان موسم الحج التالى قدم أثنا عشر رجلا أثنان من الأوس وعشرة من الخزرج واجتمعوا بالنبى عند العقبة واسلموا وبايعوا على بيعة النساء ولم يكن قد أذن للنبى بالقتال . وفى ذلك يقول عبادة بن الصامت « كنت فيمن حضر العقبة فبايعناه على بيعة النساء وهى :

« **ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان**

[١] وعادة كانت البيعة التى لا يؤخذ فى نصها "وجوبُ الدفاع عن الدين بالقتال فى سبيلهِ" يستوى مضمونها ومضمون البيعة للنساء ، ومن هنا يتردد فى (السيرة) القول بأن النبى ﷺ ـ بايع بعض الرجال بيعة النساء ، أى بيعة ليس فى نصها القتال .... مجلة الأزهر .

نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وأثره علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

ثم قال رسول الله ﷺ فإن وفيتم فلكم الجنة ومن غش من ذلك شيئا فأخذ بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن ستر عليه إلى يوم القيامة فأمره إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب .

وعاد المبايعون إلى المدينة وهم معاذبن الحرث وذكوان بن عبد قيس وعبادة ابن الصامت وأبو عبد لرحمن بن ثعلبة والعباس بن عبادة بن نضله وأبو الهيثم ابن اليهان وعويم بن ساعدة وأبو أمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبه ابن عامر وعقبة بن عامر .

وعقب وصولهم وانتشار الأمرين أهل المدينة كتبوا إلى الرسول ﷺ :

« إن الاسلام قد فشا فينا فابعث إلينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الاسلام ويعلمنا يسننه وشرائعه ويؤمنا فى الصلاة » فبعث إليهم مصعب بن عمير .

روى الدارقطنى عن ابن عباس : أذن رسول الله ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع أن يجمع بمكة ولا يبدى ذلك فكتب إلى مصعب بن عمير : أما بعد فأنظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا زال النهار عن شطره فتقربوا إلى الله بركعتين »[1] .

ومن الملاحظ أن صيغة المبايعة قد خلت من النص على أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه كما كان يفعل من قبل حين العرض على القبائل فعن الدلائل لأبى نعيم أنه ﷺ حين جاء كندة فى منازلهم بعكاز جعل يكلمهم ويقول لهم :

أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ؛ فإن أظهر فأنتم بالخيار .

وقال لنبى عامر بن صعصعة :

فإن أتيتكم تمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولم أكره أحدا منكم على شىء وهى بيعة على النصرة .

وقويت شوكة الاسلام فى المدينة ولم تبق دار منها إلا وفيها رهط من المسلمين فأتمروا جميعا فقالوا ـ فيما بينهم : حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد فى جبال مكة فرحل منهم سبعون رجلا قدموا فى الموسم التالى مع من قدم من مشركى يثرب وقابل وفدهم النبى فوعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل أن يوافوه فى الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة وأمرهم ألا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ولا ينتظروا غائبا حتى يتم اللقاء فى خفية من

[١] شرح الزرقانى على المواهب .

قريش . فلما فرغوا من حجهم توجهوا إلى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين فتسللوا بعد أن مضى الثلث الأول من الليل تسلل القطا الرجل والرجلين حتى بلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلا اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان أم عمارة نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو ابن عدى فوجدوا النبى ﷺ قد سبقهم إلى الموعد ومعه العباس بن عبد المطلب حضر اللقاء يتوثق لابن أخيه قال العباس ابن عبد المطلب : يامعشر الخزرج إن محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه - [وكان العباس على دين قومه] - فهو فى عز من قومه ومنعة وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخزرج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

فقال البراء بن معرور كبيرهم : « والله لو كان لنا فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله خذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتلا رسول الله ﷺ - القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الاسلام ثم قال :

أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم . فأخذ البراء بن معرور بيده وقال نعم فو الذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع من أزرنا[1] فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر . فقال الهيثم بن النبهان حليف بنى عبد الأشهل يارسول الله إن بيننا وبين الرجال[2] حبالا وإنا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا . فتبسم رسول الله (ﷺ) ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، فتحركت عواطف عمه العباس فقال وهو يستوثق العهد لأبن أخيه :

« عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره .

فقالوا نعم فقال العباس اللهم إنك سامع شاهد وأن ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا.

---

[١] أنفسنا وأهلينا ونساءنا (٢) اليهود .

بيعات العقبة الثلاث

وأقبل أبو الهيثم على قومه فقال : ياقوم هذا رسول الله أشهد أنه لصادق وأنه اليوم فى حرم الله وأمنه وبين ظهرى قومه وعشيرته فأعلموا ان تخرجوه رمتكم العرب عن فوس واجده فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال فى سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم فإنه رسول الله حقا وإن خفتم خذلانا فمن الآن فقالوا عند ذلك قبلنا عن الله وعن رسوله ما أعطيانا وقد أعطينا من أنفسنا الذى سألتنا يارسول الله فقال أبو الهيثم أنا أول من بايع ثم أقبلوا للمبايعة فقال العباس ابن عبادة كما فى البداية عن عاصم بن عمر : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال إنكم تبايعون على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . فمالنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة قالوا : أبسط يدك فبسط يده فبايعوه .

ثم قال كما جاء فى طبقات ابن سعد « إن موسى أخذ من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن منكم أحد فى نفسه ان يؤخذ غيره فإنما يختار لى جبريل . ثم تَخيَّر تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس لكل عشيرة منهم نقيبا وقال للنقباء : أنتم كفلاء على غيركم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى فقالوا نعم ثم قال ارفضوا إلى رحالكم .

ولما شكا المسلمون ما يلقون فى مكة من اضطهاد أمرهم بالهجرة إلى المدينة حيث جعل الله لهم فيها إخوانا ودارا يأمنون بها . وكانت هذه البيعة مدخلا للهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ولتبدأ الدعوة تأخذ طريقها إلى الانتشار .

المراجع: سيرة ابن هاشم ـ طبقات بن سعد . شرح المواهب اللدنية ـ زاد المعاد لابن القيم . إمتاع الأسماع للمقريزى .

إدارة الرسول

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمد صابر البرديسي

دعا الرسول ﷺ إلى الاسلام سرا ثلاث سنين وأسلم من أسلم من المسلمين فى باديء الأمر كالسيدة خديجة وعلى بن أبى طالب ، وأبى بكر الصديق وغيرهم .

ثم أمر الله رسوله بالجهر بالدعوة ، وبمبادات قومه ، وأن يصدع بما أمر به قال تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ »(١) وقال تعالى « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »(٢) .

قال ابن اسحق : « فلما بادي رسول الله « ﷺ » قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه ـ فيما بلغنى ـ حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا على خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون .. ولما اضهد المشركون من قريش أصحاب رسول الله « ﷺ » أشار الرسول « ﷺ » على أصحابه بالتفرقة فى البلاد ، وبالهجرة إلى الحبشة مع نسائهم علما منه بأن ملكها يحسن جوارهم ولا يظلمهم ، ثم دعاهم إلى الهجرة بدينهم ، فراراً من أذى قريش الذين اشتدوا عليهم . عن ابن عباس « والله إن كان المشركون ليضربون أحدهم . ويجيعونه ويعطشونه ، حتي ما يقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به حتي يُعطيهم ماسألوه من الفتنة .

فكان الأمر بالهجرة أولا وثانيا أول تدبير إداري من الرسول أنقذ به أصحابه من عنف المشركين وإيذائهم . وقد سار « ﷺ » فى قيادة الدولة الجديدة للمجتمع عبر مـرحلتين مترابطتين .

---

١ ـ سورة الحجر رقم ٩٤ والمعنى : اجهر بالذي تؤمر به

٢ ـ سورة الشعراء آية ٢١٤ ، ٢١٥.

الأولى : نشر تعاليم الاسلام بما ينظم حياة الفرد فى مكة للتخلص من قيود العصبية .
الثانية : تنظيم جماعة المسلمين فى المدينة ، لإعلاء شأن المجتمع الاسلامى وإعداد بنائه لحمل رسالة الاسلام إلى سائر أرجاء العالم .
[أ] ففى مكة : قد أرسي القواعد التالية للمجتمع ، وفق ما جاء بها القرآن الكريم .
أولا : الدعوة إلى وحدانية الله ، واتخاذ هذه العقيدة الدينية الأساس لبناء مجتمع جديد فى نظمه ومثله العليا ، وأوضح القرآن الكريم أهمية هذه الدعوة ، وأن المجتمع العربى وأهله لم تكن لهم معرفة بها من قبل ، قال تعالى : « **وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ** »(٣) .
ثانيا : تقرير فكرة البعث والحساب بعد الموت لدي الإنسان ، حيث الجنة والنار حسب ماقدمت يداه فى الحياة الدنيا .

واستهدفت هذه العقيدة الإطاحة بما كان مفهوما فى المجتمع القبلى ، وأوضحت مسئولية الانسان فى هذه القضية مسئولية فردية « **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** » وعلى أساس أنه لاتزر وازرة وزر أخري .

فهذه العقيدة بعثت مسئولية جديدة أيقظت فى المرء الضمير .

ثالثا : اتخاذ التقوي أساسا للتفاضل وبناء الأخلاق الكريمة ، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** »(٤)
وبدأت التقوى فى الاسلام ، وما حوته من مقاييس أخلاقية تنظم العلاقة بين الناس على قواعد جديدة ، وتعمل على سعادة أفراد المجتمع ورفاهيتهم ، إذ أنها قامت على أساس الايمان بالله ومرضاته .
رابعا : التأكيد على وحدة الرسلات ، وأنها تستمد تعاليمها جميعا من الله سبحانه وتعالى ، وذلك للقضاء ، على تعدد المعتقدات فى المجتمع القبلى وحيرته أيضا بين أتباع المسيحية واليهودية قال تعالي : « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** »(٥).

ولكن الملأ من قريش ومن حولهم ، أعلنوا استنكار ما جاء به محمد ، ورأوه غريبا على مجتمعهم ، وقالوا عنه : **مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ** »(٦)وقالوا : « **مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ** »(٧) .

ودار الصراع بين الملأ من قريش ومن حولهم ، وبين الرسول « ﷺ » ، وفى كل مرحلة من مراحل الصراع يفقد المجتمع القبلى سطوته ، وكان الرسول « ﷺ » يحمل قوته .

وتجلي عجز قريش حين بعثت بعتبة بن ربيعة إلى الرسول الكريم ليغريه على ترك الدعوة الاسلامية ، مقابل منحه الملك عليهم ،

---

٣ ـ سورة سبأ آية ٤٤
٤ ـ الحجرات آية ١٣
٥ ـ سور الشوري آية ١٣
٦ ـ المؤمنون آية ٢٤
٧ ـ سورة ص آية ٧

وجاء ذلك فى الحوار الذى دار بين الرسول الكريم ، وعتبة بن أبى ربيعة .

قال عتبة للرسول : يا ابن أخى ، إن كنت تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا .

ولما انتهى عتبة من عروضه على محمد « ﷺ » تلك العروض التى تكشف عن المفاهيم الخاطئة تجاه الدعوة الاسلامية ، قال له رسول الله « ﷺ » « أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ » .

قال : نعم .

قال الرسول : فاسمع منى .

قال عتبة : افعل .

فقال الرسول « ﷺ » : « بسم الله الرحمن الرحيم » « حمٓ . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ » (٨) .

وما كاد يستمع عتبة إلى هذه الآيات حتي ارتعدت فرائصه ، وهزت أقوال الرسول الكريم مفاهيم عتبة عن المجتمع القبلى ، وعاد إلى قريش ، يؤكد طلائع القيادة الرشيدة قائلا :

يا معشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوا الله ليكونن له ولقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصيبه العرب ، فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم . وكنتم أسعد الناس به ، ولكن ملأ قريش أبى الا التمادي فى غيِّه ، وبعصبيته القبلية ، وايقاع الأذي بالرسول ، وبأتباعه فى مكة .

واستطاع مجتمع المسلمين فى مكة أن يحقق مبدأ جديداً وهو أن واجب الفرد لم يعد يقتصر على قبيلته ، وإنما صار يشمل المؤمنين بالدعوة الاسلامية ، وبدأ هذا المفهوم الجديد يهز المجتمع القبلى كله رغم صلف قريش ، وشدة بأسها .

[ب] فى المدينة : لم يعد أمام الرسول « ﷺ » سوي أن ينقل هذا المفهوم والدعوة التى استند إليها هذا المفهوم إلى ميدان جديد ، وأرض جديدة تكون أكثر ملاءمة لنموه وازدهاره ، بعيداً عن قريش ، معقل النظم القبلية والعصبية الجاهلية ، ووجدت الدعوة الاسلامية ، ومفاهيمها تربة جديدة بين أهل يثرب « المدينة » الذين التقى بهم الرسول « ﷺ » فى سوق عكاظ حيث وجد منهم استجابة للدعوة الاسلامية ، وتعاليم الاسلام ، حيث قال أعضاء وفد الخزرج للرسول « ﷺ » : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، فعسي أن يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك » .

ولقيت الدعوة الاسلامية ومفاهيمها استجابة من أهل يثرب حتى تم بينهم ، وبين الرسول الكريم ، بيعة العقبة الثانية ، ثم

---

٨ ـ سورة فصلت الآيات ١ ـ ٥

هجرته « ﷺ » إلى يثرب ، حيث بدأت هناك صفحة مشرقة ورائعة فى بناء الدولة الاسلامية وقيادتها الجديدة .

نظام الحكم فى عهد الرسول « ﷺ » .

كان من أظهر آثار الدين الاسلامي أن آخى بين المسلمين على اختلاف قبائلهم ، وقرابتهم ، وأحل الوحدة الدينية ، محل الوحدة القومية فأصبحوا متساوين جميعا ، وغدوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، قال تعالى :

« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . »(٩)

ولقد تلاشت بهذه المساواة والأخوة كل الفروق الجنسية التى طالما مزقت شمل العرب ، وأصبح الدين دون الجنس ، هو الأساس فى تحديد العلاقات بين الراعى والرعية ، قال تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .(١٠)

وفى المدينة وضع نظام الدولة الاسلامية ، وضع نواة النظام الإدارى ، فكان يبعث إلى القبائل المختلفة التى دخلت فى الاسلام ، من يقرئها القرآن . وكان ينيب عمالا على القبائل ، وعلى المدن الكبيرة ، وكانت وظيفة هؤلاء العمال هى الإمامة فى الصلاة وجمع الصدقات إذ لم يكن هناك خراج . وكان يتخيرهم - ﷺ - ممن اشتهروا بالصلاح والتقوي والعلم والتفقه فى الدين وقد فرض النبي - ﷺ لابن أسيد الذى ولاه مكة درهما كل يوم ، فكان هذا الراتب ما وضع من الرواتب للعمال .

قيادة تهوي إليها الأفئدة :

إن الذين عاشروا رسول الله « ﷺ » أحبوه كل الحب ، وجعلوه المثل الأعلى لهم ، وكان أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، حب الفعل والعاطفة إلى حد الهيام ، ومايبالون أن تندق أعناقهم ، ولا يخدش له ظفر .

عن عبد الله بن سلام قال : « أول ما قدم رسول الله « ﷺ » المدينة انحفل الناس إليه ، فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه ، واستثبته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : « يا أيها الناس ، افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام »(١٢) .

حاول ابن سلام استكشاف أخبار المهاجر ، فنظر إليه يستطلع حقيقته ، فكان أول ما أطمأن إليه بعد التثبيت من أحواله ، إن هذا ليس بكاذب ، فحقيقة الرسول الممتدة فى باطن نفسه وأعماق سريرته أضفت على ملامح وجهه امارات الصدق والصفاء والوضوح والشفافية .

وسيبقى هذا أنموذجا مع الأجيال ، لتحقق معنى الايمان فى أعلى الدرجات ، والله الموفق .

٩ - سورة الأنفال آية ٦٣

١٠ - سورة الحجرات آية ١٣

١٢ - رواه الترمذي وحسنه

أصحاب اليمين و أصحاب الشمال

للدكتور محمود محمد رسلان

خطب ابو بكر الصديق - رضى الله عنه - يوما فقال :
« اما تعلمون انكم تغدون وتروحون لاجل معلوم ؟
فمن استطاع ان يقضى الاجل وهو فى عمل الله عز وجل - فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل »[1] .
فإن الله عز وجل يقول : ﴿ لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾[2] .
نعم لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾[4] .
وكذا تمضى ايات الكتاب العزيز تفرق بين الابرار والفجار فالأبرار اصحاب الجنة ، والفجار نزلاء النار .

ومن ثم قال سبحانه : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[5] . أى الناجون المُسلَّمُون من عذاب الله عز وجل[6] .

أعمال دالة على صفات أهل اليمين :

منها ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾[7] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٤٢ ط الحلبى
(٢) الحشر من الآية : ٢٠ .
(٣) الجاثية : ٢١ .
(٤) ص : ٢٨ .
(٥) الحشر : ٢٠ .
(٦) تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٤٢ ط الحلبى .
(٧) البلد : ١٣ - ١٨ ، وفك الرقبة : عتقها والمسغبة : المجاعة ، والمقربة : القرابة ، والمتربة : الفقر والمرحمة . الرحمة .

وفى الحديث الشريف : « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار »[8] .

وفى الحديث أيضا « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم اثنتان : صدقة وصلة رحم »[9] .

أوصاف أصحاب الشمال وعقابهم : ـ

يقول العزيز الحكيم : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ** ﴾[10] . أى أصحاب الشمال ﴿ **عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ** ﴾ أى مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها[11] .

فأصحاب الشمال هم الذين سيأخذون كتب أعمالهم بشمالهم ؛ إنهم المنافقون ، المكذبون للوعد والوعيد والحساب ، والنشور ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، إنهم الذين يقولون :

﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ** ﴾[12] . ثم هم ـ من بعد ـ رهن عقيدتهم وأعمالهم .

﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا . وَيَصْلَى سَعِيرًا** ﴾[13] وإنما وصل إلى هذا المنعطف جزاء عقيدته وعمله فى دنياه ، فقد كان اعتقاده باستحالة الآخرة داعيا له إلى نبذ عقيدة الجزاء فانطلق فى دنياه يغرف من الشهوات ويحيا الملذات .. ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا**[14] **إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ**[15] . ﴾ أي ظن أن لن يبعث ويؤكد هذا الأمر قول الله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾[16] وكربه لا يمنع الجزاء ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾[17] .

فإذا سألت عن سبب هذا المصير المؤلم ، جاءك الجواب ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ**[18] ﴾ .

فأصحاب الشمال : هم الكفرة الفجرة ، الملاحدة ، الذين كذبوا بالرسالة الخاتمة ، وبرسولها ﷺ ، فإذا سأل سائل عن أصحاب الشمال : أين هم ؟ أتاه الجواب :

---

(٨) **مسند الإمام أحمد** : ٤/١٥٠ .
(٩) **مسند الإمام أحمد** : ٤/٢١٤ .
(١٠) **البلد** : ١٩ .
(١١) **تفسير ابن كثير سورة البلد** .
(١٢) **الواقعة** : ٤٧ ـ ٥٠ .
[١٣] الانشقاق : ١٠ ـ ١٢ ، والثبور : الهلاك .
[١٤] الانشقاق : ١٣
[١٥] الانشقاق : ١٤ ، ويحور : يرجع .
[١٦] الحاقة : ٢٥ ـ ٢٩ .
[١٧] الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢ .
[١٨] الحاقة : ٣٣ ـ ٣٧ ، والحميم : الماء الحار ، والغسلين : غسالة أجواف أهل النار ، وجلودهم .

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ ﴾ [19] أي من دخان شديد السواد ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [20] أي ليس طيب الهبوب ، ولا حسن المنظر .

قال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة فى النفي فيقولون : هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم . فإذا ما سألت عن سبب استحقاقهم لهذا العذاب . جاءك الرد : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [21] أي كانوا في الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل ، ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ [22] . أي يقيمون على الشرك ، ولا ينوون توبة ، وإنهم ـ لضلالهم وتكذيبهم ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [23] .

هذا هو القصاص ، وذلك هو الجزاء ، ثم بعد : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [24] .

ومن انصاف الله سبحانه للبشر أن ساق لهم هذه الرؤية ليكونوا على بينة من أمرهم ..

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [25] فالقرآن يجسم المعانى هنا ، ويبرزها في صورة حسية ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

قال بعض الصلحاء : هذا كتاب لسانك قلمه ، وريقك مداده ، وأعضاؤك قرطاسة ، أنت كنت المُمْلِي على حفظتك ، مازيد فيه ولا نُقِص منه ، ومتى أنكرت منه شيئاً يكون فيه الشاهد منك عليك [26] .

ونص الآية الكريمة يفيد أن عمل ابن آدم محفوظ عليه : قليله وكثيره مُدَوَّنٌ عليه ليلا ونهاراً صباحاً ومساءً .

قال تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ﴾ .

أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيدا وإما بشماله إن كان شقيا (منشوراً) مفتوحاً يقرؤه هو وغيره . فيه جميع عمله .

---

[١٩] الواقعة : ٤٢ ـ ٤٣ ، والسموم : الريح الحارة

[٢٠] الواقعة : ٤٤ .

[٢١] الواقعة : ٤٥ .

[٢٢] الواقعة : ٤٦ ، والحنث : الشرك ، والكبير من الذنوب أيضاً .

[٢٣] الواقعة : ٥٢ ـ ٥٦ ، والزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة ثمرها طعام أهل النار . المعجم الوسيط مادة : « زقم » . والهيم : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : الإبل العطاش الظماء ، وقال السدى : ألهيم : داء يأخذ الإبل فلا تروي أبدا حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً . راجع تفسير ابن كثير حـ ٤ صـ ٢٩٥ ط الحلبي .

[٢٤] الكهف من الآية : ٢٩

[٢٥] الاسراء : ١٣ ـ ١٤ .

[٢٦] تفسير القرطبي سورة الاسراء ط الشعب .

﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ . .

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

وكل واحد يقرأ كتابه ولو كان أميا فإن الله سبحانه يُقْدِرُهُ على ذلك .

ولما تلا الحسن البصرى - رضى الله عنه : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾(٢٧) قال : يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ، ووكل بك ملكان كريمان : أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ماشئت .. أَقْلِل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشوراً اقرأ كتابك .. الآية ؛ فقد عَدَلَ - والله - من جعلك حسيب نفسك(٢٨)

فأصحاب اليمين هم الأبرار لهم النعيم المقيم فلا يَيْأَسُون أبدا ، محظوظون بمشاهدة المولى - عز وجل - لا يضامون فى رؤيته ، وإنها لأمتع لذاتهم مطلقا ، ثم هم مسرورون بما اشتهت أنفسهم مما يرونه متاعا لهم مقيمين مع طيبات أطهار مقصورات عليهم قال عز وجل :

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ . وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ . وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ . وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ . وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (الواقعة ٢٧ - ٣٤)

والفُرُش : جمع،واحده فراش ، ففى الآية إلماح إلى النساء ، لذا جاءت الآيات التاليات إعرابا عنهن قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ .

وهؤلاء الأبكار العرب الأتراب المنشآت ، إنما أنشأهن الله عن خلق آخر كن فيه عجائز رُمْصا شُمْطا فَصِرْن فى هذا الخلق الأخير على أجمل ما تتمنى المرأة لنفسها من جمال وخير .

وفى الحديث عن رسول الله - ﷺ - لمن طلبت إليه أن يدخلها الله الجنة ، فقال - عليه الصلاة والسلام : « **ياأم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز** » فلما ولت تبكى قال - ﷺ - أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز . إن الله - تعالى - يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ .

وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل .

سألت السيدة أم سلمة - رضى الله عنها - رسول الله - ﷺ - عن قوله تعالى : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فقال - عليه الصلاة والسلام : « **هن اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز رُمْصاً شُمْطاً** »(٢٩) .

---

(٢٧) ق - ١٧ .

(٢٨) تفسير ابن كثير ٣/٢٨ ط الحلبى .

(٢٩) الرَّمَص بزنة - قلم : قذى تلفظه العين تسميه العامة عُمَاص - بزنة قماش،والفعل من الرمص بزنة عجب يقال:رمصت عينه أو عينها فهو أرمص وهى رمصاء والجمع منه رُمْص بزنة قُفْل،والشمطاء التى خالط سواد شعرها بياض والجمع كسابقه وزنا .

خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى ، عربا متعشقات محببات اقرابا على ميلاد واحد » .

سألت: يارسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال ﷺ : بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة(٣٠) .

سألت: يارسول الله ، وبم ذاك ؟ قال : « **بصلاتهن ، وصيامهن ، وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلى ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب** » ، **يقلن :**

نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ونحن الناعمات فلانبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كُنَّا له ، وكان لنا .

سألت: يارسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة ، والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها مَنْ يكون زوجها ؟ قال : يأم سلمة تُخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول : يارب إن هذا كان أحسن خلقا معى فزوجنيه ، يأم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة .

فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا أعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم** »(٣١) .

« **لأصحاب اليمين** » أى أن الحور العين خلقن لأصحاب اليمين ، أو ادخرن لأصحاب اليمين، أو زوجن لأصحاب اليمين .

وفى وصف رجال الجنة ، ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك:**

على حسن يوسف ، وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد جُرْدٍ مُرْد مُكَحَّلين(٣٢) ، وفى رواية :

« يبعث الله أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد عيسى ثلاثة وثلاثين جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب الله بهم إلى شجرة فى الجنة ، فيُكْسَوْن منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »(٣٣) .

---

(٣٠) الظهارة من الظهور ضد الخفاء فهى ماعلا فظهر ولم يل الجسد ، وبطانة الثوب : ماولى منه الجسد ، أى ماكان داخلا .

(٣١) راجع حديث الصور بتفسير ابن كثير ٤ / ٢٩٢ ط الحلبى .

(٣٢) أخرجه أبو بكر بن أبى الدنيا . انظر المصدر السابق ٤ / ٢٩٣ .

(٣٣) نفس المصدر ٤ / ٢٩٣ ـ أخرجه أبو بكر ابن أبى داوود .

فأصحاب اليمين كناية عن المؤمنين الذين يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم فيسرون سروراً عظيماً ، كما قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرًا . وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾(٣٤).

ولقد أكد الله هذا الأمر فقال :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾(٣٥) .

وهكذا تتنزل النعم الإلهية على المؤمنين حتى ورد فى الكتاب العزيز :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً . ﴾(٣٦) أى ضيافة وكرامة .

لقد عرف السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ مكانة أصحاب اليمين عند ربهم ، وعاقبة أصحاب الشمال ومآلهم ، فرغبوا فيما عند الله ، فكرسوا جهودهم ليكونوا من أصحاب اليمين ، فعملوا لهذا اليوم كل حساب ، فلم يخالط نفوسهم شك فيما عند الله من نعيم أبدى مقيم .

ولقد أكد القرآن الكريم أن مستقر أصحاب اليمين ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٧) ﴾ فإذا سألت عن تمتعهم جاءك هذا الوصف المجسم لحالتهم وأنهم :

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ . لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً . إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً ﴾(٣٨)

فإذا سألت: لِمَ كل هذا النعيم ، وهذا الكرم العميم ؟ جاءك الرد : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون(٣٩) ﴾ .

ويؤكد حقيقة هذا النعيم المقيم لأهل اليمين قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً . عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً . يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً . فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً .

٣٤) الانشقاق : ٧ ـ ٩ .
٣٥) الحاقة : ١٩ ـ ٢١ .
٣٦) الكهف : ١٠٧-١٠٨
٣٧) الواقعة : ١٢ .
٣٨) الواقعة : ١٥ ـ ٢٦
٣٩) الواقعة : ٢٤ ـ

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً . مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً . وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً . وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً . وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً . عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً . وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً . وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً . عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً . إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ﴾(٤٠)

فهل بعد هذه النعم الربانية ، والمنزلة العظيمة ، المدخرة لأهل الجنة يوجد من يعرض عنها ، فلا يرغب فى العمل الصالح ؟ ويحرم نفسه نعم الله التى أعدها للطائعين من عباده ، لكن المسلم الصادق لا يكف عن العمل الصالح ، والدعاء صباح مساء رجاء أن يكون من أهل اليمين ، والحمد لله الذى نزّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين .

د . محمود محمد رسلان

٤) الإنسان ٥ ـ ٢٢ .

ولد الهدى ـ بقية

ألا فليؤد العلماء وكل صاحب قلم ولسان متدين مخلص للاسلام واجبه فى الدفاع عن رسول الله وسنة رسول الله ﷺ وليبين للناس الحق ويجلوه ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ سورة الأنفال ـ آية ٤٢ ـ

ألا فليتابع الفاقهون للإسلام تلك الأباطيل بالإبطال بالحجة والبرهان ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .. سورة الانبياء ـ آية

فى ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ نذكر كمال عصمته عن النقائص والشبهات وحفظ الله تعالى له من الأعداء والشياطين والمخالفات حتى نقتدي به في عفة لسانه ، ونقاء قلبه ، وحكمته فى أسلوب الدعوة ، وكمال رحمته وشفقته وعفوه وصبره وعدله ووفائه ، وكمال آدابه .

فى ذكرى مولده الشريف نراجع أنفسنا فى الأعمال والأقوال والسيئات والحسنات حتى نستبين اتباعنا للاسلام الذي بعثه الله إليه داعيا وبه عاملاً وما فارق الدنيا إلا بعد أن أدى الأمانة ، وأبلغ الرسالة ، وأتم الله هذا الدين .

وليكن الرسول ﷺ أسوتنا وفي قلوبنا فقد رفع الله ذكره وجعل الصلاة عليه عبادة أمر بها عباده فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ . « سورة الأحزاب آية ـ ٥٦ » . صدق الله العظيم

بحوث في الأموال

الزكاة.. والضرائب

الفصل الأخير

وإذا قامت الدولة على أسس إسلامية ، وصارت الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع فيها ، فما الحال إذا جمعت الزكاة فقط ، وألغت ما عداها ثم لم تجد ما يكفى حاجتها من تمويل مشاريعها وإعطاء موظفيها رواتبهم فضلاً عما يجدر من حين إلى آخر من واجبات يناط بالدولة تنفيذها ؟

لقد كان الحال فى العهود الإسلامية الأولى من البساطة بحيث لم تتشعب الواجبات ووسائلها على النحو المعاصر ، وكانت دخول الدولة حينئذ كافية ، بل أكثر من كافية .

ثم ثانياً :

إذا جمعت أموال الزكاة فهل للدولة الإسلامية أن تنفقها فى مصارفها المختلفة فتشترى ما يتطلبه الدفاع من أسلحة حديثة وغيرها .. علماً بأن مصارف الزكاة قد عينها القرآن فصارت حقاً معلوماً لذوات بأعيانهم فى مقدمتهم من لا يجوز مس حقوقهم بحال ، أعنى : الفقراء المساكين .. ؟!!

نقول :

يقول المولى - عز وجل - فى الكتاب العزيز :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » البقرة ٢٠٨ والمعنى - والله أعلم :

« يا أيها الذين آمنوا مارسوا شعائر الإسلام جميعها ، تقومون بها كلكم فى طاعة ؛ فليعمل المسلمون أجمعون بكل شعب الإيمان ، ووجوه البر ، وليجتنبوا ما يدعوهم إليه الشيطان فإنه عدو مبين لبنى الإنسان من تبعه باء بالخسران .»

وهذا معناه أن الإسلام وشريعته أمانة نحن مطالبون بالمحافظة عليها تطبيعاً فى كل مناحى حياتنا ، وهذا يعنى وجوب العناية التامة بكل مصادر الثروة الطبيعية فى أرض الوطن الإسلامى لأنها من الذخيرة التى استودعنا الله إياها ؛ فالعمل على حسن إستغلالها ، وإقامة الوسائل العلمية والآلية التى تؤدى إلى إستثمارها - كل ذلك أمانة ينبغى عدم التفريط فيها ، وإنه لمن أكبر العبث والسرف أن توجد أرض فى الإسلام

للأستاذ فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله الباكستانى

خواء من الدار أو الزرع أو المصنع ، وتركها [بوراً] يعنى لونا من الإسراف المخبول الذى تحذرنا الشريعة منه .

وليس من بلد إسلامى إلا به أكثر من مصدر ثروة طبيعى ثروة زراعية ، أو معدنية ، إلى جانب المياه والقوة البشرية فما حجتنا إلى الله ؟!

والدولة الإسلامية لا تكون إسلامية إلا إذا قامت باسم الإسلام ممارسة لشريعته ، وليس فى الإسلام إلا الجد والاجتهاد وإستمرار العمل . ثم بعد :

فإن كل ما ينفق على دفاع الدولة فهو فى سبيل الإسلام ؛ فهو إتفاق فى [سبيل الله] الذى نصت عليه الآية .

ولا خلاف فى أن الزكاة تنفق فى شراء الأسلحة وقت الحاجة .. ويتناسب ذلك مع تطور السلاح نفسه .. قال تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ » سورة الأنفال ٦٠

انه ينبغى أساساً ـ كما قلت : عدم التفريط بحال فى حق الفقراء والمساكين على أى وجه من الوجوه ..

إن الله كرم بنى آدم فقال :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ »

وهو ـ سبحانه ـ الذى شرع الزكاة حقاً للفقراء والمساكين فقال :

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ..» الآية

والله ـ سبحانه ـ مُنزه عن التناقض ، وشرعته المثل الأعلى[1] .

وإذن .. فعندما نناقش مصاريف تنفقها الدولة من الزكاة فيما يخص مشاريعها المختلفة ، فإنما يكون ذلك كائناً ومستقراً فى غير حق الفقراء والمساكين وبقية أصحاب المصارف ، فللدولة أن تنفق ـ من بعد أصحاب الحقوق ـ فى بناء الطرق والجسور والمستشفيات والمدارس وغير ذلك .

روى عن الإمام أحمد أنه جعل الحج من [سبيل الله] ويدخل فى ذلك جميع وجوه

---

(١) .. لقد صدرت بالفعل أكثر من دعوة خبيثة فى هذا المجال منها تلك الدعوى البراقة التى تقول : لم لا نبنى بأموال الزكاة مصانع تدر مالا للفقراء والمساكين ..؟

أفيشرع هذا المدعى على الله ؟ وهل يضمن قيام المصنع على خير حال دائم فلا يصاب بتلف أو حريق ؟ وهل يضمن وصول الحق لكل فقير مسكين ..؟ وإلى أن يقام المصنع فما يسد حاجة الفقير ؟...

أفلا صمت على مذهبة وكتم أمره علَّ الله يتوب عليه .. مجلة الأزهر

الخير من تكفين الموتى ، وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد ونحو ذلك .

والحق أن المراد و [سبيل الله] مصالح المسلمين العامة التى بها قوام أمر الدين والدولة كتأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة(٢) .

ونقل الإمام البيضاوى ـ فى تفسيره :

[وللصرف فى الجهاد بالإنفاق على المتطوعة ، وابتياع الكراع والسلاح ، وقيل : فى بناء القناطر والمصانع(٣) .

وذكر الفخر الرازى :

قال الشافعى ـ أى عن الغازى : يجوز أن يأخذ من مال الزكاة ـ وإن كان غنياً ، وهو مذهب مالك وإسحاق وأبى عبيد .

قال أبو حنيفة وصاحباه ـ رحمهم الله : لا يعطى الغازى إلا إذا كان محتاجاً .

واعلم أن ظاهر اللفظ فى قوله (**وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ**) لا يوجب القصر على كل الغزاة ، فلهذا نقل القفال فى تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات على جميع وجوه الخير من تكفين الموتى ، وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله (**وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ**) عام فى الكل(٤) .

من هنا أجمل بعض المفسرين القول فى الزكاة فقال عنها : إنها : « باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة .. إن الله ـ تعالى ـ فرض فى أموال الأغنياء صدقة لمواساة الفقراء ومن فى معناهم ، وإقامة المصالح العامة .

وروى عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك والحسن البصرى ـ رضى الله عنهم ـ أنهما قالا :

« ما أعطيت فى الجسور والطرق فهى صدقة ماضية »(٥)

وعن القاضى أبى يوسف ـ إذ ذكر مصارف الزكاة :

« وَسَهْمٌ فى إصلاح طرق المسلمين »(٦) .

وعن المالكية : يصح أن يشترى من الزكاة سلاح وخيل للجهاد .(٧)

وقال الشافعى ـ رضى الله عنه :

« يعطى الغزاة الحمولة والرحل والسلاح والنفقة والكسوة »(٨) .

ونقل الحافظ بن حجر العسقلانى ..

« كذلك الغازى يحل له أن يتجهز من الزكاة وإن كان غنياً ، لأنه ساع فى سبيل الله ، قال الشارح :

يلحق به من كان قائماً بمصلحة عامة من مصالح المسلمين كالقضاء والإفتاء والتدريس ـ وإن كان غنياً .

---

(٢) تفسير المراغى ١٤٥/١٠ (٣) تفسير البيضاوى ٤٣٠/١

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ٦٨١/٤ بتصرف يسير

(٥) أبو عبيد الأموال ٥٠٩ ومصنف ابن ابى شيبة ١٦٦/٣

(٦) الخراج ص ٨١

(٧) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٦٢٣

(٨) الأم ٧٥/٢

وأدخل أبو عبيد من كان فى مصلحة عامة فى (العاملين) وأشار إليه (البخارى) قال : (باب رزق الحاكم والعاملين) وأراد بالرزق ما يرزقه الإمام من بيت المال لمن يقوم بمصالح المسلمين كالقضاء والفتيا والتدريس فله الأخذ من الزكاة فيما يقوم به مدة القيام بالمصلحة وإن كان غنياً »[٩] .

وكذا نقل إبن رشد صاحب بداية المجتهد[١٠] .

وعن الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه :
« .. روى أن عدى بن حاتم أتى أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ بنحو ثلاثمائة بعير صدقة قومه فأعطاه منها ثلاثين بعيراً ، وأمره بالجهاد مع خالد فجاهد بنحو من ألف رجل »[١١] .

وروى إبن حزم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الحج يعتبر « فى سبيل الله » .

وصح عن إبن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن يعطى منها فى الحج قلنا : نعم ، وكل فعل خير فهو « فى سبيل الله »[١٢] .

وكذا قرر مولانا عبد الماجد دريابادى الهندى فى تفسيره .[١٣]

وفى (تفسير المنار) أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى « من الصدقة مائة ناقة فى نازلة سهل بن أبيئ جثعمة إطفاء للثائرة وفيه » :

والتحقيق أن (سبيل الله) هنا : مصالح المسلمين العامة التى بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد ، وأن الحج ليس منها ؛ لأنه واجب على المستطيع دون غيره ، وهو من الفرائض العينية بشرطه كالصلاة والصيام لا من المصالح الدينية الدولية ..

ولكن شعيرة الحج وإقامة الأمة لها منها فيجوز الصرف من هذا السهم على تأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة للحجاج إن لم يوجد لذلك مصرف آخر »[١٤] والشيعة على ذلك :

وبذلك ثبت ـ فى ضوء ما أسلفنا ـ أن كلمة « وفى سبيل الله » من الآية الكريمة ـ تتسع اتساعاً كبيراً نستطيع أن نستفيد منه لإصلاح نظامنا المالى الاقتصادى حتى يتفق والتعاليم الإسلامية . ونتخلص بالتالى من أنظمة مالية لا يقرها الإسلام لا زالت ـ على ما تضفى على المجتمع من وزر ـ تكبل خطاه وتعوق مسيرته ، وتضع على كاهل المسلمين فروضاً ليست عليهم .

وفى الحديث الشريف قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

---

(٩) سبل السلام ٢/١٤٥ ، ١٤٦
(١٠) بداية المجتهد ١/٢٠١
(١١) الأم ٢/٧٥
(١٢) المحلى لابن حزم ٦/١٥١
(١٣) تفسير ماجدى ٢/٧٥
(١٤) تفسير المنار ١٠/٥٧٩ ـ ٥٨٥

« إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم[١٥]»

وعنه ـ صلى الله عليه وسلم :

إذا أديت زكاة مالـك فقد قضيت ما عليك[١٦].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام :

ليس فى المال حق سوى الزكاة[١٧].

ومن الإنصاف أن تقول :

إن المسلمين لا زالوا ـ والحمد لله ـ عند النازلة يبذلون الكثير دون انتظار عائد ، يفعلون ذلك عن طيب نفس ، وفيما بذلوه ويبذلونه ما ليس بزكاة وليس هو واجباً عليهم ، والحروب التى مرت بهم خير شاهد على ذلك وما فعلوا إلا مرضاة لله ـ عز وجل ـ .

والسؤال الأخير :

ماذا تفعل الدولة إذا لم تكف أموال الزكاة ؟!

تقول :

من حقها حينئذ أن تطالب بضرائب فتفرضها تصاعدياً متفاوتة بتفاوت رءوس أموال الأغنياء ، وتبقى ما بقيت الضرورة ، ولا يجوز أن تزيد فى مجموعها عما أوجبته تلك الضرورة ختى إذا زالت الضرورة زالت الضريبة .

وفى هذا التشريع إرساء لمصدر الطمأنينة والثقة فى نفوس المسلمين مما يدفع المؤمنين إلى إقرارهم بما يمتلكون فى صدق ورضا .

ولم يثبت أن نظام الضرائب نجا ـ فى أى مكان فى العالم بحكم وضعه فى ظل الاقتصاد الغربى ـ من عبث كثير من المواطنين به فى كافة أنحاء العالم ؛ وتفنن الكثير منهم إلى الهروب منه .

يحدث هذا كله فى الوقت الذى نرى فيه كثيراً من المسلمين يؤدى عن رضا ما فرضه الله عليه من زكاة ، وما فرضته عليه الدولة من ضريبة .

وإنما يحرص الإسلام على فرض الضريبة بشرطيها المتقدمين وعلى الحال الذى ذكرنا أمنا من وقوع الظلم ، فإن نتيجته وخيمة إذ هو مؤذن بخراب العمران . بقول ابن خلدون ـ رحمه الله :

إن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، وإذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ... والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ؛ فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال ، وابْذَعَرَّ[١٨] الناس فى

(١٥) كنز العمال ٦/٢٩٦

(١٦) الترمذى : باب ما أديت زكاة مالك

(١٧) الميزان الكبرى للشعرانى ٢/٢

(١٨) ابذعر الناس : تفرقوا وفروا

الآفاق من غير تلك الإيالة[19] فى طلب الرزق فخف ساكن القطر وخلت دياره واختل باختلاله حال الدولة ...

إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة ، ولا قوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل .

إن الظلم مخرب للعمران ، وإن عائدة الخراب فى العمران على الدولة بالفساد والانتقاص .

ومن أشد الظلامات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق »[20]

وكتب شاه ولى الله الدهلوى - رحمه الله - قال :

سبب من سببى خراب البلدان ضرب الضرائب الثقيلة على الزراع والتجار والمتحرفة [أهل الحرف] والتشديد عليهم حتى يفضى [ذلك] إلى إجحاف المطاوعين واستئصالهم ، وإلى تمنع أولى البأس الشديد وبغيهم ، وإنما تصلح المدينة بالجباية اليسيرة وإقامة الحفظة بقدر الضرورة »[20]

والإنسان أطوع لما توجيه عليه الشريعة ؛ فإذا تجووز أمرها أسرع بالفرار مما زيد عليها .

والله - سبحانه - نرجو أن ينعم علينا بالرشاد ، وبتطبيق أمره والعمل بشريعته حتى يسعد المسلمون فى كل مكان ويبذون برفعتهم كل دولة فى الوجود على سلم قائم واحترام متبادل .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

---

(١٩) الايالة : الدولة أو جزء منها

(٢٠) باختصار مع المحافظة على النص الأصلى فيما هو منقول هنا عن مقدمة ابن خلدون - رحمه الله ص ٢٨٦ - ٢٨٩ ط مصطفى محمد (٢١) حجة الله البالغة ص ٩٣ دار الكتب الحديثة

ابن جُزَىّ الأندلسى

مصنف

"التسهيل لعلوم التنزيل"

حياته .. ثقافته .. مؤلفاته

فقد جذبنا الشوق وحب الاستطلاع الى تقصى كتب التفسير لكتاب الله المبين . وما أكثر اهتمام أئمة المسلمين وجلة علمائهم عبر الأجيال ، وعلى توالى الأعوام فى وضع التفاسير وتأليفها محاولين مخلصين ايضاح آيات الله المحكمات جهد استطاعتهم وعلى قدر طاقتهم. ولكل تفسير أسلوبه ومنحاه ومزاياه . حتى زخرت المكتبة الاسلامية بصنوف كثيرة من هذه التفاسير . وكأن منها المطول الذى يعد مرجعا لخاصة العلماء . ومنها الموجز الذى لا يكاد يروى غلة ولا يطفىء ظمأ .

فاعتمدنا على الله المستعان . راجين منه الهداية والتوفيق فى الوصول بعد طول البحث والمحاولات الى تفسير يتفق أو يقرب أسلوبه من أسلوب العصر مع الايجاز الوافى ، وحسن العرض للمعانى . والاعتماد أولا على أيضاح معنى الآية بغيرها من الآيات التى تتصل بها ، وترتبط بها فى المعنى مع الأمانة والصدق فى النقل والرواية . فكان أن ظفرنا بهذا الكتاب « التسهيل لعلوم التنزيل » .

وليس بدعا أن يكون « كتاب التسهيل لعلوم التنزيل » على ما أوضحنا ، فهو لعالم فذ من ثقات علماء الأندلس المشهود لهم . الذين يتميز أسلوبهم البيانى بمسحة الأدب والوضوح . فمؤلفه العالم العلامة الحافظ المفسر محمد بن جزى الكلبى أحد علماء غرناطة الأعلام . كان فذا فى نباهته والمامه ــ بالفقه والأصول ، وعلم الكلام والتفسير ، والحديث والقراءات ــ كما كان نابغة فى اللغة والبلاغة والأدب . وكان الى كل ذلك مؤرخا وشاعرا وخطيبا وكاتبا بارعا .

ولقد تجلت صفات هذا العالم وتبحره فى شتى العلوم والفنون فى تفسيره هذا . فبدأ فى صورة رائعة قوية واضحة . مع قوة التعبير ، وجمال التصوير ، وروعة العرض للمعانى .

وجدير بالقارىء أن يحرص على قراءة المنهج الذى صدر به المؤلف كتابه ، وبين فيه منزلة علوم القرآن بين سائر العلوم . وأنها أشرف العلوم قدرا . وأن المصنفين فيها اختلفوا

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوه عوض

فى أساليب تصنيفهم اختلافا كثيرا وكل سلك طريقا نحاه ، وذهب مذهبا ارتضاه « وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ » وبين أنه سلك فى تفسيره مسلكا نافعا اذ جعله وجيزا جامعا • وبين أربعة مقاصد قصدها هذا الكتاب •

وقد قدم له مقدمتين : احداهما فى ــ أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة ــ والأخرى فى ــ ما كثر دوره فى القرآن الكريم من الألفاظ اللغوية وايضاحها •

وجعل المقدمة الأولى اثنى عشر بابا تناولت مباحث هامة عن القرآن الكريم • منها كيف نزل ؟ وكيف جمع ؟ والسور المكية والمدنية وما يتميز به كل منهما • والمعانى والعلوم التى تضمنها القرآن ، ثم الفنون التى تضمنها وهى اثنا عشر فنا • ثم أسباب الخلاف بين المفسرين ، والوحدة التى يرجح بها بين أقوالهم : ثم عرج الى بيان سبب انقسام السلف الصالح فى تفسيره الى فرقتين ، فالناسخ والمنسوخ ، ثم جوامع القراءات وهى على نوعين : مشهورة وشاذة • ثم الوقف والفصاحة والبلاغة وأدوات البيان • ثم اعجاز القرآن والدليل على أنه من عند الله عز وجل ، ثم فضل القرآن الكريم ، وأذكر ماورد عنه فى الحديث الصحيح •

وكلها مباحث قيمة قد يعانى الباحث عنها فى غير هذا الكتاب جهدا مضنيا من أجل الوصول اليها والالمام بها ، وقد لا يجد السبيل لها ممهدا •

وفى المقدمة الثانية ذكر صاحب التسهيل كل كلمة لغوية وقعت فى موضعين أو أكثر فى القرآن الكريم ، وفسرها سواء كانت اسما أو فعلا أو حرفا • وبين أنه انما جمعها فى هذا الباب لفوائد • وأنها لفوائد قيمة تميز بها هذا الكتاب •

يقول ••• رحمه الله :

صنفت هذا الكتاب ــ فى تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا اذ جعلته وجيزا جامعا •• قصدت به أربعة مقاصد ــ تتضمن أربع فوائد :

الفائدة الأولى : جمع كثير من العلم فى كتاب صغير الحجم • تسهيلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين • فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم • ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها • وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها • ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه ، من غير افراط ولا تفريط • ثم انى عزمت على ايجاز العبارة وافراط الاختصار • وترك التطويل والتكرار •

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة ، قلما توجد فى كتاب • لأنها من بنات صدرى ، وينابيع ذكرى • ومما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة فى غرائب الدفاتر •

الفائدة الثالثة : ايضاح المشكلات ، اما بحل العقد المقفلات ، واما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات ، وبيان المجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين . السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب .

فمنها الصحيح الذى يعول عليه .

ومنها الباطل الذى لايلتفت اليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم ان هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا . وأنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة ، وكل قول . فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل . ثم ما أقول فيه انه ضعيف أو بعيد . ثم ما أقول ان غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر . ثم ما أقدم غيره عليه اشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه . قيل كذا ، قصدا للخروج من عهدته .

وأما اذا صرحت باسم قائل القول : فانى أفعل ذلك لأحد أمرين : اما للخروج عن عهدته ، واما لنصرته اذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال الى أصحابها الا قليلا وذلك لقلة صحة اسنادها اليهم ، أو لاختلاف الناقلين فى نسبتها اليهم ، وأما اذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد . فذلك اشارة الى أنى أتقلده وأرتضيه ، سواء كان من تلقاء نفسى . أو مما أختاره من كلام غيرى . واذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب . وربما ذكرته تحذيرا منه . وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنى على القواعد العلمية . أو ما تقتضيه اللغة العربية . وسنذكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال ان شاء الله . وسميته (كتاب التسهيل لعلوم التنزيل) وقدمت فى أوله مقدمتين :

احداهما : فى أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة .

والأخرى : فيما كثر دوره من اللغات الواقعة .

وأنا أرغب الى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا . ووسيلة توصلنى الى جنات النعيم، وتنقذنى من عذاب الجحيم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. وبعد :

فان المصادر المتعددة التى تناولت تاريخ الأندلس تجمع على الاهتمام البالغ بشخصية ابن جزى الكلبى — أبى القاسم — فهى تذكره فى موضع التقدير والاعتزاز وتضعه فى صف الأعلام الذين برزوا خلال هذا التاريخ الحافل الذى أنشأته الدولة الاسلامية فى الفردوس المفقود . ويمثل ابن جزى واحدا من هذه النخبة والصفوة التى حفلت بها (غرناطة) فى عصرها الأخير . حيث كانت ملاذ العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء الأندلس بعد سقوط قرطبة ، وبلنسية ، ومرسية ، وأشبيلية .

وقد عاش ابن جزى عصرا زاهرا من عصور غرناطة — الى أن توفى عام ٧٤١ هـ . وقبل سقوط آخر معقل للاسلام فى الأندلس عام ٨٩٧ هـ .

تقع مملكة غرناطة فى واد عميق يمتد من المنحدر الشمالى الغربى لجبال (سييرنيفادا)

ويمتد الى ساحل البحر من المرية الى جبل طارق • وتظللها الآكام العالية من الشرق والجنوب • ويحدها من الجنوب نهر شتيل فرع الوادى الكبير • وتشرف من الجنوب الغربى على بساط شاسع أخضر وافر الخصب • هو المرج الكبير الذى يمتد غربا الى مدينة لوشة (١) • ويطلق العرب على جبال سييرا نيفادا جبل الثلج •

ويصف المؤرخون غرناطة أيام الدولة الاسلامية بأنها كانت جنة من جنات الدنيا • تغص بالغياض والبساتين اليانعة • فضلا عن أن المدينة كانت نموذجا بديعا للعمارة الاسلامية • تغص بالصروح والأبنية الضخمة• وكانت مدينة الحمراء وقصرها المنيف من أروع ما فيها (٢)

وقد حكم مملكة غرناطة بنو نصر منذ عام ٥٩٥ هـ ــ ١١٩٨ م • وأول رجالهم محمد ابن يوسف بن نصر بن قيس الخزرجى • وهم من يسمون دولة بنى الأحمر • وقد استمرت مملكة غرناطة حتى عام ٨٩٧ هـ •

وقد استطاعت هذه المملكة أن تبقى ردحا من الزمان بفضل دهاء ملوكها وحنكتهم السياسية • اذ كانت كالجزيرة وسط الممالك النصرانية ، تهب عليها العواصف من كل جانب (٣) • وكان لصداقة ملوك غرناطة مع بنى مرين فى المغرب أثرها البعيد فى معاضدتهم ، وارسال عونهم الحربى لهم •

وقد بلغت غرناطة فى انهاض العلوم والآداب ما بلغته قرطبة وارتقت فيها الفنون ارتقاء عظيما • وانصرف أهلها الى العلم والبحث • وظهر بها عدد كبير من العلماء الأعلام •

ولد ابن جزى سنة ٦٩٣ هـ وتوفى ٧٤١ هـ • فعاش أزهى عصور غرناطة • وشهد عصر السلطان أبى الوليد اسماعيل ، الذى امتاز عصره بتوطيد الملك ، واستقرار الأمور ، واحياء عهد الجهاد • كما شهد عصر ابنه أبى عبد الله محمد • وعصر أخيه أبى الحجاج يوسف ابن أبى الوليد • وكان عالما وشاعرا يحمى الفنون والآداب •

وفى عهده بلغت غرناطة ذروة قوتها العسكرية ، وبلغت العلوم والآداب الأندلسية أوج التقدم والازدهار ، وسطع بلاط غرناطة • وكان يعيد بفخامته وبهائه ذكريات بلاط قرطبة (٤) •

يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان فى عرضه للحركة العلمية فى غرناطة فى هذا العصر : (ونبغ من علماء الدين والفقه فى هذه الفترة كثيرون منهم ــ أبو القاسم عبد الله بن جزى الكلبى الغرناطى ــ فقد ولد عام ٦٩٣ هـ • وتولى الخطابة بغرناطة • وتوفى سنة ٧٤١ هـ فى موقعة طريف) •

وقد أورد ذكره كثيرون فى مقدمتهم : ابن حجر فى الدرر الكامنة ، وابن فرحون فى الديباج ، والكنانى فى فهرس الفهارس ، والبغدادى فى ايضاح المكتون •

وترجم له الأستاذ محمد بن محمد ابن مخلوف (٥) فى كتابه (شجرة النور الزكية

---

(١) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) الاسلام فى الأندلس لمصطفى عبد البديع
(٤) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس
(٥) انظر القوانين الفقهية لابن جزى

فى طبقات المالكية بقوله : هو أبو القاسم محمد ابن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى • من ذوى الأصالة ، والوجاهة ، والنباهة ، والعدالة • الامام الحافظ العمدة المتفنن • أخذ عن ابن الزبير ، لازم ابن رشد ، وأبا المجد ابن أبى الأحوط ، والقاضى بن برطال ، وأبا القاسم بن الشاط •

وفى الدراسات الحديثة • كتب عنه الزركلى فى الأعلام ، وكحالة فى معجم المؤلفين • وتناوله محمد عبد الله عنان فى كتابيه (لسان الدين ابن الخطيب ، نهاية الأندلس) • وذكره بروكلمان فى الجزء الثانى من كتابه (تاريخ الأدب العربى) •

وأجمعت هذه المصادر على أنه عالم أديب ، شارك فى العربية والفقه والأصول ، وعلم الكلام والحديث ، والقراءات والتفسير •

وأشهر مؤلفاته هى :

١ — وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم •

٢ — الأقوال السنية فى الكلمات السنية •

٣ — الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار •

٤ — القوانين الفقهية فى تلخيص مذهب المالكية •

٥ — التنبيه على مذهب الشافعية ، والحنفية، والحنبلية •

٦ — تقريب الوصول الى علم الاصول •

٧ — النور المبين فى قواعد عقائد الدين •

٨ — المختصر البارع فى قراءة نافع •

٩ — أصول القراء الستة غير الامام نافع •

١٠ — الفوائد العامة فى لحن العامة •

١١ — التسهيل فى علوم التنزيل — وهو كتابنا هذا •

١٢ — فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب — وغير ذلك •

ولقد أوردت كتب التراجم والتاريخ ثلاث شخصيات باسم ابن جزى •

الأول : ابن جزى أبو بكر — أحمد بن محمد — المتوفى عام ٧٨٥ هـ • وهو عالم مشارك فى الفقه والعربية — ولى الخطابة والقضاء بغرناطة — ومن تصانيفه شرح ألفية ابن مالك فى النحو •

الثانى : المؤرخ محمد بن محمد المتوفى سنة ٦٩٣ هـ

الثالث : صاحبنا هذا المشهور بأبى القاسم • وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى الغرناطى •

وقد أجمع الباحثون أنه توفى وهو يحرض الناس يوم معركة طريف فى السابع من جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ • وتردد فى بعض المراجع أن ترجمته وردت فى (نفح الطيب) الجزء الثالث من صفحة ٢٧٠ الى ٢٧٣ • وقد راجعنا الجزء الثالث — بل والجزء الأول والثانى أيضا من نفح الطيب فلم نجده • وكان الموضع الذى أشار اليه الباحثون هو باب (ذكر من رحل من الأندلسيين للمشرق) • ولم ترد فى ترجمة ابن جزى أية اشارة الى انه سافر الى المشرق •

وليس من شك فى أن ابن جزى علم من اعلام الفكر والثقافة فى عصره • وواحد من الرجالات البارزين فى مجال القضاء والفقه والتفسير • فلله دره • مفسرا وقاضيا وفقيها ومؤلفا •

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيد / و . ش . الجيزاوى

ما حكم التبنى فى الإسلام ؟

ج : التبنى ـ بمعنى إلحاق طفل برجل ليكون كابن صلبه ويحمل اسمه وليس من مائِهِ ولا من صلبه ـ حرام وكبيرة من الكبائر ؛ لأن فيه خلط الأنساب ، الله قد كرم الإنسان بحفظ نسبه وعرضه ، كما أن فيه تحليلا لما حرم الله ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ . ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ** ﴾ وسواء فى ذلك معلوم الأبوين أو مجهول الأبوين ، يقول تعالى : ﴿ **ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ** ﴾(١) .

أما التكفل باللقيط فهو واجب شرعا على الأمة الإسلامية ، وللإنسان أن يعطيه من رعايته وعطفه وحنانه ومن ماله ما يشاء تبرعا لله ، فأما أن يضيف اسمه على اسمه فلا(٢) ، فليتق المسلمون ربهم وليمتثلوا أمر الله بالمحافظة على أنسابهم وأعراضهم .

س : من السيد / ع . م . شلتون ... البحيرة

تقدم شاب لفتاة ودفع المهر و(الشبكة) وهدايا ، وأنفق على الحفل الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة ولم يعقد عليها ، ثم تقدم الشاب يريد فسخ الخطبة .. فما الحكم ؟

◄

(١) مواليكم : بنوعمكم .

(٢) ويعنى ذلك بضعة أحكام ، فمن يقوم بكفالة إنسان تتعلق بمكفوله ـ إذا كان على النحو الوارد فى الفتوى ـ عدة أحكام :

أ ـ لا يرث عن كافله .

ب ـ يحرم عليه النظر إلى نساء كافله ، والخلوة بهن ، والسفر معهن كمحرم ، وهو منهن أجنبى لا يحل له منهن إلا ما يحل لأجنبى تقدم للزواج من إحداهن .. إلخ .. مجلة الأزهر .

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمرأة لا تستحق المهر إلا بالعقد عليها فكذلك الشبكة ، فيجب على الفتاة أن تردهما إليه ، وكذلك ترد الهدايا القائمة .. أما المستهلكة فلا تعوضه عنها .. ، وتكاليف الحفل الذى أقيم عن اتفاق منهما ، تقسم هذه التكاليف مناصفة بينهما .

س : من السيدة / م . محمد الجمالية

رجل طلق زوجته ويريد أن يتزوج بأختها . فهل هذا جائز شرعاً ؟

ج : ما دام قد طلق زوجته وانتهت عدتها منه جاز له أن يتزوج من أختها .

س : من السيد / م . ق . حسين القليوبية

هل يجوز الصرف من الزكاة على تعمير المساجد ؟

ج : صرف الزكاة إلى الفقير المحتاج أحق وأولى من صرفها على تعمير المساجد ، وبعد كفاية المحتاج يجوز الصرف لتعمير المساجد وذلك من مصرف (وفى سبيل الله) .

س : من السيد / ع . م . حجازى المنوفية

توفى رجل عن : أم ، أب ، وزوجة لم يدخل بها ولها مؤخر صداق وقد كتب لها قائمة منقولات وأحضر هذه المنقولات .. كما ترك شقة سكنية تملك له بعد ثلاثين سنة بعد دفع المستحق عليه من أقساط ، ودفع من قسطها سنة ونصف سنة تقريباً .. فكيف تقسم هذه التركة ومن يرث وما نصيبه ؟

ج : المقدم والمؤخر يعد ملكاً للزوجة ، وكذلك المنقولات المكتوبة بالقائمة من حق الزوجة ولها ربع المبلغ المدفوع للشقة ، وكذلك ترث الربع إن كان له تركة .

وللأم السدس فرضاً لوجود عدد من الإخوة ، وللأب الباقى تعصيبا . ولا شىء للإخوة .

س : من السيد / ن . ع . الشاهد الشرقية

توفى رجل عن : زوجة . ثلاث بنات ، أم . إخوة أشقاء ذكور وإناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضاً ، وللأم السدس فرضاً ، لوجود الفرع الوارث وللبنات الثلاث الثلثان فرضاً ، لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ...

والباقى للإخوة الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد / ط . ى . العباسى طنطا

دفنت والدتى فى مقبرة ليست ملكا لى ، وبعد ست سنوات طلب المالك نقل الجثة لحاجته إليها . فهل يجوز نقلها ؟

ج : يجوز نقل الجثة حيث طلب مالك الأرض أرضه ، وذلك مع المحافظة على الجثة وعدم امتهانها وفقا للقواعد الصحية ..

الشعر والشعراء

إشراف
الدكتور حسن جاد

الذى علم بالقلم

مولد النور

بين المد والجزر

مولد النور

فى فـؤادى خـواطـرٌ تتـودد ... وبقلبـى مشـاعـرٌ تَتَجَـدَّدْ
هى زادى فى رحلة العمر مابى ... حـاجـةٌ بـعـدهـا لكى اتـزود
هـى تـرنيمتـى وورد يقينـى ... هى أبقى من كـل شىء وأخلد
إنهـا الحب يـامنـار الحيـارى ... كلمـا طـال عمـره .. يتـأكـد
حب فجـر من الهدايـة صـاف ... كم أضاء الورى وأعطى وأسعد
حب نبع من السماحة والجود ... وكنـز مـن المكـارم اجـود
حـب ظـل مـن الأمـان ظليـل ... فى صحـارى من اللظى تتوقـد

●

أنت يـابـاعث الفضـائـل فى النفس ويـاصـاحب السبيـل الممهـد
أنـت للسـالكـين خـير دليـل ... وسراج لكـل فكـر تشرد
انـت نـور ورحمـة وحِنَـان ... أنت طب الوجود . أنت محمد

●

جئت والنـاس والنفـوس ظمـاء ... وقلـوب إلى الـهـدى تتـودد
جئت والعقـل لا يعى مـاتمنـى ... خـاطـر مقفـر وذهـن مبلـد
جئت والنفس فى خسيس الدنايا ... للخطيئـات أسلمت كـل مقـود
جئت والفكـر سـادر فى ضـلال ... شط فى الخطو واستباح وألحد
جئت والحب فى الحنايا غريب ... والبنيـات بـالبـراءة تـوءد
وخطا القـوم فى شتـات وخلف ... وحـروب مـريـرة تتبـدد
وقـوى البغى شرعـة للتبـاهى ... والقـوى الظلـوم فيهـا مسَـوَّد
والـغنىّ استبـاح كـل حـرام ... جمّـع المـال والنضـار وعـدد
وضبـاب الجمـود أرخى ستـارا ... عطـل الفكـر والحيـاة وأفسـد

●

جئت جمعت خطـوهم فى تآخٍ ... بـارك الله غـرسـه فتـوحـد
جئت بـالنور فـاستفاقت قلـوبٌ ... طـال تحنـانهـا لطلعـة أحمـد
جئت بـالأمن واحـة للحيـارى ... يتـلاقى بظلـهـا كـل مجـهـد
جئت خضرت بالهدى كـل درب ... وزهـت قفـرة واخصب فـدفـد

●

سيـد الخلق يـامنـار الحيـارى ... نفحة من ضياك نهنى ونسعد

شعر: رشاد محمد يوسف

الملايين من بنيك نيام أمل ضائع وجهد مبدد
أرضهم منبع الرسالات صارت والرسالات فوقها تتهدد
ريحهم ضيعت بكل سبيل والصراعات بينهم تتعدد
أمرهم فى ديارهم صار شتى والاعادى بأرضهم تتوعد
نام عنا رعاتنا وابتلينا بذئاب من حولنا تترصد
وغدونا فى أرضنا كغثاء ساقه السيل حين أرغى وأزبد

●

قال قوم: شفيعنا، ثم ناموا يمضغون الرؤى بفكر مجمد
حسبهم عزلة وحبات ورد وحروف على الشفاه تردد
قلت ياقوم والاله تعالى قوله الفصل فى الكتاب تحدد
آمنوا واعملوا وجدوا وجودوا واجعلوا الدين شرعة تتجسد

●

ياملايين من عشيرة طه جَمِّعُوا شملكم برأى مسدد
شأننا اليوم فى الحياة عجيب طلسم غامض ولغز معقد
يرتقى الكون حولنا ثم نغفو فى سراديب أمسنا نتمدد
كيف نلهو وبيننا سور الوحى وفينا تعيش سنة أحمد
كيف نرضى بوصمة الجهل فينا والنبى الكريم بالجهل ندد
كيف نشقى والله خص رُبَا نا بجنى الخير والقطوف وأسعد
كيف نرضى تخلفا أو جمودا ولنا السبق من قديم تعدد

●

ياملايين من عشيرة طه ان أن ينتهى زمان التردد
آن أن نستفيق عقلا وقلبا ليس بالأمنيات فالأمر أبعد
لا تناموا على الضنى ويهوذا كل يوم أضل فيكم وأفسد

●

خير ذكرى لأحمد حين نحمى قدس قرآننا وحرمة معبد
خير ذكرى لأحمد حين نمحو وصمة الجهل والجمود الملبد
خير ذكرى لأحمد حين نصفو ونحيل الحياة بالحب أرغد
خير ذكرى لأحمد حين نقفو فى دروب الحياة خطو محمد

محمد صلى الله عليه وسلم

جف السحاب وفاضت البيداء ... فاسقوا الحيارى أيها الندماء
يا أيها الندماء هذا منهل ... لا الكرم يعرفه ولا الشعراء
وتتفيأوا شعرى فإن ظلاله ... شماء باذخة الذرى غناء
لا تعذلوه إذا تسامى وازدهى ... فبه لذكر محمدٍ خيلاء
ومحمد أنشودة للأنبياء ... وقمة يحبو لها الحكماء
زفته للأرض السماء كريمة ... وعليه من ألق الجلال رواء
فكان جدب البيد حقل سنابلٍ ... لما همت بمجيئه النعماء
شابت دموع التائهين فضمهم ... صبح تألق بالهدى ومساء
حتى إذا اتشح الوجود بنوره ... لهث الدجى واستخزت الظلماء
واخضوضرت بالنور وهى عقيمة ... صحراء حبلى بالظما جرداء
ودعا الخليل الله فى وديانها ... أن يستعز بظلها الحنفاء
يارب قد أسكنت من ذريتى ... بلداً على شفتيه يظمأ الماء
حتى أتيت فكنت أكرم دعوة ... لبت نداها للخليل سماء
ومشيت فى ألق الشباب مطهرا ... مترفعا عما أتى العظماء
فأضأت بعدك للشباب منارة ... إن الشباب توثب وبناء
أرأيت أشراف القبائل إذ أتوا ... للبيت .. تحدو ركبهم أهواء
يتنازعون لمجدهم ووجودهم ... حجراً تتيه بلونه الظلماء
وتنابزوا .. حتى إذا ما استحكمت ... بين القبائل فتنةٌ هوجاء
استحكموك وأنت أعدل حاكمٍ ... لا الحقد لامسه ولا البغضاء
فجعلتهم ـ والله يشهد والورى ـ ... خدما .. وأنت لبيته البناء

○ ○ ○

شعر: إبراهيم عيسى

وذهبت تستجلى اليقين وقد دجت ... فى النـاس أرواح وهـن ظمـاء
وحوى الوجـود بنوره وجـلاله ... لمـا احتواك عـلى الوداد حـراء
ورنـا لك الـرحمن من عليائـه ... فعنـا الـزمـان وكبـر البشراء
واصطفت المـلأ الملائك وانحنى ... جبـريـل يـدفعـه اليـك ولاء
وأتاك يسعى وهو أكرم من سعى ... فـرنا القضـاء وشاقـه الإصغاء
يـا أيها الأمى يـانـور الـورى ... بك تستطيل على السما الغبراء
اكملـت أى الأنبيـاء بـآيـة ... الحـق فى جنبـاتـهـا لا لاء
كـالليل تغمـره النجوم بنـورها ... حتـى تبـدد نـورهـن ذكـاء
اتممت ما شاء الهدى فختامـه ... مسـك وشرعـك للبقـاء بقـاء

○○○

يا أيها البشر السمـاوى الذى ... لضيـائـه تتفـرغ الظلمـاء
أشكو الطريق اليك فامدد راحة ... يـرجـو نـداهـا تـائب خطـاء
وأعـد إلى نور الحقيقـة عـالمـاً ... قـد كبلتـه غـوايـة عميـاء
عشق السنا وعليه من إصر الدجى ... قيدٌ له عنـد الضحى أصـداء
قد خيمت فيه الجراح .. وولولت ... ريـح الخطايـا .. والمنى اشـلاء
سالت دموع النور فوق ظلامنا ... ورمت شراع رجـائنـا الأنـواء
والشوك أدمى الورد .. حتى عطره ... صلبـت رؤى أحـلامـه الأرزاء
وتـوثب الشر الحبيس بعـالـم ... جنت بـه الأهـواء والبغضـاء
تبًـا لـعلم لا يضمـد جـرحنـا ... ويضىء ليـلاً تحتـه أسراء
العلم وحى اللـه بعـد كتـابـه ... فـاحمـوا سنـاه أيهـا العلمـاء

نفثات في موكب
الذكرى العاطرة

شعر: أحمد مصطفى حافظ

ماذا أقول بذروة العلياء ... يا واحد الآحاد والعظماء
مهما قبست من الشموخ قصائدى ... فلأنت فوق المدح والإطراء
هبْ لى شعاعاً من بيانك علني ... أرقى لسدة سيد البلغاء
وأصير من فيْض لنبعك .. قطرةً ... لأضوع بالأشذاء والأنداء

•••

فى مولد الهادى البشير خريدتى ... تغضى حياءً .. بعد طول عناء
ذكراه ليست فى (ربيع) وحده ... بل نفحها يسرى مدى الآناء
بالوجد فى وقت الأذان .. هزارها ... ينفك يشجينا صباح مساء
أنا لست أهلا لانتضاء يراعتى ... لأصوغ ما قد شع من لألاء
أنا من أنا .. ياعطر روحى .. من أنا ... (همزيتى) عجزت عن الإفضاء
من بعد شوقى و(البُصيرى) من لها ... أو بعد (حسان) شذا الشعراء

•••

أنا نبتة فطرية .. قد شاقها ... أن تنتمى للدوحة الشماء
هيهات تبلغ ماتروم، ودونها ... فى العمر .. عاصفة الهوى الهوجاء
لكننى ياخير خلق الله قد ... وضح السبيل لنصرة وعزاء
لى فى كتاب الله خير ذخيرة ... للنفس .. تُقْصيها عن الأهواء

•••

إيه حبيب الله .. إنى فى أسى ... لشتات شمل الأمة السمحاء
كانت - بفضلك - خيرة الأمم التى ... قد أخرجت للناس بالآلاء
واليوم عَمَّ الخطب فى أرجائها ... و(القدس) صارت مرتع الأعداء
.. أواه بعدك يا(فلسطين) التى ... قد كرمت فى ليلة الإسراء
فالمسجد الأقصى بغزو مفجع ... قد ضج .. للتقصير والإغضاء
وجنوب لبنان يضيع أمامنا ... ويموج بالتمزيق والشحناء

•••

ياعُرْبُ هُبُّوا وانهضوا بتلاحم ... ودعوا شقاق تناحر وهجاء
ماذا نقول - بحالنا - لنبينا ... والقهر ميسمنا بغير مراء
من كان يخشى الله واليوم الذى ... شاب الوليد به لهول بلاء
فَلْيَمْضِ فى كنف الشريعة راسخا ... لجهاد نفسٍ .. أو جهاد فداء

العلوم الكونية

هذه الأعشاب وهذه النباتات

الطبية الصناعية

هذه الأعشاب وهذه النباتات

٦

العنب : —

من أفضل الفواكه وأكثرها نفعا ، يؤكل رطبا ويابسا ، وأخضر ويانعا .
ويعتبر فاكهة من الفواكه ، وطعاما من الأطعمة ، وأدما مع الادام ، ودواء مع الأدوية ، يحتوى العنب على نسبة عالية من (الكربوهيدرات) أغلبها سكر الجلوكوز Glucose **، تقدر نسبته بنحو ١٦٪ ، كما يحتوى على (البروتين) بمعدل ٨٪ ونسبة قليلة من الدهون لا تربو على ٥ر٪ ولا يزيد على هذه النسبة أيضا أغلب المواد المعدنية كالبوتاسيوم والحديد والفوسفور والكالسيوم والنحاس ، وهى جميعا تساعد على زيادة قلوية الدم . وقد ثبت احتواء العنب على كميات وفيرة من الأحماض العضوية الطبيعية** Nataral organic Amino Acids **التى تساعد على تليين القناة الهضمية وتعمل على تيسير عملية الهضم مثل حمض الطرطريك والليمونيك .** Tartaric and citric acids

والمعلوم أن العنب يعطى الكيلو جرام منه طاقة حرارية قدرها ٦١٥ سعرا وهى نسبة هائلة .

وقد استعمله المصريون الأقدمون غذاء ودواء عالجوا به بعض الأمراض وقد وردت معلومات قيمة عنه ذكرها القدماء فى قرطاس « هرست » الطبى الذى يرجع عهده الى ألفى سنة قبل الميلاد .

وقد لوحظ فقر العنب فى الفيتامينات ، وقد رجح كثير من الأطباء قوة فعالية العنب الجاف (الزبيب) على العنب الطازج فى تقوية الكبد وعلاج الضعف العام .

ولا تغرينا فوائد العنب فى اطلاق كميات كبيرة من الطاقة أن نعول عليه فى كل الأحوال بل ثمة بعض الحالات لابد أن نهجره فيها ونعدل عنه مثل حالات مرض السكر Diabetes mellitus وكثير من حالات التهابات القولون ، لأن العنب سريع التخمر والتعفن فى القناة الهضمية مما يضاعف من الآثار غير المرغوب فيها .

وقد ورد ذكر العنب فى القرآن الكريم فى مواضع شتى ، قال تعالى فى سورة عبس

للدكتور: السيد الجميلى

(٢٨/٨٠) « **فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا** » .

والقضب هو القت وهو مروى عن أهل مكة كما ذكر الامام الطبرى فى تفسيره (٣٧/٣٠) وكمـا ذكـره القرطبى فى جامعـه عن ثعلب وابن قتيبة ، فراجعه ان شـئت (٢١٩/١٩) وفى معرض تعـداد آلاء الله وفضـائله على الانسان يذكر لنا القرآن الكريم فى سورة يس (٣٤/٢٦) قوله تعالى : « **وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُـونِ** » راجع تفسير جامع البيان (٤/٢٣) .

العنبر : ــ

وقد اختلف فيه ، فقالت طائفة : هو نبـات ينبت فى قعر البحر ، فيبتلعه بعض أحياء البحر حتى اذا ثملت منه قذفته رجيعا ، فيقذفه البحر الى ساحله ، وهذا هو الرأى المختار عندى .

وقد قال آخرون : انه جفاء من جفاء البحر أى زبد من زبده .

وقال : قوم ، بل هو طل ينزل من السماء فى جزائر البحر ثم تقذف به الى الساحل .

ولكن ابن سينا لم يفلح فى توهمه « أنه ينبع من عين فى البحر » .

وللعنبر ألوان مختلفة ، وهو نافع للممعودين أصحاب المعدة المعتلة الباردة ، وبخوره ينفع الزكام والصداع والشقيقة ، وفى تنبيه الحواس الخاصة ، وهو يستعمل الآن فى تحضير كثير من الأرواح العطرية .

وقيل : ان العنبر من أفخـر وأعظم أنواع الطيب بعد المسك وقد ثبت فى صحيح مسـلم (رقم ٢٢٥٣) والترمذى فى جامعه الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى رضى اللـه عنه أنه صلى الله عليه وسلم قد قال فى المسك : ــ « هو أطيب الطيب » .

وذكر الشـيخان فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله فى قصة أبى عبيدة أنهم أكلوا من العنبر شهرا ، والحـديث وارد بتمامه فى صحيح البخارى فى كتاب المغازى رقم ٦٤ باب غزوة (سيف البحر) رقم ٦٥ ، وذكره مسلم فى صـحيحه رقم (١٢٦١) وهذا هو العنبر الذى جزر البحر عنه وانحسر عنه ماؤه من أحياء البحـر وهو ميت لمفارقته المـاء ، وليس من النباتات ولا الأعشاب ، فاشـتراك اللفظ بين النبـات ، والحيـوان يشمل الطبيعة الحيوانية وكذلك النباتية .

العـود :

ويقال له : (القسـط الهندى) ويوجد منه نوعان : الأول ويستعمل فى الأدوية ، وقد ورد فى البخارى ومسلم رقم (١٤٢٩) قوله صلى الله عليه وسلم : ــ « عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية ، يستعط به من العذرة ، ويلد به من ذات الجنب » .

وروى هذا الحديث بطريق آخر الامام أحمد فى مسنده (٣٥٦/٦) ولكن النوع الثانى يستعمل فى الطيب ، ويسميه كثير من الناس (الألوه) وقد أخرج الشيخان فى (صفة نعيم أهل الجنة) أن « مجامرهم الألوة » فى البخارى (٢٦٠/٦) ومسلم (٢٨٣٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقيل : ان العود ضروب وأنواع كثيرة يجمعها اسم الألوة •

الفاغية : ـ

هى نور الحناء ، من أطيب الرياحين ، وقد ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية » راجع مجمع الزوائد للهيثمى (٣٥/٥) لكن سند هذا الحديث ضعيف ، وقال البعض : بل ضعيف جدا ، والله أعلم بحال هذا الحديث ، ولا أستطيع أن أقول فيه برأى حيث لم أعثر له على سند قوى فيما بين يدى من مراجع •

ومن الفاغية تستخرج بعض المراهم التى تستعمل فى تدليك المرضى بالفالج ، وهى ملينة للمفاصل والعضلات •

الكتم :

نبت سهلى ينبت بالسهول ورقه يشبه ورق الزيتون وثمره يشبه حب الفلفل فى داخله نوى (جمع نواة) •

والكتم المطبوخ بالماء يستعمل مدادا يكتب به ، ومشروب عصارة ورقه يسبب تهييجا للمعدة واثارة للقيىء •

Stimulates vomitting

وقيل : ان مسحوق بذر الكتم ينفع العين اذا اكتحل به لكن التجريب العملى لم أقف على شىء منه فى هذا الصدد •

وقد ورد فى الصحيحين عن البخارى (٢٠٠/٧ ، ٢٠١) ومسلم (٢٢٤١) عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ قد اختضب بالحناء والكتم » •

وقد روى الامام البخارى فى صحيحه (٢٩٨/١٠ ، ٢٩٩) عن عثمان بن عبد الله ابن موهب ، قال : دخلنا على أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ فأخرجت الينا شعرا من شعر رسول الله ـ صلى الله عنه وسلم ـ فاذا هو مخضوب بالحناء والكتم •

كذلك ثبت فى الصحيح (٢٩٧/١٠) عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : لم يختضب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) وذكر نحوه مسلم فى صحيحه رقم (٢٣٤١) •

وثبت أيضا فى صحيح مسلم (٢١٠٢) النهى عن الخضاب بالسواد فى قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن أبى قحافة : « غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد » •

وقد توهم البعض أن فى ذلك تعارضا ، والواقع الذى عليه أكثر الأئمة أنه ـ صلى

(١) أى لم يختضب ـ صلى الله عليه وسلم بما نهى عنه ... مجلة الازهر •

الله عليه وسلم ــ خضب بشهادة أنس وغيره والى هذا الرأى انتهى أحمد بن حنبل وجماعة من الفقهـــاء ، لكن مالكــا أنكـــره ، وفى « زاد المعاد » (٤/٣٦٧ ، ٣٦٨) أن النهى كان عن التسويد البحت ، وأن الخضاب بالســواد المنهى عنه هو خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية ، والمرأة الكبير تغرى الزوج ، وخضاب الشيخ يغــرى المــرأة بذلك فــانه من الغش والخداع ، أ هـ • بتصرف ولعل الذى أتى بــه « زاد المعاد » أقرب الى الاقناع فى محــاولة التوافق بين النصــوص الصحيحــة القاطعــة الثابتة عن سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وســلم •

والدليل على صــحة هذا الــرأى ــ والله أعلم ــ أن الحسن والحسين ــضى الله عنهما كانا يخضبان بالسواد •

والصحيح الذى عليه فضلاء الأمة من علماء المسلمين أنه لا يجــوز الطعن فى الأحــاديث المتفق عليها أو التى رواها الشيخان أو رجال السنن بأسانيد صحيحة أو حسنة بغير دليــل فان المقطوع به أن أحدا من أهل العلم لا يمكن أن يتعمد مخالفة سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما لا يجوز التطليق على قوله صلى الله عليه وسلم •

د• السيد الجميلى

تأملات فى الحياة

الكُليَة الصناعية

خلق الله الانسان وزوده بالعقل فامتاز على كثير من الخلق بنور العلم وذكاء الفكر وعبقرية الاختراع ، فانطلق فى رحلة العلم يحدوه شغف دائم الى كشف المجهول ، والتغلب على ما قابله من مشكلات ومعضلات •

ولاشـك أن (الألم) من أعتى مشـكلات الانسـان فهو لايـرى ـ ولايسمع ٠٠٠٠ ولانستطيع قياسـه ـ ولكن عنـدما يحـدث ينقلب نظام الانسان ويصبح همه الأول والأخير هو ازالة هذا الالم •

وعندما يحـدث أى خلل فى أداء الوظائف المنوطة بكـل عضو من أعضاء الجسم البشرى ـ يختل بذلك النظام كله ـ وصدق رسول الله صـلى الله عليه وسلم عنـدما شـبه المجتمع الاسلامى فيما بينه من ترابط وتواد وتراحم بالجسد فى ترابطه حتى اذا اشتكى منه عضـو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى •

وأى خلل فى عمـل الوظائف التى تؤديها الأعضاء لا يؤدى الى الألم فقط ولكن قد يودى بحياة الانسان كما يحدث فى الأزمـات القلبية بحيـاة الانسان كما يحدث فى « الأزمـات القلبية » أو « ضيق التنفس » أو « الفشـل الكلوى » ـ لذلك فان أيدى العلماء مختلفى التخصص تتشابك وتتعاون من أجـل حـل مشكلات الانسان وآلامه فى الحياة •

وقبـل أن نتعرض لكيفية عمـل الكليـة الصناعية وتركيبها ـ يجب أن نلقى الضـوء على (مصدر الاقتباس) وهو جسم الانسان •

فالمعروف أن جسم الانسان يحتاج الـى الغذاء والماء لكى يعيش ويستعمل الجسم هذه المواد لانتاج طاقته الحيوية ولبنـاء خلايا جديدة • وينتج عن هذه العملية نفايات لايحتاج اليهـا الجسم :

فهناك نفايات الغذاء التى تخرج يوميـا عن طريق الجهاز الهضمى •

وهناك ثانى (أكسـيد الكربون) الـذى يخرج مع هواء الزفير •

كذلك هناك نفايات يحملهـا الـدم يضر بعضها الجسم اذا بقى فيه زمنا طويلا مثـل (البولينـا) التى تنتج من هـدم (المـواد البروتينية) •

وكذلك (حمض البوليك) •

ثم ان الجسم فى حاجة دائمة الى التخلص من الماء ـ فهو يحتوى على أكثـر من حاجتـه من الماء ـ كـذلك فبعض الماء الـذى نشربه

للدكتورة : سعاد حسين البيلى

يستعمل فى اذابة بعض النفايات مثل (البولينا) و (حمض البوليك) حتى يسهل خروجهما من الجسم •

وعلى ذلك ، فوظيفة الكلى هى فى العمل على :

تخليص الدم من النفايات القابلة للذوبان فى الماء •

وتخليصه كذلك الماء الزائد عن حاجة الجسم!

وعلى ذلك فالكلى تعمل على التوازن الكيميائى لجسم الانسان بصورة مستمرة — لاتنقطع ليل نهار — حتى ونحن نائمون — هناك جنود تعمل بلا ملل — من أجل الحفاظ على الحياة ودوام اتزان وسائل الحياة •

وهذا الجندى — الكلية — عبارة عن عضو عضلى يبلغ طوله ١٢ سم وعرضه ٦ سم وسمكه ٣ سنتيمترات وتوجد فى الجانب الداخلى لكل كليه ثلاثة أنابيب :

أحدها : شريان كبير يحمل الدم المراد تنقيته •

والثانى : وريد كبير يحمل الدم الذى تمت تنقيته •

والثالث : الحالب الذى يحمل البول الى المثانة ، وهو عبارة عن كيس ذى نسيج عضلى مطاط فى فتحته السفلى توجد عضلة المثانة التى تتحكم فى الاخراج وتنتهى بقناة مجرى البول ويتم عن طريقها تخليص الجسم من البول •

مع الدورة :

واذا ما تتبعنا الشريان الذى يحمل الدم

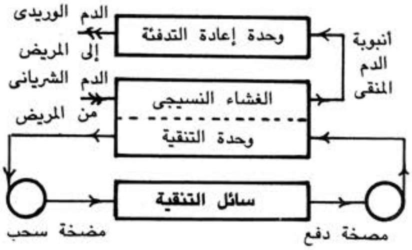

رسم تخطيطي لدورة تنقية الدم باستخدام الكلية الصناعية فى تصميمها الاول

الى الكلية لتنقيته — نجد أنه ينقسم فى الكلية الى فروع تنتشر فى الكلية وتتفرع الى فروع أصغر فأصغر حتى تصير الى أصغر نوع من الأوعية الدموية وهى الشعيرات • فاذا فحصنا هذه الشعيرات بالمجهر ، فاننا نرى أنها لاتنتشر على هيئة شبكة كما هى العادة — بل نرى أن نحو خمسين من هذه الشعيرات تتجمع بعضها الى بعض على هيئة كرة مصمتة حولها حويصلة تتدلى منها أنبوبة دقيقة على هيئة « خية » • وكل هذه الأجزاء :

الكرة والحويصلة والأنبوبة الدقيقة تشكل الوحدة الكلوية المسماة « نفرون » ويبلغ عددها فى كل كلية أكثر من مليون وحدة •

وفى أثناء مرور الدم فى (النفرون) يستخلص منه الماء بما فيه من نفايات ذائبة مارا الى الحويصلة ثم الى القناة الملتوية حيث يزداد تركيزه ومن ثم يسمى البول • ويمر البول بعد ذلك الى أنابيب أكبر — تصب فى جزء مجوف فى الكلية ومنه للحالب ثم المثانة •

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه

الكلية الصناعية

أن الانسان يستطيع الحياة فى صحة جيدة بكلية واحدة ـ ولولا ذلك لكان أى خلل يصيب احدى الكليتين خطرا على حياة الانسان ، بل ان العلماء قد اكتشفوا ان الانسان يستطيع الحياة بنصف كلية مادام سليما .

ولشدة أهمية وظيفة الكلية ، فان سدس الكلية فقط هو الذى يعمل فى أى وقت من الأوقات حتى تأخذ بقية الأجزاء فرصة كافية للراحة واستعادة النشاط .

فاذا فشلت الكليتان معا فى أداء الوظيفة المنوطة بهما ـ فان ذلك يؤدى الى ارتفاع مستمر فى نسبة (البولينا) فى الدم مما ينتج عنه فى البداية آلام شديدة تزداد فى شدتها مع الوقت فان البولينا سامة التأثير ، كما أن الماء المحتجز فى الجسم يؤثر على الاتزان الكيميائى لجسم الانسان . لذلك يلجأ الانسان الى استخدام الكلية الصناعية حيث تقوم بعملية غسيل للدم على فترات منتظمة لتخليصه مما تراكم فيه من (بولينا) و (حمض بوليك).

والجزء الأساسى فى جهاز الكلية الصناعية يحاكى « النفرون » حيث يتم فيه عملية انتقال لمكونات البول من الدم الشريانى الى (سائل الاستخلاص) ـ وهو سائل له تركيب كيميائى خاص ـ من خلال غشاء نسيجى خاص . وبعد تكرار هذه العملية عدة مرات يمكن الحصول على الدم المنقى حيث يعاد حقنه الى جسم الانسان .

ولقد بدأ العمل فى تصميم أول كلية صناعية فى فبراير سنة ١٩٦٣ حيث كون فريق من المهندسين الكيميائيين والنوويين والميكانيكيين بالتعاون مع مجموعة من الأطباء الأمريكان بجامعة كاليفورنيا ـ مجموعة عمل لانجاز هذا العمل الفريد .

والجهاز يتصل بالانسان عن طريق أنبوبتين

الأولى : لسحب الدم الشريانى من يد المريض لتنقيته .

والثانية : لدفع الدم المنقى الى جسم المريض مرة ثانية فى وريد رئيسى بيد المريض .

وبين عمليتى السحب والدفع ـ يمر الدم على عدة وحدات متتالية تحتوى على الغشاء النسيجى يمرر الدم بها من جانب حيث يندفع بقوة دفع القلب ـ وعلى الجانب الآخر يدفع سائل التنقية ـ ذو التركيب الكيميائى الخاص ـ بواسطة مضخة لها قدرة تتناسب مع قوة دفع الدم من الجسم . ويحتفظ سائل التنقية بدرجة ٢٠° مئوية حتى لا يكون وسطا لنمو البكتريا وبذلك نضمن سلامة دم المريض من التلوث ، ولما كان هذا النظام يترتب عليه مشكلة (تبريد الدم) الى ما يقرب من درجة العشرين المئوية حيث يكون الفاصل بينهما هو هذا الغشاء الرقيق ـ لذلك يجب اعادة تدفئة الدم قبل دفعه مرة ثانية الى جسم الانسان وتتم عملية التدفئة هذه فى جهاز خاص يمرر فيه الدم خلال « سربنتينا » تحاط بتيار متجدد من الماء الدافىء حتى تصل درجة حرارة الدم الخارج من الجهاز الى ٣٧°م ، ويوضع جهاز تدفئة الدم بالقرب من المريض حتى لا يبرد أثناء سيره فى أنبوبة توصيل الدم للمريض .

وعندما تم تنفيذ هذا الجهاز الأول ـ كان المرضى يترددون على المراكز الطبية المتخصصة فى هذه العملية مرتين فى كل أسبوع وفى كل مرة

يظل المريض متصلا بالجهاز لمدة تتراوح بين ١٢ الى ١٦ ساعة وفى نهاية المعالجة فان المحاليل الناتجة والمحتوية على البول تعتبر من المخلفات التى يجب التخلص منها — ويعقم الجهاز استعدادا لاستخدامه مرة ثانية ٠

وكانت هذه العملية شاقة ومكلفة جدا — خاصة اذا علمنا أن حجم الجهاز المستخدم لكل مريض كان يشغل خمس مساحة الغرفة التى يستخدمها ٠ وعند مقارنة هذا الحجم مع حجم الكلية فى جسم الانسان تقريبا — يحار العقل البشرى ولا أن تدركه رحمة الله فيلمس شيئا من القدرة الالهية اللامحدودة ٠

وبدأ العقل الانسانى يعمل ليصل الى تحسين لهذا الوضع ، فتمت عدة تحسينات كانت الفكرة الأساسية فيها واحدة — اذ كانت منصبة على تركيب (سائل الاستخلاص) وطريقة تغذيته للجهاز بحيث يمكن معالجة عديد من المرضى فى آن واحد فى المركز الطبى ، كذلك تم اختزال حجم الجهاز المستخدم للشخص الواحد حتى يتمكن من استخدامه فى المنزل ، أو حتى أثناء الليل ٠

وفى التعديل الجديد تظل درجة حرارة (سائل الاستخلاص) ٣٧°م اى نفس درجة حرارة جسم الانسان وبذلك يمكن زيادة كفاءة الجهاز بدرجة ١٥٪ ، كذلك يمكن الاستغناء عن (وحدة اعادة تدفئة الدم) قبل عودته الى الجسم ٠

ثم بقيت مشكلة احتمال نمو (البكتريا) عند هذه الحرارة الدافئة ، ومشكلة أخرى وهى أنه لم يعرف على وجه الدقة تركيب محلول (الاستخلاص المناسب) لأكبر نسبة من المرضى — اذ لكل مريض ما يناسبه من التركيب الكيميائى الأمثل للمحلول ٠

ومن المشكلات الهندسية العويصة — أيضا — (نظام التحكم) فى تركيب (سائل الاستخلاص) ودرجة حرارته ومحتواه من البكتريا حتى نضمن وجود أعلى درجة لأمان جميع المرضى ، وسلامة صحتهم ولو عجزت احدى مكونات الجهاز عن أداء وظيفتها المثلى ٠

وثمة مشكلة يتفق عليها الجميع هى أن تكلفة هذا الجهاز باهظة ولنا هنا وقفة ٠٠٠

من منا قد حسب تكلفة عمل هذا العضو العضلي الذى يحمله فى جنبيه ويعمل مدى الحياة ٠٠٠٠ ستون عاما أو أكثر أو أقل ٠

من منا تصور أن كل هذه العمليات الهندسية من : اعداد محاليل ، وضخ ، واستخلاص وانتقال مادة واتزان كيميائى على أعلى مستوى قياسى فى الدقة ٠٠٠٠ يدور داخل هذا العضو وليس فقط مجرد العمليات الحيوية ٠

هذا شىء مما عرفناه ، فماذا عما لانعرفه من أعضاء أخر فيما خلق الله ٠

ألا سبحان القائل : ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » ٠

د٠ سعاد البيلى

من أعـــلام الأزهـــر

الحسيني هاشم

أكتب هذا المقال وأنا مشرد الذهن ، مبلبل الخاطر ، فقد فاجأني نعى الحسيني هاشم مفاجأة قاسية ، لم يسبق لها تمهيد يلطف من حدتها .

وكل من يعرف الراحل الكريم قد استشعر مزيد اللوعة على فقده ، إذ كان من هؤلاء الصفوة الذين يحوزون حب الناس جميعاً ، فلا تجد لهم انسانا واحدا يقاسمهم العداء وذلك لسلوك مثالى يتأرج بعبير الإسلام ، ويضرب المثل فى كرم النفس ، وسلامة الصدر ، وكرم الإيثار مع تواضع أصيل لا يعرف التصنع ، ونبل عريق يتحاشى المباهاة :

وقد نشأ الحسيني فى أسرة طاهرة تجمع عناصر الفتوة الاسلامية الأصيلة ، وتتمسك بتقاليد الإسلام فيما تأخذ وفيما تدع ، وتترجم عن شمائل الطبيعة النقية ، والفطرة الخالصة التى جبلها الله على المودة والحب والتقوى المتحرزة عن الصغار الدافعة إلى البذل والإيثار .

لقد زاملت الفقيد فى عهد الدراسة الأولى ، وزرت بيته الكريم فى « بنى عامر » إحدى قرى الشرقية ، فكنت أجد عميد الأسرة العارف بالله الشيخ أحمد هاشم رائع الهيبة ، فياض البر ، حسن اللقاء ، كان زعيماً دينيا تهوى إليه القلوب من كل فج ، فمسجده الفسيح آهل « بالغادى والرائح » وبيته العامر نافح بالخير والزاد لكل وافد .

وأصوات التسبيح تتردد فى كل مكان ، ومجالس البر والمصالحة والدعوة إلى التئام الشمل لا تكاد تنقطع ، إذ ما يكاد يقع حادث فى قرى الشرقية ، حتى يلجأ المتنازعون إلى الشيخ الكبير وكأنه رئيس محكمة رسمية ، فيفصل فى الأمر فصل الحكم العدل ، ويجد من حلاوة القبول وسماحة الرضا ما يسهل العسير مهما كان شاقا حرجا .

والقرى المصرية فى حاجة إلى هذا النمط من الهداة ، يكونون موضع الثقة البالغة من النفوس ، فيجذبون إلى ساحة الخير كل شارد ، ويضمدون بالحكمة والموعظة الحسنة دامى الجراح .

للدكتور محمد رجب البيومى

حدثنى عالم كبير من مفكرى أبناء الشرقية فقال ما عرفت رجلا كالشيخ أحمد هاشم ؛ وقع نزاع بين قريتين ، وسالت الدماء وطالب كل فريق بالثأر ، وجاء الخبر إلى العارف بربه ، فهرع سريعاً إلى القريتين ، ودعا السكان جميعاً إلى ضيافته فى قريته يوم الجمعة فانهالت الوفود خلف الوفود حتى ضاقت بهم الأرض ، ووسعهم منزل الرجل سماحة وإيناساً وطعاماً وشراباً ثم استمع إلى كل فريق ، وأشار بالصلح داعياً إلى التجاوز فتراضى المتخاصمون على كثرتهم المفرطة وخرجوا أحباباً يتعانقون !

فى هذه البيئة الكريمة نشأ الحسينى هاشم كما نشأ ابن عمه محمود هاشم .

وقد كنا بمعهد الزقازيق الدينى نزور « بنى عامر » فى أيام الخميس والجمعة ، لننتقل إلى جودينى خالص ، ولنرى مثلا نادراً لا يعرفه على حقيقته إلا من شاهده فالشيخ الكبير لا يكاد ينام الليل فإذا أذن الفجر تقدم الناس إلى الصلاة ثم دعا بأكواب اللبن ففرقها بنفسه على الحضور قبل أن يبارحوا المسجد ، ثم يمضى إلى الساحة ليستقبل الناس مستمعا إلى ما يرجون ، وهو لا ينى عن التسبيح والذكر ، ومراعاة الوافدين بأكثر مما يستطيع .

[النشأة الأولى]

فى هذا الأفق الملائكى الناضر عرفت الحسينى هاشم طالباً بمعهد الزقازيق ، فعرفت شمائله التى لازمته صغيراً ، وصحبته كبيراً ، دون أن يتغير فى شىء كان منذ صغره حيياً خجولاً ، لا يقتحم المجالس ، ولا يرفع الصوت بالمعارضة . بل كان يقبل على الدرس فى صمت ، ويسأل أستاذه فى هدوء ، ويتعهد رقيقى الحال من زملائه بالمعونة ، فكان يشترى الكتب الدراسية لبعض من لم يستطع الشراء ، وكان منزله فى عهد الطلب صورة مصغرة من منزله الآن فى عهده الأخير ، يؤمه الزملاء عن محبة راغبة ، وودٍ أكيد فلا يجدون غير البشاشة الحانية .

وقد وفقه الله فى ميدان التحصيل منذ نشأته متجهاً إلى حقل الدعوة الدينية خطيباً فى المساجد ، وواعظاً فى الندوات ، ثم التحق بكلية أصول الدين .

ولم يشأ أن يقصر دراسته على العلم وحده ، فاتجه إلى الأدب ، ونشر فى الصحف الأسبوعية مقالات تنبىء عن موهبة واستعداد ، وما كان يعرف الزهو فى شىء ، بل كان يعرض نتاجه الأدبى فى حياء بالغ ، وكنت موضع مشورته إذ ذاك فجعلت أقارن بين تواضعه الخجول على حسن استعداده وتشامخ غيره على جدب موهبته فأرى عجباً أى عجب .

وقد لا يعرف القارىء أن الحسينى هاشم نشأ شاعراً ، ونظم عدة قصائد لم تحظ بقبوله فآثر الاغضاء عنها ، ماتت إحدى شقيقاته وهو طالب بكلية أصول الدين فبكاها بدموعه ، ثم استجاب إلى قريحته فنظم قصيدة باكية بادر بقراءتها على فى مسودتها المتواضعة ، فأخذتها منه ، ثم تقدمت بها إلى مجلة الثقافة دون أن يعلم فنشرت بالعدد الصادر بتاريخ ٣ يولية سنة ١٩٥٠ ، ومنها هذه الأبيات .

قـل للنـواعس بـعـدهـا
إن المحـاسـن فى التـراب
قـل للـورود تبـعـثـرى
فـالـروض أصبـح كـاليبـاب
وقـع المصـاب وليس كـل
مصيبـة مثـل المصـاب
أنـا لا أحس مـن الحيـا
ة سـوى التياع واضطـراب
أنـا لسـت جبـارا فـلا
أقـوى عـلى حمـل المصـاب
يـامـوت أنـت فجـعتنـى
فـامسح بنفسـك ذا العذاب
أنقـذ وجـودى مـن حيـا
ة عيشـهـا السـم المـذاب
فـالقبـر آمـال الـذى
فقـد الأحبـة والصحـاب

وفاجأت الحسينى بالقصيدة على صفحات مجلة الثقافة وهى حينئذ من مجلات الأدب ، ذات القدر الرفيع ، ولازلت أذكر ، ابتسامه الطريف وهو يقول : أنت بعثتها للمطبعة دون أن يقرأها الدكتور أحمد أمين .[1]

[فى ميدان الوظيفة]

بعد أن تخرج الحسينى من كلية أصول الدين عين أستاذا للتفسير والحديث بمعهد الزقازيق الدينى ، ثم انتدب إلى التدريس بمعهد غزة الدينى ، وغزة يومئذ فى كنف الإدارة المصرية ، ولكنه لم ينس صحبته للكتابة العلمية النافعة بالمجلات الدينية ، وهى صحبة وثيقة الصلة بمشاعره الذاتية ..

وكانت المناسبات العلمية تدعوه إلى السجال العلمى بين الأساتذة والنظراء من زملائه ، والمجال العلمى يتطلب اعتدادا وجرأة ، وهما غير ما طبع عليه الحسينى من تواضع وهدوء ، ولكنه عمل على التوفيق بين النزاعات المتضاربة ليسهم بدوره فى تصحيح الأخطاء ، ونصرة ما يراه من الحق المبين .

(١) للأستاذ الدكتور الحسينى رحمه الله قصيدة « القدوة الحسنة والإدارة الإسلامية » نشرت بمجلة الأزهر عدد « صفر ١٤٠٤ ص ٢٤٥ » ـ مجلة الأزهر .

أذكر أن عالماً كبيراً من أساتذته أخرج مؤلفاً علمياً ألم فيه بحديث عن المفسر المؤرخ أبى جعفر الطبرى فلم يضعه موضعه العلمى الصحيح ، بل قاسه بغير ميزان عصره ، إذ لابد من تقرير البيئة العلمية الخاصة فى كل زمان .

وقد قرأ الحسينى ما كتب أستاذه عن الطبرى ، وتحرج أن يقف منه موقف المعارض ، كما تحرج أن يسكت عن خطأ يجب تصحيحه ، وأذكر أنه قابلنى حينئذ ، فأشرت عليه أن يقول ما لديه دون تحرج ، فاختلاف الرأى لا يفسد قضية الود ولكنه سكت قليلاً ثم قال ، سأنشر فصلا « بمجلة الأزهر » عن مكانة أبى جعفر الطبرى فى التفسير والتاريخ فأصحح أخطاء الأستاذ دون أن أشير إليه ، فاذا ألم القراء بمقالى عن الطبرى أدركوا ما أعنيه دون أن أجابه أستاذى ، فعلاً ظهر عدد رمضان سنة ١٣٨٣ هـ من مجلة « الأزهر » يتضمن كلام الحسينى عن الطبرى دون أن يشعر أحد أنه يصحح خطأ رآه .

وهذا السلوك النفسى يكشف عن مشاعر الرجل ، ويصور مذهبه الخلقى الذى التزمه طيلة حياته ، ولو كنت مكانه لنقدت المقال مصرحا بخطأ من وقع فى الخطأ ، فما من أحد ينجو من الاعتراض ، ولكن الطبائع تتعدد ، وأشرف هذه الطبائع ما اتجهت بصاحبها إلى المسالمة والاحتياط .

ولا أنس موقفاً آخر للحسينى ، فقد كتب أحد زملائه مقالاً علمياً « بمجلة الأزهر » ذهب فيه إلى أن « البسملة » ليست جزءاً من السورة القرآنية وساق أدلة جمعها من أقوال بعض العلماء ، فلم يقع المقال موقع القبول من الحسينى ، وكتب رداً مؤيداً بالحج نشرته « مجلة الأزهر » وعقب عليه الأستاذ عبد اللطيف السبكى مؤيداً مزكيا ، ولكن الدكتور الحسينى أشار إلى الزميل بوضوح ، وحين سألته عن اختلاف مسلكه فى النقد عما عرفته منه حين كتب مقاله عن الطبرى ، قال : إن الأول أستاذى وله حق الإذعان ،

والثانى زميلى ، ومن حقه أن يبدى الرأى ، ومن حقى أن أعقب !

هذا وقد كان الأستاذ خالد محمد خالد نشر مقالاً بجريدة الجمهورية عن تعدد الزوجات فى الاسلام نزع فيه منزعا غاليا ، فرد عليه الحسينى بأدلة مقنعة ، ولكن جريدة الجمهورية حينئذ لم تنشر رد الحسينى فقابلنى ليقدم الىّ ما كتب ، وليسأل فى تواضع : هل أنا مخطىء ؟ قلت أنا معك ، وابعث بردك إلى مجلة الأزهر لأن تجلية الحقائق على صفحاتها أكمل وأوفى ، وقد كان ، فنشر الحسينى رده بعدد شوال ١٣٨٠ هـ ، وأذكر أن الأستاذ الزيات قد حذف منه بعض الحقائق المشتهرة لذيوعها ، وكان صدر الحسينى فسيحاً حين قال لى : إن الزيات يعلمنا كيف نهجر المقدمات وندخل فى الموضوع !

[رسالة الدكتوراه عن البخارى]

التحق الحسينى بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ، وهو مدرس بالمعهد الدينى ، ووفق بنجاح حتى حصل على درجة الدكتوراه

برسالته العلمية عن « الإمام البخارى محدثاً وفقيهاً » ، وهى أنضج ما كتب الدكتور بحثاً واستقصاء ودفاعاً عن السنة المجيدة وقد كانت المناسبة ملحة لصدور مثل هذه الرسالة القيمة ، لأن الجو الدينى قد تسمم بكتاب سماه صاحبه « أضواء على السنة المحمدية » وقد لاقى قبولاً من زعانف مغرضة لا تعرف عن تدوين السنة شيئاً ، وقد سرها أن يكون هذا الكتاب معول هدم للحقائق الثابتة فأكثرت له الطبل المدوى دون تحقيق.

وكان من العجب العاجب أن الذين عدوه بحثاً رائعاً فى بابه ليسوا من رجال الحديث ، ولا يكادون يلمون بحقائق العلم الصحيح ، وكانت الأمانة العلمية تدعوهم إلى أن يقفوا فى الكتابة عند اختصاصهم ، ولكنها مصر التى تفتح باب الحديث عن كتب الاسلام لكل كاتب ، علم أو جهل ، فجاء كتاب الدكتور الحسينى ليفند ما سيق من لغط لا تراعى فيه الحقيقة ، ولا تؤخذ من لبابها الصحيح .

والحسينى هادىء الطبع ، مهذب النقاش وهو بهدوء طبعه ، وسلامة منهجه ، يجذب إليه المنصفين ممن ينشدون الاستماع إلى القول دون صخب مفرقع ، لأن الضجيج وإن كان فى موكب الحق لا يتعب الاقناع الشاق ، ولكن التمسك بآداب البحث والمناظرة فى دفع الحجة ، وايضاح الدليل هوالسبيل القريب إلى الاقناع ، وإذا كان البخارى رضى الله عنه قد اشتهر بالحديث وحده فإن الناحية الفقهية فى أثره العلمى كانت فى حاجة إلى مزيد من الجلاء .

وقد قدم الحسينى إمام المحدثين فقيهاً له منحاه الهادىء فى الاستدلال والتوجيه والاعتصام بالأثر النبوى فى الرأى ، والباب الرابع من الرسالة الخاص بفقه البخارى يجمع من الحقائق المتناثرة ما يؤلف موضوعاً جديداً نسج الحسينى خطوطه خيطا خيطا حتى استوى ضافى الذيول بهيج الرواء ! وقد أفاض فى الحديث عن نشأة البخارى وحياته العلمية ، وعن حركة تدوين السنة قبل الإمام ، وعن منهج البخارى فى التدوين .

وأذكر أن بعض الناقدين أخذ على الحسينى تعصبه الشديد للبخارى ! وهو مأخذ موضع نظر ، لأن المؤلف يتعصب للحق حين يتعصب للإمام ، وماذا عسى ينتظر القارىء من دارس يتحدث عن إمام تناوله الأدعياء بالطعن المغرض فزعموا أن الصحيح فى كتابه الخالد قليل قليل ! إنها فرية مغرضة لا يكون دفعها تعصبيا للرجل بل تعصباً للحقيقة التى أوشكت أن تضيع بين قوم يهرفون بما لا يعرفون .

لقد خص الباحث ثلاثة فصول من كتابه للرد على الشبه الظالمة التى تنسج افتراء حول السنة المطهرة ، وهو فى الوقت نفسه يظهر صحة المنهج الذى احتذاه البخارى فى التدوين ، وإذا كانت هذه الشبهة قد ترددت فى كتب الاستشراق فقد أجاد الباحث تتبعها فى مظانها تتبعاً يقظا حذراً ، كما سرد بعض الأحاديث التى وجه إليها الطعن وبين خطأ ما قيل عرض لما قاله الأستاذ الدكتور أحمد أمين فى ضحى الإسلام إذ أشار إلى قلة اهتمام الدارسين بالمتن ، وكثرة اهتمامهم بالسند فذكر أن الاهتمام بالسند والمتن معاً كان من دأب المحدثين .

وأظن أستاذنا الخضر حسين رحمه الله قد كتب فصلاً خاصاً بهذه الناحية جلافيه الحقيقة جلاء ساطعاً ، ولعل كثرة الحديث عن رجال الاسناد والحرص على تدوين حياتهم وتتبع ما روى من أخلاقهم تتبعاً دقيقا لا يغفل الهاجسة المستترة هو الذى أكثر الحديث عن رجال الاسناد بصورة جعلت ما قيل عن المتن يبدو فى صورة أقل ! ولكن المسألة ليست مسألة كم فحسب ، فقد فحص السند كما فحص المتن .

وإذا كان الحسينى قد اهتم بتفنيد كل ما ادعاه المغرضون من ريب ، فقد قام مقاماً كبيراً ، وقد بلغ برسالته العلمية مبلغ الجودة المتقنة ، ذات الهدف النبيل .

[أعمال شتى]

تصدر الدكتور الحسينى بعد الدكتوراه لتدريس الحديث بكلية أصول الدين فى مصر ، وفى كليات مماثلة بالسودان والمملكة العربية السعودية ، وأصدر كثيراً من الكتب لتلاميذه فى هذا المجال ، وقد كان أثيراً لدى تلاميذه وزملائه معا لما حباه الله من خلق نبيل .

أذكر أنه فى أثناء بعثته إلى المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة تولى تدريس الحديث لطلبة الدراسات العليا بكلية الشريعة هناك ، وكان بعض أساتذته بكلية أصول الدين بمصر يزامله فى التدريس للمادة ، فى فرقة مماثلة ، فتوجه - رحمه الله - إلى أستاذه فى قاعة الدرس وجلس فى صفوف التلاميذ ، فدهش الأستاذ وتساءل عن موقف الحسينى ، فقال الدكتور فى براءة ، أنا تلميذك ، وقد كنت أستمع إليك فى كلية أصول الدين بمصر ، ولابد أن أواصل الاستماع هنا لأستفيد ، فقام الأستاذ وعانقه متأثرا .

وأنا أحرص على تدوين هذه المآثر الخلقية لأنها نادرة الوقوع فى زمننا هذا .

وإذا صدرت عن مثل الدكتور الحسينى فانها تصبح مظنة القدوة ، وموضع الاحتذاء ، ممن يسرهم أن يتمسكوا بالصراط القويم .

أذكر أن المحدث الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محمد شاكر كان يقوم على إخراج « مسند الإمام أحمد بن حنبل » فى عدة أجزاء بلغت العشرين[1] وقد أوفى على الغاية فى دقة التخريج ، والصبر على المراجعة ، والتوفيق بين الروايات المختلفة بما لا يستغرب من مثله ، ثم انتقل إلى رحمة الله ، فرأى الناشر أن يستعين بالدكتور الحسينى فى تهيئة ما بقى من أجزاء المسند . وقد كنت فى زيارة الحسينى فوجدته يقول فى حيرة ، لقد عهد إلى أن أقوم مقام العلامة الشيخ أحمد شاكر ، وأين أنا منه ؟ بل أين أنا من تلاميذه ؟ إن العبء ضخم ، والجهد محدود ، فماذا ترى ؟

قلت إن حبك لحديث رسول الله سيمدك بالعزم والأيد إن شاء الله ، فصاح الحسينى يقول : والله لقد استحييت من رسول الله أن أرفض هذا العمل ، وسأبذل جهدى ، فإذا قصرت عن الغاية المثلى التى التزمها الشيخ شاكر ، فليغفر الله لى .

(١) ما طبع من مسند أحمد بدار المعارف قبل أن يتولى الدكتور الحسينى هاشم مهمته باخراج المسند - لا يتجاوز سبعة عشر جزءا .

من أعلام الأزهر

وقد نشر الحسينى بعض الأجزاء وتقدير عمله العلمى يرجع إلى ذوى الاختصاص

[أحاديثه الإذاعية]

عرفنا معدن الدكتور الحسينى العلمى فيما كتبه عن البخارى رضى الله عنه وكذلك فيما أخرجه عن « الوحى الالهى » وعن « أئمة الحديث النبوى » وغيرهما من بحوثه المشتهرة ، وأذكر أنه أصدر كتابا عن الشاعر العراقى معروف الرصافى يلم بمواقفه الاحتماعية والقومية ، مما يدل على أنه لم ينس هوايته الأولى للأدب ، وشغفه بالشعر ، والمقالة الفنية .

أما ما أشير إليه الآن فهو أحاديثه الدينية التى يلقيها فى الإذاعة والتليفزيون وقد جمع بعضها فى كتابه « الدين القيم » بجزئيه ، وهى أحاديث سهلة ذات منزع ميسر ، حدده الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله ، حيث أوصى تلميذه وصهره الدكتور الحسينى بمراعاة حق العامة فى الهداية والارشاد إذ رأى الإمام الأكبر أن فريقاً من كبار المتحدثين لا يفرقون بين الكلمة المذاعة والمقال العلمى ، فهم يحدثون جمهرة المستمعين ، وكأنهم يؤلفون كتابا ، والإمام الأكبر يدعو المتحدث فى مجال عام أن يراعى حق الجمهور فى استيعاب النفع ، ويأخذ على فريق من العلماء محاولة غموض مصطنع لا يصل بالمعلومات الدينية إلى ذهن السامع من أيسر طريق .

وقد استجاب الحسينى فى أحاديثه العامة إلى دعوة أستاذه ، فتعمد التبسيط تعمداً ، وأذكر أنى قلت له فى مجال الحوار الخاص بهذه النقطة إن الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله كان يرضى حاجة العامة والخاصة معاً ، بوضوحه ودقته ، إذ كان يحسن اجتماعهما معاً ، فسامعه يتشبع بآرائه مهما بلغت درجة ثقافته ارتفاعاً وانخفاضاً ، ذكرت ذلك للحسينى فقال ، ومن مثل دراز حتى ينحوا منحاه ؟

ولست بذلك أضائل من قدر الأحاديث الإذاعية ولكنى أعرف أن مقتضى الحال سر بلاغى دعا إليه النقاد ، وأن التيسير أولى من التعسير إذا وجه الخطاب إلى الجمهور ، والنفوس البشرية تسأم الجد المتعمق ، ومن واجب الداعية أن يمهد لهذه النفوس طريق الاصغاء ، لا أن يدعوها إلى العزوف .

على أن الحسينى لم يقتصر على أحاديث الإذاعة إذ كان يزور مساجد الشرقية زيارات متتابعة ليلقى العظات الموسمية ، وإن القرى الهادئة فى مراكز مينيا القمح وكفر صقر وأبو حماد وبلبيس وفاقوس وغيرها .

قد سعدت بالراحل العزيز ، واطمأنت إلى وعظه المتكرر ، كما استشعرت حزنا على فقده ، إذ كان مصباح توجيه ، ولواء هداية.

لقد مضى الداعية العارف بالله الشيخ محمود هاشم إلى ربه ، فكان بقاء الحسينى من بعده عزاء للذين يعرفون مكانة الأسرة الهاشمية فى المجتمع الإسلامى .

وقد شاء الله أن يلحق به ، لينكأ جرحا لا يجد الاندمال ، ولكن الله لن يضيع قوما تواصوا بالحق ، واعتصموا بالخير ، وسيهيىء من الخلف من يرعى أمانة السلف أما وحشتى القاسية لرحيل الحسينى فليس لها غير الصبر الجميل .

مجلة الأزهر من خمسين عاما

الظلم والشح

بقلم: الشيخ عبد الرحمن الجزيرى

إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

ان شريعة تدعو الى كرم الأخلاق ، وتعنى ببيانها تفصيلا لهى شريعة حق وعدل تقدم العظة على الأمر ، والرحمة على البطش . انها شريعة الله ذى الأسماء الحسنى والصفات العلا ، شريعة الاسلام الجامعة لمكارم الاخلاق التى تنفر من الظلم والشح وسوء الخلق . قال الكاتب ــ رحمه الله :

عن جابر ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فان الشح أهلك من كان قبلكم ! حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم» رواه مسلم .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمران :

١ ــ بيان معنى الظلم وآثاره الضارة فى الشريعة الاسلامية .

٢ ــ بيان معنى الشح وآثاره الضارة بين الناس .

١ ــ كل الناس يعرفون معنى الظلم ، ويدركون معنى العدوان على الأنفس والأعراض والأموال والحقوق العامة والخاصة ، فاذا اعتدى أحد على غيره فى نفسه أو ماله أو عرضه ، أو سلبه حقا من حقوقه فقد ظلمه ، ومن يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا ، وكان عرضة للهلاك فى الدنيا والآخرة .

لقد نهى الله عن الظلم فى غير موضع من القرآن الكريم ، ولعن الظالمين وهددهم بأشد

أنواع الجزاء ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) .

فلينتظر الظالمون الذين يفلتون من الجزاء الدنيوى على ماكسبت أيديهم عقاب الله تعالى يوم القيامة ، وان عقابه لشديد ، وان أخذه لأليم .

ومعنى « تشخص فيه الأبصار » لا تقر فيه أبصارهم من شدة الهول والفزع .

ومعنى « مهطعين » ، مسرعين الى من يدعوهم . كما هو شأن الأسير الذى لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

ومعنى « مقنعى رءوسهم » . رافعى رءوسهم من شدة الهول .

ومعنى « لا يرتد اليهم طرفهم » ، لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم .

ومعنى « وأفئدتهم هواء » قلوبهم لاتعى شيئا من شدة الفزع والهول .

والغرض من هذه الآية الكريمة تمثيل الحالة التى يكون عليها الظالمون يوم القيامة ، يوم لاينفع مال ولابنون ، فبين الله سبحانه أن جريمة الظلم يترتب عليها يوم القيامة من العذاب والفزع ماسيصعق له الظالمون الذين ينتهكون حرمات الضعاف بقوتهم ، ويستعذبون التنكيل بعباد الله بدون أن يحسبوا لخالقهم حسابا فبين سبحانه أن هؤلاء الظالمين سيستولى عليهم فزع العذاب وهول الموقف ، فيذهب بعقولهم، ويتملك مظهر ذلك الفزع حواسهم ، فتشخص أبصارهم بحيث لا يستطيعون أن يحركوا رءوسهم كما يشاءون ، كما هو شأن الولهان الفزع الذى تفاجئه الكوارث ، وتزعجه النائبات .

ومما لاريب فيه أن هذه الآية الكريمة قد بينت ما سيلاقيه الظالمون من هول وفزع أحسن بيان . وان فيها لعظة وعبرة للطاغين الذين تفرهم شهوة الجاه والسلطان فيسلبون الناس حقوقهم ويؤذونهم فى أموالهم ، وأعراضهم، وأنفسهم ، وحقوقهم ، وهم ناعمون متلذذون بسلطانهم الزائل . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

أما الأحاديث الواردة فى التحذير عن الظلم وتخويف الظالمين ، فهى كثيرة لا تقف عند حد . ومنها هذا الحديث الذى نشرحه . فقد أمرنا رسول الله — ﷺ — أن نتقى شر الظلم ونتحاشاه ، لأن شره مستطير ، ولابد أن ينتقم الله من الظالمين فى الدنيا والآخرة ان لم يتوبوا من ظلمهم ، ويرجعوا عن غيهم ، ويردوا الحقوق لأربابها .

ومن ذلك ما رواه مسلم وغيره من أن رسول الله — ﷺ — قال : « أتدرون ما المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم

هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » .

ومن ذلك قوله ﷺ : « ان الله يملى للظالم ، فاذا أخذه لم يفلته » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وقد جاء فى آخر هذا الحديث ذكر قوله تعالى :(**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**) .

ومن ذلك قوله — ﷺ — : « صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى : امام ظلوم غشوم وكل غال مارق » رواه الطبرانى .

ان هذا القدر الذى ذكرناه من شناعة الظلم فى نظر الشريعة الاسلامية ظاهر قد لا يخفى على أحد من الناس ، ولكن الذى يجب على المسلمين أن يتنبهوا له ، ويحاربوه بكل ما لديهم من قوة ، هو ما يبعثهم الى الوقوع فى مثل هذه المحظورات الموبقة التى قضت على كثير من قوتهم المادية ، والأدبية ، وأورثتهم ذلا بعد عز ، ومهانة بعد شرف وكرامة . فمن أهم الوسائل الباعثة على ارتكاب جريمة الظلم تحكم سلطان الشهوات على الأنفس ، والرغبة فى الحصول على أكبر قسط ممكن من تلك الشهوات الفاسدة التى تنقضى سراعا ، ثم تترك وراءها حسرات لا تنقضى ولا تفنى ، وشقاء لا ينقطع ، وعذابا أليما . فترى ذوى الجاه والسلطان تزين لهم بطانة السوء حب سماع النمائم والوشايات ، فيبطشون بالمؤمنين الغافلين الأبرياء طاهرى القلوب سليمى الصدور ، ويذيقونهم من أنواع الظلم والحيف ما قد يقضى على أرواحهم وأموالهم وكرامتهم، ويسلبهم حقوقهم الطبيعية وهم غافلون .

وترى كثيرا من الناس يكادون يكونون فوضى فى باب الأموال ، فكل من أتيح له أن يستولى على مال الغير بأية وسيلة من الوسائل لايتأخر عن ذلك بدون مبالاة بأوامر ربه ونواهيه . ألم ينه الله تعالى نهيا شديدا عن الغش والخيانة وتطفيف الكيل والميزان ؟ ألم يقل سبحانه :(**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**) ؟ ألم يقل سبحانه : (**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) ؟ ألم يقل :(**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**) ؟ ألم يقل — ﷺ — : (كل لحم نبت من حرام ، فالنار أولى به) ؟ ألم يقل : (من غشنا فليس منا) ؟ الى غير ذلك من النهى الشديد الجازم عن الظلم فى باب الأموال . فما بال المسلمين يظلم بعضهم

بعضا ، ويغش بعضهم بعضا . ألا ان ذلك لهو الخسران المبين .

يفعل المسلمون ذلك ، ويتركون دينهم وراءهم ظهريا ، كأنهم لم يسمعوا قول النبى — صلى الله عليه وسلم — : (كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله) .

ألا فليعلم المسلمون أن ارتكاب هذه الجرائم واقتراف هذه المظالم هى السبب فى انحطاطهم وتأخرهم ، ولا ينفعهم الا أن يرجعوا الى الله ربهم ، ويعملوا صالحا ، لعلهم يفلحون .

٢ — أما معنى الشح ، فهو : الامساك عن الانفاق حيث يجب البذل ، سواء كان واجبا دينيا كزكاة المال ، والنفقة على الزوج والأولاد ونحوهم ممن تجب على المكلف نفقتهم ، ومثل ذلك الانفاق على احياء نفس يتوقف على ذلك الانفاق احياؤها ، أو كان واجبا تقتضيه المروءة بأن ينفق ما يناسب حاله ، فلا يليق أن يكون ذا مال كثير ويعيش عيشة البؤساء ، أو يضيق على أولاده وأهله ، فيحرمهم من أنعم الله تعالى ، أو يسقط كرامته فى البيئة التى يعيش فيها ، فيصبح بذلك عرضة لتحقير الناس اياه ، وغير ذلك من الأمور التى تخل بالمروءة فاذا حفظ الانسان نفسه من هذا لايكون بخيلا فى نظر الدين . أما كونه كريما فذلك تابع لحالته المالية ، وتفاوت أنظار الناس فى تقدير الكرم، والذى يحفظ الانسان من شر الشح هو العمل بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) .

أما شر مضار الشح وأكبر آفاته ، فهو فقد التعاون بين الناس وذهاب التراحم والتواد من بينهم ، وحلول العداوة والبغضاء محل ذلك ، لأن الشحيح يبغض التعاون بطبيعته ، ولا تسمح نفسه ببذل شىء من ماله ولو يسيرا لمساعدة الضعفاء ، فتمتلىء قلوبهم ضغنا عليه، وتثور أنفسهم حسدا عليه ، فاذا فشا الشح فى أمة كانت نتيجته فوضى الاشتراكية التى يترتب عليها سفك الدماء ، واستحلال المحارم. لذلك يشير قول النبى — صلى الله عليه وسلم — (واياكم والشح ، فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا) من حديث رواه أبو داود والحاكم .

والشح والبخل بمعنى واحد ، فمعنى قوله — عليه الصلاة والسلام — أمرهم بالبخل فبخلوا . أمرهم عن الكف عن معونة الناس.

وقيل « الشح » الحرص على ما عند غيره. « والبخل » الحرص على ما عنده . فذلك صريح فى أن الشح خطر اجتماعى كبير ، يترتب عليه هلاك الأمم وفناؤها ، لأن الانسان بحسب تكوينه الطبيعى ، وفطرته التى فطره الله عليها محتاج الى التعاون مع غيره فى هذه الحياة فلا يمكنه أن يسلك سبيلها وحده وأن يقطع مراحلها منفردا ، بل لابد له من ذلك فى الاستناد الى غيره والتعاون معه فى كل أطواره من وقت وجوده الى أن يوارى

فى التراب • وكلما اشتد ضعف الانسان اشتدت حاجته الى غيره ، فتراه فى حال طفولته محتاجا الى غيره فى كل شىء ، فاذا مانشأ وترعرع استقل

فى بعض أموره ، ولكنه لم تنقطع حاجته فى البعض الآخر •

ومن ذلك يتضح أن التعاون من ضروريات المجتمع الانسانى ، وبقاء العمران •

والشح ينافى التعاون والتراحم بين الناس وهيهات أن تجد الرحمة الى نفس الشحيح سبيلا ، لأن الشح يدعوه الى أن يقاطع أرحامه وأقرب الناس اليه ، فضلا عن البعيدين عنه ، ويدعوه الى القسوة والغلظة ، فلا يغيث مكروبا ، ولا يعين ضعيفا ، ولو توقفت حياته على معونته • يدعوه الى أن يكسب المال من أى طريق بدون تفرقة بين حلال وحرام يدعوه الى أن يحقد على كل من يحاول أخذ شىء من ماله ولو كان من أبنائه وأهله ، وقد يفضى به ذلك الحقد الى ارتكاب الجنايات وسفك الدماء • فلا ريب فى أن الشح من أكبر الآفات التى تضر بالمجتمع الانسانى •

ولذلك قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « اللهم انا نعوذبك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات » رواه مسلم ••

عبد الرحمن الجزيرى
المجلد الحادى عشر

طرائف

المصطفى ﷺ عند البوصيرى

تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء

وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء

حبذا عقد سؤدد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء

ومحيا كالشمس منك مضيىء
أسفرت عنه ليلة غراء

ليلة المولد الذى كان للديـ
ـن سرور بيومه وازدهاء

وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

« وجاءت سكرة الموت »

أخرج ابن سعد عن عروة قال : لما مات الوليد بكت أم سلمة فقالت :

ياعين فابكى للوليد بن الوليد بن المغيرة
كان الوليد بن الوليد أبو الوليد فتى العشيرة

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا تقولى هكذا يا أم سلمة » ، ولكن قولى : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

(روح المعانى للإمام الألوسى جـ٢٦ ص ١٨٣) .

وأخرج أحمد وابن جرير عن عبيد الله مولى الزبير بن العوام قال : لما حضر أبو بكر الوفاة تمثلت عائشة بهذا البيت :

أعاذل ما يغنى الحذار عن الفتى

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ليس كذلك يابنية ولكن قولى : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

« قوم ألهموا الكلام »

أخرج المسعودى فى « مروج الذهب » بسنده قال : قال صاحب العقد :

بينما معاوية جالس فى أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب .

فقال معاوية : إنه يريد إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه !!

مواقف

عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

فقال له مروان بن الحكم :

إيذن له ؛ فإنى أسأله عمال ليس عنده فيه جواب .

قال معاوية : « لا تفعل ، فإنهم قوم : ألهموا الكلام عن وحى واغترفوه من بحر » .

« وصية »

أوصى سيدنا عمر - رضى الله عنه - رعيته فنصح لها فى دينها ودنياها وشأن حياتها كله فمن ذلك قوله :

« تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ؛ وتواضعوا لمن تُعلِّمون ، وليتواضع لكم من تُعلِّمون ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ولا يقوم علمكم مع جهلكم » .

« توبة »

من شعر أبى نواس :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم

أدعوك رب كما أردت تضرعا
فإذا رَدَدْتَ يدى فمن ذا يرحم

مالى إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم إنى مسلم

« أى بيت تقوله العرب أشعر »

● قيل لأبى عمرو بن العلاء : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : البيت الذى إذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ، ولأن يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله .

● وقيل للأصمعى : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : الذى يسابق لفظه معناه .

● وقيل للخليل : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته .

● وقيل لعميرة : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

طرائف ومواقف

قال : البيت الذى لا يحجبه عن القلب شىء .

وأحسن من هذا كله قول زهير :

وإن أحسن بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

« من علامات الخير »

● من علامة الزهد : أن تعرض عن الدنيا وهى مقبلة عليك .

● من علامة الورع : أن تتوقى الشبهات .

● من علامة الصدق : أن تكون كلمتك واحدة فى الرغبة والرهبة والطمع واليأس .

● من علامة التقوى : أن تحسن معاملتك للناس .

● من علامة علو الهمة : ألَّا ترضى لنفسك من كل شىء إلا بأحسنه .

● من علامة الكرم : أن تكون للبذل فيما لا يتحدث عنه الناس أسرع منك للبذل فيما يشتهر بينهم .

● من علامة حسن الأخلاق : أن تكون فى بيتك أحسن الناس أخلاقا .

● من علامة الحكمة : أن تحمل نفسك على ما تريد أن تدعو الناس إليه .

« دعاء »

اللهم اجعلنا مهتدين ، غير ضالين ، ولا مضلين .

اللهم اجعلنا سلما لأوليائك ، حَرْباً على أعدائك .

اللهم إنا نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من عاداك .

«قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ».

اللغة والأدب والنقد

القيم البيانية للاستعارة ومعايير حسنها

من أسرار العربية في البيان القرآني

القيمة البيانية
للاستعارة ومعايير حسنها
عند البلاغيين والنقاد

الاستعارة من أساليب العرب القديمة التى حفل بها الأدب العربى على مر العصور كما حفلت بها أساليب القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، لما لها من أثر فى الأسلوب ، ومنزلة فى التعبير ، لايغنى عنها غيرها ، ولا يفى بموقعها فى الأسلوب سواها ، كما أنها تزيد من ثراء اللغة واتساعها فى الألفاظ كما هو شأن المجاز بصفة عامة ، لأن فيها زيادة فى الأسماء ، وخلع أوصاف تخص فى الحقيقة الأعيان والجواهر ، لا الأحداث والأعراض(١) « فهى من اتساعهم فى الكلام اقتدارا ودالة ليس ضرورة ، لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك فى لغة أحد من الأمم غيرهم ، فانما استعاروا مجازا واتساعا ، ألاترى أن للشىء عندهم أسماء كثيرة ، وهم يستعيرون له مع ذلك » . (٢) وهى « أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس فى حلى الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها » (٣) .

وعن الغرض من الاستعارة ، وأثرها فى الأساليب يقول أبو هلال العسكرى :

« وذلك الغرض اما أن يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أوالاشارة اليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذى تبرز فيه ، وهذه الأوصاف موجودة فى الاستعارة المصيبة ، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالاتتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا » (٤) .

وقد انتفع الامام عبد القاهر بهذه العبارات وغيرها فى تفصيل القول فى أثر الاستعارة ، وفضلها فى الأساليب ، وخصوصا عبارة أبى هلال العسكرى السابقة كما سيأتى .

وسيدور حديثى فى هذا الموضوع حول المعالم الرئيسية التالية بمشيئة الله تعالى :

---

(١) ينظر الخصائص لابن جنى ٢/٤٤٢ والمثل السائر لابن الاثير ١/١٤٢ ــ ١٤٣ والمزهر للسيوطى ١/٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى ١ / ٢٧٤ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦٨ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٧٤ .

للدكتور عبد الجواد محمد محمد طبق

١ ــ القيمة البيانية للاستعارة كما يراها الامام عبد القاهر مع ايراد بعض النماذج التطبيقية التى توضح هذه القيمة .

٢ ــ الاتجاهات العامة والبارزة لمعايير حسن الاستعارة قبل مدرسة المتأخرين ، وخصوصا عند الامام عبد القاهر الجرجانى .

٣ ــ مناقشات المتأخرين حول هذه الاتجاهات ، وما أضافوه اليها أو استنبطوه منها .

٤ ــ خلاصة مركزة لمعايير حسن الاستعارة مستنبطة من المناقشات السابقة ، ومن مناقشات بعض البلاغيين والنقاد حول بعض الاستعارات الجيدة والمعيبة عند بعض الشعراء .

المعالم البارزة للقيمة البيانية للاستعارة عند الامام عبد القاهر الجرجانى :

نستطيع من خلال تتبعنا لحديث الامام عبد القاهر عن منزلة الاستعارة أن نلخص أهم وظائفها فى الأساليب فى الآتى :

١ ــ التزيين والتجميل .
٢ ــ الايجاز والاختصار .
٣ ــ الجدة والطرافة .
٤ ــ البيان والايضاح .
٥ ــ تقوية المعنى وتوكيده ، والمبالغة فى اثباته .

وسنورد فيما يلى بعض عبارات عبد القاهر الجرجانى التى أمكن استنباط هذه الخصائص للاستعارة منها ، ثم نطبق عليها ببعض النماذج ليتضح المقصود باذن الله .

١ ــ التزيين والتجميل :

عن التزيين والتجميل يرى الامام عبد القاهر أن الاستعارة « أمد ميدانا ، وأشد افتنانا ، وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا واحسانا ، وأوسع سعة ، وأبعد غورا ، وأذهب نجدا فى الصناعة وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكل ما يملأ صدرا ، ويمتع عقلا ، ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا ، وأهدى الى أن تهدى اليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر ، ان باهتها الجواهر مدت فى الشرف والفضيلة باعا لايقصر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لاتنكر ، وردت تلك بصفرة الخجل ، ووكلتها الى نسبتها من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلى ، وتريك الحلى الحقيقى » (٥) .

هذا ومن الملاحظ أن الامام عبد القاهر قد أورد حديثه المسهب عن مزايا الاستعارة دون أن يشفع هذا الحديث بالتطبيق المباشر على بعض النماذج ، لتبرز بصورة أوضح الميزة التى يتحدث عنها ، مع أنه يعرف قيمة التطبيق، وأثره فى توضيح المراد ، بل انه يبرز القيمة التطبيقية لها بقوله : « وانما ينجلى الغرض

(٥) أسرار البلاغة ص ٣٢ .

منها (٦) ويبين اذا تكلم على التفاصيل ، وأفرد كل فن بالتمثيل » (٧) ولذلك نراه يبرز قيمة الاستعارة بالتطبيق على الشواهد العربية فى مواطن متفرقة من الدلائل والأسرار ، وان كان لم يصنع ذلك فى أثناء حديثه المسهب عن قيمة الاستعارة هنا ، ولذلك آثرت ايراد بعض الشواهد لابراز هذه القيمة بصورة مباشرة ، حتى لايكون كلام الامام هنا أشبه بالخيالات، أو التصورات التى يعوزها تأييد من واقع الأساليب .

ومن الاستعارات التى تحقق فيها حديث عبد القاهر عن تزيين المعنى وتجميله هنا قول الوأواء :

فأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

فقد استعار اللؤلؤ لدمع العين ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعناب لأطراف الأصابع المخضبة ، والبرد للأسنان ، وبذلك أبرز المستعار له فى كل استعارة فى صورة جميلة حسنة ، هى صورة المستعار منه وهو اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد ، وبذلك استوفى الغرض المطلوب من ابراز بعض محاسن من يتحدث عنها .

٢ ـ الايجاز والاختصار :

وعن الايجاز والاختصار يقول الامام : « فمن خصائصها التى تذكر بها ، وهى عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحدة أنواعا من الثمر » (٨) . ومن هذا القبيل قوله تعالى : **« وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ » (٩)** ، لأن « حقيقة القرض ها هنا أن الشمس تسقط عليهم وقتا يسيرا ، ثم تغيب عنهم ، الاستعارة أبلغ ، لأن القرض أقل فى اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الألفاظ ، وهو دال على سرعة الارتجاع ، والفائدة أن الشمس لو طاولتهم بحرها لصهرتهم وانما كانت تمسهم قليلا بقدر ما يصلح الهواء الذى هم فيه ، لأن الشمس اذا لم تقع فى مكان أصلا فسد » .

٣ ـ الجدة والطرافة :

وأما الجدة والطرافة « فمن الفضيلة الجامعة فيها أن تبرز هذا البيان فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا ، وتوجب له بعد الفضل فضلا ، وانك لتجد اللفظة الواحدة فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع ، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد ، وفضيلة مرموقة ، وخلابة مومومقة » (١٠) .

من ذلك قولهم : ضحكت الأرض « اذا أنبتت ، لأنها تبدى عن حسن النبات كما يفتر الضاحك عن الثغر » (١١) .

وقول الشاعر :

---

(٦) أى من الاستعارة .
(٧) المرجع السابق ص ٣٣ .
(٨) المرجع السابق .
(٩) الكهف ١٧ .
(١٠) الاسرار ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(١١) كتاب الصناعتين ص ٢٨٣ .

لاتعجبى يا سلم من رجل

ضحك المشيب برأسه فبكى

فقد صور الشاعر انتشار المشيب وبياضه فى الرأس بالثغر الأبيض الذى يظهر عند الضحك ، وبذلك أبرز صورة المشيب فى هذه الصورة الطريفة للثغر .

ومن هذا القبيل فى التشبيه قول بعضهم .

تفاريق شيب فى الشباب لوامع

وماحسن ليل ليس فيه نجومُ

هذا ولعل التمثيل لهذه الميزة بقولهم : « ضحكت الأرض » اذا أنبتت أولى ، لأن التصوير فى البيت الأول وان كان يبرز انتشار الشيب فى الرأس بصورة طريفة ، الا أنك تحس نفور الشاعر من هذا الشيب ، وحزنه على انتشاره بدليل قوله « فبكى » وان كان التصوير فى حد ذاته يبرز الغرض المطلوب ، وهذه الوظيفة للاستعارة قريبة جدا من الوظيفة الأولى ، وهى التزيين والتجميل كما هو واضع .

٤ ــ ايضاح المعنى وبيانه :

وأما ما فيها من بيان وايضاح « فلانك ترى بها الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة ، والمعانى الخفية بادية جلية ، ان شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقول كأنها جسمت حتى رأتها العيون » (١٢) ولذلك كان للشعر أثره « فيما يصنعه من الصور ، ويشكله من البدع، ويوقعه فى النفس من المعانى التى يتوهم بها الجماد الصامت فى صورة الحى الناطق ، والموات الأخرس فى قضية الفصيح المعرب والمبين المميز ، والمعدوم المفقود فى حكم الموجود المشاهد » (١٣) ومن الاستعارات التى برز فيها هذا المغزى الاستعارة السابقة فى قوله جل شأنه : « **وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ** » ، حيث ان فيها فضلا عن الايجاز بيانا لأثر الشمس فيهم ومقداره والاستعارة فى هذه الآيةالكريمة : « **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ** »(١٤) حيثصور الجماد فى صورة الحى صاحب الارادة ، والاستعارة فى قول امرء القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل (١٥)

لأن حقيقته مانع الأوابد من الذهاب والافلات ، والاستعارة أبلغ ، لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف ، لأنك تشاهد ما فى القيد من المنع ، فلست تشك فيه » (١٦) ومن الاستعارات التى أبرزت غير المرئى فى صورة المرئى المشاهد لزيادة البيان والايضاح قوله جل شأنه : « **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** » (١٧) « فان حقيقته : وانه فى أصل الكتاب ، فاستعير لفظ الأم للأصل ، لأن الأولاد تنشأ من الأم كنشأة الفروع من الأصول ، وحكمة ذلك تمثيل ماليس بمرئى حتى يصير مرئيا ، فينتقل السامع من حد

---

(١٢) الأسرار ص ٣٣ .

(١٣) المرجع السابق ص ٢٩٧ .

(١٤) الكهف ٧٧ .

(١٥) ديوان امرىء القيس ص ٥١ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

(١٦) كتاب الصناعتين ص ٢٧٧ .

(١٧) الزخرف ٤ .

السماع الى حد العيان ، وذلك أبلغ فى البيان » (١٨) •

ولعل هذه الميزة فى الاستعارة هى أبرز مزاياها ، وعليها يدور فضل الاستعارة على الحقيقة ، ولذلك يقول الرمانى : « فكل استعارة حسنة فهى توجب بلاغة بيان لاتنوب منابه الحقيقة ، وذلك أنه لوكان تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ، ولم تجز الاستعارة » (١٩) •

٥ — تقوية المعنى وتوكيده والمبالغة فى اثباته :

وأما فضلها فى تقوية المعنى وتوكيده فلأن أثر الاستعارة ليس فى ذات المعنى وحقيقته، بمعنى أنه لاتوجب زيادة فى المعنى الذى تثبته على الحقيقة ، وانما يرجع فضلها الى ايجاب المعنى واثباته والحكم به ، فالمزية فيها راجعة الى الاثبات لا الى المثبت كما يقول عبد القاهر (٢٠) ، أى فى طريقة اثبات هذا المعنى وتوكيده لا فى زيادة المعنى المثبت ، أى الذى تثبته على الحقيقة ، فليس فضل قولك: « رأيت أسدا يصرع الأعداء بسيفه » على قولك : « رأيت رجلا شجاعا » أن الأول يفيد زيادة فى شجاعة الرجل لايفيدها الثانى ، وانما فضل القول الأول على الثانى يرجع الى طريقة اثبات هذه الشجاعة للرجل ، وكأنك أثبت له هذه الشجاعة بالدليل ، وهو أنك أطلقت عليه اسم الأسد ، وأنت لاتطلق عليه هذا الاسم الا من بعد أن تدخله فى زمرة الأسود ، وتجعله كأنه واحد منهم •

واقرأ قوله تعالى : « **رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** » (٢١) تحس بما فى لفظ اشتعل من مبالغة فى اثبات انتشار الشيب فى الرأس حيث صور بصورة اشتعال النار فى الهشيم •

هذا ومن الجدير بالذكر ان الاستعارة الواحدة قد تجتمع فيها عدة مزايا كما هو واضح مما سبق غاية الأمر أنه قد تكون هناك ميزة فى الاستعارة أبرز من غيرها ، وهى لاتمنع من وجود مزايا أخرى ، فالنكات لاتتزاحم كما يقولون ، وما ذكرته من شواهد انما هو نماذج فقط لابراز أهم أغراض الاستعارة التى تحدث عنها الامام ، ولايمنع ذلك من ملاحظة أغراض أخرى تفهم من معطيات الأساليب ، وأغراض الكلام •

ومن الاستعارات التى تحقق فيها أكثر من غرض — بالاضافة الى ماسبق — قوله تعالى: « **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ** » (٢٢) لأن المراد بالشهيق لفظة واحدة الفظيع ، وهما لفظتان والشهيق لفظة واحدة ففى الاستعارة ايجاز ، كما أن فيها — فضلا عن ذلك — زيادة بيان وتوضيح لحال جهنم عندما يلقى فيها الكفار •• وهكذا •

ويمكن القول بأن الامام عبد القاهر بحديثه

---

(١٨) الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ٤٤ •
(١٩) النكت فى اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) ٢ / ٨٦ طبع دار المعارف بمصر •
(٢٠) ينظر دلائل الاعجاز صفحات ٥٦ ، ٥٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ تعليق د • خفاجى •
(٢١) مريم ٤ •
(٢٢) الملك ٧ •

الضافى هذا عن الاستعارة وقيمتها الفنية البيانية فى الأساليب قد وضع معالم أساسية مازال النقد الحديث يجد فيها نبعا خصبا لكثير من معالمه حول الاستعارة ومكانتها ، على الرغم منتطور العقل البشرىوثرائه بما استمده من الدراسات العديدة والحديثة للعلوم المختلفة كعلم الجمال والفلسفة وعلم النفس وغير ذلك من العلوم •

وبعد : فالاستعارة مثل آلة المجهر التى تستطيع بها أن ترى فى العبارة أشياء لم تكن تستطيع أن تراها بدونها ، وبذلك تكتسب العبارة طاقة جديدة لم تكن بدونها ، كما أنها تحدث نشاطا لغويا ؛ وتجعل العمل الأدبى خلاقا لمعناه ، وليس مجرد صور محسنة فيها تذوب العناصر جميعا ، وتعطى شكلا أو قواما فنيا جديدا (٢٣) وفيما ذكرناه من شواهد أصدق دليل على ذلك •

ولما كانت الاستعارة بهذه المنزلة وضع البلاغيون والنقاد لحسنها شروطا ومعايير ان روعيت فيها تحققت لها المنزلة السابقة ، وكانت جديرة بهذه الدرجة العالية التى أحلها اياها الامام وغيره فى العبارات السابقة •

وقد رأيت من المناسب أن أعرض أولا للاتجاهات الرئيسية لهذه المعايير قبل مدرسة المتأخرين ، ثم أعرض بعد ذلك لمناقشات المتأخرين حول هذه المعايير التى وضع أساسها السابقون من البلاغيين والنقاد •

معايير حسن الاستعارة قبل مدرسة المتأخرين

من الأصول المهمة فى حسن الاستعارة حسن التشبيه القائمة عليه ، وذلك بأن تكون العلاقة قوية بين الطرفين فيها « فالعرب انما استعارت **المعنى لما ليس له اذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه فى بعض أحواله** ، أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت له ، وملائمة لمعناه » (٢٤) •

وقد وضح هذه العلاقة القاضى الجرجانى أيضا فى قوله : « فملاكها تقريب الشبه وتناسب المستعار له للمستعار منه » (٢٥) كما أكد عليها ابن رشيق فى قوله : « انما يستحسنون الاستعارة القريبة ، وعلى ذلك مضى جلة العلماء ، وبه أتت النصوص عنهم ، واذا استعير للشىء مايقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه فى شىء » (٢٦) •

فالاستعارة اذا ليست صنعة شكلية ، أو صناعة لفظية تلحق فيها شيئا بشىء لمجرد الالحاق ، أو تضع فيها لفظا مكان آخر لمجرد الوضع دون مراعاة المناسبة بينهما والتى تسيغ هذا الصنيع ، ولذلك أطلق قدامة بن جعفر على استعمال اللفظ فيما لايناسبه ولايليق به فأحسن الاستعارة ، واستشهد لذلك بقول أوس بن حجر :

وذات هدم عارنوا شرهـا
تصمت بالماء تولبا جدعا (٢٧)

---

(٢٣) انظر : نظرية المعنى فى النقد الأدبى ص ٨٥ ـ ٨٧ د • مصطفى ناصف •
(٢٤) الموازنة للآمدى ١ / ٢٦٦ •

(٢٥) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٤١ •
(٢٦) العمدة ١ / ٢٦٩ •
(٢٧) ذات هدم أى خلق بالية ، عارنوا شرها =

فسمى الصبى تولبا وهو ولد الحمار (٢٨) •

وكان لهذه العبارات كلها أثر كبير فى حديث الامام عبد القاهر عن هذا المعيار فى حسن الاستعارة ، اذ يقول : « واعلم أنى لست أقول لك انك متى ألفت الشىء ببعيد عنه فى الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين فى الجنس وفى ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للملاءمة والتأليف السوى بينهما مذهبا ، واليهما سبيلا وحتى يكون ائتلافهما الذى يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس فى وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لايتصور فلا ، لأنك تكون فى ذلك بمنزلة الصانع الأخرق ، يضع فى تأليفه وصوغه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولايقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربة ، ويجىء فيها نتو ، ويكون للعين عنها من تفاوتها نبو ، وانما قيل : شبهت ولا نعنى فى كونك مشبها أن تذكر حروف التشبيه أو تستعير ، وانما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتتبينه ، ولايمكنك بيان مالايكون ، وتمثيل مالا تتمثله الأوهام والظنون » (٢٩) •

ويوضح هذا المبدأ فى حسن الاستعارة مرة أخرى بقوله :

« ان اطراح ذكر المشبه والاقتصار على اسم المشبه به ، وتنزيله منزلته ، واعطاءه الخلافة على المقصود انما يصح اذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ماتستعير اسمه له ، وتستبينه فى الدلالة » (٣٠) وفى مجال العلاقة بين حسن التشبيه والاستعارة أوضح الامام أنه ليس كل تشبيه حسن تحسن الاستعارة القائمة عليه ، بل قد يحسن التشبيه ولاتحسن الاستعارة اذا كان هناك خفاء فى العلاقة بين الطرفين • يقول عبد القاهر : « فليس كل شىء يجىء مشبها بكاف أو باضافة مثل اليه يجوز أن تسلط عليه الاستعارة ، وتنفذ حكمها فيه حتى تنقله عن صاحبه ، وتدعيه للمشبه على حد قولك : أبديت نورا ، تريد علما ، وسللت سيفا صارما تريد رأيا فذا ، وانما يجوز ذلك اذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ، ويسهل تناوله ، ويكون فى الحال دليل عليه ، وفى العرف شاهد له حتى يمكن المخاطب — اذا أطلقت الاسم — أن يعرف الغرض ، ويعلم ما أردت » (٣١) •

وفى المقابل وضع الامام معيارا آخر فى علاقة حسن الاستعارة بحسن التشبيه ، وهو أنه قد تحسن الاستعارة دون التشبيه المبنية عليه ، كأن تبنى الاستعارة على تشبيه مبتذل « فهذا النحو لتمكنه وقوة شبهه ، ومتانة سببه قد صار كأنه حقيقة ، ولايحسن لذلك أن تقول فى العلم « كأنه نور » وفى الجهل « كأنه ظلمة » ولاتكاد تقول للرجل

أذرعها عارية ، التولب : ولد الجحش الصغير ، جدعا : شىء الغذاء والبيت فى ديوان أوس بن حجر ص ٥٥ تحقيق د• محمد يوسف نجم • دار صادر بيروت ١٣٨٧ •

(٢٨) ينظر : نقد الشعر لقدامة ص ١٧٥ تعليق د • محمد عبد المنعم خفاجى • م الكليات الأزهرية ١٩٧٩ •

(٢٩) أسرار البلاغة ص ١٣٠ •

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٨٩ / ٢٩٠ •

(٣١) المرجع السابق ص ٢١١ •

فى هذا الجنس : كأنك قد أوقعتنى فى ظلمة ، بل تقول : أوقعتنى فى ظلمة » (٣٢) وسيأتى مزيد بيان لذلك .

تأثير النظم فى حسن الاستعارة أو قبحها:

وكان للنظم الذى استحوذ على الكثير والكثير من حديث الامام عبد القاهر نصيب كبير أيضا فى حسن الاستعارة ، فلم يغفل الامام ربط الحسن أو القبح فى الاستعارة بالنظم الذى ترد فيه ، وقد استرشد فى ذلك بما وضع الآمدى أساسه فى تعقيبه على الاستعارة المعيبة فى قول أبى تمام يمدح الحسن بن وهب .

سأشكر فرجة اللبب الرخى
ولين أخادع الدهر الأبى (٣٣)

بقوله : « فانما قبح الأخدع لما جاء به مستعارا للدهر ، ولو جاء به فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ، ووضعه فى موضعه ماقبح ».

ومن منطلق النظم أيضا استحسن الآمدى قول البحترى :

وانى وأن بلغتنى شرف المنى
وأعتقت من ذل المطامع أخدعى (٣٤)

وقول الفرزدق :

وكنا اذا الجبار صعر خده
ضربناه حتى تستقيم الأخادع (٣٥)

وجعل الاستعارة فى قول أبى تمام :

فضربت الشتاء فى أخدعيه
ضربة غادرته عودا ركوبا (٣٦)

قريبة من الصواب (٣٧) .

فاستعارة الاخدع للدهر فى بيت أبى تمام الذى يمدح فيه الحسن بن وهب معيبة لبعد المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة ، ولذلك لم يحسن فى النظم اضافة الأخادع الى الدهر وأما استحسان استعمال الأخدع فى بيت البحترى فهو من قبيل النظم أيضا ، لأن العتق والعبودية يظهران أكثر فى العنق ، والأخدع عرق فى جانب العنق ، فكان استعماله مع « أعتقت » مناسبا .

وعلى هذا الأساس أيضا حسن استعماله فى بيت الفرزدق ، لوروده فى سياق تصعير الخد ، وضرب الجبار حتى يستقيم عنقه ، فتستقيم الأخادع فيه .

وأما استعارة الأخدع للشتاء فقد جعلها قريبة من الصواب ، وليست صوابا تماما ، لأنه لاحظ فيها تصوير الشتاء بالدابة الجموح التى ذللت وخضعت ، وهذا له علاقة بالأخدع كما سبق ، ولما لاحظ بعد المناسبة بين الطرفين ، أعنى المستعار له والمستعار منه فى الاستعارة لم يستحسنها ولذلك أصبحت الاستعارة فى البيت حسنة من وجه ، وقبيحة من وجه آخر ، وبهذا كانت قريبة من الصواب ، ولم تكن صوابا تماما ، كما أنها لم تقبح قبح الاستعارة فى البيت السابق لأبى تمام .

---

(٣٢) المرجع السابق ص ٢٨٩ .

(٣٣) ديوان أبى تمام شرح التبريزى ٣ / ٣٥٤ والاخدع : عرق فى جانب العنق ، والجمع أخادع ، والأبى المتكبرة اللبب: موضع المنحر من كل شىء ، اللبب : البال ، ويقال : فلان رخى اللبب :اذا كان فى سعه .

(٣٤) ديوان البحترى ٢ / ١٢٤١ تحقيق حسن كامل الصيرفى ط ٣ دار المعارف .

(٣٥) ديوان الفرزدق ص ٤٢ المجلد الأول ط دار صادر ببيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٦ .

(٣٦) شرح التبريزى ٢ / ١٢٦ .

(٣٧) تنظر الموازنه للامدى ١ / ٢٧١ طبع دار المعارف .

ولا يخفى أن أساس القبح أو الحسن أو التوسط بينهما فى استخدام لفظ الأخدع كان مرجعه الى النظم الذى وردت فيه هذه اللفظة ، لا الى قبح أو حسن هذه اللفظة فى حد ذاتها كما هو واضح مما سبق .

وقد نسج عبد القاهر الجرجانى على منوال الآمدى هنا فى قوله :

« فقد اتضح اذا اتضاحا لا يدع مجالا للشك أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك فى موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر كلفظ « الأخدع » فى بيت الحماسة :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

وبيت البحترى :

وانى وان بلغتنى شرف الغنى
واعتقت من ذل المطامع أخدعى

فان لها فى هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها فى بيت أبى تمام :

يادهر قوم من أخدعيك فقد
أضججت هذا الأنام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدته هناك من الروح والخفة ، والايناس والبهجة » (٣٨) .

وقد حسن استعمال لفظ « الأخدع » فى بيت الحماسة لما ارتبط به فى السياق من قوله : تلفت ، لأن التلفت يكون بالعنق الذى يشتمل على الأخدع ، وقد وضح — فيما سبق — حسن استعمال هذا اللفظ فى بيت البحترى ، وأما استعماله على سبيل الاستعارة فى بيت أبى تمام فقد قبح لبعد المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة كما سبق .

ويؤكد الامام تأثير النظم فى الاستعارة بقوله : « انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت فى عدة مواضع ، ثم ترى لها فى بعض ذلك ملاحة لا تجدها فى الباقى » (٣٩) .

كما يؤكد مرة أخرى أثر النظم فيها ، وبالتالى أثر الاستعارة فى الاعجاز الذى لا يكون الا بالنظم فى قوله : « فاذا بطل أن يكون الوصف الذى أعجزهم من القرآن فى شىء مما عددناه (٤٠) لم يبق الا أن يكون بالاستعارة، ولايمكن أن تجعل الاستعارة الأصل فى الاعجاز ، وأن يقصد اليها ، لأن ذلك يؤدى الى أن يكون الاعجاز فى آى معدودة فى مواضع من السور الطوال مخصوصة ، واذا امتنع ذلك فيها لم يبق الا أن يكون (الاعجاز) فى النظم والتأليف ، لأنه ليس من بعد ما أبطلنا أن يكون فيه الا النظم (٤١) .

ثم استدرك الامام بعد ذلك خوفا من أن يظن أن الاستعارة وغيرها من ضروب المجاز

---

(٣٨) دلائل الاعجاز ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٣٩) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٤٠) أبطل الامام هنا جملة أشياء يظن أن الاعجاز بها كالالفاظ المفردة او المعانى المجردة ، أو الاتيان بكلام له مقاطع وفواصل على نمط القرآن .. الخ ينظر الدلائل ص ٢٩٤ ومابعدها .

بمنأى عن الاعجاز ، حيث حصره فى النظم بقوله :

« فان قيل : قولك : الا النظم يقتضى اخراج ما فى القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز ، وذلك ما لا مساغ له، قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضى دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز ، وذلك لأن هذه المعانى التى هى الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها انما هى من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون ، لأنه لا تتصور أن يدخل شىء منها فى الكلمة وهى أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور أن يكون هنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره ، أفلا ترى أنه ان قدر فى « اشتعل » من قوله تعالى : « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا » ألا يكون الرأس فاعلا له ، ويكون شيبا منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا ، وهكذا السبيل فى نظائر الاستعارة ، فاعرف ذلك (٤٢) .

ومن الواضح أن الامام يؤكد مرة بعد أخرى أثر النظم فى الاستعارة ، وبالتالى أثر الاستعارة فى الاعجاز الذى لا يكون الا بالنظم .

وقد طبق على هذا الأساس شواهد عديدة وضح فيها قيمة النظم فى حسن الاستعارة وجمالها ، كما تلاحظه فى تعليقه على بيت ابن المعتز :

وانى على اشفاق عينى من العدا
لتجمح منى نظـرة ثم أطرق

فقد ذهب الى « أن من الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته » (٤٣) لأنك قد « ترى أن هذه الطلاوة، وهذا الظرف انما هو لأن جعل النظر يجمح ، وليس هو كذلك ، بل لأن قال فى أول البيت : « وانى » حتى أدخل اللام فى قوله : « لتجمح » ثم قوله : « منى » ، ثم لأن قال : « نظرة » ولم يقل : « النظر » مثلا ، ثم لمكان « ثم » فى قوله : « ثم أطرق » وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف ، وهى اعتراضه بين اسم « ان » وخبرها بقوله : « على اشفاق عينى من العدا » (٤٤) .

فى العبارة السابقة ترى عبد القاهر قد وضح مواطن تأثير النظم على حسن هذه الاستعارة ، والذى لم يرجع اليها فى ذاتها ، وانما لما أحاط بها من أسرار فى هذا النظم ، وان كان عبد القاهر لم يوضح سر تأثير استعمال هذه الألفاظ والعبارات على الاستعارة ، ولعله يقصد أن قوله فى البداية : « وانى » ليؤكد جموح هذه النظرة منه ، وقد سوغ له تصدير العبارة بان دخول اللام على خبرها فى « لتجمح » ليزيد هذا التوكيد ، كما أن فى قوله « منى » اشارة الى أن هذه النظرة منكورة منه هو بالذات ، وربما لو أتت من غيره

البقية ص ٤١٢

(٤١) الدلائل ٢٩٩ / ٣٠٠ .
(٤٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ / ٣٠١ .
(٤٣) المرجع السابق ٣٠٠/٣٠١
(٤٤) المرجع السابق ص ٧٩ .

من أسرار العربية

في البيان القرآني

دراسة لغوية قرآنية

تمهيد :

كلما طالت دراستى المتخصصة فى النحو أدركت أن ليس فى الامكان عزله عن سائر علوم العربية : لغة وبلاغة وأدبا ٠٠ وعجبت لما كان من هذه العزلة التى يبدو أننا – نحن القائمين على العربية لغة وبلاغة وأدبا – فرضناها على أنفسنا وعلى الدارسين ، وهذا النهج المستحدث ضد طبيعة الدراسة اللغوية المتكاملة المتعارف عليها عند علماء العربية الأوائل ، حيث التقت وتواصلت علوم العربية ، وخدم بعضها بعضا دون أن تتماحى المعالم المميزة لكل علم منها ٠

ولقد كان لنا من الكتاب العمدة « كتاب سيبويه » ما يصحح فهمنا للتخصص ٠ فمباحث النحو فيه لا تنفك موصولة بمباحث الصرف ، وأساليب البلاغة بادية فيه ، ومن ديوان الفصحى شعرا ونثرا أخذ علماء اللغة قواعدهم وشواهدهم للنحو والصرف والبلاغة ٠٠

ومنذ اتصلت فى دراستى المتخصصة للنحو بالدراسة القرآنية أجدى على هذا الاتصال ، وزودنى بذخائر من كتب علماء القرآن غفلنا طويلا عن كونها منابع أصيلة للنحو واللغة والبلاغة ، وأرهف ذوقى اللغوى بنكت من أسرار العربية لاغنى عنها لدارسى النحو ، ومنها أقدم هذا البحث فى (مسألة الترادف) ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن كثيراً من العلماء الأفاضل قدامى ومحدثين تناولوا الترادف والاعجاز البيانى فى القرآن الكريم ٠ منهم ما أضافته (أستاذى) الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى كتابها القيم (الاعجاز البيانى فى القرآن الكريم) ٠ وانى اذ أنتمى الى المدرسة الاسلامية التى تقرر أن العلم الكسبى يظل مفتوحا أبدا يستقبل اضافات الأجيال ، أحاول أن أضيف لبنة جديدة الى الصرح العلمى الذى بدأه أساتذتنا ، وفاء بالمبدأ العلمى فى منهجنا (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم

الترادف والاعجاز القرآنى :

شغل علماء اللغة قديما بقضية الترادف ، واختلفت مذاهبهم فيها ، فمنهم من ذهب الى انكار المترادف فى اللغة العربية ، فرأى أن كل ما يظن من المترادفات انما هو من المتباينات التى تتباين بالصفات كما فى الانسان والبشر ، فان الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يؤنس من الانس ، والثانى باعتبار أنه بادى البشرة ٠

للدكتورة سهير محمد خليفة

وذهب قوم الى أن الشيء الواحد يسمى بالأسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحسام ، يعني أنه ــ وان اختلفت ألفاظها ــ فانها ترجع الى معنى واحد .

وقيل : ان الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات .

وأما من منع الترادف فقال : ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناه غير معنى الآخر (١) .

واحتج من قال بالترادف بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة ، وذلك أنا : نقول في ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لاشك فيه ، فلو كان الريب غير الشك لكان التعبير عن الريب بالشك خطأ ، فلما عبر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد .

قالوا : انما يأتي الشاعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة ، كقوله :

* وهند أتى من دونها النأى والبعد *

قالوا : فالنأى هو البعد .

ورد من رفض الترادف في اللغة ومنهم « ابن فارس » قال : ان في (قعد) معنى ليس في (جلس) ، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذه المقيم المقعد ، وقعدت المرأة عن الحيض .. فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ، لأن الجلس (٢) المرتفع ، والجلوس ارتفاع عما هو دونه .

وعلى هذا يجرى الباب كله ، وأما قولهم : ان المعنيين لو اختلفا جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء ، فانا نقول : انما عبر عنه عن طريق المشاكلة ولسنا نقول : ان اللفظين مختلفان فيلزمنا ما قالوه ، وانما نقول : ان في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى (٣) .

وروى عن « أبي على الفارسي » أنه قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم « ابن خالويه » ، فقال « ابن خالويه » : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف . قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ، فقال أبو على: هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة (٤) .

وقال «المبرد» في مقدمة كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) :

هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل متفقة الألفاظ مختلفة المعاني ، متقاربة في القول مختلفة في الخبر على ما يوجد في كلام العرب ، لأن من كلامهم اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين فنحو قولك : ذهب وجاء ، وقام وقعد ويد ورجل وفرس .

(١) انظر : خطبة الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري

(٢) بفتح فسكون

(٣) انظر المزهر للسيوطي«النوع السابع والعشرون»في معرفة الترادف

(٤) المزهر للسيوطي ١ / ٢٤٠ .

وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد فقولك : ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد ، وأنف ومرسن (١) .

وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فنحو : وجدت شيئا ، اذا أردت وجدان لضالة ، ووجدت على الرجل من الموجدة ، ووجدت زيدا كريما ، علمت .

ومن ذلك : (عين) للتى يبصر بها ، وتقول : هذا (عين) الشىء ، أى حقيقته ، و (العين) المال الحاضر ، و (العين) : عين الميزان ، و (العين) : سحابة من قبل القبلة ، .. وهذا كثير جدا .

ومنه ما اتفق لفظه ولكنه لشيئين متضادين كقولهم : (جلل) للكبير والصغير والعظيم أيضا ، و (الجون) للأسود والأبيض ، وهو فى الأسود أكثر ، و (المقوى) للقوى والضعيف ، و (الرجاء) للرغبة والخوف .. (٢)

وممن فرق بين دلالات الألفاظ التى تطلق على الشىء الواحد : أبو منصور الثعالبى فى (فقه اللغة) وأبو هلال العسكرى فى (الفروق اللغوية) وأحمد بن فارس فى (الصاحبى فى فقه اللغة) .

ومن انكار الترادف ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابى قال :

كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، فى كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرناه به ، وربما غمض علينا فلم يلزم العرب جهله .

وقال آخرون :

اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب ، والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سمع بعضهم من بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا : فالجون الأبيض فى لغة حى من العرب والجون : الأسود فى لغة حى آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر .. (٣) .

ومن أنكر الترادف « أبو بكر بن الأنبارى » فى أول كتابه « الأضداد » قال :

هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ والازدراء بالعرب أن ذلك مظنة لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم ..

ثم قال :

وقد يكون الفرق دقيقا لا يتنبه له الا العارف بلغة العرب (٤) .

وليس اختلاف الألفاظ يؤدى الى اختلاف المعانى فقط ، بل اتفاق الألفاظ مع اختلاف الضبط يؤدى أيضا الى اختلاف المعانى واتفاق الألفاظ واختلاف المصادر يؤدى الى اختلاف المعانى .

قال « ثعلب » فى فصيحه فى باب (فعلت وفعلت) بكسر عين الأولى وفتح عين الثانية، تقول :

---

(١) فى قول المبرد « اختلاف اللفظين والمعنى واحد » نظر ، فقد بين أبو هلال العسكرى الفرق بين هذه الدلالات فى كتابه:الفروق اللغوية .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد من صفحة ٢:٦ بتصرف ، وانظر الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى .

(٣) المزهر للسيوطى ١ /٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) الاضداد ص ٧

نقهت الحديث مثل فهمت ، ونقهت من المرض أنقه فيهما جميعا ، وقررت به عينا أقر وقررت فى المكان أقر ... ولبست الثوب ألبسه لبسا ، ولبست عليهم الأمر ألبسه لبسا ... وعمر الرجل فى منزله ، وعمر المنزل ، وعمر الرجل اذا طال عمره .. (١) .

ومما اتحد لفظ فعله ، واختلفت معانيه لاختلاف مصادره قولهم : (وجدت المال وجدا وجدة ، ووجدت الضالة وجدانا ، ووجدت فى الحزن وجدا ، ووجدت على الرجل موجدة ، وتقول فى كله يجد .

وجلوت العروس جلوة ، وجلوت السيف ونحوه جلاء ، وجلا القوم عن منازلهم جلاء ، وأجلوا أيضا ، وأجلوا عن القتيل لاغير اجلاء ..) (٢) .

وكذا فعلت وأفعلت باختلاف المعنى ، تقول : شرقت الشمس اذا طلعت ، وأشرقت : اذا أضاءت وصفت .. وقد أجبرت الرجل على الشىء يفعله ، فهو مجبر ، وجبرت العظم ، والفقير فهو مجبور .. وصدقت الرجل الحديث وأصدقت المرأة صداقا وصدقة .. وقد ترب الرجل اذا افتقر فهو ترب ، وأترب اذا استغنى (٣) .

وممن قال : ان اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعانى « أبو هلال العسكرى » فى الفروق اللغوية ، قال :

ان اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى ، ان الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الاشارة ، واذا أشير الى الشىء مرة واحدة فعرف ، فالاشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيدة . وواضع اللغة حكيم لا يأتى فيها بما لا يفيد ، فان أشير منه فى الثانى والثالث الى خلاف ما أشير اليه فى الأول كان ذلك صوابا ، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة ، فان كل واحد منهما يقتضى خلاف مايقتضيه الآخر ، والا لكان الثانى فضلا لايحتاج اليه .

والى هذا ذهب المحققون من العلماء واليه أشار المبرد فى تفسير قوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) .

قال :

فعطف (منهاجا) على (شرعة) ، لأن الشرعة لأول الشىء ، والمنهاج لمعظمه ومتسعه واستشهد على ذلك بقولهم : شرع فلان كذا اذا ابتدأه ، وأنهج البلى فى الثوب اذا اتسع فيه .

قال : ويعطف الشىء على الشىء وان كانا يرجعان الى شىء واحد ، اذا كان فى أحدهما خلاف للآخر ، فأما اذا أريد بالثانى ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ . لاتقول جاء زيد وأبو عبد الله ، اذا كان زيد هو أبو عبد الله .. وذلك مثل قول الحطيئة .

الا حبذا هند وأرض بها هند

وهند أتى من دونها النأى والبعد

وذلك أن النأى يكون لما ذهب عنك الى حيث بلغ ، وأدنى ذلك يقال له : نأى . والبعد تحقيق التروح والذهاب الى الموضع السحيق . والتقدير : أتى من دونها النأى الذى يكون أول البعد ، والبعد الذى يكاد يبلغ الغاية .

---

(١) فصيح ثعلب ص ٢٧٢ . (٢) المرجع السابق ص ٢٨١ . (٣) انظر فصيح ثعلب من ٢٧٣:٢٧٧

قال أبو هلال رحمه الله : والذى قاله ههنا فى العطف يدل على أن جميع ما جاء فى القرآن ، وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ماذكرنا ، من : العقل واللب ، والمعرفة والعلم، والكسب والجرح ، والعمل والفعل ، معطوفا أحدهما على الآخر فانما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق فى المعنى ، ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبى عبد الله اذا كان هو هو (١)٠

والقرآن الكريم كتاب العربية المبين ، ومعجزة نبينا صلوات الله عليه وسلامه ، نزل عليه — ﷺ — والعرب أرباب الفصاحة والبيان ، فتحداهم أن يأتوا بمثله ٠

نقل الزركشى عن ابن عطية قال : (انه الذى عليه الجمهور والحذاق — وهو الصحيح فى نفسه — أن التحدى انما وقع بنظمه وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه ٠

ووجه اعجازه أن الله قد أحاط بكل شىء علما ، وأحاط بالكلام كله علما ، فاذا ترتبت اللفظة من القرآن علم باحاطته أى لفظة تصلح أن تلى الأولى ، ويتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن الى آخره٠

والبشر مع الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم بالضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك ، (وبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة ، وبهذا النطق) يبطل قول من قال : ان العرب كان فى قدرتها الاتيان بمثله ، فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه ٠

والصحيح أن الاتيان بمثل القرآن لم يكن قط فى قدرة أحد من المخلوقين ، ولهذا ترى البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولا ، ثم ينظر فيها ، فيغير فيها ، وهلم جرا ٠ وكتاب الله سبحانه وتعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد ٠ ونحن تتبين لنا البراعة فى أكثره ، ويخفى علينا وجهها فى مواضع ، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلام الذوق ، وجودة القريحة ، وميز الكلام (١) ٠

(١) الفروق اللغوية ص ١٠:١٢

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٩٧/٢

تتصارع حولها الأقلام ، وتجرى بها أنهر الصحف .

وبرز فى هذه الجولة حول الشريعة ـ ولا أقول عليها ـ من اخترعوا ألقاباً ومسميات دخلوا بها على الناس حتى يصيخوا السمع لما يقولون ، أو ليقرأوا ما يكتبون ، فهذا كاتب إسلامى ، وذاك مفكر إسلامى .. مسوغات ورخص ابتدعوها واخترعوها لأنفسهم حتى يبيعوا ما يخترعون من فكر وأوهام باسم الإسلام إحياء للجدل حول العلمانية والإسلام ، وجعل الإسلام دينا ودولة أو أنه دين فرض لعبادة الله لا شأن له بحياة عباد الله على هذه الأرض ، وخلط وبعد عن استيعاب أصول الإسلام وفروعه ومقاصده ، ودوامات من الفكر يتوه فيها الحكماء والعلماء .

لكن هذا الجيل قد انتبه بعد رقاد إلى العودة إلى الذات .. ذات المسلمين وسماتهم وليس إلا الإسلام سمة لهم .. الإسلام عدله .. الاسلام فى حرصه على العلم والتعليم .. الاسلام فى حرصه على الترابط والتكافل الاجتماعى .. الاسلام فى تربيته للفرد وللجماعة وللأمة .. الاسلام فى حرصه على السلام الاجتماعى والألفة بين طوائف الشعوب والأمة فلا تفرقة بسبب اللون ، أو الفقر ، أو الغنى ، ولا اضطهاد بسبب الدين .

لقد حرم الاسلام الغش فى العقود ، وحمى من لا يحسن التعاقد ، وحث على عمارة الأرض ، وإشاعة الحياة والأمن والأمان ، وجاء بفروض محددة لا تقبل الاجتهاد فى صلة الانسان المسلم بالله ، كما بين الحلال والحرام فى التعامل فى مجالات الحياة الاجتماعية بين بنى الانسان .. قال تعالى .. (**فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**) ـ لأنه أقل بكثير مما أحل ـ وقال : (**وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ**) ، فالاسلام دين السماحة والتسامح ، وهو دين النظافة والطهارة والعفة .

ويعود فضيلة شيخ الأزهر للتساؤل من جديد : هل نختلف كل هذا الاختلاف حول الاسلام ونتجادل لا بقصد الفهم وإنما فى لجاجة وغلظة ؟ لقد أمطر بعضهم الاسلام وشريعته وابلا من السخط وكثيرا من النقد دون أن يستوعب هذه الشريعة بل دون أن يفقه قول الله تعالى : (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) **آل عمران / ٧٨** .

هذا الجدل الصارخ الذى انعزل عن الطريق الحق نحا بالقضية ـ قضية تطبيق الشريعة الاسلامية ـ إلى سيل من الصد عن سبيل الله تعالى ، وعن الاستقامة إلى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الاسلامية .

إن حرية الكلمة مكفولة بشرط ألا تضر بالقيم الأساسية للاسلام وللمجتمع الاسلامى ، فليس من حرية الكلمة أن نسخر من بناتنا وسيداتنا الملتزمات ، وأن نغريهن بالخروج عما التزمنه بدعوى أن لفظ « الحجاب » لم يرد فى القرآن الكريم أو أنهن إنما لجأن إلى هذا الالتزام لفقرهن وعجزهن عن مسايرة التطور الحضارى ، وكأن الحضارة ليست إلا فى عرى النساء وتبذلهن .. يقول الله تعالى : (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**) **البقرة / ٨٣** .

السائح الأزهري

دعـــاة الأزهـــر فى أندونـسيا

والسائح الأزهرى هو : محمد عبد العزيز البنشتى ، عالم من علماء الأزهر ومن مبعوثيه الى العمل فى أندونيسيا .

وقد هدى الى أن يسجل ما رآه وما عاناه وما زاوله من عمل وكشف النقاب عن الحياة فى جزر آسيا والعالم الاسلامى فى تلك الجزروما يتصل بهـا .

والرجل خليق بالنظر الى ما كتب ، ومعأنه يقول فى تواضع : « ولم أكتب عن كل شىء رأيت ، ولـم أكتب عن كل عـادات وتقـاليد« أندونيسيا » لقصر المدة ... ولكثرة عاداتهم وتقاليدهم ، لتعدد جزرهم التى بلغت أكثر من « ثـلاث عشرة ألف جزيرة » لـكل جـزيرة تقـاليد .

ونحن يكفينا ما كتب واليه اتجه ، ولكل امرىء ما نوى ، واننظر فيما قدمه لنا وموقفه منه ، وحظ الاسلام من جهود الأزهر فى عصرنا الملىء بالعجائب والتكالب على الرغائب المنبثقة من الأثـرة وتغليب مطـامع النفس الأمـارة بالسوء على دوافع المثل العليا الخيرة واليـك يساق الحديث :

أخلاقيـات أزهرية :

وحين أقول أخلاقيات أزهرية فانما أعنى الخلق المصرى حين يظهر فى نمـوذج عـالم أزهرى متدين يدعـو الى الفضـيلة ويتغنى بمكارم الأخلاق ، وأنا لم أجالس السـائح الأزهرى — أعنى المؤلف — ولم أقـابله ولكن كتابه يقدمه لنا من غير قصد انسانا وفيا صادقا يحب اخـوانه وتلاميـذه ، ويهش للمقـابلة الحسنة والخدمة النافعة ولو كانت اشـارة أو ابتسامة ولا يضن بذكر الأسماء والأماكن ، وله فن جميل فى ايراد المشـاهدات ، فن من القصص الذى لا يعلن اعلن اسـمه ولكن ترى رسمه ، ولاتعجل فكل ذلك ستجده فى أثنـاء عرض الكتاب وتعليقنا عليه .

وأول ما يصادفك من الحب والوفاء حديثه عن الأزهر ومكانته من الدعوة الاسلامية وأثره فى مسيرتهـا ... « من مكة والمدينـة بعثت الدعوة الاسلامية ، وحضارة هتف بها القرآن

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

الكريم فى أنحاء الدنيا ... ثم كان الأزهر بعدهما منارا لدعوة الاسلام » وهو كلام صادق لم ينفرد بقوله هو بل سبقه وردده كبار الساسة والمفكرين فى الشرق والغرب ، ولكنه من السائح الأزهرى يعد وفاء ، لا لأنه تعلم فيه أو لأنه اختاره ليقوم بالدعوة فى أندونيسيا بل لأنه ذكره ليؤكد الحقيقة وليبين موقف الأزهر من بلاد الاسلام ، وحسن اختياره فيمن يوفدهم لهذا العمل الجليل ، لأن مبعوثه الى أى بلد اسلامى هو حامل رسالته المقدسة.

وحامل هذه الرسالة عليه أن يجمع مع الايمان بها خلقا فاضلا يبعث الناس على احترامه وتوقيره » هنا الوفاء ، فمادام قد مثل مايريده الأزهر من حسن خلق ، ومظهر لائق بالداعية عملا وقولا فقد وفى واتصف بالوفاء. فليكن متسامحا ، نظيفا فى ملبسه ومأكله ، حريصا على تأدية فرائض الاسلام متمسكا بسننه وآدابه ، يحترم علماء البلد الذى يحل فيه ، يشارك المسلمين فى أفراحهم وأتراحهم ، لايتحزب مع أى حزب ، يتساوى الجميع فى المعاملة ، فهو رسول الأزهر اليهم جميعا ، وهو بهذا يكون عنوان الوفاء ونموذج الالتزام لحمل الأمانة وأداء الرسالة .

فى الطريق الى أندونيسيا :

يخيل الى أن الاستاذ « البتشتى » — وهو السائح الأزهرى — رجل مفتوح العقل والوجدان مفتوح العين مع قوة الملاحظة فمنذ ركب الطائرة من مطار القاهرة الساعة الواحدة من صباح أول يولية سنة ١٩٦٩ قد أعد نفسه ليلتقط صورا حسية ومعنوية على مدى الطريق فهو يذكر من طار معه الى أندونيسيا : الاستاذ محمود جاد عكاوى وأسرته ومن طار فى طريقه الى « تايلاند » الاستاذ أحمد بيبرس وأسرته ، ووصف تنقلات الطائرة ونزولها فى الكويت ثم فى مدراس ، ووصف معركة الطائرة مع الطبيعة « بين الزوابع والأعاصير » وقد سلمت الطائرة بدعاء أهل التقوى فهبطت فى مطار « بانكوك » وشكر الركاب الله على نجاتها . (ص ١٠ من الكتاب) .

حاجة السائح الى اللغات :

امتحن السائح الأزهرى امتحانا عسيرا « فى بانكوك » عاصمة « تايلاند » فقد تخلف فيها ليسافر على طائرة أخرى فى اليوم التالى الى « جاكرتا » نقلته سيارة شركة الطيران الى فندق وسط المدينة ، وفى هذا الفندق رأى نفسه غريبا وحيدا كيف يتعامل مع الناس ولايعرف لغة التخاطب ؟ وبدا له أن يجرب حظه مع من حوله ، فقد جاع والجوع لايعرف الانتظار ، فاستجاب لعصافير بطنه ، فوضع يده على زر الجرس ... حضر شاب نظيف انحنى أمامه فى أدب تحدث بالانجليزية وبالفرنسية ففهم أن السائح الأزهرى لايعرف لغة غير لغته ، وهنا جاء دور الاشارات ، يقول : أشرت الى فمى ففهم أنى أريد ماء لأشرب ، فتقدم الى الثلاجة

السائح الأزهرى

ففتحها وأشار الى زجاجة الماء ، فأفهمته بالاشارة أننى لاأريد ماء • أشرت الى بطنى ففهم أننى أريد دورة المياه للحاجة فأشار اليها وتركنى وخرج •

فماذا يصنع ؟ دفعه الجوع الى النزول •• صالة واسعة تضم كثيرا من النزلاء وزوارهم، جلس على كرسى ، أخذته الحيرة ، يريد نجدة من السماء ، وجاءت النجدة ، من أحد العمال فى « البوفيه » وكان المسلم الوحيد فى ذلك المكان تقدم فقام بمطالب السائح الأزهرى ، ولاسلامه قصة • يقول العامل : أنا المسلم الوحيد فى هذا الفندق وبقية العاملين فيه بوذيون ، تعلمت كثيرا من مبادىء الدين وقليلا من اللغة العربية من الأستاذ « على عيسى » مصرى مسلم من الاخوان « فر من زوار الليل» واستقر هنا فى بانكوك وتزوج أختى • وعلى عيسى يقوم بتدريس اللغة الانجليزية بمدارس الحكومة ولاينسى الدعوة الاسلامية ومن حظ السائح الأزهرى أنه التقى بذلك العامل الذى له مصاهرة بداعية اسلامى فقام بالخدمة خير قيام سواء فى الفندق أو فى المطار •

واحتاج الى اللغة بعد أن تركه عامل الفندق فقد جلس فى المطار على أريكة فهو مسافر الى جاكرتا ، مد اليه موظف الشركة ورقة مكتوبة باللغة الاجنبية ليملأ خاناتها ، لم يعرف ماذا يكتب دار بعينيه حوله يريد منجدا •• وكان المنجد رجلا يجلس بجانبه ، أخذ جواز سفره نقل منه المعلومات المطلوبة لتلك الورقة ، واحترمه لأنه من علماء الأزهر ومبعوثه الى أندونيسيا ، وتبين أنه مسلم من « ماليزيا » وتحير وقال فى نفسه : ماذا أفعل حتى لغة البلاد المبعوث اليها لاأعرفها ؟ وتذكر موقفه من تعلم اللغات حين كان طالبا فى قسم التخصص حين ذهب مع زملائه الى شيخ الأزهر الشيخ المراغى ليطلبوا منه اعفاءهم من تعلم اللغات. فقال لهم ستكونون فى حاجة اليها يوم يبعثكم الأزهر دعاة الى البلاد الاسلامية ، ندم الشيخ على ما فعل ولكن لات ساعة مندم •

وركب الطائرة فوصل الى « سنغافورة » فوجد مايسره ، شاهد الأستاذ محمود عكاوى فتنفس الصعداء وانحلت كل العقد ، لأنه يعرف أندونيسيا ويحمل « الماجستير » فى لغتها وآدابها •

ولقد ذكرت لك ذلك وأطلت فيه ، لأن المبعوث الأزهرى فى حاجة ماسة الى اللغات الأجنبية ويجب على المشرفين على التعليم فى الأزهر العناية التامة بذلك النوع من التعليم ، ويجب أن يؤخذ أبناء الأزهر من صغرهم بمعرفة اللغات الحية العالمية وباللغات التى ينطق بها من يذهبون لتعليمهم الدين الاسلامى ، ولامانع من الاختيار ، لكل دولة مجموعة تعد اعدادا مناسبا لها وحتى لايتعب الأزهرى فى حله وترحاله وفى تخاطبه وتعامله مع أجناس البشر•

فى أندونيسيا :

فى جاكرتا نزل فندقا اختاره له الأستاذ عكاوى ، ومنه سيكون اتصالهم بالجهات الرسمية ، وقد كان ففى الصباح ذهبا الى سفير مصر ، وسفير مصر فى ذلك الزمان هو الدكتور محمد فؤاد شبل الذى يقدر الأزهر حق قدره والذى طلب من الحكومة المصرية أن يرتفع عدد مبعوثى الأزهر الى « مائة وأربعين » لكل مليون

عالم ، وبهذا التعبير أعطانا احصاء عن عدد سكان أندونيسيا من أبنائها وأنهم مائة مليون وأربعون مليونا فى عام ١٩٦٩ وكان عدد مبعوثى الأزهر فى حينه عشرين مبعوثا • وقد نوه السفير بعهد الرئيس « سوهارتو » الذى « يتمنى له الجميع أن يفوز فى معركة التقدم والنماء لتصل أندونيسيا الى عهد الاطمئنان والرخاء • ولاسيما وقد تخلص من الشيوعية ودعوتها الى البغضاء • ص ١٥ من الكتاب •

وكان عمل السائح الأزهرى بمدينة « جامبى » مختارا لجامعة « سلطان طه سيف الدين » الاسلامية الحكومية ، وجامبى عاصمة محافظة فى « سومطرة » تقع تحت خط الاستواء يبلغ عدد سكانها مائتى ألف نسمة ، أكثر من ٩٠٪ منها مسلمون •

والأستاذ السائح لايترك شيئا مما يلاقيه الا حدثك عنه وساقك اليه ، فقد سافر بطائرة صغيرة الى جامبى ويصف مقاعد الطائرة التى تشبه مقاعد عربات الدرجة الثالثة بقطار الصعيد ، يصحبه مندوب الشئون الدينية ليقدمه للجامعة •

كان فى استقبالهما مدير الجامعة وعمداء الكليات والمدرسون وجميع الطلبة والطالبات لأول عالم مصرى أزهرى مبعوث من الأزهر ورسول من اخوانهم المسلمين فى مصر •

والجامعة فى ذلك لم تكتمل • وعدد طلبتها فى كلياتها الثلاث (الشريعة ــ وأصول الدين ــ والتربية) وسنواتها التسع مائة وستون طالبا وطالبة منهم موظفون وبقيتهم يعملون فى أعمال أخرى •

والعلوم التى يقوم بتدريسها هى اللغة العربية ــ والاجتماع بالمدرسين ، ويكون حديثه باللغة العربية ليتعودوا النطق بها ، والقاء المحاضرات الدينية فى مساجد المدينة •

يتبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ــ شارع جلاء ــ القاهرة •

قيمة الاشتراك سنويا •

* جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها •

* باقى دول العالم

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها •

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة •

أنباء وآراء

الاهتمام بمراجعة المصاحف والتوسع فى معاهد اللغات

محور مباحثات شيخ الأزهر ورئيس الوزراء

● **بحث الدكتور على لطفى رئيس الوزراء مع فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الجهود الخاصة بنشر الدعوة الاسلامية وخطة تطوير المعاهد الأزهرية وحل مشاكلها والتوسع فى إنشاء المعاهد التجريبية التى تدرس اللغات الأجنبية ، كما تم استعراض إجراءات تنفيذ القانون فيما يختص بمراجعة المصاحف للتأكد من خلوها من أية أخطاء مطبعية .**

افتتاح الدورة الثالثة

لمجمع الفقه الاسلامى

● افتتح الأمير حسن ولى عهد الأردن أعمال الدورة الثالثة لمؤتمر [مجمع الفقه الاسلامى] الذى يشترك فيه عدد كبير من العلماء والمفكرين والشخصيات الاسلامية .
وقد طالب الأمير حسن ـ فى كلمة له ألقاها فى الافتتاح ـ المشاركين فى المؤتمر الخروج بقرارات تعزز التضامن الاسلامى وتعمل على إنمائه وإثراء المجتمع الاسلامى مشيراً إلى أن هذا لا يأتى إلا بدراسة المشكلات التى تعترض سبيل النهوض فى العالم الاسلامى وقد ناقش المؤتمر الذى استمر ستة أيام عدة موضوعات من بينها «دور البنوك الاسلامية فى التنمية ووظائف الزكاة وتوجيهها لصالح التنمية وأسهم الشركات الاسلامية .

الدين يعود للمدارس التركية

● مادة الدين أصبحت ضمن المناهج الدراسية فى جميع المراحل بالمدارس التركية ..
الرئيس التركى [ايفرين] أصدر قراراً بذلك وطلب إلى الجهات المسئولة إنشاء معهد عالٍ للدراسات الدينية واللغة العربية . ومن ناحية أخرى نشطت حركة النشر للكتب الاسلامية التى تلقى رواجاً من جميع الأوساط .
وقد لوحظ أن كتاب [إحياء علوم الدين] للامام الغزالى ترجم إلى اللغة التركية وتم طبع ٢٠٠ ألف نسخة نفدت فور طرحها إلى الأسواق .

التنديد بالاسلام فى الغرب

● **ندد الأب « ميشيل ليلون » وهو متخصص فى شئون الاسلام بالصورة المشوهة التى يقدمها الغرب عن الدين الاسلامى فى كتابه « لو شاء الله » وأعرب**

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

الأب ميشيل ليلون عن أسفه لما جاء في بيان للأساقفة الفرنسيين في إبريل ١٩٨٤ من أن الغرب يجب أن يساعد مسيحيي لبنان ولم يشكك الأب ليلون في مبدأ المساندة المشروعة والضرورية . إلا أنه أشار إلى أن لفظ الغرب به غموض يعيد إلى الأذهان فترة الاستعمار والحروب الصليبية وقال : إنه لا يمكنه قبول أن تستمر فرنسا والكنيسة في الحكم على الاسلام من خلال الصورة المشوهة التي كونتها عنه : إن الغرب يشهد اليوم انهياراً روحياً واضحاً في الوقت الذي تظل فيه الرسالة القرآنية مصدراً حياً للقيم الاجتماعية والإنسانية والدينية التي لا تلقى التقدير الكافي لدينا .

باحث من سيراليون يشهر إسلامه ..

● أشهر [خوتوماى] عمدة مدينة [لخونو] بسيراليون إسلامه مؤخراً بعد فترة طويلة من البحث والدراسة ومقارنة الأديان . وقال [محمد خوتو] - وهو اسمه الجديد - أنه اتصل في بادىء الأمر بالقساوسة والمبشرين وتباحث معهم في قضاياهم الدينية كما بدأ في قراءة القرآن والتعرف على الأصول الشرعية وقد هداه عقله بعد فترة من البحث إلى اعتناق الاسلام . وقال إن الدعوة الاسلامية بها قوة ذاتية تستطيع بها أن تحقق الانتشار والنجاح . ولكن يعوزها بعض الإمكانات المادية والاعلامية في ظل التكثيف الدعائي لأصحاب الديانات الأخرى .

بنوك لبن الأمهات ممنوعة

في العالم الاسلامي

● تجربة بنوك لبن الأمهات التي تتعثر في البلاد العربية محظورة في البلاد الاسلامية لأن إرضاع الأطفال من هذا اللبن حرام جاء ذلك في قرارات المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الاسلامي الذي عقد مؤخراً في جدة بالمملكة السعودية .

وكان المجمع قد استعرض دراستين واحدة فقهية والأخرى طبية حول هذه البنوك وبعد مناقشتهما تبين :

(١) أن بنوك اللبن تجربة قامت في بعض الدول الغربية وقد ظهرت بعض سلبياتها الفنية والعلمية فانكمشت وقل الاهتمام بها .

(٢) الاسلام يعتبر الرضاع لحمة كلحمة النسب يحرم به ما يحرم بالنسب ومن مقاصد الشريعة العليا المحافظة على النسب وبنوك اللبن تؤدي إلى الاختلاط والريبة في الأنساب .

(٣) العلاقات الاجتماعية في العالم الاسلامي توفر للمولود ناقص الوزن والمحتاج إلى اللبن البشري ما يحتاج إليه من

أنبـــاء وآراء

الاسترضاع الطبيعى الأمر الذى يغنى عن بنوك اللبن وبعد مناقشات فقهية وطبية قرر المجمع منع إنشاء بنوك لبن الأمهات فى العالم الاسلامى .

أول مركز لنقل نخاع العظام

يتم انشاؤه فى طب قصر العينى

● تقرر إقامة أول مركز لنقل نخاع العظام لعلاج حالات سرطان الدم والجهاز الليمفاوى فى كلية طب قصر العينى ويرأسه الدكتور شوقى الحداد . وقد تأكدت أهمية نقل نخاع العظام خلال المؤتمر الدولى للسرطان الذى عقد أخيراً فى بودابست بالمجر واشترك فيه أربعون من الأطباء والجراحين والعلماء من أنحاء العالم .

تركزت أبحاث كثيرة على نجاح نقل نخاع العظام . والمطالبة بالتوسع فى إنشاء مراكزه .

أول نوفمبر الدورة الرابعة

لدعاة العالم الاسلامى

● الدورة التدريبية العالمية الرابعة لأئمة ودعاة العالم الاسلامى تبدأ أول نوفمبر القادم ولمدة ثلاثة أشهر تضم هذه الدورة ٩٨ دارساً سيضيفهم الأزهر ويتكفل بنفقات سفرهم واقامتهم بمدينة البعوث الاسلامية .

وقد صرح الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية والمشرف على الدورة أن بين هؤلاء الأئمة ٢٠ من كل من السودان والصومال وبنجلادش . و١٤ من المغرب و١٠ من [نيجيريا] و(٥) من كل من چيبوتى وغانا و٣ من زائير .

عن السيرة النبوية

سوف تقدم وزارة الشئون الدينية الباكستانية سبع جوائز ، قيمة كل جائزة خمسة آلاف دولار لأحسن كتاب تم تأليفه عن السيرة النبوية باللغات العربية والفارسية والتركية والانجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية وذلك خلال صدور الكتاب فى الفترة الواقعة بين أول ديسمبر ١٩٨٤ وحتى آخر نوفمبر ١٩٨٥ . واشترطت الوزارة على المؤلفين فى المسابقة أن يتناول الكتاب المقدم أحد الموضوعات عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وخدمته للاسلام والقاء الضوء على مساهمة الرسول الكريم وخدمته للانسانية والاسلام ، وأن يكون الكتاب نموذجا للبحث العلمى والامتياز الأدبى .

مؤتمر اسلامى بـ « الكاريبى »

تبحث رابطة العالم الاسلامى حاليا ترتيبات انعقاد مؤتمرها الاسلامى العالمى القادم فى بحر الكاريبى بالولايات المتحدة الامريكية بالتعاون مع الجمعيات والهيئات الاسلامية بالقارة

الأمريكية لمناقشة أهم القضايا والمشاكل التى تواجه المسلمين بأمريكا ، وايجاد الحلول لها والتى تمكنها من تحقيق كيان اسلامى مستقل ٠

من المنتظر أن يعقد المؤتمر قبل نهاية العام الحالى وذلك فى اطار المؤتمرات العالمية التى تعقدها الرابطة لاستعراض أهم القضايا الاسلامية العالمية ودعم المسلمين والوقوف بجانبهم لتحقيق مطالبهم ٠

كشف المخططات الاستعمارية

أوصت ندوة « فكر المسلمين السياسى » التى عقدت حديثا بلندن ٠ بضرورة التفاهم

والتعاون بين العاملين فى الحقل الاسلامى على أساس من التقوى وضمن هدف ومنهج واحد ٠

وطالبت الندوة التى نظمها المعهد الاسلامى بلندن حديثا وحضرها عدد من العلماء والمفكرين والكتاب بضرورة كشف المخططات الاستعمارية السياسية والفلسفية للفكر السياسى الاستعمارى ٠

وطالبت الندوة (الأكاديميين) الاسلاميين باصدار مجلة علمية بمختلف اللغات تسمى مجلة « الفكر السياسى الاسلامى » لتوضيح حقيقته بعيدا عن الاختلافات والأهواء التى يحاول البعض لصقها بالاسلام ٠

وأكدت الندوة أن تمزيق الأمة الاسلامية كان نتيجة مباشرة للفكر السياسى الاستعمارى وانتهازية الذين تواطأوا مع القوى الاستعمارية ٠

القضايا الطبية من وجهة نظر الشريعة

يعقد فى أول فبراير القادم المؤتمر الطبى الاسلامى الذى تنظمه كلية الطب بعين شمس بالتعاون مع الأزهر الشريف ٠

صرح الدكتور محمد حسن الحفناوى الأمين العام للمؤتمر : أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر وجهت الدعوة لعدد كبير من أطباء وعلماء مصر وممثلين عن الهيئات الطبية فى الدول العربية والاسلامية بالاضافة الى أطباء من أوربا وأمريكا وآسيا وافريقيا ، وبعض المستشرقين من مختلف دول العالم ٠

ومن المتوقع أن يحضر المؤتمر نحو خمسمائة عالم ٠

ملتقى الفكر اسلامى

بـ « سطيف »

أوصى ملتقى الفكر الاسلامى العشرون بتحصين الطلبة الدارسين فى الخارج بقدر كاف من الثقافة الاسلامية ، وتوظيف العلوم الانسانية فى خدمة الانسان ، وايجاد حلول ناجحة للمشكلات التى تواجهها الدول الاسلامية ٠

وكان الملتقى قد عقد مؤخرا بمدينة « سطيف » الجزائرية وحضره أكثر من ألف وخمسمائة من المفكرين والعلماء وأساتذة الجامعات بدعوة من وزارة الشئون الدينية بالجزائر لمدة أسبوع ٠

أنبـاء وآراء

مجمع بحوث الحضارة الاسلامية

تضمن البرنامج العلمي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية بـ (عمان) مجموعة من المشاريع الطموحة أبرزها موسوعة الحضـارة الاسلامية التي من المتوقع أن تصدر في عشرين مجلدا ، ويستغرق اعـدادها عشر سـنوات ، والفهرس الشامل للتراث الاسلامي المخطوط ويستغرق العمل لانجازه ست سنوات .

هناك أيضا معاملة غير المسلمين في الاسلام والتربية العربية الاسلامية والادارة المالية في الاسلام . والشورى في الاسلام .

مؤتمر المدن الاسلامية

يدعو لاغلاق الملاهي

وجه المؤتمر العام الرابع لمنظمة العواصـم والمدن الاسلامية الذي عقد في القاهرة مؤخرا : نداء الى العواصم الاسـلامية بالامتناع عن اصدار تراخيص جديدة لملاهي الرقص والخمور والعمل على اغلاقها تدريجيا تنفيذا لأحكـام الشريعة الاسلامية .

قرر المؤتمر فتـح باب العضـوية في جميع عواصـم الـدول الأعضاء بمنظمة المؤتمـر الاسلامي على أن تكون مكة المكرمة والمدينـة المنـورة عضـوين دائمين نظـرا لمكانتهمـا الاسلامية .

ثلاثة الاف يشهرون إسلامهم

جـاء في النشرة الأسـبوعية « لوفيف اكسبريس » التي تصدر في العاصمة البلجيكية بروكسل أن ثلاثة آلاف قد اعتنقوا الاسـلام في الفترة الأخـيرة .. والجـدير بالذكر أن الحكومة البلجيكية قد اعترفت بالدين الاسلامي رسميا عام ١٩٧٤ وأعطت الجاليات الاسلامية التي تعيش هناك حق اقامة الشعائر الاسلامية ونشر الفكر الاسلامي .

وقد صدر هذا القانون بعد مناقشـة واعية داخل البرلمان البلجيكي .

يصدر المسلمون في بلجيكا مجلة اسـلامية باسم « رسالة المسجد » وهي تعتبر أول مجلة دينية موجهة تصدر للمسلمين المقيمين بالدول الأوربية للتعريف بالاسلام .

الايدز القاتل ينتشر في ٧٤ دولة

أعلنت منظمـة الصـحة العالمية أن مرض (الايـدز) القـاتل ينتشر حاليـا في نحـو أربع وسبعين دولة من بين مائة دولة في القارات الخمس أعلنت عن اكتشـاف حالات مرضـية فيها ..

ذكر تقرير منظمة الصحة العالمية : أن دول أوربا تلي الأمريكتين من حيث عدد المرضى تليها أفريقيا ثم استراليا ونيوزيلندا وأخيرا آسيا ..

كشـف التقـرير أن ما بين ٥ و ١٠٪ من السيدات الحوامل في الدول التي ينتشر فيهـا المرض في أفريقيـا ينقلن فيروس المرض الى أطفالهن .

طالبت منظمة الصحة العالمية دول العـالم باتخاذ اجراءات وقائيـة للسيطرة على المرض واقامة أنظمة مراقبة لاعطاء صورة أكثـر دقة عن انتشار المرض بين سكانها .

من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الاستاذ محمد خضر من كلمات الشيخ الشعراوى فى الحضارة ..

نجاح حضارة العواصم الاسلامية فى ربطها بمنهج الله للانسان ..

دعا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى اعضاء مؤتمر العواصم الاسلامية الذى اختتم بالقاهرة الى ربط منجزاتهم فى صيانة الاثار والرقى بالعواصم بالقيم العليا فى الاسلام ، لأن الاسلام هو دين الحضارة ..

وقال : ان واجب هذا المؤتمر أن يعمل على سلامة الحضارة وربط المدينة بالدين ، وهو يهدف الى الحفاظ على نفائس هذا الوجود وذخائره فى بلدان المدن الاسلامية ، ومعلوم أن الحفاظ والحفظ والاحتفاظ كلها معان لاتكون الا لشىء نفيس وغال ينبغى الحفاظ عليه ، ولذا فيجب أن تعرف ما قدمه المؤتمر من خير عميم.

وأضاف : أن كل جيل أخذ ممن سبقه تراثا وهكذا تتسلسل عملية الأخذ من جيل الى جيل حتى نصل الى جيل لم يأخذ التراث من جيل سبقه ، انما أخذ هذا التراث من خالق هذا التراث ..

ويدلل فضيلة الشيخ الشعراوى على أن قاعدة الفساد لا تكون الا فى بنى الانسان فقط دون الكون كله فيقول :

ان الكون الذى نعيش فيه نجده نوعين : الأول كون تأثر بالانسان وأدى له كل النفع فى ايجاد بقاء جنس الانسان ، وكون آخر ليس للانسان دخل فيه وهو يؤثر فى الانسان ..

فمثلا ، الجماد والنبات والحيوان ليس له تأثير ، ولذلك فلا يوجد فساد فيه ، أما الفساد فيكون فيما للانسان تدخل فيه ان لم يسر على المنهج الذى أراده الله تعالى له ، وهذا يؤيده **قول الله تعالى :**

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ..» .

اذن فكل الأجناس تسجد ، وكثير من الناس يسجدون ، وهذا يدل على أن هناك من بنى الانسان من لا يطبق منهج الله تعالى فى الخضوع له ولما أراد .

خلق الله وخلق البشر

ويفرق الشيخ الشعراوى بين ما خلقه الله تعالى للانسان وبين ما خلقه الانسان وصنعه لنفسه ويوضح عيوب خلق البشر التى لم يلحظها أثناء صنعها فيقول :

الأشياء التى خلقها الله تعالى تعطيك النفع سواء طلبتها أم لم تطلبها كالشمس والقمر والظلال والنور ، وهناك أشياء تنفعك ان طلبتها وتفاعلت معها كالأرض حين تزرعها مثلا .

ويضيف : ان المطايا التى خلقها الله لها عادم وهذا العادم يفيد الانسان ، ولكن المطايا التى صنعها الانسان لها عادم وعادمها يضر بالانسان وهذا الضرر — وان كان لا يعرف أثره فى فرد أو فى جيل — الا أنه ضرر شديد وبالغ ، ولك أن تتصور أن سيارة واحدة يصيب عادمها كذا من الأمتار فى مكان ما ، فما بالك .. بملايين السيارات فى البلدان المختلفة ..

بين الصلاح والهبوط :

ويستنتج الداعية الكبير الشيخ الشعراوى مما سبق أن الحضارات تعطى الصالح صلاحا ولكن قد تهبط بأشياء تأتى بالضرر فى ذلك الفعل نفسه ومثال ذلك (السيارة) التى صنعها الانسان اذا مات قائدها وهو يقودها تظل منطلقة ولا يوقفها سوى اصطدامها بشىء ما.. على عكس الدابة التى خلقها الله فان مات صاحبها وهو يقودها غيرت اتجاهها وذهبت من حيث أتت ، وربما احتالت فى أخذه ان كان جريحا مثلا ، حتى توصله الى منزله .

اذن فالشىء المصنوع وان كان القصد منه المنفعة قد يأتى بالضرر البالغ والذى يغيب عن ذهن صانعه الذى عرف شيئا وغابت عنه أشياء .

الحضارة مطلوبة ولكن ..

ان الحضارة مطلوبة والتقدم يخدم البشرية .. والحق يطلب منا أن نعتبر من كل آية تمر بنا وألا نمر عليها ونحن معرضون دون أن تلفت أنظارنا حيث يقول :« وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » .

هكذا يحض الشيخ الشعراوى — كما أراد الله على الانتفاع بآيات الله فى الكون ويضرب مثالا لذلك بآية أو ظاهرة صغيرة بنى عليها علم الفضاء وهى ظاهرة الجذب وحكاية التفاحة التى سقطت على رأس مكتشف نظرية الجاذبية وبنى عليها قاعدة الجذب ، ومن هذه القاعدة جاء البحث عن علم الفضاء ..

اذن ، فالحضارة مطلوبة والانتفاع بآيات الله فى الكون واجب ولكن شريطة أن يسير هذا على منهج الله تعالى وما أراده الحق تبارك وتعالى منا ، والا فالحضارة تنقلب الى معادلة خاسرة لا تفيد كما نلحظ ذلك فى التليفزيون

الذى ألهى الناس عن كثير من الخير والعمل ولننظر مثلا واحدا فى تأثيره على أهل الريف وتعطيلهم عن أرضهم وزراعتهم وصلواتهم المبكرة .

يوضح الشيخ الشعراوى السبب الأساسى فى خلل تكوين العالم الآن والظروف التى يمر بها من طغيان وحروب وارهاب وفساد فيقول:

سبب كل ذلك أن الانسان لم يعتبر نفسه خليفة - كما أراده الله - وانما اعتبر نفسه أصيلا فى الكون ، ولذلك نشأ الفساد .. ولو أن هذا الانسان اعتبر نفسه خليفة لعرف حجم المسئولية الملقاة عليه ، ولكن لما اعتبر نفسه أصيلا نسى هذه المسئولية .. فالعلو فى الكون مسئولية وليس تشريفا ، لأن الانسان ان علا فلابد أن يعطى خيره لمن دونه أو أن يكف شره عن غيره ، ولو تيقن ذلك تماما لما طلب العلو أو الارهاب .

ويختم فضيلة الشيخ الشعراوى حديثه فى المؤتمر قائلا :

ان الخالق لم يضع قانونا للنبات أو للحيوان أو للجماد ولكن وضع القانون للانسان لأن الثانى مخير والأول مقهور .. وان الناس لم يعاملوا ربهم بما يعاملون به أنفسهم ، ولو طوع الانسان نفسه لمنهج الله لما نشأ فساد ولساد الصلاح فى الكون كله كما أراد الله تعالى ، ومثال قانون الله للانسان كمثال « الكاتلوج » الذى يكون مع الآلة لتسيرها واصلاحها ان طرأ عليها فساد أو عطل ، فكما أن الآلة لا يسيرها الا قانونها فان الآلة الانسانية لا يسيرها أيضا الا قانونها الذى وضعه خالق الخلق ..

ولهذا فاننا اذا ربطنا حضارة عواصمنا فى الآثار والتنسيق والمعمار وسائر الوان الجمال اذا ربطناها بما طلبه الدين منا فان النجاح الكامل سيكون نتيجة المؤثرات التى تعقدها منظمة العواصم الاسلامية .

فضيلة الشيخ/محمد الغزالى :

فى الاعلام الاسلامى

الاعلام الاسلامى . مسئولية

أن الاعلام الاسلامى ضيق بمعنى أنه يتحرك فى أطر مرسومة من غير المسلمين وبطرق ملتوية ، لا يدركها العاملون فيه ، وهذه كارثة.

ان الاسلام ثروة لا وجود لها حيث الحقائق الاجتماعية والسياسية علاوة على الحقائق الدينية التى لا تقبل الشك ، وهذه الثروة فى حاجة الى العقول الذكية اعلاميا لاكتشافها الاكتشاف الذى يجعل المستمع والمشاهد والقارىء ، يقتنع بها بعد التعرف عليها على مدى العقول التى تستبين فيه محور الصدق الذى نرجو أن يكتشفه الذين يعملون فى هذا المجال أن العبء ثقيل على أجهزة الاعلام الاسلامى ولكنها يجب ألا تتوانى لحظة واحدة فى محو الأمية الاسلامية فى الغالبية العظمى. ونجاح الاعلام الاسلامى لا يمكن أن يتحقق الا اذا كانت دعوته قرآنية حيث الحكمة والموعظة الحسنة .

ان الاعلام الاسلامى يقع على عاتقه أيضا مسئولية ربط العالم باللغة العربية ليتعرف علينا العالم . وليعرف الدستور الذى أرسله الله الى العالم كله ليعيش بعد ذلك فى أمن وسلام .

من خير ما كتب

الدكتور/عبد الجليل شلبى :
فى المدرسة والواجب

قرآن وسنة :

يفىء ابناؤنا الناشئون فى مدارسهم بمختلف مراحلها • يدفع بهم ذووهم ، ويدفعون هم بأنفسهم الى أقدس الأمكنة وأشرف البنائين المدارس بما تبثه فى نفوس روادها من حب الفضيلة وحسن السلوك والرغبة فى المعرفة ، وانارة العقول •• هى بلا ريب أطهر الأمكنة وأشرفها ، وكما قال شوقى :

بيوت منزهة كالعتيق
وان لم تستر ولم تحجب

والمعلمون أشرف وأجل بنائين ، لأنهم على حد قول شوقى أيضا : « يبنون أنفسا وعقولا » وهم لهذا ورثة الأنبياء ، لأن الله — سبحانه — أرسل الأنبياء معلمين •

ولكنا ازاء هذا التقدير والاقرار بشرف المدرسة والمدرس ، ينبثق فى أذهاننا سؤال تلقائى :

هل تؤدى المدرسة ما يجب • وينتظر أن تؤديه فى هذه الأيام ؟

لاريب أن تعليمنا — فى الوقت الحاضر — لايعدو المظهر الشكلى ، ولاريب أن استفادة أبنائنا العلمية والتربوية ضئيلة جدا ، وليس من الملائم أن نوازنها بحال مدارسنا منذ أربعين أو خمسين عاما • كما أنها لاتوازن بأى حال بالمدارس الأوروبية •

لقد كثرت مدارسنا ولكن الثقافة فيها ضحلت، ومسألة ضحالة الثقافة فى مراحل تعليمنا كلها ليست أمرا هينا ، بل هو أمر يحتاج الى التفكير وتضافر القوى ، فليست مسألة خاصة بوزارة معينة ولكنها مسألة حياة الأمة ومستقبلها ، ابناؤنا الذين ندفع بهم الى المدارس هم قادة الأمة فى غد ، والأمم لاتوزن بكثرة أعدادها ، ولكنها توزن بعدد ونوع مثقفيها ، وأسهل الطرق للفتك بأى أمة ، وأقتل ما يصيبها من الأدواء ، هو قتل مدارسها وتركها فريسة للجهل •

نحن أكثر الأمم تعليما عاليا ، وحملة الشهادات العليا فى العالم الشرقى أرفع نسبة بين أمتهم من أمثالهم فى العالم الأوروبى • ولكن الذى يحصل على الشهادة الثانوية فى انجلترا — مثلا — أكثر معلومات وأعمق فكرا• وأهدى الى البحث ممن يتخرج فى جامعاتنا •

يكفى جامعاتنا أن الذين تخرجوا فى كلياتها العلمية الى الآن لم يقدموا جديدا ، ولم يقووا على هضم ما قدم الآخرون ، والذين خرجتهم الفروع الأدبية لايعرفون محتويات المكتبة العربية ، ولايقوون على قراءة ما يقدم لهم منها • فياضيعة الأعمار تمضى سبهللا • واذا استمر الأمر على ذلك فالى أين نحن سائرون؟

هناك أمر آخر ، هو ضعف الثقة فى مدارس الحكومة مما كثر معه قيام المدارس الخاصة وهى مدارس خاصة بالأثرياء ، واذن فلم يعد التعليم مجانا ولا متاحا لكل طبقات الشعب •

الشيخ/كمال أحمد عون

الأزهر بين جيلين

بعد أن شعر المسئولون فى المراكز القيادية الأزهرية بالخطر يحيق بالتعليم فيه بدأوا اتخاذ الوسائل لينحسر هذا الخطر عنه ، فمنذ سنوات

منعوا التحاق حاملى الاعدادية العامة بالقسم الثانوى بالأزهر ، ومنعوا كذلك قبول حملة الثانوية العامة بالكليات الأزهرية ، وتعاونت جامعة الأزهر فى الصمود لتخطى هذا المنع مع المجلس الأعلى للأزهر الذى أصدر قرارا سابقا بذلك وبقى الاصلاح •

ولقد قلنا من قبل أن المشيخة الحاضرة **لا تتحمل تبعة هذا الخلل الجسيم فى مسيرة التعليم بالأزهر ، وقد أصابها فى الصميم، ولكنها تتحمل ــ ولاشك ــ تبعة استمراره طوال مدتها ، فبقاؤه ساعة مع امكان ازالة وصمته اثم كبير ، وازالته مع صدق العزم ، والنية ليست بالأمر العسير ، ولعل الظروف مواتية له فى الاصلاح أكثر من ذى قبل •**

حاجة الأزهر الى اصلاح عاجل وحاسم لا تخفى على ذى عينين • يعلم ذلك تمام العلم كل عالم من علمائه ، داخل الأزهر وخارجه ، لانستثنى منهم أحدا •

ويعلم كل طالب من طلبته ، وكل من يعنيه من المسلمين أمر الأزهر ، وكان منه قريبا بل صار يعلم الآن طلاب العلم وأساتذته فى الجامعات العربية والاسلامية كما سمعناه منهم شخصيا •

ولقد نبه كثير من المخلصين الى الخطر المحدق برسالة الأزهر ، من جراء الأسلوب الذى جرت عليه سياسة التعليم الأزهرى فى العشرين عاما الأخيرة •

وسيظل الأزهر فى محنته ، مقطوعا عن طريقه ، حتى يأذن الله بقوة جديدة رافعة ، تحمله بحول الله تعالى من كبوته ، وتصلح ما اختل فيه من بنيته ، وتدفعه لاستئناف مسيرته ، هذه القوة الرافعة لابد لها من عزم واقدام ، وتوفر على العمل الجاد ، فى اخلاص وبصيرة ، على أقدام أولى العزم من الرسل ، والعلماء بحق هم الوارثون لهم •

قدامى الشيوخ

ان رسالة الأزهر اليوم على سعتها فى الداخل ، وفى الخارج العربى والاسلامى والعالمى، ليس لها ــ مع الأسى البالغ رصيد من شباب العلماء يخلف سلفه •

انها الآن تقوم على أكتاف جمع كريم من علمائه ، سبقوا الغاشية التى حلت بالأزهر فى سنواته الأخيرة ، فهم قد حفظوا كتاب الله ، ودرسوا علوم الاسلام دينية وعربية وثقافية ، ومنهم فى كليات الأزهر ومعاهده ، وفى مساجد الأوقاف ، والدعوة والارشاد ، والمراكز الدينية ومجمع البحوث الاسلامية وغيرها •

وبعضهم على وشك الاحالة الى المعاش أو بلغوها • وكثير منهم يملأون بمحاضراتهم وكتاباتهم دور العلم وجامعاته فى البلاد العربية والاسلامية ، أو يشرفون عليها ويديرونها ، حيث لا تتقيد معهم بسن ، ولا نشبع من علمهم بعطاء والأزهر ليتصل من حلقاته ما انقطع ، فى حاجة الى كل جهد من بنيه المخلصين ، وكل جهد يقدمه مسلم غيور على دينه وتراثه • هؤلاء جميعا مدعوون لعمل ايجابى كل بما يستطيعه •

من خير ماكتب

ان على المسئولين حتما أن يبادروا ضروريات الاصلاح • وبخاصة بعد أن صار الأزهر مختصا وحده بوضع سياسة التعـليم فيه ــ كمـا أفتت بذلك الجمعية العمومية للفتوى بمجلس الدولة •

عليهم أن يطببوا لهذا المرض الذى طـال أمده ، وما أيسر العلاج لو نهضـت العزائم وصحت النيات •

دعامـة الطـالب

ان زيف الامتحانات قبولا ونقلا وشهادات فى المعاهد الدينية هو أس الداء ، ورأس البلاء، وقد أصاب الأزهر كله بضربات قاضية ، كمـا أصاب مكاتب القرآن الكريم فى مقاتلها ــ هذا البلاء يمكن القضاء عليه فورا بعزمة من عزمات الاخلاص لله ورسوله ودينـه ، واستشعار الأمانة العظمى فيما تقلده الأزهر من تعليم أبناء المسلمين ، وتربيتهم دينيا وخلقيا ، ليصلحوا فى أنفسهم ، ويصلحوا بالقدوة الطيبة والدعـوة الحكيمة غيرهم ••

ولا مبالاة بأوهام تخيل أن ضبط العمـل واتقانه يحرم الأزهر من طلابه •

فاذا اخترنا طالب الأزهر وانتقيناه من حفظة كتاب الله خاصة ، كما كان من قبل ، وان قـل العدد عاما أو عامين ، حتى لو انقرض صف من الغثاء أو أكثر ، فلن يضير الأزهر قلة فى العدد، وما انتصر المسلمون يوما بكثرة أعدادهم ، وما هو الا المريض يحتمى عن غذاء فاسـد ملىء بجراثيم المرض ، حتى يسترد عافيته ، ويختار ما يحفظ صحته ، وما يمنحه دما نقيا يجرى فى شرايينه ، طاهرا بحفظه كتاب الله •

واذا عادت العناية بحفظ القرآن الكريم ، عادت العافية الى المكاتب والمدارس ، وتوفر حافظوه فى عام أو عامين ، ففى سن الحفظ المعتاد ، ومع التوفر عليه والعناية به يستطيع التلميذ فى شهور قليلة ، مالا يستطيعه فىسنوات طويلة ، مشحونة بمواد الدراسة • وعلينـا حينئذ رعاية هذا الطالب ، كالذى كان أو أفضل، وقصر جهده على منهج واحد مصفىمن شوائبه، يطبقه ويحقق الغاية المرجوة منه •

اصـلاح المـدرس

أما المدرس المنشود فهو المعدن النفيس فى جوهر العملية التعليمية ، وهو عمودها الفقرى، ولابد من توافره حتى يتماسك لها كيان سليم •

واذا كان المدرس الصالح فى وضع الأزهر الحالى عملة نادرة ، فلن يعجز حكمة المخلصين من أولى العلم عمل جاد وسريع فى سبيل توفير القدر الضرورى منه عاجلا •

ولقد كان شيوخنا ــ أحسن اللـه اليهم ــ يذكروننا جيدا أن شهاداتنا العلمية ــ عـلى قيمتها الحقيقية فى أزمان خلت ــ ليست الا مفتاحا لدخول ساحة الدرس والعلم من جديد •

ولو شعر المدرس بالجد من حوله وممن فوقه لأخذ يعلم نفسه سريعا ، ليستطيع أن يعلم• غيره من طلبة العلم • ولو وضعت له قواعـد التوجيه الصحيح ، والمتابعة الحقيقية ، وتأكـد من موازين التقدير والتقويم ، واطمـأن الى حاضره ومستقبله ، لتبدل ضعفه قوة ، وركوده حركة ونشاطا وضيق صدره سعة وانشراحا ••

ثم هـــــذه الدورات العلمية ، والمطالعات المفروضة ، والمسابقات التى تعقد للترقيات كشرط أساسى فى كل خطوة ٠

ولو أردنا نهضة علمية لأزهرنـــا الحبيب يقيله من عثاره فلابد لنا من الانتفاع بالقادرين على العمل من علماء الأزهر المحالين عـــلى المعاش ، قبل أن تفقدهم الحيــاة العلمية الى الأبـــد ٠

وان كثيرين من أساتذة المعاهد القدامى كانوا يقومون بالتدريس فى جامعات البلاد العربية وما يزالون ، منظورا اليهم نظر اجلال وتقدير حقيقى ، على أنهم يمثلون علم الأزهر الأصيل:

وان مما يشرف الكليات ان يندب الى قاعة الدرس أساتذة تضلعوا من العلم ، وقضـــوا حياتهم فى رياضه ٠ وان مما يشرف هــؤلاء الأساتذة الكبار أن يعودوا برســالة التعليم قائمين ، فهم بهذا يواصلون حظهم من الميراث المحمدى ، وقد بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أخبر عن نفسه ـ معلما ٠ انها الاغاثة الحقيقية أن يعود الى ساحة الدرس فى المعاهد والكليات القادرون على التدريس الراغبون فيه، فيرفعوا من شأن هيئة التدريس فى الأزهـــر ويكونوا القدوة لزملائهم الشباب ٠

القيمة البيانية للاستعارة ـ بقية

لما كانت كذلك ، وقد نكر « نظرة » ليشير الى أن هذه نظرة غريبة غير معهودة منه ، ولذلك كانت محل أنكار ، وأما ايثار حرف العطف « ثم » فللاشارة الى امتداد أثر هذه النظرة قبل اطراقه ، لأنها نظرة جموح ذات أثر طويل، كما أن فى قوله : « على اشـــفاق عينى من العدا » اشارة الى اختلاسه هذه النظـرة ، وتحسبه لها ، ومحاولة كبتها خوفا من العدا ، ومع ذلك تغالبه وتصر على الجموح » ٠

وكل هذه الاعتبارات فى هذا النظم تضفى قوة وجمالا على استعارة لفظ « تجمح » للعين كما هو واضح ، فليس حسن الاستعارة هنـــا راجعا اليها فى ذاتها ، بل لما اكتنفها من نظم ، وما أحاط بها من دقة فى اختيار الألفاظ فى هذا النظم ٠

ومثل ذلك صنع فى استعارة السيلان للسير السريع الحثيث فى البيت المشهور :

سالت عليه شعاب الحى حين دعــا
أنصــاره بوجوه كالدنانير (٤٥)

وبذلك يتضح أن مجرد النقل فى الاستعارة لايسيغها ، كما أن حسنها لايرجع اليهافىذاتها وانما لأثر النظم الذى قد أحاط بها ٠

---

(٤٥) المرجع السابق ٧٧ / ٧٨ ٠

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● الميــلاد والأمــل والفضاء	
بقلم د . علي احمد الخطيب	٢٨٩
باب مع الامام الأكبر	٢٩٣
● ولــد الهــدى	
بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق	٢٩٤
● واقع الأمة الإسلامية المعاصر	
حوار محمد دسوقي محمد	٢٩٦
● باب دراسات إسلامية	٣٠٥
● محمــد خــاتم النبيين	
بقلم الأستاذ مصطفى الحديدي الطير	٣٠٦
● مولد الرســول الكريم ﷺ	
بقلم توفيق اسلام يحيى	٣١٢
● النبي صلى الله عليه وسلم في مرآة اصحابه	
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني	٣١٧
● من احداث السيرة النبوية	
للأستاذ محمد الليثي على محمد	٣٢٢
● إدارة الرسول ﷺ	
للأستاذ محمد صابر البرديسي	٣٢٧
● اصحاب اليمين واصحاب الشمال	
للدكتور محمد محمود رسلان	٣٣١
● بحوث في الاموال (الزكاة والضرائب)	
للأستاذ فضل الرحمن بن محمد	٣٣٨
● ابن جزى الأندلسي	
للشيخ ابراهيم عطوة عوض	٣٤٤
● الفتــاوي	
إعداد عبد الحميد السيد شاهين	٣٤٩
● باب شعر والشعراء	
اشراف د . حسن جاد	٣٥١
● مولد النــور	
شعر رشاد محمد يوسف	٣٥٢
● محمد صلى الله عليه وسلم	
شعر ابراهيم عيسى	٣٥٤
● نفحات في موكب الذكرى العطرة	
شعر أحمد مصطفى حافظ	٣٥٦

الموضوع	الصفحة
باب العلوم الكونية	
● هذه الأعشاب وهذه النباتات	
د . السيد الجميلي	٣٥٨
● تاملات في الحياة	
د . سعاد حسين البيلي	٣٦٢
● من اعــلام الازهــر	
الحسيني هاشم	
د . محمد رجب البيومي	٣٦٦
● مجلة الأزهر من خمسين عاماً	
الظلــم والشــح	
إعداد . عبد الفتاح حسين الزيات	٣٧٣
● طرائف ومواقف	
اعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٣٧٨
باب اللغة والادب والنقد	
● القيم البيانية للاستعارة ومعايير حسها	
اعداد د . عبد الجواد محمد طبق	٣٨٢
● من أسرار العربية في البيان القرآني	
د . سهير محمد خليفة	٣٩٢
● السائح الأزهري	
دعاة الأزهر في أندونيسيا	
إعداد الأستاذ السيد حسن قرون	٣٩٨
● انباء وآراء	
د . أحمد عبد الرحيم السايح	
الأستاذ صفوت عبد الجواد	٤٠٢
● من خير ما كتب	
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	٤٠٧
القسم الانجليزي	
OBITUARY	٤١٩
● المقالة الثالثة	
د . روبرت د . كرين	٤١٩
● المقالة الثانية	
بقلم نصر الدين عبد الفتاح الشلقامي	٤٢٥
● المقالة الأولى	
بقلم د . أنس مصطفى النجار	٤٣٢

OBITUARY

Dr. Hussien Abdel-Magid Hashem died on Friday 15th of Muharam 1407 Hijriah, September 19th 1986, AD.

Born in Bani Amer in the Province of Sharkiah in 1925 in Egypt. He learned the Holy Quran at an early age, and Joined Al-Azahr University where he obtained the "Alamiah" Degree in 1954, then the Doctorate Degree in 1964 in Islamic Theology.

Dr. Hussien ascended the various posts at Al-Azahr University, and became the Secretary General of the Islamic Research Academy in 1980, and then Vice Rector of the Al-Azahr in 1985.

Dr. Hussien was highly reputed in both Arab and International Islamic circles for his very pious and humble character. His eminent knowledge of Islam authorized him to publish several leading Islamic publications and as professor at Al-Azhar University was greatly gifted as a teacher.

The Al-Azahr Magazine for itself, on behalf of the Al-Azhar University, and on behalf of the Muslim nations and communities all over the world; pays tribute and praise to the memory of the honourable man.

May Allah ordain him with mercy, forgiveness and grace. May Allah reward him for the sincere efforts and services he offered for Islam. May Allah bless his soul.

the monoply of knowledge; since all principles of knowledge are contained in the Holy Quran. It is the right of every human person to enrich his understanding to attain wisdom and perception, through which faculty, he will grant that justice and the right to others.

The sixth and last human right to attain justice is the right to ownership of productive property. This requires fundamental changes in the infrastructural monitary institutions and systems. These changes should aim at freeing all human beings from the bonds of wealth concentrations and monopolies both within and among the nations that effectively deny and oppose the basic human right of equal opportunities.

Together, these six human rights form the essentials of justice and of human harmony and peace. Justice may be defined as the will of Allah for each human person and society expressed in their commitment of "Tawhid". In Islam, the paradigm for all public issues is justice; and justice is the product of divine purpose. Consequently man should be governed by a delicate sence of justice because he has a purpose created by Allah, and man's happiness comes from being faithful to the nature of that purpose.

The substance of justice in the Islamic thought is nothing other than attainment of human rights. Justice becomes a powerful principle and motivating force the more it is looked upon as being sacred. The concept of justice as sacred has no real sustaining power in a secular society where there is no recognition of Allah's Will but only man's own arbitrary creation. Consequently, secular justice always lacks divine harmony and balance. This divine harmony and balance is a cardinal Islamic principle known as "Mizan". Secular justice is in reality no more than a farce, a tool of propaganda used by those in pursuit of worship of false gods; modern age being the most polytheistic in human history. The principal lesson of history which is also one in Islamic thought is that such false gods eventually and inevitably destroy their own worshippers This is a basic message throughout the Holy Quran and also in Christian and Jewish scriptures.

Together, the six human rights considered produce human homogenity, harmony and peace; they are the outcome of Allah's will to mankind and are the elements of justice which in itself becomes the product of their implementation and man's commitment to practice them.

to the principles of political subsidiarity should prevail under the abosute sovereignty of Allah. This certainly will prevent the tyranny of political and monitary powers.

The right to dignity is an essential human element, and is also the purpose and criterion of all human rights of both men and women equally. Human dignity is a universal requirement which is very deeply established and practiced in the Islamic system. The optimization of human dignity is attained by the full normalization of all aspects of human nature including his physical, mental, financial, political and other functions. Any distortion or disorder in man's normal or moral behavior results in undermining his dignity.

The right to knowledge is primarily a duty of each individual person towards one's self as well as a social duty. The Holy Quran has delineated essentially three sources of knowledge for the human person. The first is "Haqq Al-Yaqeen" which is that certain knowledge that comes directly from Allah. This occurs in revelation to a selected group of people "the prophets" or by private inspiration to a person as guidance for his own personal life. The second is "Ain Al Yaqeen" which is observational or experimental knowledge gained from observing the phenomena of creation of Allah including that of man himself. Observation of the physical creation in the natural sciences encompasses that portion of knowledge designated as the Ayat (signs) of Allah. Observation of man himself who is in direct link with the transcendent constitutes the other portion of knowledge collectively known as Ibadat Allah (worship of Allah). Worship of Allah is the ultimate end and true rationale of all human thought and existance. The third source of knowledge is "Ilm Al Yaqeen" or intellectual knowledge. Since this is the most indirect source of knowledge, it includes only the product and interactions of the rational mind. It is the outcome of the processing and rationalization of that knowledge gained by the mind from the study of the Revelation, the physical universe, and man.

This Islamic guidelines on the pursuit of knowledge dictate that every human person should seek to know, learn, and transmit knowledge. Knowledge by definition is reality and truth that comes from Allah. Man does not create knowledge, he only discovers it. No man has

to group identity, the right to liberty, the right of personal dignity, the right to knowledge, and the right of private properrty. These human rights formulate the roots of the Islamic teachings at the time of the Prophet Muhammad prayers and peace be upon him. Upon such roots, justice prevailed for each human person and for the Muslim community. Upon such justice, a very prosperous civilization was founded fourteen centuries ago based on the Islamic Shariah whose substance and ingredients were the elements of justice founded on human rights.

The right of life constitutes within its meaning the right to a decent honourable dignified life without fear or supression. This is achieved by a delicate balance of man to man relationship, no man should claim for himself what is the product of another man's efforts and skills. Honesty, purity and unselfishness are fundamental to attain justice, but what is really important is the absoluteness of one's commitment. The right of life in the Islamic value system is very highly evaluated, and the Islamic legislative disciplines of the Shariah attach very great importance to the life of a human person at any age, and also to the safety and integrity of the component parts of the body and their physiological functions. The duty of Jihad in the cause of Allah primarily aims at securing human rights, and maintaining that for one's self and others.

The second human right is the right of group identity. This includes the duty to protect group rights of minority groups and non-sovereign nations against absolute political sovereignty. Absolute political power is the source of grave injustice to several human communities and nations; as known throughout history and more malignant in this modern age.

The third is the right of liberty which includes everyone's duty to protect every other person's freedom of religion and freedom of constructive opinion. It is the duty of every person entrusted with power to abide by some formal or institutionalized system of moral law. The concept of responsive consultation "Shura", and or informed consensus "Ijma" of the community in response

HUMAN RIGHTS IN ISLAM

BY :
Dr. Robert D. Crane.

The Glorious Quran and the Traditions of the Prophet Muhammad prayers and peace be upon him are the fundamental sources of the Islamic system. The nucleus value of everything Islamic is the sacredness of the human person and the ascending structural levels of family and community that ultimately derive from that person. The human person is sacred because he is the only direct intellegent link with the transcendent and is therefore the source of all meaning in the created universe.

The sacredness of the human person as an elemental instrument of Divine love and Divine action provides a basic ordering principle for all Divine Doctrines. Islam as the final and most complete Divine Doctrine institutes precise definition and optimization of justice and human rights. The necessary uniqueness of each person and of each person's own destiny in the Divine plan of creation establishes the sacredness of the human person and of his role within the human community. Allah communicates with the person and acts through the person, not through the collective. The Divine call to man to achieve and maintain justice becomes in the first order a personal responsibility and then a social and collective responsibility. The purpose is for each human person to change himself as the first step to change his community, therefore the person is the focus of change.

Islam meaning total submission to Allah essentially indicates following not our own will but the will of Allah. Justice is one of Allah's attributes and is the core value of Allah's will to human dignity from which all human rights derive. The unique Islamic disciplines of Shariah define the basic substances that formulate the original values for human rights as requirements to achieve justice. These are the right to life, the right

Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) celebrate in commemoration the birthday of the Prophet. This celebration does not add to his honour or dignity. Both dignity and honour have been bestowed upon him by Allah. He has been elevated in honour and grace above all humanity, and he has been highly praised on more than one occasion in the Holy Quran. Muslins should therefore understand that celebrating the occasion of the Prophet's birthday is not only be eating, chanting and other subjective activities. The true real spirit of commemoration should be objectively directed towards following his teachings, precepts, guidance, following his path and the Light that came with him to emancipate and salvage mankind from the pits of darkness to the brightness of virtue and knowledge. Our high respect, esteem, love, obedience, orientation, mental patterns, devotion, sencerity and total obligation should be normalized and programmed to follow the teachings of the Prophet of Islam, Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him).

Muslims should express their celebration of the Prophet's birthday by loving him more than their love for their parents, wives, children or themselves. In an honourable Hadith, on the authority of Anas may Allah be pleased with him said the Prophet (prayers and peace be upon him)said "None of you will have faith till he loves me more than his fathers, children and all mankind". (Al-Bukhari). Truely our Prophet stands as an exalted standard of character, conduct, and perfection of qualities. He received divine teachings and culture and also received the highest rank of honour that Allah and His Angels send blessings in his honour. The Holy Quran states:-

> "Indeed Allah and His Angels send blessings on the Prophet. O ye who believe send ye bleassings on him and salute him with all respect"
> (Surat Al-Ahzab, XXXIII, 56)

Let us all pay tribute in honour and blessing to the greatest of all men, to the Prophet, the Messenger, the Apostle of Allah. Muhammad prayers and peace from Allah be upon him.

At the age of forty years, he received the commission to stand forth and proclaim the Message, the Bounty, the Light, the Guidance of Allah. The Message that spoke of the supreme will of Allah, the moral code to which man must tune his will to attain the highest bliss and gratification. He grew steadfastly in virtue and purity to teach and preach the Divine message to complete the chain of Revelations of the divinely inspired Apostles before him. He was asked to stand forth, to summon and declare the True Path that leads men to the Right and forbids the wrong. He was the example of the practice of perfect righteous human conduct and spiritual purity. His efforts were opposed by the pagans in offence, conflict, mockery, hatred, persecution, threats, torture, exile, wars and the shaking of the foundation of history and social patterns. With unrelenting patience and confident endurance, the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) remained actively in persue of the Message willingly submitting to Allah.

For twenty three years, the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) summoned all mankind close and distant to the Message of Allah. With patience, hope, conflict, political and combat strategy, came the final prevailing triumph. He taught the supreme profound spiritual Truth, he answered questions, relieved doubts and fears. He was generous, kind, tolerant, serene and supremely magnanemous. He taught in words and in example of conduct the laws and codes by which mankind could live in a society of virtue, goodness, peace, mental stability, social order and justice, chastity and purity, and human love. For twenty three years the message of Allah came as an inspiration in protected verses as the need arose, on different occasions and in different places. They were recorded in writings and in the hearts and minds of several of the disciples. As the body of the Holy Revelation grew, it was arranged to become the Holy Quran, the words of Allah, the sacred Scriptures of the Islamic Faith. The Holy Quran, the original source of Islamic knowledge, philosophy, and jurisprudence. Muhammad the Prophet prayers and peace be upon him) was commissioned by Allah, to propagate the words of Allah.

Every year during the first half of the month of Rabie Al-Awal of the Hijrah, Muslims followers of the

the seal of the Prophets, and Allah is aware of all things".
(Surat Al-Ahzab, XXXIII, 40).

The Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him), was born in Macca on Monday the 12th day of the month of Rabie Al-Awal;August 2nd 570 AD. His father Abdullah Ibn Abd-Al-Mutaleb was from Bani Hashem of the Quraish. His mother Aminah Bent Wahb was from Bani Zuhrah of the Quraish. The year of his birth corresponded to "the year of the Elephant" in which Abrahah the vice-regent of Yemen rode to Macca with the intention to destroy the Kabaah. At the front of the army, an elephant was led which when facing the Kabaah refused to advance one step. Abrahah blinded by personal ambition to destroy the Kaabah was determined. The whole campaign ended with an utter disaster, and the whole army of Abrahah was stormed by birds pelting pebbles which pierced the bodies of men and killed them. In that year "of the Elephant", the Holy Kabaah was save by Divine power from destruction on the Hands of the invador Abrahah. In that year also, the Prophet Muhammod prayers and peace be upon him was born by Divine selection.

The supplication of Ibrahim to Allah, the prophecy of Mosses, and the glad tidings in the message of Jesus were all fulfilled. There was born into the world a child of noble birth, yet nobler still in grace and Divine choice. He was possessed and gifted with the key to knowledge and wisdom which opened to him the enchanted realms of creation. He was marked out to receive and preach the words of the Holy Quran, the words of Allah. Muhammad was born in the fullest blaze of history; with no learning, he lived and worked with pasture folk to earn his living. He wondered and travelled the valleys and deserts, never losing his way to truth and righteousness, he walked honest, upright and straight to be reputed Al-Amin "the man of Honesty". He stood for all humanity making his special care the neglected and the oppressed, the orphans, the women, the children, the old and those in need. He provided from the endless richness of his own character, comfort, mental solace and spiritual strength.

becomes therefore fully justified as the second source of Islamic teachings after the Holy Quran. The "Hadith" constitutes teachings that are directly related to the life of man in all its detail, to become a way of life rather than a mere canonical religion of a prosaic pattern. In the Holy Quran it states:-

> "O ye who believe, Obey Allah and obey the Messenger ..."
> (Surat Al-Nisa, Iv, 59).

> "And obey Allah and His Messenger if ye do believe".

> "O ye who believe, Obey Allah and His Messenger, and turn not away from him when ye hear (him speak).
> (Surat Al-Anfal, VII, 1,20)

> "And take what the Messenger assigns to you and deny yourselves that which he forbids you. And fear Allah, for Allah is strict in punishment.
> (Surat Al-Hashr, Lix, 7).

These Quranic quotations indicate that Allah has directed all Muslims to obey the Messenger of Allah just as adherently as they obey the words of Allah. The fact that the Holy Quran has been Divinely preserved, and that the Honorable Hadith have been meticulously and very carefully documented, gives the conclusive evidence that the message of Islam in the words of the Holy Quran and annexed by the Hadith is the final universal message to all mankind. This message includes within its doctrines and teachings all the doctrines and teachings that came about on the tongues of other Prophets prior to Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) and all the other Prophets before him. Every Prophet was ordained with guidance to a particular group of people. The Prophet Muhammad was sent with guidance to mankind and Jinn at large to worship Allah. He is the seal of all Prophets and Apostles of Allah, and no other Prophet will succeed him. In this context, the Holy Quran States:

> "Muhammad is not the father of any man among you, but the messenger of Allah and

in the endless well, and the more he digs the more he learns. This category of men with all our tribute and respect to them are not the subject of this treatise, they are mentioned as men gifted with intellegence and wisdom to search and pronounce the creation of Allah. With their search and wisdom, they have certainly affected changes in the life of man over history, and will continue to affect that change.

The second category of the two groups are the Messengers and Prophets of Allah. Prayers and peace from Allah be upon them all. These men were selected and chosen, they were ordained and destined to carry the messages Allah to mankind. These Messengers and Prophets influenced human life in its totality by their eternal teachings and personal example of their life and conduct. They taught the essential core of Tawhid, the essence of man's recognition of the Oness of the Creator. They preached virtue and goodness, purified man's soul from evil and suffering. They attained a total change of the entire system of human existance and structure. They established codes and formulations for the moral, social, economic, political, wellfare aspects of man's life. These Messengers and Prophets brought forth the Light of guidance from Allah the Creator of the whole universe and beyond, to the life of mankind on earth. Man the viceregent of Allah on earth has received the elements of enlightment and guidance, the landmarks of discipline and dignity from Allah on the hands of these Messengers and Prophets.

Muhammad Ibn Abdullah the Messenger of Allah and the Prophet of Islam is the last of these Prophets. The complete unbridged record of his life, conduct, teachings, sayings "Hadith" and his guidance remains extensively available and precisely documented. Muhammad the Prophet of Islam (prayers and peace from Allah be upon him) is the only man in history whose entire life is totally archived and chronicled in detail. He is the only man in history whose sayings "Hadith" are very scholastically classified, arranged categorized, revised and interpreted. The "Hadith" of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) have been subject to meticulous scrunity and optimization of authentic true referencing and documentation. The "Hadith" in the Islamic creed

COMMEMORATION OF THE PROPHET'S BIRTH

BY :
Nasr El - Dein Abdel - Fattah Sholkamy

Praise be to Allah and prayers and peace be to our Prophet Muhammad Ibn Abdullah Ibn Abd- Al-Mutaleb, and upon his kins, companions, followers and callers of his message of Islam. The last of the Prophets of Allah, the Messenger of the message of Islam, and the bearer of the Revelation of the Holy Quran. The final eternal message to mankind at large, to light the path to human excellence, goodness and distinction.

The history of mankind has witnessed the lives of hundreds of great men who have achieved greatness and left their imprints on the pages of history, and have influenced the lives of human populations in some aspect or another. the majority of these men of greatness left the scene of life, and with their death came the gradual decay of their thought, reputation and the once renouned fame. These men left behind nothing permanent in the form of personal example or teachings. These men were great whilst they existed to maintain their greatness, once they passed away, very little was left behind to affect the totality of human life.

Two groups of those men of greatness have achieved greatness by affecting a change in human life in its totality. These two groups of great men are the scientists and men of wisdom, and the Prophets of Allah to mankind.

The first category of the two groups, namely, the scientists and men of wisdom have been defined in the Holy Quran as those that have been endowed with superb mastery of thought and perception to recognise Allah's presence through the knowledge of their sciences. With this recognition as fundamental, they perceive the true realms of creation with its infinite bounderies of knowledge, and achieve wisdom by their realization that Allah's creation is ever beyond human reach. Man digs

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stressed several times the need to make perfection one's aim in every worldly performance and several Hadith indicate that this aim must be unworldly and detached. To be ready to depart is to be detached. The famous guidance of wisdom after the Prophet "Do for this world as if to live for ever and for the Hereafter as if to die upon the morrow". "Be in this world as a stranger or as a passer-by.

The "Zakat" was prescribed at the end of the nineth year of Hijrah by a Revelation of the Holy Quran.

> "Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the funds; for those whose hearts have been reconciled; for those in bondage, and in debt; in the cause of Allah, and the wayfarer. Thus is it ordained by Allah. And Allah is All-Knowledgable and Wise.
>
> (Surat Al-Tawbah, IX, 60).

When the last month of Zu Al-Hija came, the time of Pilgrimage was on, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) appointed Abu-Bakr to take charge and perform Pilgrimage with the people.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

understanding of those who newly entered the new creed. Ali Ibn Abi Taleb, Muaz Ibn Jabal, Abu Moussa Al-Ashaary and Khalid Ibn Al-Waleed were delegated to go to various parts of Yemen with directives and counselling. It is related that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) walked on foot to accompany Muaz to the outskirts of Al-Madinah while Muaz was mounted, explaining to him how to summon for Islam. Uyainah Ibn Hisn was sent to Bani Tamim; Rafei Ibn Makieth to Guhaynah; Amre Ibn Al-Aas to Fazara. Others were commissioned to go to other tribes to collect the "Zakat"

Gradually, all the tribes of the whole Arab peninsula ranged themselves round the standard of Islam. Whole tribes proclaimed their fealty and allegiance to Islam collectively. The revelation of the Holy Quran documented this crescendo of pan-islamization which lasted literally during the nineth and tenth years of Hijrah.

> "When comes the triumph of Allah and victory and thou dost see the people enter Allah's religion in crowds.
> Then celebrate the praises of thy lord, and ask for His forgiveness. He is oft returning in grace and mercy.
> (Surat Al-Nasr, CX, 1,2,3).

Every man should humble himself before Allah, and confess his human frailities and seek Allah's grace; attributing any success not to his own merits but to Allah's mercy and grace and to ask forgiveness.

Amidst all this exaltation and glorification came the illness of Ibrahim, the Prophet's son from Mariyah. It was clear that he would not survive. He was tended by his mother and her sister Sirin. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited him continually and was with him when he was dying, and assured them that Ibrahim would be in paradise. Funeral prayers and burial were attended.

person of Jesus. The Revelation came to resolve the matter.

> "The similitude of Jesus before Allah is as that of Adam. He created him from dust, then said to him "Be", and he was.
> "The Truth comes from God alone so be not of those who doubt".
> "If any one disputes in this matter with thee; now after knowledge hath come to thee; say "Come, let us gather together , our sons and your sons, our women and your women, ourselves and yourselves. Then let us earnestly pray and invoke the curse of God on those who lie"
> (Al-Imran, III, 59,60,61).

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) explained the high position of Jesus as a Prophet refuting the dogma that he was God or the son of God. If he was born without a human father, Adam was without a human father or mother. Our physical bodies are dust. The real greatness of Jesus arose from the divine will and command "Be", after that he was ordained a prophet, spiritual leader and teacher. The Christian embassy from Najran were highly impressed on hearing this passage of the Revelation, however, ingrained habbits and customs prevented them from accepting Islam as a body of faith. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) firm in his faith proposed the solemn gathering for supplication to Allah to invoke the curse on those who should lie. The Christians declined and they were dismissed in a spirit of tolerance with a promise of protection from the Muslim state in return for a tribute.

The deputations from all other tribes were very conclusive in accepting Islam, and submitting with free will to the teachings of the Holy Quran. They returned to their tribes carrying within their hearts and minds the Light of faith, condensations of belief and the elements of guidance. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) commissioned from his companions to accompany the deputations back to their home to instruct them and their tribes in the teachings, requirements and jurisprudence of Islam. Such an action was a necessity to establish the faith of Islam in the belief and

Not all the deputations were conclusive, the chieftain of the Bani Amir, Amir Ibn Tufayl was an arrogant man who retained his hatred to Islam. Under pressure from his tribe, he came to Al-Madinah. In return of his Islam, he requested to succeed the Prophet as the guardian of Islam. When he was refused that request, he turned away threatening to go against Islam. When he had gone, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) prayed to Allah to guide Bani Amir, and rid Islam of Amir Ibn Tufayl. Amir died on the way home. The tribe of Bani Amir sent another delegation and an agreement was reached after they accepted Islam.

The delegation of Bani Hanifah came to Al-Madinah and with them was Musaylamah Ibn Habib Ibn Thumamah from Bani Hanifah. The envoys met with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and accepted Islam. When they arrived at their homes at Al-Yamamah, Musaylamah reverted, and claimed that he had been made partner in prophecy, and received the revelation from heavens. He allowed adultery, debauchery, usury, drukedness, and ordered his followers not to pray. He critisized the teachings of Islam and professed amendments. His expert practice of magic, sorcery and witchcraft impressed most of Bani Hanifah to believe and follow him. Musaylamah sent two messengers to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with a message stating that he had been ordained partner in prophecy and was entitled to own half the domain. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him answered "From the Messenger of Allah to Musaylamah the liar; greetings upon him who follows the guidance; "For the earth is Allah's to give as heritage to such of this subjects as he pleaseth; and the end is best for the righteous". (Surat Al-Araf, VII, 128). Eversince, Musaylamah has been called "Musaylamah the Liar". Musaylamah the liar commanded Bani Hanifah as renegades against Islam. He was killed during the wars against the renegades at the time of Abi Bakre.

The Christians of Najran appointed sixty delegates to arrange a pact with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They were of the Byzantine rite from whom they received rich subsidies. The delegates were received in the mosque where they were allowed to perform their prayers facing the east. During the audiances they had with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) several points of doctrine were discussed. There was some disagreement concerning the

THE DEPUTATIONS TO AL - MADINAH

BY :
Dr. Anas Moustafa El - Naggar MD, PHD

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The conquest of Macca, the victory at Hunayn and the expidition to Tabouk resulted in the pan-islamization of the leading Arab tribes of the koraysh, the Hawazen, followed by the Thaquif.. The other Arab tribes recognised the undisputed mastery and influence of the Muslims and hereby reconsidered seriously their standing in the light of the new power structure of the Arab peninsula. The propagation and surge of the new creed of Islam had become well established beyond any regression. The voice of reality, truth, human rights, justice inherent in the teachings of Islam, prescribed by the Revelation of the Holy Quran; began to find acceptance in the hearts of people, and the curtain of stubborn antagonism to Islam was gradually lifting.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) remained at Al-Madinah after his return from Tabauk, and there the delegation from the Thaquif came to submit and accept Islam. The tribe of Thaquif was not the only tribe to send envoys; several other tribes from all over the Arab peninsula came to Al-Madinah to proclaim Islam. It is beyond the precept of this text to discuss the details of these delegations, some texts have included extensive analysis of the subject including the names of eighty tribes. Amongst these were delegations from the tribes of Muzainah, Assad, Tamim, Murrah, Thalaba, Muhareb, Kalaab, Kenanah, Ashga, Sulaym, Rabieah, Hanifah, Shayban, Taii, Kindah, Bahrah, Guhaynah, Jurm, Ghassan, Hamdan, Ashaary, Daws, Thumalah, Aslam and Najran. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave time to attend and listen to these delegations, replied cordially and stressed the obligations of Islam.

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Rabie Al-Awal, 1407

Vol., 59. Part III

CONTENTS

1) The Deputations to Al-Madinah.

By.: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

2) Commemoration of the Prophet's Birth.

By: Nasr El-Dein Abdel-Fattah Sholkamy.

3) Human Rights in Islam.

By: Dr. Robert D. Crane.

Preparation of Prints - Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

م ١٢٠
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

وفي مشرق الإسلام محمّدون

حمل كل منهم هذا الاسم الكريم .. « محمداً » وتسمى به ، وكان صاحباً لرسول الله ـ ﷺ ، وامتازوا على سابقيهم بالاسلام «١» .

هؤلاء السابقون الذين حملوا هذا الاسم الكريم على أمل أن يَحْظَوْا بالنبوة ، وشاء الله أن يموتوا على « الجاهلية » وباءت أماني آبائهم بالخذلان كما باءت أماني أهل الكتاب ، فلم يكن رسول الله ـ ﷺ وسلم ـ من هؤلاء ولا هؤلاء ، وضاق أهل الكتاب بإرادة السماء فأسرعوا يخفون من الكتاب دلائل النبوة في رسول الله ﷺ .. وهيهات فقد بقيت واضحة ..

« ١ » انظر افتتاحية ربيع الأول ١٤٠٧ .

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف

* الجزء الرابع *
* السنة التاسعة والخمسون *
* ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ *
* ديسمبر ١٩٨٦ *

ونزلت ـ فى الناس ـ خيرة الله ـ جل جلاله؛ فاختار محمداً بن عبد الله ﷺ رسولا خاتما «لِئَلَّا (٢) يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

والمحمدون الأوائل فى الاسلام هم أصحاب هذه الكلمة التى نقدمها فصولا تُوعِبُ سماتهم مكتفين بمن تحقق أورجح لدى علمائنا المحققين أمره فمن أولئكم ـ رضوان الله عليهم ـ من حمل الاسم الكريم جاهلية و إسلاما وهم :

١ ـ **محمد بن مسلمة بن خالد الخزرجى** ، وقد سبق الحديث عنه فى مقالنا السابق .

٢ ـ **ومحمد بن عدى بن ربيعة بن سعد المنقرى** ، رجحه ابن حجر وَرَدَّ فيه إنكار ابن الأثير ، وقد ذكرناه فيما مضى .

٣ ـ **ومحمد بن قيس بن مخرمة** ، وتَرَجَّح عندى صحبته إذ وُلِدَ أبوه فى عام الفيل ، وهو نفس العام الذى ولد فيه رسول الله ـ ﷺ ـ وليس ما يمنع أن يسلم يوم الفتح مع أبيه .. رضى الله عنهما ، وله فى « أسد الغابة » الترجمة رقم « ٤٧٥٧ » والإصابة رقم « ٨٣٠٥ » .

٤ ـ **ومحمد بن قيس بن شُرَحْبيل القرشى** ، ذكره ابن حجر بما أثبته عن ابن القداح : أنه كان من مهاجرة الحبشة ، ولم يذكر الرواة أنه كان حينئذ رضيعا أو طفلا أو صبيا مما يرجح أنه أقدم من ذلك وله فى الإصابة الترجمة رقم: ٧٧٩٥ .

٥ ـ **ومحمد بن الحارث بن حُدَيْج** . وقد سمى بهذا الاسم الكريم فى الجاهلية نلحقه بهذا القسم ـ وإن لم يكن صحابيا ـ لأنه أسلم فى عهد عمر ـ رضى الله عنهما ـ فلم تكن له صحبة ولا رؤية .

أثبته أبو حاتم السجستانى ـ رضى الله عنه ـ وذكر رحلته إلى عمرَ أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى وترجم لهابن حجر فى الإصابة رقم « ٨٣٦٦ »[٣]

ثم أولئك قوم من صحابة رسول الله ـ ﷺ تَحَلَّوْا بهذا الاسم الكريم ولم يصحب التأريخ عنهم أمارات ترجح « خضرمة » أصحابها أو نشأتهم فى الاسلام ، وأولئك رضوان الله عليهم .

١ ـ **محمد الأنصارى** : وقد دار هذا الاسم الكريم على أربعة فى الترجمة لدى القوم ذكر مع كل منهم « حديث » تجد طرفا له عند الآخر مما يحمل على الظن بأن « محمد » أو « محمد الأنصارى » أو « محمد الدوسى[٤] » شخصية واحدة ، وقد ترجم لها فى « أسد الغابة » بالأرقام : « ٤٦٩٩ ـ ٤٧٠٠ ـ ٤٧١٩ ـ ٤٧٦٨ » وفى « الإصابة » بالأرقام : « ٧٨٠٦ ـ ٧٨٠٧ ـ ٧٨١١ » . ولا جدال فى ثبوت أحدهم فقد وقع ذكره فى حديث بصحيح مسلم .

« ٢ » والمعنى : ليعلم أهل الكتاب . والآية .. آخر سورة الحديد .

« ٣ » مما يؤسف له أن طبعة الإصابة هذه تعوزها الدقة فى الترقيم فقد عثرنا على أرقام مكررة ، ولم نجد بدا من ذكر الرقم الموجود برأس الترجمة .

« ٤ » وذكر باسم « سعد الدوسى » أيضا .

٢ ـ **محمد بن بشر الأنصاري** : وترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٠٤ » وذكره ابن حجر فى ترجمته رقم « ٧٧٥٣ » وقال : « يأتى فى الذى بعده » أى فى الترجمة رقم « ٧٧٥٤ » وفيها ذكر أنه ابن « بشير » لابشر ، وقال : ذكره البخارى فى الصحابة ، والرواية عنه فى « الشيماء بنت نُفَيْلَة الأزدية » واحدة فى « أسد الغابة » و « الإصابة » .

٣ ـ **محمد بن جابر بن غُرَاب** ، كذا بأسد الغابة ، وعند ابن حجر : « عراب[٥] » بمهملة وله بالأولى الترجمة رقم « ٤٧٠٦ » وبالإصابة رقم «٧٧٥٥» .

٤ ـ **محمد بن سليمان بن رفاعة بن خليفة بن أُبى كعب** : ترجم له ابن حجر فى الاصابة برقم « ٧٧٧٠ » مثبتا له عن ابن القداح ، وقال : « شهد أحداً وحضر فتح العراق » فأما "محمد أبو سليمان" المترجم له بأسد الغابة برقم « ٤٧٣٠ » فلم تَثْبُتْ صُحْبَتُهُ وقال أبو نُعَيم فيه : صوابه محمد بن سليمان الكرمانى أ هـ وهذا الكرمانى تابعى، وليس هو من أثبته ابن القدّاح ونقله صاحب « الإصابة » .

٥ ـ **محمد بن صفوان الأنصارى من بنى مالك بن الأوس** ـ رضى الله عنه ـ

ترجم له صاحب أسد الغابة برقم « ٤٧٣٤ » وهو صاحب الترجمة رقم « ٧٧٧١ » بالإصابة ، وفى الإصابة ذِكْرٌ لما دار حول اسمه من تقديم وتأخير : هل هو صفوان بن محمد أو محمد بن صفوان ، قال ابن حجر : « والأول أصوب » .. زاد الواقدى ـ رحمه الله ـ له كُنْيَةً ، فقال : « أبو مرحب : محمد بن صفوان » رضى الله عنه .

٦ ـ **محمد بن صيفى بن الحارث بن عُبَيد بن عَنَان بن عامر بن خَطْمة الأنصارى** ـ رضى الله عنه . له الترجمة رقم « ٤٧٣٦ » بأسد الغابة ، وله بالإصابة الترجمة رقم « ٧٧٧٣ » وثبت عنه حديث صححه الحاكم وابن خزيمة ، وأثبت هذا الاسم ـ كذلك ـ عدا هذين الإمامين محمد بن سعد صاحب الطبقات ، وأبو حاتم ، وأزال أبو حاتم . رضى الله عنه ـ ماظنه البعض حيث رآه « محمد بن صفوان » صاحب الترجمة السابقة ، فذكر رضى الله عنه : أن محمداً بن صيفى مدنى ، ومحمد بن صفوان كوفى ، أى صحابى أقام بالكوفة ، ويكفى ـ فى ذلك ـ ما أثبته أعلام الصحيح كما تقدم ، وثمة قرشى يحمل نفس الاسم وسنعرض له رضى الله عنه .

٧ ـ **محمد بن علبة القرشى** : رضى الله عنه ، ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٥٠ » وابن حجر برقم « ٧٧٨٩ » وقد رجح صحبتَه ابنُ الأثير رضوان الله عليه عن ابن مَنْدَهْ حيث وقع للأخير حديث هُبَيْب بنِ مُغْفل ـ يخاطب محمد بن علبة القرشى قائلا له : أما سمعتَ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول ـ أى فيمن يجر إزاره أو ثوبه خيلاء : « **من وطئه خيلاء وطئه فى النار** » . ورواه ابن حجر فى الإصابة بنفس الاسناد ، فقال : أَما سمعتَ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **ويل للأعقاب من النار** » قال ابن حجر : وهذا الحديث صحيح السند اهـ وهذا مما يرجح صحبة ابن علبة ـ رضى الله عنهم ـ أجمعين .

« ٥ » وهنا نصطحب ماسبق أن أشرنا إليه من عدم الدقة فى طبعة الإصابة .

٨ ـ محمد بن أبى عَمِيَرةَ المُزَنِى ـ رضى الله عنه أثبته البخارى وقال : له صحبة ، وأَوْرَدَهُ البغوى فى ترجمة « محمد » ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٥٤] وابن حجر برقم [٧٧٩٢] .

وذكر له ابن الأثير حديثا عن جُبَير بن نُفَير ـ رضى الله عنهما ـ ذكره كذلك ابن حجر وأورد له حديثا آخر قال الإمام البغوى عنهما : لاأَعْلَمُهُ روى غير هذين الحديثين .

٩ ـ محمد بن نضلة بن عبد الله بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم الأسدى رضى الله عنه.ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٦٤ » ومن هذه الترجمة استكملنا نسبه من أخيه(مُحرز)المترجم له بأسد الغابة برقم « ٤٦٨٥ » وترجم له فى الإصابة برقم « ٧٨٠١ » قطع ابن الأثيربه فقال « هاجر هو وأخوه محرز إلى رسول الله ـ ﷺ.قال محمد بن إسحاق : وممن هاجر إلى رسول الله ﷺ ـ محمد ومحرز ابنا نضلة » أ هـ .

وكذا ترجم له ابن حجر ، وهو أسدى،لا أنصارى من أهل المدينة؛ولذا عقب ابن حجر على كلمة (الأنصارى) بأنها وَهْمُ ممن ذكرها .

١٠ ـ محمد بن أبى دُرَّة الأنصارى ـ رضى الله عنه .

أثبته ابن حجر فى الترجمة رقم « ٧٧٦٥ » ذكر ابن شاهين عن ابن أبى داود عن ابن القداح ـ رضى الله عنهم ـ قال ابن القداح : « صحب النبى ﷺ وشهدفتح مكة »أ هـ .

١١ ـ محمد بن عبد الله بن مَجْدَعة الأنصارى ـ رضى الله عنه .

أَوْرَدَهُ ابن شاهين عن ابن أبى داود عن ابن القدّاح ، وذكر ابن القداح أنه شهد بيعة الرضوان والمشاهد بعدها ، وكان فى الحرس يوم بنى قريظة ترجم له فى الإصابة برقم « ٧٧٨٣ » ..

١٢ ـ محمد بن عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشى ـ رضى الله عنهما ذكره البلاذرى وغيره فى أولاد عبيدة ـ رضى الله عنه .

ويثبته أن والده « عبيدة » كان من السابقين فى الإسلام ، واستشهد يوم بدر ، ويعنى ذلك وجود محمد ـ رضى الله عنه ـ قبل مقتله .

ترجم له فى الإصابة برقم « ٧٧٨٥ » .

١٣ ـ محمد بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار ـ رضى الله عنه كان يلقب « المرتفع » . أثبته ابن حجر فى الأصابة رقم « ٨٣٠٨ » .

١٤ ـ محمد الكنانى ـ رضى الله عنه .

كذا أثبته أبو حاتم الرازى ، وقال : رأى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.وترجم له ابن حجر برقم « ٨٣٠٩ » .

أولئك ـ رضوان الله عليهم ـ كل من تأكد وجوده أو رجح وقد ضربنا صفحا عن غيرهم ممن لم يثبت المحققون أو يتأكد لنا وجوده فى هذا الفصل الذى عنيناه . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

د. على أحمد الخطيب

دراسات اسلامية

الدعاء بأسماء الله الحسنى

تفسير الطبرى بين اتجاهين

بهائية جديدة فى ثوب مسيحى

الدعاء
بأسماء الله الحسنى

قال الله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

البيان

سبب نزول هذه الآية ـ كما قال مقاتل وغيره من المفسرين ـ أن رجلا من المسلمين كان يقول فى صلاته : « يارحمن يارحيم » .

فقال رجل من المشركين بمكة : أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا ، فما بال هذا يدعو ربين اثنين ، فأنزل الله سبحانه « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

فهذه الألفاظ المتعددة أسماء مسماها واحد هو الله تعالى ـ كما يطلق على الواحد أكثر من اسم ـ أو صفات لموصوف واحد هو الله تعالى ـ كما يكون للشخص الواحد صفات متعددة ، وليست كما زعم الجاهلى ألهة متعددة .

وكان أهل الجاهلية يدعون اللات والعزى ومنات وغيرها ، فأمر المسلمون أن يدعوا الله بأسمائه الحسنى ، ويتركوا هؤلاء المشركين ومزاعمهم فجزاؤهم على الله تعالى .

وقد ورد فى حديث متواتر « إن لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة إلا واحدا ـ من أحصاها دخل الجنة » .

ومعنى (أحصاها) عدها وحفظها وذكر ما يشاء منها فى أدعيته ، وليست أسماء الله مقصورة على هذا العدد عند بعض الأئمة ، فقد ذكر القرطبى فى كتاب له اسمه (الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) ـ ذكر ـ أكثر من مائتى اسم ، لكن المتفق عليه منها هو تسعة وتسعون ، وما عداها مختلف فيه .

وقد جاء فى حديث نبوى حصرها فى تسعة وتسعين كما يلى :

« هو الله لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور ، الغفار القهار الوهاب الرزاق

بقلم الشيخ
مصطفى الحديدى الطير

الفتاح ، العليم القابض الباسط ، الخافض الرافع المعز المذل ، السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير ، الحليم العظيم الغفور الشكور ، العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل ، الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم ، الودود المجيد الباعث الشهيد ، الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد ، المحصى المبدىء المعيد المحيى المميت الحى القيوم ، الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر ، المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن ، الوالى المتعال البر التواب المنتقم العفو الرءوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط الجامع الغنى المغنى ، المانع الضار النافع النور الهادى ، البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور » .

ولفظ الجلالة هو علم على الذات الأقدس ـ جل وعلا ـ والراجح أنه اسم الله الأعظم ، ولا يصح اطلاقه على غيره تعالى وهناك أسماء أخرى لا يصح اطلاقها على غيره تعالى كالرحمن والمحيى المميت ، وما يجوز اطلاقه على غيره كالرحيم والكريم .

وأكثرها يباح ذكره وحده ، وبعضها لا يذكر وحده كالمميت والضار ، فلا يقال يامميت ياضار ، بل يقال : يامحيى يامميت ، ياناقع ياضار .

ويقول الألوسى : والذى أراه أنه لا حصر لأسمائه ـ عزت أسماؤه ـ فى التسعة والتسعين ، ويدل على ذلك ما أخرجه البيهقى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من أصابه هم أو حزن فليقل : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى فى يدك ، ماض فىَّ حكمُك ، عَدْل فىَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وذهاب همى وجلاء حزنى » الحديث ، وهو صريح فى عدم الحصر .

وحكى محيى الدين النووى اتفاق العلماء على ذلك ، ثم نقل عن بعضهم أنه أوصلها إلى ألف ، وعن بعض آخر إلى أربعة آلاف .. اهـ .

أما ما جاء فى الحديث السابق من أن « لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » فهو من باب التيسير على الناس ، فليقتصروا عليها حتى لا يسيئوا فى استعمال الأسماء ، فإنها توقيفية وقد وصف الله أسماءه بالحسنى ، فهى أحسن الأسماء ، لتضمنها أحسن المعانى ، وقد طلب الله من المؤمنين أن يدعوه بها ، ويتركوا الذين يلحدون فى أسمائه ، أى يميلون بها وينحرفون عن الحق إلى الباطل .

ودعاؤه بأسمائه الحسنى ، أن يدعوه مع كل اسم بما يناسبه من الدعاء ، كأن يقول : يارحيم ارحمنى ، ياحكيم احكم لى ، يارازق

ارزقنى ، ياتواب تب علىَّ ، فإن دعوت باسم عام قلت : يامالك ارحمنى ، ياعزيز احكم لى ، يالطيف ارزقنى ، فإن دعوت بالاسم الأعظم - الله - فهو صالح لكل دعاء .

ولا تقل : يارازق اهدنى .

قال ابن العربى : وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين والالحاد فى أسمائه تعالى يكون بالتغيير فيها - كما فعله المشركون - وذلك أنهم عدلوا بها عَمَّا هى عليه ، فسموا بها أوثانهم ، فاشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان - قاله ابن عباس وقتادة .

ومن الالحاد بها زعمهم أنها لمتعدد كما سبق بيانه فى أسباب النزول ، والزيادة فيها بغير توقيف من الكتاب أو السنة ، كقول أهل البادية : ياأبا المكارم ياأبيض الوجه ياسخى ، ومن الالحاد فيها النقص عما علم منها ، وأشده تجريده تعالى من الصفات - كما يقوله المعطلة والمقصود من قوله تعالى « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » الوعيد ، كقوله « ذرنى ومن خلقت وحيدا » وقوله « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » ويدل على ذلك ختم الآية بقوله « سيجزون ما كانوا يعملون » .

قد يقول قائل : إذا كان الأمر المطلوب فى الدعاء مقدورا تحقيقهَ فى علم الله ، فما فائدة الدعاء ، بالنسبة له - **وهو** أمر سيقع ولابد - وإن لم يكن مقدورا حصوله فإن الدعاء **لا ينفع فيه ، لأن الدعاء لا يرد** القدر ، فإن عِلْمَ الله لا يتخلف .

والجواب أن الدعاء **ينفع فيما** جعله الله أزلا مترتبا عليه كترتب الشفاء على استعمال الدواء ، فلابد من حصول الدعاء ليحصل المطلوب به .

ولهذا الاشكال سألت الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا (أرأيت أعمالنا هذه أهى شىء قد فرغ منه ، أم هى أمر يستأنفه الله تعالى

فقال : « **بل هى شىء قد فرغ منه** »

فقالوا : **ففيم العمل إذن**

فقال « **أعملوا فكل ميسر لما خلق له** »[1]

واعلم أنه سبحانه يحب من عبده أن يسأله جازما ، قال ﷺ « **لا ينبغى أن يقول أحدكم** : **اللهم اغفر لى إن شئت ، ولكن يجزم ويقول** : **اللهم اغفر لى** »[2] .

ويكفى للدلالة على فضل الدعاء ، قوله ﷺ « **الدعاء مُخُّ العبادة** »[3] وذلك لما فيه من تفويض الأمر له سبحانه ، والاعتراف بأن مرد الأمر إليه وحده .

---

[١] الحديث أخرجه الإمام احمد فى مسنده - من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه - ج ٦ ص ٤٤١ طبع دار الفكر بيروت بلفظ : عن أبى الدرداء قالوا يارسول الله : أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه ، أم أمر نستأنفه ؟ قال : بل أمر قد فرغ منه قالوا : كيف بالعمل يارسول الله ؟ قال : « كل امرىء مهيأ لما خلق له » .

[٢] الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التوحيد - باب : قول الله تعالى : إنما قولنا لشىء .. إلخ ج ٩ ص ١٧١ بلفظ : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ - قال : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، ارحمنى إن شئت ، ارزقنى إن شئت ، وليعزم مسألته ، انه يفعل ما يشاء ، لا مكره له » .

[٣] الحديث أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب الدعاء - باب : ما جاء فى فضل الدعاء ج ٥ ص ٤٥٦ رقم ٣٣٧١ بلفظه عن أنس . وقال الترمذى : حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

وحسبك للدلالة على أهميته أنهْ تعالى يغضب من عبده إذا نزلت به شدة فلا يدعوه ، قال تعالى ﴿ **فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .

واعلم أنه لابد من أن يكون للدعاء أثر ، فإما أن يسعف الله الداعى بما طلب ، إن وافق القضاء والقدر ، وإما أن يشرح الله صدره ويلهمه الصبر ، فيسهل عليه احتمال البلاء - إذا لم يصادف دعاؤه القضاء بتحقيقه .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « **دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدى ثلاث - ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، إما أن يعجل له فى الدنيا ، وإما أن يدخر له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا** » .

الأمة الهادية بالحق

وقد عَقَّبَ الله هذه الآية بقوله ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾ .

والمراد بهذه الأمة أمة الاسلام ، فقد قال ﷺ « **هم هذه الأمة** » أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن جريج .

وروى الشيخان بسندهما عن معاوية والمغيرة ابن شعبة قالا : قال رسول الله ﷺ « **لا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك** » .

وقد تضمنت الآية والحديث أن أمة محمد - ﷺ - ستظل تهدى إلى الحق بالحق ، وبه يعدلون إلى أن تقوم الساعة ، وأن جماعة كثيرة منها ستبقى على هذا المنهج ، ولو خالفهم غيرهم وتخلى عنهم سواهم .

واستدل الجبائى بالآية على صحة الاجماع فى كل عصر ، سواء فى ذلك عصر النبى - ﷺ والصحابة - رضى الله عنهم - وغيره ،إذ لو اختص لم يكن لأمره فائدة ، لأنه معلوم ، وعلى أنه لا يخلو عصر من مجتهد إلى قيام الساعة ، لأن المجتهدين هم أرباب الاجماع :

فإن قيل : إن ذلك مخالف لما روى عنه ﷺ « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق »[٤] « ولا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض : الله ، الله »[٥] والجواب أن ذلك الزمن ملحق بيوم القيامة ، لصاحبته له ، والمراد عدم خلو العصر من مجتهد فيما عداه وقيل المراد من الحديثين الاشارة إلى غلبة الشر ، فلا ينافى وجود القليل مِمَّن يهدون بالحق وبه يعدلون ، والله تعالى هو الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

---

[٤] الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب الفتن - باب : قرب الساعة ج ٤ ص ٢٢٦٨ رقم ١٣١ ط الحلبى من رواية عبد الله بن مسعود .

[٥] الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه - كتاب الإيمان - باب : ذهاب الإيمان آخر الزمان ج ١ ص ١٣١ رقم ٢٣٤ ط الحلبى عن أنس .

تفسير الطبرى
فى اتجاهين

يقول الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه « قصة التفسير(١) » .

« والكثيرون على أن أعظم كتاب يضم المأثور من التفسير هو تفسير : (محمد ابن جرير الطبرى) .

المتوفى سنة عشر وثلثمائة وهو يعد حجر الأساس فى أدب التفسير القرآنى، وفيه بذور « لابداء النظر فى التفسير ، وفتح للباب أمام أعمال الرأى فى التفسير » .

وما قاله الدكتور الشرباصى دقيق فى بابه ، لأن قوله : « ان الكثيرين على أن أعظم كتاب يضم المأثور هو كتاب الطبرى » صحيح من ناحية أن هذا التفسير الكبير جمع أقوال السابقين ممن تقدموه فى هذا المضمار ، وضاعت آثارهم فتكفل الطبرى بتدوينها ، وتلك ميزة جليلة جعلت كتابه العظيم مصدرا زاخرا يجمع أقوال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأقوال الصحابة ومن تبعهم بأحسان فى هذا المجال الربانى من تفسير كلام العزيز الحميد ، فهو فى هذا المجال بمثابة كتاب سيبويه فى النحو ، اذ جمع ما قيل قبل عصر التدوين ، وأصبحنا نعرف آراء من تقدمه من أعلام النحاة من كتابه ، ولولاه ما عرف ما قال عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب ، والخليل ، والأخفش الكبير، ويزيد على كتاب سيبويه بأن نهج الطبرى فى تفسير كتاب الله قد احتذاه نفر كثير ممن تلوه من أعلام التفسير ، أما نهج سيبويه فقد التزم الكزازة فى التعبير حتى احتاج الى شروح كثيرة ، ولا يقرؤه بفهم واستبصار غير ذوى العزم ، اذ كانوا يقولون لدارسه : هل ركبت البحر ؟

وقد قال الشرباصى : « ان تفسير الطبرى فيه بذور لابداء النظر ، وفتح للباب أمام اعمال الرأى فى التفسير » . وكلمة بذور تشير الى الحظ القليل من الرأى . وهو ما كشف البحث الدائب فى هذا التفسير عن خلافه ، اذ شاع عنه دون بحث أنه كتاب التفسير بالمأثور تبعا لما ذكره العلامة ابن خلدون فى مقدمته ، فظن الدارسون أنه يقتصر على المأثور وحده ،وكانت مخطوطاته ضئيلة بين أيدى الناس ، فلم يقفوا على منهجه ، حتى أذن الله بوجود نسخة كاملة

---

(١) « قصة التفسير » للدكتور احمد الشرباصى ص ٧٥ .

د . محمد رجب البيومى

منه بالمملكة العربيــة السعودية منــذ قريب ، فتهيأت الوسائل لطبعه ، ووقف الدارسون على منحاه اذ ظهرت الطبعة الأولى فى أوائل هــذا القرن .

يقول الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور(١) « وبهــذه الطريقــة ــ طريقــة المناقشــة ، واستخلاص مايراه من الاتجــاه الصــائب فى التفسير ــ أصبح تفســير ابن جرير الطبرى تفسيرا علميا ، يغلب فيه جانب الأنظــار غلبة واضحة على جانب الآثار » .

فابن خلدون قد ذهب الى أنه تفســير أثرى فحسب ، وتابعــه فى ذلك أكثر من كتبــوا فى مضمار التاريخ التفسيرى ، والشرباصى يقول انه يحوى البذور لابداء النظر فى التفســير ، وفتح الباب أمام اعمال الرأى ، وابن عاشــور التونسى يقول ان جانب النظر يغلب فيــه غلبة واضحة على جانب الآثار والكتاب بأيدينا فلماذا نجد فيه ؟

تحقيق وتتبع

أما أن كتاب الطبرى يجمــع المأثور فهــذا ما لا شك فيه ، فأنت تجده يحشد كل ما صحت نسبته لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكفى به مفسرا لا سبيل الى الحيــدة عما قال مما صحت نسبته اليه ، كمــا يجمــع ما ذكره عبد الله بن عباس ، وتلاميــذه ، وما روى عن ابن مسعود وعلى بن أبى طالب وأبى بن كعب ، وما استفاده من تفسير ابن جريج ، والسدى ، وما ذكره ابن اسحق ، ولعــل ياقوت الحموى قد قارب الصواب حين قال :(٢) ببعض التصرف « ذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعى التــابعين ، وكلام أهــل الاعــراب من الكوفيين والبصريين ، ومجملا من القراءات ، والكلام فى الناسخ والمنسوخ ، وأحكام القرآن والخلاف فيه ، والرد عليهم ــ (على أصحاب الخلاف) ــ من كلام أهل النظر ، فيما تكلم فيه أهل البدع ... وذكر فيه من كتب التفاســير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق ، وعن سعيد ابن جبير طريقين ، وعن مجاهد بن جبير ثلاثة طرق ، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق ، وعن الحسن البصرى ثلاثة طرق ، وعن الضــحاك ابن مزاحم طريقين ، وعن عبد الله بن مسعود طريقا ، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وتفسير ابن جريج وتفســير مقاتل بن حيــان سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم ، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به .

وكان اذا رجع الى التاريخ والسير والأخبار حكى عن ابن السائب والواقدى ، كمــا رجــع للكسائى والفراء والأخفش وقطرب وغــيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته وربما لم يسمهم اذا ذكر شيئا من كلامهم » .

(١) « التفسير ورجاله » لابن عاشور ص ٣٦ .

(٢) « معجم الأدباء » ج ١٨ ص ٦٤ .

فالطبرى بهذه المادة المستفيضة قد جمع المأثور عن سابقيه ، ولكن الرجل عالم فقيه مؤرخ قراء ذو نظر فى علم الكلام ولم يقف عند عرض ما تقدم به السابقون من الأقوال بل ناقش وجادل وخاصم ونفى وأثبت ، وأبطل وأحق ، وصال بالأثر النقلى ، والدليل العقلى ، وحارب أهل الأهواء والبدع محاربة صارمة ، وهو بهذا الخوض السابح فى كل مجال صاحب نظر ورأى !

فنحن أميل الى ترجيح ما قاله الأستاذ ابن عاشور من أن جانب النظر يغلب فيه غلبة واضحة على جانب الآثار لأن الكتاب بأيدينا ، وفيه ما يدل على استقلال المفسر الكبير ، وسطوعه بالرأى المؤيد بالدليل ، واذا كان لكل كتاب ما يؤاخذ عليه حين يستند الطبرى الى بعض الاسرائيليات ، وحين يروى بعض ما ضعف من الأخبار دون مناقشة اكتفاء بذكر السند ، وحين يعجله السرد عن استيفاء كل الأدلة لبعض الأحكام الشرعية ، فالرجل انسان لابد أن يؤخذ من أقواله ويترك ، وحسبه أنه بذل الجهد الجاهد لا فى مجال التفسير وحده بل فى مجالات كبار !! وقد عاش فى القرن الثالث ، وهو قرن كثر فيه المد العلمى فى كل اتجاه ثقافى ، وتعددت به المذاهب ، وانتشرت أقوال أصحاب البدع والأهواء ، وكل هؤلاء يستشهدون بكلام الله على وجهه تارة ، وعلى غير وجهه تارات ، ولابد للمفسر الكبير أن يقذف بالحق على الباطل ، وأن يكشف الرغوة عن الصريح •

فالطبرى ــ رحمه الله ــ يبدأ فى تفسيره بذكر الآية الكريمة ، فيفسرها بما ينطق به المدلول الصريح ، ثم يذكر ما قيل فيها مدعما بسنده الى الرسول أو الصحابى أو التابعى ، واذا كانت الآية ذات أقوال متعددة ذكر هذه الأقوال باسنادها ، واختار ما رجح لديه بالدليل ، وعقب على مالا يرتضيه بما يدل على مكان الضعف ، وذكر أوجه الاعراب ، وما يمت الى القراءات ، واستنبط من الأحكام ما يشير اليه النص •

يقول الدكتور الذهبى(١) : (ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية ، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال ويرجح بعضها على بعض ، كما نجده يتعرض لناحية الاعراب وان دعت الحال الى ذلك ، ويستنبط الاحكام التى يمكن ان تؤخذ من الآية مع توجيه الادلة ، وترجيح مايختار •

(أمثلة مختارة)

ونسوق ثلاثة أمثلة فى مجالات مختلفة ، هى مجالات النحو والفقه وعلم الكلام لنرى منحى المفسر الكبير فى النقاش وندرك أنه كان رأسا فى كل مايخوض به مما له مساس بكلام النحو •

١ ــ ففى مجال النحو ــ نذكر بعض الاختصار دائما ــ ماسطره فى تأويل قول الله عز وجل :

« قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ (٢) »•

(١) « التفسير والمفسرون » ج ١ ص ٢١٠ •

(٢) « تفسير الطبرى » ج ١٢ ص ٢٨ سورة هود الآية ٤٣ •

قال الطبرى : اختلف أهل العربية فى موضع (من) فى هذا الموضع ، فقال بعض نحويى الكوفة ، هو فى موضع نصب لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم ، كأن نصبه بمنزلة قوله :

« وَمَالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ » ومن استجاز (اتباع الظن) والرفع فى قوله

وبلدة ليس بها أنيس
الا اليعافير والا العيس

لم يجزله الرفع فى من ، اذ لايجوز لك فى وجه أن تقول المعصوم هو عاصم فى حال . ولكن لو جعلت العاصم فى تأويل معصوم لجاز رفع من . ولاينكر أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله (من ماء دافق) معناه والله أعلم من ماء مدفوق .

وقال بعض نحويى البصرة (الا من رحم) على معنى لكن ، ويجوز أن يكون على تأويل لاذا عصمة الا من رحم قال الطبرى : ولا وجه لهذه الأقوال التى حكيناها عن هؤلاء لأن كلام الله تعالى انما يوجه الى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه . وما وجد الى ذلك سبيل، ولم يضطرنا شىء الى أن نجعل عاصما بمعنى معصوم ولا أن نجعل الا بمعنى لكن ، اذا كنا نجد لذلك مخرجا صحيحا . وهو ماقلنا من أن معنى ذلك قال نوح لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال لامنجى اليوم من عذاب الله الا الله » .

٢ ـ وفى مجال الفقه نذكر ماقاله الطبرى عن حكم مسح الرأس فى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (١)»

قال الطبرى : اختلف أهل التأويل فى صفة المسح ، فقال بعضهم : امسحوا بما بدا لكم أن تمسحوا به من رءوسكم بالماء اذا قمتم الى الصلاة ، كأن يمسح مقدم الرأس الى الوجه ، أو يمسح يافوخه ، أو يمسح شعره ، أو أى جانب من رأسه ، وقال آخرون ان المسح لجميع الرأس .

وقال أبو حنيفة ويوسف : لا يجزىء مسح الرأس بأقل من ثلاثة أصابع .

قال الطبرى : والصواب أن الله أمر بالمسح ، ولم يحدد حدا ، لايجوز التقصير عنه ، ولا مجاوزته . وان كان ذلك كذلك فما مسح به المتوضىء رأسه ، فاستحق أن يقال انه مسح برأسه ، فقد أدى ما فرض الله عليه من مسح ذلك ، لدخوله فيما لزمه اسم ماسح برأسه اذا قام الى صلاته .

فان قال قائل : ان الله قد قال فى التيمم : « فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ » أفيجزىء

---

(١) « تفسير الطبرى » ج ٦ ص ٧٩ سورة المائدة الآية ٦ .

المسح ببعض الوجه واليدين فى التيمم .
قيل له : كل مامسح به من ذلك فى التراب تنازعت فيه العلماء .

فقال بعضهم يجزيه ذلك فى التيمم .
وقال بعضهم لايجزيه ، لما جاءت به الحجة نقلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولاحجة لأحد علينا فى ذلك اذا كان من قولنا أن ماجاء من آى الكتاب عاما فى معنى ، فالواجب الحكم به على عمومه ، حتى يخصه مايجب التسليم له ، فاذا خص منه شىء ماخص منه خارجا من ظاهره ، وحكم سائره على العموم ، وقد بينا العلة الموجبة صحة القول بذلك فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته هنا » .

٣ ــ وفى مجال علم الكلام ننقل ماذكره الطبرى بصدد قول الله « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ » حيث قال (١) :
وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن فى وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله (ولا الضالين) دون اضافة اضلالهم الى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذى وصف به اليهود أنه مغضوب عليهم ، دلالة على صحة ما قاله اخوانه من جهلة القدرية جهلا منه بسعة كلام العرب ، وتصاريف وجوهه ، ولو كان الأمر على ماظنه لوجب أن يكون كل موصوف بصفة أو مضاف اليه فعل ، لايجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه ذلك من فعله ، ولوجب أن يكون خطأ قول القائل : تحركت الشجرة اذا حركتها الرياح ، واضطربت الأرض اذا حركتها الزلزلة وما أشبه ذلك .

وفى قوله جل ثناؤه « حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم (٢) » وان كان جريها باجراء غيرها اياها مايدل على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا قوله فى (ولا الضالين) ... الخ ماأفاض فيه .

موسوعة كبرى

هذه نقول يسيرة تدل من ناحية أولى على تبحر الطبرى فى مواد الثقافة العلمية المتشعبة فى عصره ، وتدل من ناحية ثانية على أن الرجل ذو نقاش هادف ، وصاحب رأى فى ترجيح مايعرض له من آراء السابقين أو توهينه ، والكتاب الكبير بعلومه الواسعة جدير بقول أبى الفرغانى فيما نقله الداودى فى طبقات المفسرين(٣) (لو ادعى عالم أنه تصنف منه ــ من تفسير الطبرى ــ عشرة كتب كل كتاب منها يحتوى على علم مفرد لفعل) ، ولعلنا بذلك ندرك مكانة تفسير الطبرى من الرأى الناهض بالدليل .

(د . محمد رجب البيومى)

(١) « تفسير ابن جرير » جـ ١ ص ٦٤ سورة الفاتحة ٦ ، ٧ .

(٢) سورة يونس الآية ٢٣ .
(٣) طبقات المفسرين للداودى ص ٢٣ .

موقف الإسلام من بنك لبن الأمهات

بقلم د. عبد الله مبروك النجار

يثور الكلام في هذه الأيام حول فكرة يطرحها أصحابها باسم مصلحة الطفل ورعايته، وهذه الفكرة تتمثل فى إنشاء بنك للبن الأمهات يقوم بتجميع ألبان الآدميات عن طريق البيع أو التبرع، ثم تبريده وحفظه فى ثلاجات للمدة التى يصلح فيها للاستعمال [1]، أو تجفيفه وإعطائه للأطفال المحتاجين للرضاعة، أو تعبئته وبيعه للناس فى معلبات، مثل معلبات الألبان التى تباع حالياً للأطفال، فهو فى فكرته يقوم على غرار بنك الدم الذي يقوم بتجميع فصائله وتقديمها للمحتاجين انقاذا لحياتهم ومحافظة على أرواحهم [2].

ومن مبررات هذه الفكرة عند أصحابها، ما صدر عن منظمة الصحة العالمية من منشورات تعكس وجهة النظر العلمية والطبية التى تؤكد على أن لبن الأم هو أفضل غذاء للطفل لما يحتوى عليه من قيمة غذائية عالية تتناسب مع عمر الطفل وتتزايد مع نموه، كما أنه يكسبه مناعة ضد كثير من الأمراض التي تصيب الأطفال، فضلاً عن التكوين النفسي للطفل، وهو أمر لا يقل خطورة عن نموه

---

[١] أثبتت البحوث الطبية أن لبن الأم يمكن أن يحفظ فى الثلاجة لمدة أربع وعشرين ساعة دون أن يتلف، راجع الندوة العلمية لجمعية أصدقاء لبن الأم، فى ١٩٨٥/١٠/٢٨، إعداد دكتورة هدى زكى خليل، وأخريات – ص ٥٥، منشورات جمعية أصدقاء لبن الأم بمستشفى الحسين الجامعى.

[٢] راجع فى مضمون فكرة بنك اللبن : دكتور السيد عبد الحكيم عبد الله – « أهمية الرضاعة الطبيعية صحياً ودينياً » – ص ٨٤ – هدية مجلة الأزهر عن شهر ذى القعدة سنة ١٤٠٦ هـ.

الجسمانى [٣] ، ولما كان بعض الأطفال الرضع لا يجدون هذا اللبن عند والدتهم ، فإن من المصلحة لهم أن يتوافر البديل له عن طريق أمهات أخريات من اللائى يتوافر عندهن اللبن ولا يحتجن إليه ، ولا يمكن تحقيق الفائدة المنشودة إلا من خلال هذا البنك المأمول ، فمصلحة بعض الأطفال تقتضى وجوده .

اهتمام الاسلام بإرضاع الطفل :

وقبل أن نبين موقف الاسلام من فكرة هذا البنك ، ونظراً لأن الداعين إليها قد طرحوها تحت شعار مصلحة الطفل ورعايته ، يجدر بنا أن نبين موقف الاسلام من الطفل واهتمامه به فى ذلك الجانب الحيوي من جوانب حياته وهو الرضاع والتغذية ، حيث لم يدخر الاسلام وسعا فى سبيل تحقيق تلك الغاية ، بما يعكس الأهمية المنوه عنها للبن الأم كأنسب غذاء للطفل وأعظم أداة لتكوينه بدنياً ونفسياً ، ومن ثم جاء توجيه الاسلام فى تلك الحالة مرشداً ومحدداً ، فأناط القيام بعبء هذا الواجب على من هم أولى الناس به ، وأجدرهم برعايته ، وأقدرهم على القيام بشأنه ، وهما والداه ، الأم بالارضاع ، والأب بالانفاق والكسوة ، يشير إلى هذا المعنى ، قول الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ [٤] ، حيث يرشد هذا القول الكريم الوالدات إلى أن يرضعن أولادهن حولين كاملين ، وقد جاء التعبير القرآنى بالوالدات وليس بالأمهات ، ليشير إلى أولوية دور الوالدة وواجبها فى هذا المقام ، حتى لا يتحول عنها ويسند إلى غيرها وهى الأم البديلة التى تستأجر لارضاعه إلا للضرورة ، وهو واجب على الوالدة يقابله واجب على الأب متمثلاً فى الانفاق والبذل من أجل مصلحة الطفل بالمعروف ومن غير تعسف أو ضرر [٥] ، فهو واجب للأم وحق لها معا .

وإذا كان ارضاع الوالدة لطفلها هو الأصل ، كما أنه هو الأعم الأغلب ، إلا أنه قولا يتيسر فى بعض الأحيان ، منها مثلاً حين لا يوجد عند الأم لبن أصلاً ، فقد لاينزل اللبن فى ثدى بعض الأمهات ، أو قد يوجد اللبن عند الأم ، ولكنها تمتنع عن الارضاع كيدا لوالده فى بعض الحالات ، فيأتى مسلكها مخالفاً لقول الله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ « الآية » ، أو طلبا لأجر معين

---

[٣] راجع فى فوائد الرضاعة الطبيعية : المرجع السابق ـ ص ٣٣ ، وما بعدها ، ونشرة منظمة الصحة العالمية « وحدة صحة الأم والطفل » إدارة صحة الأسرة ـ فى سنة ١٩٧٩ م .

[٤] سورة البقرة ـ آية ٢٣٣ .

[٥] راجع فى هذا المعنى : مختصر تفسير ابن كثير ـ جـ ١ ـ ص ٢١١ وما بعدها ـ تحقيق الأستاذ الصابونى ـ دار القرآن الكريم ببيروت .

لا يقدر عليه الوالد [٦] ، وقد قدر الشارع سبحانه وهو العليم بخلقه وقوع مثل تلك الحالات ، فشرع لها الحلول ، وأوجد لها البدائل ، فأجاز استئجار امرأة أخرى غير الأم لتقوم بمهمة ارضاعه ، حفاظاً على الطفل ، واهتماما به حين يوجد مانع من قبل الوالدة سواء كان بارادتها أم بغير ارادتها ، ومن ثم شرعت اجارة الظئر ، ومعناها : أن تلزم المرأة نفسها بإرضاع طفل لا تلزم شرعا بإرضاعه نظير أجر [٧] ، وقد دل على مشروعيتها الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

١ - مـن الكتـاب :

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [٨] . حيث أشارت الآية الكريمة إلى وجوب دفع الأجـرة عند الارضاع ، وفى ذلك دليل على مشروعيته ، سواء كانت المرضعة هى الأم وانفصلت عن زوجها بالطلاق ، أو كانت غيرها [٩] .

٢ - ومـن السـنة :

ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » [١٠] ، حيث دل الحديث الشريف ، على مشروعية الرضاع ، وعلى آثاره التى تتمثل فى كونه سببا للتحريم كما يحرم النسب ، وقد استرضع النبي صلى الله عليه وسلم لولده ابراهيم [١١] .

٣ - ومن الاجمـاع :

حيث أجمـع الفقهاء عـلى مشروعية الرضاع ، وقد حكى هذا الاجماع ابن قدامة حيث قال : « أجمع أهل العلم على جواز استئجار الظئر » [١٢] .

هكذا كان الإسلام حريصاً على مصلحة الطفل ورعايته ، وتوفير اللبن الطبيعي له قدر ما يمكن ، فدعوى أصحاب تلك الدعوة ، ان الهدف هو مصلحة الطفل ليست جديدة على الاسلام ، لأنه أحرص ما يكون على تحقيق أحسن الفرص لتغذية الطفل وارضاعه ، بل هو الأسبق دائماً فى مجال مصلحة الطفل ومنفعة البشرية جمعاء .

ضوابـط المشروعية فى الرضاع :

ولكن الاسلام حين شرع الرضاع لمصلحة الطفل ورعايته ، قدر أنه حين يوجد بشروطه من القدر والمدة ووصوله إلى جوف الرضيع

---

[٦] دكتور زكريا البرى - أحكام الأولاد فى الإسلام - ص ٣٢ - الدار القومية للطباعة والنشر - سنة ١٩٦٤ م .
[٧] الفتاوى الهندية - جـ ٤ ص ٣٤٥ .
[٨] سورة الطلاق - آية ٦ .
[٩] تفسير النسفى - جـ ٤ - ص ٢٦٧ .
[١٠] نيل الأوطار - للشوكانى - جـ ٦ - ص ٣١٧ .
[١١] المغنى لابن قدامة - جـ ٦ - ص ٧٣ .
[١٢] المرجع والمكان السابقين .

مع بقائه على صفاته إذا خلط بغيره فإنه على تلك الهيئة ينبت اللحم ، وينشز العظم ، وبالتالى فإنه يصبح علة للتحريم لما فيه من شبهة الجزئية بين الرضيع ومن أرضعته (١٣) ، فيحرم منه ما يحرم من النسب ، وقد ثبتت مشروعية التحريم به من الكتاب والسنة واجماع الأمة على نحو ما سنرى .

تقييم فكرة بنك اللبن :

وإذا ما أردنا تقييماً لتلك الفكرة يستهدف بيان جدواها ، ومدى أهميتها فى حياة المجتمع الإسلامى بصفة عامة ، ومقدار تحقيقها لمصلحة الطفل بصفة خاصة ، يستبين لنا أنها تنطوى على كثير من المحاذير التربوية والمضار الاجتماعية ، فضلاً عن تعارضها مع مبادىء التشريع الإسلامي ، ويمكن ابراز تلك المآخذ على النحو التالى :

أولاً : أهمية الفكرة موهومة :

وإذا كان قيام هذه الفكرة قد بنى فى جانب كبير منه على الأهمية التى يعلقها أصحابها عليها ، فأننا بعد بيان مدى اهتمام الإسلام بالطفل واجازته للرضاع من أجل مصلحته وحسن رعايته ، يتضح لنا بجلاء أن تلك الأهمية المنتظرة ، لا تعدو أن تكون ضرباً من ضروب الوهم ، بما يجعل وجود مثل هذه البنوك لا مبرر له ، ولا جدوى تعود من ورائها ، حيث لم يترك الإسلام لعملها مجالاً فى المجتمع الإسلامى ومنه مصر ، ذلك أن الغالبية من الأطفال ترضعهم والداتهم ، ومن يتبقى منهم دون ارضاع من والداتهم يمكن أن يجد حظه عند أم بديلة على النحو المعهود شرعاً ، لكنها بالرضاع تصير أمه ، ويترتب عليه حرمة المصاهرة ، وبعد هذه وتلك لن يبقى طفل دون رضاعة أمومية ، اللهم إلا فى القليل النادر ، وبالتالى تكون تلك الأهمية موهومة ولا وجود لها فعلاً ، بل وليست هناك حاجة ملحة إلى قيامها (١٤) .

ثانياً : الفكرة تجافى مصلحة الطفل :

ومن المتوقع بل ومن المؤكد أيضاً ، أن هذه الفكرة لن تقوم إلا على انقاض المصلحة المزعومة للطفل عند أصحابها ، لأن انشاء مثل هذه البنوك سيكون مدخلاً لكثير من المفاسد والشرور ، ومنها ضياع مصلحة الطفل ذاته ، لأن هذه البنوك ستعمل على تشجيع الأمهات من أجل تقديم ألبانهن لها ، كما أن الحاجة ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، وضيق ذات اليد عند كثير من الأمهات ، قد يدفع بهن كل ذلك إلى بيع ألبانهن لتلك البنوك (١٥) ، وحرمان أولادهن منها ، فكل

---

[١٣] فى هذا المعنى : دكتور محمود الطنطاوى ـ الأحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية ـ ص ١١٤ ـ دار النهضة المصرية .

[١٤] وقد أقر ذلك المجمع الفقهى لمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى عقد مؤخراً بجدة ، راجع جريدة الأخبار ـ العدد رقم ١٠٧٤٥ الصادر يوم الجمعة ١٩٨٦/١٠/٢٤ ـ ص ٦ .

[١٥] دكتور السيد عبد الحكم عبد الله ـ نفس المراجع ـ ص ٨٥ .

ما ستؤدى إليه هذه الفكرة أنها سترضع فئة من الأطفال على حساب فئة أخرى هى الأحق بالرضاع والأولى به شرعاً وطبعاً وعقلاً ، وفى ذلك من المفسدة ما هو أكبر من المصلحة ، وأقل ما فيه من فساد أنه يقدم أمراً على حساب الأهم ،، ولا يخفى ما فى تلك الفكرة من اضطراب وفساد .

كما أن الفكرة سيترتب عليها كثير من الأضرار النفسية والأدبية فى مقتبل حياة الطفل ومستهل رجولته ، وطوال عمره ، حين يتسع نطاقها ، فيشمل كثيراً من الدول ، وفى ظل هذا الاتساع ستعمل كل دولة على مساعدة الأخرى ومنها بلاد الإسلام ، بفائض ألبان نسائها ، وقد يترتب على هذا أن يطعم الطفل لبن امرأة كافرة أو زانية أو فاجرة ، فتكون أُما له وبالتالى يظل عارها يلاحقه طوال حياته . والرضاع من الأم المشركة يجعلها أما لها حرمة الأم مع شركها ، وربما مال إليها الرضيع فى محبة سلوكها المشين ، ولهذا كره الرضاع بلبن الحمقاء كيلا يشبهها الولد فى الحمق ، فإنه يقال أن الرضاع يغير الطباع [١٦] ، وفى ذلك من الأضرار ما يهدد مستقبل الرضيع ، ويوجب حمايته منها ، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال سد الذرائع أمام هذه الفكرة ، وقطع أسباب وجودها .

ثالثـاً : بيئة الفكرة غير إسلامية :

وإذا كان لمثل هذه الفكرة وجود فى كثير من المجتمعات الأوربية ، فان وجودها فى مثل تلك الدول قد يكون له مبرر عند أهلها ، لأنهم لا يعرفون الحلال والحرام ، ولا يعرفون ما شرعه الإسلام لمصلحة الطفل وارضاعه من أحكام ، ومن ثم فانهم قد ابتدعوها كأى فكرة بعيدة عن هديه ، دون وازع من دين ، أو ضابط من عقيدة [١٧] . أما نحن فإننا نملك البديل الشرعى كما أن عندنا التوجيه الالهى وهو الرضاع المنظم شرعاً بأثاره وأحكامه ، وبالتالى فإن مكان هذه الفكرة غير أرضنا الطيبة ومجتمعنا المسلم ، لأنها لا تصلح فيه ، ذلك من زاوية المصلحة والعقل والمنطق ، وذلك هو المهم ، أما الأهم منه فضلاً عن هذا وذلك : تتعارض مع القواعد الشرعية التى تنأى بها عن المشروعية وتجعلها وسيلة لاستباحة ما حرمه الله تبارك وتعالى ، وذلك هو الأدهى والأخطر ، فالفكرة تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ، وتنطوى على كثير من وجوه الحرمة فيها ، وذلك ما نود أن نبرزه فى هذا المقام .

---

[١٦] المغنى لابن قدامة ـ جـ ٧ ـ ص ٥٦٢ .

[١٧] وفى هذا المعنى يقرر المجمع الفقهى لمنظمة المؤتمر الإسلامى : أن التجربة قامت فى بعض الدول الغربية ، وسرعان ما ظهر الكثير من سلبياتها الفنية والعلمية فانكمشت وقل الاهتمام بها ، راجع : جريدة الأخبار ـ المكان السابق .

أولاً : الفكرة تتعارض مع أحكام الشريعة :

ورغم أن فكرة انشاء بنك للبن الأمهات عديمة الأهمية وليس لها ما يبرر وجودها فضلاً عن مجافاتها لمصلحة الطفولة ورعايتها ، وهو الشعار الذى رفعه مروجوها ، وعدم ملاءمتها لتربيتنا المسلمة ، فإنها تتعارض مع أمر معلوم من الدين بالضرورة ، وهو حرمة المصاهرة بسبب الرضاع ، وفى ذلك ضياع للنسب واختلاط للأنساب ، وقد يترتب عليها أن يتزوج الرجل أمه من الرضاع أو اخته وفى هذا مخالفة لنصوص الكتاب والسنة واجماع الأمة .

١ ـ أما الكتاب :

فقول الله تعالى فى آية المحرمات : ﴿ وأُمَّهاتُكُم الَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ [١٨]، حيث نص على تحريم الأمهات والأخوات من الرضاع ، كما دلت الآية على تحريم غيرهما بطريق الاشارة . لأن الله تعالى ، لما سمى المرأة التى قامت بالارضاع أما ، وسمى أولادها بأخوات الرضيع دل ذلك على وجود الصلة التى تربط بين هذا الرضيع وبين هذه الأصناف كلها على أساس الجزئية التى حدثت عن طريق الرضاع فيكون له حكم التحريم بالنسب [١٩] .

٢ ـ وأما السنة :

فقد وردت بها الأحاديث الكثيرة التى تدل على حرمة المصاهرة بالرضاع ، اقتصر منها على ما رواه الإمام على رضى الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب [٢٠] ، حيث دل هذا الحديث الشريف على ما ذهبت إليه الآية الكريمة ، من أن الرضاع يترتب عليه حرمة المصاهرة وذلك حكمه وتلك هى آثاره .

٣ ـ وأما الاجماع :

وقد دل الاجماع على أن الرضاع محرم للمصاهرة فى الجملة وأنه يحرم منه ما يحرم من النسب ، وقد حكى هذا الاجماع ابن رشد حيث قال : « اتفقوا على أن الرضاع بالجملة يحرم منه ما يحرم من النسب [٢١] ، وهكذا دلت النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، واجماع الفقهاء على أن الرضاع يحرم منه ما يحرم من النسب ، ولا شك أن انشاء بنك للبن الأمهات ينطوى على مجافاة لتلك النصوص الشرعية ومخالفة لأحكامها ، وبالتالى فإنه سيكون وسيلة لارتكاب المحرم متمثلاً فى تبديد

[١٨] سورة النساء ـ آية ٢٣ .
[١٩] دكتور محمود الطنطاوى ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٨ .
[٢٠] نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٦ ص ٣١٧ وما بعدها .
[٢١] بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد ـ جـ ٢ ص ٣٥ ـ مطبعة الاستقامة .

النسل واختلاط الانساب وضياع الحقوق ، وشيوع الفاحشة ، ووجود أولاد من حرام ، وذلك حرام ، وما يؤدى إلى الحرام يأخذ حكمه وذلك بناء على قاعدة أن الوسيلة إذا كانت مغضية إلى مفسدة أخذت حكمها من تحريم أو كراهية [٢٢] ، وبالتالى يكون حكم انشاء مثل هذا البنك وفقا لتلك القاعدة الفقهية حراما ، ذلك أن أقل ما فيه يتعارض مع أمر معلوم من الدين بالضرورة .

ثانياً : وجوه التحريم فى بنوك اللبن :

ولا شك أن أحكام الشريعة يجب أن تراعى فى روحها وفى أهدافها ومقاصدها لأن الله سبحانه وتعالى حين يحرم علينا أمراً إنما يحرمه لمصلحة مؤكدة تعود علينا من وراء ذلك التحريم سواء بانت لنا علته أو خفيت علينا ، ومن ثم وجب الاحتياط فى هذه المسائل بالبعد عن شبهة الحرام فيها ومنها الرضاع الذي يحرم منه ما يحرم من النسب ، ومن المؤكد أن التساهل فى أمر الارضاع والابتذال فيه ، يتضمن تجاسرا على أحكام الله ، وجرأة على مقاصد شريعته ، ومخالفة لكتابه ، وسنة نبيه وإجماع الفقهاء وما هو معلوم من الدين بالضرورة .

١ - حقيقة الرضاع فى الشريعة الإسلامية :

ولا يقلل من خطورة التحريم بالرضاع أن يتعسف البعض فيقصر التحريم به على ما كان عن طريق الثدى ، إذ أن حقيقة الرضاع كما عرفه الفقهاء : هو اسم لحصول لبن امرأة أو ما حصل منه فى جوف طفل [٢٣] . وقد عرفه الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير بقوله : حصول لبن امرأة للجوف ولو شكا للاحتياط [٢٤] ، ويتضح من خلال هذا التعريف للرضاع ، أنه يسوى بين حصول الطفل على اللبن بطريق الثدى أو بغيره كتناوله بواسطة البزازة أو الكوب أو الملعقة ، كما يسوى بين حصوله على اللبن سائلاً أو غير سائل كان يتناوله جبناً أو زبادى أو مجففاً أو غيره ، وعلى هذا فإن فكرة انشاء بنك اللبن سيؤدى إلى تناول الطفل لغير لبن أمه ممن جمع اللبن منهن بطريق مباشر أو غير مباشر وبالتالى تتعلق به الحرمة فى كل الصور احتراماً للحكم فى اللبن الصافى ، وبعداً عن الشبهة فى المختلط بغيره أو الذى

[٢٢] راجع : ابن القيم - اعلام الموقعين - جـ ٣ ص ١٤٧ - الطبعة الأولى مطبعة الاستقامة . والموافقات للشاطبي جـ ٤ ص ١١٢ المطبعة السلفية - ومحمد سلام مدكور - المدخل للفقه الاسلامى - ص ٢٤٢ وما بعدها - الطبعة الرابعة - دار النهضة العربية .

[٢٣] دكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ - حكم الدين فى انشاء بنك للبن الأمهات - فتوى موجودة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

[٢٤] حاشية الدسوقى على الشرح الكبير - جـ ٢ - ص ٥٠٢ وما بعدها .

خرج عن طبعه بأى وجه من الوجوه ، فإن سائر الوسائل غير مص الثدى تأخذ حكمه ، لأنها تصل باللبن إلى جوف الطفل ويحصل بها انبات اللحم وانشاز العظم ، فوجب أن تأخذ حكمه وهو التحريم (٢٥) .

إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام :

والقول بهذا الحكم هو الذي يجب أن يكون لأن فيه حيطة فى الدين ، وبعداً عن مواطن الحرام وشبهته ، كما أنه هو الذي يتفق مع القواعد الكلية للفقه الإسلامى ، حيث أن الشيء إذا تردد بين الحل والحرمة كان جانب التحريم أولى ، ومن القواعد المقررة فى هذا الصدد ، أنه إذا اجتمع الحلال والحرام فى شيء غلب الحرام (٢٦) الأمر الذي يرجح جانب التحريم عند من يشتبهون فى حرمته .

ما يوصل إلى الحرام يأخذ حكمه :

والتعامل مع بنك اللبن على فرض وجوده حرام سواء كان بعوض أم بغير عوض أى عن طريق التبرع ، لأنه سيكون وسيلة إلى ارتكاب محظور ، لأن السيدات اللاتى يقمن بإعطاء لبنهن للبنك سيقعن ضحية للجهالة ولن يعرفن وقتها مصير ألبانهن ، ولا من الذى تعاطاها من الأطفال ، فتقع الحرمة ويختلط النسب وهذا حرام ، فيأخذ ما يوصل إليه حكمه حتى ولو كان بذل اللبن من المرأة على سبيل التبرع للبنك . فإذا أرادت بيعه وقع البيع باطلاً عند جميع الفقهاء من منطلق الرجوع إلى قواعد الفقه الكلية التى تقرر أن : ما يوصل إلى الحرام يأخذ حكما سدا لذريعة الفساد والافساد ، فلا يعقل أن يقرر أحد الفقهاء جواز بيع لبن المرأة ، وهو يعلم أنه سيكون ذريعة لاختلاط الأنساب وانتهاك ما حرمه الله ، لا يمكن أن يقرر أحد الفقهاء ذلك فيضع نفسه فى موقف حرج مع ربه حين يجيء وأى هذا مخالف لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع الأمة فى تحريم المصاهرة بالرضاع ، أقول : لا يعقل ولا يمكن أن يتصور هذا .

والمسألة واضحة فى مذهب أبى حنيفة ، وقد جاء فيه أنه لا يجوز بيع لبن امرأة فى قدح (٢٧) ، إذ هو جزء من الأدمى مكرم مصون عن الابتذال بالبيع (٢٨) ، ولأن الاجماع قد انعقد على أن اللبن ليس بمال فلا يجوز بيعه (٢٩) ، كما أن اللبن لا يباح الانتفاع به شرعاً على الاطلاق ، وإنما لضرورة

---

[٢٥] دكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ - المرجع السابق .

[٢٦] الأشباه والنظائر - لابن نجيم - ص ١٠٩ - مؤسسة الحلبي سنة ١٩٦٨ م ، والأشباه والنظائر ، للسيوطى - ص ١٠٥ وما بعدها - الطبعة الأخيرة شركة مصطفى الحلبي .

[٢٧] وهذه أحد جوانب التعامل مع هذا البنك المزعوم .

[٢٨] فتح القدير - للكمال بن الهمام - جـ ٥ ص ٢٠١ والهداية عليه ، وشرح العناية عليه للبابرتى ، نفس المكان السابق ، وسعد حلبى نفس المكان .

[٢٩] بدائع الصنائع للكاسانى - جـ ٥ ص ١٤٥ .

تغذية الطفل ، وما ينتفع به إلا على وجه الضرورة لا يكون ما لا فلا يجوز بيعـه بوجه (٣٠) .

وإذا كان بعض الفقهاء قد أجاز بيعه للضرورة (٣١) . فإنه لا يقصد مطلقاً أى وجه لمشروعية قيام هذا البنك ، لأنه لا يعقل كما قررنا أن يخرق بمثل هذا الرأى الحرمة الواضحة ويستحل ما حرمه الله بالرضاع ، فإن التحريم به ثابت بإجماع الفقهاء ، ولا يمكن أن يخالف أحد الفقهاء ما أجمع عليه ، وإنما الفهم السليم لمثل تلك الاجازة لهذا اللون من التعامل باللبن لا يتعدى حالات نادرة ، كما لو كان الطفل على شفا الهلاك ، وامتنعت المرأة عن بذله إلا بمقابل مثلاً ، وحتى فى هذه الصورة النادرة ، فإن الضرورة غير قائمة فى حق من بذلته فيكون تصرفها حراماً ، ومثل حالات الضرورة هذه غير موجودة فى زماننا ، بعد أن تنوعت أساليب التغذية ، وتعددت أنواع الألبان التى تحقق تلك الغاية، ومن ثم لم يبق لمثل هذه الحالات أدنى تصور فى وقتنا ، وذلك الفهم هو الذى يستقيم قياساً على ما تصبوا إليه فى مسائل مشابهة حيث قرروا بطلان صور مشروعة من البيع لما يترتب عليها من غاية فاسدة مثل بيع السيف لمن يعلم أنه سيقتل به أو العنب لمن يتخذه خمراً وهكذا (٣٢) .

عمل غير صالح ، وغير إسـلامى :

وعلى هذا النحو يكون انشاء هذا البنك عملاً غير إسلامى ، ولا يتواءم مع أحكام ديننا الحنيف الذى تقرر تحريم المصاهرة بالرضاع ، وهو لا يتعدى فى فكرته وفى دوافعه ، وفى الغايات التى تهدف إلى تحقيقها ، أقول : لا يتعدى كونه فكرة خبيثة تستهدف الاطاحة بجانب حيوى من جوانب شريعة الله التى تصون النسب وتحفظ الاعراض ، وتقيم الحقوق على أساس من الطهر والمشروعية ولهذا فإنه يكون حراماً ، والله أعلم .

---

[٣٠] المرجع والمكان السـابقين .

[٣١] راجع : بداية المجتهد ـ جـ ٢ ص ١٢٧ ، ومغنى المحتاج ـ جـ ٢ ص ٣٣٤ وما بعدها ، والمغنى والشرح الكبير عليه ـ جـ ١ ـ ص ٧٤ .

[٣٢] راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٢ ـ ص ٥٠٣ حيث يقول : لو خلط لبن امرأة بلبن أخرى صار ابنا مطلقا لهما تساويا أم لا » وراجع : نفس المرجع ـ جـ ٣ ص ١٥ حيث يقول : « من شروط المعقود عليه عدم حرمة لبيعه » وتبين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ص ٢٩ ، وراجع : مغنى المحتاج جـ ٢ ص ٣٧ ، ٣٨ حيث يقول : « ولا يجوز بيع الرطب والعنب لعاصر الخمر ، أى لمتخذها كذلك بأن يعلم فيه ذلك أو يظنه غالباً ، ومثله بيع الغلمان المرد « البيض » ممن عرف بالفسوق والفجور وبيع السلاح من باغ وقاطع طريق ونحوها وكذلك كل تصرف يفضى إلى معصية » . والمغنى لابن قدامة جـ ٤ ص ٢٢ ، حيث يقرر : ولا يجوز شراء ما فيه شبهة لوجود الحلال والحرام فيه . ، والروضة الندية شرح الدرر البهية ـ للقنوجى البخارى جـ ٢ ص ٩٩ ، حيث يقول : ولا يجوز بيع العصير إلى من يتخذه خمراً وهكذا تواترت نصوص الفقهاء على بطلان صور كثيرة من البيع ، لما تؤدى إليه من فساد ، أو غاية خبيثة تتصل بأمر محرم فى الإسلام ومثل ذلك من تقوم ببيع لبنها حيث يترتب عليه فساد كبير يتصل باختلاط الأنساب وانتهاك حرمة الرضاع ، وهو ما سيقوم به ذلك البنك المزعوم ، ومما تجدر الاشارة إليه ، أن المجمع الفقهى لمنظمة المؤتمر الاسلامى قد انتهى بعد مناقشات فقهية وطبية إلى منع انشاء بنوك لبن الأمهات فى العالم الاسلامى وحرمة الرضاع منها ، راجع : الأخبار المشار إليه .

حقوق الإنسان

في السنة والقرآن

الإنسان خليفة الله فى الأرض : قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة « ٣٠ » وذلك ليحقق العدل والأمن ، والرفاهية ، ولذا كرمه وأنزله منزلة سامية ، وفضله الله تعالى على كثير من خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ الإسراء « ٧٠ » .

وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، لهداية الخلق إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، لأن الإنسانية شبت عن الطوق ، وهيمنت رسالة الإسلام على ماقبلها ، واستقرت فى كتاب خالد .

وهدفت شريعة الإسلام إلى تحقيق مصالح الناس ، والعدل بينهم ، والرحمة بهم ، والرقى والكمال والجمال ، فكفل الإسلام للإنسان الحاجات الضرورية والكمالية : كالدين ، والعقل ، والعرض ، والمال ، والمحافظة على النفس .. إلخ وتكفلت الشريعة الإسلامية بما يحقق ذلك ويوجده ، وبما يصونه ويحفظه فى نفس الوقت ، أى أنها راعت الجانب الإيجابى والجانب السلبى لخيره أبداً : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ﴾ النحل « ٩٠ » .

ويقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الأعراف « ١٥٧ » ويقول الرسول ـ ﷺ ـ « لا ضرر ولا ضرار »(١) .

وقرر الإمام الشاطبى فى (الموافقات) : أن كل حكم شرعى فيه حق لله تعالى من جهة وجوب العمل به ، وفيه حق للعبد من جهة أنه ماشرع إلا لمصلحة .

وفى الإسلام : الأصل فى الأشياء الإباحة ،

---

[١] رواه ابن ماجه فى سننه باب الأحكام ، ورواه الإمام أحمد بمسنده ٥/٣٢٧ وبروايته .. ولا إضرار ١/٣١٣ .

د. توفيق محمد شاهين

والأصل فى الإنسان البراءة ، ومايثبت باليقين لا يزول بالشك ... إلخ من المبادىء التشريعية ، التى تكفل مصالح الناس .

ومفهوم الأمة والدولة فى الإسلام يقوم على أساس عقيدى فكرى (أيديولوچى) ، ولا يقوم على أساس عرقى ، ولا على أساس جغرافى أو تاريخى .

أى أن الأمة والدولة فى الإسلام تقوم على أساس إنسانى عالمى ، لا على عصبية ولا عرقية .

يقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران « ١١٠ » .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

والناس ـ كل الناس ـ أمام القانون ـ شرع الله ـ سواء ، والمسئولية فردية ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ الإسراء « ١٥ » .

ويعتمد الإسلام أساساً فى تربية أتباعه على التربية الأخلاقية ، ليكون الدافع والحافز والباعث وكذلك المانع أخلاقياً ، ذاتياً ، نابعاً من القلب والضمير والوجدان قبل الخوف من القانون وخشيته .

وتقوم دولة الإسلام على تحقيق العدالة بأوسع معانيها ، وفى كل مجالاتها : اجتماعيا ، وسياسياً ، وقضائياً ، وإدارياً ، ودولياً ، صيانة وحماية للحقوق والحريات فى صورها المتعددة ، للمسلم وغيره على السواء ..

ولتحقيق هذه العدالة والمحافظة عليها بالتالى ، كان الحكم فى الإسلام على أساس الشورى ، بمعانيها السياسية والفقهية الشاملة ، حتى يتحقق معناها الكامل ، ومبناها القائم على الاحترام فلا ظلم ، ولا استبداد ، ولا ديكتاتورية فى الإسلام ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ النحل « ٩٠ » ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى « ٣٨ » .

ولتحقيق تكافؤ الفرص والعدالة فى المال والاقتصاد ، يقول سبحانه ـ عن المال : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر « ٧ » .

وتكون العدالة بين المسلم وغيره ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة « ٨ » .

وقد نزل الوحى بعشر آيات من القرآن الكريم ، لتبرئة يهودى اتهمه مسلم بغير حق يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا .. إلى قوله تعالى : ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾ النساء « ١٠٥ ـ ١١٤ » .

فغير المسلمين حقوقهم مصونة فى دولة الإسلام ، ومن ظلمهم أو اعتدى عليهم ، أو آذاهم ، أو نال منهم بغير حق : فقد برئت منه ذمة الله ورسوله ؛ لأن لهم فى دار إقامتهم ماللمسلمين ، وعليهم ما عليهم . وأمنهم وأمانهم واجب على المسلمين ، والوفاء بعهودهم وعقودهم أمر مفروض ، لا توهنه عاطفة أو نزوة أو حيدة .

والأمة فى الإسلام خيّرةٌ ، تتعاون على كل مامن شأنه نفعها وخيرها وسعادتها ورفاهيتها ، وبالتالى متكاتفة لإخماد الفساد ، ومنع الظلم والإثم ، يقول سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة « ٢ » .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات « ٩ » .

وسلوك الأمة داخلياً وخارجياً ـ دولياً ـ يقوم على الأمن والعدل والعزة ، وحسن المعاملة ، وحفظ الحقوق ، يقول سبحانه :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الأنفال « ٦٠ ، ٦١ » .

وهذه الأمة ـ على هذا الهدى ـ لها الهداية والسيادة والعزة والتمكين ، قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص « ٨٣ » قال سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ الحج « ٤١ » .

فالمجتمع الإسلامى ربانى بالإيمان ، مطيع لله ، متعاون متآزر ، حامل للمسئولية ، ودافعه ذاتى إيمانى ، لإقامة الحق والعدل والسلام والخير والحق والجمال .

الإسلام أول من قرر حقوق الإنسان :

والحق يقال ، والواقع يشهد ، والتاريخ يسجل : أن الإسلام أول من قرر حقوق الإنسان ـ بل والحيوان ـ فى شمولية ووضوح وفعالية وتطبيق لهذه الحقوق فى جميع المجالات التى يحياها الإنسان ، والتى تكفل له كرامته وإنسانيته ، وأمنه واعتباره وتكريمه ..

قضى بها الخلاق العليم الذى يعلم من خلق فشرع له مافيه الخير ، ورضى بها أتباع الإسلام فنفذوها راضين عن طواعية واختيار .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب « ٣٦ » .

فمنذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، قرر

الإسلام حقوق الإنسان ، وأطاع المسلمون ، فأصبح القرار نافذ المفعول ، وجنت البشرية ثمرات التطبيق ، فسعدت وأسعدت ، أحياناً من الزمن .

ونحن نعلم أن البشرية تطلعت من قديم إلى مايكفل حقوقها ، ويصون كرامتها من عبث العابثين وطغيانهم ، وتطلعت إلى تقرير ما يكفل لها الحق والعدالة فى ظل قوانين ثابتة .. فعرفت عن اليونان والرومان وغيرهم مايسمى « بالقانون الطبيعى » ، ونظرية « العقد الاجتماعى » و« قانون الشعوب » الرومانى .. فكانت قوانين فيها صلاح ، ولكنها انتقدت ، وعطلت ، ونفذت جزئياً أو جانبياً ، وكان انتقادها من مفكرين دعوا إلى مساندتها بوجوب مراعاة وتطبيق مبادىء ثابتة للعدالة ، حتى اعلنت حديثاً « حقوق الإنسان » فى وثائق دستورية وأعراف دولية تنادت باحترامها ، كما فى ثورة أمريكا على بريطانيا سنة ١٧٧٦م ، وفى الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، وبعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٤م .

وصدر الإعلان العلمى لحقوق الإنسان ، عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨م ، وكان هذا الإعلان تطوراً بارزاً فى الإعلان عن حقوق الإنسان ، وألحقت به ملاحق تستدرك مافات ، أو توضح مبهما ، أو تخصص عموماً .. ويمكن إجمال هذه الحقوق والحريات الأساسية للإنسان فيما يلى :

١ ـ أن للفرد الحق فى الحياة والحرية وسلامة شخصه ، فلا رق ولا تعذيب من ثمّ .

٢ ـ وصيانة حياة الفرد الخاصة وأسرته ومسكنه ودخائل شئونه الخاصة وشرفه وسمعته حق مصون .

٣ ـ وللشخص أن ينتسب إلى جنسية أخرى .

٤ ـ وله حرية التنقل والإقامة والهجرة والالتجاء .

٥ ـ والإنسان حر فى تفكيره ، ودينه ، وممارسة شعائر دينه ، والتعرف عليه ودراسته .

٦ ـ وللشخص حرية الرأى والتعبير .

٧ ـ وجميع الأفراد متساوون أمام القانون .

٨ ـ وللفرد الحق فى إدارة شئون بلاده بنفسه أو بانتخاب غيره ، والشعب هو مصدر السلطات ممثلاً فى أفراده .

٩ ـ وللفرد الحق فى إقامة أسرة وتعينه الدولة إذا احتاج .

١٠ ـ وللشخص حق التملك ، والعمل والتعليم .

١١ ـ وللشخص الحق فى الضمان الاجتماعى والتربوى ومستوى لائق فى المعيشة والصحة والرفاهية .

وأشار الإعلان إلى مايجب على الشخص نحو وطنه مجملاً ، كما أنه حذر من التحايل على نصوص الإعلان أو تعطيلها لكنه لم يحدد جزاء لمن ينتهك هذه الحقوق أو يعطل تنفيذها ، بينما كان الإسلام حريصاً على سدّ هذه الثغرة ، يقول سبحانه :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة « ٣٣ » .

ويحدثنا الأستاذ الدكتور محمد البهى – رحمه الله – فى كتابه : (الإسلام فى حياة المسلم) ناقداً ماصدر من اعلان عن حقوق الإنسان فى القرن العشرين بخاصة ، يقول ما موجزه :–

حقوق الإنسان التى تعلنها المؤسسات الدولية الحديثة فى قرننا العشرين ، هى تنازل من قوى لضعيف ، تنازل من مستعمر بقوة السلاح لمستعمر بسبب الجهل والفقر والمرض ، وهى تنازل عن بعض امتيازات أوجدها لنفسه القوى بحكم قوته إلى ضعيف ظل فترة طويلة موضع استغلاله واستذلاله ..

كما يرى أن هذه الإعلانات : تدوين نظرى لا تتخطى إلى التطبيق العملى فى علاقة الطرفين : القوى والضعيف .. ، وتغطية للصورة الرهيبة للاستعمار حتى تنخدع الشعوب الضعيفة فترة أخرى ؛ فتلقى إليه بالزمام فى شبه أمان واطمئنان .

ويقول : إن اعلان عدم التفرقة فى التعليم بين لون ولون من البشر . وعدم التفرقة فى الحقوق السياسية على أساس الجنس أو الرأى ، وعدم التفرقة بين سكان الوطن الواحد فى الحقوق المدنية – هو فى واقع الأمر تجربة لعلاج بعض المشاكل الاجتماعية التى أوجدها الجشع والغرور بالقوة المادية ، والتقدم فى الحضارة الصناعية عند فريق من الشعوب التى تهزأ بالقيم الروحية الإنسانية .

أما الإسلام فلا يواجه فى نظامه هذه الأزمات بين القوى والضعيف ، ولا يواجه حلّ المشاكل الاجتماعية التى يسببها الجشع والغرور بالقوة المادية ؛ ولذا اليست تعاليمه الخاصة بالإنسان إعلاناً بحقوق الإنسان على نحو اعلان تلك المؤسسات الدولية الحديثة .

ويقـول المؤلـف فى موضع آخر :

احتفال الأمم المتحدة بذكرى حقوق الإنسان حين تحتفل به : « يدل على أن المدنية الإنسانية الحديثة لم تنجح من قبل – حتى وقت قيام هذه الهيئة الدولية – فى رد اعتداء الإنسان على الإنسان ، وفى دفع استغلال الإنسان ، للإنسان . وربما يدل ذلك على أن « حقوق الإنسان » مشكلة أوجدتها هذه المدنية نفسها بسبب تفوق بعض الشعوب على بعض ، لا فى خصائص الإنسان ، ولكن فى تطور الصناعة واستغلال الخامات ، والاعداد للقوة المادية ..

ويرجى لهيئة الأمم المتحدة أن تترسم خطى الإسلام فى تصفية رواسب الماضي البغيض يوم جاء . وتعمل جادة على تخليص الشعوب الضعيفة من استذلال بقايـا المستعمرين ، كما عمل الإسلام من قبل على تحرير الرقيق وتخليصه من استغلال المالكين له » .أ هـ

فالمعنى : أن إعلان حقوق الإنسان حديثاً لم يكن نتيجة نزعة إنسانية ، وإنما كان تنفيسا عن كبت ، وإعلاناً عن إفلاس فى سياسة استعمارية ، وعلاجاً لوضع معوج طال أَمَدُهُ وانتشر ظلام وظلمه ، واستيقاظا لضمير طال سباته وغفوته ، غير أنه – حتى حين استيقظ – جنح إلى ما يهواه وما فيه مصلحته .

ولكن الإسلام دين الإنسانية ، هو الذى قدر كرامة الإنسان ، وصانها بتعاليمه من الإذلال ، والمهانة يقول الله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ الحجرات « ١١ » .

تكافؤ إنسانى وكفالة حقوق فى الإسلام : -

وينظر الإسلام إلى الناس جميعا نظرة واحدة ، لأن طبيعتهم الإنسانية واحدة ، لا تفاضل بينهم ، لأنهم خلقوا من طبيعة واحدة ، ومهما تفرقوا إلى شعوب وقبائل ، لكنهم سيتعارفون ويتوادون من جديد ، كأمم وجماعات ، لأن مآل أمرهم إلى أصل نشأتهم .

يقول سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ أول سورة النساء .

ويقول سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات « ١٣ » .

فالآية تشير إلى أن الناس متساوون بفطرتهم ومتماثلون بطبيعتهم : فى نشأتهم الأولى ، وفى دخولهم إلى الحياة الاجتماعية ، وإلى أن تسامى بعضهم فى الإنسانية والفضل هو الذى يفاضل بينهم ، أو يرفع عنهم لباس التساوى والتماثل .

هذه الأطوار الثلاثة أشارت إليها الآية الكريمة .

ويزيد الرسول - ﷺ - الأمر تأكيداً وتفصيلاً ، فى تساوى الناس فى الاعتبار البشرى والقيمة الإنسانية ، وأن التفاضل إنما هو بصالح العمل ونفع الإنسانية ، حين يقول : ﴿ أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ليس لعربي فضل على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ﴾ (٢) .

الناس متساوون فى الاعتبار البشرى أمام الإسلام ، وقد أتاح لهم فرصا متساوية فى العمل والمعرفة والعلم، وتملك المال واستثماره ، وقيادة المجتمع ، وفرصة العدل فى القول والحكم ، وحرية المعتقد . . وفى هذا كفالة الإسلام لحقوق الإنسان فى خطوط عريضة .

وأنكر الإسلام إفساد المجتمع ، والإخلال بأمنه واستقراره ، ولم يرض بأن يمارس الإنسان حرياته فيما يضره أو يضر المجتمع معه كما عاب الاعتقاد الردىء ، والعمل السيء وحرم الإسلام الظلم والاستبداد والاستعباد ومقارفة الخطيئة والإثم وامتهان كرامة الإنسان . ولم يرض عن الاكراه والقهر ، والاستئثار والأثرة والأنانية ، نرى ذلك فى ضوء هذه النصوص :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات « ١٣ » .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ فصلت « ٤٦ » .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة « ٢٥٦ » .

[٢] من خطبته ﷺ فى حجة الوداع .

﴿ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ فاطر « ٤٣ » .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة « ١٧٠ » .

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلاَتَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ الشعراء « ١٨٢ » .

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ الأنعام « ١٥٢ » .

ويقول الرسول - ﷺ - : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » [٣] . ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » [٤] .

حقوق الإنسان هبة من الله ، وليست من إنسان : -

الله هو الحق ، وهو مصدر حقوق الإنسان وواجباته فى الإسلام ، ولأن الله هو العدل الحكم ، كان تشريعه هو الحق والعدل ، والعليم بشئون خلقه ، فلا محاباة ولا تحامل .

يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد « ٢٥ » . ففى الآية إشارة واضحة إلى إقامة العدل ، وعمارة الحياة الدنيا .

« فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط فى حقوق الله وحقوق خلقه » .

« فالحقوق هبة الله ، وليست منحة إنسان ، وفى مقابلها واجبات فى الإسلام ، والواجب أن تؤدى الواجبات قبل طلب الحقوق . والإشارة إلى الكتاب والميزان واضحة فى وجوب ضمان العدل بين الناس ، وحفظ الحقوق وصيانتها ، احتراماً للإنسان والإنسانية .

وكون الحق والواجب من الله ، يجعل الأمر عقائدياً وإيمانياً ، يجب على المسلم ألا يفرط فيه ولا يتهاون ، وإلا كان ظالما لنفسه وملوما ، على نحو ما تحكيه الآيات الكريمة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلا . فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ النساء « ٩٨ - ٩٩ » .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ النساء « ٧٥ » . فصيانة الحقوق واجب الإنسان والخنوع والخضوع لغير الله ليس من الإيمان فى شىء ، لأن عزة المؤمن من عزة الله .

[٣] متفق عليه .

[٤] من خطبته - ﷺ - فى حجة الوداع .

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ المنافقون « ٨ » .

فعقيدة الإسلام تحقق للإنسان حقوقه وعزته وكرامته ، لأنه مع بني جنسه أمام الله سواء ، فلا يؤله إنسان أو شيئاً غير الله .. وعليه أن يحافظ على حرياته وكرامته ، وأن يقاتل دونها إذا تَحَتَّفَتْهَا الْحُتُوفُ السود ، أو اعتدى عليها معتد .

قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ الحج - « ٣٩ - ٤٠ » .

عموم المساواة للأفراد فى الإسلام :

قلنا : إن الإسلام سوى فى الاعتبار البشرى والقيمة الإنسانية لجميع الناس ، وتفاضلهم إنما هو فى التقوى ونفع الإنسانية ، بغض النظر عن الجنس واللون وما شاكل ذلك .

فالناس متساوون أمام شريعة الله . يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء « ١٣٥ » .

قال أبو بكر - رضى الله عنه - فى أول خلافته :

« ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق منه ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق له » .

والناس أمام القضاء سواء فى كل شىء : فى الولاية ، واقامة الدعوى ، وأصول المرافعة ، وتطبيق النصوص ، وتنفيذ الأحكام ، وتحرى العدالة التامة بين الخصوم ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ النساء « ٥٨ » .

وقد وقف بعض الصحابة موقف الند مع خصومهم أمام قاضى المسلمين ، وسرهم ذلك ، إذا استبشروا بأن للعدالة حماية فى رعاية القضاء ، وأن القاضى يسوى بين القادة والرعية فى كل شىء .

حماية الإنسان فى الإسلام :

الحياة الإنسانية غالية ، لأنها هبة الله وبنيان الرب وقد شدد القرآن فى وجوب حماية النفس الإنسانية ، وصيانتها ، وتقديرها واحترامها .. وجعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً ، يقول سبحانه : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة « ٣٢ » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ الأنعام « ١٥١ » ، لأن حفظ النفس من مقاصد الشريعة الأساسية .

وشرع القصاص عقوبة رادعة للمعتدى ، وتقديراً للحياة ، ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة « ١٧٩ » .

البقية ص ٥٢١

بهائية جديدة
فى ثوب مسيحى

« صن مون » .. هذا البهائى الذى ظهر فجأة على السطح وامتلات بأخباره الصحف فى الغرب والشرق . من يكون ؟

وما أهدافه الحقيقية التى يقف وراءها الماسون ؟

لقد نشرت مجلة تايم TIME تحليلاً دقيقاً ـ منذ عدة شهور ـ عن هذه النحلة « CWLT كولت » وغيرها من النحل التى شاع أمرها بين الأمريكيين وكيف انخدع بها بعض السذج فراحوا يؤيدونها عن إيمان ويقين .

وقد نعت الصحيفة على الشعب الأمريكى هذه السطحية فى تقبل هذه الخرافة ، والانقياد الأعمى وراء كل دعىّ يحترف الكهانة والعرافة .

ان « صن مون » ليس الا حلقة فى سلسلة طويلة من الأدعياءوالكذبة الذين عرفهم العالم منذ منتصف القرن الماضى بَدْءًا بـ« **البهاء** » و« **غلام ميرزا** » و« **هارى كريشنا** » و« **المهاريشى** » ، وبطل جوايانا الشهير الأب القاتل « **جونز** » .. !

صورة واحدة متكررة تظهر كفقاعات على سطح البشرية التى أفقدتها حضارة الغرب المادية اللاهثة الاتزان والطمأنينة . حين عجزت هذه الحضارة عن تلبية حاجة الإنسان المادية والروحية ، وتركته نهبا لاعصار الشهوات والفجور الذى يهدد العالم بكارثة محققة ..

وحيث عجزت الكنيسة ، وفشلت فى احتواء هذه الظواهر الهدامة ، وفى تقديم العلاج والحلول لهذه الأزمات التى يعانى منها الإنسان فى كل يوم ولحظة .

رجل يدعى الوحى ، ويزعم الاتصال بالمسيح منذ حوالى نصف قرن ، وتروج له الصحف عن طريق اعلانات تكلف الملايين بسبب هذا النشر ، ويقيم ـ على حسابه ـ مؤتمرات تفوق تكلفتها مثل هذه الملايين ـ فى أى مكان من الأرض ـ .

ألا يثير ذلك فى نفوسنا الشك ؟ ويدفعنا إلى التساؤل المريب عن مصدر هذه الثروة التى لا تملك مثلها حكومات فى بعض بلاد الشرق ؟

انه (نبى) أمريكى حقا .. نبى من عائلة « **روكفلر** » .. و« **فورد** » .. و« **روتشيلد** » .. و« **مانهاتن بنك** » .

د. عبد الودود شلبى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة

وكان أولى وأنفع لثروته أو دعوته أن تبقى فى خزائن البنوك ، وأن يستثمر نبوته الكاذبة بعيداً عن الديانات التى ترفض أمثاله من الماسونيين عبيد اليهود ..

ولكن الرجل مدفوع إلى مخطط يهدف إلى تدمير الأديان من أساسها فوق هذه الأرض ، ويسعى بوحى « **ماسوني** » إلى تنفيذ ما كلف به من التخريب والهدم ..

إن « **مون صون** » **لم يأت بجديد** .. فالذى يدعو إليه مرفوض فى الجوهر والشكل والمسيحيون ـ قبل المسلمين ـ يرفضون دعوته المفضوحة بالمنطق والعقل .. وإلا فعلى أى أساس تقوم دعوة التآخى بين الأديان .. الشائعة فى هذا العصر ؟

هل هى دعوة إخاء على أساس تقريب المسيحية من الإسلام وتقريب الإسلام من المسيحية .. ؟ إن كان هذا هو المطلوب .. فبالله .. كيف يتم هذا التقريب ؟

هل يترك المسيحيون إيمانهم بالأب والابن والروح القدس إلى الإيمان بالواحد الأحد .. الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ؟

مستحيل أن يفعلوا ذلك ..

أم يترك المسلمون إيمانهم بالله الواحد إلى الإيمان بالثالوث المسيحى ؟

ألف مستحيل ولن يكون .

أم يترك المسلمون والمسيحيون عقائدهم إلى الإيمان بـ« صن مون » والاعتراف به نبياً جديداً لكل البشر ؟

مستحيل أن يقع ذلك .. لأنها دعوة إلى الردة وعودة إلى الجاهلية الأولى فى حياة البشرية ..

لقد ظهرت فى أندونيسيا جماعة باطنية ماسونية تهدف إلى هذه الغاية ، **وليست « الفاتشاسيلا »** التى تعتبرها الدولة دستوراً مقدساً فى سياستها العامة الا تعبيراً عن هذه الردة .

وفى كتاب « سى سانجك ديجاتى » « SESANG DIJATI » المعتمد عند هذه الطائفة تقرأ تلك العبارات التى تفضح حقيقة هذه الطائفة ، وحقيقة الدعوة التى يتبناها هؤلاء المتنبئون الكذبة ..

يقول هذا الكتاب المطبوع فى چاكارتا سنة ١٩٦٠ وفى صفحتى ٨٧ ـ ٨٨ ما نصه بالحرف :

« **شهادة التوحيد وشهادة الرسول المأخوذتان من الشهادة الإسلامية المكتوبتان بالخط الأخضر « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » من هو محمد فى الحقيقة** ؟ .

هو النور المحمدى ، هو نور ذات الله الذى تقاصر عنه الوصف .. المنبثق من

الوحدانية .. الحال بالجسد .. المتحد فيه الخلق والخالق ... المعروف عند أهل المعرفة بالتثليث ... الله .. الرسـول .. محمد .. المتلاشى فى الأحدية وما النور المحمدى سوى المسيح عند الدين المسيحى أو المسمى بالسيد الابن وهو أيضاً حقيقة رسول الله ... !!!

اليس هذا هو مايدعو إليه « صن مون » بالروح إن لم يكن بالنص والحرف .. فعلى أى أساس يتم هذا التقارب الذى يدعو إليه هذا الرجل ؟

هل يتم هذا التقارب على أساس سياسى ؟ لقد ثبت فشل هذه التجربة من خلال الأحلاف التى لقنوها « شهادتى الإسلام » ومن خلال جمعية الصداقة المسيحية الإسلامية التى أنشأها القس الأمريكى هوبكنز .

لقد كان « **هوبكنز** » هذا مبشراً مسيحياً ، وفى أثناء إقامته فى لبنان دعا إلى إقامة هذه الجمعية لأن مثل هذا العمل فى رأيه : يساعد على التقارب بين الإسلام والمسيحية ، ويوقف حملات البغضاء والكراهية بين أتباع الدينيين وقد استجاب بعض علماء المسلمين إلى هذه الدعوة .

ــ كما فعل ذلك مع « صن مون » بعض علماء تركيا ـ .

وتم اللقاء والاتفاق فى « بحمدون » على المبادىء التى تسير عليها الجمعية وفى النهاية اكتشف المسلمون أن هذه الجمعية أنشئت لغرض واحد هو محاربة الشيوعية أما الإسلام والمسلمون فلم يكن لهم أى اعتبار أو تقدير فى نظر القائمين على هذه الجمعية بل زادت حملات الكراهية للإسلام بعد ذلك على امتداد قارات العالم وساحاته فى أنحاء الدنيا .

فإذا لم تكن هذه الدعوة دينية ، ولا دعوة سياسية فإلى أى مذهب تنتسب هذه الحركة « الصنمونية » ؟! ..

انها جزء من التحرك البهائى الماسونى الذى بدأ يتشكل فى صور جديدة كنوادى « الروتارى » ونوادى « الليونز » بعد أن افتضح أمر هذه الماسونية ، وفاحت رائحة جرائمها العفنة كما حدث أخيراً فى إيطاليا .

وإذا كانت الماسونية أو البهائية قد اختارت الدين المسيحى مظلة لحركتها الجديدة فإن هذا التشكل الجديد لن يغير من واقع الأمر شيئاً .. وسواء أكان اختيارها لهذه اللعبة رجلاً شرقياً هو « **صن مون** » الكورى أو « **المهاريشى** » الهندى أو كان اختيارها لـ« مجمع الأديان » الذى أنشأه ظفر الله خان القاديانى ...

فنحن ـ المسلمين ـ فى غنى عن أية نحلة من هذه النحل .. بعد أن أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة بهذا الدين .. وبعد أن أنزل على نبينا محمد كتاباً جامعاً ، وشاملاً لكل ما فيه خير الإنسانية وخير المسلمين .

فهو كتاب العقيدة الصحيحة الواضحة ، وهو كتاب الأخوة الإنسانية الجامعة ، وهو

كتاب الحياة لكل ما فى هذه الحياة ، ومن فى هذه الحياة أيا كان موقعه ومكانه فى كون الله . هو الكتاب الذى يعترف بما سبقه من الكتب ويعترف بكل من جاء قبل محمد - ﷺ - من الرسل ، ويعترف بالإنسانية كلها كأسرة واحدة من أب واحد هو آدم ، ومن أم واحدة هى حواء .

وبالرغم من تظاهر الحركة بدعوة المسلمين والمسيحيين إلى هذه الحركة الا أنها فى الحقيقة ، وفى الواقع ومن خلال التجارب الكثيرة السابقة لا تستهدف سوى الإسلام وحده لأن المسيحية فى نظر الماسونية أو البهائية لم تعد خطراً .. والا لما قامت هذه الحركة وأشباهها فى معظم أقطار أوربا وأمريكا وإنما يكمن الخطر فى الإسلام الذي يقف شامخاً فى وجه هذه المؤامرة الكبرى ..

ومن الأمور المحيرة .. أن تقف الكنيسة موقفاً سلبياً من هذه الهرطقة .. وأن تسكت عن هذا الرجل الذى يحاصرها فى كل ناحية .. وألّا يصدر عنها قرار واحد بالادانة ...

لقد هربت الكنيسة من ميدان معركتها الحقيقية لتحارب (بالتبشير) فى جبهات أخرى وديعة ومسالمة وضد المسلمين الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة .

وهى بهذا الهروب ترتكب خطيئتين فى حق نفسها وفى حق المسيحية ..

فهى « أولا » تثبت فشلها فى مواجهة الباطل والخرافة ، وهذه هى الخطيئة الأولى .

وهى « ثانيا » لم تتوقف عن إرسال جحافل المبشرين للعدوان على الإسلام والمسلمين فى آسيا وأفريقيا ..

وهذه أكبر الخطايا ، والعقبة الكؤود فى طريق أى تفاهم .

والكنيسة فى النهاية هى الخاسرة .. فإذا كانت البهائية .. أو الماسونية تستهدف الإسلام فى حركاتها السرية الهدامة فهى تستهدف كذلك المسيحية وبنفس القوة .

وكما يقول أحد منشورات الماسونية :

اننا لن نكتفى بالانتصار على المتدينين ومعابدهم إنما.غايتنا الأساسية هى إبادتهم من الوجود كليّاً ..

إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بالقضاء على الدين ... ستحل الماسونية محل الأديان ، وستقوم محافلها مقام المعابد .

وقد حدث عندما توفى « البرت بويك » AL-BERT POYK رئيس الماسونية الأعلى سنة ١٨٩٣ وانتخب « لمى » LEMMI خلفاً له : علق صورة المسيح مقلوبة على قصر الماسونية وكتب تحتها هذه العبارة الجارحة النابية :

قبل مغادرتكم هذا المكان .. أبصقوا فى وجه هذا الإبليس الخائن ..

فهل يعى المسيحيون - قبل المسلمين - أبعاد هذه الحركة ؟ وأبعاد هذه الفتنة ؟ وأبعاد هذه المؤامرة التى لن تترك - على قيد الحياة - مسيحياً ولا مسلماً إذا قدر لها النجاح والوثوب إلى السلطة .. ؟

الدولة الإسلامية

اجتماعيا .. واقتصاديا .. وسياسيا

٣

أوضحنا فى مقالينا السابقين كيف أن الدولة الاسلامية الأولى - وهى النموذج الذى يحتذى - قامت على هدى توجيهات رسول الله محمد ﷺ ، وكيف أن كل نواحى الحياة فيها كانت محكومة بأحكام مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

وأنا ما كان زمن وجود الدولة الاسلامية ، وأيا ما كان اتساع رقعتها فإن للسلطة الحاكمة فيها أوجه نشاط تمس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من أجل إقامة شرع الله ، ومن أجل أن تجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

ولقد أوضحنا أن الوجه الأول من أوجه نشاط الحكومة فى الدولة الاسلامية هو المحافظة على الكيان الداخلى للدولة بتعهد الإنسان المسلم الفرد ، وبنائه على الأسس القويمة التى يرضاها الله ، وتهذيب سلوكه . فإذا ما صلحت لبنات المجتمع ، صلح البناء الاجتماعى الداخلى كله ، وأصبح يشد بعضه بعضا .

أما الوجه الثانى من أوجه نشاط الحكومة فى الدولة الاسلامية فهو المحافظة على سلامة الدولة من الخارج .

دعامتنا تأمين الكيان الخارجى

لقد أنزل الله تعالى شريعة الاسلام على محمد ﷺ ، وبين لنا فى كتابه العزيز أن هذه الشريعة عالمية ، إذ يقول الله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » . (سبأ / ٢٨) ، كما أمر رسوله أن يبلغ الرسالة ، وجاء أمر الله هذا عاما ، فلم يخص بالتبليغ قوما بعينهم ؛ إذ يقول الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ

للحميد : أ.ح
د. فوزي محمد طايل

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » (المائدة / ٦٧) ولقد أدرك بعض المستشرقين هذه الحقيقة فنرى (أرنولد) يقول : « لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب فقط ، بل كان للعالم كله نصيب فيها ، فهى إذ تدعو إلى إله واحد ، كذلك لا يكون غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة » .

وكما أمر الله تعالى رسوله بالدعوة إلى الاسلام صراحة متبعا طريق الحكمة والموعظة الحسنة فى قوله تعالى : « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » . . (النحل / ١٢٥) ، فإن الله تعالى قد أذن للمؤمنين بالجهاد فى سبيله :

تأمينا لنشر دعوته .

ودفعا للظلم عن المسلمين .

وحماية للأقلية المسلمة المستضعفة فى الأرض .

فالدعوة الاسلامية تعرض على من لم تبلغه ، ولا تفرض على أحد ، ولا يكره عليها إنسان ؛ إذ يقول الله تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » (البقرة / ٢٥٦) ، ويقول سبحانه : « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ » ، (الكهف / ٢٩) ، **فإن أجاب القوم ، أو عاهدوا على عدم التعرض للدعوة ودفعوا الجزية فيها ، وإن أبوا ومنعوا كلمة الله أن تكون هى العليا ، وإن آذوا المسلمين أو تعرضوا لهم بسوء ، كان الجهاد فى سبيل الله لحماية العقيدة وتأمين نشرها ، لا لاكراه الناس على الايمان بالله والدخول فى الاسلام . ولا غرو فالاحتكاك فى الحروب ييسر للمثل العليا والأخلاق القويمة ودعوة الحق أن تسرى بين الناس وتعلو على الباطل .**

يقول ابن خلدون : « إن الضعيف مأخوذ دائما بتقليد القوى واتباعه ذلك أن القوة فى ذاتها دعوة إلى اتباع فضائل من يتحلى بها ، ولأن ضعف القلوب يجعله يقتبس من أسباب القوة عند الغالب » .

وعلى هذا فإن دِعَا مَتَىْ تأمين الكيان الخارجى للدولة الاسلامية هما : الدعوة إلى الاسلام ، والجهاد فى سبيل الله .

وحتى تنجح الدولة الاسلامية فى إقامة هاتين الدعامتين فهناك أمران لابد من توافرهما :

الأمر الأول : أن تمتلك الدولة الاسلامية من القوة الذاتية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا ما يمكنها من القيام بالدعوة إلى الاسلام والجهاد فى سبيل الله .

الأمر الثانى : أن يكون المظهر العام للمسلمين فى الداخل والخارج قدوة يقتدى بها ، وأسوة لمن أراد أن يتأسى بهم من الشعوب الأخرى ، ولن يكون هذا إلا بتجسيد

فروض الاسلام وآدابه فى التصرفات الفردية والاجتماعية وبالأسلوب الذى أوضحناه فى مقالنا السابق ، فما أكثر ما تغنى المثل العليا والقدوة الحسنة والمعاملة الطيبة عن وسائل الدعوة الأخرى .

أولا ـ نشر الدعوة الاسلامية

١ ـ حال المسلمين اليوم

لقد أهمل المسلمون ، نتيجة ضعفهم وبعدهم عن دينهم الحق ، الدعوة والتعريف بالاسلام ، حتى بين المسلمين أنفسهم ، حتى أصبح المسلمون فى أطراف البلاد الاسلامية ، وحيث يكونون أقليات فى بلاد أخرى ، أصبحوا لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه ، والشهادتين ، والصلاة على انحراف ونقص فى أدائها ؛ ففيهم من لا يعرفون الحلال من الحرام ؛ فكم من زيجات تمت بين مسلمين بوثنيات ، ومسلمات بغير مسلمين .. هذا فضلا عما يفعله التبشير النصرانى النشط (حتى فى البلدان الإسلامية ذاتها) من محاولات تنصير للمسلمين ، أو على الأقل تشويه لركائز الإسلام وأحكامه .. وهذا هو الربا ، وأشباه الدعارة ، وشرب الخمر ، وتشويه قوانين الزواج والطلاق وما إليها ، نجدها وقد نشبت براثنها فى مجتمعات إسلامية ، فوهنت وكادت تنهار أمور هى معلومة من الدين بالضرورة .

إن الغالبية العظمى من العالم غير الاسلامى يتعرفون على الاسلام اليوم من خلال الكتابات الصليبية وكتابات المستشرقين ، التى يهدفون من ورائها إلى هدم الاسلام وطمس معالمه وتشويه قيمه ومبادئه ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية لم تصل إليهم ، ولأن القائمين على أمر المسلمين لم يولوا هذا الأمر العظيم ما يستحقه من عناية .

٢ ـ فى وجوب الدعوة

إن نشر الدعوة الاسلامية فى كل ارجاء المعمورة فرض عين على القادر ، وهو فرض كفاية على الجماعة الاسلامية (أى على السلطة العامة فى الدولة الاسلامية) التى عليها أن تعد الدعاة وتزودهم بالوسائل والامكانات اللازمة .

ولما كانت الدعوة الاسلامية من قبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجب أن يعهد بها إلى جماعة متخصصة فى هذا الأمر الذى غدا فنا وعلما يدخل فى إطار السياسة العامة للدولة الاسلامية بحيث لا يغنى عنه المجهود الفردى . يقول الله تعالى : « **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** » (التوبة / ١٢٢) ويقول جل شأنه : « **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** » . (آل عمران / ١٠٤ ـ ١٠٥) .

إن التطور العام الذى تعيشه الإنسانية المعاصرة أساسه عودة الدين فإنه أساس

حاسم فى خلق وتشكيل السلوك فى العلاقات الدولية .

ولنلق نظرة على قطاع صغير من قطاعات التبشير بالنصرانية فى قارة أفريقية مثلا ، إذ تقوم الحكومات بتقديم المعونات والدعم المادى لجماعات التبشير بصورة تتسم « بالاهتمام واليقظة » ـ على حد تعبير أحد الكتاب الغربيين ـ فتقوم الارساليات التبشيرية بإنشاء ، أو تنشيط عمل المستشفيات والمدارس ، وتقتحم مشاكل التعليم والصحة ، وتطوير الزراعة ، وحفر الآبار وتحسين أحوال المرأة ، ومعاونة اللاجئين والإمداد بالمواد الغذائية ، وقد خصص لذلك مئات الآلاف بل الملايين من المبشرين ، ورصدت آلاف الملايين من الدولارات والعملات الأخرى لنفس الغرض . ويكفى أن نعرف أن حجم أحد المؤسسات التبشيرية وتسمى « جيش الخلاص » ، (وهو مؤسسة منظمة على نسق الجيوش وتقوم بربط التبشير الدينى بفعل الخير وتقديم التبرعات المالية والقيام بالأعمال الاجتماعية فى الدول التى ينتشر فيها) ، بلغ ما يزيد على مليون شخص تعمل فى ٨٦ دولة مستخدمة فى تبشيرها ١١٠ لغة . هذا جزء من كل !!

ألم يأن للمسلمين أن يستيقظوا ؟!!

٣ ـ ميادين الدعوة وأهدافها

إن للدعوة الاسلامية مجالين : الأول داخل الدولة الاسلامية ذاتها ، والثانى خارجها . وللدعوة فى كل من المجالين أهدافها :

أما فى داخل الدولة الاسلامية فأهدافها ما يلى

أ ـ تحويل أحكام الشريعة الاسلامية إلى واقع عملى يراعيه الأفراد فى سلوكهم اليومى ؛ فالايمان كما روى عن الحسن البصرى ـ رضى الله عنه : هو « ما وقر فى القلب وَصَدَّقَهُ العمل » .

ب ـ حماية المجتمع الاسلامى من الاتجاهات المنحرفة والالحادية ، ومحاولات تشويه الشريعة الاسلامية ، وتسهيل طريق الغواية والضلال . وطريق حماية المجتمع يكون :

ـــ بالاهتمام بتوعية القمم من أساتذة الجامعات ، ورجال التعليم ، والإعلام ، والقائمين على الإدارة والسلطة العامة فى كل الميادين ، فكم من هؤلاء من ليس له حظ كبير من المعرفة الحقة بأصول دينه وتعاليمه . فإذا ما صلح هؤلاء صلح المجتمع بالضرورة ، فهم من المجتمع بمثابة العقل والحواس ، وهم القدوة التى يحتذى بها الجميع .

ـــ بشغل أوقات فراغ الشباب والأطفال فيما هو نافع من رياضة وقراءة نافعة ومشاهدة (للأفلام) الهادفة إلى بث روح الاسلام وقيمه الفاضلة فيهم . ولنتق الله فى شباب مجتمعاتنا الاسلامية فهم سواعد المجتمع حاليا وقادته فى المستقبل .

ـــ وبالعمل على تحويل النشاطات المحرمة التى تتحدى شعور المسلمين وقيمهم فى بعض المجتمعات إلى نشاطات أكثر نفعا للمجتمع ، فيتم تطهير المجتمع ولا يضار أصحاب تلك النشاطات فى آن واحد .

ـــ وبمراعاة وسائل الإعلام ـ وكم أصبحت مؤثرة وخطيرة ـ للقيم الدينية الاسلامية عند

عرضها للموضوعات التى أصبحت تقتحم البيوت والعيون والعقول والحواس دون أى استئذان .

— وتنقية التعليم العام فى كل مراحله مما يشوبه من اتجاهات إلحادية ، ومن كل ما يتعارض مع قيم الاسلام وتعاليمه ، ودعمه بكل ما يساعد على غرس العقيدة الاسلامية وفهم فروض الاسلام .

— وتطوير دور المساجد ودعمها بوسائل شغل الفراغ فيما يقره الدين ويحض عليه من علم وثقافة ونشاط رياضى واجتماعى ، كى يجد فيها المسلم كل ما يشبع ميوله المشروعة فيقبل الناس عليها فتعمر .

وأما فى خارج الدولة الاسلامية فأهداف الدعوة ما يلى

أ ـ **التعريف الصحيح بالاسلام بين الأقليات المسلمة ، وإبعاد كل المؤثرات** المحرفة للاسلام فى أذهانهم ، **ومعاونتهم** على حسن إقامة **شعائر الاسلام وتعليمه** لأبنائهم **لينشئوا نشأة اسلامية** صحيحة .

ب ـ **الدعوة إلى الاسلام بين غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة ، وبالوسيلة التى تناسب كل مجتمع من المجتمعات .**

جـ ـ **الرد على محاولات تشويه الاسلام وتحريف دعوته ورد الشبهات عنه** باستخدام **كل الوسائل المتاحة .**

وليكن معلوما أن الدعوة الاسلامية وهى فرض كفاية ، يجب أن تَبْلُغَ كل فرد فى العالم وإلا وقع الأثم على كل المسلمين . ولحسن الحظ فقد أصبح أمر تبليغ الدعوة أيسر كثيرا من ذى قبل ، نتيجة تقدم وسائل المواصلات ووسائل الإعلام والاتصال .

٤ ـ مادة الدعوة الاسلامية الفنية ووسائلها

تتناول الدعوة الاسلامية :

موضوعات العقيدة .

وإقامة الفرائض .

والتعريف بشئون المعاملات والعلاقات فى المجتمع .

والسيرة النبوية وما فيها من معان سامية وخلق كريم .

كذا الأهداف الاسلامية السامية من حرية ، وعدل ، ومساواة ، وأخوة .... إلخ .

لقد اتخذت الدعوة الاسلامية ، فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد الخلفاء . الراشدين من بعده صورة كانت تتناسب والظروف السياسية والاجتماعية آنذاك ، فكانت الدعوة تتم من خلال الرسائل التى ترسل إلى الملوك والأمراء على يد مبعوثين ، لدعوة هؤلاء الحكام وشعوبهم إلى الدخول فى الاسلام ، فقد كان الناس فى تلك الأيام على دين ملوكهم . بيد أن الاسلام قد أنتشر فى ربوع بلاد أخرى ، فيما بعد ، عن طريق الاتصالات التجارية . وليست هذه الطريقة أو تلك بمثابة شرع واجب الاتباع ، فما كانت إلا وليدة ظروف وإمكانيات ذلك العصر .

أما وقد تغير الزمان فإن على الدعوة

الاسلامية أن تطور أساليبها لتجارى التقدم الاجتماعى والفكرى والعلمى الذى يسود عالم اليوم .

إن وسائل الدعوة الاسلامية يجب أن تَسْتَخْدِمَ ، بجانب الوسائل التقليدية ، الإذاعة المسموعة ، والمرئية ، وشرائط التسجيل ، والصحافة ، والدعاية ، والمحاضرات ، والكتب والنشرات ، والوفود ، وتبادل البعثات والأساتذة ، وإنشاء المراكز الاسلامية ، ومكاتب الدعاية ، والمصحات والمراكز الاجتماعية الاسلامية .

إن اللغة توحد الفكر وتيسر التفاهم وتسهل التعبير وتؤكد الروابط والألفة والانتماء . لذا كان لزاما أن يتم نشر اللغة العربية فى أرجاء المعمورة لتأليف القلوب ولتسهيل نشر الدعوة ؛ فاللغة العربية هى لغة القرآن وهى لغة التبليغ ، وإلى أن يتم نسر اللغة العربية ، **فإن من المجدى فى مجال الدعوة نشر المصطلحات الاسلامية باللغة العربية مترجمة إلى اللغات الأجنبية ، وترجمة كتب الفقه والسيرة ، وتأليف دائرة معارف إسلامية . ولا ننسى فى هذا المجال وإلى حين تحقيق الوحدة الاسلامية ـ التنسيق بين المؤسسات الاسلامية حتى لا يصدر من إحداها ما يتعارض مع عمل الأخريات .**

٥ ـ إعداد الدعاة وتنظيم عملهم :

لعل أولى المراحل فى هذا المجال هى حسن انتقاء الأفراد المتطوعين المؤمنين حقا بعقيدتهم ، والذين لا يرجون من وراء عملهم إلا وجه الله ورضوانه . كما يجب أن يكون الدعاة على مستوى يمكنهم من تحقيق اللقاء الفكرى والاجتماعى والسلوكى المناسب مع جمهور المجتمع الذى سيعملون فيه .

إن على الداعى أن يكون قدوة تحتذى ، ومرآه تعكس مبادىء الاسلام ومثله العليا . والداعى الجيد هو من كان لين الجانب يدعو بحكمة . يقول الله تعالى : « وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » (آل عمران / ١٥٩) .

والداعى إلى الاسلام يجب أن يكون ذا شخصية نافذة ، لا يعيبه عيب خلقى أو جسمى ، كريم الخلق موطأ الكنف ، رفيقا فى المعاملة ، يبعد عن مواطن الشبهات ، ويتجه إلى معالى الأمور ، ولا ينْزل إلى سَفْسَافِها بشوشا ، يعمل بمقاصد الشريعة ، فعلى الدعاه أن يُيَسِرّوُا ولا يُعَسّرِوُا ، يُبَشِرّوُا ولا يُنَفِرّوُا .

فإذا ما تم انتقاء الدعاة من ذوى الثقافات المختلفة والخبرات المتباينة ، والتخصصات المتنوعة يتم تأهيلهم تأهيلا يتناسب مع ميادين عملهم ، فيتعلمون لغة المجتمع الذى سيدعون فيه إلى الله ، ويدرسون أنماطه الاجتماعية ، وسلوك أفراده ، وتاريخهم ، وواقعهم ، ومشاكلهم النفسية والاجتماعية والاخلاقية .

وأخيراً يتم توزيع الدعاة على ميادين عملهم يؤدون وظائفهم على منابر المساجد ، ومن خلال الإذاعة والتليفزيون ، وكذا من خلال المنشآت والمؤسسات الصحية والتعليمية والاجتماعية والدعائية .

إن الدعوة تحتاج إلى الحجة والبرهان ، والقدوة وقوة البيان ، كما تحتاج إلى مشاركة

الدعاة فى اقتحام مشكلات المجتمع ، ولا يملك هذا أو ذاك إلا خيرة مثقفى ومتعلمى الأمة الاسلامية الذين يتمتعون بخير الصفات ، ويمتلكون أحدث وسائل التأثير والدعوة ، ويجيدون أستخدام هذه الوسائل .

ثانيا : الجهاد

١ ـ مفهوم الجهاد

إن الوجه الثانى من أوجه الدفاع عن الدولة الاسلامية وتأمينها من الخارج هو « الجهاد » : ولقد انقسم الفقهاء المسلمون قديماً وحديثاً إلى ثلاث فرق حينما ذهبوا يفسرون معنى كلمة الجهاد ففريق فسر كلمة « الجهاد » بأنها المرادف لكلمة « الحرب » ، وهذا واضح فى تعريف الراغب الأصفهانى لهذه الكلمة فى مفرداته إذ يقول : « هو استفراغ الوسع فى مدافعة العدو » .

أما الفريق الثانى فقد فسر كلمة « الجهاد » تفسيراً آخر بأن قسم الجهاد إلى قسمين : جهاد باللسان ، وهو الدعوة إلى الاسلام ، وجهاد بالسنان ، وهو قتال العدو .

وهناك فريق ثالث أدخل فى معنى الجهاد كل عمل فيه بذل جهد وإدارة صراع ، سواء تم ذلك مع النفس ، أو مع الحياة بوجه عام ، أو مع العدو فأدخل بذلك وسيلة ثالثة فى الجهاد وهى القلب ؛ فأصبح الجهاد يتم بالقلب واللسان واليد فى تفسيرهم وجعل هذا الفريق الأخير من الصبر جهاداً ، ومن طلب العلم جهاداً ، ومن مجاهدة النفس جهاداً ، ومن الوقوف فى وجه الظلم جهاداً ، ومن تأمين حدود الدولة جهاداً .

وإذا كان الفريق الثالث أقرب فى تفسير كلمة الجهاد إلى نتيجة الاستقراء الظاهرى لما ورد فى الجهاد من آيات مباركات ومن أحاديث نبوية شريفة ، إلا أننا نضيف ـ والله أعلم ـ أن الجهاد هو بذل غاية الجهد ومنتهى الطاقة للتغلب على كل ما من شأنه ألا تكون كلمة الله هى العليا .

فالجهاد هو بذل أقصى الطاقة مع النفس وهواها ، ومع الشيطان ونزغاته ، وهو السعى الجاد الذى لا يعرف الوهن من أجل أمتلاك أسباب القوة لدى المسلم كفرد ، ولدى المسلمين كأمة ، تحسبا واستعدادا ليوم يصل فيه الجهاد إلى منتهاه حيث يكون قتال العدو . فللجهاد مرحلتان :

مرحلة سلبية بالاعداد والاستعداد .
ومرحلة إيجابية بإدارة الصراع المسلح مع العدو .

والقوة التى نقصدها هى قوة الجسم ، وقوة العقل ، وارتفاع المعنويات ، وقوة الايمان والعقيدة ، والقوة الاقتصادية ، والسياسية ، وترابط المجتمع ، وارتفاع شأن العلم ، ثم هى فى النهاية القوة العسكرية التى ترهب عدو الله وعدو الاسلام .

يقول الله تعالى : « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** » (الأنفال / ٦٠) .

٢ ـ حتمية الجهاد

إن القتال والتدافع سنة الحياة منذ خلق الله الأرض ومن عليها ، وسيظل الأمر كذلك إلى أن تقوم الساعة ، وهذه الظاهرة حقيقة اجتماعية وتاريخية لا سبيل إلى إنكارها ، بل إن الله تعالى جعل فيها عمار الأرض واستمرار الحياة ، إذ يقول سبحانه : « وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة / ٢٥١) . ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة »[١] .

يقول ابن خلدون فى مقدمته : « إن الحرب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله » .

ورغم ما يتردد من دعوات للسلم ونزع السلاح وما إليها فإننا نجد الدول ، كبيرها وصغيرها ، شرقيها وغربيها ، تكرس جزءا كبيرا من ميزانياتها لأغراض الاعداد للحرب ، بل إن القوة العسكرية وإدارة الصراعات المسلحة فى انحاء العالم ما فتئت تؤدى دورا كبيرا فى تحقيق أهداف السياسة الخارجية للدول ، وبصفة خاصة لدى الدول الكبرى .

٣ ـ فرضية الجهاد

تحدث فقهاء المسلمين وأفاضوا فى الجهاد ، فما من كتاب فقه إلا ويذخر بشروح حول هذا الموضوع وخلاصة ما قيل : إن الجهاد فرض كفاية ، إلا إذا هوجمت دار الاسلام (الدولة الاسلامية بالتعبير الحديث) فإنه يصير فرض عين على كل مسلم .

وإذا كان أمر الله صريحا فى إعداد القوة قدر المستطاع استعدادا لقتال العدو ، فإن على الدولة الاسلامية أن تعمل كل ما شأنه أن يكون لها قوة ذاتية تخشى جانبها ، وأن تكون دولة قوية متكاملة البناء الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والعسكرى ، لا تعتمد إلا على سواعد أبنائها ، وعلى إمكاناتها . فإذا ما تم لها ذلك فإن على أعداء الدولة الاسلامية أن يفكروا مرات ومرات قبل الاقدام على الاعتداء عليها ، أو الوقوف فى وجه دعوة الحق وارتفاع كلمة الله ، فتقل فرص قيام الحرب وسفك الدماء .

٤ ـ العلاقة بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول

حتى يمكننا الوقوف على حقيقة الجهاد كما نراها ـ والله أعلم ـ فإن علينا أن نستعرض نظرة القرآن الكريم إلى الجهاد ، كما تبدو لنا :

أ ـ لا يكون الجهاد إلا لتحقيق غاية مشروعة ، فهو فى سبيل الله ، وليس لفرض سلطة أو لتقوية سلطان أو للاعتداء على أحد ، يقول الله تعالى : « وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ

[١] رواه أبو داود

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (البقرة / ١٩٠) .

ب ـ الاسلام ، وهو عقيدة الدولة الاسلامية ، دين قوة ، لا يدعو إلى الاستسلام والتخاذل ، بل إلى اليقظة والاستعداد ، ويوضح لنا أن ترك الجهاد سوف يؤدى بالضرورة إلى انهيار المجتمع الاسلامى من الداخل ومن الخارج . يقول الله تعالى : « وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحج / ٤٠) .

ويقول رسول الله ﷺ : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » ، ويقول ﷺ : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعين ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » (زاد المعاد جـ ٢ ، ص ٥٨) .

هذا فضلا عن أن ترك الاستعداد المستمر للجهاد يعد مخالفة صريحة لمبدأ عام فى الاسلام مؤداه أن « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » .

ولا نقصد من هذا أن الاسلام أمر بالقضاء على كل أعدائه ، أو على إكراههم والاستيلاء على أراضيهم بالقهر لأن هذا لا يتمشى مع قول الله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »[1] (يونس / ٩٩) ، لكن ما قصدنا هو أن تمتلك الدولة الاسلامية قوة الردع التى تمنع العدو من العدوان ، وألا تدع المبادأة وزمام الأمور في يد غيرها .

جـ ـ إن الدعوة الاسلامية ، وهى فرض إسلامى ، بلا خلاف ، تحتاج إلى قوة تساندها وتؤازرها وتردع من يتعرض لها بسوء ، أو يكره المسلمين فى خارج الدولة الاسلامية أو يحرمهم التمتع بحرية العقيدة وممارستها يقول الله تعالى : « وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا » (النساء / ٧٥) .

د ـ إن الدولة الاسلامية مأمورة بقبول إذا عرض العدو ذلك واحترم العهود والمعاهدات ودليل ذلك قوله تعالى :

« فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا » (النساء / ٩٠)

[١] يكاد يقع الاجماع على وجوب الجهاد فى حالين :
أ ـ أن يطأ العدو أرضا مسلمة .
ب ـ أن يصدقوم الدعوة أن تصل إلى الناس بالنفس .

« وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (الأنفال / ٦١) .

هـ - إن العلاقة بين الدول الاسلامية وغيرها من الأمم أساسها حسن الجوار وحسن التعامل بشرط التزام هذه الأمم بعدم القتال وعدم التعرض لدين الله كما يقول الله

تعالى : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

فالجهاد بشقيه السلبى (الاستعداد واتخاذ أسباب القوة) ، والايجابى بمدافعة العدو ، هو وسيلة الدولة الاسلامية لحماية أمنها الخارجى وتأمين نشر الدعوة الاسلامية ، وصيانة الكرامة والحريات ، وتأمين الحدود والمجتمع . فالحرب هنا حرب دفاعية ، المبادرة فيها ضرب من الدفاع والاستعداد المستمر فيها وسيلة منع وقوع الحرب وإقرار السلام .

ذلك وللجهاد فى الاسلام أسس ومبادىء وآداب لن يتسع المقام لسردها وتوضيحها ، وسنفرد لها بإذن الله مقالا خاصا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الاهرام - شارع جلاء - القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

* باقى دول العالم

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الاهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

وأبونا شيخ كبير

عن سلمة بن سعد أنه وفد إلى رسول الله « ﷺ » هو وجماعة من أهل بيته وولده ، فاستأذنوا عليه فدخلوا فقال : « من هؤلاء ؟ » قيل له : هذا وفد عنزة فقال : « بخ بخ بخ » نِعْمَ الحيُّ عنَزَة مَبْغِيٌّ عليهم منصورون ، مرحبا بقوم شعيب وَأَختَانِ موسي .. الحديث «١» .

قدم لنا الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء هدية فى شهر صفر سنة ١٤٠٧ هـ من مصنفات الإمام جلال الدين السيوطى ٨٤٩ ـ ٩١١ هـ وهى :

« تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء »

والحق أقول : إن هذا الكتيب يعد بمثابة وجبة شهية لمن أراد أن يتذوق طعم الأدب مع أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فيتذوق طعم الإيمان وحلاوته ، ويتشرب قيم الإسلام وأصالته ، ويلبس تاج الإحسان وحلته .

وقد عرض الجلال السيوطى ، رحمه الله تعالى ـ نماذج رائعة لأساليب الأدب مع رسل الله المختارين لأداء الرسالات ، وتبليغ الأمانات وكيفية توقيرهم وتعزيرهم ونصرتهم واتباع النور الذى أنزل معهم ، كما نعى على أولئك السفهاء الذين لا يحسنون الحديث عنهم حيث يطلقون ألسنتهم فى كثير من الأمور بما يوجب سفك دمائهم ولا يعلمون عاقبة أمرهم .

وفى ثنايا روائع الكتاب ودوره وقعت عينى على عبارة فى تحقيق هذا الكتيب والتعليق عليه تفيد أن نبى الله موسي لم يعاصر شعيبا على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ولم ير أحدهما الآخر .

ورحت أتحسس حادث السقيا من ماء مدين فى سورة القصص وتساءلت ؟

«١» المعجم الكبير للطبرانى جـ ٧ صـ ٥٥ ترجمة سلمة بن سعد العنزى ، وكذلك رواه حنظلة بن نعيم ، رواه أبو يعلى فى الكبير والبزاربنحوه باختصار عنه ، وأحد اسنادى أبى يعلى رجاله ثقات كلهم . مجمع الزوائد جـ ١٠ فى باب عنزة صـ ٥١ عن سلمة ابن سعد العنزى

للأستاذ عبد الفتاح أبو سنه

فمن يا ترى هذا الذى دعا نبى الله موسى إلى دار ضيافته ، وأجلسه على مائدة كرمه ، وزوجه من ابنته ؟

وذهبت أجرى وراء كتب التفسير والحديث والتاريخ وغيرها من المراجع فرأيت أبا عبد الله القرطبى يقول فى سورة القصص ص ٤٩٨٦ ط الشعب :

وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ كذا فى سورة الأعراف ، وفى سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ . الآية قال قتادة : بعث الله تعالى شعيبا إلى أصحاب الأيكة ، وأصحاب مدين أ هـ تفسير القرطبى .

قلت : ومدين صاحبة الأيكة وهو الشجر الملتف الكثير .

وبين ثنايا البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي عند قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ قال : قال عمر بن الخطاب : قد سترت وجهها بكم درعها .

والجمهور على أن الداعى أباهما هو شعيب عليه السلام وهما ابنتاه ،

وقال الحسن : هو ابن أخى شعيب واسمه مروان .

وقال أبو عبيدة : هارون ، وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب ، وقيل : كان عمهما صاحب الغنم وهو المزوّج ، عبرت الإبنة عنه بالأب إذ كان بمثابته أهـ تفسير البحر المحيط جـ ٧ صـ ١١٤ مطبعة دار الفكر .

وبين سطور « روح المعانى » لخاتمة المحققين وعمدة الموقعين أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى قرأت : وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال : بلغنى أن أبا الامرأتين ابن أخى شعيب واسمه رعاويل ، وقد أخبرنى من أصدق أن اسمه فى الكتاب « يثرون » كاهن مدين ، والكاهن حبر .

وحكى الطبرسى عن بعضهم أن يثرون اسم شعيب لأن شعيبا اسم عربى ، وقد أخبرنى بعض أهل الكتاب بذلك أيضا إلا أنه قال « يثرو » بدون نون فى آخره قال العلامة الألوسي : وأنت تعلم أن هذا وأمثاله مما تقدم مما لا يقال من قبل الرأى ، وكأنى بك . تعول على المشهور الذى عليه أكثر المفسرين وهو أن أباهما على الحقيقة شعيب عليه السلام إلى أن يظهر لك ما يوجب العدول عنه أ هـ تفسير الألوسي جـ ٢٠ ص ٥٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ طبعة المطبعة المنيرية .

قلت : ولم يظهر لى ما يوجب العدول عنه ، فإن صاحب قصص الأنبياء الشيخ

وأبونا شيخ كبير

عبد الوهاب النجار رحمه الله هو الذى تبنى هذا الرأى وتولى بجهده المشكور تبرئة شعيب من صحبة موسي عليهما السلام حتى قال :

﴿ ولقد راودت نفسي على أن أقول إن الشيخ الكبير هو شعيب النبى عليه الصلاة والسلام ﴾ فتمثل لى شيخ المعرة يقول :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى
إنى أخاف عليكموا أن تلتقوا .

وخشيت أن يلقانى شعيب عليه الصلاة والسلام فى عرصات القيامة فيلببنى إلى الله عز وجل ويقول : أى ربى سل عبدك هذا لم جعلنى صاحب موسى الذى استأجره ، ولم أكن صاحبه ولا وجدت فى زمنه ؟

وما علم استاذ التاريخ الاسلامى أن الأنبياء والرسل يتمنون صحبة من هو أجل قدرا ، وأعظم أثرا عند الله والناس فهاهو الحق تبارك وتعالى يأخذ العهد على النبيين أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وبنصرته إن هم أدركوه ثم يشهدهم ويشهد معهم **﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾. الآية ، وها هو موسي يتمنى أن يكون واحداً من أمة أحمد التى قرأ عنها فى ألواحه التى نزلت عليه فيقول له الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾** فلا غرو أن يتمنى شعيب صحبة موسى كما تمنى موسى صحبة نبينا محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، لا أن يمسك بتلابيب الشيخ النجار فى عرصات القيامة ليبرأ من صحبة موسى عليه السلام .

ثم ذكر رحمه الله صيغا أوردها ودلل على أنها لا تفيد الجزم القاطع بأن صاحب موسى هو شعيب عليه السلام مثل : **﴿ يقولون ﴾ ﴿ بلغنى ﴾** والحقيقة كما تراها فى هذا البحث أن هذه الصيغ قد وردت فى غير شعيب لا فى شعيب نفسه ، وأن جمهور المفسرين على أنه نبى الله شعيب .

وأما شكه فى قبر شعيب فأطمئنه فى قبره وقد عرف الحقيقة فى دار الحق قائلاً : إن معالم قبور سائر الأنبياء قد درست ، ولم يبق منها إلا قبر سيد الأولين والآخرين ليكون معجزة تنضم إلى معجزاته ﷺ حيا وميتا ، وليظل قبره الشريف مناراً هاديا ودليلا كافيا على أنه ﷺ خاتم النبوات ومتمم الرسالات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وهذا هو قصص القرآن لمجموعة من أفاضل العلماء وكبار المحققين على رأسهم محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ابراهيم يقولون : يرى الحسن البصرى ومالك ابن أنس أن الشيخ هو شعيب عليه السلام وناهيك بهذين التابعين الجليلين ، ولست بحاجة أيها القارىء الكريم إلى التعريف بهما فهما ممن قال رسول الله ﷺ فى أمثالهما **﴿ رب مبلغ أوعى من سامع ﴾** .

وبانتقالى إلى قسم المخطوطات بمكتبه الأزهر عثرت على مخطوطة نادرة للعلامة الكسائى النحوى باسم « قصص الأنبياء «

فنقلت منها ما نصه : ﴿ **فلما عزم موسى على الخروج من مدين** ﴾ قال : فبكى شعيب بكاء شديدا وقال : لأنك يا موسى مبارك عليّ وكيف تخرج بابنتى ، وأنا قد ضعفت فلا تضيعنى مع كبر سنى .. الخ القصة ، أ هـ مخطوطة قصص الأنبياء للعلامة الكسائى ورقات ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ . قلت : والمخطوط بخط الشيخ موسى أبو الذهب الذى فرغ من كتابتها يوم الجمعة المبارك شهر صفر سنة ١٢٧٠ أ هـ .

وأما ما أورده المعلق على كتاب « تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء فهذا نصه : ﴿ **كان شعيب مرسلا فى الفترة بين القرن الثامن عشر والخامس عشر من قبل الميلاد أقرب إلى لوط ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾** وكان موسى فى القرن الخامس عشر على نبينا وعليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

أقول : إن ما ذكر فى المجلة بعيد كل البعد عن أصول التحقيق والتدقيق خاصة إذا كان الرأى مخالفا لما عليه جمهور المفسرين والعلماء ، وكان الأحرى بالمحقق أن يذكر المصادر التى استقى منها هذه المعلومة حتى لا يترك القراء فى حيرة من أمرهم . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الدليل التاريخى الذى أورده يعد حجة عليه وليس دليلا له . فقد اعترف بأن شعيبا أرسل ما بين القرن الثامن عشر والخامس عشر قبل الميلاد ، وبعث موسى الكليم فى القرن الخامس عشر وفى هذا الكلام ما يدل على أن موسى الشاب قد التقى بشعيب الشيخ الكبير قلت : وقد ذهب موسى إليه قبل البعثة وهذا آكد فى التقائه به ولايخفى على عالمنا الجليل أن الأمم السابقة كانت أطول أعمارا وأكثر أعمالا ، أما هذه الأمة المحمدية فإنها أقصر أعمارا وأضعف أجساداً ، فعوضهم الله كرامة لنبيهم ببعض الليالى والأيام الفاضلة :

﴿ **فالصلوات خمس والأجر خمسون وشهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وليلة القدر خير من ألف شهر ، وغير ذلك من نفحات الرحمن** . **هذا والنقد البناء يقيم الصرح الشامخ ، ويرأب صدعه ، فهو بمثابة لبنة أو حجر زاوية يتعجب الناس من البناء ويقولون : لو وضعت اللبنة مكانها لا نسدت الفرجة الظاهرة ، وبدأ البناء بكامل هيئته والكمال لله ورسوله والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .**

ونعم النقد الكريم

حرصت مجلة الأزهر على نشر هذا المقال تلبية لواجب النقد وحرصاً على الفائدة ونسأل الله ـ سبحانه ـ أن يلهمنا الصواب والحرص على العلم الصحيح ، والسعى له والرضا بنتائجه .

ثم نشكر للكاتب الكريم بسطه للموضوع بأكثر مما تناوله تعليق التحرير بالمجلة ، وقد أورد سيادته حديثاً شريفاً زادنا وجوده استمساكا بما ذهبنا إليه ، فإن الحديث الشريف هو من « إثبات العام » الذى لا يقتضى « إثبات الخاص » فلو أن إنساناً أشار إلى شىء فقال ـ وهو صادق : « هذا ورق » لا يقتضى كلامه أن ما أشار إليه « كتاب » ولكنه إذا أشار إليه ـ صادقاً ـ وقال : « هذا كتاب » لاقتضى كلامه أنه من ورق ، كذا لأن إثبات الأخص يثبت الأعم ضرورة وليس العكس .

والحديث الشريف من إثبات الأعم ـ إذ يقول ـ عليه الصلاة والسلام :

مرحبا بقوم شعيب . وأختان موسى

نعم فالوفد من مدين التى كان منها شعيب ، وليس الوافدون معاصرين لشعيب ـ عليه السلام ـ بداهة

وقوله ـ عليه الصلاة والسلام : « وأختان موسى » هى من إثبات الأعم أيضاً فإن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ تزوج من مدين ، فهم اختانه على العموم ، كما نقول نحن :

المصريون أخوال إسماعيل بن إبراهيم ، وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

ولقد بسط الكاتب فى شخصية حمى موسى بما دلنا على أنه لا إجماع بين جمهور المفسرين على أن شعيبا هو حمو موسى ، فالحسن يراه ابن أخى شعيب ، واسمه مروان أو هارون عند أبى عبيدة ، وقيل : هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب ، وقيل : كان عمهما ... الخ

وهذه الاحتمالات ـ فى ذاتها ـ كافية للأخذ بالأحوط وبيان أن ظاهر الآيات لا يعطى الدليل على أن شعيبا حمو موسى ، ولو أن فى الأمر حديثاً صحيحاً فيه النص على ذلك لما تردد أحد فى الأخذ به .

فأما الأستاذ النجار ـ رحمه الله ـ فمؤرخ أعطى دراسته ، ومن حق كل باحث

متخصص أن يعقبه بالمزيد .... وإنما لنا دراستنا الخاصة عن شعيب ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام [1] .

لذا نتساءل ونرجو أن نحاط علما :

هذه الفترة التى التقى فيها موسى بشعيب ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاه والسلام ـ

أكانت قبل أن يبعث شعيب فى أهل مدين ؟

أم كانت بعد البعثة وقبل أن يحل بهم العذاب ؟ أى أثناء الدعوة ؟

أم بعد أن حل بهم العذاب ؟

ونحن ـ على كل أمر من الثلاثة ـ نرجو ـ مخلصين ـ أن نشق طريقنا بقلب سليم ورغبة مخلصة فى طلب الحق :

إن الكتاب العزيز يقرر ـ فى حمى موسى ـ أنه « شيخ كبير » والحال كما قرأنا أنه يعجز عن أداء عمل ضرورى فوكله إلى ابنتيه ، وما أسرع طلبه للاستقرار وتأمين مصادر الحياة لأسرته فزوج موسى ـ عليه السلام ـ بابنته .

ولا جدال إطلاقاً أن ذلك كله تم فى مرحلة متقدمة من عمر هذا الشيخ النبيل .. وذلك يدفع إلى ترجيح أن هذا اللقاء كان بعد أداء الرسالة لو أنه كان شعيبا ـ عليه السلام .

وهذا محال :

فمن المعلوم ضرورة أن من سنن الأنبياء ألاّ يعودوا إلى الإقامة فى مواطن العذاب التى تَوَلَّوْا عنها وليس من نبى خرج من قريته ثم أهلكها الله فعاد لها بعدئذ ، وشعيب تلقى أمر ربه بالتَّوَلِّ عن تلك القرية . قال تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ . فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ الأعراف ٩١ ـــ ٩٣

فلعل موسى أقام معه قبل أن يبعث ... وهو محال أيضاً وأمر ذلك ظاهر فإنه شيخ كبير .

أم بعد نزول العذاب .. ولن يكون شعيبا بحال ؛ فشعيب ترك مدين ورحل عنها .

أليس الأسلم أمام ذلك كله .. وأمام ما ساق الكاتب من أدلة محتملة أن نقول :

إن لقاء موسى لشعيب لم يتم ، وأنه لو كان كذلك لكنا فى حاجة إلى دليل من المعصوم صلى الله وسلم وبارك عليه .؟!

د . على أحمد الخطيب

---

١ ـ راجع وثنية العرب وأثرها فى الأدب الجاهلى ـ مكتبة كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

الفتاوى

س : من السيد / خ - سعد . الزمالك

هل يجوز للرجل أن يتزوج من بنت أخت زوجته المتوفاة ؟

ج : لا مانع من زواج الرجل من بنت أخت زوجته بعد وفاة الزوجة وانقضاء عدتها شرعا وهى أربعة أشهر وعشرة أيام .

س : من الآنسة / ف . ع . إسماعيل مصر الجديدة

فتاة متخرجة من الجامعة تريد الزواج من شخص مقتنعة به ووالدها يعارض هذا الزواج . فهل يصح لها أن تتزوج بغير إذنه ؟

ج : للفتاة البالغة العاقلة أن تزوج نفسها بدون ولى - وذلك على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه - وهو ما أخذ به القانون فى الأحوال الشخصية فى مصر .

س : من السيد / م . أ . إبراهيم . منشية ناصر .

ما حكم تربية الخنازير وبيعها ؟

ج : قال الله تعالى فى كتابه : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ » ويقول : « قُل لَّآ أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ » .

وبذلك فلحم الخنزير يحرم على المسلم أكله ، وما حرم أكله يحرم على المسلم أن يربيه وأن يتاجر فيه حتى ولو كان يبيعه لغير المسلم .

س : من السيدة / ت . ج . على . الشرابية .

طلقنى زوجى ثلاث مرات متفرقات بقوله لى : أنت طالق - رسميا - فما الحكم ؟

ج : بطلاقك من زوجك ثلاث مرات متفرقات - رسميا - أصبحت مطلقة منه طلاقا بائنا بينونة كبرى ، لا تحلين له حتى تنكحى زوجا غيره ويدخل بك دخولا حقيقيا أى يعاشرك معاشرة الأزواج ، فإذا طلقك أو مات عنك وانقضت عدتك منه جاز لك أن ترجعى إلى الأول بعقد ومهر جديدين وبرضاك وحضور شاهدين فإذا لم يدخل الزوج الثانى بك ولم يعاشرك معاشرة الأزواج حرم الزواج بين الزوجة والزوج الأول .

س : من السيد / م . م . سليمان . المنوفية .

حلفت على زوجتى وعلى بنتى بقولى لابنتى : « على الطلاق ما أنا داخل بيتك بعد زواجك ولو دخلت البيت ده تكون

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

أمك محرمة علىّ » نظرا للألفاظ التى قالتها لى ابنتى فما الحكم ؟

ج : هذا يمين يلزمك إذا حنثت فيه بأن دخلت البيت كفارة يمين وهى « إطعام عشرة مساكين » .

س : من السيد / ع . أ . البكرى من طنطا .

توفى الجد عن ـ ابنى ابن ـ أخوة أشقاء ـ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لابنى الابن تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى ، ولا شىء للأخوة الأشقاء لحجبهم بالفرع الوارث .

س : من السيد خ . م . الطوخى من بنها .

توفى رجل عن : أم . ست أخوات شقيقات ـ أخ لأب . فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : للأم السدس فرضا لوجود عدد من الأخوات ، والثلثان للشقيقات الست فرضا لعدم من يعصبهن أو يحجبهن يقسم بينهم بالتساوى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا .

س : مْن السيد / ح . مبروك . بنى سويف .

ج : توفى رجل عن أولاد عم شقيق ذكور فقط . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لأبناء العم الشقيق الذكور تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى .

س : من السيد / ر . رياض . المنصورة

توفى رجل عن : أم أخ شقيق فقط .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم الثلث فرضا لعدم وجود الفرع الوارث أو عدد من الأخوة والأخوات : والباقى للأخ الشقيق تعصيبا .

س : من السيد / ف . عبد الرءوف . المنيا .

توفى عن : أم . أخت شقيقة . أخت لأب .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم السدس فرضاً لوجود عدد من الأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا ، لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، وللأخت لأب السدس تكملة للثلثين ..

والباقى يرد على الأم والأخت الشقيقة والأخت لأب بنسبة فروضهن لعدم وجود أحد من العصبة .

والله أعلم ...

« عبد الحميد السيد شاهين »

ظاهرة غير سوية
يجب القضاء عليها [1]

■ يشدنى إلى الكتابة فيما سأقدمه الآن أمر له خطورته ، وهو أن بعض الباحثين فى مجال الفكر الإسلامي يتحدث عن « الفلسفة الإسلامية » وكأنها قد أصبحت بديلة للنصوص المنزلة قرآناً وسنة .

يقول أحدهم : وهو من الباحثين الشباب ، في مقدمة كتاب له ظهر أخيراً بعنوان « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » ما يلي :

« إذن فالفلسفة الإسلامية ليست لوناً من الترف العقلي ، أو المماحكات الجدلية عديمة الفائدة ، وإنما هي ـ فى رأينا ـ ضرورة فكرية عقائدية ، واتجاه علمى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع العملي ، ونموذج أخلاقي يمتزج بحياة الإنسان اليومية » .

كما يقول بعد قليل في نفس المقدمة :

إن الفلسفة الإسلامية **طاقة مبدعة** بامكانها أن **توجه حركة** المجتمع الإسلامى وأن تبين له أفضل المناهج الممكنة » .

ولم يرد طوال الكتاب ما يكشف عن تقرير الباحث للنصوص المنزلة : قرآناً وسنة ، على أنها هى التى تهيىء الأذهان ، وتوجه النفوس أصلاً من خلال تدبر آي الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة .

ومن الواضح أن النص الأول المذكور أعلاه قد جعل « الفلسفة الإسلامية التى قال عنها صاحب هذه الكلمات ، من بعد فى النص الثانى إنها « طاقة مبدعة » أي أنها من صيغ عقل إنساني ، أقول جعلها النص الأول ، ليس فقط ضرورة فكرية ، بل أيضاً ، كما صرح بذلك : « ضرورة عقائدية » .

وهذا تصريح له خطورته من الناحيتين : العقائدية والعلمية ، أما من الناحية العقائدية : فأصول العقيدة تستمد من النصوص المنزلة ، وليس من قول مفكر مسلم ، وأما من الناحية العلمية : فالعلوم الدينية من « فقه » و « أصول فقه » و « تفسير » و « علوم حديث » .. الخ ، تقوم كلها فى أصلها على النص المنزل ، فكيف تكون « الفلسفة الإسلامية » « ضرورة فكرية عقائدية » لها « قوة الإبداع » والتكوين ، إذا كان الباحث قد أسقط تماماً من حسبانه النصوص المنزلة ، ولفت الأنظار فقط إلى الإبداع الفكري الإنسانى دون تقدير لأثر النصوص المنزلة فى مجال صقل الذهن ، وتهذيب النفس وضبط الجوارح .. الخ أي ضبط جوانب العقيدة .

---

١ ـ نشر هذا المقال بصحيفة الأهرام الدولى العدد ٣٦٤٤١

أ. د. فوقية حسين محمود

إن المفكر المسلم يسترشد من حيث النظر ، ومن حيث العمل في حياته اليومية ، وفي جميع جوانبها بنصوص الله عز وعلا ، تلك النصوص التى أعطت له فرصة الاجتهاد ، وهو اجتهاد فى حدود مقدور عقله ، أما ما يفوق مستوى عقله ، العقل البشري ، أقصد عالم الغيب ، وبعض جوانب الحياة اليومية من عالم الشهادة ، خاصة ما يتعلق منها بالإرث .. وغيره من المسائل التى يحتاج فيها الإنسان إلى حسم واضح ، لتستقيم معيشته ، فمن نعم الله على الإنسان ، أنها كلها نصية ، وما يرد فيه نص فلا اجتهاد فيه ، فأصبح عمل الذهن على « قدَّ » الأمور التى لم يرد فيها نص وهي كثيرة ، والجهد بصددها كبير .

فاعتبار « الفلسفة الإسلامية » ضرورة عقائدية كما قال المؤلف **أمر مرفوض تماماً** ، ليس فقط من حيث العقيدة ، بل من حيث العلم أيضاً ، فالعلم الحقيقي يكون في تقديرى أن النصوص المنزلة : قرآناً وسنة هى الأصل في العقيدة وفى العلم ، وأن الفلسفة الإسلامية علم جزئي من بين العلوم التى يمكن أن تترتب على النصوص المنزلة ، فصاحب كتاب « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » الذى بمقدمته هذه النصوص والذى يحوى فصولاً بها كثير من الشوائب ، تكشف عن حقيقته ، وهي أنه ليس من أصحاب الصقل الفكري الإسلامي القويم ، أي أنه ليس لديه تكوين سليم في العلوم الإسلامية ، ذلك التكوين الذى يجب أن يكون مع أهل الاختصاص من **رجال اللغة العربية والعلوم الدينية** ، ومما يؤكد ذلك أنه دعا فى كتابه هذا إلى أن تكون الصحوة في مجال الفكر الإسلامي **على أيدي أهل الفلسفة** ، ولم يشر إطلاقاً إلى رجال الدين من متخصصين في الفقه وأصوله ، وأصول الدين والتفسير والحديث .: الخ ، وفي هذه الدعوة بتر للأصول الأصيلة ، وهو ما يخرج الباحث عن الوقفة العلمية الصحيحة في مجال الفكر الإسلامي ، وحديثه في الفصل الأول من كتابه ، عن مجالات الفلسفة الإسلامية يؤكد هذا الموقف المبتور ، لأنه يدخل جميع العلوم الدينية من فقه وأصول فقه .. الخ ، تحت لواء الفلسفة ، وكان ما سماه بفلسفة إسلامية هو الأم ، والمفروض أن يصرح بأن القرآن والسنة هما الأصل الذى نمت حوله هذه العلوم بل لا نجد في كتاباته تقديراً للنص المنزل ـ كما أشرنا ـ ونلاحظ أنه يستشهد بكلام للشيخ مصطفى عبد الرازق في هذا المقام ، ناسياً أن الشيخ مصطفى **قد جعل القرآن والسنة ، هما الأصل** وأنه لم يقبل أن يضع علم الكلام ضمن كتابه « في التمهيد لتاريخ الفلسفة » وإنما جعله **في صَميمه** للكتاب ، أي وضعه بصفة منفصلة عنه تقديراً منه لعلو قدر العلوم الدينية على مستوى الفلسفة ، ذلك العلم الجزئى الذى هو من نتاج اجتهاد العقل الإنساني ، كما نراه فى مجالات الفلسفة يتحدث عن علم

« أصول الدين » ويدعو بخصوصه لمواصلة البحث فى « الفرق فقط دون شرح الأصول » أي أصول العقيدة ، وكما أنه فى موضع آخر من الكتاب يتحدث عن المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة ، فإذا به يجعل المشكلات الحقيقية هى تلك التى تتعلق بالحكم ، والزائفة ، أي التى لا يهتم بها الجماهير هى تلك التى تتعلق بالدفاع عن العقيدة ، علماً بأن ما يتعلق بمشكلات الحكم كان قد استقر أمره لإقرار الفقهاء له وإقرار الفقهاء لأمر من الأمور ينهى المشكلة ، لأنهم يقرونه عن إجماع يهدفون منه الى اكتساب مرضاة الله عز وجل ، وليس لإرضاء المخلوق ، فهم يراعون مقتضيات تطبيق النصوص المنزلة ، ومن بين مقتضيات الاجتهاد دراسة ظروف الواقع ومعرفة تطوراته ، واختيار ما يرون أنه يناسب الجزئية التى لم يرد فيها نص .

فكيف والأمر كذلك فسقط شرح أصول العقيدة من كتاب يحمل عنوان « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » وأكثر من هذا كيف يكون كتاب هذا عنوانه يخلو من تقدير النصوص المنزلة ؟ ومن الاستشهادبها ؟

إن هذا الكتاب أدعى أن يحمل عنوان : « مدخل لدراسة حركة الاستشراق » خاصة وأنه تخطيط لكيفية تناول الفكر الإسلامي فى المستقبل القريب بأسلوب يقضى على أصالة هذا الفكر ، ويغفل أصول العقيدة .

إن هذا الكتاب ' ظاهرة ، هي نتاج تعرف صاحبه على فكر أهل الاستشراق فقط ، دون أهل العلم من المتخصصين في العلوم الدينية والواجب أن ندرس العلوم الدينية على حقيقيتها ثم نثنى بدراسة المهتمين بالدراسات الإسلامية من المستشرقين وغيرهم لأن المعيار الصحيح لضبط الرأي فى مجال هذه الدراسات هو في العلوم الدينية الأصيلة .

فمثل هذا الكتاب ظاهرة غير سوية ، يجب القضاء عليها .

ومن الظواهر الأخرى المؤسفة التى تتفشى فى مجال الدراسات الإسلامية **ظاهرة التساهل فى تكوين الباحث** العلمى في مجال هذه الدراسات . وهذا التساهل له عدة مظاهر .. منها :

تفضيل الاتجاه **إلى الأبحاث القصيرة** التى تسقط من حسبانها فصولاً ، ليست تكراراً لأي معلومات سابقة **وإنما تفضيلاً مجدياً لبعض** مسائل البحث تضفى إذا ما بقيت سمات التكامل على أبعاد الموضوع خاصة وأن البحث العلمي له متطلبات وأصول لابد من استيفائها ، وإلا كان العمل دون المستوى ـ ومنها ، أي من مظاهر التساهل المخل في مجال الدراسات الإسلامية ، **إغفال** معرفة القرآن وعلومه وعلوم الحديث وجميع العلوم التى ظهرت حول القرآن والسنة ، وأيضاً معرفة كيفية تحقيق نصوص هذا التراث وكيفية إجرائه وإخراجه ووضع الفهارس للآيات والأحاديث والآثار وقبل كل شىء حصر الدراسات السابقة فى الموضوع ، لإبراز الجديد في البحث .

وياحبذا لو أقلع منظمو المقررات عن وضع علمى أصول الفقه وأصول الدين تحت لواء الفلسفة ـ وفعلوا ما يمليه الأمر بجامعة الأزهر الشريف ليتضح للدارسين الجدد أن الفلسفة لا يمكن أن تحل محل النصوص المنزلة به .

من أعلام الأزهر

الحسيني هاشم

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

« ألسنة الخلق أقلام الحق »

هذا القول المأثور المشهور لا ينطبق على أحد كما ينطبق على فقيد الأزهر والإسلام الدكتور الحسيني هاشم ، فقد كان من أحب الناس إلى الناس ، ينتظرون قدومه ، ويتهللون لرؤيته ، ويفرحون بوجوده بينهم ، وما جلست مجلساً ، ولا اشتركت في ندوة ، ولا تحدثت مع أحد ممن يحبون الأزهر وشيوخه إلا ذكر الحسيني هاشم بالتجلة والإكرام ، والثناء عليه بالخير وجميل المسلك ، وحسن الصنيع .

ومعروف أن الوظائف والتطلع إلى المناصب مما يدفع الناس ومنهم الأخيار والأطهار إلى التنافس والتدافع ليأخذ كل ما يرومه وقد يكون المتنافس ذا حق واضح ولكنه لا يسلم من القيل والقال إلا فقيدنا العزيز « الحسيني هاشم » فلم أسمع يوماً حديثاً حول مناصبه التى تولاها ، ولا سمعت منه أو عنه شكوى من تخطيه أو إيثار غيره عليه ، فكل أموره تجري رخاء حيث تمضى به سنن الترقي ، وترتيب المناصب .

وكثير ممن يلون المناصب العلمية ويقومون بالتدريس والإشراف ينالهم من تلاميذهم وطلابهم ، ومريديهم شيء من النقد غير الواعي أو النقد الواعي ، ولكني التقيت بطلاب كثيرين رأوا في الحسيني هاشم أبا حانياً ومربياً فاضلا بإزاء العلم الغزير والحرص على إفادة الطلاب ، فإذا قلنا : إنه كان محط الأنظار حيثما يرحل أو يحل فلا نعدو الحقيقة والحقيقة الناصعة التى لا تحتاج إلى برهان .

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

ولنا أن نرجع كل ذلك إلى بيئة الأسرة وإلى صنع الأزهر في بعض أبنائه وإلى رعاية الله لمن ارتضاه ليكون قدوة ونموذجاً بشرياً يحمى النفوس من الانزلاق في دواعي الفتنة ومهاوي الغواية .

جهود الحسيني هاشم في خدمة الدين والثقافة الاسلامية

ولد الحسيني هاشم في قرية « بني عامر » بمحافظة الشرقية من أسرة عريقة فهو سليل الدوحة النبوية الشريفة ، وأسرة - هذا شأنها - تعنى بأبنائها أبلغ العناية وتوجههم - حين التوجيه - إلى مكارم الأخلاق باتباع أوامر الدين الإسلامي الحنيف ، وتحببهم في حفظ القرآن وتعمل على تعليمهم التعليم الذي يتصل بالدين بأوثق الصلات .. وهو الأزهر الشريف .. وهكذا ربى الحسيني هاشم فحفظ القرآن ، وطلب العلم بالأزهر وكان له ذكاؤه وجده واجتهاده فبرز بين زملائه بشمائل تذكر له وفضائل تصونه ، وما زال الجد حليفه حتى نال « الدكتوراه » وتولى التدريس وانفتح المجال له ليصعد في سلم الوظائف ودرجات الترقي ، وهداه الله لبناء بيت كريم فتزوج كريمة صاحب الفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وهو الرجل الذي عرف بالورع والعلم والتصوف ، فتم للحسيني هاشم السكون والمودة في البيت ، والتجلة والمحبة في الأزهر بين طلابه وبين أترابه ورؤسائه ومرءوسيه .

في مارس سنة ١٩٢٥ ، ولد الحسيني هاشم في قرية بني عامر ، وفي ١٩ من سبتمبر ١٩٨٦ ، توفي بالقاهرة وشيعت جنازته في قريته حيث دفن في مقابر الأسرة فله من الله الرحمة ومنا والذكرى الدائمة جزاء ما قام به من أعمال ظاهرة في العلم والدين ، وكان آخر المناصب التي تولاها وظيفة وكيل الأزهر .

ما من شك في أن مجهوده بين طلابه يذكر ولا ينسى وكذلك تمثيله للأزهر ومصر في المؤتمرات الإسلامية ، وبحوثه فيها تحسب من رصيده في مجال الدعوة وخدمة العلم وتعديل السلوك في مصر وخارجها .

وأقف وقفة مقصودة لجهده في خدمة الكتاب والسنة ، ولقد اشتهر فضيلته بأنه محدث وله باع طويل في العمل بكتب السنة وفي مقدمتها كتاب البخاري ، ولكني أرى أنه بجانب تلك الميزة له اتجاهات أخرى تضعه في منزلة علماء الكلام والمفسرين والمؤرخين والخطباء ، وسأتحدث عن كل ما ذكرت وإن لم أستطع التفصيل في تلك العجالة فالايجاز يغني عن الاطناب والاشارة تؤدي ما تؤديه العبارة والمنشود إعطاء صورة في اطار لرجل فاضل تتحدث عنه المجتمعات ، بما يدعو إلى الفخر بتغلب الناحية الروحية على الناحية المادية فيه وهذا مطلب عزيز نذكره ولاننساه ، ونؤيده ونقف وراءه بكل ما نملك من قوة وجاه .

في ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ ، كانت هدية مجلة الأزهر « الوحي الإلهي » تأليف الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وهو كتاب طبع قبل ذلك ، ولكن المجلة أرادت أن ينتفع قراؤها بهذا التأليف النفيس ، وهذا الكتاب تعرض لأمور يجب على المسلم أن يعرفها فهي من مطلب عقيدته :

فمن موضوعات الكتاب الوحي والقرآن والكتاب ، تلقى الوحي من الملك ، في الجو

الملائكي نزل القرآن الكريم ، ظاهرة الوحي القرآني .

وتعرض الكتاب للفروق التي تميز وحي القرآن ، والأحاديث القدسية ، والأحاديث النبوية ، وفي آخر الكتاب كان العنوان « القـرآن والمستشرقـين » وقـد أشبـع الموضوعات شرحاً وتعليقاً في بيان لا يعوزه المنطق ولا الجمال ، ومما عرفته منه وسررت بحصولي عليه شرحه الواضح لوحي القرآن خاصة ، وفي سبيل ذلك تناول « الوحي الشرعي » في ضوء الآية الكريمة :

« **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** » **الشورى الآية ٥١**

ففي هذه الآية حالات للوحي مع الأنبياء جاءت في ثلاث صور ، الأولى وتكون بإلقاء الله المعنى في قلب نبيه يقظة أو مناماً مع جعله يشعر شعوراً كاملاً واضحاً بأن هذا المعنى من عند الله كما حدث لإبراهيم عليه السلام في منامه حين رأي الأمر بذبح ابنه فقال له كما جاء في القرآن الكريم : « يَا بُنَيَّ إِنِّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيَ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى » ؟

الصورة الثانية للوحي الشرعي أن يكلم الله نبيه من وراء حجاب مثل ما حصل لموسى عليه السلام حين ناداه ربه في ليلة باردة وهو مع أهله ، فمما قاله الله له : « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » .

الصورة الثالثة : أن يرسل الله ملكاً رسولاً وهو أمين سر الوحي جبريل عليه السلام وهو بتعبير القرآن « الروح الأمين » .

فبأي هذه الصور نزل القرآن الكريم ؟

يعقد الدكتور الحسيني هاشم فصلا عنوانه « الوحي القرآني » ليجيبنا عن هذا السؤال فيقول ما ملخصه : ونمضى مع خاتمة الصور وهي أن يرسل الله رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء وهى الطريق الوحيد إلى وحي القرآن بمعنى أن القرآن ليس له طريق غيره .

« **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ـ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ـ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** » . الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥ من سورة الشعراء .

وليس للروح الأمين دخل في الموحى به ، فليس له غير التبليغ المأمور به ، وليس لمحمد عمل فيه ، ويسمى القرآن الكتاب كما جاء في كثير من السور .

ولكن جبريل عليه السلام يتصل بالنبي

بحالات متنوعة فأيها يكون فيها نزول القرآن ؟

الدكتور الحسيني أورد في هذا ما رواه البخاري بإسناده المتصل عن عائشة رضى الله عنها في صحيحه أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قال .

ـ وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً » .

وقد بان لنا من إجابة النبي لسائله حالتان واضحتان :

الحالة الأولى : يأتيه ملك الوحي في صورة ملائكية وفي هذه الحالة تعترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة منشؤها تقريب الطبيعة البشرية إلى ملاءمة الطبيعة الملائكية والجو الملائكي ، إنها بتعبير ابن خلدون : « انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملائكية الروحانية » ، وفي هذه الحالة يحدث عند قدوم الملك صوت صلصلة مثل صلصلة الجرس تنبيهاً وإيذاناً بقدوم الوحي ، والحكمة في ذلك أن يتفرغ النبي تفرغاً تاماً لما يسمعه فلا يبقى فيه مكان لغيره ، ولا تكون الصلصة إلا مقدمة . وبعدها يلقى إليه الكلام بلسان عربي مبين .

يقول الدكتور الحسيني : ونجد في تعبير الرسول الدقيق .. « فيفصم عني وقد وعيت » ما يفيد أن الوعي حصل أثناء تلقيه ووجوده مع الملك وكان واعياً تماماً مدركاً حاضراً في أتم حالة الحضور .. وكان يتابع جبريل في كل حرف مردداً على لسانه الشريف ما سمعه من الوحي محركاً اللسان به قبل انقضاء الوحي خوف الضياع حتى طمأنه الله بأنه ضمن له حفظه وجمعه له في صدره . قال تعالى « **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** » . وأورد آيات أخر ، ويؤكد أن الأصوات ليست إلا للتنبيه لهذا الإفراغ والاستعداد .

الحالة الثانية : كما نص الحديث أن يتمثل الملك رجلاً فيكلم النبي عليه الصلاه والسلام ويعى ما يقول ، بتمثل الملك على صورة رجل وهي مغايرة للصورة الأولى ، لأن جبريل عليه السلام انتقل من الروحانية والملائكية إلى البشرية الجسمانية ، فيكون على صورة « دحية الكلبي » أو على صورة أعرابي ، ويراه الحاضرون ويسمعونه وهو يحدث النبي ولا يعرفون حقيقته ، وليس في هذه الحالة شدة ولا يثقل جسمه صلى الله عليه وسلم ولا يتصبب جبينه عرقاً ولا يشعر كأنه يقبض فهو أهونه عليه . وفي صحيح أبي عوانة : قال عليه الصلاة والسلام وهو أهونه ، على أنه وحي السنة ، أما وحي التزيل فقد ورد في الحديث الصحيح بالسند المتصل في

البقية صـ ٥١٠

العلوم الكونية

ماذا يأكل مرضى الكبد؟

هذه الأعشاب وهذه النباتات

ماذا يأكل مرضى الكبد؟

مرضى الكبد ليسوا مرضى بمرض واحد اسمه « الكبد » فأمراض الكبد متعددة متنوعة وما يوصف لمريض ـ من دواء ـ لنوع خاص من هذه الأمراض ـ قد يضر مريضا آخر ، لأنه يحمل نوعا من مرض الكبد مخالفا لما يحمله سابقه .. وكلاهما مريض بالكبد .

ولم يقل العلم الحديث كلمته النهائية بعد ـ فى غذاء ـ مرضى الكبد فقد كانت الاعتقادات السابقة المنتشرة بين الناس تشير إلى ضرورة تناول « العسل » وإلى ضرورة الابتعاد عن « الدهنيات » ، وقد أنكرها العلم منذ سنوات قليلة ، ثم عاد ليؤكدها أخيرا .

وكثيرا ما تكون المواد النشوية ضرورية لبعض أنواع أمراض الكبد ، وشرب العسل ـ الذى هو مادة سكرية قوية ـ قد يؤدى الاكثار منه إلى سوء الهضم والإسهال والمغص ، وفقدان الشهية لأيام عديدة ؛ بل قد يتسبب الاغراق فى شرب « العسل الأسود » فى كراهية المريض له ـ كما هى العادة ـ وقد ذكر لى أحد المرضى أنه يصاب بميل إلى القيىء عندما يذكر أمامه اسم « العسل » لكثرة ما أكل منه وشرب أثناء مرضه .

وقد كنا نسمح للمرضى بأكل المواد الدهنية ولا نمانع فيها مادامت شهية المريض تقبلها ، ولعله من العجيب حقا أن يعود الاعتقاد القديم فى تحريم الدهون على مرضى الكبد ليصبح « نظرية علمية » حديثة مازالت فى دور التجارب والمشاهدة حيث ثبتت صعوبة تصرف خلايا الكبد فى المواد الدهنية ، وقد اكتظت الخلايا الملتهبة بالدهن ، وعجزت عن التخلص منه ، وأصبحت خلايا الكبد الملتهبة المزدحمة بالمواد الدهنية عرضة للتآكل والاختفاء والمهاجمة بالخلايا التى تؤدى إلى التهابات الكبد وتليفه وإلى التعطل .

وهذه بعض الحقائق التى أثبتها العلم أخيراً بالنسبة لمريض الكبد ، ولنعد ـ معاً ـ لنقول : إن أمراض الكبد قد تعددت وتنوعت ، ونحن نقوم ـ الآن ـ بتشخيصها وتصنيفها ، ثم ننتهى ـ بالمريض ـ إلى نوع أو أكثر منها حسب حالته .

ونوجز الحديث عن بعض أمراض الكبد بطريقة مبسطة حتى يمكننا أن نعرف :

ما المسموح ، وما الممنوع من أنواع الطعام المختلفة لهؤلاء المرضى ؟!

ولنبدأ بالالتهاب الكبدى الحاد أو « الفيروسى » .

ولعله من الجدير بالذكر أن نقول : إن « الفيروسى » الكبدى الذى يؤدى إلى « الالتهاب الكبدى الفيروسى الحاد » هو نوع من أنواع الالتهابات الكبدية الحادة التى قد تحدث لأسباب أخرى غير « الفيروسى الكبدى » فعلى سبيل المثال قد تحدث من بعض المواد الكيماوية الموجودة فى المبيدات الحشرية وخلافها من كيماويات .

وقد تحدث نتيجة تناول بعض الأدوية التى نستعملها فى العلاج – على سبيل المثال أيضا – من بعض أدوية الروماتيزم وعلاج الحالات العصبية والنفسية وخلافها من أنواع الأدوية الأخرى .

لذلك ننصح أن يكون تناول أى دواء تحت إشراف طبى دقيق .

فأما مريض « الالتهاب الكبدى الحاد » فعليه تناول عصير الفواكه والشراب المحلى بالسكر وقطعة صغيرة من الخبز أو « البسكويت » بالعسل ، سواء كان عسل نحل ، أو عسل قصب ، وذلك حتى يبدأ المريض باشتهاء الطعام ، عندئذ يمكن أن يتناول الطعام العادى خاليا من الدهون .

د. علي مؤنس

ونقصد بالطعام العادى الطعام غير « المُسَبَّك »(١) والمقليات والمحمرات ، بل عليه بالطعام المسلوق أو « النيىء فى نيىء » مع عدم ملء المعدة دفعة واحدة حتى لو دفعته شهيته إلى ذلك بل يتناول قدرا بسيطا من الطعام كل ثلاث ساعات إلى أن ينتظم هضمه .

أما مرضى « التهاب الكبد المزمن » فهنا – أيضاً – ننصح بتناول الطعام العادى السابق ذكره مع الاقلال من المواد الدهنية ، وليس الامتناع عنها تماما ، لأنها ضرورية لامتصاص بعض الفيتامينات الهامة ، وللمحافظة على توازن الصفراء فى الدم ، ولذلك يمكن أن يضاف إلى الطعام المسلوق أو « النيىء فى نيىء » قليل من الزبد الطازج وقت تقديم الطعام .

● ● ●

أما مرضى « تليف الكبد المتكافىء » فعليهم تناول الطعام السابق ذكره مالم يوجد تورم بالقدمين وانتفاخ فى البطن ، هذا الانتفاخ الذى يطلق عليه « الاستسقاء » فلابد حينئذ من الامتناع تماما عن الملح ، وبالتالى عن « المُخَلَّلات » و « المشهيات » .

وإذا قلنا بالامتناع عن الملح فإننا نضع – فى الاعتبار – أن الملح موجود فى « المعلبات » والأدوية الفوارة المهضمة ، وفى

[١] يطلق كثير من المصريين هذا اللفظ على الطعام الذى يعد على مراحل متتالية مما يجعله عسير الهضم على العكس من عملية وضع الطعام كله مرة واحدة فى إناء الطبخ لينضج كله معا وهذا الأخير هو الذى يطلق عليه المصريون المحدثون « نىّ فى نىّ »

المواد الغازية ، كما أنه ـ أى الملح ـ يدخل فى صناعة الخبز ، وبالتالى فإن الامتناع التام عن الملح واستبدال عصير الليمون به عند الطعام ؛ يعتبر من العوامل الهامة الأساسية للقضاء على هذا الورم بالقدمين والبطن ، وبخاصة ـ إن التزم المريض بالراحة التامة . كما أن تحديد كمية السوائل بما فيها الماء بما لا يزيد على لتر يوميا من العوامل الهامة المساعدة على الشفاء .

● ● ●

أما مرضى « التليف الكبدى المصاحب بالغيبوبة الكبدية » فقد تظهر على المريض بعض المظاهر الدالة على قدوم هذه الغيبوبة ، وذلك من خشونة بالصوت ، ورجفة باليدين ، وميل شديد إلى النوم أثناء النهار ، واليقظة والقلق ليلاً ، وتغير تصرفات المريض من قول أو فعل لم يتعوده أهله عليه . وعادة ما تتفاقم حدة هذه الأعراض حتى تقع الغيبوبة كاملة .

وقد يفيق مريض الغيبوبة الكبدية ، ولكنه معرض لتكرارها ، لاسيما مع الإفراط فى استعمال مدرات البول التى ـ عادة ـ ما يلجأ إليها الأطباء المعالجون . كما قد تكون معاودة هذه النوبات من الغيبوبة نتيجة الإسراف فى أكل اللحوم ، أو الاصابة باضطرابات هضمية ينتج عنها غازات كثيرة نتيجة عسر الهضم .

لذلك كان من الواجب على هذا المريض الالتزام الكامل ببرنامج الطعام ، ولذلك وجب ـ معه ـ الامتناع عن « البروتينات » مثل : اللحم والدجاج والأسماك والجبن وخلافه .

لكن ..

ثبت أن الامتناع الكامل عن المواد البروتينية ضار جداً إذا زاد على عشرة أيام ، فيصبح من الضرورى جداً أن يتناول المريض المواد البروتينية حفاظا على صحته .

ومن فضل الله تبين أن « اللبن الحليب » وما به من مواد بروتينية هامة يمكن لهذا المريض أن يتناوله دون حدوث النوبة الكبدية حيث إنها لا تخرج مادة « النشادر » كما هو الحال فى الجبن بأنواعه ، واللحوم بأنواعها والأسماك بأنواعها ، وبخاصة السمك « المحمر » .

ولا ننسى أن « الجيلى » الذى يقدم للمريض على أنه غذاء خفيف سهل الهضم ضار جداً به ، فأما اللبن فإن (اللتر) منه يحتوى على (٣٩ جراما) بروتينات ، وهو مقدار كاف جداً لهذا المريض ، وعلى (٣٠ جراما) مواد دهنية ، وهى ـ بدورها ـ مقدار كاف أيضاً ، ويحتوى على (نشا) اللبن وهو (اللاكتوز) ، كذلك هو هام جداً كمصدر غذائى عظيم ، ثم هو يتحلل ـ فى الأمعاء ـ إلى حامض يمنع امتصاص (الأمونيا) التى قد تسبب الغيبوبة الكبيرة .

ولا ننسى ـ أيضاً ـ أن اللبن (الحليب) يساعد على امتصاص (الزنك) الذى ينقص فى دم مرضى الكبد ، فيتسبب نقصه فى نقص بعض (الهرمونات) .

من أجل ذلك كله كان اللبن الحليب مصدر غذاء هاما لمرضى الكبد .

وفى صحيح مسلم ـ من حديث أنس بن مالك ـ رضى الله عنه قال :

« إن أُنَاساً من عُرَيْنَة قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة

فاجْتَوَوْها[٢] ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها . ففعلوا وصحوا »[٣] .

فهذا رسول الله ـ ﷺ ـ أول من وصف اللبن لمرضى الكبد ، ونرى كيف صح هؤلاء المرضى .

ويمكن إضافة الفواكه بأنواعها إلى اللبن الحليب ، كما يمكن إضافة بعض الخضروات الطازجة أو المسلوقة بإضافة الليمون بدون ملح ، وبذلك يصبح غذاء مرضى الكبد المعرضين لتكرار الغيبوبة مكونا من :

أ ـ اللبن الحليب بمقدار (كيلو) يوميا ، ويمكن صنع (الزبادى) منه ، أو (المهلبية)[٤] أو (الأرز باللبن) من هذا (الكيلو) .

ب ـ الفواكه المختلفة .

جـ ـ الخضروات الطازجة ، أو المسلوقة بدون الملح مطلقا وإضافة الليمون ونعنى بالخضروات ما هو مثل : الخس ، الطماطم ، الخيار ، الجزر على هيئة (سلطة) خضراء مع تقليل البصل والبقول من مثل (اللوبيا) و (الفاصوليا) والعدس و (الفول المدمس) .

ولا يؤخذ من هذه البقول إلا بعدتقليل جزء من اللبن المقرر يوميا من الكيلو.

والله المستعان .

د / على مؤنس

[٢] اجتوى الشيء : لم يوافقه .

[٣] الجامع الصحيح للإمام مسلم ١٠١/٥ مؤسسة الطباعة والنشر .

[٤] حلوى تتخذ من اللبن دون دهن مطلقا

هذه الأعشاب وهذه النباتات

٧

بعد أن قطعنا رحلة علمية طوفنا فيها آفاق عالم الأعشاب ومملكة النباتات وقد سبرنا غورها ، وعرجنا على فوائد كل منها ، يطيب لنا — وقد أشرفنا على نهاية هذه الدراسة — أن نكرر تحذيرنا من الاستعمال العشوائى لهذه النباتات التى يظهر أكثرها بمظهر جميل يروق النظر ، وهى المجهولة الطبيعة تضمر فى داخلها سموما قاتلة فَتّاكَة •

والمرض هو : خروج الجسم عن حدود الاعتدال •

وهو أيضا : تقصير العضو أو الجهاز عن أداء مهمته الفسيولوجية المنوطة به ، والتى لا يعول الا عليه فيها •

مصطلحات القدماء وأضرب المرض :

وقد استعمل القدماء مصطلحات فى شروحهم للأمراض تختلف كثيرا عما نستعمله اليوم ، ولذلك فقد أصبحت مهجورة معدولا عنها على الرغم من ثبوتها فى مراجعهم ومصنفاتهم ونحن انما نذكرها للأمانة العلمية وللاحاطة حتى تقرب طلاسمها للأذهان ، وان كان الطب الحديث قد جفاها •

قيل فى هذه المراجع القديمة : ان الأمراض على ثمانية أضرب : أربعة بسيطة ، وأربعة مركبة ، فالبسيطة هى : البارد كالآس ، والحار كالبصل والرطب كالزنجبيل ، واليابس كالتين •

والمركبة : الحار الرطب كالطلح والزبيب ، والحار اليابس كالأرز والثوم ، والبارد الرطب كالبطيخ واليقطين ، والبارد اليابس كالبلح والتمر •

وقد ذكر ابن رسول فى (المعتمد) وابن قيم الجوزية فى (الطب النبوى) وغيرهما هذه النعوت للأمراض لكن بعضا من هذه النعوت كان حدسا وتخمينا غير سديد ، وهم معذورون فى هذا لأن طبيعة التفهيم فى عصورهم كان تقتضى هذا ، وهذا لايمكن أن يقدح بحال فى عظمة وقيمة ما قد قدموه للتراث الانسانى • ولست مع الراغبين فى اعادة هذه المصطلحات العافية الدارسة لأنها غير دقيقة فى التمييز بين الأمراض الباطنة والظاهرة المتشابهة الطبائع والأغراض والتى تأخذ تقريبا نفس الاشارت مما يوقع فى التخليط والوهم فان الحمى الروماتيزمية Rheumatic fever على سبيل المثال تأخذ نفس الطبيعة الحارة لمرض الروماتويد Rheumatoid Arthritis مع

د. السيد الجميلى

اختلاف كل منهما فى الأسباب والأعراض والمضاعفات وطريقة العلاج .

فبينا نرى التهاب المفاصل الروماتيزمى Rheumatic Arthritis بعد العلاج لايترك أثرا ، نرى أن التهاب المفاصل الروماتويدى قد يترك تشوهات قد يصعب علاجها مع الاهمال لها فترة من الزمان.

كذلك فان (الصمام المتيرالى) هو أكثر صمامات القلب تأثرا بالحمى الروماتيزمية . Rheumatic Mitral Valve Stenosis

لكن مرض الروماتويد لاتأثير له على القلب. هذا فضلا عن دور مرض الروماتويد فى اماطة اللثام عن تشخيص بعض أمراض المناعة فى الجسم .

هذا ما أردنا وتوخينا الاشارة اليه والتنويه عنه ، حتى تنجلى الصورة تماما ، فلا يكون ثمة مجال لمن يطلب أثرا بعد عين .

النرجس : —

يضمد الجرح ، ومطبوخه عند شرب مائه يهيج القيىء فى مركز القيىء بالنخاع المستطيل بالمخ

Stimulates Vomitting Centre in the Medulla Oblongata.

كما يساعد على التئام القروح الغائرة الحادة والمزمنة ونسب البعض من المجربين الى زهرة فعاليته فى علاج البرد والزكام ، وانى لأعتقد أن هذا راجع الى احتوائه على مضادات الهستامين Antihistamines وقد ذكر ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد (٤/٣٩٩) « عليكم بشم النرجس، فان فى القلب حبة الجنون والجذام والبرص لايقطعها الا شم النرجس » .

وقد وجدت تعارضا شديدا بين هذا القول وبين أساسيات طب الامراض الجلدية ، فعمدت الى موضوعات ابن الجوزى فوجدته قد حكم عليه بالوضع فقال : « هذا حديث موضوع ، ولا أصل للحديث » أ هـ .

قلت:الحمد لله .

راجع الموضوعات (٣ / ٦١) كتاب الطيب باب فى فضل النرجس . ومن ثم يجب الاحتراس من الاحاديث الموضوعة وما أكثرها.

نبق : —

ورد عن السابقين أنه شجر السدر ، كان شائعا فى الجزيرة العربية ، وثمره يعقل البطن، ويقطع الاسهال ويقوى المعدة ، ويغذو البدن ، وينفع ادرار الصفراء Stimulates Bile Flow

وقد ورد فى صحيح البخارى (٦ / ٢١٨ و ٢٢٠) من حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر النبق فى الحديث الصحيح وأنه قد رأى سدرة المنتهى ليلة أسرى به ، واذا نبقها مثل قلال هجر .

ورس : —

نبت أصفر ، يشبه السمسم الى حد كبير ، يستعمله البعض كصبغ للجلد والوجه ، وقد أخرج الترمذى فى جامعه الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان ينعت الزيت

والورس من ذات الجنب » راجعه (٢٠٧٩) وقد ضعفه ابن ماجة (٣٤٦٧) •

كما أخرج الزيلعى فى نصب الراية (٢٠٥/١ و ٢٠٦) بشواهد يقوى بعضها بعضنا عن الحاكم والبيهقى والدارقطنى يرتقى بها الى (درجة الحسن) ويرتفع عن (الضعيف) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كانت النفساء تقعد بعد نفاسها أربعين يوما ، وكانت احدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف » •

وذكره أيضا أبو داود (٣١١ ، ٣١٢) والترمذى (١٣٩) •

وقطع ابن القيم بصحة الحديث مع أنه غير ذلك التصحيح والله وحده أعلم بحقيقة ذلك وقيل ان الورس ينبت فى اليمن دون بلاد العالم ولايوجد منه فى بلاد العرب الاخرى ، ولعل فى هذا القول شططا الى حد كبير •

وفوائد الورس كثيرة منها علاج كلف الوجه والحكة Urticaria وبثور الحميات Vesicles

وذكر بعض الشيوخ ، أنه يعينهم على قضاء حوائجهم ، واستدل بعض الفقهاء على ذلك أن المحرم يحرم عليه أن يلبس أثوابا من ورس أو زعفران لأجل ذلك ولكنى لا أذكر مرجع ذلك الرأى •

يقطين :

هو القرع المسمى الدباء ، واسم اليقطين أعم وأشمل ، وهو محمود الطبيعة ، مذكور فى طب الأقدمين ، وهو لطيف ينفع المحمومين — المصابين بالحمى — يقطع العطش يذهب الصداع ، يمنع الامساك وَيُلَيِّنُ الطبيعة •

وقد ورد عن أنس رضى الله عنه فى الحديث المتفق عليه عند البخارى (٤٨٨/٩) ومسلم (٢٠٤١) قال : —"ان خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه ، فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرب اليه خبزا من شعير ، ومرقا فيه دباء وقديد ، قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى الصحفة ، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم»ولايزال حتى يومنا هذا يصفه المعالجون لمرضاهم من المحمومين كغذاء شاف سهل الهضم عظيم النفع جم الفائدة •

قال تعالى : —

﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ الصافات (١٤٦) ورب سائل يسأل : لماذا اختار الحق تبارك وتعالى شجر القرع بالذات ؟؟ فالجواب لأنها ذات أوراق كبيرة عريضة ، وتجمع برد الظل ، ولايقربها الذباب ، لأن جسم سيدنا يونس عليه السلام حينما أخرج من البحر لم يكن يحتمل الذباب •

راجع تفسير التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٦/٣)

اليوسفى :

من جملة الفواكه النافعة التى أراد الله لها أن تنتشر فى فصل الشتاء لتناسب جو البرد فتقوى مناعة جسم الانسان ليتصدى لبرد الطبيعة ، حيث انه مثل البرتقال تماما يحتوى على كميات كبيرة من فيتامين أ و (ج) و (ب) المركب •

وثبت بالتجريب الطبى فى بريطانيا سنة ١٩٣٧ و سنة ١٩٣٨ أن اطعام الأطفال الصغار ثمار اليوسفى قد أدى الى سرعة نموهم وقوة بنيتهم •

ومغلى قشور اليوسفى يحصن الجسم ضد

كثير من أمراض الجهاز الهضمى والتنفسى ، وشرابه غذاء مناسب للأطفال والكبار والناقهين المحتاجين الى الغذاء السهل الهضم ، ولعلــه أكثر مناسبة للحوامل والمرضــــعات حيث يســـاعدهن عــلى ادرار اللبن ، ويمــدهن بالفيتامينات •

الياميش :

هو من الفواكه العظيمة القيمة تتناول خليطا من الجوز واللوز والبندق والفستق ، وهــى متقاربة بعضها الى البعض ، اذ تحتوى عــلى نسبة عالية من الدهون ثم نسبته لابأس بها من البروتينات ، وقليل من المواد الكربوايدراتية ، فضلا عن بعض الاملاح المعدنية • وفواكـــه الياميش غنية بمادة الفوسفور وكذلك اليــود وتحتوى أيضا على نسب مرتفعة من الحديد •

وعلى الرغم من احتوائها على نسبة مرتفعة من فيتامين أ الا أنها تسبب عسرا فى الهضم مما جعل الأطباء ينصحون مرضى القولون والجهاز الهضمى بالابتعاد عنها ، لاسيما الشــيوخ المسنين •

الينسون :

نبت قديم عرفه المصريون القدماء وشربوا مغلى بذوره وأحبوه ، وأدخلوه فى توابل كثيرة شاعت عندهم فى عصورهم البعيدة السحيقة •

وقد لوحظ أن شراب الينسون يسبب نشاطا للقناة الهضمية ويحفز الغدد الهضمية عـــلى ممارسة نشاطها بقدرة وكفاءة ، كما يســاعد المعدة والأمعاء على الانقباض وقد عرف عنــه تسهيله لعمليات الولادة بزيادته انقباضـــات الرحم As it increases Uterine Contractions واليه يرجع ويعزو تنشيط الغدد اللبنية فى ثدى الأم الوالدة فى الأيام الثـــلاثة الاولى عقب الولادة مباشرة لافراز مادة (اللبأ) المسماة بالسرسوب أو الكولستروم وهى مادة من أغذى ما يتناوله الوليد فى بداية حياته •

أما بخصوص تقويم هذا الطب الأخضر أو الطب النباتى ، فاننا لانقول باعفائه تماما ، ولكن مجمل القول فيه أنه بدائى منسوخ بما هــو أنفع وأجدى وأنسب منه الطب الحـــديث المعاصر (١) لما أدخل فى استخراج واستخلاص العقاقير من أدوات متطورة حتى أن عمليـــة التصنيع لاتتدخل فيها يد انسان البتة ، كــذلك تطور وسائل التعقيم ، والتعبئة ، من ثم فانه قمين بنا — حسب طبيعة العصر والنهضـــة والمثالية المرجوة المنشودة — أن نميل الى الطب المعاصر بل لانرغب عنه بأى حال من الاحوال، وليكن الاتجاه للأعشاب فى الحالات النـــادرة جـــدا •

واذا كنا فى دراساتنا وبحوثنا الطبية ننظر الى مراجع الستينيات والسبعينيات على أنهــا قديمــة وقد أصــبحت مسبوقة بكثـير من المستحدثات ، فان طب الأعشاب والنباتات له نفس الحكم تقريبا ، وأرجو أن يفهم أن هذا ليس رأيا خاصا لى انما هو المنظور الحقيقى لكثير من أطبائنا المعاصرين •

د • السيد الجميلى

(١) هذا رأى الدكتور الطبيب كاتب المقـــال ، ولمن شـــاء من المختصـــين — فقط — معارضته بالحجة العلمية ... مجلة الأزهر .

في مؤتمر الأديان العالمي

الخطبة التي ألقاها الأستاذ الشيخ
محمد عبد الله دراز

« يا أذنَ الحَيِّ اسْمَعِي » هذا صوت الإسلام ـ في ذاته ـ يدوى فيسمعه كل مهتم بشئون الأديان ، ويعلم ـ طوعاً أو كرهاً ـ جلال هذا الدين .. الذى لا يضيره ما يلم بأهله ..

إنه الحق من لدن الحق سبحانه لا يضعف ولا يلين لأنه الحقيقة التي تعيش قوية بذاتها وتظل تعلن عن نفسها إلى الأبد

يقول الأستاذ الدكتور ـ رحمه الله ـ

يعقد في عواصم أوربا في دورات متعاقبة مؤتمر يدعى [مؤتمر الأديان العالمي] وقد دعى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي لحضوره فاعتذر وأرسل إليه بخطبة له قوبلت بما تستحقه من الحفاوة والاكبار ، وكان لها صدى بعيداً في الجرائد والمجلات العالمية .

وقد دعى الأزهر في دورة المؤتمر التي انعقدت في هذه السنة بباريس في جامعة السوربون فندب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام فضيلة الشيخ محمد عبد الله دراز عضو بعثة فؤاد الأولى الأزهرية ليلقى كلمة الأزهر في ذلك المؤتمر . فألقاها بالفرنسية ، فكان إعجاب المؤتمرين بها عظيماً حتى قال عنها السير فرنسيس رئيس المؤتمر : إن كلمة الأزهر هي الكلمة الرئيسية !

وقد وافق المؤتمرون بالإجماع على اقتراحين قدمهما الأستاذ دراز يراهما القراء في الخطبة .

وإن مجلة الأزهر لتفخر بأن تنشر لأحد نجباء أبنائه كلمة جليلة القدر كانت أول

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ما سمع الأوربيون من أمثالها عن الإسلام ، فنهنئه بهذا الفوز العظيم ، ونرجو أن يكثر الله من أمثاله فى علماء الدين .

وإليك ترجمة الخطبة :

باسم الأزهر ، ذلك البيت العتيق الذى هو أقدم الجامعات الدينية العلمية المعروفة فى العالم ، وأكبر المفاخر الأدبية للقطر المصرى ولمدينة القاهرة ، والمركز الذى تلتف حوله قلوب مئات الملايين من البشر ، يعدونه رمزاً خالداً لحضارتهم ، ومنبعاً دائم الفيضان لثقافتهم الروحية .

بل باسم الإسلام ، ذلك الدين الخاتم الذى أخرج للناس يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، ويمحو ما بينهم من فوارق الأنساب والأجناس ، واللغات والألوان ، ليجعل منهم أمة واحدة على قدم سواء ، لافضل لأحد منهم على أحد إلا بالعمل الصالح ؛ بل باسم الإنسانية التى اجتمعتم اليوم للتشاور فى الوسائل الفعالة لتخفيف آلامها ، وإنقاذها من الهاوية ، التى أشرفت على التردى فيها :

باسم الأزهر والإسلام والإنسانية ، أرحب بقدومكم ، وأحيى فيكم ذلك الشعور النبيل الذى أوحى إليكم فكرة هذا المؤتمر ، وأتمنى لكم النجاح والتوفيق ، فيما ترسمونه من الخطط لتأييد السلام العام .

***

يا حضرات السيدات ويا حضرات السادة :

إن نظرة واحدة نلقيها على العالم اليوم ، لتكفى لإدراك ما يسود بين شعوبه من روح العداوة والشحناء ، وما ينبعث فى أقطاره من زفرات الشكوى والأنين .

فمن أين جاءت هذه النزعة الشريرة التى تنذر بأسوأ العواقب ؟

أليس منشؤها هو تحكم المادية وازدياد نفوذها فى تسيير مجرى الأمور العالمية ؟

وإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون العلاج الوحيد هو أن نعود إلى الروح فنعيد إليها سلطانها الذى أهملناه فى هذا العصر إهمالاً كبيراً ؟ ثم ما هى تلك القوة التى تستطيع أن تضطلع بهذا العبء الشاق إن لم تكن هى قوة الدين ؟

غير أننا إذا رجعنا إلى الأديان نلتمس منها المعونة ، هالنا ما نراه من اختلافها اختلافاً طالما كان من أسباب الخصومات والحروب ، بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب بين القلوب ، فهل نستطيع أن نجد من وراء

هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادىء والمطامح تصلح أن تكون محوراً لتقرير السلام بين معتنقيها ، وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك للجميع ؟ هذه هى النقطة الأساسية التى تدور عليها أعمال المؤتمر ، وهذا هو الاشكال الذى يحاول المؤتمر أن يجد له حلاً .

أما أنا فأميل إلى أن يكون هذا الحل على أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى ، وأعتقد أن افتراق الأديان فى عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها لا يمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة هى أساس التعاون المطلوب ؛ وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والاحسان ، وتنهى عن الظلم والعدوان ، وكلها تسوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين أتباعها وبين أعدائها .

***

اسمحوا لى إذاً أن أستعرض الديانات التى هى أكثر انتشاراً فى العالم اليوم ، أعنى الديانة الهندية « البرهمية » والديانة البوذية ، والديانة اليهودية ، والديانة المسيحية ، والإسلام ؛ لكى أبين بإيجاز ما فى كل واحدة منها من روح التسامح والرحمة الإنسانية :

أما الديانة الهندية فإن التاريخ يحدثنا أنها لم يقع منها اضطهاد قط للفلسفة الالحادية التى نشأت بين ظهرانيها ، حتى إن الفيلسوفين « كابيلا » و « كانادا » وغيرهما أمكنهم أن يزعموا أن كتابهم المقدس « الفيدا » ليس كافياً للخلاص ، بل أمكنهم أن ينكروا وجود الإله ، البتة ، ومع ذلك لم يمسهم من رجال الدين أذى ولا إحراج ، بل إن الديانة البوذية التى هى فيما يظهر وليدة تلك الفلسفات الإلحادية استطاعت أن تنشر نظرياتها العدمية بملء حريتها وبقيت على ذلك اثنى عشر قرناً دون أن يقاومها أحد من البراهمة بالعنف . نعم إنها آل أمرها إلى أن طردت من الهند وهاجرت نحو الشمال ونحو الشرق ، حتى زعم بعض المؤرخين أنها ألجئت إلى ذلك بتأثير التعصب الدينى البرهمى ، لكنهم فى الحقيقة ليس عندهم دليل إيجابى يؤيد هذا الرأى .

والديانة اليوذية بدورها ما اعتدت قط على أحد من مخالفيها . على أن مبادئها نفسها تضطرها اضطراراً إلى الاحتمال وتوسيع الصدر لكل خلاف ، فإن من جرد نفسه من تأثير اللذة والألم ، وجعل منتهى همه إنكار الذات والوصول إلى الفناء والعدم ، لا يمكن أن يجد غضاضة فى أى مذهب يخالفه مهما كان متطرفاً . هكذا نجد مشكلة السلام العالمى محلولة بطبيعتها فى الديانة البوذية بحيث لا محل لوضع السؤال فيها .

ولعل الديانة التى تليها مباشرة فى هذا المعنى هى « الديانة المسيحية » إذ أنها لا تتصل بالأحوال الزمنية إلا اتصالاً ضعيفاً ؛ ولذلك نرى فيها طابع التواضع والسلام ، بل قد يقال طابع الخضوع والاستسلام ، أوضح من أن يحتاج إلى بيان ؛ فشعارها ليس فقط « أحب جارك كما

تحب نفسك » بل « أحب عدوك وصلِّ لمن يضطهدك » أو بعبارة أخرى « من ضربك على الخد الأيمن فامدد له الخد الأيسر »، وهنا تحسن الاشارة إلى أن المسيحيين فى العصور الأولى كانوا يتحرزون تحرزاً شديداً من الانخراط فى سلك الجندية ؛ وأن من دخلها منهم مضطراً كان يجب ألا يسفك دم أحد ؛ وإلا لكان جزاؤه الطرد من حظيرة الدين .

غير أن الناظر فى تاريخ اليهودية[١] والإسلام قد يجد فيهما شذوذاً عن القاعدة ، وقد يتسرع فى الحكم بعدم انطوائهما على روح الرفق والتسامح ؛ ذلك أن موسى ومحمداً عليهما السلام لم يكونا مؤسسى دين فحسب ؛ بل كان كل منهما جامع شتات أمة ومؤسس دولة : كلاهما كان مشرعاً وحاكماً ، وكلاهما قاد الجيوش لفتح بلاد الأعداء ؛ ويضيف الإسلام إلى ذلك أنه توسع فى هذه الفتوح فأنشأ امبراطورية من أعظم الامبراطوريات فى أسرع زمن عرفه التاريخ .

ولكن الخطأ كل الخطأ ، بل الظلم للحقيقة ، أن توصم هذه الفتوحات النبوية بوصمة البغى والعدوان ؛ فليس هناك مثال واحد يدل على أن اليهودية أو الإسلام أباح البدء بالاعتداء على الطوائف الأخرى سواء أكان ذلك لمقاصد دينية أم لأغراض سياسية ؛ بل الواقع على العكس من ذلك أنهما احتملا الاضطهاد أمداً طويلاً قبل أن يأذن لأتباعهما باتخاذ القوة للدفاع عن حياتهم وعن حريتهم فى اعتناق الحق والدعاء إليه ؛ وهذا الدفع المشروع ما زال حقاً مقرراً لا يجادل فيه عاقل ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ .

يكفى فى شأن اليهودية أنها رفعت قيمة الحياة الإنسانية إلى درجة لم تصل إليها أشد النظريات العصرية تحمساً فى الدفاع عن حق الفرد .

ينقل لنا القرآن عن التوراة أن قتل النفس بغير حق لا يقاس فى نظرها بقتل أمة بل بقتل الإنسانية جمعاء ، وحياته بحياتها : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ .

***

وأما الإسلام فمن السهل الرجوع إلى كتابه وإلى حياة نبيه ، فكتابه لا يزال غضاً طرياً محفوظاً فى نصه وحرفيته كما تركه صاحبه ؛ وحياة نبيه قد سجلها التاريخ بتفاصيلها بأتم عناية وضبط . وإن نظرة

---

١ ـ يتحدث فضيلة الدكتور هنا عن اليهودية نظراً إليها من حيث أنزلت فى كتابها المقدس الذى لم يتناوله تغيير ولا تبديل ، أى من حيث الحقيقة التى قررها الإسلام فى القرآن الكريم فى حديثه عن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وعن كتابه . ومـا من شك ـ فى أنه من حيث هذه النظرة ـ نلتقى بأحكام الاله الواحد التى أنزلت فى التوارة والانجيل والقرآن . فأما ما حدث نتيجة التغيير والتبديل فليس للبحث به شأن .. مجلة الأزهر .

واحدة فى هذين المصدرين لكافية فى معرفة موقف الإسلام نظرياً وعملياً من قضية السلام العالمى .

نعم إن الإسلام قد خاض كل ميادين الحياة وتدخل فى جميع جزئياتها ، ولكنه على رغم ذلك بقى محتفظاً بسموه الروحى حتى فى أشد الشئون ارتباطاً بالمادة ، وهكذا كان وجه بداعته أنه استطاع أن يوفق بين المطالب الروحية والمطالب الزمنية للإنسان ، بنسبة عادلة مستقيمة .

لا يتسع نطاق هذه المحاضرة للإتيان على ما فى القرآن وتاريخ نبيه من براهين على سماحة الإسلام وسعيه للوحدة والائتلاف بأوسع ما فى حدود الإمكان ؛ فلنكتف بالإشارة إلى شىء من ذلك . أما من الوجهة النظرية فقد سعى الإسلام لتأسيس هذه الوحدة على دعامتين :

أولًا : من طريق توحيد الغاية ، وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد .

وثانياً : من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية ، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع كلها إلى أصل واحد ، ودعوة معاصريه من أهل الأديان السابقة إلى تكوين أسرة روحية واحدة تؤمن بجميع الكتب وجميع الأنبياء بدون تفريق بين أحد منهم . ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ** ﴾ ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ .

ونرى القرآن فى أثناء هذه الدعوة يعنى دائماً بربط الإسلام بالأديان التى سبقته منذ عهد نوح : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾، ويصور نبى الإسلام بصورة المأمور باتباع هدى من قبله :

﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾، ويقول إنه لم يجىء بجديد يهدم القديم وإنما جاء مجدداً لما اندرس منه ، مبيناً لما خفى ، مصححاً لما حرف : ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ وبالجملة ليعيد الدين إلى نقاوته الأولى .

بل إن اسم الإسلام نفسه « **فى اصطلاح القرآن** » اسم مشترك يضعه القرآن على لسان أكثر الأنبياء المتقدمين ، يقول فى شأن إبراهيم : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ . وفى شأن يعقوب : ﴿ **إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾. وفى شأن التوراة وأنبياء بنى إسرائيل : ﴿ **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا** ﴾. وهو حين يقول بصيغة الحصر :

﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ لا يمكن أن يعنى إلا هذا المعنى المشترك بين الأديان

المنزلة ، وإلا لكان هادماً للأساس الذى أراد أن يقيم عليه بناء هذه الوحدة .

غير أن هاهنا نقطة يجب التنبيه إليها : وهى أن القرآن حين دعا إلى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يطلب الوصول إليها من كل طريق ، وشراءها بكل ثمن ، بل نظر إليها كمثل عالٍ وأمل عزيز ينبغى الاقتراب منه بقدر الطاقة ، واعترف فى أكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾.

هذه النظرة لها نتائجها الطبيعية فى مسلك الإسلام بإزاء مخالفيه ، فهى التى جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح .

وهى التى حددت مهمة الرسول بأنها ليست هى إكراه الناس على الإيمان وإنما هى التعليم والانذار ثم تفويض الأمر فى عقائدهم إلى الله الذى سيتولى الحكم بينهم فى يوم الفصل ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** ﴾ ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ** ﴾ ﴿ **فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب ، فان أكثر هذه النصوص مكية فى شأن الوثنيين أنفسهم . وقد صرح القرآن بأن هذه هى حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها ، وذلك فى الآية المدنية الجامعة : ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾.

وأما من الوجهة العملية ، فالإسلام « **أولاً** » : قد حظر البدء بمناوشة مخالفيه أو بمضايقتهم فى الحياة المادية وما داموا مسالمين له ، وأمر فى هذه الحال بحسن جوارهم ليس بطريقة سلبية فحسب بل بالبر إليهم ، والعدل بينهم : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ ولقد كان من أول الأعمال التى قام بها النبى بعد الهجرة إلى المدينة محالفته لليهود ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، وبذلك أنشأ فى المدينة أمة واحدة من عناصر ثلاثة مختلفة فى الجنس والدين ، يستوى قحطانيهم وعدنانيهم وإسرائيليهم كما يستوى مسلمهم ومشركهم ويهوديهم ، فى حقوق الولاء وحسن الجوار والتناصر على دفع المغيرين . كما كان من أواخر أعماله مصالحته لنصارى نجران ، وإقرارهم على دينهم فى قلب الوطن العربى الإسلامى .

ثانياً : فى الحال التى تستحكم فيها العداوة وتكون الظروف مهددة باحتمال وقوع

حرب ، وضع الإسلام وسائل كافية لاتقائها فى الوقت نفسه الذى يكون فيه المسلمون أشد قوة ؛ وأوصى بقبول كل شروط يعرضها المخالفون ما دامت تؤدى لحقن الدماء وصيانة الحرمات وحسن العلاقات بين الجانبين . ومن الأمثلة الواضحة فى هذا الموقف السلمى النبيل تلك المعاهدة التى وقعها الرسول بنفسه مع قريش فى عام الحديبية . هذا والمعاهدات الإسلامية ليست حبراً على ورق ، بل هى عقود دينية يوجب الإسلام تنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾. ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجباً بعهودهم مع المسلمين ﴿ يقولون ﴿ ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ فجاء القرآن ناعياً عليهم هذا التفريق ، مبيناً أن الوفاء بالعهد واجب إنسانى عام : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

ثالثاً : فى الحال التى تصبح فيها الحرب أمراً واقعاً ، وضع الإسلام قواعد عملية كثيرة تخفف من أهوالها وتحدد بانصاف ما يقتضيه الموقف الدفاعى البحت ، فنهى عن قتل المرأة فى بيتها والراهب فى متعبده ، والفلاح فى مزرعته ؛ وبالجملة حصر القتال فى ميدان الحرب لا يتعداه : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ وفى هذا الميدان نفسه نهى عن التشفى بالتمثيل والتعذيب : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

رابعاً : فى الحال التى تنجلى فيها المعركة عن ظفر المسلمين ، ضرب الإسلام أمثلة عالية فى الكرم والصفح عن الماضى وعدم الاستمرار فى تتبع الفارين الذين يطلبون الأمان ويلقون كلمة السلام : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ومن أروع الأمثلة فى ذلك موقف الرسول يوم فتح مكة مع قريش الذين ناصبوه الحرب والعداء أكثر من عشرين سنة ، إذ قال لهم بعد أن ظفر بهم : ﴿ **اذهبوا فأنتم الطلقاء** ﴾ وأطلق سراح أكثر من ستة آلاف أسير .

***

أما أن محمداً عليه السلام نفسه كان مطبوعاً بفطرته على التسامح وحب السلام ، وأنه كان داعية توفيق لا تفريق ، فذلك ما تدل عليه كل حياته حتى قبل النبوة ، ولأضرب لذلك مثالين اثنين فقط :

[**أحدهما**] حادث الحجر الأسود حين اختلفت القبائل فيمن يكون له شرف وضعه فى مكانه من الكعبة وحكموا محمداً « **الأمين** » بينهم ، فلم يتحيز فى حكمه لجانب قبيلته هو ، بل حكم أن يوضع الحجر فى رداء ، وأن تأخذ كل قبيلة بطرف لتساهم كلها فى هذا الشرف ، وهكذا كان به حقن دمائهم والتأليف بين قلوبهم .

[**الثانى**] اشتراكه حين كان له من العمر خمس وعشرون سنة فى حلف الفضول ، وهو

شبه مؤتمر صغير تحالفت فيه قريش على نصر المظلوم وحفظ الأمن العام .

● إن إثارة هذه الذكرى فى يومنا هذا وفى مكاننا هذا لها موقع خاص فى نفسى ، وإنى لا أستطيع أن أدفع عن خيالى هذه المقارنة بين الماضى والحاضر . ويلوحْ لى أننا الآن إنما نطبع على غرار ذلك الماضى البعيد ، وإنما نترسم الخطوات الأولى للنبى العربى الكريم .

● إن فكرة الاجتماع والائتلاف نفسها يرى عليها فى الإسلام مسحة من طابع القدسية ، فخير يوم عند المسلمين اسمه يوم « **الجمعة** » أى يوم الإجتماع ، وخير مكان عندهم اسمه « **الجامع** » .

إن المحبة المتبادلة بين المؤمنين هى إحدى النعم العظمى التى يمتن الله عليهم بتحقيقها بالفعل : ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** ﴾ وإن المحبة المتبادلة بين الناس أجمعين هى إحدى الأمانى الغالية التى فتح القرآن بابها أمام المسلمين :

﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾.

إن اسم « **السلام** » نفسه واسم « **الإسلام** » يرجعان فى اللغة العربية إلى أصل واحد ؛ وإن أحب التحيات إلى المسلمين هى الدعاء بالسلام .

***

وبعد : فإننا نستطيع أن نخلص من هذا البيان إلى النتائج الآتية :

[**أولاً**] أن الأديان كلها ، بدلاً من أن تكون سبب نزاع وخصام فى شئون هذه الحياة ، هى على الضد من ذلك تنادى بالائتلاف والوئام .

[**ثانياً**] أن السبب الحقيقى لهذه الخصومات هو بالعكس تعمد الانحراف عن الدين ، وأن كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدين كاذبة فى دعواها الانتساب إلى دينها .

[**ثالثاً**] أن العلاج الوحيد للآلام الإنسانية الحاضرة هو أن يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقى العام منه ، فينمّو فى أتباعهم عاطفة الأخوة الإنسانية باسم الدين نفسه .

إن هذا التقارب والتعاون فى الحياة العملية إن تم على وجهه سيكون خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينية نفسها ، ويرجى

من وراء ذلك تقليل فوارقها النظرية وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحر ، فى جَوٍّ ودِّىٍّ نزيه .

***

وفى الختام أحب أن أعرض على هيئة المؤتمر اقتراحين عمليين أرجو أن يؤخذ الرأى عليهما :

الأول : أن تنشر خلاصة قرارات المؤتمر على رجال الدين فى كل أمة ، وأن يرجى منهم المساهمة فى علاج الأزمات الراهنة بتحريض أتباعهم على اقتفاء هذه المثل العليا

الثانى : أن يطلب باسم المؤتمر إلى مختلف الحكومات أن تنصف الشعوب المظلومة التى تحت نفوذها .

إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا بنصيبنا من الواجب الدينى والإنسانى لخير الجميع .

المجلد العاشر

من أعلام الأزهر - بقية

البخاري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة » .

وقد جاء في صحيح البخاري مثال الحالة الثانية : « باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والإسلام ، والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له .

ثم قال : جاء جبريل يعلمكم دينكم فجعل ذلك كله ديناً » ثم أورد الحديث كله .

ونخلص مما تقدم أن الحسيني هاشم في بحثه القيم حصر « الوحي القرآني » في حالة واحدة ، هي أن يكون النبي في يقظته التامة ووعيه الكامل ويأتيه الملك جبريل بمقدمات الحضور بصلصلة مثل صلصلة الجرس ، فينسلخ النبي من حال البشرية إلى روحانية الروح الأمين الملك مع احتفاظه بوعيه الكامل فيتلقى الوحي ويعى منه ما نزل عليه ، فالقرآن لا يأتي الرسول في منامه ولا يوحى إليه من وراء حجاب ، ولا يتلقاه حين يكون جبريل على صورة إنسى ، بل لابد أن ينتقل الرسول من بشريته إلى روحانية الملك ، ليتلقى القرآن ، ولم يستقر هذا المعنى في خلدى إلا بعد أن قرأت كتاب « الوحي الإلهي » لفقيدنا العظيم .

أما الأحاديث النبوية فتكون بالوحي ولكن في حال مغايرة لما ذكرت آنفاً وقد تكون باجتهاده صلى الله عليه وسلم ، وأما الأحاديث القدسية فيقول عنها : ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأية كيفية من كيفياته كرؤيا النوم ، والالقاء ، في الروع على لسان الملك ـ هذا موجز مبين وإن أردت المزيد فعليك بالكتاب ففيه جلاء ووفاء ورواء ؟

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

الذي علم بالقلم

ابتهال

بين المد والجزر

الذى علم بالقلم

للأستاذ صلاح عفيفى

بترك الهوى واتباع القيم ... تسود الشعوب وترقى الأمم
وبالصدق تنجح غاياتنا ... ونفلح حين نفى بالقسم
وبالحق ترجح كفاتنا ... وتصبح هاماتنا فى القمم
ولله تخلص نياتنا ... فتصفو النفوس وتسمو الهمم
وبالحزم تبرأ آفاتنا ... وتمحى كبائرنا واللمم
وبالعزم تُلحق آمالنا ... وما من بعيد على من عزم
عسى الله يقبل أعمالنا ... ويعصم من بحماه اعتصم
ويصلح بالبر أحوالنا ... ويجمع من شملنا ما انقسم
ويشرح أفئدة فى الصدور ... بنور الهداية بعد الظلم
ويسمح من فضله بالكثير ... ويفتح من فيضه بالنعم
فأولى لنا ثم أولى لنا ... وقد عدل الله فيما حكم
قضاء الأمور بوحى الضمير ... ورد الحقوق وصون الذمم
محال محال دوام لحال ... وهيهات هيهات يجدى الندم
فلا يشترى الحر ذلا بمال ... ولا ساد فى قومه من ظلم
ومن قاده خطوه للضلال ... ومال فما نال غير النقم
وما دام للمرء غير الحلال ... وغير الإباء وغير الشمم
وكم آذَنَتْ أَنْعُمٌ بالزوال ... إن انعدم الشكر حلّ العدم
يجوع من الشبع المتخمون ... إذا ما البطون اعتراها النهم
ويشبع من قلة قانعون ... وقد بارك الله فيما قسم
وكم قرية أهلُها مسرفون ... فنت وَأَلَمَّ بها ما ألم
ولاذ بأربابهم مُدَّعون ... فلم يستجب لنداهم صنم
فيارب أنزل علينا الهدى ... لتثبت فوق الطريق القدم
إليك المصير ومنك الندى ... وأنت المنزه منذ القدم
ولو أننا قد خلقنا سدى ... لما كنت علمتنا بالقلم

ابتهال

أ. محمد عبد الخالق ندا

يامن إليك المفزع والمنتهى والمرجعُ
تعنو لقدرتك الوجـوه وتستكين وتخشع
إنى إليك مهاجر أبغى النجاة وأفزع
كم بت يدنينى إليك تذلل وتضرع

وأظل فى شوق إليـك وقد جفانى المضجع
وأخاف منك وأتقيك وفى جنابك أطمع

حيران ألتمس الضياء وقد نأى بِىَ المهيع
والليل يغشانى فأسبح فى الظلام وأرتع
كيف الهدى والنفس منها كل شىء ينبع

وأنا المسبح فى الدجى كالطير بات يرجّع
ما أعذب النجوى لقلبى والخلائق هُجَّعُ

يامن عبادته لقلبى طهرة وترفّع
هذا جمالك فى الوجود يفيض فيه ويبدع

إن ضاقت الدنيا فلى منك الجناب الأوسع
أو ضلت الألباب أنت لى الملاذ الأمنع

أنت الرجاء لكل من فى يأسه يتطلع
أنت الضياء لكل من يغشاه ليل أسفع

أنت الحياة ومن معينك وِرْدُنا والمشرع

* * *

بين المد والجزر

شعر: د. عزت شندى موسى

كلما مر شبابى ضل من شجو صوابى
ما شبابى ما كتابى؟ هل لسؤلى من جواب؟
ما لهذا العيش أضحى كخداع أو سراب
وحياة المرء تبدو كوميض لشهاب
بينما أجرى ولا أدرى إلى أين مآبى

★★★

أين ولى مستساغى من طعام وشراب
أينما وجهت عينى لا أرى غير اغتراب
ذلك البدر تجلَّى واختفى خلف السحاب
ذلك الكوكب أمسى غاربا بين الروابى
ذلك البلبل غنى وثوى فوق الهضاب
والغدير العذب أضحى ناضباً بعد انسياب
رحلة تمضى سريعا فى ذهاب وإياب
وأنا الحيران لا أدرى متى فصل الخطاب

★★★

أين أهلى وصحابى قد مضى كل الصحاب
أين أحبابى سلوتى وكانوا عند المصاب
أين أهدافى وكانت لا تبالى بالصعاب
أين طيشى وغرورى وظنونى وارتيابى
كلها راحت وأبقت ذكريات .. كالحباب
ليس من باق سوى الرحمن يهدينى صواب
ليس من خلد لغير الله قهار الرقاب

محمد رجب البيومى شاعرا

بقلم : أحمد مصطفى حافظ

يتعين أن نتعرف على شخصية الدكتور محمد رجب البيومى ، ذات الأبعاد الثرة الفسيحة ـ بعمق ـ قبل أن نشرع فى قراءة متانية لشعره .. فهو باحث قدير سخى العطاء ، قدم للمكتبة العربية نتاجا قيما غزيرا ، فى حقل الدراسات الأدبية والتاريخية ، منذ أكثر من ثلث قرن من الزمان ،، وتدفقت مقالاته وبحوثه وقصائده ، عبر أنهر العديد من كبريات المجلات الأدبية والدينية المتخصصة ، بمصر والعالم العربى ، مثل الرسالة والثقافة والهلال ، والأديب والكاتب والأزهر ، والبيان والجديد والفيصل ، وغيرها .

وقد ولد شاعرنا بِالْكَفْرِ الجديد ، مركز المنزلة ، بمحافظة الدقهلية ، فى اكتوبر عام ١٩٢٣ ، وتعلم بالأزهر ، ونال العالمية من كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٩ ، وتاريخه حافل بالمؤلفات الممتازة ، التى حصل بها على العديد من الجوائز الأدبية ، إذ حصل على جائزة « شوقى » من المجلس الأعلى للفنون والآداب ، عن مسرحية : « انتصار » ، وجائزة مجمع اللغة العربية الأولى . عن مسرحية شعرية أخرى ، هى : « فوق الأبوة » وجائزة المجمع عن الدراسات الأدبية بكتابه : « الأدب الأندلسى بين التأثر والتأثير » وهو الذى نال به درجة الماجستير من كلية اللغة العربية فى النصف الأخير من الستينيات . أما رسالة الدكتوراه فكانت عن « البيان النبوى » كما حصل على جائزة المجمع عن التراجم الأدبية ، بكتابه عن : « محمد توفيق البكرى : حياته ونشأته » .

وأخيرا ، حصل على جائزة المجمع عن ديوانه : « صدى الأيام » والدكتور محمد رجب البيومى ، مثل المازنى ، يكتب كما يتحدث ، أما الشعر .. فيحتاج إلى تجربة منتخلة ـ على حد تعبيره الذى نوافقه عليه . كما يقول فى حديثه لجريدة « الجزيرة » [١] .

« ١ » عدد ١٤ من المحرم سنة ١٣٩٤ هـ

ويقول أيضا عن الشاعر أنه هو : « ذلك الذى يعبر عن ذاته ، ونزعات وجدانه الصادقة ، فى إطار يتناسب مع حرارة التجربة وصدق الإنفعال« ٢ » .. وهذا يفسر لنا تعاطفه مع « الشريف الرضى » الذى كان شاعرا ذاتيا ، مثله ، وتسلكه نزعاته الوجدانية فى عداد الأفذاذ الموهوبين .

ويعلل الدكتور رجب البيومى عدم اشتهار الشريف الرضى ، كغيره من كبار شعراء العربية ، لوقوعه ـ زمنيا ـ بين المتنبى وأبى العلاء المعرى .. الأمر الذى صرف الناس عنه ، إلى .. هذين العبقريين ، فدارت حولهما المعارك النقدية ، هجوما وتأييدا ، حتى ملأت الدنيا وشغلت الناس .. وهذا تعليل له وجاهته بلا ريب ..

ومهما يكن من شيء ، فإن الدكتور البيومى بعد ذلك ، بل قبل ذلك كله . شاعر ، يمتلك ناصية التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، كما دللنا على ذلك بدراسة لنا من قبل ، عن ديوانه : « صدى الأيام[٣] » .

ومن هذا الديوان ـ صدى الأيام ـ نزداد معرفة بنشأة الشاعر فى مدارج طفولته حينما نقرأ له ـ بقصيدته ـ « مستقبل طفل » قوله :

لم ألق طفلا بائسا
إلا ذكرت طفولتى
وعرفت محنته التى
نهضت تطابق محنتى
ورحمت شقوته وإن
لم يستفد من رحمتى

وحينما نقرأ له ، بقصيدة « أبى » قوله :

وآثر تعليمى ، ولم يك ذاغنى
فأنفق جهدا طال منه تعجبى
يظل وراء الرزق يكدح متعبا
لأرفل فى نعمائه .. غير متعب

إلى أن يقول :

ويعلم أنى بالقراءة مولع
فيملأ بالأسفار والصحف مكتبى

ويتبدى لنا جانب هام آخر من معالم شخصيته الفكرية ، فى قصيدته « جنون الشهرة » بذات الديوان ، التى تتسم بالواقعية ، والتى يعد موضوعها قاسما مشتركا بين جميع الناس عامة ، وَالْأُبَاَة منهم بصفة خاصة ، والمرهفين بصفة أخص .. وقد وجد الشاعر البيومى لديه الشجاعة الكافية ، لكى يبسط لنا القول ، مسجلا أفكارا تؤرقه ، وخواطر تنفك تأخذ بخناقه ، بقوله :

أبذل جهد الجن فى الأمس واليوم
وأحرق أعصابى .. لِأَنْبَهَ فى قومى
يعذبنى حب اشْتِهَارى فى الورى
فأسمو لآمال .. يضيق بها عزمى
إذا حدَّثوا عن عالِمٍ متضلع
أقول: متى تجرى الأحاديث عن علمى ؟
أُؤَرِّق نفسي كى أَخُطَّ مقالة
يطالعها القراء ممهورة باسمى

« ٢ » المصدر السابق
« ٣ » أنظر عدد مجلة الجديد الصادر فى أول فبراير سنة ١٩٨١ . ص ٢٦

إلى أن يقول :

جماهير قراء أحاول عدَّهم
فلا تنهض الأرقام بالعدد الضخم !
تخَّيلتُ جمعا منهمو مترقبا
محيَّاى . يعتدُّ اللقاء من الغُنْم

ثم يسدل الستار ، مصطدما بأرض الواقع ، يقول :

ويرجع لى عقلى ، فأُدرك واقعى
وحيداً أعانى الصمت فى منزلى الجهم

ولسنا مع الشاعر فى تحسُّره بالبيت الأخير ، لانفراده ووحدته فى « منزله الجهم » كما يقول .. فالوحدة ، أو العزلة ، هى مملكة أفكار الشاعر الملهم ، وبدونهما لا يستطيع أن يفىء إلى تأملاته وخواطره ، ليغوص على الدرر ، ويستنزل الغرر ..

وقد أتيح لنا أن نزور الشاعر فى « صومعته » بالمنصورة ، منذ وقت قريب ، فهالنا مايستوقف الزائر عند ولوجه باب المنزل ، حيث يُفاجأ بصور أعلام الفكر والأدب ، التى اختصها الشاعر بركن بارز من جدران ردهة المنزل ، جنبا إلى جنب مع الزعماء والقادة المصلحين ،، فنجد إطارات بديعة تضم شخصيات : مصطفى صادق الرافعى وأحمد أمين وطه حسين والعقاد والمازنى والمنفلوطى وهيكل وتوفيق الحكيم ، بجانب إطارات أخرى تضم صور الكواكبى وسعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد فريد ومصطفى النحاس وحسن البنا والمراغى ومحمد كرد على ، وغيرهم من أعلام أمتنا الإسلامية .

وفى الجدار المقابل نشاهد منظرا طبيعيا خلَّابا ، من ورق الحائط الفاخر ، يُمثل منظراً

ناضراً لغابة شجراء ، تنطق بالروعة والجمال .. فإذا تجاوزنا ذلك كله ، وتقدمنا إلى الأمام قليلا ، نُفاجأ بمكتبة الدكتور الزاخرة بشتى الكنوز الفكرية ، من الكتب والمراجع الهامة الكبيرة ، والدوريات فى شتى التخصصات الأدبية والعلمية والثقافية ، التى جَمَعَتْ فأوعت .. ووسط ذلك كله مكتب الدكتور ذو المقعد الوثير ، حيث يأنس إليه ، أثناء قيامه بتدوين مؤلفاته ، وتسجيل معانيه وإلهاماته .. وبعد ذلك كله ، ألست معى أيها القارىء ، فى تعجبنا من نعت الدكتور ، لمثل هذا الصرح الثقافى ، بأنه بيت جهم ، وأنه يعانى فيه من هدأة الصمت ؟ والصمت ألزم ما يكون لأرباب الفكر وذوى التأمل والملكات الأدبية والفنية ..

إلا أننا سرعان ما ندرك السبب فى ذلك كله ، حينما نتذكر قول أبى العلاء

ولو أنى حُبيت الخلد فردا
فلن أرضى مع الخلد انفرادا

وقول الدكتور رجب البيومى نفسه ، مناجيا « سمير خيالة » بقوله :

أناديك كى أُفْضى إليك بهاجس
فترمُقُنى فى غبطة وسرور
وترحم ضعفى حين تدرى حقيقتى
وتبكى لتقصيرى وفرط قصورى
وتلمس ذنبى فادحا . فتسيغه
وتُوليه فى رفق .. سماح غفور

إلى أن يقول لرفيق « المشاركة الوجدانية » الذى يبحث عنه بصبر نافد :

عرفتك وضَّاح الملامح باسما
تخفُّ إذا أدعوك دون فتور
أُريك ادِّعاءً لا يطاق احتماله
فتقبل منى .. كبرياء غرورى
فأزعم أنى فى زمانى نابغ
يعيش على الدنيا ، بغير نظير
وأن بيانى خالد .. ستذيعه
دهور من الأجيال .. خلف دهور

وقد صدقت نبوءة الدكتور البيومى بالفعل . بالنسبة لشعره ـ وإن خالها من قبيل الأمنيات العزيزة المنال ـ ولكن .. بعد أن صهرته الآلام المبرحة فى بوتقتها الرهيبة .. وصدق شاعر الإنسانية « شكسبير » حينما قال :

« **شعرنا كالنار الكامنة فى الحجر الصوان ، لا تظهر إلا عند القدح** » .

وكم أشعر بالتياع مذيب ، تمثل فى اصطدام رجب البيومى بمحنة مزلزلة ، ألا وهى مأساته الداوية بفقد زوجته أثناء فترة عمله بنجد بالمملكة العربية السعودية ، ونستدل على ذلك من قوله بقصيدة « داء السقام ـ على سرير الألم :

أتأتى إلى نجد لتلقى مصيرها
وقد تركت خير الأطباء فى مصر
بنت أملا كالصرح .. فانهار فوقها
وفوقى ، فأردانا .. ولماً نكن ندرى

أما هذا « الأمل » الذى بنته زوجته ، رحمها الله ، فيتمثل فى طموحها إلى تأمين مستقبل أبنائهما ، كما يفعل الكثير عن طريق التغرب والسفر ذى الفوائد السبع ، وكما يقول شاعرنا :«٤»

قد تغرَّبْتُ لا لشىء سوى أن
أقضى العمر فى بلادى هنيا
أجمع المال كادحا لتعيشى
فى حياة ، ترفُّ زهرا شذياً
ولك المطعم النظيف شهيا
ولك المنزل الرحيب عليا
ولأطفالنا من الخصْب والرفه
حياة تفيض نوراً ورِياً

إلى أن يقول :

أنتِ أنتِ التى دفعْتِ إلى هذا
وشاركتنى المكان القصيا
كم تباطأت أستخف فأبديت
جفاء مُرًا وغيظا حميا
ومددت الآمال تبنين حلما
ضاحك الوجه ، فاتنا عبقريا

« ٤ » ديوان « حصاد الدمع » ص ٥٦ .

وهتفت : الأولاد يبغـون تأمينـا
بـدنيـا تعـجُ بؤسـاوغيـا
لما لا ندفع الأعاصير عنهم
إذ نقيم السياج صلبا قويا

ولكن ، هل تحقق للشاعر شيء مما توخاه ؟ يقول :

حسرتـاه ، وألف واحسرتاه
حينما انْهدَّ كل شيء عليا !

ثم يصور لنا لوعته حينما يصل إلى مطار القاهرة وحيداً متضعضعا ، بدونها :

أسفـى أن أجىء مصر وحيـداً
حيث لا ننزل المطار سـويا
ويخف الأصحاب نحوى حيارى

ويعزُّوننى ، فأُغضى شجيـا
ويرينُ الهمُّ الثقيل علـى ظهرى
فـأسـعـى محـدودبـا مَحْنيـا
وتقول العيون .. عـاد ولم تأتِ
فـأغضى محـوِّلا مُقلتيـا
ويصـير اللقاء نعيـا ، كـأنى
لم أكابد يـوم الوفـاة النَّعِيا

أما وقع المصاب عليه ، ومفاجأته به ، التى يصورها قوله :

نزلْتُ بها دار السقام مؤمِّلا
شفاء لها .. أعتدُّه أهون اليُسر
ولم أدر أن الأرض بعد دقائق
سترتجُّ بى ، كالراسيات لدى الحشر
وأن كيانى سوف ينهار طائرا
كما فعلت هوج العواطف بالذر

حتى إذا وقعت الواقعة ، نراه يزفر من أعماقه ، قائلا :

عزيزة أعز من عينيا
حبيبة أحب من فى الدنيا
بحبها الحافز كنت أحيا
واليوم إذ ماتت .. فلست حيا

●●●

كسقطة الصاعقة المدمرة
كرَ جْفة الزلزلة المزمجرة
كصرخة القنبلة المنفجرة
قد كان وقع نعيها عليّا

●●●

عجزت أن أصرخ وارتميت
وغبت عن حسي فما وعيت
تسألنى .. لم أدر ما صنعت
فإن عقلى لم يكن لديّا

وحينما يفىء إلى نفسه ، يصور لنا حيرته البالغة إزاء أبنائه ، وكيف يمكنه إطلاعهم على النبأ الفاجع ، وإشفاقه عليهم من رد الفعل العنيف :

وحينما عاودنى رشادى
وحسرتى تأكل فى فؤادى
عييت أن أسعى إلى أولادى
بنعيها .. وحق لى أن أعيا«٥»

وبعد التسليم بالأمر الواقع ، ومواجهة الحياة الأليمة ، بغير الزوجة الأم ، يقول :

تحملت أعبـاء الأبـوة صـامتـا
وإن تك فوق الظهر تجثم كالطود
أأحمل أعباء الأمومة فوقها
فـأسقط منهاراً ، ومـاأنا بـالجلد

« ٥ » المصدر السابق ص ١٥ ، ١٦ بقصيدة « رحيل مفاجىء » .

أأصبح أُمًّا فى الحياة ووالدا
رويد شقائى ، كم يضاعف من وجدى
فكم ليلة كابدْتُها مع طفلة
تئنُّ فأُبدى جازعا مثلما تبدى
أَيُسْلِمُنِى كَدْحُ النهار لمهنتى
ويسلمنى الليل الطويل إلى السهد«٦»

ثم يصور فى قصيدة أخرى رائعة موقف أبنائه ، ونشأتهم ناعمين بين أحضان الأمومة :

تربوا فراخا فى العشاش تزقهم
حمامة أيْك بالأهازيج تهدل
يحسُّون فيض الحب تحت جناحها
فما منهمُ إلا الأثير المدلل
إذا أشرقت شمس بدفء سعت بهم
تجاه الضفاف الخضر لا تتمهل
وإن عصفت ريح بغصن تجمَّعت
تقيهم هبوب الريح ساعة تقبل
رعتهم .. وخَلَّتْ نفسها فهى بينهم
على غلواء الكدح تضوى وتنحل«٧»

ومهما يكن من أمر ، فإننا نلمح وسط دياجير الحزن الكثيفة ، بصيص نور ، يشى بمقدرة الشاعر الفنان ، الذى لا يقعد به الخطب الجسيم ، عن تلمُّس طريقه على درب النبوغ ، فيلتقط ريشة الإبداع ، ليصور لنا مشاعره القلبية إزاء مُلهمته وزوجته الحبيبة ، غير عابىء بمن قد يأخذ عليه تغزُّله فيها ، وهو فى موقف الرثاء لها ، فيقول :

يا أخت نيِّرة السماء وَضَاءةً
هل للكواكب فى التراب مدار ؟
بخلت عليك القبة الزرقاء أن
تُجلى بها .. والنيرات تغار

فهويت للغبراء كنز صباحةٍ
لاتفتديه .. فضة ونُضار
متغزل أنا فيك رغم مصيبتى
مهما يضجُّ الناقد الثرثاء
أنكرت وصفك فى الحياة تزمُّتا
أيجوز لى ، بعد الردى ، الإنكار
إن كان وصف الحسن فيض مشاعر
فإلام يُكبت صوته الهدار«٨» .

وقوله بقصيدة أخرى :

تحيفها الداء الممضُّ رشيقة
نضيرة عود شبَّ مُخْضَوْضرَ القد

تلألأ فى عينى بهيجا رواؤها
كما لألأ الطلُّ النثير على الورد«٩» .

وقوله بقصيدة ثالثة :

ولذت بدينى مستعصما
لعلى أخفف برح المصاب
فقلت لقد خلدت روحها
وإن فنى الجسم تحت التراب

« ٦ » المصدر السابق ص ٣٥ ، ٣٦ بقصيدة « رفيقة دربى »
« ٧ » المصدر السابق ص ٢٧ ، ٣٦ بقصيدة « يقولون ماما » .
« ٨ » المصدر السابق ص ٢٤ بقصيدة « أكباد أطفالى »
«٩» المصدر السابق ص ٣٦ ، ٣٧ بقصيدة « رفيقة دربى »

ستخفق فى سبحات النسيم
وتعلو مع النجم فوق السحاب
وتسقط طلًّا بزهر الرُّبى
وتعلو غناء بشادى الرباب
وتمضى لفردوسها المُشتهى
إذا هى شاءت فما من حجاب
لقد خلصت من شديد الضنى
وكم كابدت منه أقسى العذاب «١٠» .

وصفوة القول ، فإن مثل هذا النسيب ، كما يقول شاعرنا الكبير :

نسيب تلظَّتْ بالرثاء حروفه
فإن رحت تتلوه ، تأوَّهْتَ صاليا

فالموت أمر وارد .. والكل للأجداث سائر ..
وعزاؤك و ....

عزائى رسول الله من كل ميت
وحسبى ثواب الله من كل هالك
إذا مالقيت الله عنىِّ راضيا
فإن شفاء النفس .. فيما هنالك

حقوق الانسان فى السنة والقرآن بقية

وحتى القتل الخطأ ، جعل الإسلام فيه دية لأهل القتيل « لا تقل الآن فى تقديرها لما كان فى الماضى عن مائة ألف دولار » ، وعليه أيضاً كفارة ، وهى عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً . وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيماً ﴾ النساء « ٩٢ ، ٩٣ » .

وقبل قرون عديدة حفظ حديث الرسول ﷺ الحقوق والحرمات ، وحرم أى اعتداء عليها ، حين قال :

﴿ كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه ﴾

ومن قاتل دفاعا عنها وقتل فهو شهيد ،

« د . توفيق محمد شاهين »

« ١٠ » المصدر السابق ص ١١٢ بقصيدة « وهم جميل » ..

القيمة البيانية للاستعارة ومعايير حسنها

عند البلاغيين والنقاد

٩

ومما يزيد من قدر الاستعارة ويرفع من شأنها أن تلتئم مع غيرها من استعارات أخرى تقوى المعنى وتدعم الالحاق فيها من عدة جهات ، قصدا الى تحقيق الغرض المقصود منها .

يقول عبد القاهر : « ومما هو أصل فى شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا الى أن يلحق الشكل بالشكل ، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد ، مثاله قول امرىء القيس :

فقلت لـه لمـا تمطى بصـلبه وأردف اعجـازا ونـاء بكلكـل

لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه ، واذا نظر خلفه ، واذا رفع البصر ومده فى عرض الجو (١) » .

فامرؤ القيس هنا قد جمع بين عدة استعارات مبنية على بعضها ، وملتئمة فى نسق عجيب ، وتآلف غريب ، فلما أراد أن يعبر عن ظلام الليل وطوله وتثاقله راعى ما يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه لأنه جعل لليل كلكلا ، وكذلك اذا نظر خلفه لأنه جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا ، وكذلك أيضا اذا اذا رفع البصر ومده فى عرض الجو ، لأنه جعل له صلبا يتمطى ، وبذلك استعار لليل من

(١) المرجع السابق ٦٢/٦٣ .

الجمل صلبه المتمطى ، وأعجــازه المترادفــة ، أى الطويلة الممتدة ، وكلكله الثقيل .

وقد استجاد هذا النوع من الاستعارة من قبل عبد القاهر الآمدى ، ولم يلتفت الى من عاب هذه الاستعارة ، ولعله يقصد قــدامة بن جعفر حيث جعلها من النوع الوسيط لما اكتنفها من غموض فى التشبيه بسبب بناء بعضها على بعض ، وقد تبعه فى ذلك ابن سنان الخفاجى الذى قسم الاستعارة مــن حيث الحســن والقبح الى قسمين : قريب مختار وبعيـــد مطرح ، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح ، والبعيد المطرح اما أن يكون لبعده مما استعير له فى الأصل ، أو لأجل أنه استعارة مبنية عـــلى أخرى فتضعف لذلك (٣)واستشهد لهذا النوع الأخير ببيت امرىء القيس السابق ، الا أنــه جعله من النوع المتوسط لما رأى فيه من دقة النظم واحكام الصنعة على النحو السابق .

أما العلوى فقد بالغ فى قبول مثل هذا النوع من الاستعارة المرشحة أو الموشحة على حــد تعبيره ، والتى تسمو فى حسنها وبلاغتها على المطلقة والمجردة ، ومن هذا المنطلق ذهب الى أن ابن سنان الخفاجى ينكر الاســـــتعارة المرشحة .

قال العلوى : « وقد زعم عبد الله بن سنان الخفاجى انكار الاستعارة المرشحة ، وقــال : ان الاستعارة المبنية على أخــرى من أبعــد الاستعارات ، وأنكر عليه الآمدى هذه المقالة وما قاله الآمدى هو المعول عليه ، فان هــذه الاستعارة المرشحة مــن أعجب الاستعارات وأغربها ، واستطرفها كل من علماء البيان»(٤)

وفى عبارة العلوى هذه مجافاة للصواب من وجهين :

أولهما : أن ابن سنان الخفاجى لم يعتبــر الاستعارة المبنية على أخرى مرشــحة حتى يكون فى انكاره لها انكار للمرشحة ، بــل هــذا النوع من الاستعارة ردىء عنده كما ذكرت ، فهو لم ينكر الاستعارة المرشــحة بمفهومهــا الشائع عند البلاغيين ، واعتبار الاســتعارة المبنية على أخرى من قبيل المرشحة اعتبــار خاص بالعلوى لم أعرفه لأحد سواه .

ثانيهما : أن الآمدى لم ينكــر عليــه هــذه المقالة ، لآن الآمدى سابق عليــه ، ومتوفى قبله (٥) ولعل العلوى قد التبس عليه الأمــر هنا عندما رأى الآمدى ينكر على من عاب هــذه الاستعارة مقاله ، فظنه يقصد ابن ســـنان ،

(٣) تنظر الموازنة للآمدى ٢٦٦/١ ونقد الشعر لقدامة ١٧٧ وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ١٣٦ .

(٣) سر الفصاحة ص ١٣٦ .

(٤) الطراز للعلوى ٢١٢/١ .

(٥) توفى الآمدى ٣٧٠ هـ وابن سنان الخفاجى ٤٦٦ هـ .

وقد ذكرت أنه ربما كان يقصد قدامة لأنه سابق عليه (٦) .

والحق أن ابن سنان الخفاجي كان مغاليا حين رفض كل استعارة مبنية على أخرى ، لأن المدار في القبول أو الرفض هو قوة العلاقة بين الطرفين ، وهي متحققة في هذه الاستعارة مع شيء من الاحكام والدقة ، وقد اعتبر الطيبي اجتماع عدة استعارات معيارا من معايير حسنها في قوله : أن تجتمع في الكلام عدة استعارات كما في قوله تعالى : « فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ » (٧).

دقة التشبيه الذى تبنى عليه الاستعارة :

ومن حسن الاستعارة أيضا عند الامام أنه كلما ازداد التشبيه الذى بنيت عليه خفاء كلما كانت الاستعارة أحسن وأجود ، ولذلك تصل الاستعارة الى المرتبة العليا اذا ألف الكلام تأليفا بحيث لو ورد الى التشبيه لكان كلاما غثا باردا تعافه النفس ، وينفر منه الطبع ، ويلفظه السمع ، وقد استشهد لهذا النوع العالى المرتبة من الاستعارة بقول ابن المعتز:

أثمرت أغصان راحته
لجناة الحسن عنابا (٨)

وقارن بينه وبين قول الوأواء الدمشقى فى استعارة العناب أيضا :

فأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

بقوله : « ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه ، وتفصح عنه احتجت الى أن تقول : « أثمرت أصابع يده التى هى كالأغصان لطالبى الحسن شبيه العناب من اطرافها المخضوبة ، وهذا مالا تخفى غثاثته من أجل ذلك كان موقع العناب فى هذا البيت أحسن منه فى قوله : « وعضت على العناب بالبرد » وذلك لأن اظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط ، لأنك لو قلت : وعضت على أطراف أصابع كالعناب بثغر كالبرد لكان شيئا يتكلم بمثله ، وان كان مرذولا ، وهذا موضع لايتبين سره الا من كان ملتهب الطبع حاد القريحة . وفى الاستعارة علم كثير ، ولطائف معان ، ودقائق فروق » (٩) .

نسأل الله تعالى الالهام والتوفيق فى كشف بعض أسرار هذا العلم ، وسبر غور هذه اللطائف ، وتلك الدقائق والفروق . انه سميع مجيب .

وخفاء التشبيه الذى تبنى عليه الاستعارة، ويزيد فى حسنها ، والذى أشار اليه الامام هنا هو ما عبر عنه المتأخرون من بعده بعدم اشمام رائحة التشبيه لفظا فيها كشرط لحسنها كما سيأتى .

ولنبدأ الآن بعرض المناقشات الرئيسية عند المتأخرين حول بعض ما وضع أساسه

---

(٦) توفى قدامة بن جعفر ٣٢٧ هـ .
(٧) النحل ١١٢ وينظر البيان فى علمى المعانى والبيان للطيبى مخطوط رقم ٢٦٨ بدار الكتب المصرية ورقة ٨٧ .
(٨) ديوان ابن المعتز ص ٣٦ شرح وتقديم ميشيل نعمان . ط الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩.
(٩) الدلائل ٣٤٦ .

الامام عبد القاهر وغيره من معايير لحسن الاستعارة .

معايير حسن الاستعارة عند المتأخرين

ركز المتأخرون بعد الامام على معيارين لحسن الاستعارة مستنبطين من العرض السابق ، وهما :

١ — رعاية جهات حسن التشبيه .

٢ — عدم اشمام رائحة التشبيه لفظا .

وسأتحدث عنهما فى ضوء مادار عندهم من مناقشات حولهما .

وقد بدأ المتأخرون مناقشاتهم حول معايير حسن الاستعارة بالتوقف عند لفظ الحسن فى الاستعارة ، وهل يعنى ما به أصل الحسن فقط ، أو ما به أصله وزيادة ، بحيث لو عريت الاستعارة عن هذه الزيادة فى الحسن لا نحكم بقبحها بالضرورة ، بل تكون فى مرتبة متوسطة ولعل هذا الاعتبار الأخير هو المقصود عندهم ، وقد يفهم من قول السكاكى الاستعارة لها شروط فى الحسن ان صادفتها حسنت ، والا عريت عن الحسن وربما اكتسبت قبحا » (١٠) فهى ان خلت عما به أصل الحسن كانت قبيحة ، وان خلت عما به زيادته كانت وسطا بين الحسن والقبح ، وبذا تكون مراتب الاستعارة من هذه الجهة ثلاث : حسنة ومتوسطة وقبيحة كما سيأتى قريبا . ولنبدأ بعرض المناقشات حول المعيار الاول من معايير حسن الاستعارة وهو :

١ — رعاية جهات حسن التشبيه

وهذا الأساس يعنى — كما سبق — أن كل حسن فى التشبيه هو حسن فى الاستعارة ، وكل قبح فيه هو قبح فيها لبنائها عليه :

وقد اعترض على هذا المعيار بأنه غير مطرد ، فقد يحسن التشبيه ولا تحسن الاستعارة اذا كان الوجه خفيا ، وقد تحسن الاستعارة ولا يحسن التشبيه المبنى عليها اذا كان الوجه بعكس ذلك كما أشرنا سابقا فى كلام الامام عبد القاهر ، وكما سيأتى مزيد بيان له .

ولعله يمكن الجواب عن ذلك بأن المراد بالحسن والقبح المعهودان عند الحديث عن التشبيه ، فالمقصود معايير التشبيه المعهودة لديهم ، وأما ما يذكر هنا من قوة للشبه أو ضعف له فهو خاص بالمقارنة بين التشبيه والاستعارة من هذه الزاوية ، وهى تذكر هنا لأول مرة ، وليست معهودة من الحديث عن التشبيه استقلالا كما سيأتى ، وبذلك يكون هذا الأساس مقيدا لا مطلقا .

وسأركز فيما يلى على أهم معايير حسن التشبيه التى تؤثر فى حسن الاستعارة ، ومنها :

أ — كون الوجه شاملا للطرفين ، ومتحققا فيهما كما فى قوله تعالى : « **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** » (١١) فان المناسبة بين ابيضاض الرأس بالمشيب ، واشتعال النار فى الحطب شديدة من جهة سرعة الالتهاب والانتشار شيئا فشيئا ، واحالة ما انتشر فيه عن صفته قبل ذلك ، وتعذر التلافى وعظم الألم ،

---

(١٠) مفتاح العلوم ص ١٨٣ .

(١١) مريم ٤ .

وتعقب الجمود والخمــود (١٢) وكل هــذه معان مشتركة ومتحققة فى الطــرفين ، ولذلك كان الوجه شاملا لهما •

وقد اعترض على هذا المعيار بأنـــه شرط صحة فى الاستعارة لاشرط حسن ، اذ لا يصح التشبيه ولا الاستعارة المبنية عليه الا بكون الوجه شاملا للطرفين ومتحققا فيهما ، ويمكن أن يقال : إن القدر المطلوب فى صحة التشبيه والاستعارة من تحقق الوجه فى الطرفين أقل من المطلوب من تحققه فيهما للحسن ، اذ يكفى فى صحة التشبيه والاستعارة شمول الوجـــه للطرفين ولو ادعاء ، والمعتبر هنـــا للحســـن الشمول الحقيقى أو الظـــاهر ، وعبارة الأطول هنا : وكأنه أراد ظهور الشمول ، أو الشـــمول تحقيقا ، والا فشمول وجه الشبه مما يتوقف عليه التشبيه لا حسنه (١٣) •

ولم يرتض ابن يعقـــوب المغـــربى هذا الجواب ، لأنه اذا كان المراد فى شرط الحسن الشمول ، وفى شرط الصحة مطلق الشـــمول الصادق بالادعائى كمـــا فى التهكم فهـــو غير مستقيم ، لأن الشمول الادعائى انما يقبـــل لكونه فى حكم الحى ، وذلك يقتضى أن الشمول الحسى شرط للصحة لا شرط للحسن ، ولذلك رأى أن الأولى اسقاط هذا الاعتبار فى شرط الحسن طالما أنه شرط للصحة (١٤) • وأمـــا عبد الحكيم فقد أجاب عن هذا الاعتراض بما لا يبعد عما أجاب به العصـــام ، فقـــد رأى « أن المراد بالشمول الشمول بلا شبهة ، فاذا تحققت الشبهة فى الشمول يكون التشـــبيه باقيا ، وكذا الاســـتعارة الا أنـــه لا يبقـــى حسنهما » (١٥) •

وأما الدسوقى فقد نقل جوابا عن هـــذا الاعتراض عن العدوى مؤداه أن شرط الحسن تحقق الوجه فى الطرفين بقدر متساو ، فـــان تفاوت هذا التحقق كان شرط صحة لا شرط حسن ، بمعنى أنه ينبغى فى شرط الحســـن تحقق الوجه فى الطرفين حقيقة أو لزوما ، فان كان متحققا فى أحدهما بمعنى كونه جزءا منه ولازما للآخر كما فى الحديث الشريف : « كلما سمع هيعة طار اليها » فهو شرط صحة لا شرط حسن ، لأن قطع المسافة بسرعة جـــزء مـــن أحدهما ولازم للآخر (١٦) •

ويمكن استنباطا من هذه الأجـــوبة عن هذا الاعتراض أن نقول : ان شمول الوجه لكل من الطرفين شرط لصحة الاستعارة وحسنها معـــا غاية الأمر أنه لا يشترط تحققه فى صـــحة الاستعارة تحققا كاملا كما هـــو الحـــال فى شرط الحسن •

هذا ويمكن تقسيم الاستعارة باعتبـــار الوجه من حيث تحققه فى الطـــرفين ، وقـــوة

---

(١٢) ينظر الاكسير فى علم التفســـير للطوفى ١١٣ •

(١٣) الاطول للعصام ١٦٥/٢ وينظـــر تقرير الانبابى على شرح سعد الدين وتجريد البنانى ص ٣٠٣ وما بعدها •

(١٤) ينظر مواهب الفتاح ٢٢٢/٤ « شـــروح التلخيص » •

(١٥) حاشية عبد الحكيم على المطول ص ٤٨٠ •

(١٦) تنظر حاشية الدســـوقى على المختصر ٢٢١/٤ ، ٢٢٢ « شروح التلخيص » •

العلاقة بينهما الى ثلاثة أنواع : جيدة ومتوسطة ورديئة ، وهذا التقسيم يفهم من كلام الطوفى البغدادى ، كما يمكن أن يفهم من عبارة انسكاكى السابقة أيضا وان كان الطوفى قد صرح بأن الاستعارة من هذه الجهة نوعان : جيد وردىء ، ولما تحدث عن النوع الجيد جعله مرتبتين ، وهذا ما دعانى أن أجعل مراتب الاستعارة عنده ثلاث ، ويتضح ذلك من قوله :

« الاستعارة نوعان : جيد يجب استعماله وتوخيه ما أمكن ، وردىء يجب اجتنابه ما أمكن • أما الأول فهو ما اشتد الامتزاج والتناسب والتشابه فيه بين المستعار له والمستعار منه » • وقد استشهد لهذا النوع بقوله تعالى : « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا » وبقوله جل شأنه :

« وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ » (١٧)

وقد وضح شدة الامتزاج والتناسب بين الطرفين فى الأولى ، وأما فى الآية الثانية فقد صور ازالة ضوء النهار عن الليل بسلخ الجلد عن الشاة ، بجامع ما فى كل من ظهور شىء كان مختفيا ، ومن تلاصق وتلاحم بين التباس الضوء بالظلام والتباس الجلد بالشاه وما فى كل من صعوبة الازالة ••• الى غير ذلك من المعانى المشتركة بين الطرفين والتى يمكن ملاحظتها بطول التأمل والنظر •

وأما النوع الجيد الآخر الذى هو أقل حسنا من الأول ، وهو ما اعتبرته وسطا فقد ذكره الطوفى بقوله :

« ومما دونها فى الطبقة قول أبى تمام :

ومعرس للغيث تخفق بينه
رايات كل دُجُنَّةٍ وطفاء

فاستعار لفظ المعرس وهو موضع التعريس لموضوع وقوع الغيث ، ولفظ خفوق الراية وهو اضطرابها لهبوب السحاب عند هولها وانصبابها ، ولاسيما العطفاء وهى القريبة من الأرض ، ولفظ الراية لهدب السحابة ، وهو المتدلى منها ، وكأنه هدب القطيفة ، بجامع التدلى ، ولفظ الدجنة — وهى الظلمة — للسحابة السوداء » •

فلما لم تكن العلاقة بين الطرفين قوية فى هذا النوع من الاستعارة كما هو الحال فى النوع الأول ، حيث لم يشتد الامتزاج بين الطرفين كما اشتد فى سابقه جعل هذا النوع دون الأول ، ولم يجعله منه لما سبق ، كما لم يجعله من النوع الأخير لوجود وجه للارتباط بين الطرفين ، وأما النوع الأخير من الاستعارة وهو ما جعله رديئا فقد حدده بقوله : « فما كان ارتباط التناسب بينهما بعيدا » ونقل عن ابن الأثير من شواهده قول أبى تمام :

يوم فتح سقى أسود الضواحى
كثب الموت رائبا وحليبا (١٩)

---

(١٧) يس ٣٧ •

(١٨) ديوانه ٢٣/١ والتعريس : النزول فى آخر الليل ، وهو مستعار ، لان التعريس لذوى الشخوص من الحيوان •

(١٩) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ١٧٠/١ ط ٤ •

كما نقل عنه أنه عابه وبالغ فى تقبيحه من وجهين :

أحدهما : أن الكثب هى الألبان ، واحدتها كثبة ، والمشابهة بين الموت واللبن بعيدة ، ثم لم يكفه ذلك حتى جعل فيها رائبا وحليبا •

الثانى : أن من شأن الموت أن يستعار له ما يكره لا ما يستطاب •

وقد رد الطوفى نقد ابن الأثير هذا بما يجعل الاستعارة هنا فى غاية العلو لا فى غاية السقوط ، الا أن ما ذكره الطوفى لا ينهض دليلا على وجهة نظره ، لأنه ذكر أن الموت يستعار له السقى أيضا ، واستشهد لذلك بما هو غير مسلم ، لأن الموت لا يستعار له الا السقى المر ، لا اللبن المستطاب ، كما فى قولهم : سقاه الموت ، وجرعه منه كأسا مرة ، فنقد ابن الأثير مبنى على الذوق السليم ، والاحساس الصادق ، ولذلك أراه سليما ، وما ذهب اليه الطوفى هنا متكلف مردود (٢١) •

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ونحن بصدد الحديث عن قوة العلاقة وشدة الامتزاج بين الطرفين كأساس لحسن الاستعارة أن كثيرا من النقاد قد عاب على أبى تمام وغيره كالمتنبى كثيرا من الاستعارات التى افتقدت هذا المعيار ، وقد دارت مناقشات عدة حول مدى قبول أو رفض هذه الاستعارات ، وقد حاول بعضهم ايجاد وجه للمناسبة بين الطرفين يصحح هذه الاستعارات ، بينما رفض غيرهم هذا التكلف (٢٢) •

وقد آثرت عدم خوض غمار هذه المعركة النقدية التى طال النقاش فيها ، وكثر الجدل حولها ، لأنها ينبغى أن يخصص لها بحث مستقل •

(ب) وفاؤه بالغرض منه كبيان حال المشبه اذا استعير له المشبه به فى قول الشاعر :

كأن سهيلا والنجوم وراءه
صفوف صلاة قام فيها إمامها

وكما فى استعارة مقلة الظبى للوجه الأسود اذا كان الغرض تزيين المشبه ، أو استعارة المسك الذى هو بعض دم الغزال لحال من فاق البشر وهو منهم فى قول أبى الطيب :

فان تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال

وذلك اذا كان الغرض بيان امكان المشبه ••• وهكذا •

والمراد بالوفاء بالغرض هنا افادته على جهة الكمال ، أو الوفاء بلا شبهة كما سبق فى الحديث عن شمول الوجه للطرفين ، فلا يقال : ان هذا شرط صحة لا شرط حسن •

(جـ) كون الوجه غير مبتذل : كأن يكون غريبا لطيفا لكثرة مافيه من تفصيل كما فى قول الشاعر :

---

(٢٠) أى هذا النوع من الاستعارة •

(٢١) ينظر الاكسير فى علم التفسير ص ١١٣ وما بعدها •

(٢٢) تنظر الموازنة للآمدى ١/ ٢٧١ والوساطة بين المتنبى وخصومه ٤٠ ، ٤٢٩ للقاضى الجرجانى •

واذا احتبى قربوسه بعنانه
عَلَكَ الشكيم الى انصراف الزائر

حيث شبه هيئة العنان الممتد بين فم الفرس وظهره على الجانبين بهيئة الاحتباء بثوب أو غيره بجامع الهيئة الحاصلة من شيء ممتد الى جهات متعددة يجمع بين شيئين ، ويربطهما برباط واحد ، فغرابة الوجه ناشئة من كثرة تفاصيل الحركة والاتجاه في عدة اتجاهات ، مع ملاحظة غرابة التشبيه لبعد بين الطرفين في الذهن .

ومن التشبيه غير المبتذل للبعد بين الطرفين مع كثرة التفصيل في الوجه أيضا تشبيه هيئة زهرة البنفسج بصورة أوائل النار في أطراف كبريت في قول الشاعر :

ولا زوردية تزهو بزرقتها
بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها
أوائل النار في أطراف كبريت

فاذا استعيرت صورة المشبه به للمشبه كانت الاستعارة حسنة لقيامها على تشبيه حسن (٢٣) .

وهذا بخلاف تشبيه الوجه الجميل بالشمس في الاشراق مثلا ، أو تشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالبحر ، والجميل بالبدر ، ثم استعارة المشبه به للمشبه (٢٤) فلا تحسن الاستعارة هنا لبنائها على تشبيه مبتذل .

وهذا الاعتبار في حسن التشبيه الذى يؤثر في حسن الاستعارة ، أعنى كون الوجه غير مبتذل قد ينافيه اعتبار آخر في حسنها ــ كما سيأتى ــ وهو كون الوجه فيها جليا حتى لا تكون ألغازا « فكأنهم اشترطوا في حسنها كون الشبه جليا ، وكونه غير جلى ، وهذا تناف » (٢٥) وسنعرض فيما يلى لازالة هذا التناقض .

أثر وضوح وجه الشبه أو خفاؤه في حسن الاستعارة :

حاول سعد الدين التفتازانى أن يحل ما يبدو أنه تناقض هنا حيث اشترطوا في حسن التشبيه ألا يكون الوجه مبتذلا كما سبق ، كما اشترطوا في حسن الاستعارة ما يبدو في ظاهره أنه مناقض كذلك وهو وضوح وجه الشبه فيها حتى لا تكون ألغازا أو تعمية ، فذهب السعد الى « أن الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف ، فيجب أن يكون (الوجه) من الجلاء بحيث لا يصير ألغازا ، ومن الغرابة بحيث لا يصير مبتذلا » (٢٦) أى يكون فيه قدر من الجلاء لا يجعله ألغازا ، وقدر من الغرابة لا يجعله مبتذلا ، فيكون وسطا بين المبتذل والخفى كما ذهب اليه الدسوقى (٢٧) .

(٢٣) تنظر حاشية الدسوقى على المختصر ٢٢٢/٤ « شروح التلخيص » .
(٢٤) تنظر دلائل الاعجاز ص ٥٨ ومواهب الفتاح لابن يعقوب ٢٢٢/٤ شروح التلخيص .
(٢٥) حاشية الدسوقى على المختصر ٢٢٨/٤ « شروح التلخيص » .
(٢٦) مختصر سعد الدين التفتازانى ٢٢٨/٤ « شروح التلخيص » .
(٢٧) المرجع السابق للدسوقى .

ومع هذا الايضاح للدسوقى حول عبارة السعد السابقة فمازال يبدو فيها نوع من القلق وعدم الاحكام ، لأن تعليقه عليها لم يجعلها محددة الهدف تماما ، واضحة المراد ، ولذلك وقفت أمام صياغتها والمراد منها على هذا الوجه السابق وقفة طويلة ، وأخيرا عثرت على ماف العبارة من قلق واضطراب،وأن وجهها الصحيح الذى يؤدى الى الهدف المقصود منها دون عناء يقتضى أن تكون هكذا : « فيجب أن يكون (الوجه) من الجلاء بحيث لا يصير مبتذلا ، ومن الغرابة بحيث لا يصير الغازا » (٢٨) .

وبهذا تستقيم العبارة ، وتؤدى معنى محددا هو أن الجلاء المطلوب فى الوجه لحسن التشبيه له حد معين حتى لا يصل التشبيه الى درجة الابتذال ، وكذلك الغرابة المطلوبة فيه لها حد معين حتى لا يصل التشبيه الى مرحلة الالغاز ، وهذا هو مراد السعد بقوله فيما سبق : « ان الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف » فلا تنافى اذن بين ما ذكر فى حسن التشبيه من كون الوجه غير مبتذل ، وما يذكر هنا من حسن الاستعارة من كون الوجه واضحا جليا ، فالمطلوب فى حسن التشبيه قدر من الخفاء حتى لا يكون مبتذلا ، وفى حسن الاستعارة قدر من الوضوح حتى لا تكون الغازا ، فليس المطلوب فى حسن كل منهما على طرفى نقيض كما قد يفهم .

ويرى أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى فيما يتعلق بهذه النقطة « أن يكون الشبه قويا واضحا وان كان بين طرفين متباعدين ، وهذا نفسه هو شرط الحسن فى التشبيه ، لأن تباعد الطرفين لا يحقق بلاغة التشبيه الا اذا قوى الشبه بين هذين المتباعدين ، حتى يكون مقدار قربهما فى القلب على مقدار بعدهما فى الحس » (٢٩) فالأساس واحد فى كل من التشبيه والاستعارة ، غاية ماف الأمر أنه اذا كان الوجه قويا واضحا بين الطرفين جاز أن ينتقل التشبيه الى الاستعارة حتى وان كان مبتكرا لم يؤلف الالحاق بين الطرفين فيه كما فى قول امرىء القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهوبها غير معجل (٣٠)

« فهذا التشبيه من أولياته ، ولم ينكر أحد عليه هذه الاستعارة ، بل هى محسوبة له لا عليه ، فليس الأساس هو الالف وجريان العادة فحسب ، وانما الأساس هو الوضوح والصفاء » (٣١) وان لم تجربه العادة ،

ولا يسوغ أن نفهم أن المراد بجلاء الوجه فى الاستعارة أن يكون قريبا مبتذلا ، وان كان هذا لا يفقدها الحس تماما كما هو واضح مما سبق ، وانما المراد أن يكون الوجه

(٢٨) درر العبارات فى تحقيق معانى الاستعارات للحموى ص ١٧٦ تحقيق عبد الحليم شادى .
(٢٩) التصوير البيانى ص ٣٢٣ .
(٣٠) ديوان امرىء القيس ٣٨ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢/١٩٧٢ .
(٣١) التصوير البيانى فى الموضع السابق .

« ظاهرا يفهمه الخاصة وغيرهم وان كان التشبيه بعيدا غريبا كأن يكون الوجه كثير التفاصيل »(٣٢) فكلما بعد الوجه فى الاستعارة عن القرب والابتذال كلما ازدادت الاستعارة حسنا « فمن المركوز فى الطباع أن الشىء اذا نيل بعد الطلب له ، أو الاشتياق اليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف » (٣٣) .

ولذلك يذكر الطيبى من معايير حسن الاستعار « أن تكون بعيدة الغور لا تدرك فى بدء الفكرة كما فى قول بعضهم :

وسالت بأعناق المطى الأباطح

وأن تكون تفصيلية كما فى التشبيه » (٣٤)

وينبغى مع هذا أن يظل الحد الذى ذكرناه فى بعد الوجه عن الابتذال ماثلا أمامنا حتى لا يؤدى البعد عن الابتذال مطلقا الى الالغاز والتعمية ، ولا يصطدم هذا بقولهم : ان خير الكلام ما كان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك ، لأن المطلوب فى الاستعارة قدر من الخفاء « يكون المعنى به كالجوهرة فى الصرف ، لا يبرز لك الا بعد أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ثم ما كل فكر يهتدى الى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له فى الوصول اليه ، فما كل أحد يفلح فى شق الصرفة ، ويكون بعد ذلك من أهل المعرفة .

وقد دعا ابن رشيق الى التوسط بين الوضوح والخفاء فى الاستعارة « فلا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جدا حتى ينافر ، ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوساطها » .

والخلاصة بعد كل هذه المناقشات أن الشرط فى حسن الاستعارة أن يكون التشبيه الذى بنيت عليه غير مبتذل ، بأن يكون بعيدا غريبا ، ولا يناقض هذا ما اشترطوه فى حسن الاستعارة من كون وجه الشبه فيها جليا ، لأن جلاء الوجه فيها لا يعنى بالضرورة أن يكون قريبا مبتذلا ، بل يعنى قوة العلاقة ووضوحها بين الطرفين فى التشبيه .

كما أنه ينبغى ألا تصل غرابة التشبيه الذى بنيت عليه وبعده الى حد الالغاز والتعمية فى فهم العلاقة بين الطرفين ، فيكون فيه قدر من الخفاء لا يصل به الى حد الالغاز ، وقدر من الوضوح لا يصل به الى حد الابتذال ، كما ذكر سعد الدين .

أثر القرينة فى حسن الاستعارة :

للقرينة أثر أيضا فى حسن الاستعارة ، بمعنى أنها ينبغى أن تكون موافقة لمقامها ، والمخاطب بها ، فتكون واضحة مع الغبى ، وخفية مع الذكى ، ومتوسطة بين الوضوح والخفاء مع المتوسط بين الغباء والذكاء ، وهذا أمر عام لا يخص قرينة الاستعارة وحدها ، بل هو شرط عام لحسن كل نمط من التراكيب يحتاج الى قرينة .

يتبع

---

(٣٢) تقرير الانبابى على الشرح والتجريد ٤/٣٠٥ .

(٣٣) أسرار البلاغة ١١٨ .

(٣٤) التبيان فى علمى المعانى والبيان مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٨ ورقة ٨٧ .

طرائف

واحدة بواحدة

ما كان الله ـ عز وجل ـ ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة .

ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ، ويغلق عنه باب الإجابة .

ولا ليفتح على عبد باب التوبة ، ويغلق عنه باب المغفرة .

التحيات أربع

قال الأسنوى :

التحيات أربع : تحية المسجد بالصلاة ، والبيت بالطواف ، والحرم بالإحرام ، ومنى بالرمى .

وزيد عليه تحية عرفة بالوقوف ، وتحية لقاء المسلم بالإسلام .

ان الله هو الرزاق

جاء رجل إلى حاتم الأصم فقال : من أين تأكل ؟

قال : من خزائنه .

فقال الرجل : يلقى عليك الخبز من السماء ؟

قال : لو لم تكن الأرض له لكان يلقى على الخبز من السماء .

فقال الرجل : أنتم تقولون الكلام .

قال : إنه لم ينزل من السماء إلا الكلام .

فقال الرجل : أنا لا أقوى على مجادلتك !

قال : لأن الباطل لا يقوم مع الحق .

قالوا

● قيل للأحنف بن قيس : إن المختار بن

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

عبيد يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : صدق ، وتلا : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .

● قيل لأبى عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟

قال : نعم ليسمع منها .

قيل : فهل كانت توجز ؟

قال : نعم ليحفظ عنها .

● قال أبو زيد : دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك فقلنا له : كيف تجدك .

قال : أجدنى أجد ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجد ، ولقد أصبحت فى شر زمان وشر أناس : من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد !!

بين متصدق وسائل

■ **مر أديب كبير بشيخ يتكفف الناس على قارعة الطريق ، فوقف يعطيه شيئاً ، ثم أخذ يبحث فى جيوبه عن حافظة نقوده فلم يجدها ، لقد نسيها فى الحلة التى استبدلها** !!

وكان السائل المسكين لا يزال باسطا يده فى يد السائل وصافحه بشدة . فتهلل وجه السائل وقال له :

أشكرك !! **هذه أيضاً صدقة .**

دعـــــاء

اللهم إنى أعوذ بك من شر الخلق ، وهم الرزق وسوء الخلق ياأرحم الراحمين ويارب

حقا

وكم من مـريض نعـاه الطبيب
إلى نفسـه وتـولى كئيبـا
فمـات الطبيب وعـاش المـريض
فأضحى إلى الناس يَنعى الطِّبيبَا

أصلح نفسك أولا

لك الخير لُمْ نَفْساً عليك ذنوبها
ودع لـوم نفس مـا عليـك تُليمُ
وكيف تَرَى فى عين صاحبك القَذَى
ويَخْفىَ قذى عينيك وهـو عظيم

من حكم الأحنف

الأحنف بن قيس سيد بنى حنيفة الذى قيل فيه إذا غضب الأحنف له مائة ألف سيف وله حكم قيمة منها قوله :

- **من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .**

وقيل له من السيد السيد ؟

فقال : هو الذى إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

ومن أقواله : من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

ومن أقواله أيضاً : الكامل من عدت هفواته .

السائح الأزهري

دعاة الأزهر فى أندونسيا

(٢)

عادات وتقاليد :

يغلب على ظنى أنى أشرت الى ملامح من شخصية الأستاذ محمد عبد العزيز البنتشتى فى السطور السابقة ، فمن القاهرة الى أندونيسيا الى اختياره ليقوم بالتدريس فى جامعة جامبى ولك أن تراجع ما كتبته لتتبين تلك الملامح ، وسأسير معه من هنا لنتعرف على ما وقع عليه بصره وسمعته أذنه وما لمسته يداه وتذوقه وشمه لنعيش معه فى تلك البلاد النائية الغالية .

وأول مشاهداته التى قدمها لنا الاحتفالات فى جامبى ، وأولها الاحتفال بالمولد النبوى الشريف .

ونحن فى مصر نحتفل رسميا بالمولد فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، وان سبق ذلك احتفال شعبى بصناعة حلوى

المولد ورفع الزينات ، وبعد الاحتفال تهدأ الحال وأما فى جامبى — وهى تمثل أندونيسيا — فالاحتفال بالمولد النبوى يقام فى شهرين كاملين : شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، مساجدهم كبيرة ولكنها تزدحم فلا تجد موضعا لقدم قد خلا ، ونصف مساحة المسجد للرجال ونصفه الآخر للنساء ويشتركون فى تقديم الطعام لجميع الحاضرين ولاينسى أن يقول : « اشتد الزحام هذا العام رغبة فى الاستماع لأول عالم مصرى يقيم بينهم » .

والمولد النبوى وان كان ذكرى الا أنه يعطى حركة الحياة ، ولذلك أتبعه بتقليد يتبع فى الموت والوفاة وسماه « التهاليل » وقد صور ما رأى : يموت ابن آدم فيقولون عنه « تنتقل دنيا » فهم لايصرخون ولايبكون ، أحزانهم فى صدورهم وآلامهم فى قلوبهم ، وهم يتقبلون العزاء ثلاثة أيام ، ومن تقاليد التهاليل على الميت أن يتولى أحد العلماء أو أكبر القوم سنا افتتاح مجلس القراءة والجميع يقرأ معه « سورة يس » « وسورة الاخلاص » « والمعوذتين » و « الفاتحة » ، وآمن الرسول بما أنزل اليه من ربه .. الآية « ولايكلف الله

السائح الأزهرى

نفسا الا وسعها » الآية .. « وان الله وملائكته يصلون على النبى » — الآية — ثم « يستغفرون الله العظيم » ثلاث مرات . « ولا اله الا الله سيدنا محمد رسول الله » « اللهم صل على محمد » « اللهم صل وسلم وبارك عليه ثلاث مرات ، ثم يقرأون «الفاتحة» وآية «الكرسى» وسورة « الاخلاص » والمعوذتين » ويختمون بالدعاء للمتوفى .

ثم يقدم الطعام لجميع الحاضرين ، وأغلب أطعمة المأتم من الحلوى معها أكواب من الشربات ، تستمر اقامة التهاليل ثلاثة أيام متتالية لاترى علامات الحزن على وجوههم ، ولو أن مبعوثا غيره تحدث عن تلك التهاليل لاكتفى بما تقدم ولكن قوة الملاحظة لاتفارقه وأن تجلدهم وصبرهم لايملك عليه حواسه فيقول : ان الحزن يبدو فى عينى الأم مهما تحجر الدمع فلا يفيض ، ويشارك فى هذا الالم الزوجة والأب والابن ... عجزت التقاليد أن تقتلع حزن قلوبهم وآلام نفوسهم . (ص ٢١ من الكتاب) . ألست ترى معى أن السائح الأزهرى خبير بالعواطف الانسانية والغرائز البشرية ؟ وبصفته معايشا للأندونيسيين يحدثك عن الشيوعية ويذكر جذورها وأنها قامت عقب ثورة روسيا البلشفية ، ظهرت منذ ١٩٢٠ فكأنها صاحبت شيوعية روسيا بتشجيع من الاستعمار الهولندى « لاشاعة الحركات الهدامة ولمقاومة التيار الدينى » .

وتحدث عن الانقلابات الشيوعية بعد الاستقلال ، ودعايتها ضد الأديان ، ومن أن الشيوعية تتعارض مع الاسلام ، وأشار الى مواطن تسللها من الاتحادات والنقابات المهنية وتتغلغل فى منظمات الطلبة والعمال واستدراج أكبر عدد منهم لاعتناق الشيوعية كوسيلة لاصلاح المجتمع .

مع أن الشعب الأندونيسى منح الحرية للحزب الشيوعى مرتين الا أنه لم يقبله وقضى عليه سنة ١٩٦٦ بقرار انتهت به قصة الشيوعية.

ومن التقاليد التى تحسبها لاتكون فى آسيا وجزرها حكاية الشياطين والجان والعفاريت ولكن الشيخ « البتشتى » يحدثك عنها بأسلوب شائق مفزع ، لو ذكره كما كتبه لأخذ منى حيز المقال ولكن مالايؤخذ كله لايترك بعضه ، وقد جعل لذلك عنوانا هو : « الهنتو بيصار » ..

أقام هو فى فندق جميل واسع الأرجاء تطيب فيه الاقامة ، غرف كثيرة بكل غرفة سريران أقام فى غرفة ، وفى عصر يوم وصل بعض الزائرين من مدينة « بالمنبغ » أقام فى الحجرة الملاصقة لحجرته رئيسهم ، وما أن تركه قومه حتى أخذ يقىء بصوت مخيف وحاول الشيخ النوم فلم يعقد الكرى أجفانه الا غرارا وفى الساعة الثامنة صباحا سكت الصوت وانتهى القىء .

لقد مات الرجل ، مات مسموما ، فقد كان « بالمنبغ » وقبيل أن يبارحها تناول طعاما فاسدا — هكذا قالوا . ولكنه ترك وراءه خطرا كبيرا . كيف كان ذلك ؟

نقل الرجل الى جاكارتا ودفن عند أهله ، ولم يدفن فى الفندق ما خلفه من مادى ومعنوى كل مافى حجرة اقامته من أسرة ودولاب ومراتب ومنقولات صب عليه بترول وأحرق ، وفتحت

نوافذ الحجرة وأبوابها وغسلت بالماء وأنيرت الحجرة بالكهرباء ليلا ونهارا ثلاثة أيام ، يتردد عليها بعض قارئى القرآن الكريم يتلون كتاب الله ويترنمون بالأذكار .. ثم أغلقت — ولم تغلق المتاعب . كيف ؟

هجر النزلاء الفندق ولم يبق فيه غير السائح الأزهرى وتحاشى الناس المرور بجوار الفندق حتى الضباط والجنود وعائلاتهم الذين يسكنون خلف الفندق لم يرهم ، وأصبح لايرى الا العامل المكلف بالخدمة يقدم له طعامه ثم يستأذن فى الرجوع الى منزله .

فى هذه الفترة زاره صديق خريج الأزهر ، فعرض عليه أن يسكن فى الفندق معه ففزع صديقه وسأله لم ترفض فتعجل وتركه ، وأحس أن هناك شيئا فالناس يزلقونه بنظراتهم المتوجسة . وذات يوم جلس عند دكان الحاج عبدالله حداد (تاجر عربى من حضرموت) فشاهد امرأة عجوزا فى السبعين من عمرها تنظر اليه وتطيل النظر مما دعاه ليسأل الحاج

عبد الله عن السيل الجارف من النظرات ؟

قال الحاج كيف لا تعرف السبب ؟ ان أهل المدينة جميعهم يقولون : انه يسكن فى الحجرة التى مات فيها الزائر مسموما « هنتو بيصار » . وما هو ؟

— شيطان كبير مارد ، يخافه الناس حتى العلماء . قال الشيخ واذا كان جبارا ، فلم لم يبطش بى ؟؟ فحدثه الحاج عن موقفه من الشيطان وكيف كان صراع بينه وبينه ، وختم كلامه بقوله مخاطبا الشيخ : « وفى تقديرهم أنك لن تتركه حتى يرحل ويولى الأدبار » وهنا عرف لماذا ابتعد الناس عنه وعن زيارته ،

وتحدى الموقف فحين عاد الى الفندق ليلا أضاء جميع غرفاته وطرقاته ليقابل « الهنتو بيصار » المارد الجبار ولم يحضر ، ومكث على ذلك عشرة أيام ذهب بعدها الى باندونج » مع وفد العلماء المشتركين بتلاميذهم فى مسابقة حفظ القرآن الكريم .

الجن

لقد أثار هذا الحادث الشيخ ليحدثنا علميا عن الجن ، فتساءل : من هم ؟ وهل نراهم ؟ وهل يتشكل ؟ وأين يسكن ؟ وكيف تحترس منه ؟ أسئلة تحتاج الى اجابة . وخلاصة الاجابة أن الجن جنس خلقه الله من النار كما خلق الانسان من الطين ، وخلق الملائكة من النور ، والرسل مرسلة الى الثقلين : الانس والجن ، وأن مسكن الجن الأرض التى نسكنها ، وهم يأكلون الطعام الذى نأكله من حب ولحم ، ويقول : ان العظم الذى نلقيه يكسوه الله لحما ليأكله الجن ، ولذلك يحرم الاستنجاء بالعظم ، ويذكر أن النبى محمدا ﷺ اجتمع بالجن ، وفى كل مايقدمه يؤيده بالقرآن والسنة . والجن لا يظهر لنا بصورته الحقيقية ولكنه يتشكل فى صور المخلوقات الأخرى من الحيوان والانسان والزواحف ويؤكد ذلك بالأحاديث النبوية . ويذكر أن الشيطان هو المتمرد من الجن ولكل انسان شيطان ، وسئل النبى عن ذلك فقال فى رده على سؤال : « ومعك يارسول الله » ؟ قال: « نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم » .

والشيطان يمثل الشر فى الأرض ، والله يحذرنا من عداوته ، ويسأل سؤالا ويجيب عنه فيقول بعنوان «متى يحفظك الله من الشيطان؟»

السائح الأزهرى

ويحفظك ربك منه اذا أنرت قلبك بالايمان .

«إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ » .

ويستمر فى الكلام عن الشيطان ويذكر ماجاء فى حقه من القرآن الكريم والحديث الشريف ثم يتحدث عن صلة الجن بالناس ، فيتذكر رأى الشيخ محمود شلتوت — رحمه الله — وخلاصته كما قال : أما ما وراء الوسوسة والاغواء من ظهورهم للانسان العادى بصورتهم الأصلية أو بصورة أخرى يتشكلون بها ، ومن دخولهم فى جسمه واستيلائهم على حواسه ومن استخدامه اياهم فى جلب الخير ودفع الشر ، واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب عن طريقهم ، ومن التزوج بهم ومعاشرتهم وغير ذلك مما شاع على ألسنة الناس — فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين .... الى أن يقول : درج المشعوذون فى كل العصور على التلبيس وعلى غرس الأوهام فى نفوس الناس وجعلوا الجن تلبس جسم الانسان وأن لهم قدرة على استخراجه ، ومن ذلك كانت بدعة الزار ... وينقل لنا كل ما قاله المرحوم محمود شلتوت ويكتفى به ولا يذكر رأيه كمؤلف ، ولكنه باختياره دل على أنه موافق لما ذره الشيخ شلتوت . وقد أخذ الجن من الكتاب صفحات يحسن الوقوف عليها ومناقشتها لفائدتها . وكنت أود منه أن يذكر موقفه من الجن والناس، وكيف نحارب تلك الأوهام فى مصر والبلاد الاسلامية الأخرى ، ونجعل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة اماما لا نخالف أمره ولا نردد أقوال الجهلة والمشعوذين أقول ذلك لأنه تحدث عن أهل سومطرة بما يفيد أنهم أكثر الشعوب تقبلا للآراء الجديدة مع احتفاظهم بتقاليدهم القديمة وعاداتهم الموروثة .

ومن تلك العادات ما ينبغى الوقوف ضده والحوار معه وبيان الخطأ فيه من ذلك الميراث . فقد ذكر المؤلف : « كيف يقسم الميراث فى ريف سومطرة ؟ » وكان ما سجله : ففى الأرياف مثلا مازالت تؤول تركة المتوفى بحسب تقاليدهم لا بحسب الشرع ، العقار من بيوت ودكاكين وأطيان زراعية وبساتين من نصيب البنت ، والمال السايب من النقود يرثه الأولاد الذكور . والبنت الكبرى تقوم مقام أبيها فى الانفاق على اخوتها الصغار حتى يبلغوا مبلغ الرجال .

هنا تكون مهمة الدعاة ، القرآن يقرأ منهم ومن غيرهم وينبغى أن تشرح آيات الميراث كما تشرح آيات الزواج والطلاق والحلال والحرام وقصص العظة والاعتبار والا فما فائدة المبعوث الأزهرى ؟ أينتظر ليرجع من عندهم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان ..؟ ووجود الميراث الشرعى عنوان بقاء الاسلام .

معلومات وسلوكيات :

زار الأستاذ « البتشتى » كثيرا من مدن أندونيسيا ، وقام بالتدريس والقاء المحاضرات فى بعضها ، وهى بلاد كبيرة وكثيرة وامكاناته تعجز عن بلوغ الأمل فى زيارة كل المدن والأقاليم ولكنه ان لم يقم بالزيارة والكشف والمشاهدة فهو يطالع ما كتب عنها وقد قرأ كتاب الدكتور أحمد شلبى « موسوعة التاريخ الاسلامى »

فتعلم منه أن الجزر الأندونيسية فى المنطقة الاستوائية ، السنة فيها فصلان فصل الجفاف، وفصل الأمطار ، وفصل الأمطار يبدأ فى ديسمبر وينتهى فى مارس • والأشهر الباقية تقل فيها الأمطار حيث تنزل كل يوم ساعة أو ساعتين نزولا خفيفا • ونزول الأمطار طول العام صبغ كل أراضيها بالخضرة فى السهل والجبل فكلها للخصب والنماء « جاكرتا » عاصمتها تعد أكبر عاصمة لدولة اسلامية فى العالم مائة وأربعون مليونا من المسلمين تقريبا يحتلون أطول طريق من جزر البحار يربط بين آسيا شمالا واستراليا جنوبا ، تقع بين ٩٢ درجة ناحية الغرب حتى ١٤٢ درجة الى الشرق ، و٦ درجات أفقية الى الشمال حتى ١١ درجة أفقية الى الجنوب • امتدادها من الغرب الى الشرق يساوى المسافة من أيرلندة الى جبال القوقاز — امتداد قارة أوربا من الغرب الى الشرق ، طولها ثلاثة آلاف ومائتى ميل ••• عدد جزرها ١٣٦٧٧ مساحة يابستها ٧٣٥٨٦٥ ميلا مربعا •

من هذه الجزر جزر هامة هى :

١ — كالمنتان •

٢ — سومطرة •

٣ — سلاويسى

٤ — غينيا الجديدة •

٥ — وجاوة ومساحتها ٥١٢٠٠ ميل مربع ، وهى أقل الجزر الكبرى المذكورة مساحة يسكنها أكثر من ثمانين مليونا ومعنى هذا أن أكثر من نصف سكان أندونيسيا يسكن فى تلك الجزيرة « جاوة » وتعتبر من أكثر بلاد العالم ازدحاما •

وأندونيسيا لو قرأتها مجزأة : (أندو) الهند ، و (نيسيا) الجزر لوجدت معناها « جزر الهند » وهو الاسم القديم الذى كان يطلق عليها ، وتسمى أيضا « الجزر الخضراء » لأنك لا تجد فيها شبر أرض الا وقد اخضر بالنبات أو الشجر •

استقلت أندونيسيا بعد جهاد موفق وأول علم لها رفعه المهندس أحمد سوكارنو والدكتور محمد حتى فى ١٧ من أغسطس ١٩٤٥ — وفى كل مكان ترى هذا العلم مرفوعا بلونيه الأبيض يعلوه الأحمر ، والعلم الذى رفع يوم المناداة بالاستقلال مازالت أندونيسيا تحتفظ به ، ترفعه على سارية القصر الجمهورى فى جاكرتا يوم عيد الاستقلال ، وينزل فى مساء ذلك اليوم نفسه ليحفظ فى صندوق من الخشب الثمين •

وشعار الدولة عجيب وضع حسب تفكير وطنى سديد ، فهم يعتزون باعتزازهم بالعلم •

مم يتكون شعار الدولة ؟

يقول المؤلف :

رمزوا الى عظمتهم وقوتهم بطائر « القارود » الذى تزين صوره جدران معابدهم ، عدد ريش كل من جناحيه سبع عشرة ريشة،ذيله ثمانية ، وعنقه خمسة وأربعون أرقام ترمز الى تاريخ استقلالهم (١٧ من أغسطس ١٩٤٥) وتصوير واقع الأمة المتعددة القبائل واللغات وألوان الحضارة ، ومع ذلك ظلت أمة واحدة وشعبا متماسكا • عبر عن هذا المعنى أحد أدبائهم بعبارة كتبت على الشريط الذى تمسك به رجلا الطائر «متنوع لكنه واحد»

ودرع يرمز الى الكفاح خلفه الأحمر والأبيض لون العلم الوطنى ، وخمس قطع على الدرع تمثل « البانتشاسيلا » وهو ما يعتبرونه الأساس الفلسفى للدولة •• يمر بوسط الدرع

خط يرمز الى خط الاستواء على **أنها من** الأقاليم الاستوائية ، ونجمة **ذهبية فى وسط** الدرع ترمز الى الربانية **المتفردة** •

ثم السلسلة ذات الحلقات **المستديرة** والمربعة تمثل مبدأ الانسانية العادلة •• **ورأس** الثوريشير الى ديمقراطية الشعب **فى حكمه** النيابى •• وسنبلة الأرز والقطن **تؤكد العدالة** الاجتماعية لكافة أفراد الشعب **الأندونيسى** العظيم (وبالكتاب **شعار الدولة بالرسم**) •

البانتشاسيلا :

هى الأساس الفلسفى للثورة ، **وأساس** الدستور الذى أعلنوه غداة **الاستقلال ، ومعنى** « البانتشا » خمسة ، و « سيلا » معناها الأساسى ، فيصير المعنى « **الأسس الخمسة** المتلاحمة » وتجزأ على **هذا** النحو :

١ ـ الربانية المتفردة : أى الايمان بالرب الواحد الأحد •

٢ ـ الانسانية •

٣ ـ الوحدة الأندونيسية •

٤ ـ الشعبية الموجهة بالحكمة فى الشورى النيابية •

٥ ـ العدالة الاجتماعية لكافة الشعب •

معالم جاذبة ••

منها مسجد الاستقلال الذى **بنى فى جاكرتا** على أطلال قلاع الاستعمار بعد **الهدم فكان** أعجوبة المبانى ، شيدت مبانيه على عشرة آلاف **متر مربع فى** خمسة أدوار •• و**لمسجد مئذنة** ترتفع ٦٦٦٦ سم ستة آلاف وستمائة وستة وستون سنتيمترا بعدد **آى** القرآن الكريم تعلوها مكبرات **الصوت تذيع** **الأذان فى** أوقات الصلوات الخمس (راجع ص ٥٨ **وما بعدها**) **ويذكر** « باندونج » **ولها** **ذكريات تتصل بالعمل** السياسى المصرى ،

و « قاروت » التى نقل المؤلف اليها للعمل بها وعدد سكانها مائة ألف نسمة عاصمة لأحد مراكز محافظة باندونج الستة •

وبالقرب من قاروت حمامات معدنية « انتشى بنسى » أى مياه ساخنة ولاينسى مدينة « جكجاكرتا » التى تقع فى وسط جاوة ويعمل بها صديقه محمود عكاوى وقد دعاه لقضاء شهر رمضان معه ، فانتهز الفرصة وخدثنا عن الصيام والقيام فى أندونيسيا شعب متدين والتراويح عندهم عشرون ركعة ، ويقوم بالصوم الرجال والنساء والأطفال ولقداسة الشهر لا يسرق اللص فى رمضان ، ويتحدث عن الهلال ويوم الشك وآراء علماء المسلمين فى توحيد أوائل الشهور العربية ، ويذكر كل ما يتعلق بالصوم وليلة القدر والعيد ويذكر عيد الأضحى وما يتبع فى أندونيسيا •

ومن حين الى آخر يتحدث عن الدين واللغة العربية وتجار حضرموت فى تلك البلاد ، ويقول والعرب منذ دخلوا أندونيسيا دخلوا بلغتهم ودينهم ولم يدخلوا فاتحين ، بل دخلوا تجارا

مسالمين ، وترى كثيرا من الطباع المتقاربة بين العرب والأندونيسيين ، حتى فى الزواج تجد المرأة لا تغضب اذا تزوج عليها بعلها مادام قد أخبرها ، ومن عاداتهم المساومة فى البيع والشراء .

وقد تحدث المؤلف عن الديانات فى أندونيسيا فذكر أن ١٣٠ مليونا هم المسلمون وعشرة ملايين لبقية الأديان ومنها الوثنية والسماوية ، وتحدث عن رجل صينى « أضعه أنا فى منزلة جارودى اليوم » اسمه « بابا سيون » ألقى محاضرات عدة شهدها المؤلف تناول فيها كل معالم الدين الاسلامى ببصيرة مستنيرة وعقل متفتح كان بوذيا ثم صار مسيحيا ثم استقر به الايمان مسلما .. وقال « لو أنفق المسلمون عشر ما ينفقه المبشرون لاكتسح الاسلام ماعداه من الأديان » ص ٧٩ من الكتاب وله رأى ينبغى تفهمه فهو يسأل : لماذا لم يبين الله الحكمة فى العبادات ؟ ويشرح ومن كلامه أن الله لو بين الحكمة فيها والعلة والسبب لتحولت طاعة العابد وايمانه الى هذه العلل والأسباب .. فالطبيب لا يسأله المريض عن تركيب الدواء ويتقبله وينفذ أوامر الطبيب .

والكتاب به كثير من الأحكام الاسلامية التى كانت تجىء عرضا أو قصدا فيذكر الحكم ويؤيده بالقرآن والسنة ، ولما ذكر الشريعة والأحكام بادر فذكر التصوف وشرح الكرامات، وانى أخالفه فى ارجاع توفيقه فى بعض الأمور الى شيخه من أهل التصوف ، فهو قد درس عناية الله بخلقه ما استقاموا على الهدى ، ولكن ما ذكره لا يضر العقيدة فهو من قبيل ذكر القدوة الحسنة .

والكتاب كشاف لحياة بلاد نحن نحبها ونتمنى أن يدوم الصفاء الايمانى لها والرخاء المادى بين ربوعها ، وأن تستمر لهم نظرتهم نحو أنفسهم وتمسكهم بآداب دينهم ، فمن منهجهم أن حبك لرسول الله يحملك على أن تتحرى ما كان يصدر عن النبى صلى الله عليه وسلم وتتبعه (ص ١٧٧) . ولم يعجبنى ما وصفهم به المؤلف بقوله : « فى أندونيسيا تمسكهم بدينهم حملهم على أن تثور بينهم الخلافات لأية شبهة فى سنة أو مندوب » وينبغى أن يعالج ذاك المسلك حتى يصلوا الى تعاليم الاسلام فى اخاء ومودة وشكرا للمؤلف فقد أتاح لنا أن نرى بما صوره اخوة لنا فى الاسلام يتجهون الى قبلة الاسلام فى أريحية الايمان يلفهم الاخاء الاسلامى فى رداء اسلامى قشيب .

شوقي .. والجامعة الإسلامية

أراني ـ قبل الحديث عن الجامعة الإسلامية ـ مدفوعاً إلى الالمام بما كان عليه حال الأمة قبلها ، وما منيت به من تخلف أهلها فريسة بين مخالب الاستعمار ، واستهدف تيار الجامعة المتوثب .

وغنى عن البيان ، أن ما أحرزته الدول الأوربية من تقدم كان ثمرة التفوق العلمي ، بما انتهى إليه من ثورة صناعية بلغت أوجها في (انجلترا) خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، ثم شملت القارة الأوربية ، فأحدثت تطوراً خطيراً في الأسلحة ، بما لها من تأثير على السياسة العالمية ، وفتح لأبواب التجارة الدولية على مصراعيها ، وما لبثت أن سيطرت على أسواق الشعوب الشرقية ، كما يتضح من أقوال قادة الغرب ، وزعمائه فـ (جوزيف شامبرلين » زعيم المحافظين في انجلترا يقول : « إن السبيل إلى العمل المتواصل الذي يضمن الرخاء للشعب هو عن طريق فتح أسواق جديدة مع مضاعفة نشاط الأسواق القديمة »[1] .

فهو يهدف إلى غزو الأسواق الشرقية لصالح تجارة بلاده ويقول الوزير الفرنسي (جول فيري) في مجلس النواب : « إننا نبحث عن أسواق لتصريف منتجاتنا الصناعية ، وتجارتنا ، وتوظيف أموالنا خارج أوروبا ، ولا مندوحة عن هذا اذ أن أسواق أوروبا توصد في وجه أوربا »[2] .

أما الشرق فى أواخر القرن الثامن عشر ، فكان كما وصفه (فولنى) (Volney) السائح الفرنسي حين زار (مصر) والشام بقوله : « الجهل سائد في سوريا كما في مصر وسائر تركيا .. انقضى عصر الخلفاء ، وليس من العرب أو الترك الآن علماء في الرياضيات أو الفلك ، أو الموسيقى ، أو الطب ، ويندر فيهم من يحسن (الفصادة) وإذا احتاجوا إلى الكى استخدموا له النار ! وإذا عثروا بمتطبب أفرنجي عدوه من آلهه الطب ، وأما علم النجوم ، فقد صار عندهم للنجامة ، واستطلاع الطوالع وفي دير (ماريوحنا) بالشوير طائفة من الرهبان .. لا يقلون جهلاً عن سواهم ، وإذا قال قائل لهم إن الأرض -

---

[١] الدكتور (أحمد سويلم العمري) ـ ادب (شوقي) في السياسة والاجتماع : ٢٣ المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٢ نشر مكتبة الانجلو المصرية .

[٢] المرجع السابق نفسه .

د. محمد سلامة صالح

تدور عدوا قوله كفراً ، لأنه يخالف الكتاب المقدس »[٣] .

وما بزغت شمس القرن التاسع عشر ، حتى أضحى الشرق - على حد تعبير الاستاذ (أحمد أمين) : « شيخاً هرماً حطمته الحوادث ، وأنهكه ما أصابه من كوارث ، من حروب صليبية ، وما تبعها من فساد نظام ، واستبداد حكام واستئثارهم بالمغانم ، وفوضى أحكام ، وخمود عام » .

فقد الدين روحه وصار شعائر ظاهرية لا تمس القلب ، ولا تحيي الروح ، وسادت الخرافات ، وانتشرت الأوهام .

فما انحدرت شمس القرن التاسع عشر إلى الزوال ، وكادت حتى كان العالمان الآسيوي والافريقي عامة ، والقسم الاسلامي منهما بصفة خاصة ، قد وصلا إلى مرحلة بعيدة من الانحلال والانهيار ، فالدولة العثمانية قد منيت بالهزائم ، وخسرت الكثير من أجزائها بمقتضى معاهدة « برلين » عام ١٨٧٨ ، وتتابع النفوذ الغربي يبسط رواقه على شمال أفريقية فأعقب اخضاع (الجزائر) سقوط (تونس) و (مصر) ثم اتجهت الدسائس الاستعمارية صوب (مراكش) وطرابلس ، فإذا انتقلنا إلى الجوانب الاقتصادية . والاجتماعية من حياة الأمم ألفينا العالم الاسلامي يعيش في داخل الغشاء الزراعي ، أو القبلي البدائي في اسلوبه وتنظيمه ، ولم يأخذ بأسباب التقدم العلمي الحديث في ميادين الصناعة والنقل ، ولم يتأثر بالحركات والتيارات الفكرية التي شهدتها أوروبا منذ القرن السادس عشر ، فران على القوم الجمود في التفكير والتقاليد أو لعلنا لا نعدو الحق ، إذا قررنا أن المسلمين فقدوا عنصراً من أهم عناصر التقدم ، ونقصد به الحرية والمرونة في التفكير ..[٤] .

ذلك هو الشرق في أواخر القرن الثامن عشر ، وخلال القرن التاسع عشر استرخاء مميت اسلمه إلى مرارة الجهل ، وبؤس الفقر ، وقاتل الظلم ، وقد استهدفت حالته تلك تحرك الاستعمار لتحقيق أمانيه العذاب بغزوه اقتصادياً ، وفكرياً ، ففي (مصر) نشأ .. ما يسمونه .. إلى الوقت الحاضر .. (المصالح الأجنبية ، وقد أصبحت عنصراً قوياً ، وهاماً في الاقتصاد الأهلي ، والحياة الاجتماعية ، وألقى على الدولة المصرية عبء حماية هذه المصالح الأجنبية وليست هذه المصالح قاصرة على نشاط اقتصادي أو مالي ،

---

[٣] جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ١١/٤

[٤] من مقال للدكتور (راشد البراوي) تحت عنوان (نواح من فلسفة اقبال الاجتماعية والسياسية - مجلة - رسالة الباكستان العدد (٣٥) السنة الثانية (٥ رجب سنة ١٣٧٠ هـ - أول مايو سنة ١٩٥١ م ص ١٠

وإنما صاحب هذا النشاط منذ بدأ في (مصر) نشاط آخر ثقافي »[٥] .

ومن ذلك حركة التبشير ، التي نهض بها في النصف الأول من القرن التاسع عشر بعض الجماعات الدينية الأوربية في مصر وسائر الشرق[٦] :

وخطورة هذا النشاط الثقافي تكمن في أنه « قام في مصر مستظلا بالامتيازات الأجنبية ، غير حافل بالدولة ، ولا خاضع لسلطانها ، ولا ملتفت إلى حاجات الشعب وأغراضه ، ولا معنى إلا بنشر ثقافة البلاد التي جاء منها ، والدعوة لهذه البلاد ، وتكوين التلاميذ المصريين على نحو أجنبي خالص ، خليق أن يبغض إليهم بيئتهم المصرية ، وأن يهون في نفوسهم قدر وطنهم المصري .. » [٧] .

حسب القرب من التعليم نشر ثقافته هو لتضرب بجذورها فى الأمة ، فتجنت معالم ثقافتها ، لتجد لنفسها مجالها الفسيح فى النمو والانتشار ، حتى المدارس الوطنية فإنها « تدرس لغته ، وآدابه ، وفنونه ، وعلومه وهذه تزاحم الثقافة القديمة للبلاد شيئا فشيئا »[٨] :

وماذا بعد غفلة الشرق ، وغزوه اقتصاديا ، وثقافيا إلا الاحتلال فقوة الغرب أوقفته على انهيار الشرق ، فأمعن فى دراسته ، وأعد العدة لا لتهامه ، وَضَعْفُ الشرق أسلمه إلى سكون الموتى فغفل عما أحيط به من خطر إذ « كان الشرق جاهلا كل الجهل بما يجرى فى الغرب من أساليب سياسية فى الحكم ، وأساليب حربية فى الحرب ، وعلم ، وآداب ، وفن فى الحياة الفكرية على حين كان الغرب عالما بكل مافى الشرق علما واسعا ، بما يبث من عيون يمدون أممهم بتفاصيل ما يجرى فى الشرق ، ويؤلفون الكتب فى آثاره ، وعاداته ، وتقاليده ، ويضعون التقارير فى قواته الحربية ، على من لا يذهب من الشرق إلى الغرب إلا القليل النادر ، ولمناسبات قوية .. فلم يشعر الشرق إذن بقوة الغرب ، ولم يستفد منها إلا بعد أن فاجأه بالغزو »[٩] وحين دوت المدافع الأوربية فى سماء الأمة ـ استيقظت مذعورة من سباتها ، وإذا بلدانها الإسلامية تسقط فى أيدى الأوروبيين تساقط أوراق الخريف بقوى الأعصار ، ففرنسا ضمت الجزائر سنة ١٨٣٠ [١٠] .

ثم دَاهَمَتْ تونس فأسقطتها سنة ١٨٨١ [١١]

[٥] الدكتور (أحمد عزت عبد الكريم) ـ تاريخ التعليم فى (مصر) الجزء الثانى ـ الكتاب الخامس : ٨٢٢ ـ ٨٢٣ م . النصر سنة ١٩٤٥ م

[٦] المرجع السابق نفسه ، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ٣٧/٤ .

[٧] الدكتور (طه حسين) مستقبل الثقافة فى (مصر) : ٧٢ م المعارف يوليو سنة ١٩٣٨ م .

[٨] المرحوم « أحمد امين » فيض الخاطر : ٥/ ١٩٢ .

[٩] قصة الأدب فى العالم : ٣ / ٢٨٠ ـ ٢٨١

[١٠] راجع الحركات الاستقلالية فى الغرب العربى « هلال الفاسى » : ٣ ط ١ م الرسالة القاهرة « ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ » ، وانظر يقظة العرب : ٦٤

[١١] راجع الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى : ٤٤ ـ ٤٥ وتاريخ الدولة العلية العثمانية : ٣٠٨ .

وما يمر عام حتى تحتل « انجلترا » « مصر » « فالسودان »«١٢» :

وفى عام ١٩٠٤ ، وبمقتضى الاتفاق الودى المشهور (تتنازل « فرنسا » عن مزاحمتها « لانجلترا » فى « وادى النيل » بينما تعترف لها هذه « بمراكش » كمنطقة نفوذ « فرنسى »)«١٣» .

فماذا بقى إذن من ساحل أفريقية الشمالية ؟ (قد خرج من يد« تركية » وهذا باستثناء « طرابلس الغرب » التى استولت « ايطالية » فيما بعد أى فى عام ١٩١٢ م على جزء كبير منها ، على أنها بقيت فى ذلك الحين المنطقة الوحيدة التابعة لحكم السلطان فى أفريقية)«١٤»

ـ ٢ ـ

فأين تركيا ؟! وما شأنها ؟!

يحدثنا التاريخ أنه لم تبق لها من وسيلة للمقاومة حتى لقّبت بـ « الرجل المريض » فهى إلى مشكلاتها الداخلية تعانى من ضربات الروس القاصمة ، وانتقاص الأوربيين لأطرافها«١٥»

وقد استحكمت قبضة الغرب بمنهج دقيق دُعِّم بـ (أسس استهدفت غايتين) :

الأولى : تحطيم قوى الشرق المعنوية ، والمادية ، والروحية تحطيما يحيل هذه الأمم إلى قطيع بدائى مسلوب الرأى ، مزلزل العقيدة ، مهدر الحقوق .

والثانية : أن تتحول بلاد الشرق إلى إقطاعيات زراعية ، ومناجم للمواد الأولية ، لتمد الغرب بحاجياته ليقوى ، ويعتز ، وتزداد قبضته تحكما وقوة ، ورسمت برامج التعليم ، ودارت عجلة الحياة بكامل ألوانها لتؤدى إلى الهدف المنشود)«١٦» فى هذا الجو القائم انبثق ليل اليأس عن فجر من الأمل بعبقرية المصلح الكبير ، « جمال الدين الأفغانى » رجل وطنه الاسلأم فى أى بلد من بلاده ، ألهبته محنة العالم الاسلامى ، فهام بين أرجائه داعيا ، ومبشرا عساه يقيل الأمة من عثرتها فتنهض متآزرة بقوة الوحدة ، متجردة من قيود الاستعمار يقول : (لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمت شعث القصور ، ونظرت إلى الشرق ، وأهله ، فاستوقفتنى ، « الأفغان » وهى أول أرض مس جسمى ترابها ، ثم « الهند » ، وفيها تثقف عقلى « فإيران » بحكم الجوار ، والروابط « فجزيرة العرب » من « حجاز » هى مهبط الوحى ، ومن « يمن » وتبابعتها ، و« نجد » و« العراق » و« بغداد » وهارونها ، ومأمونها ، و « الشام » ودهاة الأمويين فيها ،

---

[١٢] راجع يقظة العرب : ٦٤

[١٣] الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى : ١٠٥ .

[١٤] يقظة العرب : ٦٤

[١٥] راجع ما نقله الاستاذ « أنيس المقدسى » عن « روحى الخالدى » العوامل الفعالة فى الأدب العربى الحديث : ٢١ وانظر « كمال أتاتورك » ٧ ـ ٨ وانظر أيضا يقظة العرب : ٥٨ .

[١٦] العروة الوثقى والثورة التحررية الكبرى : الطبعة الأولى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٧ دار العرب للبستانى بالقاهرة .

و « الاندلس » وحمراؤها ، وما آل إليه أمرهم : فالشرق الشرق ، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه ، وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل أدواته داء انقسام أهله ، وتشتت آراؤهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربى المحدق بهم)"[١٧]" .

فما كانت « الأفغان وحدها شاغل فكره ، وملتقى أهدافه ، بل كان مقصده السياسي (أنها من دولة اسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شئونها ، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحقيقى مجده ، ويدخل فى هذا تنكيس دولة « بريطانيا » فى الأقطار المشرقية ، وتقليص ظلها من رؤوس الطوائف الاسلامية)"[١٨]" .

ولكم عانى الرجل فى سبيل مقصده، من إكراه ، ولكم لقى من عنت ، فما ضعفت منه مدى الحياة إرادة ، ولا ونيت له أبداً عزيمة ، ففى « باريس » يستدعى تلميذه الشيخ « محمد عبده » من منفاه لمعاونته فى إصدار صحيفة « العروة الوثقى » التى كان هدفها الأساسي ، « دعوة المسلمين إلى توحيد جهودهم لمكافحة الاعتداء الأوربى ، ومناهضة الاستعمار)"[١٩]"

ومالبثت تلك الدعوة آن اتخذت سبيلها إلى القلوب ، فاستجاب لها مفكرو الشرق"[٢٠]" وتجاوبت أصداؤها فى مختلف أنحائه ، وأضحى زعيمها « قوة لا يستهان بها فى العالم الاسلامى ، حتى أخذت دول الغرب تحسب له حسابا »"[٢١]" .

فمضى يدعو إلى الاتحاد بمثل ما أعرب عنه تلميذه الإمام « محمد عبده » فى مستهل أول عدد من « العروة الوثقى » بقوله : « إن مجاوزة الحد فى تعميم الاعتداء تنسي الأمم ما بينها من الاختلاف فى الجنسية ، والمشرب ، فترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر الزم من التحزب للجنس والمذهب ، وفى هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية إلى الاتفاق أشد من دعوتها إليه للاشتراك فى طلب المنفعة .

أبعد هذا يأخذنا العجب إذا أحسسنا بحركة فكرية فى أغلب أنحاء المشرق فى هذه الأيام . كل يطلب خلاصاً ، ويبتغى نجاة ، وينتحل لذلك من الوسائل والأسباب ما يصل إليه فكره على درجة من الجودة والأمن ، وأن العقلاء فى كثير من أصقاعه يتفكرون فى جعل القوى المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل ؟!

بلى كان هذا أمراً ينتظره المستبصر ، وإن

[١٧] كلمة السيد « جمال الدين الأفغانى » فى مستهل « العروة الوثقى » والثورة التحررية الكبرى .
[١٨] « السيد محمد رشيد رضا » تاريخ الاستاذ الامام الشيخ « محمد عبده » الجزء الأول : ٣٤
[١٩] الاسلام والتجديد فى مصر : ١١
[٢٠] راجع « محمد عبده » « لقدرى قلعجى » ١١ ـ بيروت ـ دار العلم للملايين سنة ١٩٤٨ م
[٢١]يقظة العرب : ٦٦ .

عمى عنه الطامع ، وليس فى الإمكان إقناع الطامعين بالبرهان ، ولكن ما يأتى به الزمان من عاداته فى أبنائه ، بل ما يجرى به القضاء الإلهى من سنة [الله] فى خلقه سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون[٢٢] .

فالجامعة الإسلامية إذن دعوة إصلاح سياسى واجتماعى مستمدة من أسس الإسلام ، وقواعده ، تهدف إلى تكتل الدول الإسلامية ، والنهوض بها فى ضوء العقيدة الصحيحة .

ويتضح من قراءة [العروة الوثقى] أنها كانت تنظر إلى العالم الإسلامى كله على أنه وحدة ، فإن ذكرت [مصر] أو [الهند] فعلى سبيل المثال ، وكانت تقصد أول ما تقصد إلى مناهضة الاحتلال الأجنبى بجميع أشكاله ، وتهدف إلى رفع نيره عن العالم الإسلامى كله عن طريق ثورة الشعوب ، وبث روح العزة القومية بواسطة العقيدة الدينية الصحيحة ، وخلق الأمل فى النجاح مكان اليأس ، وتوثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية كلها لتتعاون على دفع أذى الأجنبى عنها ، والتخلص من المستبدين الظالمين من أهلها ، وتأسيس الحياة الإجتماعية والدينية ، والسياسية على أسس أصول الإسلام الأولى : من إعداد السلاح ، ومقابلة القوة بالقوة ، وطرح العقائد الدخيلة التى تدعو إلى الاستسلام مثل رمى العبء كله على القضاء والقدر .

وإفهام الشعوب أن الإسلام فى شكله الصحيح لا يتنافى مع المدنية ، ولا يعوق التقدم ، والوصول إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى[٢٣]

تلك هى الجامعة الإسلامية ، ومن مجمل آراء زعيمها وتعاليمه ، وسياسته نقف على « أن الغرض الذى كان يصوب نحوه أعماله أو المحور الذى كانت تدور عليه آماله ، توحيد كلمة الإسلام ، وجمع شتات المسلمين فى سائر أقطار العالم فى حوزة دولة واحدة إسلامية تحت ظل الخلافة العظمى »[٢٤].

ويتضح من تجارب الأمة مع حركة [الجامعة الإسلامية]، أن النزعة الدينية كانت حينئذ ، وحتى مطلع القرن العشرين ـ أقوى من التشدق بعصبية جنسية ، أو التمسك برابطة قومية ، فقد باتت الأمة مأخوذة بمطامع الدول الكبرى من جانب ، وإثارة النزعات الطائفية ، ومظاهر التعصب من جانب آخر « فكانت روسيا لا تنقطع عن إثارة الفتن بين دول البلقان ، وتأليبهم على الحكم التركى ، ومدهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين . وكانت العرائض تنهال على الملكة [فكتوريا] طالبة إنقاذ المسيحيين من مذابح المسلمين ، وكان [جلاد ستون] زعيم حزب الأحرار [بانجلترا] يلقى الخطب الرنانة ، ويؤلف الرسائل

---

[٢٢] العروة الوثقى ـ الخميس [١٥ جمادى الأولى هـ ـ ١٣ مارس سنة ١٨٨٤] مطبعة الترقى [بيروت] سنة ١٣٢٨

[٢٣] زعماء الإصلاح فى العصر الحديث . ٣٠٦

[٢٤] تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر : ٦٦/٢

المطولة ، ناسبا إلى [تركيا] اضطهاد المسيحيين مشيراً إلى السلطان [عبد الحميد] بقوله : [الشيطان] و [عدو المسيح] »[٢٥].

وليس وراء التعصب من غاية أبعد مدى مما انتهى إليه الكاتب الفرنسى [كيمون] فقد أسلمه إلى « الطعن فى الإسلام ، واقتراحه القضاء على المسلمين ، ونبش قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ونقل عظامه الطاهرة إلى [متحف اللوفر] فى [باريس] »[٢٦]

فكان أن تأخذت الأمة بحافزى : الغيرة على عقيدتها ، والدفاع عن كيانها ، فاستجابت لهواتف الدين ، ولاذت بلواء الخلافة ، كما لاحت بدعوة [الأفغانى]- للسلطان [عبد الحميد]- فرصة صيانة الإمبراطورية العثمانية المتداعية ، فخف لمؤازرة « فكرة الجامعة الإسلامية ، ونشر شعاره المعروف [يا مسلمى العالم اتحدوا] »[٢٧].

إذ « كان يطمح أن يصبح رأس العالم الإسلامى بالإسم ، وبالنفوذ ، ومما لاشك فيه - أن أى نجاح تصيبه هذه السياسة - كان لابد أن يزيد مركزه قوة فى الميدان الدولى .. كانت الناحية البارزة فى سياسة عبد الحميد أنها تستهدف بصورة خاصة التأثير فى العناصر غير التركية ، ولا سيما العرب لأن جمهرة الترك المؤلفة أكثريتها من فلاحى [الأناضول]- كانت طيعة بطبعها ، وموالية للعرش بينما كان العرب وحب الحرية متأصل فى نفوسهم أقل خضوعاً ، ومما زاد فى خطورة الأمر أنهم أخذوا يظهرون علائم مغلقة تشير إلى تفتح الوعى القومى .فى نفوسهم » .

د . محمد سلامة صالح

---

[٢٥] الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر : ٢/١

[٢٦] [السيد محمد رشيد رضا]- تاريخ الأستاذ الإمام [الشيخ محمد عبده]: ٨٠١

[٢٧] الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر : ٣/١ .

الإعلام الدولى

للأستاذ أحمد طاهر

عرض وتقديم
عاطف زهران

تمهيـــد :

« هناك عدة تعريفات للاعـــلام الدولى أو الدعاية ، وبوجه عام يمكن القول : ان الدعاية هى محاولة التاثير على الآخرين للتصرف بشكل معين ما كانوا يتصرفونه فى غيابها ، أى أنهـا (الاتصال بغرض الاقناع من خـلال وسائل الاعلام) وذلك لتغيير الآراء تجـاه مسـائل معينة .

اما الدعاية الدولية فانها تجتاز الحـدود الدولية حيث تقوم مؤسسات أو أفراد من دولة معينة بنقل الدعاية لمواطنى دولة اخرى ، بغض النظر عن جنسية الاشـخاص الذين يتولون العملية الدعائية »(١) .

ولعنا ندرك ما تبذله الدول من جهـود فى هذا الميدان ، فى عصر يسر للعالم كله أن يعيش فى قرية واحدة عن طريق وسـائل اعلامية متطورة . وأصبحنا فى العالم الثالث عامـة والاسلامى بخاصة نتلقى رسائل عديدة من معسكرات شتى .

وأصبحت الاذاعات الدولية من أبرز وسائل الاعلام الدولى بما لها من قدرة عـلى تخطى الحواجز ، وبذلك فهى تصل لآذان المستمعين فى الصحراء وفى البحر وفى الحواضر والبوادى ، وتستطيع الدوران حول الأرض فى جـزء من الثانية لتوافيك بالحدث آن وقوعه. ولاعتبارات كثيرة أخرى .

---

(١) د. محمد العوينى ، الاعلام الدولى بين النظرية والتطبيق ص ١١ .

يقصد بالاذاعة الدولية

« ارسال الصوت والموسيقى عبر مساحات شاسعة ليستقبلها جماعة أو جماعات من الناس خارج حدود الدولة التى تقوم بالارسال وذلك بلغات يمكن للمستمعين الموجهة اليهم الخدمة فهمهما » .[٢]

فالاذاعة الدولية وسيلة هامة فى مجـــال الاعلام الدولى تنبه لاستخدامها أصــحاب المذاهب (والأيديولوجيات) منذ وقت مبكـر بقصد نشر نظرياتهم وأفكارهم على أوسـع مدى ممكن . وبقينا نحن نستقبل هذه الافكار ونتأثر بها . دون أن نفكر فى توجيه رسالتنـا اليهم . وفى نشر ديننا الحنيف الذى كلفنا

الله بابلاغه الى الناس كافة حيث حلوا وفى كل زمان كانوا . فالاذاعة الدولية تعطينا فرصا نفيسة لايصال دعوتنا اذا نجحنا فى بناء أجهزة ارسال قوية وهيأنا لذلك (كوادر اعلامية)قادرة على مخاطبة الجماهير بلغاتهم وعلى قـــدر مستوياتهم الاجتماعية والثقافية . مستفيدين بأرقى ما وصل اليه العلم من أجهزة أقوى ، واجراء بحوث ميدانية تتيح لنـا التعرف على ظروف المدعوين وأحوالهم وما يلائمهم ، حتى نضمن وصول صوتنا بكفاءة معقولة .

والكتاب الذى معنا يضع أمامنا حقائق كثيرة حول الاذاعات الدولية .

* الكتاب والمؤلف *

مؤلف الكتاب أخد رواد الاعلام الدولى فى مصر ، وله خبرات طويلة فى هذا المجال ومؤلفات هامة مثل « الاذاعة والسياسة الدولية » . وغيره من المؤلفات فى الميادين الأخرى . وكتابه الذى نعرض له يقع فى (٢٣٥) صفحة من القطــع المتوسط ويقسم الى ثلاثة أبواب عدا المقدمـة والاهداء .

تحدث فى الباب الأول عن الاذاعة الالمانيــة والاذاعة البريطانية والاذاعات الشـــيوعية وصوت أمريكا .

وفى الباب الثانى عن الاذاعات فى العـــالم الثالث .. فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

وفى الثالث عن الاذاعات السرية والاذاعات الدينية . ثم عن التداخل والاستماع والدعاية.

والكتاب كله عن الاذاعات الدوليه[٣] تاريخهـا ونظمها وتمويلها وانتشارها وعوائقها باعتبارها أحد أهم وسائل الاعلام الدولى . وقد أضحت ذات آثار لاتنكر . ممادعا الدول الكبـــرى للتنافس فى هــذا الميــدان . مستثمرة قدرة الاذاعــة على تخطى الحواجــز ووصــولها الى البشر حيث كانوا لتنقل لهم الافـــكار والاخبار من مواقع الاحداث ولحظة وقوعها

٢-د.جيهان ر شتى ، الاعلام الدولى بالراديو والتليفزيون ص ٤ .

(٣) عرض الكاتب لا يدل على أن « الكتاب كله عن الاذاعات الدولية ... مجلة الازهر .

بالكيفية والصيغة التى تريدها الدولة المرسلة بغض النظر عن الحقائق تماما .

ونحن نجد آثار ذلك حين نستمع من مناطق بعيدة لاذاعات تصلنا حتى غرفات نومنا بما تريده من أيديولوجيات ونظريات ، فصارت احدى قنوات الغزو الفكرى الهامة .

حققت الاذاعة الدولية انتصارا كبيرا للاعلام الدولى . « ولقد صمدت صور الاعلام الدولى عن طريق الاذاعة أمام اختبارات الزمن . اذ استطاع الاعلام عن طريق الاذاعة أن يأتى بنتائج لم تستطع وسائل الاعلام الاخرى تحقيقها سواء من ناحية استمالة الشعوب أو فى مجالات التعليم والتثقيف والاثارة ، فالاذاعة كانت أولى وسائل الاتصال فى عبور الحدود القومية حاملة الأخبار والبيانات كما هى أو كما شاء لها المحرر مع تجديدها يوما اثر يوم .. » ص ٨ ، وبذلك ساعدت الاذاعة على خلق القرية العالمية . كتب دستوفسكى يقول :

« ان العالم أخذ يتجه نحو الاتحاد ، ونحو تكوين مناخ صحى بتغلبه على المسافات التى تفصل بينه . وباستخدام وسائل لنقل الافكار عبر الاثير ، ولكن للأسف لا ثقة هناك ولا أمل فى قيام مثل هذا التقارب بين الشعوب » ص١٣

* الاذاعات الشيوعية *

اتجه الاتحاد السوفيتى لاستخدام الاذاعة الدولية منذ وقت مبكر . وكان أول من استخدم الراديو خارج الحدود لتوصيل نظريته وأفكاره الشيوعية الى الجاليات الروسية المنتشرة فى جميع أنحاء روسيا والى العالم الخارجى فى نفس الوقت . وذلك سنة ١٩٢٠ أو ماقبل ذلك بقليل . وقد اشتهرت مقولة لينين عن الراديو .. « انه صحيفة بلا ورق ولا حدود » وأخذ الاتحاد السوفيتى يطور فى اذاعاته الدولية ، ويوليها اهتماما كبيرا . حتى صار يحتل المركز الأول فى هذا الميدان :

« فروسيا تذيع فى الوقت الحاضر اذاعات دولية بثمان وأربعين لغة منها (١٢) لغة لأوربا (١٣) لغة لأفريقيا ، (٥) لغات للشرق الأوسط ، (٢٠) لغة لجنوب وشرق آسيا ، (٤) لغات للشرق الأقصى ، (٣) لغات لأمريكا اللاتينية ولغة واحدة لأمريكا الشمالية (١) ، أى أكثر من أى محطة دولية ، ويقدم ارسالها هى ودول أوربا الشرقية فى أكثر من (٣٥٤٠٠) ساعة أسبوعيا » ص ٣٩ وترسل عبر هذا الكم الهائل السياسة الروسية وانجازات النظام الاشتراكى للدولة .. ولكن نسبة المستمعين لهذه الاذاعات الروسية يأتى فى مركز متخلف عما عداه من الاذاعات الدولية الغربية وذلك لأسباب كثيرة لاتخفى .

* العالم الثالث *

العالم المتقدم معنى بتوجيه رسائله الاعلامية على أوسع نطاق من خلال الاذاعات الدولية وندرك تماما أننا محاطون باذاعات دولية واضحة من لندن وأمريكا ومونت كارلو . على سبيل المثال . فالعالم الثالث مستهلك جيد

(١) حاصل الجمع هو ثمان وخمسون لغة ..وليس كما ذكر المؤلف .. الكاتب .

لهذه الاذاعات على عكس المستمع فى الـدول الصناعية الذى لايهتم بالاستماع للاذاعـات كثيرا لانتشار التليفزيون وتقدم الصحافة الـى غير ذلك • فالمستقبل فى العالم المتخلف يعانى من الفقر والجهل والأمية وغير ذلك من الأسباب التى تجعله يقبل على الاذاعات الأجنبية ؛ اذ يجد فيها مالا يجده فى اذاعاته المحلية التـى لا تعطيه حاجاته لظروف تلك الدولة ونظامها وسياستها •

« وجمهور العالم الثالث مشوق الى تلقـى الرسالة • فهو يريد أن يسـمع ويدرس الأيديولوجيات المختلفة •• فالراديو هوالوسيط النموذجى لايصال الرسالة الى الجماعات التى تتعامل ثقافيا بالطريق الشفهى بل لقد تغلب الراديو على الأمية ليصبح الأداة الرئيسية لربط شعوب الدول النامية بالأنشطة السياسية وغير السياسية داخليا » ص ٨٩ •

والاذاعات الدولية فى الدول المتقدمة بمـا تمتلكه من أجهزة بث قوية وامكانيات ماليـة كبيرة ، وتقدم صناعى يعطيها القدرة عـلى ايجاد مراسلين لها فى العواصم العالمية ومواقع الأحداث ، والقيام بدراسات ميدانية عـن المستمعين كل ذلك يساعدهم على اشباع نهم المستمع الى الاخبار والمعلومات التى ترسلها تلك الاذاعات الى العالم الثالث لاحتـوائه فكـريا •

وثمة أقطار نامية تسعى لاحتلال مكان بين هذه الدول فى توجيه اذاعات دولية لمحاولـة التغلب على التعتيم الاعلامى على قضاياهـا ولتعرض قضاياها ونظمها وسياساتها وعقائدها على الرأى العام العالمى •

* الاذاعات الدينية *

هذا الفصل من أهم فصول الكتاب • وفيه عرض لنماذج من الاذاعـات التبشيرية التى انتشرت فى بقاع كثيرة تدعمها قوى كبـرى وتيسر لها ميزانيات هائلة للعمل عـلى نشر المسيحية . وليرينا تقصيرنا فى ابلاغ رسـالة ديننا العالمية التى كلفنا الله بها • لكيلا يكون للناس على الله حجة •

فبين لنا نظم هذه الاذاعات وتمويلهـا وأشكالها واهتماماتها ومراكز انتاج موادها • وركز على قارة افريقيا التى يسعى المنصرون لتنصيرها قبل نهاية القرن العشرين • فحاصرتها الاذاعة التبشيرية من داخلها ومن خارجها •

واستخدمت الكنيسة الاذاعة فى روما فى سنة ١٩٣١ • يوم قدم ماركونى البابا بولس الحادى عشر الى ميكروفون الفاتيكان • وفيما بعد ازدهرت الاذاعات النصرانية وكتب الكاهن الذى يشرف على راديو الفاتيكان كله بمناسبة مرور (٤٠) سنة على انشاء راديو الفاتيكان قال فيها :

« لا نستطيع اليوم أن نتصور كيف يستطيع الاب المقدس أن ينجز مهمته البابوية العالمية بدون راديو الفاتيكان • فهذا الراديو يعمل على سد حاجات الراديو الكاثوليكى » ص ١٦٦ •

ولايقل اهتمام سائر الطوائف الأخـرى

بالاذاعة التبشيرية عن اهتمام الكاثوليكية ويجب علينا فى العالم الاسلامى أن نعرف ذلك ونجتهد لحماية المسلمين من أخطار هذه الاذاعات وغيرها • وذلك لايكون الا باذاعات قادرة على حمل رسالتنا للناس كافة • تدعوهم الى الاسلام وندفع المفتريات الباطلة التى راجت عنه ، ونزيل حجب الجهل التى صنعتها أجهزة الاعلام الاستعمارية ، ونواجه التعتيم الاعلامى المتعمد على قضايانا الاسلامية وذلك الغزو الفكرى الذى يستهدف عقيدتنا وقيمنا وحضارتنا •

ـ ملاحظات أخيرة

١ ـ رأينا من خلال استعراض الموضوعات التى ضمها الكتاب أنه من أوله الى أخره يتحدث عن الاذاعات الدولية • وكان من المنتظر أن يحمل الكتاب اسما يتفق مع مضمونه • « الاذاعات الدولية » مثلا • مع أنه لم يتعرض من قريب ولامن بعيد لغير الاذاعات • مع أن هناك وسائل أخرى عديدة للاعلام الدولى•

٢ ـ أنه دلنا على النشاط الذى تعمل به الاذاعات الدولية الموجهة الينا لتصلنا فى مخادعنا عل ذلك بحث الدول الاسلامية التى دخلت ميدان الاذاعات الدولية منذ مايزيد عن ربع قرن لتضاعف جهودها وتقوى أجهزتها وتعنى بالمضمون الاعلامى عناية تتناسب مع الاذاعات الدولية التى تعمل فى خفاء أو علانية للنيل من الاسلام كنظام شامل للحياة •

فعلى اذاعاتنا الموجهة أن تجعل الدعوة الى الاسلام أحد أهدافها وأن تعد سجلات لما يشاع عن الاسلام وتجند علماء المسلمين للرد على هذه الشبه التى حالت دون اسلام الكثيرين • غير متناسبة أن الهدف الأول لها هو التعريف بالاسلام والدعوة اليه بأساليب مناسبة •

٣ ـ « يعانى الاعلام الدولى للدول النامية من انخفاض درجة فاعليته بسبب انخفاض درجة كفاءة المؤسسات الاعلامية • وعدم تزويدها بالأشخاص الأكفاء • وانتشار المعوقات الادارية ، واعتبار المبررات الأخرى سببا جوهريا يتحكم فى عمل هذه المؤسسات مع عدم المقدرة على ادراك طبيعة الوظيفة الاعلامية الدولية وحدودها ومداها ، ومعالجة جوانب الضعف فيها ، كما تعانى هذه الأجهزة بوضع عام من انخفاض امكانياتها المالية ، وعدم توفر الأدوات العصرية الكفيلة بزيادة فاعلية العمل الاعلامى لهذه الدول • الأمر الذى يعوق تحقيق أهداف سياستها الخارجية من خلال العمل الاعلامى » (١) •

واننا لننتظر اليوم الذى يتمكن المسلمون فيه من اعداد اذاعات قوية لا تقل فى مستواها العلمى والتقنى عن غيرها من الاذاعات الدولية الكبرى •• يصلون عبرها الى مشارق الأرض ومغاربها يعرضون عليهم الحنيفية السمحة ، ويقصون عليهم أمجاد الاسلام وتاريخ أبطاله ويثبتون لهم قدرة الاسلام على انقاذهم مما هم فيه فيخرجونهم من الظلمات الى النور •

---

(١) د • محمد العوينى المرجع السابق ص ١٨ •

أنباء وآراء

العثور على مخطوطة للقرآن الكريم عمرها أكثر من ٨٠٠ عام فى الهند

● عثر على مخطوطة نادرة للقرآن الكريم كتبت منذ أكثر من ٨٠٠ سنة فى مكتبة مدينة [بنته] بشمال الهند . وذكرت مصادر هندية أن المخطوطة التى عثر عليها مؤخراً بخط الشيخ عبد القادر الجيلانى وهو واحد من كبار العلماء المسلمين .

وأشار الباحثون الإسلاميون إلى أن المخطوطة تحتوى على ترجمة لمعانى آيات القرآن الكريم باللغة الفارسية .

وقد وضعت الترجمة على هوامش الصفحات قبل ٢٠٠ عام وأوضح الباحثون أن هذه المخطوطة كتبت خلال فترة الحاكم العثمانى أبو مظفر يوسف فى بغداد .

الامام الأكبر يصرح : الأزهر يراجع قوانين باكستان بناء على طلب رئيسها !

شهد الامام الأكبر شيخ الأزهر خلال زيارته مؤخراً لباكستان وبنجلاديش المؤتمر الطبى الإسلامى الرابع .

ولقد ألقى فضيلته بحثاً أمام المؤتمر بعنوان [الإسلام وصحة الإنسان] .

وقد صرح شيخ الأزهر بأنه بحث خلال لقائه بالرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق سبل دعم التعاون الدينى والثقافى بين البلدين ، كما وافق فضيلته على طلب الرئيس الباكستانى بأن يراجع الأزهر الشريف كافة القوانين المعمول بها فى باكستان لبحث مدى مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية ، وأضاف شيخ الأزهر أنه قد بحث مع رئيس بنجلاديش عدداً من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية ودور الأزهر فى دعم النشاط الدينى والثقافى فى بنجلاديش .

وقد حث الإمام الأكبر شيخ الأزهر المجاهدين الأفغان أن يكونوا قوة واحدة وألا يسمحوا بحدوث أية خلافات فيما بينهم وأن تظل صفوفهم متآلفة حتى يتحقق لهم النصر بعون الله .

وقال شيخ الأزهر خلال لقائه بالمجاهدين الأفغان فى اقليم بيشاور الواقع على الحدود الباكستانية الأفغانية والذى يقيم فية ثلاثة ملايين من اللاجئين الأفغان :

إننى أوصيكم بما أوصى به الله المسلمين .
﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

استغرقت زيارة شيخ الأزهر أسبوعين بدعوة من رئيسى باكستان وبنجلاديش .

د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

مشروع انشاء محكمة عدل اسلامية

أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى شريف الدين بيرزاده أنه صدرت عن اللجنة القانونية المنبثقة عن المنظمة التى اجتمعت مؤخراً باشتراك خمس عشرة دولة من أعضاء المنظمة وثيقة حول حقوق الإنسان فى الإسلام ومشروع إنشاء محكمة عدل إسلامية للفصل بين القضايا الدولية للمسلمين .

ومن المقرر أن تعرض هذه القرارات والتوصيات التى انبثقت عن اللجنة القانونية على مؤتمر القمة الإسلامى الخامس الذى سيعقد فى النصف الثانى من شهر يناير المقبل بدولة الكويت .

قرار للمنظمة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا

قررت المنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا افتتاح مكتب إقليمى لها فى القاهرة .

ستكون أكاديمية البحث العلمى مقراً لهذا المكتب .

صرح بهذا الدكتور على الكتانى المدير العام للمنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا فور وصوله القاهرة للتشاور حول الترتيبات النهائية مع العلماء المصريين حول المكتب فى الإعداد لبدء تشغيله .

وقال : إن المنظمة التى مقرها جدة رأت افتتاح مكتبين إقليميين لها فى قارتى : آسيا وأفريقيا . حيث تم افتتاح المكتب الإقليمى فى آسيا بمدينة « إسلام أباد » فى باكستان منذ شهر ثم وقع الاختيار على القاهرة لافتتاح المكتب الإقليمى الثانى اعترافاً بالدور العلمى الرائد والوزن القوى للدراسات التكنولوجية فى جمهورية مصر العربية .

وقال مدير المنظمة الإسلامية : إن أهداف المنظمة تأتى فى إطار تبادل الدراسات والبحوث العلمية والتكنولوجية وتشجيع هذه الأبحاث فيما بين الدول الأعضاء لربط العلماء المسلمين وضمان مستقبل علمى تكنولوجى للعالم الإسلامى .

الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم والمعاهد الأزهرية

طالب المجلس القومى للتعليم بالاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن باعتبارها معاهد ابتدائية ، على أن يدرج فى الخطة الخمسية المقبلة الاعتمادات اللازمة لتنفيذ خطة استكمال المعاهد القائمة ومعالجة الأوضاع الحالية بالمعاهد الأزهرية والتوسع فى إنشائها .

أنبـــاء وآراء

كما طالب المجلس بضرورة تلبية احتياجات المحافظات من المعاهد الأزهرية مع مراعاة التوازن بكل محافظة بالتنسيق مع الجهود الذاتية والاستفادة بالمساجد فى سد العجز فى مبانى المعاهد للتدريس لطلبة الصفوف الأولى بالمدارس الابتدائية . وكان المجلس قد عقد اجتماعاً برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف على المجالس القومية المتخصصة ناقش فيه تقريراً حول المبانى والمنشئات الأزهرية وسبل تطويرها وتحديثها على أساس خطط علمية ، ودعم الجهود الذاتية فى هذا المجال وحصر المعاهد الأزهرية لتحديد ما تحتاج إليه من ترميم وإصلاح . كما أوصى المجلس بضرورة دعم الدولة للجهود الذاتية بالحوافز المتنوعة .

مؤتمر أساقفة فرنسا يقرر الاسلام منهج سياسى واجتماعى شامل

مؤتمر أساقفة فرنسا دعا المسئولين الفرنسيين إلى اعتراف موضوعى وضرورى بالإسلام الذى وصف بأنه أصبح أخيراً ثانى ديانة فى فرنسا .

وقد أعرب المؤتمر عن احترامه للإسلام ، وأبدى رغبته فى التعايش فى ظل روح الإخاء مع المسلمين .

وكان المؤتمر قد عقد مؤخراً فى « لورد » بجنوب فرنسا وقد خصص جانباً من اجتماعاته للإسلام وبعض الشئون المتعلقة بالمسلمين فى فرنسا . وقد حضره نحو مائة أسقف استمرت اجتماعاتهم أربعة أيام ..

وقد أكد المحاضرون بالمؤتمر على أن الإسلام لا يعتبر بالنسبة للمسلمين مجرد عقيدة فحسب ، بل إنه منهج سياسى واجتماعى شامل ، وأن الإسلام فى فرنسا أصبح واقعاً منظماً يمكن رؤيته اجتماعياً ولم يعد محصوراً بين الأفراد ، وأن المعرفة الحقيقية بالإسلام تضمن تجنب الكثير من الأفكار التى يصنعها الجهل وعدم الفهم !

سياسة جديدة لتنمية العالم الاسلامى

قرر الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية فى أول مؤتمر يعقده ، وضع سياسة خاصة لتعبئة الموارد المالية وتوجيهها لتنمية العالم الإسلامى من خلال المصارف الإسلامية التى وصل عددها حالياً إلى أربعة وخمسين مصرفاً .

وصرح أحمد النجار سكرتير عام الاتحاد بأن هدف الاتحاد هو توظيف الأموال فى مشاريع كبيرة فى الدول الإسلامية على أساس مبدأ المشاركة بين المواطنين ورجال الأعمال . كما تقرر بالتعاون بين المصارف إنشاء صندوق نقد يقوم بتنفيذ المشاريع المختلفة عن طريق طرح أسُهم لتمويلها .

وأضاف سكرتير عام الاتحاد بأن بيان المؤتمر حث المصارف على تكوين سوق مالية إسلامية جديدة لتعبئة الموارد من أجل التنمية .

ومما يذكر أن أول مصرف إسلامى تم انشاؤه كان فى مصر عام ١٩٦٣ م .

من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الأسرة والمدرسة مسئولتان عن غرس

العقيدة الدينية في الأبناء

ناشد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر منظمة المؤتمر الإسلامي أن تقوم بدورها في العمل على تحقيق وحدة الصف الإسلامي وجمع الكلمة وتجاوز الخلافات التى تحدث بين بعض الدول الإسلامية وذلك لمصلحة الأمة الإسلامية .

كما طالب الأسرة والمدرسة في المجتمع الإسلامي بأداء دورهما الأساسي في غرس القيم الإسلامية الأصيلة في نفوس الصغار وركز فضيلته على الاهتمام بالشباب المسلم ودعا العلماء إلى الالتحام بهم لتبصيرهم بأمور دينهم وتحصينهم من الأفكار والعادات الدخيلة على الإسلام نتيجة انبهارهم بتقاليد وعادات الغرب وعدم معرفتهم لأمور دينهم الصحيح .

جاء ذلك في حوار دار بيني وبين الإمام الأكبر أثناء زيارة فضيلته لمدينة بور سعيد .

قال شيخ الأزهر :

●● إن العالم الإسلامي مرت به فترة استعمار عسكري من دول الغرب ، وقد اجتهدت كل دولة مستعمرة أن تسبغ على كل شعب تقاليدها وعاداتها وتزين له ذلك حتى ولو أدى هذا إلى الخروج على تعاليم الإسلام ، وكان لاقتسام الدول الغالية للعالم الإسلامى فيما بينها أثر بالغ ، فقد أهملت اللغة العربية لدى الشعوب الإسلامية غير الناطقة باللغة العربية ، وبهذا زادت القطيعة والفرقة بين هذه الشعوب والآمال الآن معقودة على ان تعمل منظمة المؤتمر الإسلامي كمنظمة دولية اسلامية ، على وحدة الصف والكلمة وإلى تجاوز الخلافات الشخصية بين بعض الحكام وذلك لمصلحة الأمة الإسلامية بوجه عام ، حيث صار واضحاً الآن أن العالم متجه إلى التكتل فى وحدات قوية تحمى نفسها ومصالحها ، والشعوب الإسلامية لها فى الإسلام وحدة لا تنفصم عراها ، فهم جميعا يتلون كتاباً واحداً هو القرآن الكريم ، ويؤدون

◆ من خير ما كتب

الصلاة نحو قبلة واحدة خمس مرات يومياً ، ويصومون شهراً . واحداً هـو رمضان ، ويحجون إلى بيت واحد هو الكعبة المشرفة ، إنها العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وأنها الأمال المرتقبة التى ندعو الله أن يوفق المسلمين شعوباً وحكاماً إلى العمل على تحقيقها صونا لمستقبل الأمة ودفاعاً عن الذات والسمات الاسلامية .

■ وعن أهم قضايا الفكر الإسلامى المعاصر التى ينبغي أن يتصدى لها الأزهر الشريف ويقدم لها حلولاً عاجلة ، من خلال مجمع البحوث الإسلامية قال شيخ الأزهر :

●● إن قضايا الفكر المعاصر فى الأزهر لها عناية فائقة حيث تصدى مجمع البحوث الإسلامية لكثير منها فى المؤتمرات السنوية وهو يشارك بلجانه وإدارته فى تقويم المعوج بالأسلوب العلمى ، وأمام اللجان موضوعات متنوعة تجرى المداولة والحوار فى شأنها فى نطاق أصول الإسلام ، ليس من الملائم استعجال الرأى فى أمر تدور فيه المداولة فى مجمع علمى ، بل لابد من الأناة مع المثابرة وصولا إلى كلمة حق فى كل قضية .

فى هذا العصر سريع التطور والتغيير بفضل العلم وتقدمه المستمر ، لا يكتفى الشباب المسلم بالصورةالتقليدية للعالم الديني والتى تقف عند الوعظ فقط ما هى رؤيتكم فى التغيير الذي يجب أن يحدث فى صورة علماء الدين ليسايروا التطور ويكونـوا أكثر اقنـاعاً وتأثيراً ؟؟

●● حقا أن مهمة العلماء يجب ألا تتوقف عند كلمة الواعظين منهم ، وانهم يجب أن يسعوا إلى الناس يبصرونهم بأمور الاسلام التى غابت عن الكثيرين ، ولا أقول ، غاضت من قلوبهم .. لكن السؤال هو :

أين يلتقى العلماء بالشباب المسلم ؟

— إن المساجد قد نافستها الأنديـة واستقطبت روادها وكادت تطغى على مهامها مما أدى إلى تشرذم فئة من الشباب كادت تفقده مقومات الحياة الإسلامية والسمات المميزة للمسلمين وغير هذا من صور الحياة الاجتماعية لكل هذه الأمور التى تمثل عوائق حقيقية أمام العلماء .. فهم يبذلون الجهد فى اللقاء بالشباب ، بل بالناس على مختلف المستويات والأعمار فى أماكن تجمعهم ، فى المصانع والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والاسلامية ، ويحملون مسئوليات قد تخلى عنها أربابها ، فأين مسئولية الآباء والأمهات فى تنشئة أولادهم على مبادىء الدين والخلق الإسلامى ؟ وأين مسئولية المدرسة فى مراحلها المختلفة وقد أقفلت فيها المساجد ، وضيق على حصة الدين والقرآن الكريم أو أهملت ، وإذا لم يتعلم الابن والبنت أمور الإسلام وأصوله فى الأسرة وفى المدرسة فأين يتعلمون إذن ؟ ثم هذه الجامعات التى انتشرت فى معظم البلاد ، وقد خلت فيها برامج الدراسة من الثقافة الإسلامية فانتشر فيها التزمت بل والتطرف .

وحبذا لو عنى بذلك المجلس الأعلى للشباب والرياضة فييسر للعلماء فرص اللقاء بالشباب على اختلاف المراحل الدراسية بالاتفاق مع المسئولين عن التعليم فى المدارس والجامعات ،

وإعادة المواسم الثقافية التى كانت تزخر بها المدارس والجامعات .

وحبذا لو اهتمت النقابات العمالية والنوادى الرياضية والاجتماعية بتنظيم لقاءات مع العلماء .

والأزهر على استعداد للمشاركة فى التنظيم إيماناً منه بدوره الهام فى حياة المسلمين ، بل فى حياة بنى الإنسان جميعاً باعتبار علماءه هم الدواء فى هذا المجال يقدرون مسئوليتهم عن نشر الإسلام وفضائل الأخلاق فإننا لا ينبغي أن نستهين بالكلمة وتأثيرها ، وعلينا أن نعنى بها حتى تؤتى ثمارها فعلماء الاسلام يؤمنون بأن صلاح هذه الأمة فى تمسكهابالإسلام قولاً وعملاً ، فهو خير علاج للأمراض الاجتماعية والخلقية والتفكك الأسرى والاجتماعى الذى بدأت بذوره تظهر ، بعد أن تخلينا عن تقاليد الإسلام وأخلاقه ولم تعد لنا سمات نلتقى حولها ، بل صارت عاداتنا وتقاليدنا خليطاً مما نقلناه عن غيرنا وإن كان متنافراً مع بيئتنا وأصولنا .

الدكتور محمد شامه

يـــــوم الحســـــاب

من المبادىء الأساسية التى تقوم عليها الأديان عقيدة الحساب أى أن كل انسان سيحاسب على ما قدم فى حياته إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً غير أنها اختلفت فى كيفية المجازاة والعقاب فبعضها يرى ان ذلك سيكون فى الدنيا فى صورة حياة أخرى للروح بعد فناء الجسد يتحدد على أساسها عقابها أو ثوابها والبعض الآخر جعل الجزاء فى الدنيا فى صورة قحط وهلاك لمن عصى الله ورغد فى العيش وعزة فى ظل دولة قوية لمن أطاعه واتبع تعاليمه .

أما الإسلام فقد بين للناس أن هناك يوماً للحساب سيكون بعد أن يحشر الناس من قبورهم يقول الله تعالى ﴿ **وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ . قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ، هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ « يس ٥١ ـ ٥٤ » .

فالإيمان باليوم الآخر شرط أساسي فى صحة الاسلام إذ الإيمان : أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهو يوم القيامة حيث تعود الأرواح إلى الأجساد فيقوم الناس من قبورهم حفاة عراة وتنصب الموازين لتوزن بها أعمال العباد يقول الله تعالى ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ المؤمنون ١٠٢ ـ ١٠٣ » .

وفى يوم الحساب تنشر الدواوين وهى الصحف التى كتبت فيها أعمال العباد أى الكتب التى كتبتها الملائكة وأحصوا فيها ما فعله الانسان من سائر أعماله الفعلية ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ « التكوير ١٠ » .

أى إذا الصحف التى فيها أعمال العباد نشرت للحساب فيأخذ كل كتابه أو صحيفته يقول الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً . وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ**

من خير ما كتب

﴿ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا . وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ « الانشقاق ٧ ـ ١٢ » .

وروى أحمد والترمذى عن أبى موسى الاشعرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس ثلاث عرضات فعرضتا جدال ومعاذير وعرضة تطاير الصحف فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة ، ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار » ..

وعليه فيجب الايمان بالبعث والنشر من القبور كما يجب الايمان بيوم الحساب وهو اليوم الذى تعرض فيه أعمال العباد على الله ، فيتقرر مصير كلٍّ بناء على ما قدم فى الدنيا . فإن كان قد فعل خيراً ، أخذ كتابه بيمينه ودخل الجنة وإن كان قد فعل شراً أخذ كتابه بشماله ودخل النار .

ومن أنكر شيئاً من هذا فهو كافر لأنه أنكر أمراً ثبت بنص القرآن الكريم ، فقد جاءت آيات كثيرة تثبت وجود اليوم الآخر والحساب فيه فمنها قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ ﴾ « والمراد بطائره : ما طار عنه من عمله من خير وشر فهو يلزم به ويجازى عليه » ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُوراً . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ « الاسراء ١٣ ـ ١٤ » .

وقد أقسم الله بهذا اليوم فقال تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ « القيامة ١ » .

وأخبرنا بما يجرى فيه فقال : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ « القيامة ١٣ » .

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ[1] شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

---

(١) « وهى يوم الحساب »

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● وفى مشرق الاسلام محمدون ..	
للدكتور على أحمد الخطيب	٤٣٣
دراســـات اسلاميـــة	
● الدعاء بأسماء الله الحسنى	
للشيخ مصطفى الحديدى الطير	٤٣٨
● تفسير الطبرى فى اتجاهين	
للدكتور محمد رجب البيومى	٤٤٢
● موقف الاسلام من بنك لبن الأمهات	
للدكتور عبد الله مبروك النجار	٤٤٧
● حقوق الإنسان فى السنة والقرآن	
للدكتور توفيق محمد شاهين	٤٥٦
● بهائية جديدة فى ثوب مسيحى	
للدكتور عبد الودود شلبى	٤٦٤
● الدولة الاسلامية اجتماعيا واقتصاديا .. وسياسيا	
للعميد أ . ح د . فوزى محمد طايل	٤٦٨
● وأبونا شيخ كبير	
للأستاذ عبد الفتاح أبو سنه	٤٧٨
● ونعم النقد الكريم	
للدكتور على أحمد الخطيب	٤٨٢
● الفتـــاوى	
للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين	٤٨٤
● ظاهرة غير سوية يجب القضاء عليها	
أ . د فوقية حسين محمود	٤٨٦
● الحسينى هاشم	
للأستاذ السيد حسن قرون	٤٨٩
العلـــوم الكونيـــة	
● ماذا يأكل مرضى الكبد ؟	
د . على مؤنس	٤٩٤
● هذه الأعشاب وهذه النباتات	
د . السيد الجميلى	٤٩٨
● مجلة الأزهر من خمسين عاما	
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٥٠٢
الشعـــر والشعـــراء	
أشـــراف الدكتـــور حسن جاد	٥١١
● الذى علم بالقلم	
للأستاذ صلاح عفيفى	٥١٢
● ابتهـــال	
للأستاذ محمد عبد الخالق ندا	٥١٣
● بين المد والجزر	
للدكتور شندى موسى	٥١٤
● محمد رجب البيومى شاعراً	
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ	٥١٥
● القيمة البيانية للاستعارة ومعايير حسنها عند البلاغيين والنقاد	
للدكتور عبد الجواد محمد محمد طبق	٥٢٢
● طرائف .. ومواقف	
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٥٣٢
● السائح الأزهرى « دعاةالأزهر فى أندونسيا »	٥٣٥
● شوقى والجامعة الاسلامية	
د . محمد سلامة صالح	٥٤٢
● الإعلام الدولى للأستاذ أحمد طاهر	
عرض وتقديم عاطف زهران	٥٤٩
● أنباء وآراء	
اعداد د . أحمد عبد الرحيم السايح	
والأستاذ صفوت عبد الجواد	٥٥٤
● من خير ما كتب	
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	٥٥٧
القسم الانجليزى	
● المقالـــة الثالثـــة	
بقلم هدير رفعت أبو النجا	٥٦٥
● المقالـــة الثانيـــة	
بقلم الامام جاد الحق على جاد الحق	٥٧٠
● المقالـــة الأولـــى	
بقلم د . أنس مصطفى النجار	٥٧٤

in patience expecting Allah's mercy exceeds the harms caused by the catastrophe. It is related on the authority of Abu Saied that a man visited the Prophet (may peace and prayers of Allah be upon him) when he was ill and said exclaimingly, "your illness Prophet is very severe". The Prophet said "Our tribulation (the prophets) are stronger than usual and our rewards āre doubled, and next to us are the scholars and then the venerables; to the extent that some are happier with calamities than with gifts" (related by Ibn Maga).

The muslim cannot be a true muslim unless he reaches high degree of patience which is the path for Allah's consolidation and care, then patience will be a desirable feeling for him.

> "Now await in patience the command of thy Lord, for verily thou art in our eyes, and celebrate the praises of thy lord while thou standest forth".
>
> (Surat Al-Tur, LII,48).

In this verse Allah expresses that those who are patient will be in a special stage higher than any other, in the knowledge that he is not forgotten by God, but is constantly under God's vision and care.

The concept and attribute of patience is derived for one of the magnificent names of Allah, namely, Al-Saboor which means "The longanimous". This implies extraordinary patience, where no urgency is exigent to call for action before its elected time. All things happen as predestinated. Only Allah can ascribe to each affair an alloted order of timely occurence according to His design.

Translated from an Arabic Article by Shiekh Muhammad Saber, Al-Azhar Magazine Vol., 56, Zu Al-Hijja, 1404, Sept. 1984.

actions cannot fail to be devoted and sincere, not for a worldly gain and reward, but for a reward of blessing from Allah. Based on such consideration, these actions practiced devotion and sincerity cannot fail to be successful and blessed. Such concept is applicable to worldly everyday action and conduct in the various walks of life. It must be realized and understood that any action that is not purely devoted and sincerely subjected to the complete judgement of Allah, bears within its practice the subtle evil of ascribing other deities with Allah. This opens the first step on the path to kufre.

The development of a sence of devotion and sincerity breeds patience, which is in itself a prerequisit to devotionn and sincerity. This results into a serial equilibrium of duality of essentials and factorial relationships of devotion, sincerity and patience., Patience and perseverance with persistence is the imprisonment of the self against what Allah has forbidden, and having strength against depression and disappointment. It is the insistence and resolution of self powers against the evils of desires. Patience originates from spiritual elevation and deep perception, and results in the stimulation of the heart and self with immense serenity and piety. Patience retains and maintains self composure and tolerance at time of suffering. Allah loves these who are patient, bless them, and grants them endless reward. The Holy Quran states:

> "Be sure We shall test you with something of fear and hunger, and some loss in property, lives, and harvests. But give glad tidings to those who patiently persevere. who say, when afflicated with calamity
> "To Allah we belong and to Him is our return".
> (Surat Al-Baqara, II,155,156)

> "What is with you must vanish, what is with Allah will endure; and we will certainly bestow on those who patiently persevere, their reward according to the best of their actions.
> (Surat Al-Nahl, XVI, 96).

Believers enjoy patience; when Allah examines their faith by any catastrophe; then the feelings of content

(may Allah be pleased with him) said that the Prophet (may peace and prayers of Allah be upon him) said Blessed are the devoted; they are the lights of guidances which quench the darkness of all temptations, (related by Al-Sayouti).

The Holy Quran relates that the devil (Iblis) affirmed to tempt all people. However, those believers with devotion and sincerety are exempt from this affirmation. The Holy Quran states that Iblis (Satan) said:

> "(Iblis) said: " Then by Thy Power, I will put them all in the wrong; except thy servants amongst them who are sincere and purified by thy grace"
> (Surat Sad, XXX VIII, 82,83).

This emphasizes the concept that Iblis (Satan) has no influence over the devoted sincere believers and fails to lead them into temptation.

Devotion is the spirit of all actions which envokes blessing on all conduct and behaviors and creates the flow and continuity of all practices. Accordingly, it was an inherent constant character of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him).

The substantial elements of devotion and sincerity in the Islamic faith are very fundamental. In the origin, the presence of these two ingredients is an essential requirement for true faith, and accordingly for true belief in the Oneness and Omnipotence of Allah. Islam meaning complete submission to Allah in soul, mind and body determines that the ultimate end of any action of man is related to Allah, and subject to His complete total judgement. Consequently, the realization and full comprehension of this concept will compel the true believer to relate all his action to the judgement of Allah, The Judge, The Just, The -All cognizant, The Vigilant, The Witness, The Varity, The All-Dominating. Since all actions are performed with the full understanding that Allah is the Just Witness, these

DEVOTION AND THE STRENGTH OF PERSISTANCE

Translated by
Hadeer Refat Abu Al-Nagah

Devotion is a spiritual characterstic which elevates human nature and purifies the soul. It pushes man into the fields of reverance and charity, and leads him to continue and perfect the good practices. Devotion is an essential ingredient of Islamic thought and teachings that is fundamental to all actions and deeds. In several Hadith of the Prophet (prayers and peace be upon him) devotion and sincerety in any action are the essentials of true success and dignity and the foundation of belief. Devotion is moral excellence and provides the path for esteem and honour.

The Holy Quran states the understanding that steadfastness and devotion to Allah strengthens the faith and protects from the assaults of evil upon the vunerable mind. This devotion and sincerety in religion must be wholehearted and genuine seeking essentially man's relationship with Allah and no other wordly gain. The verses of the Holy Quran rendering this understanding are numerous.

> "Except for those who repent, mend their life, and hold fast to Allah, and purify their religion as in Allah's sight. If so they will be numbered with the believers. And soon will Allah grant the believers a reward of immense value".
>
> (Surat Al-Nisa, IV, 146).

Additionally, devotion is the best way for human salvation, is the perfect way to avoid wordly disaster. Without devotion and sincerety in action, the performance of deeds become devoid of any good, and all efforts become fruitless. On the authority of Thawban

authority of the Attorney General who issues the permission after verifying the identity of those concerned and ensuring the legality and authenticity of the bequeathal. Such sanction complies with the concept that serving a high purpose supercedes preserving the consecration of the dead.

The preceeding considerations are relevant to the first four issues presented at the beginning of this article. The latter four issues will be discussed in a further-coming article " In Shaa Allah ".

Allah is All-Knowledgable, All- Cognizant.

In a Hadith for the Prophet prayers and peace from Allah be upon him "breaking the bones of the dead is like breaking them alive".

The question in other words is the legality of transplanting an argan from a dead person to the body of a live person for the purpose of treatment. Before answering this guestion, it is necessary to identify the Islamic ruling on the state of sanctity and purity of the human body after death. The consensus of opinion of the Malki, Shaffie, Hanafi, Hanbali, and Zaydi schools of Fiqh is that the human body is not soiled or impure after death. Considering the Hanafi comprehension, the human body becomes incidently soiled after death and could be purified by washing as after intercourse or menstruation during life.

The unanimity of comprehension of the various schools of Fiqh permit opening the body of a dead person to remove an organ or part of, for the purpose of transplanting it to the body of another live man. This legality is subject to the surmise of an expert physician that the recepient will benefit from the transplant. Such sanction invokes the concept that "urgencies allow the prohibited; and that the greater harm can be removed by the lesser harm".

It is also permissible for a living person to donate part of his body for transplantation to another person on condition that no harm results to the body of the donor. It is, however, forbidden for the donor to receive any material compensation in return for the organ donated or part of it as in blood transfusion. Accordingly, it is permissible to remove an organ or part of the body of a dead person if he bequeathed it before death; or on the consent of his heritors if the identity of the deceased and his family are known. In case the identity of the deceased is unknown, or is known and his family unknown; it is permissible to remove part of his body for transplant to a living human for purpose of treatment. The cadaver my also be used for teaching purposes at medical institutions. This should be conducted after the permission and under the

absolute on the grounds that man is not permitted to commit suicide, and therefore donation of part of the body may not be permitted liberally but is certainly subject to certain restrictions.

What I choose is that every person has full authority regarding himself, although this authority is limited by the boundaries implied in the Words of Allah " And make not your own hands contribute to your destruction; but do good; for Allah loveth those who do good" (Surat Al-Baqara, II, 195). Also in the Words of Allah " Nor kill (or destroy) yourselves; for verily Allah hath been to you most Merciful"" (Surat Al-Nisaa, IV, 29). Consideration is given in that respect by the authorities of " Fiqh " concerning fighting a holy war and becoming subject to death. Also, the mandates given by Islam in respect to saving drowning people, people in fire, people in collapsing buildings; and the respective consequences of the possibility of death of the savior.

Therefore, if a Muslim physician expertise (or non-muslim according to Iman Malek) confirms that removing part of a living body with consent to trascplant it to another living body for treatment; and if it is confirmed that it would not harm the donor (since it is futile to replace harm by harm), and that it would benefit the recepient; this transplant would be legally permissible. The donated part should not be sold or rewarded, since selling a free person in whole or in part is prohibited.

The question presented " Is it permissible for a man according to the Islamic Shariah to donate or bequeath part of his body after death as a service for patients in need; such as the kidney, the cornea and other organs. Allah has honoured mankind and preferred him over many of His creations, prohibited any indignity to him or transgression upon his rights, alive or dead. It is also mandatory in Islamic legislation to preserve the self as indicated by the quotations from the Holy Quran previously quoted. Islamic legislation concerning shrouding, burial and prohibition of breaching graves except for necessity, are indications that the human being is highly honoured during life and after death.

5- What is the comprehensive definition of death according to Islamic "Fiqh"; and when is a person considered dead.

6- What is the Islamic ordinance and favourite view on the abdominal incision of a pregnant woman after her death in the case of an alive faetus, and in case of a dead faetus. Also opening up the abdomen of a dead man to retrieve valuables he might have swallowed before his death?

7- What is the ruling on discriminating between a number of patients equally affected by disease, with regards to transplanting an organ or blood transfusion when not enough of that is available or other medication to treat all patients?

8- What is the Islamic premise on the use of intensive resuscitation medical equipment to help respiration and heart beat, when the death of the nervous system has been confirmed?

With a genuuine praise to Allah, and prayers and peace be upon the magnanemous Prophet-Muhammad; considerations of these important issues will follow. May Allah the All-Mighty bestow upon us the Light of knowledge, and the reality of truth and understanding.

The bequeathal "Will" according to the terminology of the authorities of Islamic Shariah is defined as "imparting ownership deferred until after death". According to this meaning the bequeathal would be legally implemented in monitary assets, uses and debts. The civil code defines the "Will" as disposition of the estate deferred till after death. Consequently, the bequeathal of body organs is not included in the limits of the " Will " according to the terminology of the Shariah, because the human body is fundamentally not an estate for inheritance. This understanding, however, is included in the linguistic meaning of the term " Will "; since that word is used to mean " To deputize others to perform a certain action during the life time of the bequeathing person or after his death". The donation of part of the body during life is permitted according to the Shariah considering that man is the sole adminstrator of himself. This right is, however, not

ORGAN TRANSPLANTATION IN HUMAN BEINGS*

BY

His Eminence Al-Emam, Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

Organ Transplantation has gained a widespread acceptance in medical and scientific media, and extensive research is being developed to establish more progress and to attain basic fundamentals in this sphere of human knowledge. Islamic Jurisprudence defines certain attitudes in that respect, and the considerations presented in this treatise aims at emphasizing the salient features.

Summary of Issues:

1- Is it sanctioned to bequeath the removal of an organ or part of dead person if he bequeathed it, or upon the consent of his next of kin?

2- What meaning should apply to this bequeathal; the law of Divine Shariah, man's law of legislation, or the linguistic meaning?

3- Is it sanctioned for a living person to donate an organ of his body to another person threatened by death, or donate some of his blood, What criteria should be followed in this case. Is it allowed to receive material reward in return to the organ or blood donated?

4- Is it authorized to transplant an organ of a dead person without his bequeathal or consent from his heritor; and who are those who legally have the right to consent?

---

* Article originally published in Arabic in the Al-Azhar Magazine Vol. 55, Shawal 1403 H., July 1983 AD.

circumstances; and if the believers feared poverty due to economic recession of trade, Allah will enrich them from His bounties. These Divine legislations releaved complete and comprehensive in Surat Al-Tawbah specified the exact framework of the relationship between the believers and the idolaters.

The unbelievers that still remained spread mainly in the south of the Arab peninsula recognised that the announcements of Ali Ibn Abi Taleb at Mina during the pilgrimage confronted them with an unexpected situation. The muslim state would certainly enforce the mandate authorized by the Revelation and their situation was to become really critical. Certainly there was no more room for idol worship, and a consideration of their situation was imperative and compelling. A frank overt confrontation of war from Allah and His Messenger was to befall them; a matter they could not possibly confront. These tribes sent deputations to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to understand the teachings of Islam, and the great majority of them accepted Islam and found in its teachings the reality and provisions of human rights and human dignity.

During the months of the tenth year of Hijrah the delegations of the various Arab tribes continued to come to Al-Madinah to meet with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to listen to the Words of Allah, and the teachings of Islam. They returned to their tribes to summon for the new creed of Islam, they were accompanied by companions of the Prophet commissioned by the Prophet to teach and instruct those tribes in the teachings of Islam. The widespread proliferation of Islam throughout the Arab penisnsula came about during the tenth year of Hijrah. Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

This Divine Referendum was revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to be announced during the great gathering of the pilgrimage during the month of Zu-Al-Hijja of the nineth year of Hijrah. The Revelation came after the departure of Abu-Bakre. It was of great importance that it should be publicly announced to people, Muslims and Infidels alike, so that they should know the new precepts of islamic doctrine regarding Muslim-Infidel relationships. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) particularly deputized Ali Ibn Abi Taleb as a man of the Prophet's house to set out with all speed to overtake Abu Bakre and the pilgrims with him. Ali Ibn Abi Taleb was commissioned to act on behalf of the Prophat (prayers and peace from Allah upon him) in delivering the message of this particular Revelation to be publicly announced as Divine Referendum during the great gathering of all the pilgrims at the valley of Mina.

When Ali Ibn Abi Taleb overtook Abu-Bakre and the pilgrims with him, Abu Bakre asked him if he had been sent to command the expedition, but Ali said that he was sent on a special mission. They went on together, and Abu Bakre led the Salat and preached the sermons. On the first day of the Feast when all the pilgrims assembled in the valley of Mina to sacrifice their animals, Ali stood up with Abu Hurayrah beside him and proclaimed the Divine Message in its exact Quranic text, and further pointed out the injunctions of this divine mandate. The gist of it was that the idolaters were given four months respite to come and go in safety, after that Allah and His Messenger would be free from any obligation towards them. War was declared upon the idolaters, and they were to be slain or taken captive wherever they were found; two exceptions were made. As regards those idolaters who had a special treaty with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and had faithfully kept it, the treaty was held as valid until its term ran out. Also, if any individual idolater sought protection, he was to be granted protection, told the words of Allah and the teachings of Islam, then conveyed to a place of safety and security.

The Divine Referendum also indicated that Idolaters would be prohibited to go to the Holy mosque under any

departure of Abu Bakre, there came a Revelation of the Holy Quran which was important for all the pilgrims to Maccah both Muslims and polytheists to hear.

"Reprieve is herein granted from Allah and His Messenger to the pagans with whom you have contracted alliances. Go about then in the land for four months as you wish, but know ye that ye cannot escape Allah; and that Allah will inevitably abhore the infidels.

"And a declaration from Allah and His Messenger to mankind on the day of the greater pilgrimage that Allah disowns the idfidels and so does His messenger. If you repent, it would be best for you; but if you turn away, then know that you can never escape from Allah, and warn the infidels of painful retribution.

"Except those of the infidels with whom you have contracted alliance and did not abate any of your rights, nor ally themselves with your enemy; you shall fulfill their treaty to the end of its term. Allah loves the righteous.

"But when the sacred months are past, then fight and kill the infidels wherever ye find them; and seize them and follow them and wait for in every startagem. But if they repent and establish regular Salat prayer, and practice regular Zakat charity; then allow them free. For Allah is oft-forgiving most merciful".

"If one amongest the Pagans ask thee for protection grant it to him, so that he may hear the Words of Allah, and then escort him to safety. That is because they are men without knowledge".

(Surat Al-Tawbah, iX, 1-6).

"O ye who believe, the Infidels are (soiled) unholy, so let them not come close to the sacred mosque after this year. And if you fear poverty, Allah shall enrich you from His bounties if He wills. Allah is All-Knowing, All-Wise.

(Surat Al-Tawbah, IX, 28).

THE DIVINE REFERENDUM

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD,PhD.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The last quarter of the nineth year of Hijra was coming to an end, and the last month of Zu Al Hijja started to mark the time of pilgrimage. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had not performed pilgrimage in the proper Islamic way. The decision to perform pilgrimage was greatly considered as supplication and humility to Allah for the glories and triumphs granted. However, the Arab peninsula remained to harbour several non-muslim sects including Jews, Christians, and even non-believers and idol worshippers. These non-believers and idol worshippers retained their custom to perform their visits to the kaabah during the holy months; and consequently the Haj season will not be purely Islamic. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to remain at Al-Madinah and await the commands of Allah in that matter. Abu Bakre was therefore appointed to lead the pilgrimage of the nineth year of Hijrah and to take charge of it.

Abu Bakre Al-Sidig Ibn Abi Quhafa left Al-Madinah to Maccah to perform Hajj with three hundred muslims. The Holy kabaah was visted without restriction by both Muslims and non-believers, and both parties performed their own practices of pilgrimage and their own ritual ceremonies of worship. The presence of two parties in the same place at the same time performing two opposing formalities of worship would certainly result in a condition of decrepancy around the Holy shrine of the Kabaah. It was therefore mandatory to resolve this issue by Divine Ordinance. Not long after the

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Rabie Al-Akhar, 1407

Vol. 59, Part IV

CONTENTS

1) The Divine Referendum
By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar.

2) Organ Transplantation in Human Beings.
By: Al-Emam Gad Al-Haq Ali Gad Al Haq.

3) Devotion and the strength of Persistance.
By: Hadeer Refat Abu-Al-Nagah.

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

م ١٢
ع ٢٢٢٣٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحابة الأبناء المحمدون

وأولئك ما كانوا من الجاهلين ، فما كانوا ابناء لآباء وثنيين تَمَنَّوْا - بالتسمية - ان يَحْظَى ابناؤهم بالنبوة . ولا كانوا من « المخضرمين » الذين حملوا الاسم جاهلية وإسلاماً .

إنما كانوا صحابة ابناء صحابة :

صحابة لأنهم وُلدوا فى الإسلام ، وشبوا عليه ، ورَأَوْا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعايشوه ، وقد اسلم آباؤهم من قبل حتى إذا ولد لهم هؤلاء الأبناء سَمَّاهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الاسم الكريم ، أو سماهم آباؤهم به « تَيَمُّناً » برسول الله - صلى الله عليه وسلم - و « حُبّاً » فى الاسم الشريف ، و « تَطَلُّعاً » إلى بركته ، و « شغفاً » بالاستماع إليه .

* الجزء الخامس *
* السنة التاسعة والخمسون *
* جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ *
* يناير ١٩٨٧ م *

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف

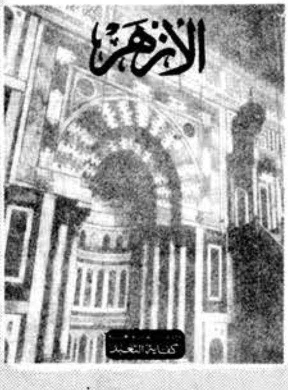

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمؤمنين رءوف رحيم ، للمسلمين ـ لديه ـ سعةٌ فى الصدر ، وبِشْرٌ فى اللقاء مع حَدَبٍ خالص ، وحنو بالغ .
وهذا الخلق العظيم منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حمل الكثير منهم : رجالاً ونساءً ـ على أن ينطلقوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصبيانهم المواليد[1] ، فيتلقاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيديه الشريفتين ، أو يضعهم فى حجره ، ويُحَنِّكُهُمْ ، ويمسح بيده عليهم ، وكم ترك ذلك من أثر مُعجِز كريم بَدَا ـ واضحاً ـ عندما علاهم المشيب فلم يشب منهم موضع يده الشريفة ـ صلى الله عليه وسلم ـ
وينبغى أن نستثنى ـ ممن سماهم الرسول ، عليه الصلاة والسلام ـ فريقاً لم يكن من المواليد ، وإنما حملوا أسماء لم يَرْضَ عنها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فسماهم بهذا الاسم الشريف استبدالاً بالاسم الذى حملوه .

ومن صحابته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شغف بالاسم الكريم فأطلقه على أكثر من وَلَد،وما هو إلا جيل أو أكثر حتى شاع الاسم وذاع ، وَتَسَمَّتْ به أناس من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ويبدو ـ والله أعلم ـ أن البعض ممن حمل هذا الاسم الشريف قد استغضبَ أَهْلَه فى شىء مما يضيق به الوالدان أحياناً ؛ فكاد عُمَرُ أن يُمضِى فى ذلك قرارا لكن الله سَلَّم .

وهانحن نتبع ما قدمنا من أحوال الصحابة الأبناء المواليد بتفصيل .

فهؤلاء هم المواليد الذين شَرُفوا بالتسمية من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

١ ـ محمد بن أنس بن فضالة ـ رضى الله عنه .

ترجم له بن الأثير برقم « ٤٦٩٨ » وابن حجر برقم « ٧٧٥١ » وقد يترجم له باسم : محمد بن فضالة ، وهوهو « محمد بن أنس بن فضالة ـ رضى الله عنه ـ قال :

« قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . [أى المدينة] وأنا ابن أسبوعين ، فَأُتِىَ بى إليه فمسح رأسى ودعالى بالبركة ، وقال : سَمُّوه باسمى ، ولا تَكْنُوه بكنيتى .. وَحُجَّ بى معه فى عام حجة الوداع » وانظر مع ما تقدم ـ للمقارنة رواية ابن الأثير رقم « ٤٧٥٥ » وابن حجر رقم « ٧٧٩٤ » .

٢ ـ محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ـ رضى الله عنه :

ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٠٥ » وابن حجر برقم « ٨٢٨٩ » أُمُّهُ « جميلة بنت عبد الله ابن أبى بن سلول » رضى الله عنها ، أتى به أبوه ثابتُ بن قيس رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى لفافته فسماه محمداً وحَنَّكَه بتمرة عجوة .

أثبته ابن الأثير وأمضاه ابن حجر ـ رضى الله عنهما ، فلا عبرة بقول من توقف فيه .

٣ ـ محمد بن طلحة بن عُبَيْدِ الله ـ رضى الله عنه :

ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٣٨ » وابن حجر برقم « ٧٧٧٥ » أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

---

١ ـ انظر ابن حجر ـ الإصابة ١١٨/٩

وأمه « حمنة بنت جحش » رضى الله عنها أخت أم المؤمنين « زينب بنت جحش » رضى الله عنها .
حمله أبوه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسح رأسه ، وسماه « محمداً » ونحله « كنيته » .
وتذكر رواية أن التى حملته إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدته حمنة ـ رضى الله عنهم .
٤ ـ محمد بن نُبَيْط بن جابر ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٦٣ » وابن حجر برقم « ٨٣٠٧ » .
ولد ـ رضى الله عنه ـ على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحمل إليه وحَنَّكه وسماه محمداً .. عن ابن القدّاح رضى الله عنه .
٥ ـ محمد بن مُخَلَّد بن سحيم الخزرجى ـ رضى الله عنه .
ذكر ابن القداح أنه ولد على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى سماه محمداً .
ترجم له فى أسد الغابة برقم [٤٧٦٠] وفى الإصابة [٧٧٩٩] .
وفى الترجمة الأولى أنه "شهد فتح مكة". وليس يعنى ذلك أنه جُنِّدَ فيها .
٦ ـ محمد بن عمارة بن حزم الأنصارى ـ رضى الله عنه .
ترجم له فى الإصابة برقم [٨٣٠٣] قال ـ رضى الله عنه :
ذَكَرَهُ ابن شاهين عن ابن أبى داود عن ابن القداح ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سماه لما وُلِدَ "محمداً".
ويلاحظ أننا اعتمدنا فى هذين الصحابيين الأخيرين رقمى ٥ ، ٦ فى ترجمتنا بهذا المقال ـ على قرينتين رجحتا عندى حملهما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أعنى بهما :
النص على الولادة على عهده ـ صلى الله عليه وسلم .
والنص على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الذى سماهما . فأقرب الأحوال ـ إذاً ـ أن يحملا إليه لا أن يذهب إليهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فأما ابن نبيط صاحب الترجمة رقم [٥] فقد نُصَّ على تحنيك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له ، وذلك يلزم حمله إليه عليه الصلاة والسلام .

● ●　　● ●　　● ●　　● ●

وهذه جماعة سماها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاسم الشريف ولم يصحب الترجمة فيهم دليل يبين أنهم وُلدوا على عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو حملوا إليه ، أو كانوا صبيانا على عهده ـ عليه الصلاة والسلام ـ مما يرجح أن تسميته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم بهذا الاسم كانت لأمر رآه ـ عليه الصلاة والسلام . وأولئكم :
١ ـ محمد بن خليفة بن عامر ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن حجر ، فهو فى « الإصابة » برقم [٧٧٦٤] .
قال ابن القداح :
« شهد الفتح[٢] وكان اسمه « عبد مناة » فسماه النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ محمداً .
أخرجه ابن شاهين عن ابن أبى داود عنه » أى عن ابن القداح .

---

٢ ـ أى فتح مكة

والأمر ـ فى سر التسمية هنا ـ ظاهر ، وتعطى الرواية كذلك الدليل الذى يرجح كونه كبيراً لا صبياً

٢ ـ محمد بن هلال بن المعلى ـ رضى الله عنه .

ترجم له فى الإصابة برقم [٧٨٠٣] وفى أسد الغابة برقم [٤٧٦٦] .

ممن شهد الفتح ، وسماه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمداً ، اتفق على ذلك ابن الأثير وابن حجر ، وزاد ابن حجر قوله :

« أخرجه ابن شاهين عن ابن أبى داود عنه » أىْ عن ابن القداح .

وفى الأسد : أخرجه أبو موسى مختصراً .

٣ ـ محمد بن عباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى الخزرجي ـ رضى الله عنه : ترجم له ابن حجر برقم [٧٧٧٧] ولم يترجم له ابن الأثير ، وأثبته ابن حجر هكذا : محمد بن عباس بن نضلة ، وقال : تقدم نسبه فى ترجمة أبيه ، فأثبتنا الترجمة عن أبيه ، وأبوه ـ رضى الله عنه ـ من الأنصار المهاجرين ، سبق أن كتبنا عنه ، قال ابن حجر ، قال ابن القداح :

سماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمداً ، وشهد فتح مكة .

أخرجه ابن شاهين عن ابن داود عنه .

٤ ـ محمد مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رضى الله عنه .

أورده أسد الغابة برقم [٤٧٢٣] وابن حجر برقم [٧٨١٠].

أورداه عن الحاكم ـ رضى الله عنه ـ فى تاريخ « نيسابور » وكان اسم أبيه : « ماناهيه » ولم يُنْكر على الحاكم ذلك .

هاجر هذا المولى الكريم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوصل المدينة وأسلم فسماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ محمداً

٥ ـ محمد بن الجد بن قيس ـ من بنى سلمة ـ رضى الله عنه .

ترجم له فى أسد الغابة برقم [٤٧٠٧] وفى الإصابة برقم [٧٧٥٦] . ذكره ابن القداح ، وأخرجه أبو موسى ، وعنه نقل ابن الأثيرْ مُخْتَصَرَهُ . قال ابن القداح : سماه النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ محمداً ، وشهد معه فتح مكة .... قال :

وذكر محمد بن حبيب ـ فى كتابه [الْمُحبَّر] أنه أول من سُمِّىَ محمداً فى الإسلام من الأنصار . قال ابن حجر :

وفى [الأكليل] للحاكم أن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ كان من بنى سعد بن على بن أسد بن ساردة ، وإنما صار فى بنى سلمة لأن [فلان] ابن محمد بن الجد بن قيس ـ وهو من بنى سلمة ـ كان أخاه من أمه . انتهى .

قال ابن حجر : وهذا يدل على قدم زمان محمد بن الجد بن قيس فيؤيد ما قاله ابن القداح .

٦ ـ محمد بن ضمرة بن الأسود بن عباد بن غنم بن سواد ـ رضى الله عنه .

ترجمت له الإصابة برقم [٧٧٧٤] وابن الأثير برقم [٤٧٣٧] واتفقا على ذكر ما حَدَّث به ابن القداح ، ونقله عن ابن أبى داود ، وأخرجه ابن شاهين قال :

إن النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ سماه محمداً ، وشهد فتح مكة .

وهؤلاء [صحابة] ولدوا ـ على عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يذكر عنهم حملهم إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم تنسب تسميتهم [محمداً] إليه صلى الله عليه وسلم ـ مما يرجح ـ والحال هذا ـ أن التسمية إنما كانت من قِبَلِ والديهم ـ رضى الله عنهم ـ وأولئك هم :

١ ـ محمد بن عبد الله بن جحش بن رياب بن يَعْمر بن صَبْرَةَ ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة القرشى ـ رضى الله عنه .

استكملنا ترجمته عن أبيه عبد الله بن جحش رضى الله عنه .

ترجم له فى أسد الغابة برقم [٤٧٤١] وفى الإصابة برقم [٧٧٧٩] هاجر مع أبيه وعَمَّيْه إلى الحبشة ، وقال الواقدى : كان مولده قبل الهجرة بخمس سنين .١هـ .

وإذا كان الأمر كما يقول الواقدى فأرى أن ولادته كانت أول الإسلام تقريباً ، ولم يذكر فى تسميته شىء يخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

أمه فاطمة بنت أبى خُنَيْس ـ لها صحبة ، وأبوه ، رضى الله عنه ـ أخو زينب بنت جحش أم المؤمنين ـ رضوان الله عليها .

قُتل أبوه : عبد الله ـ رضوان الله عليه ـ يوم أحد ، فأوصى به النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ محمد بن أبىّ بن كعب[٣] بن قيس بن عبيد ، من بنى مالك بن النجار الأنصارى الخزرجى ـ رضى الله عنه ـ

ترجم له بن الأثير برقم [٤٦٩٢] وابن حجر [٨٢٨٥] .

ولد على عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمه أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو السدوسى ، وأبوه من أَقْرَئِ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقرآن .

٣ ـ محمد بن جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وَالِدُهُ ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ترجمت له الإصابة برقم [٧٧٥٨] ، وأسد الغابة برقم [٤٧٠٨] .

أبوه ذو الجناحين القرشى الهاشمى أخو على ـ رضى الله عنهما ـ وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، ولد بالحبشة ، وقدم إلى المدينة طفلاً . فهو ممن حملت به بطون المهاجرات الأوائل ـ رضوان الله عليهن .

قال محمد بن حبيب ـ فى [المُحَبَّر] « هو أول من سمى محمداً فى الإسلام من المهاجرين » : رضوان الله عليهم .

٤ ـ محمد بن حاطب بن الحارث الجمحى القرشى ـ رضى الله عنه .

ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧١٠] والإصابة برقم [٧٧٥٩]

ولد على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو كسابقه ولد بأرض الحبشة ـ أمه إحدى بنات المُجَلِّل بن عبد الله بن قيس القرشية العامرية .

وتذكر بعض الروايات ـ بأسد الغابة ـ أنه لم يولد بأرض الحبشة ، وإنما هاجر به والداه إلى الحبشة طفلاً .

قال مصعب : كانت أسماء بنت عميس قد أرضعت محمد بن حاطب الجمحى مع ابنها [عبد الله] فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا . رضى الله عنهم . وأسماء هى والدة محمد بن جعفر ذى الترجمة السابقة .

---

٣ ـ استكملنا ترجمته عن أبيه أُبَىّ ـ رضى الله عنه .

٥ ـ محمد بن حَطَّاب بن الحارث بن مَعْمر الجمحى القرشى ابن عم السابق ـ رضى الله عنهما ترجم له أسد الغابة برقم [٤٧١٥] والإصابة برقم [٧٧٦٣] .

قال أبو عُمَر : هو أَسَنُّ من ابن عمه محمد بن حاطب اهـ وهو مؤكد الصحبة .
قال ابن عبد البر : « ولد أيضاً بأرض الحبشة »

٦ ـ محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧١٣] وابن حجر برقم [٧٧٦١]
ولد ـ بدوره ـ بأرض الحبشة ، أبوه من المسلمين الأوائل ، وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية رضى الله عنهما .
استشهد أبوه باليمامة فضمه عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ إليه ورباه وكفله .

٧ ـ محمد بن أبى جهم بن حذيفة ـ رضى الله عنه(٤).
صاحب الترجمة رقم [٤٧٠٩] بأسد الغابة ، ورقم [٨٢٩٠] بالإصابة .
ويلاحظ هنا ما ينبغى النظر إليه ، فثمة محمد بن أبى الجهم غير هذا ، نبه على ذلك [ابن مَنْدَه] رضوان الله عليه ، قال ابن منده ـ والرواية لابن حجر :
إن أبا موسى ذكر محمد بن أبى الجهم بن حذيفة فى الصحابة ، وذكر محمد بن أبى الجهم هذا ـ [أى الأخير لا صاحب الترجمة] ـ فى تاريخه ، ولم ينسب أباه لحذيفة .اهـ .
ولد صاحب الترجمة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٨ ـ محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٣٩] وابن حجر برقم [٧٧٧٦].
وهو ـ رضى الله عنه ـ ثابت الصحبة ، ولا عبرة بمن استدرك عليه ، أدرك ما لا يقل عن ست سنوات من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ، فهو من المواليد على عهده عليه الصلاة والسلام . قال ابن حجر : « فهو صحابى لا محالة » اهـ .
وأبوه عاصم بن ثابت صحابى مشهور ـ رضى الله عنه .

٩ ـ محمد بن عثمان بن بسر بن عبد الله بن دُهمان الثقفى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن حجر فى الإصابة رقم [٧٧٨٦]. وذكر الزبير بن بكار : أن أمه [ريحانة بنت أبى العاص بن أمية أخت الحكم والد مروان .

٤ ـ يتساهلون فى إسقاط [ال] فيقولون : الجهم ، وجهم بدونها .

وهو صحابى ، ولا ذكر لأبيه فى الصحابة ، إذ يبدو أنه مات قبل فتح مكة ، وأسلمت أمه ، فسمى محمداً ـ رضى الله عنهما ، وقصته أشبه بالذى يليه ، وهما ابنا خالة .

١٠ ـ محمد بن عبد الله بن سعد بن جابر بن عُمَير المزحجى الحكمى ـ رضى الله عنه
ترجمت له الإصابة برقمى [٧٧٨٠ ـ ٨٢٩٧]
أمه آمنة بنت عفان أخت عثمان رضى الله عنهم ، وهى وأمها [أَرْوَى] أسلمتا معا ، مات أبوه قبل الفتح على دين آبائه وأمه حَوِلٌ به ، فسمى محمداً رضى الله عنه .

١١ ـ محمد بن عبد الله بن سلام بن الحارث ـ من ولد يوسف بن يعقوب ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .
ترجم لمحمد ـ رضى الله عنه ـ أسد الغابة برقم [٤٧٤٣] والإصابة برقم [٧٧٨١] ذكره البخارى فى الصحابة ، قال ابن أبى داود ـ بشأنه : روى عن النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وسمع منه ، وقال أبو عمر .« له رؤية » زاد ابن الأثير : « وروايته محفوظة » رضى الله عنه . وأبوه ـ رضوان الله عليه ـ علم فى الصحابة معروف .

١٢ ـ محمد بن أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٢٩] وابن حجر برقم [٧٧٦٩]
أثبته بن الأثير واحتج له بدليل قاطع ، وقال : ولد على عهده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأمه بعد وفاة أبيه يكون من أَرَبَّائه ـ عليه الصلاة والسلام .

١٣ ـ محمد بن صَيْفى بن أمية بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخْزوم القرشى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٣٥] وابن حجر برقم [٧٧٧٢] .
وهو سبط خديجة أم المؤمنين رضوان الله عليها ، فأمه هند بنت عتيق بن عامر المخزومية ، وأمها خديجة . رضى الله عنها .
أثبته ابن القداح ، وذكر الزبير بن بكار أن أباه [صيفيا] قتل يوم [بدر] قال ابن حجر : ومن يقتل أبوه ببدر ـ وهى فى السنة الثانية من الهجرة ـ يكون أدرك من العهد النبوى ثمانى سنين فأكثر ، فلا يسمى [محمداً] إلا وقد أسلم أبوه أو أمه .. إلخ فلا عبرة بكلام من لم يثبته .

١٤ ـ محمد بن عمرو بن العاص بن وائل القرشى رضى الله عنهما .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٥٢] وابن حجر برقم [٧٧٩٠]
أثبته الزبير بن بكار والواقدى ـ رحمهما الله ـ قال العدوى :
صحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حَدَث وأبوه ـ رضى الله عنهما ـ أشهر من أن يعرف ، أمه بَلَوية واسمها : خَوْلة بنت حمزة بن السليل .

←

١٥ ـ محمد بن أبى عبس بن جبر الأنصارى ـ رضى الله عنهما .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٤٧] وابن حجر برقم [٧٧٨٤].
أبوه من مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم ، وذكر محمداً ـ رضى الله عنه ـ ابنُ منيع ، وعن ابن القداح : أن محمدا شهد بيعة الرضوان والمشاهد بعدها .

●● ●● ●●

ومن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ حقق ابن حجر ـ رضوان الله عليه ـ شغف كعب بالاسم الشريف فسمى به وَلَدَيْن من أبنائه ؛ هما :

١ ـ ٢ محمد بن كعب الأكبر ، ومحمد بن كعب الأصغر ، والأخير روى حديث الأول راجع الترجمتين رقمى [٧٧٩٧] و [٧٧٩٨] بالإصابة .
وفى الإصابة : أن محمدا بن كعب الأكبر مات فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم .
وكذلك الأمر فى أسرة الصديق ـ رضوان الله عليه ـ فقد سَمَّى وَلَدُه عبدُ الرحمن بن أبى بكر ولداً له بالاسم الشريف فهو :

٣ ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر ـ رضى الله عنه .
وهو صاحب الترجمة رقم [٤٧٤٥] بأسد الغابة ، ورقم [٨٢٩٩] بالإصابة وله رؤية وصحبة .
وسمى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ولده من السيدة أسماء بنت عبيس رضى الله عنها (محمداً) فهو :

٤ ـ محمد بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما
له ترجمة رقم [٤٧٤٤] بأسد الغابة ، و [٨٢٨٨] بالإصابة . ولدته ـ رضى الله عنها ـ فى طريق المدينة إلى مكة فى حجة الوداع . كذلك ثبت فى صحيح مسلم ـ رضى الله عنه .

وبذلك يكون لأسماء ـ رضى الله عنها ـ ولدين من الصحابة حمل كل منهما الاسم الشريف : الأول تقدم ، وهو محمد بن جعفر بن أبى طالب ، والثانى محمد بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهم .

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ابنُ أخى صاحب هذه الترجمة أَسَنُّ من عمه محمد بن أبى بكر الصديق . رضى الله عنهم .

وبعد :

فلم أجد ـ فيما بين يدى من مراجع ـ ما يلقى ضوءاً واضحاً على :

محمد بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما ، وقد ذكره أبو راشد بن حفص الزهرى[٥] فى عبارة عامة كالتى ذكرها الزبير بن بكار ـ رضى الله عنهما .

ولا نص ـ فى العبارتين ـ على أنه من مواليد هذه الفترة ، واحتمال أنه ولد بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وارد لأمرين .

أ ـ عدم النص على ولادته فى هذا العهد .

ب ـ ثم إن سعدا رضى الله عنه ـ توفى سنة خمس وخمسين ، قال ابنه عامر : كان سعد آخر المهاجرين موتاً . رضى الله عنهم ـ فاحتمال ولادته ـ بعد ـ قائم ، ومثله كذلك محمد بن على بن أبى طالب ـ كان ـ رضى الله عنه ـ من مواليد ما بعد هذه الفترة .

● ● ● ● ● ●

قال أبو راشد بن حفص الزهرى :

ادركت اربعة من ابناء أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كلهم يسمى محمداً ، ويكنى أبا القاسم : محمد بن على ومحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن طلحة ، ومحمد بن سعد بن أبى وقاص . الترجمة رقم ٤٧٣٨ "أسد الغابة"

وكذلك قال الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن : كان المحمدون الذين يُكْنَوْن [أبا القاسم] أربعة : محمد بن على بن أبى طالب ، ومحمد بن طلحة ، ومحمد بن سعد ، ومحمد بن الأشعث : الترجمة رقم ٨٤٩٦ إصابة .

فذكرت الأخيرة محمد بن الأشعث بدل محمد بن سعد بن أبى وقاص ، وكلاهما لا صحبة له ولا رؤية .

لكن : كيف كُنُّوا بهذه الكنية الشريفة مع صحة النهى عنها ، وقد رواها البخارى ـ بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

قال : تَسَمَّوْا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى » البخارى ـ باب العلم .

بل كَنَّتْ عائشة ـ رضى الله عنها ـ بهذه الكنية الشريفة محمد بن أبى بكر الصديق[٦] رضى الله عنه ـ وما كانت عائشة لتعصى أمراً جزم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير أن نظرة إلى مولد محمد بن أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ تحيطنا علماً أنه من مواليد السنة العاشرة فقد ولد فى الطريق إلى حجة الوداع ،

٥ ـ انظر أسد الغابة التراجم : ٢٠٣٧ ، ٤٦٩٧ ، ٤٧٣٨ .

٦ ـ انظر الترجمة رقم ٤٧٤٤ أسد الغابة

وتدل رواية عن محمد بن أنس بن فضالة أنه قال : قدم[٧] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا ابن أسبوعين فَأُتَى بى إليه ، فمسح رأسى ، ودعا لى بالبركة ، وقال : سَمُّوه باسمى ولا تكنوه بكنيتى »[٨] .

هذه الرواية التى حفظها محمد ـ رضى الله عنه ـ عن آبائه تبين أن نهيا عن الكنية ورد فى السنة الأولى من الهجرة ، بينما وُلِدَ محمد بن أبى بكر ـ رضى الله عنهما فى السنة العاشرة ، فيبدو أن ذلك النهى إنما كان فى أول الأمر عند وروده صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة . قال ابن الأثير :

وكانت عائشة تكنى محمداً أبا القاسم ، وسَمَّى ولَدَه القاسم ، فكان يُكْنَى به ، وعائشة تكنيه به فى زمان الصحابة فلا يرون بذلك بأساً[٩]»

●●　●●　●●

وكاد حَدَث يمنع من التسمية بهذا اللفظ الشريف :

وذلك فى محمد بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب رضى الله عنهم وزيد هو أخو عُمَر ـ وكان من أقدم المسلمين ـ رضى الله عنهم ، فإذا رجل يسب محمداً يقول له :

« فَعَلَ الله بك وفعل يا محمد .»

فغضب عمر غضباً شديداً ، ونظر إلى محمدٍ وَلَدِ ابن أخيه وقال له :

« لا أرى محمدا يُسَبُّ بك ، والله لا تُدْعى محمداً أبداً ما دمت حياً » وسماه [عبد الرحمن].

ورواية الإصابة : « والله لا يدعى محمداً أبداً ما دمت حياً .»

وأرسل ـ رضى الله تعالى عنه ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا جَمِيعاً حبنا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل إلى أبناء طلحة بن عبيد الله ، وهم سبعة ، وسيدهم وكبيرهم محمد بن طلحة ليغير أسماءهم ، فقال محمد :

أُذَكِّرُكَ الله ـ يا أمير المؤمنين ـ فَوَاللهِ لَمُحَمَّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَمَّانى محمداً .

فقال عمر :

قوموا ، فلا سبيل إلى شىء سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٠]اهـ

●●●

ولست أدرى كيف يستطيع مسلم تسمى بهذا الاسم الكريم وارتكب الجنايات ـ أن يواجه عَتْب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نسأل الله التوبة والصفح الجميل ،

تم

د. علي الخطيب

٧ ـ أى قدم إلى المدينة

٨ ـ راجع الترجمة رقم ٤٦٩٨ أسد الغابة

٩ ـ راجع الترجمة رقم ٤٧٤٤ أسد الغابة

١٠ ـ انظر الترجمتين [٤٧٣٨] أسد الغابة و[٧٧٧٥] بالإصابة والرواية ذكر أصلها البخارى والبغوى والطبرانى وغيرهم .

الإسلام وصحة الإنسان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
وبعد :
فإن الانسان أكرم خلق الله على الله ، استخلفه فى الأرض ، كما جاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ » ..

لقد سخر الله لآدم وذريته هذا الكون وما فيه ، قال تعالى فى سورة لقمان : « **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** » ..

وألهمه وأرشده إلى استثمار هذا الكون ، ففى سورة البقرة : « **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** .. » وفى سورة الرحمن : « **الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** » .. وفى سورة العلق : « **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** » ..

واقتضى تكريم الله الإنسان ، وتعليمه مالم يكن يعلم أن يرشده إلى ما يحفظ عليه حياته **الإنسانية فى صحة وعافية لذاته ولمجتمعه ففى سورة الأعراف قول الله سبحانه :** « **يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** »

وفى سورة الأنبياء : « **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ** » . **ولقد وجه الإسلام الإنسان إلى المحافظة على صحته بالأخذ بأسباب استمرارها ودوام العافية فيقول الله فى سورة التوبة :** « **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** » **وحث على طهارة البدن فى الآية السادسة من سورة المائدة كشرط**

للعبادة ، فأوجب الوضوء وبين أعضاءه وأوجب الغسل على الجنب ثم قال فى ختام الآية : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » . .

وحث على طهارة الثوب ، فقال فى سورة المدثر : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » وعلى طهارة مكان العبادة فقال فى سورة البقرة : « وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » . . وفى سورة البقرة : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ . . » وفى سورة الواقعة فى شأن المصحف : « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » . .

وجرت سنة الرسول ﷺ قولا وفعلا بالدعوة إلى التطهر والنظافة ، ففى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى مالك الأشعرى : « الطهور شطر الإيمان » . وفى رواية : الطهور نصف الإيمان » .

وفيما رواه ابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها : « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » .. ولقد بين الإمام الغزالى مراتب الطهارة بأنها : تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات ، وتطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، وتطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل المقوتة ، وتطهير السر عما سوى الله تعالى .

وكان من عناية الاسلام بصحة الإنسان : الأمر بطرق وقائية عديدة تتمثل فيما استظهره الفقهاء من حكم لأسس الاسلام العملية من صلاة وصيام ، وما فى باقى الأسس من وقاية للمسلم من أوبئة نفسية واجتماعية .

فهذا هو القرآن فى سورة المائدة يشترط الوضوء والغسل وسيلة لطهارة البدن قبل الدخول فى الصلاة على التفصيل الوارد بالآية الكريمة .

وهذا هو الرسول ﷺ يزيد سننا فى الوضوء والغسل ، فسن المضمضة والاستنشاق أى غسل الفم والأنف عند الوضوء والاغتسال ومسح الأذنين واستعمال السواك لتنظيف الأسنان عند الوضوء والاغتسال والصلاة .

فقال فيما رواه أصحاب السنن عن أبى هريرة : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .. وما رواه البخارى وغيره أن النبى ﷺ قال : « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب » .

كما سن تخليل الأصابع وغسل البراجم وما تحت الأظافر .

وفى حسن المظهر والنظافة العامة سن العناية بتنظيف وترجيل شعر الرأس واللحية روى ابن حبان وغيره أن رسول الله ﷺ رأى رجلا ثائر الرأس أشعث اللحية فقال : « أما كان لهذا ما يسكن به شعره ؟ ثم قال : « يدخل أحدكم كأنه شيطان » ..

والمسلمون يعرفون هذا من دينهم قبل غيرهم من الأمم التى يأخذ عنها الناس فى هذا العصر وسائل الوقاية والحماية للإنسان .

لقد سن الرسول ﷺ الغسل للجسد كله وبخاصة عند حضور الاجتماعات العامة كصلاة الجمع والأعياد وماذاك الا حفاظا على مجتمعات المسلمين وصحتهم العامة فضلا عن صحة كل فرد منهم .

ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه : « حق على كل مسلم فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده » .. متفق عليه .

أما فى الطعام والشراب فقد قال الله فى سورة الأعراف : «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» ..

دعوة إلى الاعتدال فى الطعام والشراب ويفسر هذا الحديث الذى رواه أحمد والترمذى عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا : فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ..

ويعلق ابن القيم فى زاد المعاد على هذا الحديث بأن هذا من أنفع ما للبدن والقلب إذ البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له التعب والكرب .. ولما كان فى الإنسان جزء أرضى وجزء مائى هوائى قسم النبى ﷺ سعة البطن على الطعام والشراب والنفس .

وعملاً على الوقاية وحفظ الطعام والشراب وجهت السنة الشريفة بالحث على تغطية أوانى الطعام والشراب كما جاء فى حديث جابر الذى رواه مسلم : « غطوا الاناء وأوكوا السقاء » ..

بل إن ما يدعو له أهل العلم اليوم من منع الشرب من اناء باشر الشرب منه آخر ، جاء به حديث البخارى عن ابن عباس أن الرسول ﷺ : « نهى عن الشرب من فى السقاء » ـ أى من فم السقاء ـ وهى الآنية التى يستقى بها الماء أو يحفظ بها .

ويعلق ابن القيم على هذا بقوله : « وفى هذا آداب عديدة ، منها أن تردد أنفاس الشارب فى الإناء يكسبه رائحة قد يعانى لأجلها ، وقد يكون فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه .

ومن باب الوقاية لصحة الإنسان فى الإسلام تحريمه أنواعا من المطعومات والمشروبات على نحو ما جاء مفصلا فى الآية الثالثة من سورة المائدة : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ . . » . .

ولقد كشف العلم الحديث أضرار تلك المحرمات على صحة الإنسان ، وتعرضه للهلاك إذا تناولها .

ومن باب الوقاية من الأمراض التناسلية التى انتشرت فى هذا العصر بأسماء وصور مختلفة حرم الله الزنا واللواط .

وقد كشف العلم للناس حقائق الاسلام وصونه لصحة الإنسان وحرصه على أن يعيش سليما معافى عما يعوقه عن أداء مهام الخلافة فى الأرض .

ولعل الإسلام حفاظا على وقاية صحة الإنسان لم يترك باب خطر الا نبه إليه ، بل وحرمه حتى فى الصلة الجنسية للزوجين حيث نبه القرآن فى سورة البقرة إلى ضرورة اعتزال المعاشرة الجنسية بين الزوجين فى وقت الدورة الشهرية للمرأة ذلك قول الله : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » . . كان هذا حماية من الأذى الذى ينشأ عن هذه المخالطة فى هذه الحال التى تكون عليها الزوجة .

ولم يكن حرص الإسلام على وقاية المجتمع وزينته بأقل مما وجه إليه الأفراد فى ذواتهم وخاصة أنفسهم فحث الإسلام على نظافة الطرق وتطهيرها .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الإيمان بضع وستون شعبة : أفضلها قول لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » . .

وقد روى مسلم فى صحيحه أحاديث أخرى تحث على المحافظة على نظافة الطرق ومراعاة حقوق الناس فيها .

وروى الترمذى عن سعد ابن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال : « نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود ، إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة » .

وجاءت السنة الشريفة ، كذلك بالبعد عن تلويث مجارى المياه .. ففى صحيح مسلم النهى عن التبول فى الماء الراكد ، وفى رواية للطبرانى : النهى كذلك عن التبول فى الماء الجارى .

وما ذلك الا حفاظا على صحة الإنسان ، واحتفاظا بنعمة الماء نقية طاهرة من الدنس والأوساخ حتى تستعمل فى حاجات الإنسان من شرب وغسل وطبخ .

وعملا على صون حياة الإنسان وتوفيراً لأسبابها أمر الله كل إنسان بالمحافظة على حياته حتى وان خالف أمرا أو نهيا ، ومن هنا كانت قاعدة الضرورة التى قررها الإسلام فى أكثر من آية فآيات تحريم بعض المطعومات والمشروبات كلها اختتمت بإباحة ذات المحرمات عند الضرورة ، كما فى الآية ١٧٣ من سورة البقرة .. « فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » . والآية رقم ٣ من سورة المائدة : « فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » . والآية رقم ١٤٥ من سورة الأنعام : « فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » . .

وفى استعمال الماء فى التطهير كان التيمم بديلا عنه عند الحاجة إليه للشرب أو مع خوف الأذى من استعماله : « ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ » . .

ومن الحفاظ والوقاية لصحة الإنسان

ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد » .

وهذا الحديث رواه جماعة من الصحابة : أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله والسائب بن يزيد وابن عمر وغيرهم .

وفى رواية للبخارى ومسلم عن أبى هريرة : « لا يورد ممرض على مصح » ..

وقد اختلف العلماء فى بيان المعنى المراد من حديث « لا عدوى » وأحسن ما قيل فيه قول البيهقى وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم أن قوله « لا عدوى » يعنى على الوجه الذى يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى ، واعتقاد أن هذه الأمور تعدى بطبعها من غير مشيئة الله .

وروى أصحاب السنن عن أسامة بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها .. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .. تلك وصايا نبى الاسلام ﷺ ، تدعو إلى الابتعاد عن مصادر الأمراض ، مع اعتقاد أن كل الأمور بتقدير الله سبحانه .

ولكن الانسان مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان فى عافية ، فكما أن العاقل لا يلقى بنفسه إلى الماء المغرق إذا كان لا يجيد السباحة ، ولا يلقى بنفسه فى النار فكذلك يجب على الصحيح اجتناب مخالطة المجذوم وغيره من ذوى الأمراض المعدية ، ومن ذلك أيضاً عدم الدخول إلى مكان ينتشر فيه الطاعون ونحوه ، إذ أن ذلك من أسباب الاصابة بالمرض والتلف ، وهذا لا ينافى أن الله سبحانه خالق الأسباب ومسبباتها ، لا خالق غيره ولا مقدر لكل الأمور سواه .

لقد روى أصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه الأجناد : أبو عبيدة بن الحراج وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فدعا عمر المهاجرين الأولين واستشارهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم : خرجت لأمر ولا نرى أن نرجع عنه وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن نقدمهم على هذا الوباء .

ثم دعا الأنصار واستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، ثم دعا بعض مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء .

ومال عمر إلى هذا الرأى وعزم على العودة ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أفرارا من قدر الله ؟ فقال له عمر رضى الله عنه : نعم .. نفر من قدر الله إلى قدر الله .

ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيباً فى بعض حاجته ـ فقال : إن عندى فى هذا علماً : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به ـ أى الطاعون ـ بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » ..

فحمد الله تعالى عمر رضى الله عنه وانصرف راجعا .

وفى شأن الطب العلاجى :

روى أصحاب السنن أن بعض الصحابة قالوا : يارسول الله : أفنتداوى ؟ قال : « نعم ، ياعباد الله » .. تداووا ، فإن الله لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد هو الهرم » ..

وروى البخارى ومسلم أن الرسول ﷺ قال : « ما أنزل الله عز وجل من داء الا وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله » ..

وفى شأن الطبيب روى البيهقى .

أن وفد نجران إلى النبى ﷺ كان فيه الشمردل ، فقال : يارسول الله : بأبى أنت وأمى ، إنى كنت كاهن قومى فى الجاهلية ، وإنى كنت الطبيب ، فما يحل لى قال ﷺ : « فصد العرق ، ومجسة الطعنة إن اطررت إليها ، وعليك بالسنا ، ولا تداو أحدا حتى تعرف داءه » .. فقال الشمردل : والذى بعثك بالحق أنت أعلم بالطب منى .

وروى ابن ماجة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن » ..

وبعـــد :

فتلك لمحات من توجيهات الاسلام للحفاظ على صحة الإنسان وقاية وعلاجا ..

ولعله يتضح من هذا صحة المقولة الشائعة : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان » ..

يعنى أن الله قد أباح ما حرمه عند الضرورة إذا توقفت حياة الإنسان على تناول المحرم أو على اجتناب الواجب وصدق الله إذ قال فى سورة البقرة : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » ..

وفى سورة النساء : « وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا » ..

وفى سورة المائدة : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ..

وفى سورة الحج : « هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..

دراسات اسلامية

الجن يستمعون القرآن ويؤمنون

إدارة الخلفاء الراشدين

رد الخطأ عن السيرة النبوية

الجن
يستمعون القرآن ويؤمنون

قال تعالى :

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » .

أول سورة الجن .

البيـــان

الجن اسم جنس جمعي واحده جني ، وهم أجسام يغلب عليها النارية ، لقوله تعالى : « وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ » وهم قابلون كلهم أو صنف منهم للتشكل بأشكال مختلفة ، من شأنهم الخفاء إذا كانوا على صورتهم الحقيقية ، لقوله تعالى : « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ » .

وقد يرون بصور غير صورهم الأصلية ، أما رؤيتهم بصورتهم الحقيقية فمن خواص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولهم قدرة على الأعمال الخارقة ، مثل الجنى الذى عرض على سليمان عليه السلام أن يأتيه بعرش بلقيس من سبأ بأرض اليمن إلى بيت المقدس قبل أن يقوم من مقامه ، أى قبل أن ينصرف من مجلسه للحكم بين الناس .

وهم ذوو عقول مدركة واعية ، ولذا كلفوا بالإيمان بالنبى ﷺ ، وآمن به بعضهم ، قال تعالى « وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا » .

سبب إيمان الجن

وسبب إيمان الجن بالرسول ﷺ ، يرويه الترمذى بسنده عن ابن عباس قال « كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوحى ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زاد فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لابليس ، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ما هذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلى بين جبلين ـ أُرَاهُ قال بمكة ـ فأتوه فأخبروه فقال هذا الذى حدث فى الأرض » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ويوضح هذا

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

حديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : « ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ماذاك إلا من شىء قد حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : ياقومنا « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . . » الآيات .

فهذا الحديث يدل على أن النبى ﷺ لم ير الجن ولم يقرأ عليهم فى هذه المرة ، وإنما كان يصلى فسمعوه وآمنوا به وبما أنزل عليه .

وقد رآهم النبى ﷺ بعد هذه المرة ، وكلف بلقائهم كما سنوضحه بعد ويلاحظ من الحديثين المذكورين أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء ليلتقطوا أخبار الملأ الأعلى وهم يتحدثون بما كلفوا به فى أرض الله ، وأنهم ما كانوا يرمون بالشهب قبل مبعثه ﷺ .

وينبغى أن يعلم أن المقصود من السماء الطبقات العليا فوق الأرض ، لا السماء المعروفة ، فإنهم كانوا بمعزل عنها ، كما ينبغى أن يعلم أن الشهب ظاهرة كونية كانت موجودة قبل البعثة المحمدية ، ولكنها بعدها كثرت للحيلولة دون معرفة الغيب من أسرار الملائكة ، وفى هذا يقول الله تعالى حاكيا ما قاله الجن « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا » ويقول : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا » .

رأى الفلاسفة فى الجن

بعض الفلاسفة ينكرون الجن ، ولكن جمعا عظيما من قدمائهم يعترفون بوجودهم ، ويسمونهم الأرواح السفلية ، ويزعمون أنهم جواهر قائمة بنفسها ، وليست أجساما ، وبعضها خير وبعضها شرير ، وهم أنواع مختلفة بالحقيقة ، ولا يعرف عدد أصنافها وأنواعها إلا الله تعالى - إلى آخر ما قالوا .

رأى الإسلام فيهم

والإسلام يعترف بوجودهم ، ويوجب الإيمان بهم ، ويكفر من ينكرهم ، لأن أنكارهم تكذيب للقرآن الكريم ، وكما أثبت القرآن وجودهم وأثبتته السنة ، وجمهور أصحاب الملل معترفون بهم ، وكثير من مثقفى هذا العصر معترفون بهم ، قائلون إنهم وراء هذا العالم المادى ، مختفون عن أبصار البشر ، ولهؤلاء مجلات عديدة تنطق برأيهم فى أوربا وغيرها ، عامرة بالبحوث التى تتصل بالعالم الروحى .

أصل الجن

قال القرطبى : واختلف أهل العلم فى أصول الجن ، فروى إسماعيل عن الحسن البصرى أنهم

←

ولد ابليس ، كما أن الأنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء فى الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولىّ الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان .

وروى الضحاك عن ابن عباس أن الجن هم ولد الجان ، وليسوا بشياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، والشياطين هم ولد ابليس ، لا يموتون إلا مع ابليس .

والله أعلم بالصواب ومن الرأيين ، ولكن لا خلاف فى أن الجن مكلفون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر .

قال القرطبى : واختلفوا فى دخول مؤمنيهم الجنة ، على حسب اختلافهم فى أصولهم ، فمن قال : إنهم من الجان لا من ذرية ابليس قال : يدخلون الجنة بإيمانهم ، ومن قالوا إنهم من ذرية ابليس فلهم فيهم قولان « أحدهما » وهو قول الحسن : يدخلونها بإيمانهم « وثانيها » وهو مروى عن مجاهد : لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار ـ حكاه الماوردى . انتهى ما قاله القرطبى .

وفادات الجن على النبى ﷺ

للجن عدة وفادات على النبى ﷺ « أولها » لم يرهم فيها النبى ﷺ ، ولم يكن يعلم بمجيئهم حتى أخبره الله تعالى ، وقد مر خبرها برواية مسلم والترمذى عن ابن عباس .

الوفادة الثانية

كلف فيها الرسول بتبليغهم ورآهم ، فقد جاء فى سنن البيهقى من طرق شتى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدى حتى أتينا مكان كذا ، وخط على خطا وقال « لا تبرح خطك » فبينما أنا جالس إذ أتانى رجال منهم كأنهم الزط(١) فذكر حديثا طويلا جاء فيه أنه ﷺ ما جاءه إلى السحر ، قال ابن مسعود : وجعلت أسمع الأصوات ، ثم جاء عليه الصلاة والسلام ، فقلت : أين كنت يارسول الله ، فقال : أرسلت إلى الجن ، فقلت ما هذه الأصوات التى سمعت ، قال : « هى أصواتهم حين ودعونى وسلموا على » .

الوفادة الثالثة

الوفادة الثالثة دعوا فيها النبى ﷺ ليلقاهم ، فأتاهم ودعاهم ، ولم يكن معه فيها من أصحابه أحد ، فقد أخرج عبد بن حميد وأحمد ومسلم وغيرهم عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبى ﷺ ليلة الجن منكم أحد ؟ قال : ما صحبه منا أحد ، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب ، فقلنا : استطيرا واغتيل ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ،، فلما أصبحنا إذا هو جاء من حراء ، فأخبرناه فقال : أتانى ،داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن ، فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم .

الوفادة الرابعة

كانت الوفادة الرابعة من جن « نصيبين » وذلك أن الله تعالى أمره أن يدعو الجن ويقرأ عليهم ، فصرف إليه نفرا منهم من « نصيبين » وجمعهم له ، فقال لأصحابه « إنى أريد أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعنى ؟ فأطرقوا ، ثم قال الثانية فأطرقوا ، ثم قال الثالثة فأطرقوا ، فقال ابن مسعود : أنا يارسول الله ، قال ابن مسعود : ولم يحضر معه أحد

(١) جنس من السودان أو الهند

غيرى ، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، دخل النبى ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون ، وخطَّ خطاً وأمرنى أن أجلس فيه ، وقال : لا تخرج حتى أعود إليك ، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن ، فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى فى رفرفها ، فسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبى ﷺ ، وغشية أسودة[٢] كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل السحاب ذاهبين ، ففرغ النبى ﷺ مع الفجر ، فقال : أنمت ؟ قلت : لا والله ، ولقد هممت أن استغيث بالناس حين سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : اجلسوا ، فقال « لو خرجت لم آمن عليك أن يختطفك بعضهم » ثم قال : « هل رأيت شيئاً ؟ » قلت نعم يارسول الله ، رأيت رجالا سودا مستثغرين[٣] » ثيابا بيضاء ، فقال « أولئك جن نصيبين » .

وجاء فى هذا الحديث أيضاً ، أن الجن تدارأت[٤] فى قتيل بينهم ، فتحاكموا إلى فقضيت بينهم بالحق .. إلخ أخرجه البيهقى بسنده عن ابن مسعود كما رواه غيره وجاء فى رواية أخرى لهذا الحديث نقلها القرطبى ، أن عبد الله بن مسعود بعد أن ذكر خروجه مع النبى ﷺ دون غيره قال : « فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبى دب ، فخط على خطا فقال « لا تتجاوزه » ثم مضى إلى الحجون ، فأنحدر عليه أمثال الحجل[٥] يحدرون الحجارة بأقدامهم ، يمشون يقرعون فى دفوفهم ، كما تقرع النسوة فى دفوفها ، حتى غشوه فلا أراه ، فقمت فأوحى[٦] إلى بيده أن أجلس ، فتلا القرآن ، فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم ، فلما انفتل إلى قال : « أردت أن تأتينى ؟ » قلت نعم يارسول الله ، قال « ما كان ذلك لك ، هؤلاء الجن أتوا يستمون القرآن ، ثم ولوا إلى قومهم منذين » إلى آخر الحديث .

قال عكرمة : وكانوا اثنى عشر ألفا من جزيرة الموصل انتهى ، وبالجملة فقد كان للجن ست وفادات على النبى ﷺ ـ كما ذكره الألوسى .

وبما أن موضوع الجن تقل فيه معلومات الناس ، وهم بحاجة إلى معرفة المزيد من شئونهم ، فسنتبع هذا المقال مقالا آخر ، نتكلم فيه عن مساكنهم وطعامهم وغير ذلك ومن مختلف شئونهم ، والله ولى التوفيق .

---

(٢) المراد بالأسودة الجماعة ، مفردها سواد ، وقيل الضروب المتفرقة .
(٣) الاستثفار بالفاء بعد الثاء المثلثة ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه .
(٤) أى تدافعت .
(٥) هو طير القبج ، واحده حجلة .
(٦) أى اشار .

سقوط الأقنعة !!

لازمت الفراش بسبب نزلة برد شديدة .. وانقطعت عن العمل مدة عشرة أيام كاملة .

كان « الراديو » هو تسليتى الوحيدة ، وكانت إذاعة البرنامج العام هى رفيقى فى هذه الاجازة .

وذات يوم نهضت من الفراش .. وضغطت على مفتاح الجهاز .. ما هذا ؟

مستحيل أن يكون هذا الصوت قادما من القاهرة .. ؟ من موسكو ؟ أعتقد أنها إذاعة موسكو العربية . فالعبارات تفوح رائحتها بالايديولوجية الكريهة ! وكلمات : امبريالية .. وتقدمية .. ورجعية التى سمعتها لأول مرة منذ اربعين عاما على لسان بعض الشيوعيين فى مقهى « زهرة إيران » الذى كان معروفاً بحى « خان الخليلى » تكررت على لسان المتحدثة أكثر من مرة وعدت لأتأكد من ضبط المؤشر .. ياللكارثة .. ! إنها إذاعة القاهرة .. والصوت الذى أسمعه كان صوتاً لشيوعية معروفة !

وفجأة وجدتنى أنتفض من الدهشة .. وأتجه إلى جهاز « التليفون » لأطلب رئيس الإذاعة وأحدثه عما سمعت من افتراءات على الإسلام وموقفه من قضية المرأة .

لقد أمر الرجل بايقاف البرنامج .. كما أمر باجراء تحقيق مع المسئول عن تقديمه على هذا النحو الشيوعى الصارخ .

هل تصدقون .. أن « الحجاب » اختراع « امبريالى » روج له الاستعمار فى البلاد الإسلامية وهل تصدقون أن دول الغرب الصليبيـة تقف من وراء « الصحـوة الإسلامية » لتكون مخلب قط فى مخططاتها الاستعمارية ؟ !

وهل تصدقون أن حفاظ المرأة المسلمة على شخصيتها وعلى تقاليد دينها مظهر من مظاهر التخلف والرجعية وعقبة فى طريق التطور ورفع مستوى الانتاج فى الدول الفقيرة ..

لقد سمعت هذا كله فى الحوار مع هذه المرأة الشيوعية . وهى شيوعية معروفة فى تحيزها للاتحاد السوفييتى أى الوطن الأم كما أنها عريقة فى الهجوم والتشنيع على أمريكا أو « الوحش الرأسمالى المستغل » .. ! آمنا .. وصدقنا .. !

ولكن تعالوا لتروا عجبا .. ولتروا كيف أصبح هؤلاء الشيوعيون لأمريكا ذيلا .. وذنبا !!

د. عبدالودود شلبى

فى القاهرة .. وفى الفترة ما بين أول سبتمبر ١٩٨٦ إلى الثالث من هذا الشهر عقد مؤتمر نسائى فى فندق « هيلتون » .. ! يعنى فندق أميركى .. !! وكان هذا المؤتمر تحت عنوان « المؤتمر الدولى للتحديات التى تواجه المرأة العربية فى القرن العشرين » وكان شعار هذا المؤتمر « قوة النساء . التضامن . رفع الحجاب عن العقل » ..

= الذى حدث هو العكس .. فقد وضعت كل واحدة منهن حجابا على العقل . والعين والقلب .. !!

سأكتفى بنقل وقائع هذا المؤتمر كما كتبت فى الصحف .

ولنبدأ بمجلة « روز اليوسف »

لقد سجلت هذه المجلة وقائع هذا المؤتمر تحت عنوان « خناقة النساء فى الغرفة رقم « ١١ » فماذا قالت هذه المجلة :

كان كل شىء يسير طبيعيا .. حتى تفوهت د / نوال السعداوى بذكر أسماء الهيئات والمؤسسات التى « تجرأت » وساهمت فى تحمل تكاليف المؤتمر الأول للمرأة العربية الذى عقد أول هذا الشهر بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة ..

قامت الدنيا ولم تقعد لأن من بين المساهمين إحدى الشركات الأمريكية .. وهذا يعنى العمالة وبيع القضية والامبريالية وعدوان الشركات متعددة الجنسية ..

بحت الحناجر بعبارات الاستنكار ، وسالت الدموع من العيون .. لتأبين المرأة العربية وقراءة الفاتحة على روح شهداء القضية الفلسطينية .. !

و ....

تحول الفرح إلى مأتم جاءت الضربة هذه المرة من « النسوة التقدميات » .. رغم أن المؤتمر رفع شعار « رفع الحجاب عن العقل » .. وكان متوقعاً أن تكون الردة من أهل اليمين وليس من سيدات اليسار ..

وخرجت المرأة العربية فى أول امتحان حقيقى لها لتقول للرجال « المتربصين » بقضيتها : كانت خطواتنا الأولى « للخلف در » !

هذا المؤتمر الذى رفع شعار مناهضة الامبريالية قبل دَعْماً "امبرياليا" ..

فهل الشركة الممولة من السذاجة بحيث تدفع أموالا لإنجاح مؤتمر ينادى بالقضاء عليها ؟ !

ردت السودانية فاطمة باباك : لقد عانينا كثيرا مشقة السفر للحضور إلى القاهرة أملا فى حضور مؤتمر تاريخى هام .. وليس المهم الآن كيف يمول المؤتمر .. ولكن الأهم هو أن ننجز ما جئنا من أجله .. ولو ضاعت الفرصة سيحكم على جيلنا كله بالبلادة ، لأننا تركنا الأصل وتشبثنا بالهوامش ؟ ! عجباً .. !!

علق صوت غاضب : إزاى يعنى تيجى اسرائيل تمولنا وأقول ميهمنيش ؟

وقالت فتاة شابة كست نبرات صوتها بالمرارة : أنا فتاة من جيل الزمن الردىء ..

خبرتى علمتنى ألا أعتمد على أى شخص مهما كان تاريخه .. فمنطق الزمن الردىء هو الشك فى كل شىء وعدم الثقة بأى شىء وأنا لا أثق فى أى أحد .

معها حق

و ....

سادت لحظات هدوء .. أعقبتها مفاجأة الكاتبة السورية حميدة نعنع .

قالت غاضبة : أنا ضد أى شكل من أشكال التمويل الامبريالى الأمريكى .. جسدى ينتفض حتى لو سمعت اسم « اليزابيث تايلور » لأنه لم يعد فى الجسد العربى ولو جزء صغير فى حجم الدبوس لم تنله المؤامرات الأمريكية .

ولهـــذا ....

أقدم استقالتى من الجمعية « وأخرجت استقالة مكتوبة قدمتها للدكتورة " نوال السعداوى » وأضافت : هذه الخطيئة الصغيرة تبدد كل شىء ، لأن قبول الدعم المادى الأمريكى « صعب كثير » .. وروسيا أيضاً ؟

وتقول صحيفة الأهالى :

عندما سألت إحدى المشتركات عن مصادر تمويل هـذا المؤتمر أجـابت د . نوال السعداوى ـ رئيس المؤتمر ، ورئيس جمعية تضامن المرأة العربية ، أن هناك بالفعل جهات أجنبية ، قامت بتمويل المؤتمر ، فقد أرسلت رسائل إلى ما يقرب من مائة جهة طلبا لتمويل المؤتمر ، واستجابت لها ثلاث جهات فقط هى : جمعية « نوفيك » الهولندية ، ومكتب مؤسسة « فورد فونديشن » الأمريكية بالقاهرة ، ومكتب « اكسفوان » الأجنبى بالقاهرة .

وأضافت د . نوال : ان مكتب مؤسسة فورد فوندشن بالقاهرة ـ الذى ترأسه بربارا ابراهيم ، هو الذى تحمل نفقات سفر المشاركات فقط وتحملت المكاتب الأخرى باقى النفقات .

وقالت د . نوال ـ فى كلمتها ـ إن مكتب هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة « الأيد » سوف يتحمل نفقات طبع كتاب باللغة العربية والانجليزية لأهم الأبحاث والدراسات التى نوقشت فى لجان المؤتمر،وذكرت أن مساعدات هذه الجهات لم تكن مشروطة بحال ، ولم تتدخل فى أعمال المؤتمر أو اختيار المدعوات ، ولم تفرض أى مطالب أو توصيات على المؤتمر ومن ثم فلا مجال لإثارة الشكوك .

وهنا وقفت الكاتبة فتحية العسال عضو الإتحاد النسائى بحزب التجمع ، وأعلنت اعتراضها على كلمة د . نوال ، وطالبت بحقها فى الرد ، إلا أن د . فاطمة بابكر رئيس الجلسة رفضت ذلك لأن الوقت قد انتهى ، فـأصرت فتحيـة عـلى ضرورة التعقيب « لخطورة » ما جاء على لسان د . نوال حيث أن هذه المكاتب « مشبوهة بحكم صلاتها الوثيقة بأجهزة المخابرات الأمريكية » .

حاولت بعض المشاركات التدخل لدى د . فاطمة للسماح بمد الوقت ـ ولو عشر دقائق لمناقشة ما أثارته د . نوال ـ لكن د . فاطمة رفضت رفضا قاطعا ، وانتهت الجلسة وغادرت القاعة ، وهنا أعلنت فتحية العسال انسحاب الاتحاد النسائى من المؤتمر .

وفى أعقاب انسحاب الاتحاد ، أعلنت لجنة الدفاع عن المرأة والأسرة انسحابها وكذلك مجموعة بنات الأرض المحتلة :«جمعية المرأة الجديدة» و«اتحاد المرأة الفلسطينية» وعدد من أعضاء الحزب الناصرى تحت التأسيس .

كما أعلنت بعض عضوات جمعية تضامن المرأة انسحابهن من المؤتمر والجمعية معا مثل د . هدى لطفى « لعدم معرفتهن المسبقة بتمويل المؤتمر من قبل المكاتب الأجنبية » .

وبمغادرة د . فاطمة بابكر القاعة ، ومعها د . فاطمة الميرنيس ود . نوال السعداوى ـ رفض الكثير من المشاركات الخروج ، وقمن بعقد اجتماع استمر أكثر من ساعة تحدثت فيه د . ناهد طوبيا من السودان عن موقف د . فاطمة بابكر ووصفته بأنه خطأ ـ كما تحدثت عن « مسألة التمويل » بوصفها « خطأ كبير » حيث كان من الضرورى إعلان جهة التمويل حتى تستطيع الباحثات والمشاركات العربيات أن يقررن الحضور أو عدم المشاركة .

كما تحدثت د . ليلى عبد الوهاب ـ الأستاذ بجامعة بنها ـ عن موقف جمعية تضامن المرأة من المكاتب الأجنبية ، وكيف سبق لها التعاون مع مؤسسات غربية ـ وهى مؤسسة فورد على وجه التحديد ـ فى مؤتمر نيروبى عام ١٩٨٥ حيث قامت بدفع نفقات السفر لعدد من أعضاء الجمعية . وأشارت د . ليلى إلى أن عدم الإعلان عن جهة التمويل يعد « خطأ » فى طريقة التحضير للمؤتمر كما يلقى بظلال على أهدافه المعلنة ، مما يسىء للحركة النسائية العربية .. طبعاً .. !!

أما السيدة « نفيسة عابد » فقد كتبت تقول فى مجلة صباح الخير تحت عنوان :

« **حجاب العقل أم حجاب الجسد** » ؟ !

•• •• •• •• ••

كم تمنيت أن يكون مؤتمر المرأة الذى عقد أخيرا فى إحدى قاعات الجامعة العربية بالقاهرة ذا نفع حقيقى للمرأة وقضايا المرأة ! .. وكم تمنيت أن لا تهدر المرأة بنفسها الفرص الحقيقية التى تسنح لها لابراز قدرتها على التفكير والحوار والعمل لكى تؤكد أحقيتها كما تريد .. أو بما تطالب به !!

ولكن التمنى شىء .. والحقيقة شىء آخر ! .. فكل ما سمعته من بعض السيدات اللاتى حضرن بعض جلسات المؤتمر يجعلنى أحس بالاحباط الشديد .. كأن تتحول محاضرة أحد الأساتذة إلى محاضرة شخصية للرد على ندوة دينية أقيمت منذ فترة ونشرت بعض إضافات جديدة إلى الفكر والثقافة ..

ولست أدرى لماذا يهاجم الاسلام من بعض الذين يدعون أو يدعون الدعوة إلى حرية المرأة ، أو المطالبة بحقوقها ؟ ! فهذا الهجوم يحمل فى طياته ما يقنعنى تماما بعدم صدق دعواهم ؟

لقد أعطى الاسلام المرأة حقوقها لأول مرة فى التاريخ البشرى بعد أن طال ظلمها .. ومن يجرؤ على المعارضة فعليه أن يقرأ أولا كل القوانين السابقة فى العالم الغربى والشرقى على السواء ..

لقد فرض الإسلام الحقوق والواجبات على المرأة والرجل معا .. ومحاولة الادعاء بأن الاسلام يفرض قيودا على المرأة ادعاء مرفوض ، الا إذا اعتبرنا الفوضى حرية ..

لقد كفل الاسلام للمرأة مجموعة من الحقوق لم تكن لتنالها لولا الاسلام والحقيقة

←

المؤكدة .. أن عدم تطبيق الإسلام كما شرعه الله هو الذى يجعل موازيننا تختل فنرى الأمور على غير شكلها الحقيقى !

ولست أدرى لماذا يسبب حجاب المرأة أو احتشامها كل هذا الرعب ! .. ولماذا كل تلك المحاولات للايقاع بين المرأة وتعاليم الاسلام ؟ !

هل يعنى شعار رفع الحجاب عن العقل - كما قالت شعارات المؤتمر - رفع الملابس أيضاً ؟ ! كنت أتصور أن رفع حجاب العقل هو دعوة إلى التعليم ومحو الأمية والثقافة والاحساس بالكرامة والآدمية .. كنت أتصورها دعوة إلى صيانة المرأة جسدا ونفسا وروحا .. ولم أتصورها أبدا معركة مفتعلة وتصفية حسابات شخصية .. وأموال مستوردة لحرب الدعوة إلى الله والدخول فى دينه !!

وصدقونى .. أن حجاب الجسد أفضل كثيرا من حجاب العقل !

وفى تقييمه لهذا المؤتمر ، وتسليط الضوء على ما وقع فيه من مساخر يقشعر لها البدن .

كتب الأستاذ « أحمد الملا » فى مجلة آخر ساعة مقالا يكشف القناع عن هذه المأساة أو الملهاة التى أثارت كل هذا الجدل ، وأساءت إلى المرأة إساءة لا تمحى بمرور الزمن .

يقول الأستاذ أحمد :

حينما تلقيت دعوة لحضور المؤتمر الدولى عن التحديات التى تواجه المرأة العربية فى نهاية القرن العشرين والذى عقد فى مبنى الجامعة العربية بالقاهرة فوجئت ببرنامج المؤتمر وكأنما هو « منشور ثورى بإعلان الحرب على الرجال فقد جاء فيه :

إن مؤتمر تضامن المرأة العربية هو أحد الأنشطة التى تستهدف الوقوف فى مواجهة موجة التعصب والرجعية التى اجتاحت العالم العربى والتى تقف وراءها وتعضدها الشركات المتعددة الجنسية وقوى الاستعمار الجديد !

● « الحمد لله أنه الاستعمار الجديد فقط وليس الجديد والقديم » ! . وهذه الموجة من التعصب والرجعية تهدد مستقبل الشعوب العربية جميعاً ! وفى الوقت نفسه توجه ضربات بشكل خاص إلى النساء ! « لم ؟ » فالمرأة هى الضحية الأولى فى كل هجوم يشن على حركة تحرير الشعوب وحقوقها الأساسية !

ثم يستطرد البرنامج فيقول : أن من أهداف المؤتمر دراسة مظاهر وأسباب الهجمة الرجعية والسلفية ضد حقوق المرأة وتحديد الأهداف والوسائل التى تساعد على الوقوف فى مواجهة هذا الهجوم الضارى على حقوق المرأة ومحاولات النيل من وضعها وتقوية الروابط بين النساء العربيات ليصبحن قوة فاعلة ومؤثرة حتى ينلن حقوقهن كاملة !

أن من يقرأ هذا الكلام لا بد أن يتصور أن هناك قوى عاتية تهدد المرأة وأن هذه القوى تضم الاستعمار والقوى الرجعية والسلفية والشركات المتعددة الجنسية وقد أخذت جميعها فى حشد الجيوش الجرارة والأسلحة الفتاكة لشن الهجوم الأخير على معاقل المرأة العربية !

ولا شك أنك بعد أن تقرأ هذا الكلام ستجد الدم يغلى فى عروقك وستقف متحفزا

وقد أمسكت بسلاحك استعدادا لصد الهجوم الضارى الذى تعده الشركات المتعددة الجنسية ضد المرأة ولكنك سرعان ما تكتشف من المناقشات التى ثارت فى نهاية المؤتمر بين المشتركات فيه أن هذه الشركات الملعونة المتعددة الجنسية التى ستشن الهجوم ضد المرأة هى نفسها التى قامت بتمويل المؤتمر ودفعت لرئيسته وعضواته كافة المصروفات بما فى ذلك فواتير الاقامة فى أفخم الفنادق مع النثريات و« البقاشيش » !!

لقد انصب معظم أبحاث المشتركات فى المؤتمر على ما تعانيه المرأة العربية من ذل وعبودية وهوان !

ففى كلمة السيدة فاطمة ابراهيم « السودان » قالت ان الفكر المعادى للمرأة ساد بسيادة العصر الأبوى والمجتمع العبودى ثم المجتمع الاقطاعى ولا زالت المرأة فى معظم أنحاء العالم تكتوى بنيرانه !!

وأوردت المتحدثة بعض الأمثلة الطريفة والمسلية عما كانت تعانيه المرأة قديما ولعلها أوردتها لاغاظة الرجل وتحسره على ما كان يتمتع به فى سالف العصر والأوان ! .

قالت ان الكاهن عند الأشوريين والبابليين كان يجمع العذارى مرة كل عام ويبيعهن بالمزاد العلنى ! وبعد الشراء إذا لم تعجب الفتاة الشارى فمن حقه أن يردها ويسترد ثمنها !

وفى الهند كانت المرأة تحرق بعد وفاة زوجها !

وفى اليابان كانت تركع المرأة أمام الرجل وتخلع حذاءه .

وفى انجلترا كانت المرأة تباع فى الأسواق وبلغ ثمنها فى بعض الأحيان شلنين !

وفى الصين انتشر نظام السرارى وبلغ عدد زوجات الامبراطور ـ كُنْ ـ ثلاثين ألف زوجة ! « فقط لا غير » .. أما العرب فكانوا أشد حزما إذ كانوا يئدون البنات .

وأضافت المتحدثة أن المرأة بالرغم من تحسن وضعها فى الوقت الحالى إلا أنها فى النظام الرأسمالى لم تنل المساواة الكاملة بعد . بينما تحققت هذه المساواة مع الرجل فى ظل النظام الاشتراكى !

وأوردت المتحدثة بعض الإحصائيات للمقارنة بين وضع المرأة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فقالت إن نسبة النساء العاملات فى الولايات المتحدة بلغت ٢٪ من عدد القادرات على العمل بينما بلغت هذه النسبة ٩٤٪ فى الاتحاد السوفييتى . كما أن نسبة النساء فى المجلس التشريعى « الكونجرس » فى الولايات المتحدة بلغت ٤٪ بينما بلغت هذه النسبة فى المجلس التشريعى بالاتحاد السوفييتى ٣٢٪ لقد هللت المتحدثة لهذا البيان وفاتها أن المرأة فى الولايات المتحدة بعد أن نالت حريتها الكاملة ومساواتها مع الرجل منذ أوائل هذا القرن فضلت ـ بارادتها الحرة رعاية منزلها وزوجها وأولادها بينما المرأة فى الدول الاشتراكية مرغمة على العمل مهما بلغت مشقته .

وقد شاهدت فى بعض الدول الأوربية الشيوعية نساء عجائز قد انحنت ظهورهن وهن يقمن بكسح الثلوج المتراكمة فى الشوارع لدرجة من البرودة بلغت ٢٠ تحت الصفر فذكرنى هذا المنظر المؤلم بما كنا نقرأه عن أعمال السخرة ! وهنيئا للمرأة مساواتها بالرجل فى مثل هذه الأعمال الشاقة .

أما الدكتورة نوال السعداوى وهى رئيسة « جمعية تضامن المرأة العربية » فقد قالت فى البحث الذى قدمته للمؤتمر : إن الرجل فى مصر وفى معظم البلاد العربية لم يعد يرفض خروج المرأة للعمل لكنه يرفض خروجها للمشاركة فى الأنشطة السياسية أو الثقافية . وهذه عبارة مغلوطة لأن المرأة بطبيعتها وبإرادتها الحرة لا تميل إلى الاشتراك فى الاجتماعات السياسية - والمرأة فى مصر لها حق الانتخاب فلننقل للدكتورة كم عدد النساء المتعلمات اللاتى يستعملن هذا الحق . ؟ !

وقد أكدت الدكتورة زينب شاهين الباحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية عدم اهتمام المرأة بالشئون السياسية وذلك فى بحثها الذى قدمته للمؤتمر وجاء فيه : « إن المرأة فى مصر تعتقد أن العمل السياسى هو من اختصاص الرجال وأن انخراط المرأة فى العمل العام يهدد أنوثتها !

وفى نفس الوقت فإن المرأة تفضل المشاركة فى النشاط الاجتماعى والثقافى ولدينا فى مصر عشرات من الجمعيات النسائية التى تؤدى أجل الخدمات فى هذه الميادين التى تحتاج إلى ما تمتاز به طبيعة المرأة من صبر وعطاء وحنان .

ثم تقول الدكتورة نوال أن الدستور المصرى الذى نص على مساواة المواطنين فى الحقوق والواجبات العامة وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس أو اللغة أو الدين عاد وسلب المرأة هذه المساواة بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية إذا أخلت المساواة بأحكام الشريعة الإسلامية .

ووصفت الدكتورة القوانين القائمة على أحكام الشريعة الغراء بأنها تفتقد الأساس الأول - للعدالة وتقوم على التفرقة بين الناس على أساس الدين والجنس وبذلك تدخل ضمن القوانين العنصرية - هكذا تقول الدكتورة - مثلها فى ذلك مثل جنوب أفريقيا أو إسرائيل « !! » - حيث يفرق بين الناس على أساس الدين والجنس !! .. ياللعار .. والجهل !!!

« انتهى كلام الدكتورة ! »

والواقع أننى لم أقرأ فى حياتى كلاما أشد استفزازا للشعور الدينى والوطنى من كلام الدكتورة التى واصلت طعنها فى القيم الروحية الاسلامية فقالت : نرى تحديثا من فوق السطح أو تنمية شكلية تنفق الملايين على استيراد الكماليات أو ترميم قبة حجرية قديمة !

وتعنى بذلك ما تقرر من تمويل عملية ترميم قبة المسجد الأقصى المبارك فى القدس !

فهل غاب عن الدكتورة أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ؟ وأنه فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ قال[1] :

(١) الحديث فى الحلية لأبى نعيم ح ٩ ص٣٠٨ ترجمة محمد بن المبارك وتتمة الحديث « ولا تسافر امرأة مسيرة يومين إلا مع زوجها أو ذى محرم »

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى وإلى مسجدى هذا . وهل نسيت الكاتبة أن إسرائيل منذ احتلالها للقدس عام ٦٧ وهى تعمل على إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ؟

وكيف تشبه الدكتورة معاملة المرأة فى المجتمع الإسلامى بمعاملة الملونين فى جنوب أفريقيا والعرب فى إسرائيل ؟ !

لقد كرم الله المرأة فى الإسلام فمنحها الحرية والرعاية والاحترام وأصبحت لها ذمة مالية مستقلة ولها حرية اختيار الزوج وحق التطليق للضرر ولو كان إشاحة الزوج بوجهه عنها ! كما حمل الزوج مسئولية الانفاق على زوجته - حتى لو كانت غنية .

أن مارددته بعض المشتركات فى المؤتمر عن المخاطر المزعومة التى تهدد المرأة العربية وما يتخيلن عن مؤتمرات دولية وأسلحة ذرية تتربص بها للفتك بمكاسبها وإعادتها إلى العصر الحجرى وعهد العبودية والحريم هذه التخيلات « العبيطة » قد أصبحت تثير من السخرية أكثر مما تثير من الاهتمام !

والحمد لله أن النساء لم تنطل عليهن هذه الخزعبلات وانتهى المؤتمر والنهاية المتوقعة لمثل هذه المؤتمرات التى تحارب طواحين الهواء !

لقد احتدم الخلاف بين الزعيمات والمتزعمات حول تمويل المؤتمر ودور الشركات المتعددة الجنسية فيه وعلا الصراخ والصياح والشد والجذب وتطاير الشرر من العيون واهتزت القاعة وكاد الأمر يتطور إلى تلاحم بالأيدى ومعارك تنشب فيها الأظافر وتشد فيها الشعور . ولكن "ربنا ستر".. واكتفت معظم الحاضرات بالانسحاب وانفض المولد وأسدل الستار !!!

وياللعـــار !!!!

وبعـــد :

فأريد أن تعى كل مسلمة وكل مسلم أبعاد هذه المؤامرة التى تستهدف المرأة المسلمة وتحاول تجريدها من كل فضيلة .. ومن كل ما له فى هذه الحياة قوة وقيمة .

ولنتساءل جميعاً : كيف تم التنسيق بين موسكو وواشنطن فى هذا المؤتمر ؟ ! وكيف تم التوفيق بين الرأسمالية والشيوعية فى هذا الحوار ؟ ! وكيف تم التصالح بين القوتين العظميين بدون سبب واضح يدعو إلى إيقاف اطلاق النار ؟ !

أنه الإسلام .. الإسلام الذى يجاهرونه بالعداء . ولن يصاب هذا الإسلام أبداً ما بقيت المرأة المسلمة متمسكة بشريعته السمحاء .

فلتكن المرأة المسلمة هى المدخل .. أو «حصان طرواده» الذى يصيبه فى مقتل . ولا بأس أن يقود هذا الحصان أميركى يضع على رأسه قبعة رعاة البقر ! أو شيوعى يمسك بيديه الشرشرة والمنجل !!

المهم .. أن تنجح المؤامرة .. ويتم القضاء على شخصية المرأة المسلمة . ويمكرون ويمكر الله ..

وستبقى « المرأة المسلمة » صخرة تتحطم عليها سيوف الملاحدة والمارقين من اى اتجاه ..

د . عبد الودود شلبى

إدارة الخلفاء الراشدين

عرف ابن خلدون الخلافة بقوله : (الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذا أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة وسياسة الدنيا به)[1] .

ويقول القلقشندى : (هى الزعامة العظمى ، والولاية العامة على كافة الأمة ، والقيام بأمورها ، والنهوض بأعبائها)[2] .

والخلافة فى الإسلام ، وترادفها الإمامة ، وإمارة المؤمنين هى : سياسة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ وسمى القائم بذلك خليفة ، وإماما ، فأما تسميته « إماما » فتشبيها بإقامة الصلاة فى اتباعه ، والاقتداء به ، وتسميته خليفة ، فلكونه يخلف النبى ﷺ فى أمته فيقال (خليفة رسول الله) ولا يقال (خليفة الله) لأن الاستخلاف لا يكون إلا عن شخص غائب والله موجود على الأبد ، لا يغيب ولا يموت .

وقد رفض الخليفة أبو بكر ، والخليفة عمر بن عبد العزيز هذه التسمية ، ورفضها أبو بكر بشدة حينما دعاه بها بعض الناس ، وقال :

(لست خليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله) .

قال ابن عبد الحكم ، إن رجلا نادى عمر ابن عبد العزيز قائلا :

(ياخليفة الله) فقال له عمر : صَهْ إنى لما ولدت اختار لى أهلى اسما فسمونى « عمر » فلو ناديتنى « ياعمر » أجبتك ، فلما كبرت سنى اخترت لنفسى الكُنَى ، فكنيت « بأبى حفص » فلو ناديتنى (ياأبا حفص) أجبتك ، فلما وليتمونى أموركم سميتمونى : « أمير المؤمنين » ، فلو ناديتنى « ياأمير المؤمنين » أجبتك ، فأما خليفة الله ، فلست كذلك[3] .

الخلافة والإمامة والملك والإمارة

« إن من يخلف رسول الله فى القيام على أمر الدين والدنيا هو « الخليفة » وهذا يعنى أنه صاحب السلطة بالفعل ، وأنه الشخص المتقلد زمام الأمور ، والقائم عليها .

[١] المقدمة ص ٣٣٨ ط دار الكتاب اللبنانى .

[٢] معالم الخلافة تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج .

[٣] سيرة عمر بن العزيز ص ٥٢ .

للشيخ محمد صابر البرديسى

وسبق أن قلنا إن الخلافة ترادفها الإمامة ، وإمارة المؤمنين .

ولقب الإمامة عند الشيعة ، يعنى صاحب الحق الشرعى ، وأنه الشخص الجدير باسناد زمام الأمور إليه ، ولا يشترط أن يكون مهيمنا على مقاليد السلطة بالفعل .

وقد حدد الماوردى هذا الاتجاه فى الإمامة فقال :

الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، ولكنه أكثر صلة بالوظيفة الدينية منه بالوظيفة الدنيوية .

الخليفة والملك :

روى أن مجلسا ضم عمر بن الخطاب ، وطلحة والزبير ، وكعبا وسلمان الفارسى ، فسأل عمر رضى الله عنه عن الفرق بين الخليفة والملك ؟

فقال طلحة والزبير : لا ندرى .

فقال سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته فى غير حقه ، فأنت ملك . وأما الخليفة ، فهو الذى يعدل فى الرعية ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ، والوالد على ولده ، ويقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسوله » .

فقال كعب ، ما كنت أحسب أن فى هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله ألهم سلمان الإجابة[٤] .

ويعتبر معاوية بن أبى سفيان أول مؤسس للملك العضود فى الاسلام ، وكان ذلك بايعاز من المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة ، الذى لم يأل جهدا فى أن يبث فى نفس معاوية الاستئثار بالحكم ؟ وأن يجعله وراثيا فى خلفه ، قائلا له : لقد رأيت ما كان من سفك الدماء ، والاختلاف بعد عثمان ، وفى يزيد منك خلف ، فاعقد له ، فإن حدث بك حادث كان كنفا للناس ، وخلفا منك ، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة[٥] .

الإمـــارة :

لما ولى عمر بن الخطاب بعد أبى بكر ، لقب بخليفة خليفة رسـول الله ، ﷺ فقال الصحابة ، من جاء من بعد عمر ، قيل له : خليفة خليفة خليفة رسول الله ، وفى ذلك مدعاة للتطويل ، ولما تبين لهم أن فى اللقب طولا وتكرارا ، قالوا : نجتمع على اسم نلقب به الخليفة ، ونلقب به كل من يتقلد من بعده هذا المنصب فقال بعض الصحابة ، نحن المؤمنون ، وعمر أميرنا ، فدعى بأمـير المؤمنين ، فهو أول من تسمى بذلك[٦] .

---

[٤] حسن المحاضرة للسيوطى ٢٠٨/٢ نقلا عن ابن سعد فى الطبقات .

[٥] الكامل لابن الأثير ص ١٩٨ .

[٦] معالم الخلافة للقلقشندى / ١٩٨ .

ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين

ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين ، وضرورة من ضروريات المجتمع .

وقد عنى الاسلام بالحكومة الاسلامية لأنها رأس الأمر وملاك النجاح ، وصدق الرسول حيث قال :

(إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

فنظام الحكم يعتبر جزءا من التفكير الاسلامى ، قال تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ »(٧) .

وقال تعالى :

« وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ »(٨) .

ويعقب ابن تيمية على هذا فيقول :

ولأن الله سبحانه قد أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن ذلك لا يتم إلا بقوة الإمارة ، ولهذا روى إن السلطان ظل الله فى الأرض(٩) .

ويقول : يجب أن يعرف أن ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها ، لأن بنى آدم ، لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس ، حتى قال النبى ﷺ :

(إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم)(١٠) وهذه أحاديث أخرى تدل على وجوب الولاية :

قال ﷺ : (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم)(١١) .

وقال ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثة : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم(١٢)

ويشترط فيها الصدق والامانة وتحمل المسئولية كاملة إزاء الأمة التى يحكمها بالحق.

ومما يشترط فى الخليفة أو الحاكم ، العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام ، وسلامة الحواس ، من السمع والبصر واللسان ، ليصح معها مباشرة ما يدرك بها ، وسلامة الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض ، والرأى السديد المفضى إلى سياسة الرعية ، وتدبير المصالح ، والشجاعة المؤدية إلى حماية الأمة ، وجهاد العدو .

ومما يجب عليه حفظ أموال الدولة بصرفها فى وجوهها ، وحماية حقوق الأفراد والجماعات ، ويجب تمكينهم منها ، وايصال الحق إلى مستحقه فى أقرب وقت .

والمناصب العامة أمانة فى عنق الإمام يجب أن يضعها فى أهلها وطالب الولاية والإمارة لأجل الجاه والثروة لا يولى فى الاسلام ، فقد قال النبى ﷺ (إننا لا نولى هذا من سأله ، ولا من حرص عليه)(١٣) .

---

[٧] سورة النساء آية ٥٩ .

[٨] سورة النساء آية ٨٣ .

[٩] السياسة الشرعية ص ١٦٢ .

[١٠] الحديث رواه أبو داود .

[١١] رواه أحمد .

[١٢] رواه مسلم .

[١٣] صحيح البخارى ٨/ ٨٠ الأحكام ـ الشعب .

دعاء إبراهيم

عليه الصلاة والسلام في مكة

د. محمد محمد خليفه

ابراهيم يدعو لمكة بالأمن ولأهلها بالرزق :

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۰ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۰ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۰ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۰ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۰ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ » (ابراهيم من ٣٥ ــ ٤١) ۰

قال تعالى : في سورة البقرة : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » ۰

وقال في سورة ابراهيم : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا » ۰

ففي الآية الأولى : « اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » لقد سأل ابراهيم لهذا المكان (البلدية) أى يكون هذا المكان موضعا لبلد يسكنه الناس وأن يكون هذا البلد بعد أن يصير بلدا آمنا (ويبدو أن هذا الدعاء كان عندما ترك ابراهيم : هاجر واسماعيل في هذا المكان قبل أن يكون بلدا وبهذا يكون سأل ربه أن يحقق أمرين : البلدية والأمن ۰

أما في الآية الثانية فقد دعا لهذا البلد بالأمن بعد أن تفجرت زمزم واتجه المسافرون

الى هذا المكان ليستريحوا فيه بعض الوقت الى جانب زمزم فأصبح محط رحال المسافرين وتحققت له البلدية ولهذا سأل ابراهيم فى هذه الآية أن يحقق لهذا البلد الأمن ، وكأنما قال : هو بلد مخوف فاجعله يارب آمنا وليس فى الآيتين ولا فى القرآن كله ما ينص على أن ابراهيم عليه السلام دعا ربه مرتين : مرة بالتعبير الأول ، وأخرى بالتعبير الثانى ، ولم أقف على حديث نبوى يبين أن دعاء ابراهيم كان مرة أو مرتين •

ومن هنا يمكن القول بأنه ربما يكون قد دعا مرتين فاختلف التعبير فى المرة الأولى عن الثانية ، ويمكن القول بأنه دعا مرة واحدة ولكن اختلف الأسلوب القرآنى فى سورة البقرة عنه فى سورة ابراهيم والقول بأنه دعا مرتين أولى •

ولعل الأول كان حين ترك هاجر وكان اسماعيل رضيعا وقد تعلقت هاجر بابراهيم وقالت: الى من تكلنا •

والثانية بعد أن رفع قواعد البيت ، وكان اسماعيل غلاما يساعده فى بناء البيت •

والاشارة فى قوله تعالى : ﴿ هذا البلد ﴾ الى مكة بعد أن صارت بلدا (آمنا) أى ذا أمن ، أو آمنا أهله فلا تنوشهم المخاوف ، أو تقلقهم الاضطرابات ، وكان طلب الأمن لمكة من الله أول دعاء لابراهيم ، وكأنما كان يدرك ابراهيم — عليه السلام — الأخطار التى قد تتعرض لها مكة فى مستقبل تاريخها أو فى المستقبل القريب وفيها زوجته وأول ما رأت عينه من الأبناء فسأل الله لهم الأمن من قبل أن يسأل الطعام •

وقد يراد الأمن من الخراب أو جعل أهلها آمنين •

وقد خص الله مكة دون بلاد الدنيا بالأمن وكان الناس مع شدة عداواتهم وأحقادهم يتلاقون فى مكة فلا يخاف بعضهم بعضا بل لقد آمن الوحش والطير فى مكة •

وقد بدأت مطالب ابراهيم وأدعيته بتحقيق الأمن لهذا البلد لأنه من أعظم النعم الدنيوية وذلك فيما حكاه القرآن : رب اجعل هذا البلد آمنا **وهذا هو الدعاء الأول** •

والدعاء الثانى : واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام •

والمعنى : ثبتنى على اجتناب عبادتها ، أو المراد سؤال الله أن يعصمه من الشرك الخفى وهو تعليق القلب بالوسائط أو الاستشفاع بمن يظن أنهم على صلة كبيرة بالله أما البنون الذين عناهم فى الدعاء فى قوله : واجنبنى وبنى فقد يراد أن يجنب بنيه من صلبه ، أو أولاده وأولاد أولاده ممن عاصروا ابراهيم فى حياته وقد يقال ان الله أجاب دعاءه فى بعض بنيه فحسب فجنب ذلك البعض عبادة الأصنام ، وقد عبدها من ذرية ابراهيم من ظلم نفسه وأشرك (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) •

وقد أخبر ابراهيم — عليه السلام — عما فعلته الأصنام فى معتقدات الناس فيما حكاه القرآن بعد أن طلب من ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فقال : ﴿ رب انهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ فأسند الاضلال الى الأصنام على سبيل المجاز ، وقد حصل الاضلال عند عبادتها ، فكانت الأصنام سببا فى الضلال

الذى وقع فيه الناس (فمن تبعنى) فيما أنادى به وأدعو اليه من التوحيد ودين الاسلام (فانه منى) أى بعض أو متصل بى لا يبعد عنى (ومن عصانى) فلم يتبعنى (فانك غفور رحيم) قادر على الغفران ان شئت ترحم العاصى قبل أن يتوب أو بعد توبته .

والدعاء الثالث :

(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

لقد مهد للدعاء بالنداء (ربنا) ليستدر به وبكل مافيه رحمة الله لمن سيتركهم فى هذا الوادى القاحل ، ثم ساق الخبر : انى أسكنت من ذريتى) ومن للتبعيض أى بعض ذريتى ويعنى اسماعيل ومن سيولد فى المستقبل من الذرية لاسماعيل ، والله أعلم بمن ترك ، وقد أضاف الذرية الى ضمير المتكلم ليستعطف بتلك الاضافة ربه ، وابراهيم يعلم أن الله لن يتخلى عن هاجر واسماعيل فى هذا البلقع الفسيح ولكن عاطفة الأبوة هى التى تدعو وقد روى ابن عباس — رضى الله عنهما — ان ابراهيم — عليه السلام — لما أسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متجها الى الشام تبعته هاجر ، وقد جعلت تقول : الى من تكلنا فى هذا البلقع ، وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت : آلله أمرك بهذا فقال نعم ، قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادى فقال : ربنا انى أسكنت من ذريتى الخ الآيات .

(بواد غير ذى زرع) أى ليس فيه زرع ولا يصلح للزرع (عند بيتك المحرم) وعند ظرف لأسكنت أى أن ابراهيم أسكن بعض ذريته عند بيت الله المحرم .

أقوال حول تسمية البيت بالبيت المحرم :

١ — سمى بالبيت المحرم ، لأن الله حرم التعرض له وجعل ما حوله حرما .

٢ — أنه محرم لعزته حيث يهابه كل جبار ، وقصة الفيل معروفة .

٣ — أنه محرم لا يحل لأحد انتهاك قدسيته .

٤ — أنه حرم على الطوفان ومنعه الله فلم يستعل عليه وقد سمى كذلك عتيقا لأن الله أعتقه من الطوفان .

٥ — أنه حرم على الناس أن يلطخوه بالأقذار والأدناس بل أمروا أن يطهروه للطائفين والقائمين والركع السجود .

(ربنا ليقيموا الصلاة) وقد خص الصلاة بالذكر دون بقية الطاعات لفضلها وشرفها وكرر النداء (ربنا) لبيان أن الغرض من اسكانهم هو اقامتهم الصلاة واللام فى ليقيموا الصلاة متعلقة بأسكنت ، أى انى أسكنت بعض ذريتى فى هذا القفر ليقيموا الصلاة .

(فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) هذا هو الدعاء الثالث ، وقد جمع بين الدين والدنيا أما الدين فلأن المراد من جعل أفئدة الناس تفد الى مكة أنهم يؤدون النسك وأنواع الطاعات .

وأما الدنيا فلأن تجمع الناس هنالك يجعل من مكة سوقا للتجارة وبهذا يتسع لهم العيش أما كلمة تَهْوِى بكسر الواو فمعناها :

تسقط نحوهم أو تريدهم أو تسرع اليهم أو تنحط وتنحدر فاذا نظرنا الى المعانى : تسقط أو تنحدر فهذا يكشف عن المنخفض الذى فيه مكة وان الداخل الى مكة ينحط وينحدر ويسقط من البلاد المختلفة اليها لأنها فى واد منخفض من الأرض .

واذا نظرنا الى معنى تريدهم أو تسرع اليهم فهذا يكشف أن المطلوب أن الله يجعل فى قلوب الناس حبا للبيت الحرام وتعلقا به يدفع تلك القلوب الى الاسراع الى بيت الله الحرام وما أشد خفقان القلوب وفيضان الدموع اذا دنا الزوار من مكة وذكروا أنها محط ميلاد خير رسل الله .

و (مِنْ)فى قوله : فاجعل أفئدة من الناس للتبعيض ، أى اجعل أفئدة بعض الناس مائلة اليهم ، ولو قال أفئدة الناس لتزاحمت عليه فارس والروم والترك والهند .

وقال سعيد بن جبير : لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس .

الدعاء الرابع :

« **وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** » .

(مِنْ) فى قوله من الثمرات للتبعيض أى بعض الثمرات ، وقد دعا ابراهيم — عليه السلام — أن يرزق الله بعض ذريته الذين سيعيشون فى مكة من أبناء اسماعيل بعض الثمرات ، فتصل اليهم عن طريق التجارات ، أو أن تكون هناك بلاد قريبة منها غنية بثمارها بحيثتستطيع أن تمد مكة بحاجاتها من الثمار ، أو ييسر الله مجىء الثمرات اليها من الأقطار البعيدة بحيث يسهل نقلها الى مكة

ولقد استجاب الله لدعاء ابراهيم حيث انه تجتمع فيها الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى وقت واحد .

وقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا ابراهيم — عليه السلام — بهذه الدعوة : « وارزقهم من الثمرات » رفعها الله ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم .

وان الطائف وهى على ارتفاع كبير عن سطح الأرض قد جعلها الله محطا للأمطار ومن ثم كثرت فيها البساتين المختلفة الثمار على اختلاف مدار السنة ، وليس ببعيد أن تكون الطائف ثمرة لدعوة ابراهيم حيث تكثر ثمارها منذ زمن بعيد ومازالت تسد حاجات مكة من كثير مما يملأ أسواقها .

(لعلهم يشكرون) نعمة جعل أفئدة الناس تهوى اليهم من كل آفاق الدنيا ، ونعمة الثمرات التى يرزق بها ساكنو مكة ، وشكر النعم انما يكون بأداء العبادات وتقديم الطاعات « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن» .

لقد ترك ابراهيم اسماعيل وأمه فى ذلك الوادى المقفر ولا يعلم كيف يستقبلان الأيام والليالى فى هذه الصحراء الجرداء ، والله وحده المحيط بكل مافى الكون من عوالم ، ومن بين ما يعلم الله أحوال الناس ومصالحهم ، ومن بين ما يعلم الله ما يخفى ابراهيم من الحزن على فراق اسماعيل وأمه ويعلم ما يعلن ابراهيم من تلك العبرات التى يرسلها فى موقف الوداع حين يسمع قول هاجر : الى من تكلنا ، وما يعلن ابراهيم من آهاته المحترقة التى ينفس بها عن صدره .

أو يعلم الله ما يخفى ابراهيم من أنه يتمنى أن يعين الله ذريته التى سيتركهـا فى هـذا الوادى تعانى من شـظف العيش ما تعـانى وما يعلنه فى دعائه أن يجعل أفئدة من النـاس تهوى اليهم •

(ومايخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء) •

اما أن يكون هـذا القـول من كلام الله يصدق به قول ابراهيم ــ عليه السـلام ــ : (إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) واما أن يكـون من كلام ابراهيم يؤكـد به قوله : (إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) •

ومعنى ذلك أن الله عـالم الغيب لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء) و (من) فى قوله : من شىء تفيد الاستغراق والشمول فلا تغيب عن علمه الخـاطرة التى تخطر ببـال الانسان (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) •

(الحمـد لله الذى وهب لى عـلى الكبر إسماعيل وإسحاق) •

ثم اشـتغل ابراهيم ــ عليه السـلام ــ بالثناء على الله فحمد ربه على نعمة الولد حين أعطاه مع كبره ويأسه من الانجـاب بعد أن تقدمت به السن اسماعيل واسحاق ، و (على) فى قوله : على الكبر بمعنى مع •

قال الشاعر :

انى عـلى ما تعرفين من كبرى
أعـلم مـن حيث تـؤكل الكتف

أى إنى مع ما تعرفين من كبرى •

والمعنى ان الله قـد وهب ابراهيم فى حالة كبره اسماعيل واسحاق •

وقد روى أن اسماعيل ولـد له وهو ابن تسع وتسعين وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وفى رواية أخرى أنه ولد له اسماعيل لأربع وستين سنة واسحاق لتسعين سنة •

وعن سعيد بن جبـير : لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة •

والمنة بنعمة الله حالة وجـود اليأس من الانجاب من أعظم النعم •

وكان انجـاب ابراهيم لاسماعيل واسحاق فى هـذه السن الكبيرة آيـة من آيـات الله لابراهيم وقد دعا ابراهيم ربه فى غير هـذه الآيات : رب هب لى من الصالحين ،واستجاب الله دعاءه ، وكانت النعمـة واقترنت الهبـة بقبول الدعوة فوهبه اسماعيل واسحاق فحق له أن يشكر ربه على نعمة الانجاب •

(ان ربى) الذى يمـلك أمرى ، وناصيتى بيده ، والخلق والأمر بيده (لسميع الدعاء) أى أنه يسمع دعاء من دعاه ، ويعلم قصـده سواء صرح بما يريـد أو لم يصرح وسـواء أجابه على الفور أو بعد التراخى ، أو لم يجبه وادخره له فى الآخرة (وسـميع) من أبنيـة المبالغة التى تعمل عمل الفعل وهو من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء •

ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله •

الدعـاء الخـامس : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) •

(من) فى قولـه : ومن ذريتى ، للتبعيض أى بعض ذريتى ، وقد ذكر البعض لأنه أخبره

من قبل حين أخبره أنه جاعله للناس اماما ، فقال ابراهيم لربه : ومن ذريتى ؟

فقال الله (لا ينال عهدى الظالمين) •

فعلم ابراهيم أن بعض أبنائه سيكون مشركا وان الشرك لظلم عظيم ، وذلك المشرك من أبنائه لن يقيم الصلاة ولذلك عبر ابراهيم عليه السلام فى دعائه بقوله : ومن ذريتى أى أنه طلب من ربه أن يجعله مقيما للصلاة هو وبعض ذريته وراعى البعض فى دعائه فحسب والدعاء فى قوله : وتقبل دعاء) بمعنى عبادتى، وقد قال تعالى حكاية عن ابراهيم لقومه (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أى وما تعبدون من دون الله وكأن ابراهيم يسأل ربه أن يتقبل منه عبادته وطاعته •

ودعاؤه الذى دعاه أن يجعله الله مقيما للصلاة ، وأن يجعل بعض ذريته كذلك يقيمون الصلاة ويجتنبون عبادة الأصنام جاء ذلك الدعاء بضمير الجماعة : ربنا لأنه يريد هو وذريته •

الدعاء السادس :

(ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) •

وقد تعددت القراءات حول والدى ، فقرىء لأبوى ، وقرىء لوالدى بالافراد يعنى أباه وقرىء لولدى : اسماعيل واسحاق •

وقرىء لولدى بضم الواو ، والولد بالضم بمعنى الولد •

وعلى قراءة : لأبوى يتجلى سؤال هو : كيف يستغفر لوالديه وكانا كافرين •

وأجيب بأنه يجوز أن يراد بالأبوين : آدم وحواء (وهذا بعيد) •

وقد يراد الأبوين القريبين بشرط اسلامهما •

وقال البعض : ان أمه كانت مؤمنة ولهذا خص أباه بالذكر •

وقيل : ان الاستغفار الذى جاء فى هذه الآية : رب اغفر لى ولوالدى انما كان قبل أن يتبين له أنه عدو لله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه •

وقد بينا بعض ما قيل حول استغفار ابراهيم لأبيه فيما تقدم عند الكلام فى تفسير قوله تعالى : « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه » •

وقد طلب ابراهيم عليه السلام فى هذه الآية الاستغفار له ولوالديه وللمؤمنين عامة من ذريته ومن غير ذريته •

(يوم يقوم الحساب) أى يوم يتحقق محاسبة المكلفين على أعمالهم وقد أسند الى الحساب قيام أهله على سبيل المجاز •

وقد يكون الكلام على حذف مضاف والتقدير : يوم يقوم أهل الحساب •

وقال مجاهد : قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من أولاده صنما بعد دعوته ويراد بالصنم : التمثال المصور ، وجعل الله البلد آمنا بعد دعائه ورزق أهله من الثمرات وجعله ، وجعل فى ذريته من يقيم الصلاة ، وأراه مناسكه ، وتاب عليه •

وقد قيل : ان هذه الأدعية التى جاءت فى هذه الآيات لم تصدر عن ابراهيم عليه السلام فى زمن واحد ، بل صدرت عنه فى أزمنة مختلفة ، ولكنها حكيت فى الآيات مرة واحدة •

د• محمد محمد خليفة

رد الخطأ عن السيرة النبوية

بقلم: أ. د
عبد المهدى بن عبد القادر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد★:

فإن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرة المعصوم الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، إنها سيرة من لم يقع منه إلا ما يجعله فى قمة السمو الخلقى، والكمال الإنسانى. فرسمت للبشرية أفضل صورة يمكن أن يسير عليها بشر. لقد عرف البشرية العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم فى توحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته.

وعرّف البشرية أفضل السبل فى علاقاتها ببعضها، فعرفها علاقة الانسان بنفسه، وعلاقته بأقاربه، وعلاقته بزوجته، وعلاقته ببنى جنسه، وعرفها علاقة المجتمعات ببعضها.

وعرف الانسانية منهجها فى الحياة، فى الطعام والشراب، فى النوم واليقظة، فى العمل والراحة، فى كسب المال وإنفاقه، فى الأسفار والإقامة وهو صلى الله عليه وسلم بذلك أعطى البشرية مفاتيح السعادة التامة، ورسم لهم بسيرته وسنته طريق الخير والاستقامة.

ولقد أدرك معاصروه صلى الله عليه وسلم ذلك، ففهم الصحابة هذا المعنى كاملاً، وأنه رسول من الله يوحى إليه ربه دينا يسعد البشرية فى كل نواحى حياتها، ويُرْضِى عنها ربَّها، لقد أدركوا أن السعادة كل السعادة فى اتباعه فاقتدوا به صلى الله عليه وسلم، وحرصوا على معرفة كل ما كان من شأنه، فكانت سيرته صلى الله عليه وسلم حديثهم، وأفعالُه وأقوالُه شواغل مجالسهم واجتماعاتهم.

←

★ مقدمة هذا المقال مسئولية كاتبه وحده

واتبع الخلف السلف فى ذلك ، فتتابعت الأجيال أحرص ما تكون على معرفة كل ما كان منه صلى الله عليه وسلم ، يتعلمون ، ويعملون ، ويُعَلِّمون ، فكانت الأمة قوية عزيزة ، لها عقيدتها الخلاقة ، وشريعتها السليمة القويمة ، وهم يحرصون على سلامة دينهم ، وامتثال ما فيه .

وأدرك أعداء الاسلام سبب عزة هذه الأمة ، وأنها ما دامت مقتدية برسولها فإنها ستظل قوية عزيزة ، فراحوا يضعون الخطط لإبعاد هذه الأمة عن مصادر قوتها ، عن منهج نبيها صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه صلى الله عليه وسلم وصحابته . وتنوعت حيلهم فى ذلك وتعددت ، ما بين إرساليات تبشيرية ، وهيئات تعليمية معادية للإسلام مؤيدة للكفر ، وما بين تشكيك المسلمين فى دينهم ، وإشاعة الأخلاق الذميمة فى مجتمعاتهم .

وكان من حيلهم هذه تشويه تاريخ الإسلام ، لاسيما سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، وتمجيد قادتهم وإظهارهم بمظهر العظماء المصلحين . فكتب بعضهم فى سيرته صلى الله عليه وسلم فزور فى كتابته وضلل ، وملأ كتابه بالأكاذيب والأباطيل . خادعاً القارىء بأنه مؤلف يتبع المنهج العلمى ، وأنه يبحث عن الحقيقة ، وأنه يحترم العقل وينصب منه حكماً ، إلى غير ذلك من العبارات البراقة الخداعة ، وهم يعلمون أنهم أكثر الناس مخالفة لهذا الذى يدعون ، فهل توافرت فيهم شروط من يكتب فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وهل قرأوا سيرته وعايشوا منهجه ومسلكه كما كتب ذلك أئمة الإسلام ؟

وهل تجردوا فعلاً للحقيقة ؟

وهل يصلح العقل حكماً فى دائرة حياة المرسلين !!

وأى حقيقة تلك التى يريدونها ؟

أضاعت الحقيقة فتحتاج لبحثهم ؟

إن كل حقائق سيرته صلى الله عليه وسلم قد وعاها أصحابه ودونت فى بطون الكتب ، فلا تحتاج لبحث باحث عنها ، وإنما كل البحث فى استيعابها واستخراج العبر منها ، وتقريبها لفهم الناس . إلا أنه اتضح لهم أن هذا النوع من التأليف لا يشيع فى أوساط المسلمين ، فهو يؤثر على غير المسلم ، أما المسلم فكثرة الباطل فى الكتاب تجعله لا يقبله ولا يسلم به ، فآثروا طريقة دس السم فى العسل ، ومن هنا اتجهوا اتجاهات أخرى منها :ـ

أ ـ أن يكتبوا فى سيرته صلى الله عليه وسلم كتابة تشتمل على الكثير من الحقائق والقليل من التزوير ، فيكتفون بالتزوير فى بعض المواطن فقط ، كى لا ينكشف أمرهم ، ويترك المسلم كتبهم .

ب ـ أن يكتبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه عظيم وزعيم ومصلح ، فيصفونه بصفات طيبة لكنهم يجردونه من خاصية الرسالة ، محتالين بهذه الصفات الطيبة على أن يقبل المسلم كلامهم ، ظاناً أنهم يمدحون ، وأنهم منصفون أما غرضهم الأساسى فهو أن ينسوا القارىء أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله ، اصطفاه الله وأرسله للعالمين .

جـ ـ أن يكتبوا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع آخرين ليسوا من المرسلين ، فيكتب أحدهم عن عدد من العظماء ، ذاكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ، ثم يذكر معه آخرين من سياسيين واقتصاديين وغير ذلك ، مما يجعل غيره صلى الله عليه وسلم فى مصافه ، ويبعده فى ذهن القارىء عن دائرة الرسالة والعصمة .

وحتى لا يكون تشويه السيرة من جانبهم وحدهم ، بل يشاركهم فيه المسلمون أتاحوا الفرص لأبناء المسلمين للدراسة فى جامعاتهم لنيل درجات علمية ، ومن العجيب أن تعطى جامعاتهم أعلى الدرجات العلمية فى علوم الاسلام ، فيأخذون أبناء الاسلام ممن لم يدرسوا شيئاً عن الاسلام ويقدمون لهم دراسات فى الاسلام يدسون فيها كل ما يريدون من تزوير وتضليل ، ومنه تشويه سيرته صلى الله عليه وسلم . ولعدم دراية هؤلاء بالإسلام ، ولإجلالهم لهذه الدول فى تقدمها الصناعى وقوتها المادية ، ولأنها الدولة المنفقة عليهم ، لكل ذلك يقبلون هذه المعلومات ، وإن كانت تختلف مع فطرهم .

ويعود هؤلاء إلى مجتمعاتهم الإسلامية ، والتى تعترف ـ ويا للأسف ـ بهذه المؤهلات فيحتلون مناصب ومراكز فى العملية التعليمية ، فينقلون لنا فكر أعداء الإسلام ، ويصبحون امتداداً لهم ، بل وأقوى تأثيراً منهم ، فإنهم من بنى جلدتنا وأهل ديننا .

وهذه الطائفة من المؤلفين تستولى على عقل القارىء بنفس الأسلوب الذى يستولى به أساتذتهم على العقول ، فيدعون الاعتماد على العقل ، والمنهجية ، والموضوعية ، إلى آخر ما يتشدقون به ، وهم يعلمون أنهم كاذبون .

إن أعداء الإسلام لهم منهج متبع فى نواحى حياتهم ، فهم يعظمون كل ما كان من عندهم ، ويحقرون كل ما كان من عند بنى الإسلام ، تساعدهم فى ذلك وسائل إعلام قوية ، وأساليب دعائية ماكرة ، حتى انطلى على بعض أبناء الإسلام حسن كل ما كان من عندهم ، حتى ولو كانوا غير أهل لنتاجه .. فراح هؤلاء يقرأون مؤلفات أعداء الإسلام هؤلاء فى فروع المعرفة الاسلامية ظانين أن هؤلاء أهل التحقيق والتدقيق فترجم بعضهم كتاباً أو أكثر فى سيرته صلى الله عليه وسلم ، واقتبس بعض آخر كثيراً من كتب هؤلاء ، فأخذوا أفكارهم وأشاعوها فى كتبهم ، ونسى هؤلاء جميعاً أن هؤلاء أعداء للإسلام يعميهم التعصب عن الحقيقة ، ويدعوهم إلى التشويه والتضليل ، وكتاباتهم عن الإسلام كتابة الرجل عن عدوه ، فهل ينصف أو يعدل ؟ بدهى لا ، خاصة أنه ليس بصاحب دين يدعوه إلى الحق مهما كان .

لقد كنت أوثر عدم الرد على هؤلاء ، معتمداً على أن القارىء يرفض كتبهم بفطرته ومعرفته بدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن هؤلاء يكثرون وتعلو أصواتهم وكأنهم يريدون جعل الباطل حقاً والمنكر معروفاً ، لقد وجدتهم يحرصون على الكتابة فى السيرة والسنة وأن كان تخصصهم بعيداً عنهما ، والمثقفون يقرأون فلربما دست هذه الكتب شيئاً من الخطأ فى معلوماتهم ، فآثرت الرد وضعاً للأمور فى نصابها ونصرة للحق وعملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الدين النصيحة . قلنا لمن ؟»
قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[1]»

ومن النصح لسيرته صلى الله عليه وسلم أن نزيح عنها كل زيف ، وأن نكشف كل كذب وافتراء .

وفى ردى على هذه الكتب سأذكر بمشيئة الله تعالى من الأدلة ما يتضح معه الحق ، وتطمئن به نفس القارىء .

الرد على كتاب « دراسات فى السيرة النبوية »

ظهر كتاب بعنوان « دراسات فى السيرة النبوية للدكتور/ حسين مؤنس ، ومن باب الاهتمام بما يكتب فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصت على قراءته ، وأثناء قراءتى له استوقفتنى عدة قضايا[2] ، ناقشتها فى ورقات لنفسى ، وقابلنى جماعات من الأخوة الذين قرأوا الكتاب أو بعضه فأبدوا لى بعض ما عندهم على الكتاب ، وطلبوا منى الرد عليه ، فرأيت أن أجمع ما كتبته وأرتبه ليكون رداً على بعض ما جاء فى الكتاب ، إحقاقاً للحق ، ودفاعاً عن سيرته صلى الله عليه وسلم ، فكانت هذه الردود :

أولاً : رؤيا الأنبياء :

فى ص ٨٧ سطر ١٥ وص ٩٤ سطر ١٥ أيضاً أجد فى الكتاب « المنامات يستوى فيها كل لناس ، فهى أضغاث أحلام بلا ضابط ».

وهذا الكلام يتناقض مع القرآن الكريم ومع السنة النبوية :

أما مع القرآن الكريم فأنه يتناقض مع قول الله سبحانه :

« **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ**[3] » ففى هذه الآيات أفادة أن إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ اعتبر الرؤيا مصدراً من مصادر التكليف ، واعتبر إسماعيل عليه السلام أن الأمر يجب أن يطاع ولا يقلل من الزامه أنه جاء عن طريق الرؤيا ، وربنا سبحانه وتعالى أقرهما على هذا الفهم وقال لإبراهيم « **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ».

وبهذه الآيات استدل عبيد[4] بن عمير[5] بن قتادة على أن رؤيا الأنبياء وحى ، وذلك

---

(١) أخرجه مسلم فى الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ١/٢٣٧ طبعة الشعب الحديث رقم ٨٧
(٢) لست أريد أن أذكر حكماً هنا على الكتاب ، وإنما أترك ذلك للقارىء بعد قراءته الردود .
(٣) سورة الصافات آيات ١٠٢ ـ ١٠٥
(٤) تابعى كبير .
(٥) صحابى

فيما أخرجه عنه البخارى[6] قال : إن رؤيا الأنبياء وحى ثم قرأ [**إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ**]

أما مع السنة النبوية فأنه يتناقض مع :-

١ - حديث عائشة - رضى الله عنها - أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح « الحديث »[7] فواضح من هذا الحديث أن رؤياه صلى الله عليه وسلم كيفية من كيفيات الوحى ، ولا يدخلها ضغث .

والغريب أن حديث عائشة هذا مذكور فى هذا الكتاب[8] ، لكن لم يراع معناه .

٢ - حديث معاذ بن جبل قال : « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه أو يقظته فهو حق »[9] .

٣ - حديث ابن عباس قال : « رؤيا الأنبياء وحى »[10] .

فبعد ظهور هذا ، وأن القرآن الكريم بين أن رؤيا الأنبياء ليست كرؤى الناس وإنما هى مصدر تكليف ، وبينت السنة أن رؤيا الأنبياء وحى .

بعد ظهور هذا أترك الحكم للقارىء على القول « بأن المنامات يستوى فيها كل الناس فهى أضغاث أحلام بلا ضابط »!!

ثانياً : تفسير الرؤيا الصالحة :

وفى ص ٨١ سطر ١٠ من هذا الكتاب تفسير الرؤيا الصالحة بأنها رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتطرب لها الروح .

أقول :

١ - الرؤيا الصالحة فى الحديث لا تحتاج إلى شرح فقد جاء شرحها فى نفس الحديث بقول عائشة رضى الله عنها « فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » وجاء فى رواية أخرى « الرؤيا الصادقة » فهل القارىء بعد هذا فى حاجة إلى بيان ؟

٢ - تفسير الرؤيا الصالحة بأنها « رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتطرب لها الروح » تفسير لا أسلم بصحته فما معنى « تطرب لها الروح »؟

الطرب يدور معناه حول الخفة والغناء واللهو ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم لا يحل له الطرب ولا هو من أهله . ورحم الله ابن المرابط إذ فسر الرؤيا الصالحة بأنها : التى ليست ضغثاً ولا من تلبيس الشيطان ، ولا فيها ضرب مثل مشكل[11] .

يتبع د . عبد المهدى بن عبد الغفار

---

(٦) فى الوضوء باب التخفيف فى الوضوء ٢٣٨/١ فتح البارى طبعة السلفية حديث رقم ١٣٨ ، وأيضاً فى الجزء الثانى ص ٣٤٤ حديث رقم ٨٥٩

(٧) أخرجه البخارى فى بدء الوحى ٢٢/١ حديث رقم ٣

(٨) ص ٨١ .

(٩) أخرجه احمد ٢٤٥/٥

(١٠) أخرجه الحاكم والطبرانى وابن أبى حاتم .

(١١) فتح البارى ٧١٧/٨

الآثار الاستراتيجية

للحرب العادلة فى الإسلام

فضيلة إنسانية عليا

دخل ربعى بن عامر مندوب القيادة الإسلامية على رستم قائد جيوش الفرس ، فسأله رستم عن السبب الذى من أجله يجاهد المسلمون ، فقال له : « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة ، ومن جور الظلام إلى عدل الإسلام » .

هذه هى الغاية التى من أجلها جاهد المسلمون ، والتى فهمها الصحابة والتابعون .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ . (البينة ٥) .

والحق أن الجهاد فضيلة إنسانية عليا ، وأن الباعث إليه فضيلة أيضاً ، إذ هو إعلاء كلمة الله ، ورد الاعتداء ، ويستقيم مع هذا المعنى أن تكون الفضيلة الإسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد سلماً وحرباً ، ورعايتها فى الحروب تعلى من قدر من يتمسك بها ، لأنه يتمسك بها فى أصعب الظروف وأشد المواقف ، ويراعى الفضيلة فى موقف أبيحت فيه النفوس .

من أجل ذلك فلا غرابة فى أن تكون حروب الإسلام حروباً فاضلة ، فهى حروب مقيدة بقانون السماء ، ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات وإهدار الكرامة الإنسانية .

وهكذا انطوت حرب الإسلام العادلة على الآداب والفضائل مثل منع قتل غير المحاربين ومنع التخريب ومنع قتل الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال وحسن معاملة الأسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى أو قتلهم ، والوفاء بالعهد والتأمين للمخارب ومجاملة رسل العدو ، وعدم التعرض بالأذى لهم وحسن معاملة الشعوب المغلوبة .. وكان للإسلام فضل سبق القانون الدولى فى هذا المجال .

وقد اتفق رجال الاستراتيچية على أن الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على « سلام أفضل » (أى أفضل من حالة ما قبل الحرب) وأنه من الضرورى أن يضع

لواء: أ.ح

محمد جمال الدين محفوظ

القادة فى اعتبارهم باستمرار ـ وهم يديرون دفة الحرب ـ السلام الذى يرغبون فيه .. ومن أجل ذلك عليهم أن يراعوا أن تحدث « ضرباتهم » أقل ما يمكن من الأضرار « الدائمة » ، وذلك لأن عدو اليوم هو حليف المستقبل .. وينبه « الاستراتيچيون » إلى أنه كلما زادت وحشية الوسائل ، فإن مقاومة الخصم سوف تزداد ، وأنه عند بلوغ الهدف العسكرى « أى النصر » فإن المنتصر إذا زاد من مطالبه تجاه الجانب الآخر واستخدم أساليب القهر والتسلط الغاشم ، فإنه لن يحصل على « سلام حقيقي ومستقر » بعد انتهاء الحرب ..

ويصف « الاستراتيچيون » تلك الحالة من السلم بأنها « سلم مشوه يحتوى على جراثيم حرب تالية » !!

والتاريخ حافل بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى إدارة الحروب لا يهيئان مناخاً لقيام سلام مستقر أو دائم :

● فهناك سلسلة الحروب الواسعة ـ وعلى رأسها الحرب الثلاثينية ـ التى دفعت رجال السياسة فى القرن الثامن عشر إلى إدراك هذه الحقيقة ، وإلى إدراك ضرورة كبح أطماعهم وأهوائهم الخاصة ، وتجنب الشطط والمبالغة فى كل الأعمال التى قد تطيح بالآمال المعقودة على حالة ما بعد الحرب .

● وهناك حروب نابليون التى امتدت قرابة العشرين عاماً .. وقد كان نابليون يتصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب تلو الحرب ، فجاءت النتيجة على عكس تصوره ، بل وصل الأمر إلى حد انهيار الامبراطورية النابليونية !

● وهناك الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ التى رفع فيها المنتصرون شعار « ويل للمغلوب » ، فكانت قسوتهم فى معاملة ألمانيا وكان فرضهم للعقوبات الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الألمانى سببا فى أن السلام الذي حصلوا عليه جاء « مشوها بحمل جراثيم حرب تالية » .. فإن تلك القسوة بالذات كانت الدافع الرئيسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على إنهاض ألمانيا ، وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

حروب الإسلام

أما حروب الإسلام ، فقد كانت « خالية من جراثيم حرب تالية » ، ولم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلام حقيقي ومستقر ، بل كانت تجعل جراح المغلوبين « تلتئم بسرعة » ، وكان الحصول على مثل هذا النوع من السلام هدفاً من أهم الأهداف العسكرية الإسلامية .

وغزوة الفتح خير مثل يضرب فى هذا المجال ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش ، ولو كان همُّ رسول الله ﷺ أن يحقق النصر على أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد

النصر ، ما نفذ ذلك المخطط العبقرى الذى وضعه وحقق به فتح مكة بلا قتال ..

وإذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة فإن الرسول القائد ﷺ - رغم كل ما فعلت قريش ضد الإسلام والمسلمين - لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل كان كل همه أن يؤلف قلوب المشركين ويجعلها تقبل على الاسلام الذي هو دين السـلام .

ومن ثم كان تصرفه فى أهل مكة بعد الفتح وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم تطبيقاً لمبادىء الإسلام السمحة وفضيلة الجهاد العليا ، بل كان مثلاً فذا للعبقرية السياسية والعسكرية معاً ، فقد قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .. ولقد حققت تلك السماحة آثارها الاستراتيجية فى قريش ، فإن قريشاً تحولت وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للإسلام ، إلى أحرص الناس عليه وعلى رفع راية الجهاد فى سبيله ، وليس هذا فحسب ، بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ ، قدر لهم - كما يقول مونتجمرى : أن يكونوا من أعظم القادة العسكريين مثل خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص .

الفتـوح الإسـلامية

● وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد عصر النبوة ، فها هو ذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول خليفة للمسلمين يوصى قائد الجيش وهو يستعد للخروج :

« إذا سرت فلا تعنف أصحابك فى السير ولا تغضبهم وشاور ذوى الآراء منهم ، واستعمل العدل وباعد عنك الجور ، فإنه ما أفلح قوم ظلموا ، ولا نصروا على عدوهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ ..

﴿ وإذا نصرتم فلا تقتلوا شيخاً ولا إمرأة ولا طفلاً ﴾ ...

﴿ ولا تحرقوا زرعاً ولا تقطعوا شجراً ، ولا تذبحوا بهيمة ، إلا ما يلزمكم للأكل ، ولا تغدروا إذا هادنتم ، ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وستمرون على قوم فى الصوامع رهبان ترهبوا لله ، فدعوهم وما انفردوا إليه ، وارتضوه لأنفسهم ، ولا تهدموا صوامعهم ، ولا تقتلوهم ، والسلام ﴾ .

● وعلى نفس النهج أوصى عمر سعد بن أبى وقاص قائده - رضى الله عنهما - الذي وجهه لفتح فارس فقال :

« أما بعد فإنى أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فى كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً من المعاصى من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولو لا ذلك لم نكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإن لم ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا .. واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله

العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، وأبعد منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به » .

● وهكذا كانت الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين الفاتحين ، وتنضم إليهم أحياناً لتنجو من عسف الفرس والروم وتستظل بوارف من العدل والسماحة والحرية ، ولقد تحقق لهذه الشعوب ما أملته ، وسرعان ما دان أكثرها بالاسلام عن رغبة واختيار ، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلاً للإسلام ، وصار أهلها من دعاته وحملة لوائه ومن المجاهدين فى سبيله ، حتى لقد أثار ذلك دهشة (مونتجمرى) فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » فقال : « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الإسلامية فى فتح أسبانيا بين عامى ٧١٠ ــ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين » ..

وقد علل مونتجمرى نفسه سر هذه الفتوحات الإسلامية وكيف وصلت مداها الواسع بأن المسلمين « كانوا يستقبلون فى كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة ، فزاد إيمان الشعوب بهم ... وقد ظلت جميع المناطق التى فتحوها فى القرن السابع حتى يومنا هذا ـ ما عدا أسبانيا ـ تحتفظ بالدين الإسلامى وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الإسلامى .

شـــهادة الأجانـــب

● ويقول جوستاف لوبون « إن القوة لم تكن عاملاً فى نشر القرآن وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً فى أديانهم ، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى .. وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم .. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب .. »

● **ويقول الكونت هنرى دى كاسترى : « إن المسلمين امتازوا بالمسالمة ، وحرية الأفكار فى المعاملات ، ومحاسبة المخالفين ، وهذا يحملنا على تصديق ما قاله روبنون : إن شيعة محمد ﷺ هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم ، وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة .. ولم يتركوا أثراً للعسف فى طريقهم إلا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال .. ولم يقتلوا أمة أبت الإســـلام » ..**

« محمد جمال الدين محفوظ »

مع قمة فى القراءة والعربية

الإمام الكسائى

أحد أعلام الأمة وقمة من قممها الشوامخ ، كان علما فى القراءات ، ويجمعه ، وإمام النحو « سيبوبه » الأصلُ الفارسى ، دانت له القرون علما وأدبا ، ولا تزال الرواية عنه موضع الدراسة إلى يومنا هذا ، وإلى أن يشاء الله تعالى: وله تصانيف مهمة فى تخصصه .

والكسائى - رحمه الله - هو :

أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله ابن بهمن بن فيروز ، فهو فارسى الأصل ، وهو كذلك أسدى بالولاء .

وتلقيبه - رحمه الله - بالكسائى تتبعه روايتان :

قال ابن خلكان - رحمه الله - : « وإنما قيل له الكسائى ؛ لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات - وهو ملتف بكساء ، فقال حمزة : من يقرأ ؟ فقيل له : صاحب الكساء فبقى عليه[1] .

وقيل : بل أحرم فى كساء فنسب إليه . رحمه الله . اهـ .

وهذه الرواية الأخيرة أثبت فى اللقب[2] .

تؤكد بعض الروايات أنه مات سنة « ١٨٩ هـ » - « ٨٠٥ م » بقرية تسمى « رَنْبُوَيه » من قرى الرى عن سبعين عاما .

وقال السمعانى - رحمه الله - : قيل : إن الكسائى مات بطوس سنة « ١٨٢ » أو « ١٨٣ » والله أعلم .

ويصحب رواية وفاته بـ « رَنْبُوَيه » خَبَرٌ يقول : إنه خرج إليها صحبة هارون الرشيد ، ومعهما محمد بن الحسن الفقيه المعروف فماتا فى يوم واحد ، فيقال : إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالرى . ولما تقدم فى القول بوفاته لا تثبت رواية العقد الفريد التى تقول عن : هشام بن عبد الملك الخزاعى : « كنا بالرَّقة مع هارون الرشيد ، فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائى ، وإبراهيم الموصلى ، والعباس بن الأحنف ، فى وقت واحد ، فقال لابنه المأمون :

« اخرج فَصَلِّ عليهم » فخرج المأمون فى وجوه قواده ، وأهل خاصته ، وقد صُفُّوا له

---

(١) أى بقى عليه اللقب .

(٢) عن تاريخ بغداد ١١/٤٠٣ .

لفضيلة الشيخ
حسن سليم حسن صالح

فقالوا : من ترى أن يقدم ؟ قال الذى يقول :

يابعيدَ الدار عن وطنه
هائما يبكى على شجنه
كلما جد البكاء به
زادت الأسقام فى بدنه

قيل له : هذا ؟ وأشاروا إلى العباس ابن الأحنف ، فقال : قدموه ، فقدم عليهم[٣] .

والقصة ينتقدها أمور :

أن الخلاف الذى وقع فى « مكان » وفاة الكسائى ، وقع مثله فى مكان وفاة العباس ابن الأحنف ـ رحمهما الله ـ ، فقيل : إن العباس توفى وهو فى طريقه إلى مكة بالحجاز .

وأن هذه الرواية نفسها مذكورة فى وفاة العباس منفردا فى طريقه إلى مكة يريد كذلك الحج ، وتذكر رواية ثالثة أن المأمون فضل العباس بن الأحنف لقوله :

وسعى بها ناس وقالوا : إنها
لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
إنِّى ليعجبنى المُحِبّ الجاحد

وقد ذكر أبو بكر الصولى قال :

حدثنى عون بن محمد قال : حدثنى أبى قال : رأيت العباس بن الأحنف ببغداد بعد موت الرشيد ، وكان منزله بباب الشام .

قال الصولى : وهذا يدل على أنه مات [أى العباس بن الأحنف] بعد سنة اثنتين وتسعين ، لأن الرشيد مات ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة[٤] .

فأولى الروايات بالقول تلك التى ذكرت وفاته ـ أى الكسائى ـ مع محمد بن الحسن فقط بالرى .

وإذا كانت الرواية المؤكدة تدل على وفاة الكسائى عام « ١٨٩ » هجرية عن سبعين عاما ، فإن ذلك يعنى مولده عام تسعة عشر ومائة فقد أدرك إذًا ووعى جانبا من حياة الدولة الأموية التى انتهى نفوذها بإعلان أبى العباس السفاح من فوق منبر المسجد الجامع بالكوفة فى ربيع الأول من عام ١٣١ هـ قيام الدولة العباسية ، فيكون قد عاصر الثلاثة عشر عاما الأخيرة من حياة هذه الدولة . وثلاثة عشر عاما فى حياة الإنسان الأولى ليست هينة ، فإنها كفيلة بأن تجعله يدرك الكثير عن هذه الفترة ، ثم امتد به العمر إلى أن عاصر الرشيد ، أى عاصر بداية أزهى فترة فى تاريخ الإسلام كله فى العصر الوسيط ،

---

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٥/٣٧٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٤) راجع فهرس الأعلام بوفيات الأعيان لمراجع هذه الروايات طبع دار الثقافة ـ بيروت .

ومرت عليه شابا وكهلا وشيخا سنون التطور الذى آلت إليه الدولة العباسية وألم بحضارتها واتجاهاتها المختلفة علما وأدبا . وإن لم يرو عنه ـ رحمه الله ـ انغماسا فيها ، بل كان فقيرا كادحا صبر على قضاء ربه حتى جازاه الله بصبره زادا من العلم جعله جليسا للخليفة هارون الرشيد ومؤدبا لولده الأمين فكتب إلى الرشيد يشكو حاله :

قـل للخليفـة : مـا تقـول لمن
أمسى إليـك بحُـرْمَـةٍ يُـدْلى

فى أبيات صادقة تحتفظ بشىء من الوقار .. يقول ابن خلكان : فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم وجارية حسناء بجميع آلاتها وخادم وبرذون بجميع آلته[٥] .

كان ـ رحمه الله ـ علما فى القراءات والعربية :

قرأ الكسائى ـ رحمه الله ـ « على حمزة ابن حبيب الزيات » وعلى « محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى » وعلى « عيسى بن عمر الهمذانى » وسمع من « سليمان بن أرقم » و« أبى بكر بن عياش » و« محمد بن عبيد الله العرزمى » و« سفيان بن عيينة » و« إسماعيل بن جعفر » و« زائدة بن قدامة » .

وقراءته ـ رضى الله عنه ـ متصلة اتصالا وثيقا بسيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فسيدنا رسول الله ﷺ ، فسيدنا جبريل الروح الأمين ، فرب العزة جل وعلا .

وقراءته ـ رضى الله عنه ـ إحدى القراءات السبع للقرآن الكريم المتفق عليها وَأَقْرَأَ ـ رحمه الله ـ الكثيرين فاتصلت روايته فى القراءة إلى يومنا هذا وسبحان القائل « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** »[٦]

وكان ـ رحمه الله ـ إماما فى العربية :

نقل الخطيب فى تاريخ بغداد ، وكتب عنه ابن خلكان قال :

روى حرملة بن يحيى عن الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : الناس عيال على هؤلاء الخمسة : من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة ، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ، ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى ، ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد ابن إسحاق ، ومن أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى ، ومن أراد أن يتبحر فى التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان[٧] .

ولسنا نشك فى أنه ـ أى الكسائى قرأ « الكتاب » لإمام النحاة وَمُتَقَدِّمِيهم « سيبويه » رحمه الله .

ولسنا نشك أنه استفاد منه الكثير على معاصرته له ، وما قيل من مناظرتهما : أحدهما الآخر فى بعض المسائل :

فإنه لما توجه الجاحظ إلى زيارة محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير المعتصم أعلمه قبل

---

(٥) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٣/٢٩٥ .
(٦) الحجر الآية « ٩ » .
(٧) ابن خلكان ٥/٤٠٩

حضوره إليه أنه يحمل له هدية هى كتاب سيبويه ، فلما كان عنده ، قال له ابن الزيات :"أوظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ :ما ظننت ذلك ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائى وتهذيب عمرو ابن بحر الجاحظ - يعنى نفسه - فقال ابن الزيات : هذه أجل نسخة توجد وأعزها". أخذ الكسائى النحو عن أبى مسلم معاذ بن مسلم الهرا النحوى الكوفى من موالى محمد بن كعب القرظى . قرأ عليه الكسائى وروى الحديث عنه [8] وقال العماد الحنبلى صاحب شذرات الذهب فى أخبار « سنة تسع وثمانين ومائة » عن الكسائى : « وهو من تلامذة الخليل » .

ولابد أنه قرأ على كثيرين قبل أن يتأهل للجلوس بين يدى هذين الإمامين .

ولما كان سيبويه - رضى الله عنه - قدروى عن أبى عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوى كثيراً ، وسمع من ابن حبيب أيضاً الكسائىُّ كما حدث ابن خلكان [9] فقد جمعت التلمذة فى صف واحد بين الكسائى وسيبويه أمام هذين الأستاذين الكبيرين .

ومن تلاميذ الكسائى أئمة فى القراءات والنحو :

فأما فى القراءات فمن أشهرهم :

أبو الحارث الليث بن خالد البغدادى المتوفى ببغداد سنة أربعين ومائتين وكان ثقة قيما بالقراءة ضابطا لها محققا ، قال الحافظ أبو عمرو : كان من جلة أصحاب الكسائى روى عن الكسائى من طريق أبى عبد الله محمد بن يحيى البغدادى المعروف بالكسائى الصغير .

ومن تلاميذه أيضاً - أى الكسائى : أبو عمر حفص بن عمر الدورى البغدادى المتوفى سنة ست وأربعين ومائتين عن أربعة وتسعين عاما روى عن الكسائى عن أبى عمر البصرى من طريق أبى الفضل جعفر بن محمد النصيبينى كما أن من تلاميذ الكسائى أيضاً « أبو توبة ميمون بن حفص » « وأبو عبيد الله القاسم بن سلام »

وأما فى العربية فمن تلاميذه :

« أبو بكر زكريا الفراء وحسبك به قال ابن خلكان : « أخذ النحو عن أبى الحسن الكسائى ، وهو والأحمر .. من أشهر أصحابه وأخصهم به » ١٧٦/٦ .

وله - رحمه الله - تصانيف ، بقى منها فى ذاكرة الناس : « معانى القرآن » و« المتشابه فى القرآن » و« القراءات » و« الآثار فى القراءات » و« النوادر » و« الحروف » و« المصادر » و« مختصر فى النحو » و« ما يلحن فيه العوام » .

ذاك ما وعى التاريخ منها وتتبعه خير الدين الزركلى فى موسوعته : الأعلام الجزء الخامس ص ٩٣ والثانى من المستدرك ، وتاريخ بغداد الجزء الحادى عشر ص ٤٠٣ .

رحم الله الإمام الكسائى رحمة واسعة ونفعنا به .

---

(٨) المرجع السابق ٢١٨/٥ .

(٩) المرجع السابق ٢٤٤/٧ .

الفتاوى

جاءنا من بعض مسلمى يوغسلافيا الآتى :

رجاء الى اساتذة اعضاء لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
افيدونا فى الآتى :ـ

كان أباؤنا وأجدادنا منذ أن أشرق نور الاسلام فى بلادنا قبل أكثر من أربعة قرون يصلون التراويح عشرين ركعة ، وفى أيامنا هذه عاد بعض من أرسلناهم من أبنائنا الى بعض البلاد العربية للتفقه فى الدين وأخذوا يقصدون بعض المساجد يصلون فيها بعد صلاة العشاء فى رمضان ثمان ركعات فقط ويطلبون من المصلين الخروج من المسجد لأن قيام ليل رمضان قد تم بهذه الركعات الثمانية (ولا تراويح) مما أدى الى حدوث بلبلة بيننا ـ نحن المسلمين ـ الذين نشأنا على أداء التراويح عشرين ركعة كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا وكما نشاهد بوسائل الاعلام المرئية أهل مكة يصلون التراويح عشرين ركعة فى المسجد الحرام، كذلك ينشرون أيضا ان الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ليس من الاسلام ، وأهل بلادنا منذ بزوغ الاسلام فى منطقتنا يحتفلون بهذا المولد النبوى الشريف لذلك رأينا أن نلجأ الى الأزهر الشريف أقدم جامعة إسلامية فى العالم نطلب منها بيانا شافيا فى هذا الموضوع يشفى صدور المؤمنين ونرجو أن ينشر بمجلة الأزهر .

أجابت لجنة الفتوى بالتالى :

شرعت التراويح ثمان ركعات ثم زادها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عشرين ووافقه الصحابة على ذلك ، فصلاتها ـ عشرين ـ ليست بدعة ـ أما الاحتفال بذكرى المولد النبوى فان كان بأسلوب مشروع كالتوعية الدينية ودراسة سيرة الرسول للانتفاع بما فيها والصدقات فهو جائز شرعا ، ولم يرد نص من الشرع بمنعه .

توقيع
رئيس لجنة الفتوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيد/م ٠ ع ٠ المصرى ٠ القاهرة

أوقف الحاج (٠٠٠٠) جميع أملاكه وقفا أهليا على نفسه مدة حياته ، ثم من بعده لزوجته ، ثم من بعدها يكون لبنتيه : فاطمة وآمنة ، ثم من بعدهما لأولادهما نسلا بعد نسل ، الطبقة العليا تحجب الطبقة السفلى ، ثم توفى الواقف هو وزوجته المذكورة ، وابنته آمنة، وانتقل الوقف الى ابنته الموجودة قبل حل الوقف وهى فاطمة، ثم توفيت فاطمة عام١٩٥٦م عن : ابن ، أولاد بنت متوفاة عام ١٩٤٧ م ثم توفى الابن عام ١٩٧٨ م ولم يتزوج تاركا : اخوة لأب ذكور واناث ، أولاد أخت ٠٠ فما الحكم ؟

ج : الوقف الأهلى حل عام ١٩٥٢ م وحيث ان الواقف توفى هو وزوجته وابنته آمنة قبل حل الوقف ، وقد حل على ابنته الثانية وهى (فاطمة) ، وبما أن فاطمة توفيت عام ١٩٥٦ م فان الوقف يعد تركة ويوزع على ورثتها توزيعا شرعيا، وحيث انها تركت : ابن، وأولاد بنت ، فان فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة عام ١٩٤٧ م بمقدار ما كانت تستحقه أمهم لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة أمهم فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠٠ والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن الموجود تعصيبا ٠

وعن تركة الابن : تكون للاخوة لأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ٠ ولا شئ لأولاد الأخت لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ٠

س : من السيد/أ ٠ ب ٠ مهدى من المنصورة توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، وأخ وأخت أشقاء ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

←

الفتاوى

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها، والباقى للأخ والأخت الأشقاء تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد/ج ٠ ح ٠ محمود من الزقازيق :

توفيت امرأة عن : بنتين ، أولاد ابن ذكور واناث ٠٠٠ فما الحكم ؟

ج : للبنتين الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى لأولاد الابن تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد/ع ٠ س ٠ على من أسيوط :

توفيت طفلة عن : جدة لأم ، أب ، أخوال أشقاء ٠٠٠ فما الحكم ؟

ج : للجدة السدس فرضا لعدم وجود من يحجبها ، الباقى للأب تعصيبا ٠ ولا شىء للأخوال الأشقاء لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام ــ شارع جلاء ــ القاهرة ٠

قيمة الاشتراك سنويا ٠

*** جمهورية مصر العربية**

جنيه	مليم
٢	٤٠٠

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى ٠٠ « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها ٠

*** باقى دول العالم ٠**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها ٠

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة ٠

من أعلام الأزهر

إلى الشيخ محمود أبو العيون

الحسيني عبد المجيد هاشم

أبى الشيخ محمود أبو العيون

الحمد لله الذى من علـى فوفقنى لأن أكتب موجزا عن سيرة أبى المغفور له الشيخ محمود أبى العيون ، وذلك استجابة لطلب الأخ الكريم الدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة « الأزهر » الغراء ٠

وكانت الكتابة عن أبى أمنية تختلج فى صدرى منذ وفاته عليه رحمـة الله ، ولكن لم تمكننى ظروف عملى فى السلك السـياسى بالخارج من تحقيقهـا ، وان كنت قـد وفقت بجمـع كل ما اسـتطعت جمعه من أوراق أبى ومقـالاته وخطاباته ورسالاته الخطية وغـيرها انتظارا لليوم الذى أستطيع فيه أن أخرج كتابا شاملا عن مختلف جوانب حياته وجهـاده فى سـبيل الدين والوطن ٠

وأنتهز هذه الفرصة لأرجو من كل من كانت له بأبى صلة أن يتكرم بموافاتى بما قد يكون عنده من وثائق أو ذكريات ليكون كتابى عنـه أقرب الى الكمال ٠

وأرجو أن أكون قد وفقت اليوم لسداد قطرة من دين مسـتحق على لأبى ، وشـكرا لمجلة « الأزهر » الغراء أن أتاحت لى هذه الفرصة لكى أكتب لمحات عن حيـاة من كان سـببا فى حياتى ٠

القاهرة فى يوم الخميس ١٨ ربيع أول ١٤٠٧ هـ **٢٠ نوفمبـر ١٩٨٦ م**

سفير جمال الدين محمود أبو العيون

١ ــ ابو العيون فى جزر المالديف

فى مطلع عام ١٤٠٠ هـ ٠ الموافق ١٩٨٠ م ٠ حملتنى الطائرة الى جـزر المالديف المتناثرة كحبات اللؤلؤ فوق سطح المحيط الهنـدى ، لتقديم أوراق اعتمـادى سـفيرا لمصر فى تلك الجزر النائية التى دخلها الاسلام منذ قرون ، وزارها بعد ذلك وكتب عنهـا الرحالة الشهير ابن بطوطة الذى عرفها باسم « محل ــ ديب » أو جزر السمك ٠

وفى مكتب الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف جلست والى جوارى وزيـر الخارجية السيد فتح الله جميل ٠ وبعد التحية الرسمية باللغة الانجليزية ، فوجئت بالرئيس

بقلم السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

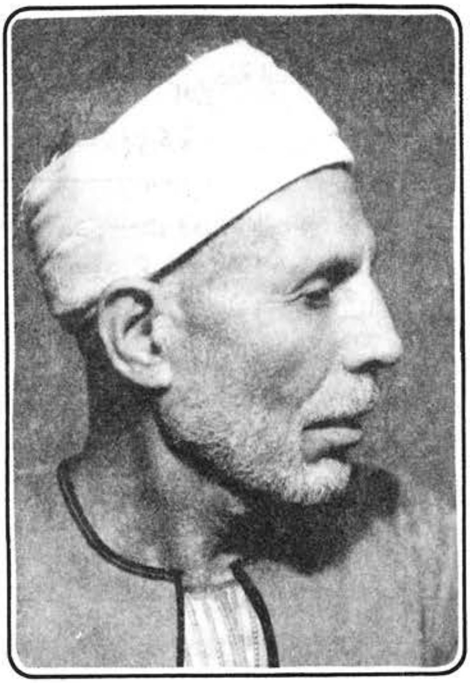

يرد على مرحبا باللغة العربية الفصحى ، وأعقب ذلك بمفاجأة أشد من الأولى حين حول كلامه الى اللهجة المصرية الصحيحة مردفا فى بساطة مودة : « امبارح بالليل كنت أتساءل أنا وفتح الله ان كنت سعادتك تقرب للشيخ ابو العيون ؟ » • وأذهلتنى المفاجأة تماما فلم أفق منها الا بعد أن أخبرنى الرئيس أنه قدم الى مصر مع بعض رفقائه ، ومن بينهم جميل وزير الخارجية ، للدراسة بالأزهر الشريف ، حيث حضروا أبى قبل وفاته عام ١٩٥١ ، وكانوا حينئذ أطفالا لايتجاوز سن أحدهم ١٣ عاما ، ثم تتلمذوا فيما بعد على يد ابن عمى فضيلة الشيخ (محمد أبى العيون) شيخ كلية أصول الدين عليه رحمة الله • وبعد ١٩ عاما عاد « الشيخ مأمون » الى المالديف ليتقلد وظائف رئيسية فى بلاده ثم رئيسا للجمهورية ، ومازال الرئيس حتى اليوم ، هو والطبقة الحاكمة فى بلاده ، يحملون أجمل المشاعر لمصر ولاسم « أبى العيون » •

أدركت من هذه المقابلة أن على تجاه المالديف أعباء تفوق أعباء أى سفير آخر غيرى ، بوجوب المحافظة على تراث الأزهر العريق فى المالديف وبالفعل توثقت الروابط منذ ذلك الحين بينى وبين رئيس الدولة ، وماأن سمعت عن استعداد الأزهر للاحتفال بعيده الألفى ، حتى بادرت بالسعى لدى المسئولين فى مصر من أجل دعوته للمشاركة فى الحفل باعتباره من أبناء الأزهر ، وبالفعل حضر الرئيس عبد القيوم وألقى كلمة باسم جميع الوفود المشتركة من كل أنحاء العالم الاسلامى بصفته ضيف الشرف فى الحفل الذى دعيت اليه بالتالى بصفتى الرسمية كمرافق للرئيس ، فكانت فرصة نادرة من فرص العمر ، التقيت فيها بالعشرات من أصدقاء أبى عليه رحمه الله وتلامذته ومحبيه الذين رحبوا بى أجمل ترحيب ، وكان من

أعذب ماقيل لى فى تلك المناسبة : « لكأن روح والدك الشيخ أبى العيون حاضرة بيننا فى هذا الحفل » • وكان ذلك فى عام ١٩٨٣ أى بعد انتقال أبى الى رحمة الله بـ (٣٢) عاما !!

٢ ــ نشأته المبكرة

اقترن طالعه بالثورات الوطنية الكبرى ،فقد ولد محمود ابراهيم أبو العيون عام ١٨٨٢ ابان ثورة عرابى ، وغذى فى شبابه وقود ثورة ١٩١٩ من فوق منبر الأزهر ، ثم كرس حياته للكفاح ضد الفساد فى المجتمع المصرى حتى سقط شهيدا فى عام ١٩٥١ ومصر كلها تتأهب لمعركة التحرير •

وكان مولده فى (عزبة الشيخ أبى العيون)، الواقعة على حافة الصحراء الغربية بمركز ديروط (مديرية اسيوط) من أسرة تنتسب الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتشتهر بالصلاح والتقوى ، ورأسها هو السيد ابراهيم أبو العيون الشريف المغربى الحسنى الذى نزح الى مصر من بلاد المغرب فى مطلع القرن (١٩) • وتوفى والد محمود وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، فكفله شقيقه ولى الله وقطب زمانه السيد ابراهيم أبو العيون الأكبر •

وحفظ محمود القرآن الكريم فى بلدته ثم حضر الى القاهرة وله من العمر ١٢ عاما لينهل من العلم فى الجامع الأزهر ، ونال درجة العالمية عام ١٩٠٨ فعين بعد تخرجه مدرسا بالأزهر الشريف • ولم يقنع الشيخ محمود بعمله المتواضع ، فقام بالتدريس فى بعض المدارس الأهليه المنتشرة فى مصر وقتئذ كمدرسة الرشاد وغيرها ، فنبغ على يديه عدد كبير من الطلبة النبهاء الذين درس لهم مواد الدين والأدب العربى والتاريخ ، وهى المواد التى عشقها وتخصص فيها ، فكأن كتابه الذى ألفه فى « تاريخ العرب والاسلام » الذى زاوج فيه بين الدين والأدب والتاريخ ، ــ مرجعا قيما لطلبته فى الأزهر الشريف طيلة ٤٠ عاما •

وكانت حياة العالم الشاب فى تلك الأيام كفاحا متصلا فى سبيل تثبيت أقدامه والحصول على دخل يهيىء له حياة كريمة ، خاصة بعد أن تزوج وأسس اسرة صغيرة ، ومع ذلك فقد ظل يذكر تلك الأيام بالحنين البالغ ، لأنها أتاحت له فرصة الاختلاط بنماذج مختلفة من المجتمع، والاطلاع على كتب الأدب المعاصر ، واشتهر الشيخ محمود بوداعته ودماثة خلقه ولطف معشره ، بالاضافة الى أناقة ثيابه وجمال هندامه • وكان الى جانب ذلك يتذوق الشعر ويطرب للموسيقى والغناء الجميل (١) ، فكان ذلك كله ايذانا بثورة مكبوتة فى صدره ضد التقاليد الصارمة التى درج عليها العديد من رجال الدين الذين رأوا فيه مجرد قالب مصبوب مقطوع الصلة بالدنيا التى نحياها بوجداننا وعواطفنا وأشجاننا وأفراحنا ومازال الشيخ فى حيرة بين التعاليم الصارمة والأحاسيس

(١) السيد الكاتب السفير يصف حالة وليس يعطى حكما شرعيا ••• مجلة الازهر

المرهفة حتى اندلعت ثـــورة ١٩١٩ ، فكانت متنفسا لكل مايجيش فى صدره من انفعالات ، وسمعت الأمة المصرية لأول مرة صوت الشيخ أبى العيون مدويا كالزئير الهادر من فوق منبر الأزهر صائحا : تحيا الثورة ...

٣ ــ خطيب الثــورة

اذا كان الشــيخ عبد اللــه نديم هو خطيب الثورة العرابية ، فقد عرف الشيخ ابو العيون بأنه خطيب ثورة ١٩١٩ ، فهــو الذى صــاح ــ من فوق منبر الأزهر يوم ٩ مارس ١٩١٩ غداة اعتقال سعد باشــا وصحبه ونفيهم الى مالطة : « الحرية شجرة لاتنبت الا فى الدماء ، فهذه حياتنا هدية لمصر» فصرخ الناس مرددين: « الثــورة ... الثــورة ... الشــهادة .. الشهادة » .

كانت مصر كلها تغلى كالمرجل بعــد أن تنكر الانجليز لاستقلالها فى أعقاب الحرب العظمى ويذكر التاريخ أن أول صيحة وطنية علت كانت فى يوم ١١ فبراير ١٩١٩ ، وهو الموافق لذكرى الزعيم مصطفى كامل باشا ، حين خطب الشيخ ابو العيون فى طلبته بالأزهر الشريف ، وحثهم على التوجه فى المساء لحضور الاحتفال المقام بمقبرته ، وهنـــاك تجمع آلاف المواطنين ، وقامت مظاهرة كبرى تهتف باســتقلال مصر والسودان فتعرضت لرصاص الانجليز ، فكانت هــذه المظاهرة هى شرارة الثورة الأولى التى اندلعت لتعم مصر كلها فيما بعد .

وظل الأزهر هو الوقود المحــرك للثــورة ، وكان الشرف كل الشرف لمن يسمح له باعتـــلاء منبر الأزهر ليخطب الثائرين من فوقه ، ولمعت أسماء فطاحل الخطباء من أمثال أبى العيون والقاياتى والزنكلونى وعبد ربه مفتاح والقمص سرجيوس وغيرهم من المسلمين والأقباط على حد سواء .

واستمرت الثــورة مشــتعلة حتى أصيبت البلد بالشلل التام مما اضطر الانجليز الــى الافراج عن سعد وصحبه والسماح لهم بالسفر الى باريس فى ١٧ ابريل ١٩١٩ ، فكان يــوما مشهودا خرج فيه الأزهر فى مظاهرة كبيرة ، وانضمت اليــه كل طوائف الأمــة ، يتقدمهم جميعا العلم المصرى ، يشترك فى حمله كل من الشيخ محمود أبى العيــون والشيخ مصطفى القاياتى ، فكانت مظاهرة رهيبة تصــدى لهــا الانجليز بكل عنف ، وراحوا يطلقون النيران فى كل اتجاه حتى سقط عشرات الشهداء ومئات الجرحى ، واخترق الرصاص العلم المصرى ، وكاد أن يصيب حاملى العلم لولا بقية من أجل .

ولم تلبث الســلطات أن اعتقت الشــيخ القاياتى فى أول مايو ، فلمــا أحس الشــيخ أبو العيون بأن الدور عليه رشح زميله وصديقه الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ليتسلم المنبر من بعده . وكان الشيخ ابو العيون قد قال مرة فى احدى خطبه : « ا ثورة مجنونة ، فلا يــرقى هذا المنبر الا كل مجنون » .

وفى اليوم التالى لاعتقاله صعد الشيخ دراز رحمه الله فوق المنبر ليقول للمتظاهرين فى أول خطبة له : « الحمد لله الذى جعلنى أجن خلفــا لأجن سلف » ، فكانت الثورة فى عهده مجنونة.

٤ ــ فى ثكنات قصر النيل

فى فجر يوم ١٢ مايو ١٩١٩ استيقظ الشيخ وأسرته على دقات عنيفة بباب منزله بالحلمية الجديدة ، ففتح الباب ليجد أمامه جنـــودا وضباطا مصريين طلبـــوا منه أن يصحبهم ، فارتدى ملابسه وودع زوجته وأولاده ، وأخذ معه مصحفا كبيرا على هامشه تفسير البيضاوى وفى الطريق شيعه أهل الحى بالبكاء ، وســمع زوجته تصيح من الشباك بصــوت مبحوح • « فى وديعة الله » •

وكانت الســلطات البريطانية قد اكتشفت أن جمعية سرية قد تشكلت باسم « جمعية اليــد السوداء » برئاسة عبد الحليم البيلى المحامى ومحمود أبى شادى ومصطفى القاياتى ومحمود أبى العيون ، وقد اتخذت هذه الجمعيه قرارا بأن أى رجل يعود الى عمله ، سواء أكـــان عاملا بسيطا أو مسئولا كبــيرا ، سيعتبر خائنا ويكون مصيره القتل •

واقتيد الشيخ الثائر الى قسم عابدين حيث تســلمه ضـــابط بريطانى وحرس مسلحون ، وحملوه الى ثكنات قصر النيل ، وهناك عومل معاملة مهينة وغــير انســانية ، فكان يفترش الأرض ، ويأكل لحم الخيل ، وكان يؤمر بحمل جرة مملوءة بالماء فى يد ، وجرة أخرى يجمــع فيها فضلات المعتقلين فى غرفهم ، وبعد ذلــك يكلف بكنس ومسح العنبر الذى تقع فيـــه غرف الاعتقـــال ، فكان يتحمــل هذه المعاملة صابرا محتســـبا ، ويقوم بمهمــة الكنس والتنظيف وهو يردد قول الشاعر :

يقضى على المرء فى أيـــام محنتـــه
حتى يــرى حســنا ماليس بالحسن

وقد أنهى الى الأزهريين مايلاقيه زميلهم من الضيق والهوان والسب والركل من الحراس الانجليز ، فكانت خطبهم فى الأزهر تدور حول ذلك ويرثون لحاله ، وفى ذلك خطب المرحــوم الشيخ (الدكتور) زكى مبارك وقال :

فمــا وفتك جفونى وهى داميــــة
ولا وفى لك قلبى وهــو يحتــرق

ولما تدهورت حالته الصحية ، ولم يعد قادرا على الاحتمال ، ثار على هذه المعاملة ، وطالب بأن يعامل المعاملة التى تليق بمكانة معتقــل سياسى شريف ، ومجاهد من الأزهر ، فأجيب الى طلبه ، ونقل الى الحجرة التى ينزل فيهــا زميله الشيخ القاياتى حيث لقى معاملة أفضل بكثير من الحالة التى كان عليها •

على أن الحال لم يدم طويلا ، فقــد دست السلطات البريطانية جاسوسا على الثائرين فى حجرتهما ،فكان يقوم بابلاغ الانجليز بأخبارهما أولا بأول ، ومن ثم قررت السلطات ترحيلهما مع بعض من رأتهم من الخطرين الى معتقل رفح على الحدود المصرية الفلسطينية ، فحملوهمــا مع خمســة من زملائهما المعتقلين الى محطة مصر ، ومنها بالقطار الى قنـــاة السويس ، ثم الى خط سكة حديد فلسطين ، وكان ذلك فــى اليوم الثالث من شهر رمضان •

٥ ــ فى معتقــل رفــح

بعد رحلة شاقة مضنية استغرقت يوما وليلة، نزل الرفاق من القطار الذى أقلهم ، وسـيقوا يحملون أمتعتهم فوق ظهورهم فى طريق خشن وفى ليلة حالكة ، يقودهم خفر مسلح على ضوء مصـباح ضـئيل ، ومن خلفهم حرس غلاظ يدفعونهم من ظهورهم بـ (سنكات) البنادق، حتى وصلوا الى معتقل رفح ، وهناك استقبلهم زملاؤهم من الفوج الذى سـبقهم بالهتـاف باستقلال مصر وبحياة سعد باشا •

وكان المعتقل مقسما الى ثلاث مناطق ، منطقة للأسرى الألمان والنمساويين ، ومنطقة للأسرى الأتراك والسوريين ، والثالثة للمصريين ، وكل منطقة عبارة عن مربع فسيح من الأرض تفصله الأسلاك الشائكة عن المنطقتين الأخريين ، وكان من بين المعتقلين محمد بك أبو شادى والشيخ محمـد اللبـان والقمص سرجيوس وكثيرون غيرهم •

وبعد أن أقاموا فى الخيام المنصوبة فى العراء برفح قرابة ثلاثة أشهر عانوا فيها ضنك الحياة وشظف العيش وقسـوة الطبيعة واهانات الانجليز ، تم الافراج عنهم تحت ضغط الرأى العام ، خاصة وأن الحكومة البريطانية كـانت تعمـل وقتئذ على تهـدئة الحـالة فى مصر ، فأوفدت (لجنة ملنر) فى سبتمبر ١٩١٩ للتحقيق فى مطالب المصريين ، ولـكن الشعب المصرى قاطعها عن بكرة أبيه ورفض التعاون معهمـا وقرر ألا مفاوضة الا مـع سعد زغلول الذى كان لايزال وقتها فى فرنسا •

وما كاد أبو العيون والقاياتى يعـودان الى القاهرة حتى قررا قيادة المظاهرات من الأزهر من جـديد ، ومالبث الانجليز أن زجا بهما فى ثكنات قصر النيل لمدة ثلاثة أيام نقلا بعدها الى (رفـح) للمـرة الثانيـة • ولبث الشـيخ أبو العيـون فى المعتقل حتى أول فبراير ١٩٢٠ حين تقرر نقله وحـده الى معتقل قصر النيل لعلاج عينيه اللتين كاد أن يفقـدها بعـد أن أصيبتا اصابة شديدة نتيجة الاعتقال والتعذيب والاجهـاد ، ثم نقـل الى مستشفى قلاوون لاجـراء عملية بالعين اليسرى وحقن بالعين اليمنى ، ومازال الشيخ معتقلا حتى اضمحلت صـحته ولم يعد يقـوى عـلى الاحتمـال ، فاستكتبوه فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٠ تعهدا بالامتناع عن الاشتراك فى السياسة أو المظاهرات ، وتم بناء عليه الافراج عنـه • وكانت الثورة قـد شارفت نهايتها فى حين قرر الانجليز منح مصر بعض حقوقهـا المسـلوبة بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ •

ولم يستطع الشـيخ برغم ذلك صـبرا عن البعد عن القضية الوطنية فألف كتابا أسـماه « الصحيفة السوداء » تناول فيه ما أصـاب مصر من المضار والمهالك من وراء الاحتلال •

وهنا لابد من وقفة نشير فيها الى أثر زوجة الشيخ التى وقفت الى جواره أيام جهـاده ، والتى جعلته يحب فيها معانى الوفاء والشجاعة، فكتب عنها قبل وبعد وفاتها يشيد بمواقفهـا وأثرها على كفاحه •

٦ ــ الحرب ضد البغاء

هدأت الثورة ولم يهـدأ الشيخ الثائر ••
صار للبلاد ملك ودستور وبرلمـان وأحزاب •

ولم يجد الشيخ هويته فى هذا المعترك الحزبى، فترك ذلك كله وراءه والتفت ينشد ميدانا جديدا للاصلاح لم يسبقه اليه غيره فى مصر ، وكان قد قرأ فى الصحف أن قسيسا أوروبيا رفع صوته مستنكرا قيام البغاء فى بلاده ، فتساءل الشيخ كيف فات أهل الرأى والبصيرة فى مصر — وهى الدولة المسلمة التى تحرم الزنا — أن يرجعوا عن تلك الوصمة التى لطخوا بها البلاد ، فأباحوا الزنا بتراخيص حكومية رسمية ، وأمسك القلم منددا بموقف الحكومة ، فكان أول قلم ينادى بالغاء البغاء الرسمى فى بلد دينه الرسمى الاسلام •

وتلفت الناس فى دهشة الى هذا الصوت الجرىء الذى يريد هدم نظام تواضع عليه الناس منذ أدخله الاستعمار عام ١٨٩٦ بحجة التنفيس صحيا عن الغرائز المكبوتة وهو فى حقيقته سهم مصوب لكل القيم والمبادىء والأخلاق الفاضلة ، واهتمت الصحف بالدعوة الجديدة التى أحدثت دويا فى جميع الأوساط ، وانقسم الناس حيالها ، فمنهم من أيدها بقوة، ومنهم من تحفظ ، ومنهم من هاجمها بقسوة متهما الشيخ بأبشع التهم وأدنأها • ولم يتراجع الشيخ ، بل لم يزده الهجوم عليه الا اصرارا على مبدئه ، فراح يصب سياط قلمه الملتهب على ظهور المعارضين والمتخاذلين ، ولم يترك بابا دون أن يقرعه بعنف ، والف كتبا عدة عن المشكلة دعمها بالوثائق الثابتة والاحصاءات الدامغة على الاضرار الناجمة عن بقاء هذا اللون من الفجور فى بلادنا الاسلامية ، هذا فضلا عن مقالاته النارية فى صحيفة الأهرام وغيرها ، تلك التى صفق لها الرأى العام فى مصر وسائر البلاد العربية والاسلامية ، وأبرز عناوينها :

مذابح الأعراض — نفثات مصدور — ياضيعة الأخلاق — فى عهد الحرية • وغيرها •

وشاء الله سبحانه وتعالى للشيخ أبى العيون أن يرى بعينيه ثمرة كفاحه قبل وفاته ، واذا بالحكومة تقرر عام ١٩٤٩ الغاء البغاء الرسمى ليقترن ذلك باسم أبى العيون الى أبد الآبدين •••

قابلت منذ عهدقريب أحد مشايخنا الأجلاء ، وما أن عرفته بنفسى حتى مد الى يده مصافحا فى حرارة وهو يقول :

« هذه يدى مبسوطة • أضعها فى يد كل غيور على شرف الأحساب وكرم الانساب • يمينا لا نقبض تلك اليد بعد أن بسطناها ولو صافحتها السيوف البواتر » •

واستطرد فضيلته فى حماس : هذه جملة خالدة حفظتها وحفظها معى كل من سعد بالتتلمذ على يد أستاذنا أبى العيون ، فقد استهل بها كتابه المعروف « صفحة ذهبية » فى الغاء البغاء الرسمى الذى ألفه محاربا للرذيلة وداعيا للفضيلة •

رحم الله والدك رحمة واسعة وأرضاه •••»

٧ ــ على شواطىء الاسكندرية

فى عام ١٩٣٨ ولى الشيخ منصبه فى الاسكندرية شيخا لعلمائها • وما ان وصلها حتى استقبلته أنسامها العليلة ومياهها الرقراقة ، فاهتز لها كيانه ، واستكانت لها مشاعره ، ولكن ما أن حل صيف العام التالى حتى رأى على شواطىء المدينة ما أهاله وأهمه فقد راعه منظر المستحمين والمستحمات من الجنسين يلهون وهم أشباه عرايا على الشواطىء فى صورة يندى لها جبين الفضيلة وتغمض لها عين الحياء • وهنا استيقظت فى نفس الشيخ كوامن الكفاح ، ورأى فى أنسام الثغر عواصف عاتية ، وفى مياهه أمواجا هادرة فثار ثورة عارمة ، وأعلنها حربا لاهوادة فيها على المصطافين والمصطافات ، حربا استمرت سبع سنوات متصلة جاهد فيها الشيخ جهادا مشكورا للقضاء على الداء الذى تفشى والفساد الذى استشرى •

وانتهزت الصحف والمجلات هذه الفرصة ــ وكانت الحرب العالمية الثانية قد استعر أوارها ــ لكى تجعل من حملة الشيخ أبى العيون على الاستحمام فى الشواطىء مادة طريفة للترفيه عن قرائها ، فسارعت بافساح صفحاتها لمناقشة القضية ، وتبارت فى رسم الصور الفكاهية والكاريكاتورية ، واذاعة النوادر المستملحة تارة ، والنكات اللاذعة تارة أخرى ، على لسان الشيخ أبى العيون أو على لسان خصومه ، وصورته فى صورة شيخ متعصب يمسك فى يده بهراوة غليظة يجرى بها وراء المستحمات غير المحتشمات وهن يهرولن أمامه ويستغثن •

ولم يغضب الشيخ لهذه الحملات التى كان من شأنها تشويه رسالته ، بل لعله رأى فيها لونا من الدعاية غير المباشرة لدعوته ، حيث بدأ الناس يتحدثون بها فى مجالسهم العامة والخاصة ، ويتساءلون عن وجه الحق فى هذه الدعوة ، ويستنكرون مايجرى على الشواطىء من تهتك ومباذل ، وتمنى الكثيرون لو أن فى البلاد اكثر من مصلح من صنف هذا الشيخ المجاهد •

وهكذا ذاع صيت أبى العيون وحملته فى كل حى وفى كل بيت فى مصر وخارج مصر ، واضطرت الحكومة وقتئذ للاستجابة لكثير من مطالبه مثل تخصيص ساعات محددة للاستحمام للسيدات وحدهن ، ومنع السير فى شوارع الاسكندرية وطرقاتها بزى الاستحمام ، كما فرضت رقابة صارمة تكفل الحد من التبذل ، وأمر رئيس الوزراء (مصطفى النحاس باشا) بتشكيل لجنة اسمها « لجنة حماية الآداب » يكون للشيخ أبى العيون فيها اليد الطولى بما يشارك به فيها من آراء ويتقدم لها بأفكار ومقترحات •

٨ ــ ابن الأزهر

كان الشيخ ابو العيون فى مقدمة الدعاة والمصلحين فى الأزهر ، يشهد بذلك العديد من المشايخ الأجلاء الذين تتلمذوا على يديه من أمثال أصحاب الفضيلة : محمد متولى الشعراوى ، وأحمد حسن الباقورى ، ومحمد الطيب النجار ، ومحمد نايل ، وأحمد

الشرباصى ، وغيرهم ممن انتقلوا الى رحمة الله أو مازالوا يمدوننا باشراقاتهم الروحية ونفحاتهم الزكية •

عمل الشيخ أبو العيون مدرسا بالأزهر منذ تخرجه عام ١٩٠٨ ، حتى اختير عام ١٩٢٥ مفتشا للعلوم الدينية والعربية ، وظل فى هذا المنصب حتى ندب عام ١٩٣٤ شيخا لمعهد أسيوط الدينى ، ثم نقل فى نفس العام شيخا لمعهد الزقازيق ، فبقى فيه حتى عام ١٩٣٨ حين عين شيخا لعلماء الاسكندرية ، ومنها اختير عام ١٩٤٥ ليكون سكرتيرا عاما للجامع الأزهر حتى توفاه الله عام ١٩٥١ •

وكان لشيخ أسلوبه الخاص فى الاصلاح ، فلم يتبع أسلوب التزمت ، كما أنه لم يجنح الى التطرف ، ولكنه أخذ بالأسلوب الأمثل ، وهو الاصلاح التدريجى فى وقت هبت فيه على الأزهر عواصف عاتية نتيجة الاجراءات السائدة حينذاك من صراع بين القصر والوفد ، ومن خلاف بين أنصار الشيخ المراغى والشيخ الظواهرى رحمهما الله ، ومن انقسام بين دعاة التقليد وأنصار التحديث •

كتب عنه أحد مشاهير تلامذته ، وهو المرحوم الشيخ أحمد الشرباصى مايلى :

« رأيت الشيخ أبا العيون بعد أن انتقلت الى معهد الزقازيق ، وقد أقبل شيخا له ، فرأى المعهد فى أيامه وعلى يديه العصر الذهبى الجميل فى تاريخه ، بما أجراه الشيخ فيه من تهذيب واصلاح •

لقد سبق الشيخ أبو العيون زمانه سبقا ملحوظا حين أنشأ فى معهد الزقازيق التابع للأزهر الشريف أول فرقة للكشافة عرفها الأزهر فى تاريخه ، وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ •

وما كاد هذا الخبر يصل الى كبار بعض المشايخ حتى ثارت ثائرتهم ، وضج ضجيجهم ، وأخذت التهم والافتراءات تنهال منهم جزافا على رأس الشيخ ، وكان أخفها أنه يسوق طلابه الى التحلل والعبث ويلهيهم عن العلم ومكارم الأخلاق •

واحتمل الشيخ صابرا ماسيق اليه ، أو ماصب عليه ، ودارت الأيام دورتها ، ومأهى الا سنوات قلائل حتى رأينا الأزهر الذى ثار بالأمس على أبى العيون ، لأنه أنشأ فرقة كشفية فى معهد أزهرى ، ولأنه أنشأ فيه فرقا للكرة وحمل الأثقال والرحلات وغيرها ، رأينا هذا الأزهر يصل الى ما سبق اليه أبو العيون فيصبح فى ميزانيته باب خاص واعتماد ضخم للألعاب البدنية والفرق الرياضية و •• وفرقة التمثيل الأزهرية » •

ومن أواخر ماقام به الشيخ ابو العيون تأليف كتابه عن « تاريخ الأزهر » وذلك بمناسبة الذكرى الألفية لانشائه ، فكان خير ما قدمه ابن بار من أبناء الأزهر لجامعته •

يتبع • • •

صاحب الفضيلة الدكتور

الحسينى عبد المجيد هاشم

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

الحافظ الهاشمى أو محدث القرن العشرين :

الدكتور الحسينى هاشم عرف بعنايته الرائدة بالسنة ، والسنة عند المحدثين كل ما صدر عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قول أو فعل أو تقرير ، وفى معناها الحديث، وهى الأصل الثانى فى التشريع الاسلامى . قال تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » سورة النحل الآية ٤٤

فالرسول يبين للناس ما نزل اليهم من الآيات البينات، يبلغ القرآن ويشرحه، ويوحى الله اليه بالسنة فيبلغها ويأمر أصحابه بالتبليغ عنه قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه الترمذى وأحمد ، وهذا القول نعرفه نحن الذين درسنا الحديث ومصطلح الحديث بالأزهر ، ولكن « الحافظ الهاشمى » الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم يمتاز بأنه بجوار عنايته بالعلوم الدينية ووقوفه على أحكام الشريعة الاسلامية كان كالمتخصص فى الحديث الشريف وكتبه ، وجاء على يوم كنت أظنه قد وقف نفسه على دراسة صحيح البخارى يشرحه ويستخرج أحاديثه ويبين فقه البخارى وفهمه للتشريع والعقيدة ، ولكنى بمسايرة الدكتور الحسينى فى كتاباته ومؤلفاته وخطبه تجلى أمامى بعلم غزير ونهج قويم ومع ذلك فلننظر اليه محدثا كما عرفناه متكلما ومفسرا للقرآن ومبينا وحى القرآن من غيره .

فى مقال له بعنوان « تدوين السنة ودائرة معارف السنة الشريفة » نشر المقال فى « الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة ، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الاسلامية » صدر الكتاب ـ تحت رعاية الأزهر الشريف ـ فى صفر ١٤٠٦ هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٥ م .

فى هذا المقال الرائد المفيد تعرف معلومات كثيرة عن تدوين السنة المطهرة دبجها يراع عالم متمرس بما يقول ويكتب ونحن نعرف أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن كتابة الحديث حتى لا يختلط بآيات الذكر الحكيم ، ولكن الدكتور الحسينى هاشم يقول هذا ويفسره ويجعله خاصا بموقف معين ، ويعطينا بيانا أن السنة دونت فى عهد النبوة وفى عهد التابعين ، فيذكر ما كتبه عبد الله بن عمرو ابن العاص من أحاديث جمعها فى صحيفة وعرفت « بالصحيفة الصادقة » ومثلها كانت صحيفة لأنس بن مالك ، ولهمام بن منبه صحيفة تسمى الصحيفة الصحيحة رواها عن أبى هريرة، ولم ينقض العصر الأول الهجرى حتى كان فى أيدى الناس صحف ومجاميع تحتوى كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة الى أن جاء على رأس القرن الثانى الخليفة الورع عمر بن عبدالعزيز وخلافته (٩٩هـ ـ ١٠١هـ) فأمر بجمع السنة من ثقاتها وكتابتها حتى لا تتعرض للاندثار .

يقول الحافظ الهاشمى :

وقد شاع فى الناس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى، وما نشأ هذا الخطأ الا عن طريقتين :

الطريقة الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول ، لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات التى جاءت بعدها .

الطريقة الثانية : أنهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ، وبفهم الدارس المحقق يرشدك الى ان كثرة المروى من الأحاديث يرجع الى المتابعات والشواهد ، فحديث (انما الأعمال بالنيات) يروى من سبع مائة طريق ، فلو جردنا مجاميع الأحاديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

وقد صرح الحاكم الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف ، ومعظم هذه الأحاديث قد دونت بأقلام رواة العصر الأول .

ويشير الدكتور الحسينى الى الوضع وأسبابه ويبين متى بدأ وموقف العلماء منه وانتصارهم فى تنقية الأحاديث الشريفة فشمروا عن سواعدهم ، « ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعين» .

لقد بان لنا أن الصحابة والتابعين كان لهم أثر كبير فى حفظ السنة فى الصحف والمجاميع فكانوا القدوة وجاء عصر التدوين وكأنه استجابة لما أمر به الخليفة العادل عمر بن

عبد العزيز من تدوين السـنة فكان التـدوين الرسمى كما يقول « الحافظ الهاشمى » وظهر أناس اشتهروا بالتدوين ، وقد لبى الأمر الامام الكبير محمـد بن مسلم بن شـهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ • ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى ، وكان أول من جمعـه بمكة (ابن جريج ١٥٠هـ) (وابن اسحاق ١٥١هـ) (ومالك بالمدينة ١٧٩ هـ) و (سعيد بن أبى عروبة ١٥٦هـ) (والربيع بن صبيح ١٦٠هـ) (وحماد ابن سلمت ١٧٦هـ) بالبصرة ، وبالكوفة (سفيان الثورى ١٦١هـ) وبالشام (أبو عمرو الأوزاعى ١٥٦هـ) (وبواسط هشيم بن بشـير ١٨٨هـ) وبالرى جرير ١٧٥هـ وبمصر عبد الله بن وهب ١٩٧هـ) • وهـؤلاء كانـوا فى عصر واحـد ، ومنهجهم فى التدوين جمع أحاديث رسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين مع ضم الأبواب بعضها الى بعض •

وجاء العصر الثالث الهجرى فتسلم الامام البخارى لواء الحديث ، وسلك به مسلكا قويما أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال ، وكان كتابه الخالد « الجـامع الصـحيح » له سبق وفضل فى هذا العصر الذى ازدهر بأئمة السنة، فالامام مسلم ، والامام أبو عيسى الترمذى ، والامام النسائى والامام أبو داود السجستانى وابن ماجة ، وكتب هؤلاء الأئمة هى المرجـع فى الأحاديث النبوية ، وقد ظهـرت كلها بعد « الجامع الصحيح » للبخارى وسـارت على منهجه وأطلق على هذه الكتب السـتة كتب أصول السنة ، واستمرت العناية حول الشرح لتلك الكتب •

وبعد ذلك وفى القرن السابع الهجرى ألف أبو السـعادات مبـارك بن محمد المعـروف بابن الأثير الشافعى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ كتابه « جامع الأصول » لأحاديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جمع فيه الأصـول للكتب الستة : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن النسـائى وسـنن أبى داود وموطـأ الامـام مالك ، وكان عصر الحفاظ من أمثال الحافظ الهيثمى صهر الحافظ العراقى ، وألف الحافظ الهيثمى كتابه « مجمع الزوائد ومنبع الفـوائد » وهو كتـاب جمع الزوائد على الكتب الستة لمسند أحمد والبزار والموصلى ومعجم الطبرانى الكبير والصـغير والمتوسط •

يقول الحافظ الهاشـمى محـدث القـرن العشرين مشيرا الى عمل قام به ليفيد عصره

وطلاب العلم : وقد جمع الشيخ العلامة محمد بن سليمان الفاسى المغربى المالكى نزيل الحرمين الشريفين كتابه « مجمع الفوائد » من جامع الأصول « ومجمع الزوائد » جمع فيه بعض الأحاديث التى اختارها من جامع الأصول ومجمع الزوائد فى جزءين وشجعنى ذلك على تأليف « دائرة معارف السنة الشريفة » مستوفيا هذه الكتب ، وفى مطلع القرن الخامس عشر من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وفى مؤتمر السنة الرابع فى رحاب الأزهر الشريف يسرنى أن أقدم للعالم الاسلامى .

« دائرة معارف السنة الشريفة »

راجيا من الله تعالى أن تكون فتحا مبينا فى عالم التأليف للسنة الشريفة .

ويظهر مما كتبه أنه يعتز بعمله فى خدمة السنة الطاهرة ، ولذلك يبين لنا جهده وطريقته فى « دائرة معارف السنة الشريفة » وهى تشتمل بحمد الله على ثلاثة عشر كتابا تجمع كتب أصول السنة المعتمدة :

صحيح البخارى ، وصحيح الامام مسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وموطأ الامام مالك ، كما جمعها ابن الأثير مخرجة أحاديثها وزاد عليها سنن ابن ماجه ، وأضاف اليها أمهات المعاجم المسانيد منها مسند أحمد ، ومسند البزار ، ومسند أبى يعلى ، ومعجم الطبرانى الكبير والأوسط والصغير ، التى جمعها مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى ، وبوب الجميع على منهج الامام البخارى فى صحيحه .

يجد المحدث فيها وفى مرآة أبوابها ما يستعين به على تخريج الأحاديث وما يساعده على اكتساب المعرفة لما ورد فى الباب من أحاديث مجتمعة يفسر بعضها بعضا كوحدة موضوعية متكاملة .

يجد فيها المفسر والمحدث والفقيه طلبته للفهم وتخريج الأحاديث ومعرفة الأحكام ويجد كتاب السيرة سيرة رسول الله الصحيحة الموثقة .

كما يجد أصحاب العقيدة فى أبواب الايمان والاسلام وغيرها ما يرشدهم الى العقيدة الصحيحة .

ألا ترى معى أنه أفاد السنة الشريفة ببحوثه وعكوفه على أمهات الكتب يدرسها ثم يجمعها ويرتبها على أبواب حتى يجد المسلم بغيته دون مجهود يضنى ودون دراسة لكل حديث فى موطن يبعد عنه ، بل جمع ورتب وشرح الألفاظ وأشار الى المعانى فكان عملا متكاملا ، وفتحا مبينا يشرق نوره على الأمة الاسلامية فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، وأرجو الله أن يجعل ثوابه فيه على قدر جهده وانتفاع الناس به ، وبهذا استحق فى نظرى أن يكون محدث القرن العشرين ، ولنا أن نلقبه « بالحافظ الهاشمى » رحمه الله وأفادنا بعلمه وحلمه والاقتداء به .

موقفه من التاريخ :

من يطالع قوائم مؤلفات فقيد الأزهر الحسينى هاشم من أول مؤلف يحتوى اهتماماته وهو الامام البخارى محدثا وفقيها الى أئمة الحديث على مدى اثنين وعشرين مؤلفا يجد كل المؤلفات تدور حول السنة

الشريفة يدرس متنها ورجالها وطرقها وعلومها وتطورها من عهد الصحف والمجامع الى عصر التأليف والتبويب على يد البخارى الى القرنين السابع والثامن الهجريين وعمل الحفاظ ، وجمع أصول كتب السنة فى مؤلف واحد مما يدعونا الى ان نسلكه فى زمرة المحدثين وقد عرفناه المحدث البارز فى القرن العشرين ، ولكنه مع ذلك له اهتمامات أخر تنبع من ايمانه بأثر القرآن الكريم فى كل العلوم التى ظهرت فى العصور الزاهرة الاسلامية لذا كان (الحافظ الهاشمى) منجذبا اليه ينظر فيه ويتأمل معانيه ويدرس بلاغته ويحفظ لغته وتربى فى الأزهر وهو القائم على رعاية كتاب الله وسنة رسوله فأقبل على معرفة تاريخ بنائه وقيامه بواجب الهداية والتوجيه ، ولقد سمعته يخطب فى « العيد الألفى للأزهر » فراعنى منه تعمقه فى الأفكار التى أضاء بها الحفل واستولى على عقول سامعيه للتفسيرات التى أتى بها فى معنى « الأزهر » ومعنى « المعمور » وما الى ذلك مما يعزب عن بالى الآن . وفى « الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر » صدر فى جمادى الاخرة ١٤٠٣ هـ ـ الموافق مارس ١٩٨٣ م قرأت له مقالا عنوانه :

« الأزهر والوعى السياسى »

وهو مقال ممتع ذو منهج مبنى على أسس علمية ومفاهيم فلسفية لمعرفة التاريخ ولاسيما تاريخ مصر تحدث فيه عن مشايخ الأزهر والسياسة عن الذين جاءوا جميعا من قراها وأريافها ومدنها فكانوا من بين صفوف الشعب وأبناء الأرض يحسون ما يحسه الناس وينظرون بأعينهم ، ويسمعون بآذانهم ، ولهم بذاتهم بأنهم حفظوا فى صدورهم نصوص الشريعة ، وحفظوا ما تخلف من تراث القرون فكان من الطبيعى أن يقفوا من الشعب موقف الزعامة فى كل حادث جليل وأن ينطقوا باسمه ويعبروا عن آماله وآلامه . ولما كان الأمر يقتضى تفصيلا لمواقف شيوخه وأعلامه وهذا يطول شرحه أكتفى بضرب الأمثلة التى تبين كفاحه وتضحياته فى الدفاع عن الأرض والعرض والعقيدة ، يستوى فى ذلك العهد العثمانى والحملة الفرنسية وتولية محمد على ، والثورة العرابية ، وثورة ١٩١٩ ، الى العهد الحاضر .

وهو رجل يحب الحق ويبغض الباطل ، وقد سجل التاريخ لأزهره مواقف تكتب فى صفحات من نور ، وهى لا تكتب للفخر ولكنها تكتب للقدوة الصالحة وللأسوة الحسنة للاجيال القادمة لذلك لم يعجبه أن يغمط المؤرخون الأزهر فى حقبة من الحقب ، وأعجبنى تيقظه لتلك الحقبة التى أهمل المؤرخ ذكر الأزهر فى أحداثها فكان أن أرخ وسجل وآخذ المهملين . يقول فى هذا الصدد : وتأتى فترة ما قبل ثورة عام ١٩١٩ وهى التى تبتدىء بالاحتلال الانجليزى ، وأكثر من كتبوا عن هذه الفترة قد تحيفوا جهاد الأزهر فى سبيل الحرية تحيفا ظاهرا ، لأن أكثر الكاتبين قد شغلهم ميولهم الحزبية عن انصاف الحقيقة ومن يذكرون الامام محمد عبده فى جهاده لأطماع الخديو ومناداته باستقلال الأزهر وتجديد المناهج الدراسية ، أقول من يتحدثون عن ذلك

يتحدثون عن الامام محمد عبده وكأنه لم يكن علما من أعلام الأزهر ، بل يحاولون أن يجعلوه وحده فى صف ، والأزهريين جميعا فى صف واحد مع أن أكثر تلاميذ الامام من نبغاء الأزهر .

ويتحدث عن ثورة ١٩١٩ وعمل الأزهر وجهاده وفى مقدمة الجهاد سعى العلماء الى التعاون مع اخوانهم الأقباط فى سبيل الاستقلال حين أراد « اللورد كيرزن » وزير الخارجية البريطانية فى ذلك الحين أن يزيف الحقائق فأعلن أن الأقباط لا يريدون الاستقلال ساعيا بالوقيعة بين عنصرى الأمة ، فقام علماء الأزهر وفى طليعتهم الأساتذة محمود أبو العيون ، ومصطفى القاياتى ، ومحمد عبد اللطيف دراز ، وعلى سرور الزنكلونى بالدعوة الى مؤتمر وطنى بالجامع الأزهر حضره المسلمون والأقباط وتعاهدوا على مقاومة المحتل ونادوا باستقلال البلاد ، وصعد الى منبر الأزهر القمص سرجيوس فآزر الدعوة للاتحاد وسقط فى يدى اللورد كيرزن ، فلم يدر ما يقول .

والجديد فى هذا الدعوة الى مؤتمر بالجامع الأزهر وقد لباه عنصرا الأمة من المسلمين والأقباط كما أن الجديد فيما قبل ثورة ١٩١٩ ذكر ما أغفله المؤرخون فى حديثهم عن الامام محمد عبده .

وهو فى كل ما يكتب فيه سليقة الأديب يستخدم الآثار الأدبية ويستشهد بالشعر من ذلك حديثه عن ثورة ١٩١٩ وبطولة الأزهريين فيستشهد بقول أمير الشعراء شوقى وهو :

المعهد القدسى كان نديه
قطبا لدائرة البلاد ومحورا

ولدت قضيتها على محرابه
وحبت به طفلا وشبت معصرا

وتقدمت تزجى الصفوف كأنها
«جان دارك» فى يدها اللواء مظفرا

وهكذا يسير بنا فضيلة الدكتور الحسينى فى ايراده التاريخ وتسجيله المواقف فى لغة طيعة فيها الصدق والجمال والوفاء بالمنشود .

أرانى تحدثت عن علمه وأكثرت بالنسبة لما ينبغى أن يذكر له من الأخلاق الكريمة والسجايا الحميدة والشمائل الطيبة من سخاء بالعلم والمال ، وحب للخير واسدائه لعارفيه وغير عارفيه وأحلى ما فيه التواضع ، وتواضعه يجىء طبعيا لا تكلف فيه ، فهو ينبع من ورع صاحبه ، ومعرفته بطبيعة البشر ، وقد وضع فى موضع الهداية وفى الرعيل الأول من الهداة اذا كان عليه أن يكون كما خلقه الله متمتعا بمكارم الأخلاق وكفاه بها فضلا وذكرا ، ورحم الله عالمنا الجليل وربانى هذه الأمة فى القرن العشرين رحمة واسعة .

السيد حسن قرون

الشعر والشّعراء

إشراف: د. حسن جاد

في محراب الفجر

ألحان الخلود

تسبيحة

الأزهر المعمور

« ٠٠ والقطعـــة مـــن ملحمـــة الحملـــة الفرنسية على مصر » وتقع فى نحو ثلثمائةبيت
وآثر الشاعر بمجلـــة الأزهر القطعتين رقمى ٤ ، ٩ لصلتهما بالازهر الشريف ٠

(٤)

فان تكـن الأيـام ألـوت عنـــانها ... بنـــا فترة فالشمس تخفى وتظهـــر
وقـد علمت «باريس» من بعـد أننا ... لنـــا فى الكفـــاح المـر ماليس ينكـــر

عشـــية أغراها بنـــا ان طائفـــا ... ثقيل الخطى فوق الربوع يسيطر (١)
ولم تـــك تدرى ان فى الحى مرصـــدا ... على برجه من ثاقب الرأى مجهر (٢)

مناراته ، والغرب فى عتمـة النهـى ... مشـــاعل يغشاها الضباب فتسفر
وســاحاته والشرق فى غمـرة الدجى ... تمهـــد للفجـــر العظيم وتنشر

لكـل رواق (٣) فيه ، شـيخ كـأنه ... ولى عـــلى ارث النبيين يســـهر
يبث الهـدى والعلم والعدل والحجى ... وينهض بالأخـــلاق يعلـــى ويعمـــر

فيالجـدار الفـاطميين شـــامخا ... تطـــــاوله عين الزمان فتحســـر
أعـــد به الشيخ « الجبرتى » مرقما ... كمااستل من تجويفةالصخر جوهر(٤)

له المرقم الجبـــار والفـكرة التى ... تنقب فى دهم الليـــــالى فتبصر
يخـافت شـــفاف المـدارة تـارة ... ويرقى به الحـــق الصريح فيجهر (٥)

---

(١) اشارة الى الاحتلال العثمانى (٢) المقصود الازهـــر الشـــريف (٣) اروقة الازهر معـــروفة
(٤) الجبرتى عبدالرحمن بنحسن صاحب عجائب الآثار فى التراجم والاخبار وهو أوفى مصـــدر
عربى (٥) وصف لمنهج الشيخ فى كتابه ٠

للشاعر: عبد العليم القباني

(٩)

فواعجبا للشعب .. كيف تدفقت ... مواكبة العزلاء تردى وتقهر (١)
سلام عليه والقنابل تلتقى ... بصبحاته، والموت يغدو ويصدر
سلام على (شبرا) على كل «شارع» ... وكل «زقاق» بالبطولات يخفر
على كل «متراس» على كل «شرفة» ... على كل «باب» دونه العمر ينثر
على «الأزهر المعمور» يزجى صفوفه ... شيوخ عليهم للجلالات مظهر
تقيون صبارون داعون للهدى ... طريقهم للسلم ضاح ميسر
ولكنه .. من يزحم الذئب داره ... فأيسر ما يرجوه سيف مشهر
مشوا والوقار السمح فوق وجوههم ... وأعمامهم من وقدة العزم تزفر
يثيرون فى الأغماد كل مهند (٢) ... صبور على الهيجاء والنقع أكدر
كذلك كان «الأزهر» النور فى الحمى ... وكم شاد مجد الحرب والسلم «أزهر»
فان يك «نابليون» (٣) أوفى بخيله ... يذل بها المحراب (٤) فالله أكبر
أعدله فى «سنت هيلين» (٥) مأتما ... لعزته والشر بالشر يزجر

*** ***

---

(١) اشارة الى ثورة القاهرة الكبرى (٢) المهند اسم من اسماء السيف وهو هنا كناية عن الشباب (٣) نابليون القائد الفرنسى المعروف
(٤) اشارة الى قصة دخول نابليون الازهر وانتهاكه لحرمة محرابه (٥) سنت هيلين: الجزيرة التى نفى فيها الانجليز نابليون بعد هزيمته .

فى محراب الفجر

شعر: رشاد محمد يوسف

الفجر يرسم بالضـياء على المـآذن ألف هالة
والليل فى وهن الرحيل يشـد أطراف الغلالـة
والنجـم يبـدو كالسراج تراقصـت فيه الذبالة
والصبح فى ألق تنفس مـد فى زهـو ظلالـه
والنـور من كفيه شـلال تدفـق فى عجالـة

*

هى آية الخلق العظيـم يسـوقها المولى دلالـة
فيها تجلت قـدرة الخـلاق فى أجلى مقـالة

*

واللـه أكبر تغمـر الدنيا بأنوار الجـلالة
والقلب أسـكره الضـياء فغاب عنى فى ابتهالة
ينساب فى كنف الأمان كأنما النـور استماله
يتشرب التقـوى ليقوى فى غيابات الضـلالة
يستعذب النجـوى لينجو من غشـاوات الجهالة

*

طوبى لمن سـمع النداء فشد للنجوى رحاله
وجفـا المضاجع واسـتقام بلا تراخ أو كلالة
ودعـا الكريم مناجيا مسـتغفرا يبغى مناله
من يسـأل اللـه الكريم أجابه وأراح بالـه .

ألحان الخلود

للشاعرة : جليلة رضا

وتصايحوا - والعام قد ولى - لقد مات الهزار
قد غاب واأسفاه لا ندرى لغيبته قرار
ما عاد يسكب ألف فجر فى ماقينا الحزينة
ويرف فوق رؤوسنا جذلان يخترق المدينة
ما عاد يشدو للطبيعة والجمال .. وللنهار ..
فأجابهم صوت بعيد رن فى رفق ولين :
لا ، لم يمت هذا الهزار ، وإنما ضم اليقين
عرف الحقيقة حين ولت عنه أطيار عديدة .
وأمام طيف الموت حامت ثم أسئلة عنيدة
ماذا وراء الغيب ؟ ما هذا الوجود ؟ ومن نكون ؟
حتى إذا عرف الجواب ... أراد أن يعلو الأفق
وأبى أراجيح الغصون . ومل رفات الورق
مل القيام أو القعود بعشه الهانى المريح
عبر النهار المشمس المأمون من مطر وريح
وبحضن ليل دافىء الأحلام فواح ، عبق ..
ياويحه : عاش الحياة بغير معنى أو أثر
كانت له أيامه الجوفاء ملأى بالصور
يصحو ليلتقط الحبوب بلا عياء أو عذاب
يصحو فتستهويه فوق الأرض آلاف الرغاب
متنقلاً بين الخمائل والأزاهر والشجر ..
قد عاش لا يدرى فروقاً بين أرض أو سماء
فإذا علا أقصى حدود علوه سطح البناء
وإذا شدا أحلى اللحون لديه ألحان الهوى
يدلى بها منغومة مشبوبة .. وإذا ارتوى
كان ارتواء بالمياه .. وليس من نبع الضياء
واليوم قد ضاق الهزار بروضه مستنكراً
وأراد أن يعلو ويعلو عن تفاهات الورى
فلقد تنكر للحقول ولانبهارات السنابل
ولقد تنكر للكؤوس المسكرات من الجداول
متصايحاً .. « بئس الجناح إذا تشبث بالثرى »
لا . لم يمت هذا الهزار وإنما عبر الوجود
نحو الفضاء اللا نهائي المدى واللا حدود
ترك الهوى والعاطفات على الغصون الوارفة
ليكون يوماً كالشراع أمام وجه العاصفة
ويصوغ تحت القبة الزرقاء ألحان الخلود ..!!

تسبيحة

شعر: نعمت عامر

اللـه نـور فى عـلاء   فى كـل شىء ذى رواء
انـى رأيت اللـه أكـ   بـر كل شىء ·· لا مراء

وأراه فى كـل الجمـا   ل بكـل أرض أو سـماء
بين الكـواكب رصـعت   كقلائد شـعت بهـاء

والليـل يكسـوه السـكو   ن وراحـة بعـد العنـاء
والصيف ياتى زاخـرا   بالخـير يعقبه الشـتاء

وأراه بين حـدائق   غنـاء نضرهـا النمـاء
وأراه فى خفـق الطيـو   ر وحين تشـدو بالغنـاء

رفـرافة طـربا يهيـ   ج شعورها سـحر الصفاء
أدعـوه فى صـحوى وفى   نومى فيسـتمع الدعـاء

أدلـى اليـه بشـكوتى   والقلب يغمـره الرجـاء
فيجيبنى مهمـا تنـا   ءت بالمنى سبل العـطاء

كـل الـدنى تفنى ويبـ   قى دائما أبد البقـاء
ايمـان روحى فى الشـدا   ئد قـوة تضفى العـزاء

قـرآن ربى ·· بالهـدى   تسبيحة فيهـا الشـفاء
آيـاته ·· بالبينـا   ت مضيئة فيهـا الـدواء

هو خالقى ·· هو ياعشى   نجـواه فى قلبى ثنـاء
وله تعـالى طـاعتى   فى كـل صبـح أو مسـاء

العلوم الكونية

مسار البحث العلمي

ترجمة المعدة والاثنى عشر

مسار البحث العلمي في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. المبعوث رحمة للعالمين بكتاب عربي مبين .. هدى ورحمة وشفاء للمؤمنين .

اللهم انى أستلهمك الهدى والرشاد والتوفيق والسداد .. سبحانك ... لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .. وسبحانك .. ما خلقت هذا باطلا .. سبحانك .. سبحانك ..

تلك دراسة متواضعة عن الآيات الكونية فى القرآن الكريم .. تلك الآيات التى كانت تشد انتباهى وتجذب اهتمامى منذ الصغر لشعورى واحساسى بأن لها عطاء دائما لا ينقطع وادراكى — كلما نما عقلى واتسعت معارفى وتعمق علمى — أنها تحوى علوما لا نهاية لمعارفها ولا حصر لحقائقها ، كان كل يوم يمر يزيدنى ايمانا ويقينا بقول الحق سبحانه وتعالى :

« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ • فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ • لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ • تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ »

(سورة الواقعة : الآيات ٧٧ — ٨٠) .

ولقد أثارنى وحفزنى للكتابة عن تلك الآيات الكريمات أنه عند عقد المؤتمر الدولى الأول للاعجاز الطبى فى القرآن الكريم كان هناك فريقان من العلماء الأجلاء لكل وجهة نظره التى يتمسك بها ويدلل عليها تجاه قضية من القضايا الجليلة الشأن والخطيرة الأثر وهى :

صلة العلم بالايمان ، أو السؤال المطروح . هل العلم طريق مؤد للايمان ؟

وسؤال آخر هو .. هل الآيات الكريمات التى ذكرها الله سبحانة وتعالى فى القرآن العظيم عن خلق السموات والأرض وما فيهن هى آيات علمية جاءت بحقائق العلم ودقائقه ؟!

وهل يمكن تفسير آيات القرآن بما جاء به العلم من حقائق وقوانين ونظريات وتطبيقات عملية ؟! أم أن من الواجب ألا نقحم القرآن المجيد فى علم هو متغير ومتجدد دائما — فما يثبته اليوم قد يناقضه غدا — بينما القرآن العظيم كلام الله تعالى المحفوظ والثابت الذى لا يتبدل ولا يتغير ؟!

.. .. ..

ولقد حاولت فى بادىء الأمر تجميع تلك الآيات كلها بحسب ترتيبها فى القرآن العظيم ، وأخذت — بعون الله وفضله — أتأملها وأتدبر

د. محمد وسيم نصار

معانيها وأمعن النظر مرات ومرات فى مغزاها ومرماها ، وكانت الفكرة تبدو فى عقلى كالنور الخافت من بعيد فأسير وراءها حتى أستشعر ضوأها الوهاج فى بصيرتى وحرارتها الحانيــة فى وجدانى •

وكانت الفكرة الأولى مبنية على ملاحظـــة : أن هناك الكثير من تلك الآيات مسبوقا أو مقرونا بالأمر اما بامعان البصر أو بالرؤية أو بالنظر ولم يأت أمر بالمشاهدة •• فتساءلت أهناك فرق بين هذه الأفعــال الأربعة : أبصرت ، رأيت ، نظرت أو شاهدت ؟!

وكانت الفكرة الثانية أساسها ملاحظـــة أن تلك الأوامر جاءت فى مواضـــع كثيرة مقرونة بادوات الاســتفهام ماذا ، ما ، أو من ، مم ، أو من أى شىء ، كم ، كيف ، وهل أو الهمـــزة أو أى ؟ فتســـاءلت ما عـــلاقة تلك الأســئلة ببعضها ؟

ولم لم يأت الاستفهام عن الزمان والمكان والعلة ؟!

وكانت الفكرة الثالثة مصدرها ذلك الختام المتعدد والمتنوع للكثير من تلك الآيات بأن فى هذا الخلق أو ذاك آية أو آيات لقوم يفقهون أو يتقـــون أو يذكـــرون أو يوقنـــون •• أو يسمعون أو يعلمـــون •• أو يؤمنـــون •• أو يتفكرون أو يعقلون ، أو للعالمين أو للموقنين •• أو للمؤمنين •• أو لأولى الأبصـــــار •• أو أولى النهى أو أولى الألباب •

فتساءلت ما الفرق بين العـــلم والمعـــرفة والفقه ؟ وما دور العقل وقدراته ؟

ثم كانت الفكرة الرابعة ومصدرها أن الله سبحانه قد ذكر السمع دائمـــا مفردا والبصر غالبا جمعا (أبصار) وكذلك الفؤاد أو القلب (أفئدة أو قلوب) •• فتساءلت ما الحكمة وراء ذلك ؟! وجاءت الفكرة الخامسة تســـاؤلا ظـــل يتردد صداه فى عقلى وقلبى ــ حتى هـــدانى الله عز وجل الى نور حكمته ــ وكان التساؤل •• ما علاقة تلك الآيات ببعضها ؟ وما عـــلاقة العلم بالدين ؟!

ثم أخيرا كان السؤال •• ما الحكمة من وراء كثرة تلك الآيات وتعددها وانتشارها فى معظم سور القرآن الكريم ؟!

•• •• ••

الآيات الكونيـــة :

الآية الكونية : هى كل موضع فى القـــرآن فيه حث الانسان على دراسة ما فى الكون من مخلوقات أو ذكر صفة من صفاتها أو خصائصها توضيحا للمنهج الالهى والسنن الحكيمـــة فى ايجاد الخلق (١) •

(١) حنفى أحمـــد : التفســـير العلمى للآيات الكونية فى القرآن • ــ ط ٣ دار المعارف ــ القاهرة

ذلك ليستفيد الانسان منها ويستخدمها لصالحه فى المعاش الدنيوى والمعاد الأخروى (٢) •

والحقيقة أنه لا تكاد تخلو سورة واحدة من سور القرآن من آية كونية ولكن هناك — فى نظرى — اثنتان وثمانون سورة ملأى بتلك الآيات الكونية منها أربع عشرة سورة مدنية (أى نصف السور المدنية) ، وثمانية وستون سورة مكية (أى ما يقرب من أربعة أخماس السور المكية البالغ عددها ستا وثمانين سورة)،

والسور المكية — وهى السور التى نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الى المدينة المنورة — تتناول قضايا العقيدة والايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكان أول ما تلقاه النبى صلى الله عليه وسلم قول الحق سبحانه :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » (العلق : ١ — ٥) ليكون أول أمر •• أمرا بالقراءة••قراءة ما خلق الله فى كونه وغيره •

ثم ذكر للخلق •• ومنه خلق الانسان الذى كرمه الله بالعقل والوجدان •

ثم ذكر للتعليم بالقلم •• ومنه تعليم الانسان ما لم يكن يعلم •

ويتلوه قول الحق سبحانه قسما بأداة الكتابة والتعلم :

« ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » (القلم : ١ ، ٢)•

تنبيها لجليل شأن القلم وعظيم قدره وخطورة أمره وما يخط الانسان به ويسطره •

•• •• ••

فما ظنك برسالة أولها أمر متكرر بالقراءة يتلوه قسم بالقلم !

لاشك أنها رسالة علم •• بل هى كمال العلم ومنتهاه ، فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى والخالدة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) النبى العربى الأمى ، فيه بيان كل شىء •• فهو دستور شامل للحياة الكريمة الشامخة •• يضع الأسس القوية الراسخة ويوضح المنهج القويم والعميق ويحدد المسار والدروب بدقة وجلاء لكل سبيل من سبل الحياة •

•• •• ••

والأمر فى معظم الآيات التى ذكرت فى القرآن الكريم بالنظر والتأمل فى خلق السموات والأرض وما فيهن هو أمر موجه للجنس البشرى كله أو للناس جميعا •• أمر بالبحث العلمى العميق والمتجرد من الكبر والهوى فتلك آفات النفس الانسانية والعقل البشرى ، وفى ذلك يقول الحق عز وجل عقب أمره بالقراءة وذكره للخلق والتعليم بالقلم •

« كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى • أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى» (العلق : ٦ ، ٧) •

ويشير الحق سبحانه الى أصحاب الكبر والهوى وسوء حالهم ومآلهم فيقول :

« سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى

(٢) عبد الله شحاته : تفسير الآيات الكونية — ط ١ — دار الاعتصام — القاهرة — ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (الأعراف : ١٤٦) •

« إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » (يونس : ٩٦ ، ٩٧) •

« وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ • وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ • وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ • وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ » (يوسف : ١٠٣ — ١٠٦)

« أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً • أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً » (الفرقان : ٤٣ ، ٤٤) •

•• •• ••

العلم والعقل :

العلم — لغة — هو ادراك الشيء بحقيقته معرفة ويقينا •

والعقل هو تلك القوة المتهيئة لقبول العلم •

والفقه هو العلم بالشيء والفهم له والفطنة به ، وغلب على علم الدين لشرفه ، والفقه أخص من العلم •

والمعرفة هي ادراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهي أخص من العلم وتستعمل في العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وتدبر •

والعلم على درجات وطرق أحدها ما وقع من عيان وهو البصر أو ما استند الى السمع أو ما استند الى التجربة أو ما أدرك بسائر الحواس أو بالباطن وهي الوجدانيات أو ما حصل بالفكر والاستنباط وان لم يكن تجربة (٣) • وسمي العقل عقلا لأنه يعقل (أي يمسك) صاحبه عما لا يحسن •

والنهى جمع النهية وهي العقل وسمي به لأنه ينهى عن القبيح وكل ما ينافي العقل ، واللب هو خالص كل شيء ويطلق على العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل ، والجمع ألباب (٤ ، ٥) •

•• •• ••

والعلم في القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والأحكام من الحلال والحرام ، وانما هو كل ما يوسع المدارك ويبصر الانسان بأمور الحياة، ويفيده توفيقا وقدرة على الاستفادة بكل ما خلق الله لاسعاد البشرية :

---

(٣) الفيروزابادي : بصائرذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز — ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية — ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م • (٤) الرازي : « مختار الصحاح » •
(٥) لويس معلوف : « المنجد » — ط ٩ — كانون أول ١٩٣٧ — بيروت •

فادراك طبيعة الأرض وما يحيى مواتها ويجعلها تنبت وتثمر علم مطلوب دراسته وتعلمه .

وما يصلح الحيوان ويسخره لخدمة الانسان واكتمال الانتفاع به علم يدعو القرآن الى تعرفه .

وطرق الكسب المشروعة لتحصيل المال واستثماره على الوجه الذى ينظم موارده ومصادره ويمنع التحكم فيه والاحتكار به ويزيل الحقد والغل من النفوس علم يجب التعرف عليه والتسلح به .

والتعرف على الصناعات بأنواعها التى تيسر للانسان سبل الحياة وتمكنه من الانتفاع بالقوى الكامنة فيما خلق الله علم مطلوب منا الوقوف عليه .

وما تحفظ به الأنفس من التهلكة بمقاومة الأمراض والعلل وطرق علاجها والوقاية منها علم يجب التزود به .

وكل ما يمكن اعداده من قوى ندفع الأذى والعدوان ونرهب به من تحدثه نفسه العبث بالأمن والسلام علم يجب التعرف عليه (٦) .

.. .. ..

وطرق العلم ووسائل ادراكه هى السمع والابصار والأفئدة ، لذلك كان العلم ومدركاته أكثر النعم وجوبا لشكر المنعم سبحانه وتعالى .. وفى ذلك يقول الحق :

« وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (النحل : ٧٨)

« وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (المؤمنون:٧٨)

« ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »

(السجدة : ٦ — ٩)

« قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »

(الملك : ٢٣)

ولعل الحق عز وجل ينهانا عن اتباع ما ليس لنا به علم حاصل من تلك الطرق والوسائل فالمسئولية عظيمة وجسيمة وقد تكون الآية الكريمة مصداق ذلك ، قال سبحانه وتعالى :

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا »

(الاسراء : ٣٦)

وقد وضح القرآن والسنة المعالم الأساسية التى تقوم عليها هذه العقلية العلمية فيما يلى :

---

(٦) محمد سلام مدكور : « التعليم فى الاسلام .. ماضيه وحاضره . من سلسلة بحوث المؤتمر العلمى الأول للتعليم الاسلامى — ط . المركز العلمى للتعليم الاسلامى — مكة المكرمة ، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

١ ــ ألا تقبل دعوى بغير دليل جازم مهما يكن قائلها ويأتى الدليل عن طريق صحة الرواية وتوثيقها فى النقليات (٠٠ **ائْتُونِى بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) (الأحقاف : ٤) ، ويؤخذ عن المشاهدة أو التجربة فى الحسيات « **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ** ٠٠ » (الزخرف : ١٩) ، وعن البرهان العقلى فى العقليات « ٠٠ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** » (النمل : ٦٤)

٢ ــ رفض الظن فى كل موضع يطلب فيه اليقين الجازم والعلم الواثق ، ولذا رد القرآن مزاعم المشركين فى آلهتهم بقوله : « ٠٠ **وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** (النجم : ٢٨)

ورد مزاعم اليهود والنصارى فى صلب المسيح فقال : « ٠٠ **مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** » (النساء : ١٥٧) ٠ وجاء فى الحديث الصحيح : (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث)(١) ٠

٣ ــ رفض العواطف والأهواء والاعتبارات الشخصية فان المطلوب فى العلم الحياد والموضوعية ، وحيث يكون التعامل مع طبائع الأشياء وقوانين الوجود أيا كانت نتائجها ٠ يقول القرآن منكرا على المشركين : « ٠٠ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ** ٠٠ » (النجم : ٢٣) وقال فى خطاب داود : « **فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** » (ص : ٢٦)

٤ ــ الثورة على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين ، سواء كانوا من الآباء والأجداد ، أم من السادة والكبراء ، أم من العامة والجماهير ، وفى القرآن انكار شديد على الذين يقولون (**بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**) وهو رد عليهم بقوله « **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** » (البقرة : ١٧٠)

وفى الحديث أيضا تحذير من اتباع الجماهير وان كانوا على خطأ ، وادانة لعقلية من يرضى لنفسه أن يكون تابعا ، وقد خلقه الله سيدا ٠

« لا يكن أحدكم امعة » يقول : أنا مع الناس ان أحسنوا أحسنت وان أساؤوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤوا ألا تظلموا » ٠ وهذا الموقف الأخلاقى الذى يتميز باستقلال الشخصية فى السلوك ، يدعو الى مثله فى الفكر أيضا (٨،٧) ٠

وفى ذلك كله حض على ضرورة التحرر العقلى والفكرى من قيد الاتباع المهين بغير دليل ٠٠ ومن أسر التقليد الأعمى بغير برهان ٠٠ ومن ذل الجمود الخانع للمعتاد والمألوف بغير حجة ٠ ومن جرم القول أو الفعل ظنا أو زورا أو هوى بغير يقين ٠

يتبع

---

(٧) يوسف القرضاوى : « الرسول والعلم » ــ دار الصحوة ٠

(٨) عبدالحليم الجندى : «القرآن والمنهج العلمى المعاصر » ــ ط دار المعارف ــ القاهرة ، ١٤٠٤ هـ

قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر
Gastric And Duodenal Ulcer

تعتبر قرحة المعدة أقل حدوثا من قرحة الاثنى عشر ، إذ أن الأخيرة يكثر حدوثها فى الرجال عن النساء ، كذلك فإن معدل إفراز (حامض الأيدروكلوريك) يكون طبيعيا وقد يكون أقل من معدله الطبيعى عند مرضى قرحة المعدة لكنا نراه غزيراً عند المصابين بقرحة الاثنى عشر .

ولقد لوحظ انتشار قرحة المعدة Gastric ulcer بين الفئات الدنيا ، والطبقات الفقيرة ، والأوساط الشعبية من المجتمعات .

أعراض قرحة المعدة : ـ
Symptoms of Gastric Ulcer

---

١ ـ تبدأ أعراض قرحة المعدة بالألم الشديد يحدث بصفة متقطعة Interrmit-tent pain بين فينة وأخرى ويبلغ هذا الألم أقصى مداه بعد وجبات الغذاء بنصف ساعة إلى ساعة ونصف بعد الوجبة وعموما نلاحظ أنه من المتعذر على المريض أن يفرق بين طبيعة الألم الناجم عن قرحة المعدة والألم الناتج عن قرحة الاثنى عشر .

لكن المنتهى إليه المقطوع به هو زوال هذا الألم عند تناول الطعام أو تعاطى القلويات Alkalies ومضادات الحموضة Antacids كذلك أيضاً سرعان ما يختفى الألم بعد القىء مباشرة .

لكن استمرار الألم رغم تفاقم حدته فى أغلب الأحيان يلفت أنظار الأطباء إلى أمرين غاية فى الخطورة ومن غير المقبول أن يهمل الطبيب هاتين الملاحظتين : ـ

الأولى : ـ غَزْوُ القرحة للأنسجة المجاورة لها .

الثانية : ـ نفاذ القرحة للظهر .

---

٢ ـ فقدان الشهية Anorexia

من السمات المميزة لمريض قرحة المعدة فقدان الشهية للأكل لأن المريض يشعر بالتوتر والقلق النفسى من ثم نراه عائفاً للطعام مما يؤدى إلى ضعف قوته فانحطاط مقدرته على العمل ويصيبه الْوَهْىُ[١] والخمول نتيجة نقص البروتينات Hypoproteinaemia ثم ينتهى به الأمر إلى التورم الشديد وهو المسمى بالاديما Oedema وهذه الحالة من الوهى والوهن والفتور تكثر فى مرضى قرحة الاثنى عشر عن قرحة المعدة .

القىء Vomitting :

القىء من مخايل وسمات قرحة المعدة ، وهو أكثر حدوثا وتكراراً فى المريض بقرحة المعدة عنه فى مريض قرحة الاثنى عشر والذى يعرفه الأطباء المتخصصون أن المريض

د. السيد الجميلى

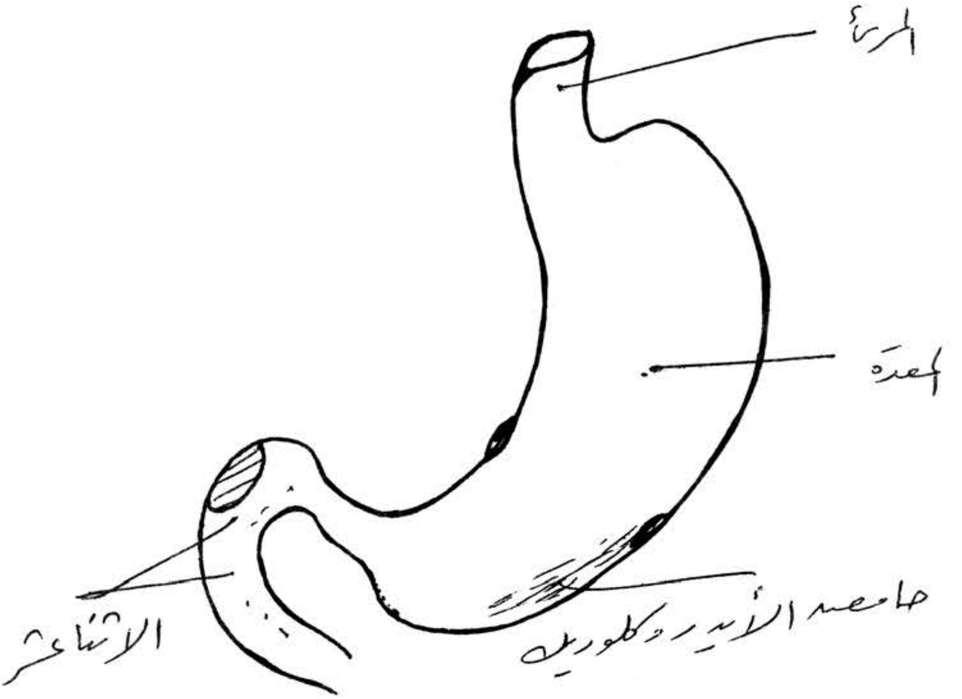

الشاكى من كثرة القىء أو فقدان الشهية نادراً ما يلفت الأنظار إلى قرحة المعدة أو الاثنى عشر فى ابتداء المرض ، بل لا يحدث كمال التشخيص للحالة إلا بعد أن تتطور القرحة ويصل المصاب بها إلى مرحلة حرجة خطيرة تنذر بالنزيف الشديد

Severe Haemorrhage

أو اختراق جدار المعدة

Stomach Wall Perforation

● ● ●

وحتى الآن لم يقف العلماء الأطباء الباحثون على وجه التحديد والحصر على سبب مباشر لقرحة الاثنى عشر ، بيد أن نفراً من الدارسين قد وجدوا كثيراً من المرضى بها يعانون من الإفراط فى افراز البيبسين Pepsin ولعل كثرة إفرازه تكون سبباً مانعاً لالتئام القرحة . كما وصلوا إلى أن المصابين ينقص افراز حامض المعدة Hcl Hydrochloric Acid لا يعانون من هذه القرحة ولا يمكن أن يعانوا .

وهذه الملاحظة ليست حدسا وظنونا

←

وتوهماً ، ولكنها تجارب علمية نيلت عليها درجات علمية .

من المقطوع به ، أن النساء أكثر مناعة من الرجال فى الاصابة بقرحة المعدة أو الاثنى عشر أو كليهما سيما إبان فترة الخصوبة ، وبعد انقطاع الطمث يعود معدل الاصابة إلى الازدياد . وقد عزى ذلك إلى أسباب هرمونية . وقد ثبت أيضاً بالدليل العلمى القوى أن الأشخاص الذين لديهم فصيلة الدم (و) (O) Blood group أكثر عرضة للقرحة عن سواهم .

بيد أن التوتر والقلق ، والانفعالات النفسية ، وتقلب المزاج جميعها لها أدوار مشهودة فى منع وتعطيل التئام هذه القروح بل زيادة خطرها .

كما لا يجب اغفال دور التدخين -Smook ing الذى يعتبر فعالا ومباشراً فى تأثيره .

أما ما يؤخذ فى الاعتبار وأعتقد أنه من الأمور البالغة الأهمية التى لها خطورتها وحيوتها وهى عادة مغفول عنها هى تعاطى المريض بعض العقاقير أو الأدوية من غير استشارة طبية أو نصيحة من معالجيه .

نأخذ مثلاً على ذلك مريض القرحة حينما يأخذ من نفسه بنفسه أقراص الأسبرين أو الكورتيزون أو هرمون الغدة جار الدرقية Para thyroid Hormone فإنه يضع نفسه ويزج بكليته إلى هلاك محقق ، ودمار لا مصرف له عنه .

● ● ●

ومرضى قرحة الاثنى عشر موسومون بالاضطراب العصبى والهزال ونقص الوزن لأنه يشعر بالألم الشديد عند الأكل والراحة التامة الشديدة فى الجوع على النقيض من مريض قرحة المعدة الذى يشعر بألم الجوع Hunger Pain إلى درجة بالغة ، لكنه يعانى من عنف الألم غير المحتمل عند الأكل ، وهذا يجعله يخاف أن يأكل ، بل شديد الخوف من الطعام وهذا هو سر الهزال الشديد والضعف المستمر الذى يكابده ويقاسيه ، ويشترك مريض قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر فى حدوث القىء المصحوب بالألم الشديد الذى سرعان ما يختفى بالقيىء ، وربما يكون هذا القىء نتيجة انسداد فتحة البواب Pyloric Obstruction

التشخيص والعلاج
Diagnosis And Treatment

يجب عرض المريض نفسه على الطبيب المعالج المتخصص الذى يأمره بعمل صور أشعة عادية ومصبوغة ، وقد يطلب منه أيضاً عمل مناظر مثل منظار المعدة Gastroscopy والمناظير الحديثة فى هذه الأيام قد تطورت تطوراً عظيماً جداً عن ذى قبل وأصبح فى امكانها تحديد القرحة ووصفها تماماً لأن الاخصائى يراها بالمعاينة . وغالبا ما يأمر الطبيب بتحليل عينة من العصير المعدى Gastric Juice Sample واستبانة درجة حموضته .

أما العلاج فينقسم إلى شقين : -

العلاج الباطنى Medical Treatment

والعلاج الجراحى Surgical Treat-ment

ويتم العلاج الباطنى باعطاء المريض مضادات الحموضة ، ومركبات البلادونا Belladonna ومن أحدث العقاقير المعالجة الآن تلك التى تضاد مستقبلات (**أيون الأيدروجين**) . Hydrogen ion Receptor Antagonists .

وقد أعطت نتائج طيبة فى كثير من الحالات الصعبة والنوبات الحرجة ، فضلاً عن تنظيم الغذاء بالقلويات والإكثار من اللبن الحليب . أما العلاج الجراحى Surgical interference فلا يكون إلا بعد وقوع صعوبة الأعراض وشدتها وتفاقم الأزمات واطرادها ، أو ازدياد كميات الدم المسفوحة خلال عملية القيء فضلا عن ارهاق المريض بصورة مفزعة .

ملاحظـــــة : -

لوحظ أن العلاج الطويل المدى بالقلويات ومضادات الحموضة لمرضى القرحة لفترة طويلة يسبب ترسيبا لعنصر الكالسيوم فى الكلى مما يسبب تدميرا شديداً للكلى ينتهى فى النهاية بالفشل الكلوى الحاد أو المزمن . Renal Failure due to nephro calcinosis.

لذلك نَنْصح أن يكون العلاج تحت الإشراف الطبى المباشر الذى لا يمكن أن يستغنى عنه المريض لحظة واحدة .

أخيراً وليس آخرا فإن مجرد شعور أى إنسان بالقيء الدموى لابد أن يختلف إلى الطبيب مباشرة لاستشارته وعرض الأمر عليه ، لأن كثيراً من الناس يأخذون الأمر بيسر وبساطة متوهمين أنها مجرد عوارض سوف تنجلى ، أو ربما يأخذون بعض الأدوية من غير استشارة فيزداد الطين بلة ، وتتعقد الأمور ، لذلك ننصح بالمسارعة والتعجيل بارجاع الأمر إلى ذويه من المتخصصين حتى نأمن غائلة المرض . والله المستعان .

طرائف

« هكذا فاصنعوا »

قيل لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فلان يتابع الشراب ، فكتب إليه : « انى احمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » .

فلم يزل الرجل يرددها ويبكى حتى صحت توبته ، وبلغت توبته سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ .

فقال لمن حضروا مجلسه : هكذا فاصنعوا ؛ إذا رأيتم أخا لكم قد زل فسددوه ووفقوه ، وادعوا الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه .

مراتب الخوف

قال أبو على الدقاق : الخوف على مراتب ؛

الخوف والخشية والهيبة :.........................

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته ، قال ـ تعالى : ـ « وَخافونِ إن كنتمْ مُؤْمِنِين » .

والخشية من شرط العلم ، قال الله ـ تعالى : ـ « إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

والهيبة من شرط المعرفة ، قال ـ تعالى ـ : « وَيُحَذِّرَكُمُ الله نَفْسَهُ » .

« تمام التقوى »

قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه :

تمام التقوى : أن يتقى اللهَ العبدُ ، حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، حجابا بينه وبين الحرام .

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

« نصيحة »

دخل أحد الأمراء على أمه وهو يبكى بعد أن سقطت إمارته فى يد الأعداء .

فقالت له أمه :

يابنى إن الملك الذى يبكى عليه أصحابه لا يعود ؛ إنما يعود الملك الذى يقاتل عنه أصحابه .

« قالوا .. »

● من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه .

● إذا بلغك من أخيك ما تكره فاطلب له من عذر إلى سبعين عذرا ، فإن لم تجد له عذرا فقل : لعل له عذرا لا أعرفه .

● من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه، ومن طلبها بمعصيته وضعه الله وأذله .

● لا يكن أفضل ما نلت من دنياك : بلوغ لذة ، أو شفاء غيظ ، ولكن إطفاء باطل وإحياء حق .

● إذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فاقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك .

« حذار حذار من فتكى وبطشى »

دع الدنيا الدنية مع بنيها
وطلقها الثلاث وكن نبيها
ألا يكفيك ما قد قيل فيها
هى الدنيا تقول بملء فيها
« حذار حذار من فتكى وبطشى »

« دعاء »

اللهم اجعل خير عملى ما قارب أجلى ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع .

من هو الولى ؟

للأستاذ الشيخ أحمد قطب

من هو الولى ؟ سؤال تحتاج الاجابة عنه الى وعى علمى ، وحس ثقافى وعقلية توازن بين التحديد الاسلامى للولى والخروج بهـــذه الصفة الى غير ما أراد الله لها ومنها .

اننا فى حاجة الى رد الامور الى نصابهــا وتوضيح هذه الخاصية الالهية توضيحا يـــرد للبسطاء رشدهم ، ويضع أيديهم على حقيقة « الولى » كيلا تختلط الأمور لديهم فيصبحوا فى حيرة وبلبلة .

قال الاستاذ : رحمه الله :

من هو الولى ؟

يتساءل كثير من الناس عن حقيقة الــولى ومميزاته ، ويحارون فى معرفة ذلك حين يرون أو يسمعون أن بعض الأشخاص يلزم بيته ، فلا يخرج لصلاة ، ولا يؤدى عبادة ، ومع ذلــك يجد من يعتقد فيه الولاية ، ويتبــــرك به ، ويستشفى بزيارته ، ويستنبئه عن المغيبــات ومايجرى به القدر من الوقائع والحوادث ، ثم يتأول عدم صلاته بأن له أحوالا خاصة تسقط عنه الفرائض ، أو يزعم أنه يصلى عند البيت الحرام ثم يعود من غير أن يشعر به أحد .

ولقد يكثر الجدل عندنا فى مثل هذه المسائل، ويشتد النزاع عليها ، ثم لايصل المتنازعــون الى نتيجة حاسمة ، أو غاية واضحة ، تقضى على أسباب النزاع ، وتزيل ما شجر من خلاف، ولو أنهم اذ يتنازعون يرجعون الى قول الله ورسوله ، ويرضون به حكما ، لخلصوا أنفسهم من الحيرة ، واهتدوا بعد الضلال ، وظهر لهم الحق واضحا لا لبس فيه ولا ابهام : **« فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .**

وها نحن الآن نقرر المســـــألة التى نحن بصددها مستندين فيما نقرر الى مانطق بــه الكتاب العزيز ، وماورد عن الصادق المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وما روى عن بعض الصوفية ، ليعلم هؤلاء الأدعياء حظهم مــن الدين ، والى أى حد جنوا على صلتهم بأسلافهم

إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

وابتعدوا عن هديهم وطريقهم ، فنقول وبالله التوفيق :

قال الله تعالى : « **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** » • فمن هذه الآيات ، نتبين أن الولى هو الذى جمع الى الايمان الكامل التقوى الدائمة المتصلة ، ومن هنا قالوا : انما سمى الولى وليا ، لأن الله قد تولاه بالمعونة والنصر ، والتأييد والحفظ ، أو لأنه قد والى بين طاعات الله ، وواصل بين أعمال البر والخير ، فلم يفعل من المعاصى والشرور مايقطع تلك الحلقات المتصلة المتوالية •

واذا كانت الولاية الحقة تعتمد أمرين : الايمان الكامل ، والتقوى الدائمة ، فقد تكفل القرآن الكريم ببيانهما وشرحهما فى غير آية ، اقرأ قوله تعالى : « **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ • أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » • وقوله جل شأنه : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ • أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** » • واتل ان شئت « **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ • كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ • وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** » ذلك من الآيات ، وهى كثيرة ، وكلها ناطقة بأن الايمان لا يتم ، والتقوى لا تتحقق ــ وهما حقيقة الولاية ــ الا باقامة الفرائض ، والمحافظة على الشعائر ، والسبق الى الخيرات والتزام الحدود •

ويحدثنا البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه** » • فالحديث يبين أن أولياء الله هم الذين يتقربون اليه بما فرض من فرائض ، وشرع من واجبات ، ثم يرقون من ذلك الى الاستزادة من فعل النوافل والمندوبات لتصفو نفوسهم ، وتستنير قلوبهم ، فمن كان كذلك قربه الله اليه ، وأدناه من حضرته ، ورقاه الى درجة الاحسان ، فعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله ومحبته ، وتعظيمه واجلاله ومهابته ، والأنس به والشوق اليه ، ومتى امتلأ القلب بذلك ،

محا عنه كل ماسواه ، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ، فلا ارادة له الا ما يريده منه مولاه ، وحينئذ لاينطق الا بذكره ، ولايتحرك الا بأمره فان نطق نطق بالله ، وان سمع سمع بالله ، وان نظر نظر به ، وان بطش بطش به ، فلا تنبعث الجوارح الا بالطاعة ، ولا يصدر عنها الا ما يرضى الله • والحديث يبين بعد أن من نتائج تلك المحبة أن العبد اذا سأل الله شيئا أعطاه اياه ، واذا استعاذ به من شيء أعاذه منه ، وان دعا أجابه لمنزلته منه ، وكرامته عليه •

وفى مسند الامام أحمد من حديث عمر رضى الله عنه : « ان من عباد الله ناسا ماهم بأنبياء ولاشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعالى ، قالوا : يارسول الله من هم قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله انوجوههم لنور ، وانهم لعلى منابر من نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الآية « أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » • والحديث يصف لنا الأولياء ببعض مميزاتهم وأوصافهم ، وأنهم يتحابون فى الله ، ويجتمعون على طاعة الله ، من غير أن تكون بينهم أرحام أو أنساب تربطهم ، ومن غير أن تكون لهم أغراض دنيوية تجمعهم •

وروى البزار من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رجل : يارسول الله من أولياء الله ؟ قال : « الذين اذا رءوا ذكر الله » أى أن لهم من حسن السمت فى الطاعة وآثار الصلاح ومظاهر التقوى ، وعلامات الخضوع والاخبات والانابة ، مايذكر الناس بربهم ، ويحملهم على التأسى بهم ، والاقتداء بأفعالهم •

فهذا بعض مما نطق به القرآن ، وجاءت به الأحاديث فى بيان الأولياء وشرح مميزاتهم وخصائصهم ، فمن تحقق بها وكمل بها نفسه، فقد صار فى زمرتهم ، وليس بلازم أن يخرق الله له العادات ، أو يظهر على يديه من الكرامات ما هو غير معهود ومألوف (كالمشى فى الهواء ، والمشى على الماء والاخبار بالمغيبات) مما يرى بعض العامة أنه ضرورى للولاية • وحسبه كرامة عناية الله به ، ورعايته له ، ومحبته اياه ووقايته من الفتن والشهوات ، وحفظه من المعاصى والمنكرات ، حسبه أن الله وليه وناصره ومعينه ومسدده ، وأنه سميع لدعائه ، مجيب لندائه ، محارب من يعاديه ويؤذيه ، موال من يحبه ويواليه •

فأين مما ذكرنا أولئك الذين يدعون الولاية ويحترفون بها ؟ هل يعرف الدين أن الولاية حرفة وباب رزق يدر على الولى الأموال الطائلة من الجهلة والبسطاء •

وهل تتفق الولاية مع هذا الجشع والاحتيال على الدهماء •

ولماذا لاتنفح النفحات ولاتمنح البركات الا بالنقود يبذلها السفهاء •

وهل تبقى ولاية لمن يسأل الناس ويتكففهم بعد قول امام الأنبياء وسيد الأولياء وصفوة الأتقياء صلوات الله وسلامه عليه : « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم

حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة من لحم » ؟

لكن القوم ـ عافاهم الله ـ يدعون أن لهم أحوالا تغاير أحوال الشريعة ، وأن الشريعة شىء والحقيقة شىء آخر ، فعملهم خاضع للحقيقة وان أنكرته الشريعة ، لذلك يبيحون لأنفسهم أن يسألوا غير الله ، ويحتالوا على جمع المال بشتى الوسائل والأساليب ، فيجلس أحدهم فى بيته فيأتيه الأغرار للاستشفاء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وتزويج الأيامى وتوظيف العاطلين الى آخره ، وليس عليهم بعد ذلك من حرج اذا تركوا الصلاة والصوم وهجروا شعائر الدين ، واختلوا بالنساء ، ما داموا قد تحللوا من قيود الشرع وصارت لهم أحكام خاصة بهم • ومن العجيب أن هذه الدعوى الفاسدة لاتزال تجد عقولا تصدقها وتخدع بها ، ولاتزال تجد من يروج لها من العامة وأشباه المتعلمين ، وهى تتصل الى حد كبير بما أدخل على طرق المتصوفة فى زماننا من الأحداث والبدع المنافية للدين •

فقد كان الغرض الأسمى من التصوف عند السلف الصالح ، هو رياضة النفوس وتهذيبها، ومعالجة أمراض القلوب واصلاحها ، والأخذ بعزائم الأمور ، والزهادة فى متاع الغرور ، كل ذلك على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، كما يعلم ذلك من تتبع أحوالهم ، ودرس تراجمهم، واطلع على مؤلفاتهم ، وقرأ مالهم من الحكم الجليلة والمواعظ المفيدة ، ورأى أنهم كانوا على علم بالدين أضافوا اليه الاخلاص فى العمل به، والسير على منهجه ، فكان لهم بذلك أثر طيب فى تهذيب النفوس وارشادها ، وهدايتها من ضلالها ، وكانت لهم جولات صادقة فى الدعوة الى الله ، ومجتمعات حافلة للتذكير والارشاد أنجبت كبار الوعاظ والزهاد •

أما اليوم فقد أصبحت الطرق ـ الا ماعصم ربك ـ وسائل لكسب العيش، وفرض الضرائب والاتاوات ، وأسندت شئونها لكثير ممن يجهل الضروريات من دينه ، ولا يعرف السنة من البدعة ، ولا يدرى متى تصح العبادة ومتى تبطل ، ولا يستطيع أن يعالج قلبه من مرض العجب والحسد وحب الشهرة والصيت : فلا الشريعة درسها ، ولا الحقيقة عرفها • أصبح التصدى لارشاد الناس بدعوى التصوف ميسورا لكل أمى جاهل ، لا يعرف صفات ربه ، ولاسيرة نبيه ، فيبتدعون فى الأذكار ما تمليه أهواؤهم ، وتحسنه شهواتهم ، ولا تسل عن تحريف فى أسماء الله وتمايل ورقص ، وصفير وضرب بالدف ، وغير ذلك من كل ما يخالف الآداب ، ويبرأ منه سلفهم الأولون • وليس من شك فى أنه كان لهذا أثره السيىء فى قلب الأوضاع وانعكاس الأفهام ، وظهور بعض من رجال الطرق بمظهر الولاية الزائفة ، والصلاح المصطنع الذى لايرتكز على أساس من الدين ، ولا يمت بسبب الى صفات المتقين •

قال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام • وقال أيضا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا العلم ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة • وقال أبو الحسين الثورى : من رأيته يدعى مع الله حالا تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربه ، ومن رأيته يدعى

مع الله حالة لا يشهد لها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه .

والنتيجة اذن أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد الولاية فى شخص لا توافق أعماله ما جاءت به الشريعة ، على نحو ما فصلناه . أما دعوى الصلاة فى مكة ، فهى دعوى لايقام لها وزن ولا يلتفت اليها ، كما أن الدراويش والمجاذيب لاتثبت لهم الولاية من أجل (دروشتهم وانجذابهم) اذا كانوا فى ذهول حقيقى قد أثر على عقولهم ، فأصبحوا لايدركون ماحولهم ، ولكنهم اصطنعوه للتمويه على الناس ثقة منهم بأن هذا هو السبيل الذى به تعتقد ولايتهم ، لما وقر فى نفوس العامة من أن هذا المظهر من دلائل الولاية وعلامات البركة ، كأن الولاية وقف على كل أبله (عبيط) يلقى الكلام جزافا، وينطق بالالغاز والعبارات التى لايفهم لها معنى ، ولا يدرك لها مغزى ، ويلبس المرقعات ويمشى فى الأسواق حافى القدمين مكشوف الرأس عارى الجسم . اللهم ان الحق أبلج ، والطريق واضح ، والسبيل نير ، ولكن أكثر الناس يجهلون ، فهل آن لهم أن يسلكوا الطريق المستقيم ، وأن يعتمدوا فى آرائهم وأعمالهم على مانزل به الذكر الحكيم ، وأن يستمدوا معلوماتهم من هدى الرسول الكريم ؟ « **يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** » .

رزقنا الله محبته ومحبة أوليائه ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

لغة وأدب ونقد

سر الكلمة في القرآن الكريم

وقفات على شاطئ آية

أنباء وآراء

سر الكلمة فى القرآن الكريم

من أسرار العربية فى البيان القرآنى

٢

سر الكلمة فى القرآن الكريم :

لله جل شأنه سر فى كل حرف ولفظ فى كتابه ، فتارة يقدم كلمة على كلمة فى آية ، وفى آية أخرى يؤخرها ، نحو قوله تعالى فى سورة البقرة ١٤٣ : « وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، وفى سورة الحج ٧٨ يقول عز وجل : « لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ » وكقوله تعالى فى سورة القصص ٢٠ : « وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى » وفى سورة يس ٢٠ يقول جل وعلا : « وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى » .

وتارة يزيد حرفا فى موضع وينقصه فى موضع آخر نحو قوله تعالى فى سورة يوسف ١٠٩ « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ » وفى سورة الأنبياء ٧ يقول عز وجل : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ » وكقوله تعالى فى سورة النحل ٦٥ : « فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » وفى سورة العنكبوت ٦٣ يقول الله تعالى : « فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا » .

وتارة يُنَكِّرُ كلمة فى آية ، ويعرِّفها فى آية أخرى ، نحو قوله تعالى فى سورة البقرة ١٢٦ « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا » وفى سورة إبراهيم ٣٥ قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » .

وتارة يغيِّر حرفا عن حرف كقوله تعالى فى آية البقرة ٣٥ : « وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا » وفى الأعراف الآية ١٩ يقول جل وعلا : « وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا » ومنه قوله تعالى فى آية البقرة ١٣٦ : « وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا » وفى آية آل عمران ٨٤ يقول عز وجل : « وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا » وكقوله

د. سهير محمد خليفة

تعالى فى آية الأعراف ١٢٣ « آمَنتُم بِهِ » وفى آية طه ٧١ يقول تعالى « آمَنتُمْ لَهُ »[1] .

ونقل السيوطى عن البارزى قال :

اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ، وكذلك كل واحد من جزأى الجملة قد يعبر عنه بأفظع ما يلائم الجزء الآخر ، ولا بد من استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها ، واستحضار هذا متعذر على البشر فى أكثر الأحوال . وذلك عتيد حاصل فى علم الله . فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه ، وإن كان مشتملا على الفصيح والأفصح ، والمليح والأملح ، لذلك أمثلة منها : ... قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية ٤٨ : « وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ » أحسن من التعبير بـ : تقرأ ، لثقله بالهمزة ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة آية ٢ : « لَا رَيْبَ فِيه » أحسن من « لا شك فيه » لثقل الادغام ، لهذا كثر ذكر الريب . ومنها « ولا تهنوا » أحسن من « ولا تضعفوا » لخفته ، و« وهن العظم منى » أحسن من « ضعف » لأن الفتحة أخف من الضمة ، ومنها « آثرك الله » أخف من « فضلك » ... و« أنذر » أخف من « خوف » .. و« نكح » أخف من « تزوج » لأن فَعَلَ أخف من تَفَعَّل ، لهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر ..

فهل يكون سر الاعجاز فى النص القرآنى أنه سبحانه وتعالى استعمل لفظة مكان لفظة لخفتها أو عدم إدغامها ، أو أن الفتحة أخف من الضمة ، أو أن فَعَل أخف من تَفعَّل ، دون ملحظ من المعنى فى استعمال لفظ دون آخر ؟

لو تدبرنا على سبيل المثال لا الحصر بعض الألفاظ القرآنية التى قال عنها علماء اللغة . إنها استعملت أكثر من غيرها لخفتها أو .. أو .. لهدى الاستقرار والتدبر إلى ملاحظة معنوية لا يقوم لفظ فيها مقام آخر .

الريب والشك

من ذلك قولهم : إن « لا ريب » أحسن من « لا شك » ، ولثقل الادغام فى الثانية كثر استعمال الأولى .

فالجوهرى فى « الصحاح » : مادة : « ريب » قال : الريب : الشك ، والاسم : الريبة بالكسر وهى التهمة والشك ، وارتاب فيه أى : شك . وجاء فى « القاموس » وارتاب : شك وبه تهمة .

وكذلك ذهب ابن منظور فى « لسان العرب » إلى أن قوله تعالى : « لَا رَيْبَ فِيهِ » بمعنى : لا شك فيه . فلا يبدو تفرقة بين الشك والريب والتهمة .

والذى فى « مفردات القرآن » أن الريب :

---

(١) انظر البرهان فى علوم القرآن ١/١١٢ : ١٣٢

الأمر الذى لا شبهة فيه . أو أن تتوهم بالشىء أمرا فينكشف عما تتوهمه(٢) .

وكذلك فرق أبو هلال العسكرى بين الشك والارتياب ، بأن الارتياب شك مع تهمة ، والشاهد أنك تقول : إنى شاك اليوم فى المطر ، ولا يجوز أن تقول : إنى مرتاب بفلان إذا شككت فى أمره واتهمته(٣) .

والجوهرى فى مادة « شكّ » لم يقل إن الشك هو الريب ، بل الشك عنده : خلاف اليقين .

ومثله فى « القاموس » مادة « شك » : الشك : نقيض اليقين ، واستواء طرف التجويز . وقيل : اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود امارتين متساويتين عند النقيضين ، أو لعدم الامارة فيهما .

والشك ربما كان فى الشىء هل هو موجود أو غير موجود ؟ وربما كان فى جنسه ، من أى جنس هو ؟ وربما كان فى بعض صفاته ، وربما كان فى الغرض الذى لأجله أوجد .

والشك ضرب من الجهل . وهو أخص منه ، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا ، فكل شك جهل ، وليس كل جهل شكا . واشتقاقه إما من شككت الشىء أى خرقته .. فكأن الشك : الخرق فى الشىء ، وكونه بحيث لا يجد الرأى مستقر يثبت فيه ويعتمد عليه .

ويصح أن يكون مستعارا من الشك ، وهو لصوق العضد بالجنب ، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للفهم والرأى لتخلل ما بينهما ، ويشهد لهذا قولهم : التبس الأمر واختلط ، وأشكل ، ونحو ذلك من الاستعارات(٤) .

ولو تدبرنا الاستعمال القرآنى لكلمتى « ريب » و« شك » وجدنا أن الكلمة الأولى لا تخرج عن الأمر الذى لا شبهة فيه ، ولم تخرج عن أن المرتاب فيه : القرآن الكريم ، أو يوم القيامة والبعث والساعة وتحديد الأجل(٥).

وأما « لاشك فيه » فالآيات التى وردت فيها موجهة إلى الكفار فيما عدا آية يونس ٩٤ فهى خطاب للنبى صلى الله عليه وسلمّ : « فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ . »

قيل : الظاهر أن « إن » شرطية تقتضى تعليق شىء على شىء ، ولا تستلزم تحتم وقوعه ، ولا إمكانه . بل قد يكون فى المستحيل عقلًا ، كقوله تعالى : « قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ . » ويستحيل أن يكون له ولد ، فكذلك يستحيل أن يكون عليه السلام فى شك . فهذه الآية من ذلك .

وقيل : « إن » نافية ، وقيل : الخطاب لغير الرسول عليه السلام ، وقيل : معنى شك : فى ضيق ، ولا يراد به حقيقة الشك ، وهو

---

(٢) مفردات القرآن للراغب الاصفهانى مادة « ريب » .

(٣) الفروق اللغوية ص ٨٠ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن مادة « شك »

(٥) انظر آيات البقرة ٢،٢٣، آل عمران ٩،٢٥، النساء ٨٧، الأنعام ١٢ ويونس ٣٧، والاسراء ٩٩، الكهف ٢١، الحج ٥،٧، السجدة ٢، غافر ٥٩ ، الشورى ٧ ، الجاثية ٢٦،٣٢ ، الطور ٣٠

تساوى الجائزين ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق »(٦)

وبهذا الفرق يُردّ على من ذهب من اللغويين أو المفسرين الذين يفسرون قوله تعالى : « لا ريب » بـ : « لاشك » على ما رأينا من اختلاف فى الدلالة اللغوية لاستعمال كل من الكلمتين بما يبعد القول بترادفهما ، كما يبعده الاختلاف الظاهر فى الاستعمال القرآنى للكلمتين .

ومما يؤكد عدم ترادف الشك والريب قوله عز وجل :
« وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ . » هود ٦٢ ، وانظر الآية فى « إبراهيم » وقوله عز وجل « وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ » هود ١١٠ وانظر الآية فى فصل ٤٥ وسبأ ٥٤ ، الشورى ١٤ .

فلا يوصف الشك بمريب إذا كان هو . هو .

تلا وقرأ

عن علماء اللغة والمفسرين أن القرآن الكريم قد يخبر عن المعنى الواحد بألفاظ بعضها أحسن من بعض ، وذلك نحو قوله تعالى : « وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ . » العنبكوت ٤٨ ، أحسن من التعبير بـ : تقرأ لثقله بالهمزة(٧) .

وإذا رجعنا إلى المعنى اللغوى لكلمتى : تتلو وتقرأ ، وجدنا أن التلاوة معناها المتابعة ، وتكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء فى الحكم ، وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ، ومصدره تلاوة .

ومن التلاوة بمعنى الاتباع آية الشمس ، « وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا » .

والفعل : تلا يتلو تلوًّا : تبع ، ومنه جاء تِلْو فلان ، وجاءوا على التوالى . وأما تلا : قرأ فالمصدر تلاوة .

ومن ملاحظ الاستقراء أن « تلا » بمعنى تبع لم تأت إلا فى آية الشمس .

على حين كثر مجيئها من التلاوة : فعلاً ماضياً ، ومضارعاً ، وأمراً . فيما يقرب من خمسين مرة . مما يؤنس إلى أن العربية لا تتصرف فى « تلا : تبع » بمثل السعة والوفرة ، لا : تلا : قرأ . وإن كان المتابعة أصلاً للمادة .

ويغلب أن تختص التلاوة فى القرآن الكريم باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة ، وتارة باتباع ما فيها من أمر ونهى وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك .

قال الراغب : وهو أخص من القراءة ، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة . ولا يقال : تلوت رقعتك ، وإنما يقال فى القرآن فى شىء إذا قرأته وجب عليك اتباعه .
« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا » الأنفال ٣١ ، « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ » آل عمران ١٠٨ .

وأما قوله تعالى : « يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» البقرة ١٢١ ، فاتباع له بالعلم والعمل .. وقوله تعالى : « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ »

(٦) البحر المحيط ٥/١٩٠

(٧) الاتقان فى علوم القرآن ٢/١٥٩

البقرة ١٠٢ استعمل فيها لفظ التلاوة لما كان يزعم الشياطين أن ما يتلونه من كتب الله[٨].

وأما القراءة فهى الجمع ، يقال : قرأت الشىء قرآنا : جمعته ، وضممت بعضه إلى بعض .

قيل : وسمى القرآن قرآنا : لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض .

فالقراءة إذاً كما عرفها الراغب الأصفهانى : ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل ، وليس يقال ذلك لكل جمع ، لا يقال : قرأت القوم إذا جمعتهم . ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوّه به : قراءة . قال تعالى فى آية النحل ٩٨ « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » وقال تعالى فى آيتى القيامة ١٧ ، ١٨ « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » .

ونقل الراغب عن ابن عباس أنه قال : إذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به . وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم ..

وعن بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : « وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ . » وقوله عز وجل : « تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ . » وقوله تعالى : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ . » « وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ »[٩]

وعند أبى هلال العسكرى أن الفرق بين القراءة والتلاوة ، أن التلاوة : لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً ، والقراءة تكون للكلمة الواحدة ، يقال . قرأ فلان اسمه ، ولا يقال : تلا اسمه ، وذلك أن أصل التلاوة : اتباع الشىء الشىء ، يقال : تلاه إذا تبعه ، فتكون التلاوة فى الكلمات يتبع بعضها بعضاً ، ولا تكون فى الكلمة الواحدة ، إذ لا يصح فيه التلو[١٠].

أنذر وخوف

قال بعض العلماء : إن القرآن الكريم استعمل كلمة « أنذر » أكثر من « خوّف » لإن الأولى أخف من الثانية ، ولم يلحظوا الفرق فى الدلالة بين الكلمتين ، وكلتاهما من الألفاظ القرآنية .

ومن اللغويين من فسر أنذر بمعنى خوّف[١١].

ويهدى التدبر إلى فرق فى الدلالة بينهما :

الإنذار : إخبار فيه تخويف ، كما إن التبشير أخبار فيه سرور ، قال تعالى فى آية الليل ١٤ « فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى » .

وقال عز وجل فى آية فصلت ١٣ « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ »وقال تعالى فى آية الأحقاف « وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ » وفى آية الشورى ٧ ، «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ »وقال عز

---

(٨) المفردات : تلا

(٩) مفردات الراغب : مادة قرأ

(١٠) الفروق اللغوية صـ ٤٨

(١١) انظر لسان العرب مادة نذر

من قائل فى آية يس ٦ « لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ » .

ونقيضه : البشرى ، على أن القرآن الكريم قد يستعمل البشرى فى سياق النذير ، مبالغة فى الوعيد ، كقوله عز وجل فى آية لقمان ٧ ، والجاثية ٨ « فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »وقوله عز وجل فى آل عمران ٢١ والتوبة ٣٤ والانشقاق ٢٤ « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

وأما الخوف : فهو توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة ، كما أن الرجاء والطمع : توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة .

ويضاد الخوف : الأمن ، ويستعمل ذلك فى الأمور الدنيوية والأخروية ، قال تعالى فى آية الاسراء ٥٧ « وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » .

وقوله تعالى فى آية الأنعام ٨١ فى خبر إبراهيم عليه السلام وقومه : « وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ » . وقال عز وجل فى آية السجدة ١٦ « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا » وقوله تعالى فى آية النساء ٣ « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا » وقوله تعالى فى آية النساء ٣٥ « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا » .

وقد فُسِّر ذلك بـ : عرفتم ، حكاه الراغب قال : وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم .

والخوف من الله لايراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد ، بل إنما يراد به الكف عن المعاصى ، وتحرى الطاعات ، ولذلك قيل : لايعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا ، والتخويف من الله تعالى هو الحث على التحرز ، وعلى ذلك قوله تعالى فى آية الزمر ١٦ « ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ » .

ونهى الله تعالى عن مخافة الشيطان والمبالاة بتخويفه فقال تعالى فى آية آل عمران ١٧٥ : « إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ » . أى : فلا تأتمروا الشيطان وائتمروا لله »[١٢] .

من تدبر ايات الانذار والخوف نهتدى إلى أن الانذار يكون وعيدا من الله تعالى ، وبلاغا من الرسل عليهم السلام بالوعيد ، ويأتى من الجبابرة غرورا وطغيانا .

وأما الخوف فلا يسند إلى ذى الجلال والإكرام ، ويكون من الصفوة الرسل والمؤمنين ، خشوعا وتقوى ، والتخويف تحذير يرُجى أن يجدى .

وهذا الفرق بين أنذر وخوَّف يجعلنا لا نطمئن إلى القول بأن أنذر فى القرآن تأتى بمعنى خوَّف ، أو أن أنذر تستعمل بدلا من خوَّف لخفة الأولى وثقل الثانية ، أو لترادف معنيهما .

نكح وتزوّج

قيل[١٣] : إن القرآن الكريم استعمل كلمة « نكح » أكثر من « تزوّج » ، لأن فَعَل أخف من تفعَّل ، ولهذا كان ذكر النكاح أكثر . كما أن من علماء اللغة من فسر إحداهما بالأخرى .

فقال ابن منظور : تزوّج فى بنى فلان : نكح فيهم . « اللسان مادة : زوج » .

←

« ١٢ » مفردات الراغب : خوف

« ١٣ » أنظر الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ١٥٩

سر الكلمة

والذى فى مفردات الراغب . ومعنى الزوج : الفرد الذى له قرين . أى كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى فى الحيوانات المتزاوجة زوج ، ولكل قرينين فيها وفى غيرها زوج كالخف والنعل ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادا : زوج ، قال تعالى : « فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » . القيامة ٣٩ .[١٤] .

وفى اللسان لابن منظور قال : « قال ابن سيده : الزوج : الفرد الذى له قرين ، والزوج : الاثنان ، وعنده زوجا نعال ، وزوجا حمام ، يعنى ذكرين أو أنثيين ، وقيل : يعنى ذكرا وأنثى ، ولا يقال زوج حمام ، لأن الزوج هنا هو الفرد ، وقد أولعت به العامة . قال أبو بكر : العامة تخطىء فتظن أن الزوج اثنان ، وليس ذلك . من مذاهب العرب ، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا فى مثل قولهم : زوج حمام ، ولكنهم يثنونه فيقولون : عندى زوجان من الحمام ، يعنون ذكرا وأنثى ..

قال ابن سيده : ويدل على أن الزوجين فى كلام العرب اثنان قول الله عز وجل : « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » . النجم ٤٥ ، فكل واحد منهما كما ترى زوج ، ذكرا كان أو أنثى ، وقال الله تعالى « فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ » المؤمنون ٢٧

وكان الحسن يقول فى قوله عز وجل : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » الذاريات ٤٩ ، قال : السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج ..[١٥]

والزواج فى اللغة : القران والاقتران

وفى المصطلح يدل على عقد القران .فيقال : عقد فلان قرانه ، كما يقال : عقد زواجه .

والزوجان : قرينان .

وأما النكاح لغة فى « صحاح الجوهرى » فهو الوطء ، قال : وقد يكون : العقد ، تقول : نكحت أى تزوجت ، وأنكحها أى : زوّجها « مادة : ن ك ح »

والكلمتان « زوج ونكح » كلتاهما من معجم الألفاظ القرآنية ، وآيات التزويج فيه لايقرب حملها على الوطء ، بل على الاقتران ، كما فى آية الأحزاب ٣٧ « فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا » .

ولعله الملحظ الاستعمالى فى مجىء التزويج بالحور العين فى الجنة مسندا إلى الله عز وجل « الدخان ٥٤ ، والطور ٢٠ »

ولم يأت النكاح قط فى مثل هذا السياق .

قال القرطبى : « ونكح أصله الجماع ، ويستعمل فى التزويج تجوزا واتساعا[١٦] قال الراغب : وقوله تعالى : « وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ » .. الطور ٢٠ أى قرنّاهم بهن ، ولم يجىء فى القرآن زوجناهم حوراً ، كما يقال : زوجته امرأة ، تنبيها أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة[١٧] .

« ١٤ » مفردات الراغب مادة : زوج .
« ١٥ » لسان العرب مادة زوج .
« ١٦ » الجامع ٢/ ٦٧ .
« ١٧ » المفردات مادة زوج .

وأما « نكح » فأصل النكاح للعقد ، ثم استعير للجماع ، ومحال أن يكون فى الأصل للجماع ثم استعير للعقد ، لأن أسماء الجماع كلها كنايات ، لاستقباحهم ذكره كاستقباحهم تعاطيه ، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم مايستفظعونه لما يستحسنونه(١٨)

وجاء النكاح بمعنى الوطء بالزواج فى آية البقرة ٢٣٠ قال تعالى : « فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ . . »

وبمعنى عقد الزواج فى آية الأحزاب ٤٩ . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ . . »

وآية البقرة ٢٣٥ فى المعتدات لوفاة أزواجهن : « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ » .

وآية البقرة ٢٣٧ فى المطلقات قبل الدخول بهن : « وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ » .

وبعد أن عرضنا على سبيل المثال لا الحصر بعض الألفاظ القرآنية التى فسرها بعض علماء اللغة بمرادفتها ، أو قالوا إنها استعملت أكثر من غيرها لخفتها ، أو أن الفتحة أخف من الضمة أو .. أو .... يتضح أن الاعتبار فى اختلاف الألفاظ باختلاف الدلالات وليس لمجرد ملحظ شكلى أو تسوية للصنعة الإعرابية ، ومنه يتجلى سر الاعجاز ، بأنه لا تقوم لفظة مقام أخرى وإن قيل بترادفهما ، كما لا يجوز أن يقوم حرف مقام حرف وإن بدأ أنه فى معناه ..

وقديما حاول بعض علماء اللغه والبيان أن يؤولوا فى الألفاظ القرآنية أو الحروف لتتمشى مع الصنعة الإعرابية ، ولكن بقيت هذه الحروف ببيانها وسر اعجازها الذى تتحدى به كل محاولة بتقدير : بحذف أو زيادة

« ١٨ » المفردات مادة : نكح .

وقفات على شاطئ آية

والبحر المسجور(١)

أمام هذا القسم الالهى المقدس كم وقفت مليا شارد اللب ، حائر الفكر ، مرتجف الأوصال ، شاخص البصر فى مشاهد خلف حجب الغيب لم يحن بعد أوان وقوعها ، كما وقفت كذلك أمام الآيتين الكريمتين « وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ » (٢) «وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ» (٣) وقد شعرت ازاء الآيات الثلاث أنى أمام صندوق محكم الغلق مفعم بعجائب الأسرار وبواهر الأحداث والأخبار ، فمن لى بمفتاح ذلك الصندوق الربانى الذى أستشعر خطر ما فيه دون أن أدرك على وجه اليقين كنهه وحقيقته الا بقدر ما توحى به بوادر الظنون ، وما يصوره الحدس والتخمين « وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » (٤) ، فرحت أستلهم أسفار التفسير .

فاذا مدلول مادة سجر ــ كما جاء فى معاجم اللغة ــ هو ملأ تقول : سجرت النهر أو الاناء أى ملأته ماء ، وسجرت التنور ملأته نارا ونلاحظ أن الظرف (اذا) فى الآيتين الكريمتين **« وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ » ، « وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ »** يفيد أن التسجير والتفجير غير حاصلين الآن وسيحدثان فى المستقبل المجهول حين يأذن الخالق القدير بانتهاء الحياة الدنيا ، وقيام الساعة ، لذا فان المتأمل بحس مرهف ينعطف الى ترجيح أن يكون المراد بالبحر المسجور هو امتلاؤه بالنار المتسعرة وهو ماذهب اليه بعض المفسرين ، وهو أيضا من مدلولات مادة سجر فى اللغة العربية لغة القرآن الحكيم ، وعندى أنه الأنسب المتسق مع سياق الآيات السابقة واللاحقة فى السور التى جاءت فيها ، والتى تصور لنا الهول الأكبر والانقلاب المروع الشامل ، ذلك التصوير الذى يخلع القلوب ويبهر الأنفاس فى ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

---

(١) آية (٦) من سورة الطور .
(٢) آية (٦) من سورة التكوير .
(٣) آية (٢) من سورة الانفطار .
(٤) آية (٢٨) من سورة النجم .

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

وحينما تطمئن النفس الى ذلك التـأويل ، ويرتضى العقل المعنى الذى يذهب الى جـواز اشتعال البحـر وامتلائه بالنـار المتضرمة ، يتردد فى الفكر تسـاؤل آخـر له ما يبرره فى عصرنا الحاضر عصر تفجير الذرة وقلق النواة مما نجم عنه انطلاق ذلك المارد الجبـار مارد الطاقة المهولة المرعبة التى تفوق غاية ما يبلغه الوهم والخيال وقد وقع منها أهوال صـاعقة وكوارث ماحقة ، وما أمـر (هيروشـيما) و (ناجازاكى) ببعيد ، ذلك التساؤل الذى يتردد فى الفكر هو لماذا التجهيل بمعنى أن الفاعل غير مصرح به فى الآيات التى نحن بصددها ، وكما هو الشأن فى كثير من الآيات التى تعرض صورا شتى من مشاهد يوم القيامة . والأمر المتيقن المقطوع به أن كل صياغة فى القـرآن الحكيم وكل اسناد أو وصف ، أو تقديم أو تأخير لـم يكن اتفاقا ، وانما كان وفق تقدير وتدبير لحكمة بالغة ، وأهداف قريبة أو بعيدة فى الزمان والمكان بالنسبة للانسان وكل كائن فى الوجود «كِتَـابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّـلَتْ مِن لَّـدُنْ حَـكِيمٍ خَبِيرٍ » (٥) ، وأحب أن أقرر أنه لا يملك أحـد أن يقول على سـبيل القطع فى تفسـير آيات القرآن الكريم : ان هذا هو المراد أو هو الذى لا يعقل سـواه الا اذا كان ذلك القائل مفتونا بعقله وذكائه وما أضـيع المحتكم الى عقـله الراكن الى فهمه فى ادراك مدى ما يزخر بـه كـلام الله الذى هو صـفة من صـفاته التى لا تدرك حقيقتها الكاملة ولا مداها بحس أو عقل مهما بلغ من الفطنة وبعد الرؤية ، وأين الذبالة الضئيلة المرتعشة من نور السموات والأرض .

أعود فأقول :

لماذا كان بناء الأفعال فى الآيات التى نقف فى ظلالها للمجهول ؟ وأنا لا أستطيع أن أجزم بشىء ، فربما كان العلم به لله سبحانه ، ولكنه فى كثير من الآيات يسند الفعل الى ذاته مع أنه معلوم بداهة ، ومعلوم أيضـا أن كل شىء فى الوجود لايقع ولايكون الا باذنه وقدرته هـو وحده ، وان بدا أنه صـادر من مخـلوق ، فالفعل وفاعله يتحركان بارادة الله وقدرته ، حينما يوقد الانسـان النـار فى الهشيم تسند الاشعال اليه ، ويضع البارود فى الجبل فينفجر فنسند التفجير اليه مع أننا نعـلم ونؤمن بأن المشعل الحقيقى للنار والمفجر لصخور الجبـل هو الله تعالى ، وكذلك اسناد الارواء الى المـاء والاحراق الى النار ، ألا نرى أن النار المحرقة عادة صارت بردا وسلاما بأمر الله حينما ألقـى فيها ابراهيم عليه السلام ، والبحر المغرق صار منجاة لموسى عليه السـلام ، ومعدة الحـوت عجزت عن هضم يونس عليه السلام . وما دور

(٥) اول سورة هود .

الانســـــان فى الاشـــعال والتفجير الا كدور الهشيم والبارود والحجر كل ميسر لما خلق لـــه من انفاذ ارادة الله ومقدوره بما يمنحـــه من طاقة على قدر ما انتدب له .

« أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُـونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » (٦) ، بعد هذا أستطيع أن أقول : ان بناء الفعل للمجهول فى الآيات سالفة الذكر وما تمخض عنه العلم فى عصرنا هذا من مبتكرات وهيبة لعقول جاحدة فى أيد جـــائزة وقلوب متحجرة يجعـــلان الفكر يطـــرح هذا السؤال :

« ما » أو « من » يا ترى المفجر والمســـجر للبحار — على سبيل الاسناد فقط — وبتحرى الدقة والحقيقة يكون السؤال .

« ما » أو «من» السبب والأداة المسخرة لتفجير وتسجير البحار اذا أزفت الأزفة ؟ أهـــو الانسان ؟ وهنا يكون العجب ، اذ كيف يتسنى لذلك المخلوق العاجز الضعيف أن يفجر ويشعل البحار ولو اجتمع كل أفراده فى صعيد واحد ، وجمعوا كل وقود الأرض كى يشعلوا خليجـــا واحدا من خلجان البحار لما استطاعوا .

أهو شيء آخر غير الانسان ؟ واذا كان هو شيء آخر فما هو يا ترى ذلك الشيء ؟ وهـــل هو كائن أم سيكون فى الوقت المقدور فى علم الله ؟ « وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » (٧) .

كان ذلك ما يعتمل فى خاطرى ويهز مشاعرى كلما تلوت أو سمعت احدى الآيات التى نحن بصددها منذ بضعة وثلاثين عاما وأنا فى ريعة العمـــر ، ولم تكن القنبلة الذريـــة قد شـــبت واستفحلت وأصبحت روعا ورهبة للبشرية بـــل الحياة على وجه الأرض ، وصارت لعبة مسلية فى أيدى الكبار الصغار يلوحون بها فى مواجهة الدنيـــــا .

وبينما أنا أسبح فى لجج التخمين والرفض والترجيح اذ طلعت علينـــا صحيفة الأهـــرام القاهرية على ما أذكره وقتئذ تحمل فى احـــدى صفحاتها فى عمود جانبى تحذيرا صـــادرا من علماء الذرة الفرنسيين من اجراء تجارب نووية فى مياه البحار والمحيطات خشية أن تتفجر ذرات الماء فتشتعل البحـــار كلها فى سرعة مذهلة . ولا تســـل كيف تكون الأرض اذ ذاك فى ذلك الأتون المتسعر .

وما أن انتهيت من قراءة ذلك التحذير حتى انبثق فى رأسى خاطر أشرقت له جوانب نفسى واهتزت مشاعرى ، فألقيت بالصـــحيفة وقمت هاتفا : آمنت بالله العظيم ، آمنت بأن محمدا رسوله الصادق الآمين ، انه لا يرتاب فى نبوته ورسالته الا غبى جاهل قد عميت بصيرته وسقم وجدانه فى عصر الكشف عن مكنون الطبيعـــة وعجائب طاقات المادة الكامنة فيها ، والخافيـــة عن مداركنا النائية عن حواسنا . فما هم أساطين

(٦) آيتا (٦٣) ، (٦٤) من سورة الواقعة .

(٧) من آية (٨) فى سورة النحل .

العلم المادى وسدنته أو كهنته المتخصصـون يقرون بأن الماء يتفجر ، ويصير نارا تتسعر ، وهم لا يقرون بالاسلام ولا يتدبرون القرآن ، ولا يعرفون أن هذه الحقيقة قد جاءت فى أكثر من آية من آيات القرآن العظيم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، يوم أن كان العلم والعلماء فى طور الطفولة الساذجة ، وتأتى فى مضاء وهيبة وجـلال من ذلك النبى الأمى ، القرشى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أكمل صلاة وأتم سلام الذى ولد وشـب واكتهل فى أحضان الجبـال وفوق سـفوحها النائية عن العمران والحضر ، حيث لاعلم هناك ولا علماء يسمع منهم ويروى عنهم • فمن ذا الذى علمه وأجرى على لسانه ما لم ينكشـف امكان حدوثه ووقوعه الا فى منتصف القـرن العشرين الميلادى ؟ انه بلا ريب وحى السماء ولولا أنه وحى العليم الخبير بصنعه لما جسر محمد ــ صـلى الله عليه وسـلم ــ أن ينطق بما لا يعقل ، ويتحدث بما يثير الدهشة ، ويدعو الى النفور والسخرية من أرباب العقول المغلقة، وهو الذكى الألمعى الفطين الحريص على نشر دعوته الملتزم بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ومدى مداركهم •

ولكنه القـرآن وحى الله الزاخر بحقـائق كونية وأسرار علمية لا تتصـل اليها العقـول الجبارة ، ولا المدارك النفاذة فى عصر واحـد أو عصـور متعددة بل هو الدهـر كله ، فكل حقيقة فيه منوط ظهورها وانكشافها بزمن من الأزمان وجيل من الأجيـال تتجلى فيه عندما تتهيأ الظروف ، وتتوافر الأسـباب ، حيث ان الحكمة الالهية جعلت لكل شىء سـببا وزمنا ، كظهور البترول مثلا واستخدام ما تم اكتشافه من خواص المادة •• فالزمن هو المفسر المظهر لأسرار هذا الكتـاب الكونى الدهرى العظيم الذى حوى كل شىء فى الوجود **« مَا فَرَّطْنَـا فِى الْكِتَـابِ مِنْ شَىْءٍ »** (٨) وهذا هو الاعجـاز الأكبر •

ان الكشـوف العلميـة ــ كما ننسـبها ــ المتتابعة لهى الدليل القاطع والبرهـان الذى لامماراة فيه فى وجه أولئك الذين لا يؤمنـون الا بالمادة ولا يصدقون الا بالمحسوس على أن القرآن الكريم وحى الله القدير فاطر السموات ومبدع الكائنات ، العليم بسرها ومكنون أمرها أليس هو الذى أودع فيها الطاقات وجعلهـا مذخورة لوقت معـلوم لديه ؟ **« وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِنـدَنَا خَزَائِنُـهُ وَمَـا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَـدَرٍ مَّعْلُومٍ »** (٩) • صدق الله العظيم •

أزجى هذه اللمحـة الخاطفـة من مدلولات بعض آيات الله فى القرآن العظيم الى الحائرين المرتابين حجة وبرهانا ، والى المهتدين المؤمنين مزيدا من الاطمئنـان واليقين والله يهدى الى سواء السبيل •

محمد عبد الرحمن صان الدين

---

(٨) من آية (٣٨) فى سورة الأنعام •

(٩) آية (٢١) من سورة الحجر •

بين التوحيدى

وأبى الفضل بن العميد

أبو الفضل محمد بن العميد أبى عبد اللـه الحسين الكاتب علم فى العربية قد ملأ الأسماع ، متفنن فى فنه ، متقدم فى شعره ونثره ، كان وزيرا لركن الدولة الديلمى .

توفى سنة ٣٤٩ هـ أو سنة ٣٦٠ هـ ، وكان التوحيدى من معاصريه ، وله عنده أحاديث طوال .

يوصف ابن العميد بأنه « عين المشرق ،ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وأوحد العصر فى الكتابة .. ، سبق من قبله ، وأتعب من بعده (١) » ويوصم بأنه « يدعى العقل ، ويفتخر بالمال ، ويتعاطى الحكمة ، ليس عنده الا الحسد والندامة ، والا الجهالة والضلالة »(٢) ويرمى بأن « أباه كان قوادا (٣) ، وأن جده كان نخالا » (٤) . وسواء أصدق هذا أم لم يصدق فان أى باحث سوف يقف طويلا أمام التوحيدى وابن العميد ، وسوف يتردد كثيرا ازاء الموازنة أو المفاضلة بينهما ، فكلا الرجلين من عظماء الفكر العربى وكبار أعلامه ، وكل منهما من أعمدته الشامخة التى قامت عليها نهضة ماتزال تشى بتفوق عصرها وتقدمه ، وتنبىء عن تفرده فى كثير من السمات .

فابن العميد تكاد تجمع الآراء على صدارته فى فن الكتابة ، وأبو حيان لاتكاد بل لاتعثر على من يجد منفذا ينفذ منه الى التهوين من شأن فنه ، ومن ثم تكون صعوبة المفاضلة أو الموازنة بيد أن ابن العميد ــ رغم أنه معدود بين المترسلين ــ وجدت مداخل جمة الى أعماله وفنه ، فعيب وهوجم ، وكان أبو حيان أعنف من فنده ونقده .

لقد عرف ابن العميد بأنه « كان ممن يستعمل السجع مرة ويرفضه أخرى ، بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير ، والاكراه والتكلف » (٥) .

---

١ ــ ١ / ١٣٧ يتيمة الدهر .

(٢) ٨٠ أخلاق الوزيرين لأبى حيان .

(٣) رجل قواد فى الدياثة .. أى يقود الى مباءات الزنا .

(٤) ٣٢٥ أخلاق الوزيرين ــ ترجمة التوحيدى فى عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٥ ــ لأن التوحيدى لم يكن شاعرا ، تركنا التعرض لشعر ابن العميد .

(٥) ١ / ٤٢٨ الحضارة الاسلامية لادم متز .

د . حـامـد الخطـيـب

وعرف التوحيدى بأنه الرجل الذى وقف مفردا ــ أو كاد ــ فى مواجهــة تيار الصناعة الجارف ، فوصل ما إنقطع بين عهد الترســل المطبوع الذى امتلكت نواصيه الأقلام الصناع من قبل ، ثم اوشــك أن يقلى ويهجر ، لولا أن قيض الله له التوحيدى ، فحمل لواء الترسل ، وأشاع قيم الجمال والفن المطبوع (٦) .

وابن العميد « حين يكتب لايطالعك بفنه كما يفعل معاصروه ، وانما يطالعك بقلبه ، وروحه وعقله ، بحيث تبدو كل كلمة من كلماته وكأنهــا قلب يخفق ، أو روح يثور ، فليست الكتــابة عنده زخرفا براقا يلهو به ، ولاثروة لغــوية يكاثر بها الكتاب ، ولكن الكتابة ثورة عقليــة أو وجدانية ، يرمى بها كما يرمى البركان بأقباس الهلاك (٧) وسوف نريك أن ذلك لاينهض أو يصدق فى كل أعماله ، وسوف نريك من حسناته وماله من سقطات .

وفن أبى حيان يريك « أنه كان عالما بدقائق الأسلوب الرائع ، وقادرا عليه ، غير أننا نكاد لانلاحظ فى أسلوبه ذلك التكلف الذى نجده عند غيره من الأدباء » وانه « لم يكتب فى النثر العربى بعد أبى حيان ماهو أبسط وأقوى وأشد تعبيرا عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان (٨) وستعلم أن ذلك قدر شائع فى كل نتاجه عــلى مختلف اتجاهاته ، « فهو ــ بلا محاباة ــ الكاتب القصصى الماهر الذى أهدته الينا الأعصار الأول وله طبع دافق ، وفكر سابق ، وعقل فيــاض بالحكمة وفصل الخطاب .

ومن أخص مزاياه أنه يمزج الأدب بالحكمة والتصوف بالفلسفة ، ويولد من بين هذا المزيج مذهبا خالصا لم يسبق اليه (٩) فلننظر فــى نماذج لكليهما .

كتب أبو الفضــل بن العميــد الى « ابن بلكاوندا خورشيد » عند استعصائه على ركــن الدولة البويهى ، رسالة مسهبة « عدت ــ بحق ــ عند أهل البصيرة فى الترسل ، غرة كــلامه ، وواسطة عقده » (١٠) ونظامه ، وهى ــ بحق ــ كذلك معدودة بين أبلغ الرســائل ، وأشــهرها وأكثرها انتشارا وذيوعا ، نجتزىء منها بقوله :

« كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، واقبال عليك واعراض عنك ، فانك تــدل بسابق حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعنــاية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمــالك ،

---

(٦) ١٨٧تطور الأساليب النثرية لانيس المقدسى .
(٧) ٢ / ٢٠٢ النثر الفنى د . زكى مبارك .
(٨) ١ / ٤٤٧ الحضارة الاسلامية ــ متز .
(٩) ١٩٦ تطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى
(١٠) ٣/١٦٢ يتيمة الدهر للثعالبى .

ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أنى وقفت بين ميل اليك وميل عليك ، أقدم رجلا لصدمك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يدا لاصطلامك واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن بعض المأمور فيك ، ضنا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يئوب ، ويغرب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة فالى رخاء ، وكل غمرة فالى انجلاء » (١١) .

ثم يمضى فى ذلك النهج السلس ، والسيل العذب ، والعبارة الجزلة ، والجملة المنتقاة ، الى أن يختتمها بما يشبه الصواعق المدمرات ، فيقول :

« تأمل حالك ــ وقد بلغت هذا الفصل من كتابى ــ فستنكرها ، وألمس جسدك وانظر هل يحس ؟ وأجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ماحنا عليك هل تجد فى عرضها قبلك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله » (١١) .

ولفرط ماق هذه القطعة من روعة البيان ، ومتانة البنيان ، واختيار الجمل ، وتناسبها مع الموقف ، وتوافقها مع تدفق العاطفة ، وامتزاجها بصدق الوجدان ، ترغيبا أو ترهيبا ، ورحمة أو قسوة ، ثم ما حليت به من حلى بلاغية مختلفة الألوان ، قد كانت بحق قمينة بقول الثعالبى :

« وقد أجمع أهل البصيرة فى الترسل على أن رسالته التى كتبها الى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة ، غرة كلامه ، وواسطة عقده .. وسلك نظامه .. وما ظنك بأجود كلام لأبلغ امام ؟ .

انها رسالة قد جمعت خصائص ابن العميد أو أهمها فى أحسن حالاته ، واعتدال طبعه ومزاجه ، فهو يترسل ، وقد ينغم بالسجع ، لكنه ــ فى الغالب ــ لايستكره ذلك ، ولايأتى به قسرا ، انما يأتى به مرتبطا بالمعنى ، متمما أنغام ما قبله ، فيثير طربا ، وينشر جمالا ، فيبدو كأنه قواف شعرية ، لاتظهر بدونها كاملة روعة اللحن ، وحلاوة الايقاع .

أما الاسهاب والاطناب ، فقد جاء على مقتضى الحاجة ، وكطلب المقام ، وليس فيه اخلال ولا املال ، اذ الطمع فيه ، واليأس منه ، والاقبال عليه ، والاعراض عنه ، والميل اليه والميل عليه ، ثم ما يتلو ذلك من ترتيل ، انما يشعرنا بمدى تنازع الكاتب ونفسه ، وكيف هو يتصارع مع ثورة ثائرة فى داخله ، وكيف هو

(١١) ابو منصور الثعالبى ٣/١٤٥ ــ ١٤٧ .
يتيمة الدهر ، أنيس المقدسى ٢٥٧ ــ ٢٥٩ تطور الاساليب النثرية .

حيران متردد بين ماض كان مشرقا ، وحاضر صار معتما ، ومستقبل يغلفه جهل العصيان وتستره ستائر الغفلة ، ونكران الجميل •

وهذا الأسلوب ــ برغم ما يظهر فيه من بعض سمات التلطف والتودد ــ يخفى خلف سطوره صواعق الايعاد ، وأوار الوعيد ، وذاك بذاته ماحدا بابن بلكا أن يقول : « والله ماكانت لى حال عند قراءة هذا الفصل الا كما أشار اليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتائب فى عرك أديمى واستصلاحى ، وردى الى طاعة صاحبه (١٢) » • وفوق مافى الرسالة من صنوف البديع ، يطالعنا الجم الكثير من الصور التى يرسمها رشيق البيان ، وهى فى جملتها وجمالها لاتحتاج الى عميق تفكير كى تجلى للناظرين والمتذوقين ، ولمثل تلك الأعمال فى الرقة ، والاجادة والتحكم فى طرائق البيان يكون النعت والاطراء بكل كلم حميد •

ولست أخال ابن بلكا عقيب أن قرأ الا كان تماما على وفق ما رسمه الأستاذ فى عجز رسالته • فلقد صور منه رجلا فزعا هلعا ، أحيط بسياج الخوف ، وسد عليه الجزع كل طريق ، فبات طائر اللب ، مرتعش الأوصال ، يحسب كل صيحة عليه ، وكلما أبصر فوق كفيه أثارات من عصيانه وخلافه ، ود لو تسوى به الأرض ، فهو لايفيء الى ركن يحسبه آمنا الا ووجه فيه بأشباح خروجه ، وأبصرها ترميه بسهام ذنوبه ، وحراب من سيئات تمرده ، وحتى لو أنكر ذلك بلسانه ، فسوف لاتستطيع جوارحه الاخفاء أو التمويه ، وخصوصا هذا البصر الموزع الزائغ الشريد •

لقد أشفى على الهلك أو كاد ، ألا تراه كيف توقف نبضه ، وتجمدت حركته ، وان كان فيه بقية من دماء ، وهذه البقية من نفسه وروحه قد يكتسب بها جديد الحياة ، ولكن متى أحسن الموازنة بين الأمور ، وعرف كيف يختار ناجع الدواء • هى رسالة تنقض على أى مقياس قول أبى تمام :

السيف أصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب (١٣)

ذلك هو ابن العميد فى أوجه ومجده ، وما نحسبه يظل على قمته تلك طوال الأشواط ، بل سوف يتحدر عنها ، أو لايطاوعه الحفاظ على تسنمها ، ويجيئه ذلك مما يتعاطاه من التكلف أحيانا ، ومن الغموض الذى يعمد اليه ، كأن يغرب فى اشاراته التاريخية ، وتلميحاته اللغوية والعلمية ، على حين أن أكثر ذلك ليس له من داع يستدعيه ، ولعل ذلك فى كلامه الذى يقول :

« وصل كتابك فصادفنى قريب عهد بانطلاق ، من عنت الفراق ، وأوقفنى مستريح الأعضاء والجوانح من حر الاشتياق ، فان الدهر جرى على حكمه المألوف فى تحويل الأحوال ، ومضى على رسمه المعروف فى تبديل الأبدال ، وأعتقنى من مخالتك عتقا لاتستحق به ولاء ،

(١٢) الثعالبى ١ / ١٤٧ يتيمة الدهر ــ الصاوى

(١٣) أبو تمام ــ ديوانه •

بين التوحيد وأبى الفضل

وأبرأنى من عهدتك براءة لاتستوجب معها دركا ولا استثناء ، ونزع من عنقى ربقة الذل فى اخائك بيدى جفائك (١٤) » فمن هذا المقطع والذى يليه الى نهاية الرسالة ، لاأرانا نشعر بذات الشعور الذى صحبنا فى رسالته الى ابن بلكا ، ففى هذه تبدو حرارة الوجد خافتة ، ويظهر صدق العاطفة باهتا ، ومن ثم جاءت الايقاعات والتقسيمات بين الازدواج والسجع والجناس وغير ذلك ثقيلا مشوبا بتكلف ، ولاشك فى أن التصنع والتكلف كل منهما يلطخ بالمقت كل طبع لماح .

ولقد كان فى مكنته أن يتجنب تلك الكلمات التى تفوح منها رائحة لغة الفقهاء ، وتبعد قليلا أو كثيرا عن لغة الأدب والأدباء ، وذلك كالعتق والبراءة والولاء ...

على أن ذلك الذى رئى لدينا متكلفا ثقيلا ، وأن الطبع فيه قد تقهقر أمام الصناعة ، حتى قلت المعانى ولم تتساوق مع الألفاظ ، قد قيل فيه : انه قصيدة رثاء ، يسكب فيها الكاتب دمعا على جدث الود المفقود . وقيل : ان رسائله الشخصية تعد من الشعر الوجدانى البليغ ، وان هذه ونظائرها قصائد منثورة فى موضوعات شعرية ، ماكان يصلح لها غير القصيد (١٥) .

ولكنى أكثر ميلا الى أن هذه كلمات تميل الى المبالغة ، ولاتخلو من تعميم ، ولعلها لاتصمد طويلا أمام التعمق فى التحليل .

ولندع ذلك الى اغرابه وايغاله المعمى فى الاشارات التاريخية التى تحتاج كدا وجدا وطول بحث ، واعمال فكر ، وسوف يحصل على نتائج لاتتساوى مع ذلك الكد العنيف ، وذلك فى مثل قوله عن شهر رمضان :

« كتابى — جعلنى الله فداك — وأنا فى كد وتعب منذ فارقت شعبان ، وفى جهد ونصب من شهر رمضان ، وفى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ، ومرتهن يتضاعف حرور لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضا (١٦) أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنق ، ويزويه عن التبصر ، وممنو بأيام تحاكى ظل الرمح طولا .. أسأل الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهى أسنى الغرور عندى ، وأقرها لعينى ، ويطلع بدره ، ويرينى الأبدى فتطلبه هلاله ببشر ، ويسمعنى النعى ، لشهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور(١٧)ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور

---

(١٤) الحصرى ٣ / ٨٣٩ ، ٨٤٠ زهر الآداب — تحقيق محيى الدين — طبع السعادة ١٩٥٣ .
(١٥) د زكى مبارك ٢ / ٢٠٤ ، ٢٠٦ النثر الفنى بتصرف .

(١٦) الفريض ، هو الطرى من اللحم .
(١٧) الحور هو الرجوع (انه ظن أن لن يحور وهو النقصان ايضا ، والكور — الزيادة .

قـــد جمعه   شمس برج واحــد ، ودرجة مشتركة وينقص من أطرافه كما تنقص النيران من أطراف الزند ، ويبعث عليه الأرضة ، ويهدى اليه السوس ، ويغرى به الدود ، ويبليه بالفار ، ويخترق بالجراد ، ويبيده بالنمــل ، ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمى بــه مسترق السمع ، ويخلصــــنا من معـاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عبــاده وخلقه ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح بضوئه ، وتهتك بطلوعه ، ويرحم الله عبدا قال آمينا (١٨) » .

والسؤال الذى يعرض نفسه ، أهــو حقا هنا يطالعنا بقلبه وروحه وعقله كما يقال (١٩) ، أم أن كل كلمة تبادر معلنة عن هزالها نتيجــة تصنعها ، وتكشف عن خفوت معناها من جراء تكلفها ؟ انها بلا ريب لاتبين عن صدق ، ومــن أين ذلك اذا انعدم صــدق العاطفة وتبهــرج الخيال ، وزيف الواقع !! . وأنا من ثم لاأجانب الحق ، ولا يجانبنى اذا ماشهدت بأن ابن العميد هنا قد صمد صمدا الى الزخرفة البراقة ، يتلهى بخدعها ، ويحاول جادا ــ فيما أرى ــ أن يخدع بذلك غيره ، ويلهيه أو يصرفه عن حد التــذوق السليم ، وشاء ذلك أو لم يشــأ ، فان الصنعة والتكلف لن تكون لها نتائج سوى هذا . انــه يستعرض هنا بضاعته ، يكاثر بها ويباهى ، ولا يهمه ، تنافر أوضاعها ، أو زيف ســياقها ، وما أظنه أراد أن يخرج عملا فنيا كما صنع فى رسالته السابقة ، عملا يبنيه على انتخــاب العبارة ، وصدق العاطفة ، وصفاء الوجدان ، والا ، فماذا وراء ذلك العرض الهائل من المعارف الفلكية ، ثم الهوام والحشرات ؟ ، مبلغ عــلمى أنه لاشىء سوى التباهى بالمحصول الذى لديه ــ كما قلنا ــ وليس مهما أن يجىء مفكك العرى منفصم الأوصال ، ولاأدل على ذلك من قوله : وأنحف من مجنــــون بنى عامر ، وأبلى مــن أسير الهجر ، بعد أن قال : ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفــر ، تأمل ، فان البون شاسع ، والشقة بعيدة بين المعنــى والمعنى ، وليس يأخذنا قول الثعالبى عن هــذه الرسالة : انه « مما لم يسبق اليه (٢٠) » ، على حين يأخــذنا قوله عن الرســالة الســالفة : «وماظنك بأجود كلام ، لأبلغ امام (٢٠) » ، أمــا رسالة رمضان هذه ونظائرها فمن أدبه الــذى بسببه قيل فيه : «انه يتميز بالصنعة والتزويق وان الأدب فى نظره ضرب من ضروب التســلية والتلهى ، والترفيه واظهار البراعة ، والغــلو والاغراق ، والبعد عن الحقيقة فى التصــوير ، والامعـــــان فى التزويق (٢١) » . واذا كانت رســـالة الأدب ليســت ترفــا عقليـــا ، وليست بمعزل عن الحياة والواقع ، واذا كــان الأدب فى أجـــل معانيــه ، أن يرقى بالحس والوجدان ، ويهذب ، ويرسم الطريق الأسمى ، فان شيئا من هذا لايمكن بحال أن يصدق على رسالة ابن العميد بصدد رمضان ، ولعل هــذا ومثله جعل التوحيدى يقول :

---

(١٨) الحضرى ٥٦٢/٢ زهر الآداب للثعالبى ١٤٣/٣ ، ١٤٥ يتيمة الدهر .
(١٩) هو للدكتور / زكى مبارك .
(٢٠) ٣ / ١٦١ ، ١٦٢ يتيمة الدهر .
(٢١) ٢٥١ تطور الأساليب النثرية .

بين التوحيدى وأبى الفضل

« أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ ، وظن أنه ان تبعه لحقه ، وان تلاه أدركه ، فوقع بعيدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ، ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لاتلتقى عند كل انسان ، ولاتجتمع فى صدر كل أحد : بالطبع ، والمنشأ ، والعلم ، والأصول ، والعادة ، والعمر ، والفراغ والعشق ، والمنافسة ، والبلوغ وهذه مفاتح قلما يملكها واحد ، وسواها مغالق قلما ينفعك منها أحد (٢٢) » وهذا كلام هو أقرب الى قوانين العلم فى مفهومه ، وأدخل فى سطور الأدب فى صياغته وتنظيمه ، فقد حدد الطرائق التى تكون الأديب وتدفع به الى السبق والامامة ، وفى المقدمة الطبع والاستعداد الفطرى ، ثم مايتلو ذلك من العناصر التى ذكرها ، ولا يقل عنصر فيها عن غيره ، ولا حظ دقة التوحيدى ومقدار علمه ، فان بعض هذه العناصر اذا كانت توافرت لابن العميد ، فما توافر له جميعها ، اذ لم يتفرغ لفنه كما تفرغ الجاحظ ، ولم يقف عمره على فنه كما وقفه الجاحظ ، وبالتالى لم يكن ليعشق أعمالا كأعمال الجاحظ • ولعل منشأ كل من الرجلين لا يختلف أحدهما كثيرا عن الآخر ، فاذا كان ابن العميد ، كما يقول أبو حيان : « ان أباه كان قوادا ، وان جده كان نخالا » (٢٣) ، فان الجاحظ « كان جده أسود اللون جمالا لعمرو بن قلع الكنانى » (٢٤) ولئن كان عصر الجاحظ يعج بالعلم والعلماء ، لقد كان عصر ابن العميد غرة كل الأعصر بلا جدال ، وهو هو العصر الذى صنع التوحيدى ، فأسدى بقلمه الى عصره الذى صنعه مالا يكاد يوجد عند واحد من معاصريه ، ولمنعم النظر فى آثاره الباقية سوف يجد فيها — بصدق — نفسه وذاته ، ويجده فيها بعقله وروحه ، ويلقاه بكل خلجاته وتصاريف حياته ، فصورته الحقة فى أدبه ، فى حالى رضاه وغضبه ، وفى فرحه وترحه ، وفى سكونه وثورته ، وفى جميع ذلك يقنعك بأنه الأديب المصور ، والفيلسوف المفكر ، واللغوى الممسك بزمام العربية ، وليس يقول الكلمة الا من وجدان صادق ، والا من عاطفة فياضة حرى ، فأعماله صورته الكاملة ، وصورة لأغلب ما كان فى عصره — ان يكن جميع ما كان — والى منشدى الأدب العالى ، نسوق نماذج تشهد بما قلنا ، وتكشف عما لم نستطع أن نقول •

قال أبو حيان عن الفقر ، وهو حديث ضمن مبررات كثيرة تكشف دوافعه الى الكتابة عن أخلاق الوزيرين :

« ولحا الله الفقر ، فانه جالب الطمع والطبع (٢٥) ، وكاسب الجشع والضرع (٢٦) ، وهو الحائل بين المرء ودينه ، وسد دون مروته وعزة نفسه • ولقد صدق الأول حيث قال :

وقد يقصر القل الفتى دون همه
وقد كان لولا القل طلاع أنجد

---

(٢٢) ١ / ٦٦ الامتاع والمؤانسة •
(٢٣) انظر صدر المقال •
(٢٤) ٢/١٦٩ تاريخ آداب اللغة العربية جرجى زيدان •
(٢٥) الدنس والعيب •
(٢٦) الذل والهوان •

وما أملح قول الأعرابي في قافيته :

مابال أم حبيش لا تكلمنـــــا

اذا افتقرنا ، وقد نثرى فنتفق

وصدق ، لأنها اذا لحقته على الفقر رغبت عنه ولم تواصله ، وفركته (٢٧) واختارت عليه. وصاحب الفقر ان مدح فرط ، وان ذم أسقط ، وان عمل صالحا أحبط ، وان ركب شيئا خلط وخبط ، ولم أر شــيئا أكشف لغطاء الأديب ، ولا أنشف لماء وجهه ، ولا أذعر لسرب حياته منه ، وان الحر الأنف ، والكريم المتعيف (٢٨) من مقاساته ، والتجلد عليه ، لفي شغل شاغل، وموت مائت (٢٩) .

وبعد أن بين أنه كتب استجابة لأمر حبيب يؤثره بالمودة ، ويتمنى رضاه ، قال : « وسأجعل قصدى نحو السلامة اذا غلبنى اليأس من الغنيمة ، وأضيف الى منن الحديث فوائد كبيرة، وأجتهد معــذرا ، وأتقصى معــذورا ، وأحكم متكرما ، وأقول ما أقول رائيا وراويا ، على أنى لا أثق بالخاطر اذا طاش ، ولا باللسان اذا همز (٣٠) ، ولا بالقلم اذا استرسل ، ولا بالهوى اذا اشتمل وسول ، فان الهوى يعمى ويصم ، ولعل الغيظ يجرح ويجهز » ولعل جمال هذا الأدب يجعلنا نسترسل ، فنطيل ولا نوجز . تأمل تر أدبا له أهدافه ، ولـــه مقاصده ، فليس وراء الفقر غير ما ذكر ، ومع هذا تقف على طبع سيال ، وكلام سهل سلس، يوشيه البديع والخيال ، ولا رائحة للتكلف فيه ، وأقرأ : وصاحب الفقران مدح فرط ، وان ذم أسقط .. الخ ، فهل تجد الا شعرا منثورا نثر الدرر ؟

لقد أخلص التوحيدى لفنه فأبـــدع ، واخلاصه وابداعه قد تعدى الى غير أعماله الأدبية ، فجاءت على هذا القدر من السلاسة والسهولة ، والحلاوة والجمال .

---

(٢٨) أبغضته ، وامرأة فارك ، تبغض زوجها .
(٢٧) المتشائم .
(٢٩) ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ مثالب الوزيرين لأبى حبان .
(٣٠) همز ، اغتاب .

أنباء وآراء

خطاب للرئيس مبارك فى القمة الإسلامية بالكويت

● أعلن الكتور / عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن الرئيس حسنى مبارك سيلقى خطاباً هاماً فى مؤتمر القمة الإسلامية الذى سيعقد بالكويت يوم ٢٦ يناير ، هذا وقد التقى الرئيس بطاهر المصرى وزير الخارجية الأردنى لبحث ترتيبات عقد المؤتمر . وأكد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن هذا اللقاء يدخل ضمن إطار التنسيق المستمر بين مصر والأردن لتبادل وجهات النظر فى الموضوعات التى ستطرح للمناقشة .

تنسيق جهود الدول الإسلامية

دعا الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق إلى تنسيق جهود الدول الإسلامية فى المجالات العلمية والتكنولوجية لمواجهة التحديات المعاصرة المتمثلة فى الفقر والتخلف .

وقال ضياء الحق فى كلمته أمام اللجنة الدائمة لمنظمة المؤتمر الإسلامى حول العلوم والتكنولوجيا الذى عقد فى اسلام أباد مؤخراً : إنه تم تنفيذ جزء كبير من خطة العمل العلمى ، وأنه لابد من تطوير هذا التعاون والإسراع بخطواته .

وفى الوقت نفسه صرح الدكتور محمد قاضى مستشار رئيس الوزراء الباكستانى لشئون العلوم والتكنولوجيا عقب اجتماعات اللجنة بأنها قررت إجراء مسح لمتطلبات بعض الدول الأعضاء فى المنظمة فى مجال العلوم والتكنولوجيا بالإضافة إلى بذل الجهود فى مجال نقلها بين الدول الأعضاء .

مركز للدراسات الاقتصادية الإسلامية

قرر مجلس جامعة الإسكندرية إنشاء مركز جديد للدراسات الإقتصادية الإسلامية . يلحق المركز بكلية التجارة ويشرف عليه عميدها وعدد من أساتذة الإقتصاد بها .

أكد الدكتور عبد الفتاح سعيد عميد كلية التجارة بجامعة الإسكندرية أن الهدف من إنشاء المركز هو الإسهام بالبحوث الجديدة والمفيدة فى مجالات الإقتصاد الإسلامى والتنمية الإقتصادية فى البلاد النامية والإجتهاد فى وضع الحلول الإسلامية للمشكلات الإقتصادية التى تواجه دول العالم التى تعتمد على نظريات حديثة عقيمة لا تنظر بعين الاعتبار لأية عوامل إنسانية .

وأضاف عميد كلية التجارة يقول : إن المركز سيقدم للعالم ما يثبت أن الاعتماد على أسس

د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

ونظريات الإقتصاد الإسلامى هو الخلاص الوحيد من أية مشكلات اقتصادية .

أول جامعة اسلامية فى أوربا

من المتوقع أن تبدأ الدراسة فى أول جامعة إسلامية فى القارة الأوربية مع بداية عام ١٩٨٨ م ومن المنتظر أن توافق الحكومة السويسرية على إقامة هذه الجامعة فى العاصمة جنيف .

والجامعة ستفتح أبوابها أمام الطلبة المسلمين وغير المسلمين وسيكون التدريس باللغتين العربية والإنجليزية والدراسة سوف تكون مزيجاً من العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى .

ويشير المسئولون عن الجامعة الجديدة إلى أن اختيار سويسرا دون غيرها من الدول الأوربية يرجع إلى ما تتميز به سويسرا من حياد على مستوى المجتمع الدولى .

جامعة الأزهر ترفض هدية الليونز

قرر مجلس جامعة الأزهر فى جلسته الأخيرة بالأغلبية رفض قبول السيارة الطبية المقدمة كهدية من نوادى الليونز فى مصر وذلك لإيمان أغلبية أعضاء المجلس بالعمل التخريبى الذى تقوم به هذه النوادى ضد الإسلام . وكانت نوادى الليونز فى مصر قد قدمت إلى جامعة الأزهر سيارة طبية مجهزة بسريرين وبأحدث الوسائل العلمية . واشترطت نوادى الليونز الإبقاء على شعار الليونز الماسونى فوق السيارة ولكن أغلبية أعضاء مجلس الجامعة رفضوا الهدية نظراً لأن المبادىء السرية لهذه النوادى تقوم على احتواء الشباب وتجنيدهم لخدمة الصهيونية العالمية بطرق مختلفة . [النور ٢٤ ربيع أول]

الاهتمام بالمعاهد الأزهرية

أوصى المجلس القومى للتعليم بضرورة الاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم واعتبارها معاهد ابتدائية تقوم برسالتها التعليمية والتربوية لأبناء المسلمين وطالب المجلس فى اجتماع له برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية بتلبية احتياجات المحافظات من المعاهد الأزهرية مع مراعاة التوازن بكل محافظة بالتنسيق مع الجهود الذاتية فى المساجد والتجمعات الدينية كما ناقش المجلس تقريراً حول المنشئات الأزهرية وسبل تطوير رسالتها الإسلامية وحصر المعاهد الأزهرية لتحديد ما تحتاج إليه من ترميم وإصلاح .

المؤتمر الدولى للدعاة

بدأت جامعة الأزهر فى الإعداد لعقد المؤتمر

←

سبق لمجلة الأزهر أن نشرت فتوى إدانة هذه الجمعية والروتارى وما على شاكلتها ونشرت ذلك ثلاث مرات .. مجلة الأزهر .

الدولى حول دور الجامعات الإسلامية فى تخريج الداعية المقرر عقده بالقاهرة فى شهر شعبان المقبل وكذلك الإعداد لعقد الندوة المشتركة لبحث مناهج كليات الشريعة والدعوة والدراسات الإسلامية التى من مهامها تخريج الداعية القادر على نشر كلمة الله . ومن المقرر أن يشارك فى المؤتمر وفود الدول العربية والإسلامية وممثلو الجامعات الإسلامية وسوف يناقش المؤتمرون واقع الدعوة الإسلامية فى الخارج وطبيعة أداء المراكز الإسلامية .

ندوات دينية للشباب يشترك فيها : علماء الاجتماع والنفس والاقتصاد

تبدأ وزارة الأوقاف اقامة لقاءات وندوات دورية للشباب بالمحافظات بهدف توعيتهم دينيا ويشترك فيها علماء الأزهر والأوقــاف والاجتمــاع وعلـم النفس والاقتصاد .

وأضاف وزير الأوقاف أنه تقرر صرف مكافأة لمحفظى القرآن تتراوح بين ٨ و١٥ جنيها وإعانة لمقيمى الشعائر الدينية تتروح بين ١٠ و١٥ جنيها بأثر رجعى من يوليو الماضى .

جامعة اسلامية

أكد الدكتور محمد عبد الرءوف مدير الجامعة الإسلامية العالمية فى ماليزيا : أن الجامعة هى إحدى قلاع الدراسات الأكاديمية فى العالم . حيث تدرس العلوم الإنسانية والتكنولوجيا بالإضافة إلى القيم الإسلامية المستمدة من الدستور الإسلامى .

وأضاف مدير الجامعة يقول : إن الهدف من الجامعة الإسلامية العالمية هو تخريج خبراء مسلمين فى جميع نواحى المعرفة لغرس المبادىء الإسلامية فى حياة المجتمع ، واسترداد كرامة المسلمين من جميع نواحى المعرفة ، والنهوض بالمعارف والعلوم المختلفة والمواد الإجتماعية التى ترتكز على الأفكار الإسلامية .

أول مشروع لدراسة العمارة الاسلامية

تقوم الأمانة العامة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية حالياً بالإشراف على مشروع لدراسة العمارة الإسلامية فى عواصم ومـدن العالم الإسلامى ، ودراسة علمية للاستفادة بها فى تخطيط المدن الجديدة . يتم تمويل هذه الدراسة ـ التى تعد الأولى من نوعها ـ من صندوق الحفاظ على التراث التابع للمنظمة وذلك بهدف تأصيل أسس العمارة الإسلامية وتدريسها بجامعات الدول العربية والإسلامية . وأكد المهندس عبد القادر حمزة كوشك الأمين العام للمنظمة : إن هذه الدراسة ستطبق على معظم المدن الإسلامية التى شهدت حضارات حديثة بغية الوصول إلى النظريات والأصول والأسس التى تقوم عليها العمارة الإسلامية وقد وقع الاختيار على مدينة القاهرة كأول مدينة تجرى عليها هذه الدراسة .

دراسة جديدة عن الاقتصاد الاسلامى

صدرت أخيرا دراسة جديـدة عن الاقتصاد الإسلامى بعنوان [مبادىء النظام الاقتصادى الإســلامى وبعض

تطبيقاته] للدكتورة سعاد ابراهيم الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بجامعة الأزهر .

وتوضح الدراسة تفرد النظام الاقتصادى الإسلامى وتميزه عن النظم الاقتصادية الوضعية وقدرته على معالجة الأوضاع والمشكلات الاقتصادية التى عجزت هذه النظم عن حلها .

وقد ناقشت الدراسة العديد من الموضوعات التفصيلية والفرعية مثل معالجة الإسلام لمشكلة الفقر وحماية الملكية العامة والملكية الخاصة ومواردها ومصروفات الدولة الإسلامية بالبنوك والتأمين والعقود وغيرها .

بعد ٨٠٠ عام على موقعة حطين مؤتمر دولى فى القاهرة لإعادة تقييمها !!!

بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على معركة حطين عام ١١٨٧ والتى أنهت الوجود الصليبى فى المنطقة العربية على يد صلاح الدين الأيوبى تنظم جامعة المنصورة بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة مؤتمرا دوليا فى مارس القادم لإعادة تقييم موقعة حطين باعتبارها حدثا عالميا ويشترك فى المؤتمر أساتذة التاريخ المتخصصون بالدول العربية والأوربية . وسوف يتبادل المؤتمر . كما صرح د . عبد العزيز فؤاد عميد آداب عين شمس دور الدول العربية فى مواجهة القوة الصليبية الكبيرة وأثرها فى التكوين الفكرى للمجتمع العربى فى العصر الإسلامى وأيضاً دراسة مدى وجود العنصر العربى فى الجيش فى تلك الفترة بالإضافة إلى تحليل الرؤيا الأوربية ومدى موضوعيتها .

٢٧ عالما أزهريا لمواجهة التبشير فى أندونيسيا

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ايفاد ٢٧ عالما من الأزهر إلى أندونيسيا لمواجهة حركة التبشير ونشر الوعى الدينى لدى مسلمى أندونيسيا .

خطة لاستثمار أموال الأوقاف

طالبت ندوة [موارد الدولة المالية فى المجتمع الحديث من وجهة النظر الإسلامية] بسرعة العمل على إيجاد سوق مالية إسلامية . وأوصت الندوة التى نظمها المعهد الإسلامى للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامى للتنمية بجدة بضرورة استثمار أموال الأوقاف فى الدول الإسلامية فى إطار الحدود الشرعية ، وتشجيع انسياب رءوس الأموال بين دول العالم الإسلامى .

وأكدت الندوة : أن الاقتصاد الإسلامى نظام متكامل وقائم على شريعة الله . وهو قادر على معالجة المشكلات الاقتصادية والمالية

أنبـــاء وآراء

التى تواجه البشرية ، ويتضمن الحلول الناجعة لما تعانيه المجتمعات الإسلامية اليوم . وأهابت النـدوة بجميع الـدول الإسلامية أن تعيد تنظيم اقتصادياتها على أساس هذا النظام الإلهى للتوفيق بين عقيدة الأمة ونظمها وواقعها التطبيقى لتحقيق الانطلاق بالطاقات البناءة بشكل متناسق وهادف لما فيه خير الشعوب .

مؤتمر دولى فى القاهرة لبحث تأثير مخلفات الصناعة على الإنسان والحيوان

● **ينظم الاتحاد العالمى للمنظمـات الهندسية وجمعيات المهندسين المصريين ووزارة الصناعة المصرية مؤتمراً حول تأثير مخلفات الصناعة على بيئة الإنسان والحيوان .**

ويبحث المؤتمر أحدث وسائل حماية البيئة من مخلفات الصناعة من سوء نقل وتخزين واستعمال المواد الكيماويـة والمبيدات والأدوية والأسمدة وأحسن طرق التخلص من مخلفاتها حماية للأرض والماء والهواء .

ويشترك فى المؤتمر علماء وخبراء ٢٥ دولة وأربع منظمات علمية وهندسية دولية .

محـافظـة المنيـا تـقـرر عـدم اعطاء تـصريحات لمحلات الخمور

قرر المجلس المحلى لمحافظة المنيا عدم التصريح بإنشاء محلات لبيع الخمور أو الاتجار فيها .

جاء هذا فى الاجتماع الأخير للمجلس المحلى بعد مناقشة مطولة ويأتى هذا القرار فى إطار اتجاه المحافظة إلى القضاء على مظاهر الإسراف والمخالفات الشرعية . وخاصة بعد أن انتشرت فى الأونة الأخيرة مظاهر تعاطى الخمور والمخدرات .

حظـر الخـمور بـموريـتـانـيـا

أصدرت الحكومة الموريتانية قراراً بفرض حظر تام على إدخال وبيع وتناول الخمور والمشروبات الكحولية بجميع أنـواعهـا فى كـافـة أرجـاء الأراضى الموريتانية . كما تضمن القرار فرض حظر على أعضاء البعثات الدبلوماسية بمنعهم من شرب الخمر فى الأماكن العامة أو التجول فى حالة سكر ، وإلا تعرضوا لإجراءات الطرد أو العقوبة التى نصت عليها الشريعة الإسلامية .

ومنح القرار مهلة للتجار الأجانب الذين كانوا يبيعون الخمور مدتها عشرة أيام من حين صدور القرار . للإبلاغ عن مخزونهم وسوف يتم مصادرة وتدمير هذا المخزون بعد انقضاء هذه المهلة .

وجدير بالذكر أن استهلاك وبيع الخمور كان مصرحاً به للأجانب فى موريتانيا حتى وقت قريب .

شرب الكحول فقتله الفيل

نيودلهى ـ واخ ..

سحق فيل مراقب أحراش فى إحدى القرى بالقرب من جبل بور فى الهند .

وذكرت وكالة يونايتد نيوز اوف أنديا أن الفيل البالغ من العمر ١٦ عاما ويدعى بيجون لا يحب رائحة الكحول ويكره رائحة الشراب. وحينما قام مراقب الأحراش ويدعى بثنويراسات بجولة فى منطقة عمله بعد أن تعاطى كمية من الشراب الأمر الذى لم يستطع الفيل تحمل رائحته فدفعه عاليا بواسطة خرطومه وألقاه أرضا وسحقه بقدمه حتى الموت

نجاح المواد الكيماوية فى علاج السرطان

أكدت الندوة العلمية التى عقدتها كلية الطب بجامعة الاسكندرية نجاح استئصال المواد الكيماوية فى علاج السرطان بعد أن نجح استخدام هذا النوع من العلاج نجاحا كبيرا.

وقد ناقشت الندوة على مدى ثلاثة أيام الجديد فى علاج السرطان وطالبت الندوة بضرورة الكشف المبكر عن السرطان كما أكدت دور الجراح فى العلاج.

العلاج بالإيحاء بدلا من الأدوية

بدأ مؤخرا بالقاهرة اجتماعات أول مؤتمر من نوعه عن العلاج بالإيحاء والطب الطبيعى والذى تنظمه نقابة الأطباء المصرية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للعلاج بالإيحاء.

يناقش المؤتمر الذى يشارك فى أعماله أساتذة من جامعات واشنطن وبوسطن وهارفارد وأساتذة الطب الطبيعى بالجامعات المصرية عدداً من الابحاث العلمية حول كيفية التعايش مع الألم والعلاج بالإيحاء.

والنتائج التى توصلت إليها الجامعات الأمريكية فى هذا النوع من العلاج بالنسبة لعدد من الأمراض المختلفة وخاصة الأمراض المتقدمة باعتبار أن هذا النوع من العلاج ليس له آثار جانبية كما هو الحال بالعلاج الكيميائى.

منحة سعودية سنوية للوقف التعليمى بلندن

أصدر الملك فهد قراراً برعاية شئون المسلمين وتقديم المساعدات للجمعيات الإسلامية فى مختلف أنحاء المملكة.. وقد صدرت موافقة ملك السعودية على تقديم منحة سنوية للوقف التعليمى فى لندن كما قدمت المملكة السعودية دعما ماليا للمسلمين فى بنجلاديش لمساعدتها فى القيام بنشاطها فى خدمة الإسلام والمسلمين.

دراسة حول شكل الأسرة بالقرية المصرية

« ملامح التغيير فى شكل الأسرة بإحدى القرى المصرية » هو موضوع رسالة الماجستير التى تقدمت بها عالية حلمى عبد العزيز المعيدة بقسم الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمس والتى حصلت بها على تقدير « امتياز ».

تكونت لجنة المناقشة من د. علياء شكرى أستاذ ورئيس قسم الاجتماع ود. سامية الساعاتى ود. نبيل صبحى الأستاذين بالكلية.

أنبـــاء وآراء

المؤتمر العالمى للصحة النفسية يعقد بالقاهرة

زارت القاهرة مؤخرا الدكتورة « اديث مورجان » رئيسة الاتحاد العالمى للصحة النفسية لبحث الترتيبات النهائية للمؤتمر العالمى للصحة النفسية الذى يعقد فى القاهرة فى أكتوبر القادم لأول مرة .

وأكدت الدكتور « أديث مورجان » على دور العقيدة فى حفظ التوازن النفسى للإنسان وأبدت تقديرها لما يقوم به الأطباء المصريون والجمعيات التطوعية فى علاج مدمنى المخدرات والخمور والتأثير الايجابى للمساجد فى حماية المجتمع من الاضطرابات العصبية والنفسية التى تنتشر فى العالم الآن وتتزايد بسرعة كبيرة . وتقديرا لهذا الجهد فقد تقرر عقد المؤتمر العالمى للصحة النفسية لأول مرة فى القاهرة وهى أول مرة يعقد خارج أوربا وأمريكا هذا وقد أشادت الدكتورة « أديث مورجان » بدور الأطباء المصريين فى مجال الصحة النفسية أمثال د . جمال ماضى أبو العزايم نائب رئيس الاتحاد . والدكتور عمر شاهين . والعديد من الأساتذة المتخصصين فى الصحة النفسية من وزارة الصحة والجامعات والقوات المسلحة .

عدم اختيار أسماء أجنبية للمدارس

قرر وزير التربية والتعليم عدم السماح باختيار أسماء أجنبية للمدارس واختيار أسماء عربية لها .

وصرح وكيل وزارة التربية أن القرار يأتى تأكيداً للطابع العربى للمؤسسات التعليمية والتربوية والحفاظ على التراث العربى والإسلامى لها خاصة بعد أن كثرت ظاهرة استخدام الألفاظ الأجنبية على بعض المدارس الخاصة .

مؤتمر حول دور الجامعات الإسلامية فى تخريج الداعية

● تقيم جامعة الأزهر فى شهر شعبان القادم مؤتمراً حول دور الجامعات الإسلامية فى تخريج الداعية تقيمه الجامعة بالإشتراك مع وزارة الأوقاف المصرية وجامعة الامام محمد بن سعود ويصاحب هذا المؤتمر ندوة تعقدها جامعة الأزهر لعمداء كليات الشريعة فى الجامعات الإسلامية وهى نحو أربعين كلية منتشرة فى أنحاء العالم الإسلامى والندوة مخصصة للنظر فى توحيد المناهج الدراسية بين هذه الكليات والارتفاع بمستوى الخريج وتتصل هذه المناهج شئون الدعوة وتخريج الدعاة والممارسين للعمل الإسلامى فى ميادين مختلفة كما أنه سيصاحب هذا المؤتمر وهذه الندوة انعقاد المجلس التنفيذى لاتحاد الجامعات الإسلامية فى رحاب جامعة الأزهر .

من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الدكتور / عبد الجليل شلبى

قــرآن وسنــة

يحزننى كثيرا أن أرى الهجوم على الإسلام هنا وهناك ، ويحزننى أكثر أن أرى هذا الهجوم على كثرته وعنفه يقابل بصمت وهدوء بالغين من الحكومات الإسلامية ومن الهيئات الدينية كأن الأمر لا يعنى أيا منهم .

فى جنوب أفريقية سيم المسلمون ويسامون سوء الهوان ، حوربوا فى دينهم وأبعدوا عن مساجدهم وحيل بينهم وبين شعائرهم الإسلامية ، وفى الفيلبين شنت عليهم حروب متطاولة حتى طولبوا أن يقتل بعضهم بعضا ، وأن يشن جنودهم المدربون حربا مسلحة على ذويهم العزل ، لا لشىء إلا لأنهم مسلمون !

والآن تعلن روسيا حربا جديدة على المسلمين فى أقاليم التركستان ، لأنها لا تقبل شيئا اسمه الاسلام أو الدين أيا كان فى بلادها .

كل هذا ولم نسمع احتجاجا أو إستنكارا من أى هيئة إسلامية ، ولروسيا فى الشرق دول أصدقاء وأحلاف أمموا ممتلكات وصادروا أخرى ، وحاربوا الجماعات ألدينية ، نشروا عناصر شيوعية بأسماء مستعارة كل هذا مجاراة ومجاملة للحليفة أو الصديقة . ألا يستحقون هم أدنى مجاملة ؟ ألا يستحق دينهم أن يغضب من أجله ؟

إن حملة كهذه خليقة أن تقطع من أجلها كل الروابط والاتصالات وأى شىء أثمن من الدين وبأى شىء يمتاز الإنسان عن الحيوانات الأخرى إلا بدينه ؟ وكيف ندعو الناس إلى الإسلام ونحن لانأبه به ولا يعنينا الدفاع عنه ؟!

فى بداية الدعوة قرر نبى الإسلام ألا مجاملة فى الدين ، وقال « إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » وقرر الفقه الاسلامى أنه لو اعتدى على امرأة فى أقصى المغرب لوجب على المسلمين فى أقصى المشرق أن يهبوا لنصرتها .

ورأينا عاقبة التفرق وإهمال هذا المبدأ فى غير موضع من جوانب الدولة الاسلامية الكبرى ، رأيناه فى أسبانيا وفى البلقان وفى تركيا ونحن نراه يتكرر وليس لدينا شىء من عظات التاريخ .

وفى الجانب القريب منا نرى ما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين وما يجرى بينهم وبين أخوتهم الألداء اللهم لا أقول كلمة اليأس فإن لنا فيك رجاء .

من خير ما كتب

الدكتور / محمد رجب البيومي

أدباء العروبة ووحدة الصف

نقرأ فى الصحف العربية أحيانا هجوما ظالما على مصر لكتاب ليسوا من ذوى الصيغة الحزبية ، والانتماء السياسي ، فنعجب غاية العجب لمن يدأبون على تفريق الشمل ،وإثارة الحفائظ ، وكأنهم بذلك يخدمون القضايا العربية ، وإذا جاز لنا أن نغمض عن أقلام عرفت بخدمة اتجاهات خاصة ، فلماذا نجد من ذوى الأقلام المحايدة من يغيرون الحقائق ، ويلفقون الأكاذيب ، وهم باطلاعهم التاريخى ، ونظرهم المنطقى أجدر بالحرص على تصحيح الوقائع من ناحية ، والبعد عن السفاسف من ناحية أخرى .

لقد كان الجيل الماضى وشعراؤه د عاة وحدة ، وذوى رسالة هادفة ، وما التأم الصف العربى إلا بجهودهم المخلصة ، بل إن زعماء النهضة الأدبية فى العالم العربى من أمثال المنفلوطى وشوقى حافظ وشكيب أرسلان والزهاوى والرصافى قد سبقوا رجال السياسة فى توجيه القلوب إلى الوحدة المخلصة ، والتعبير عن الآمال والآلام المشتركة ، فحفظ لهم التاريخ مكانهم الصادق فى ميدان النضال البطولى ، فما بالنا نجد اليوم أناسا يفترون على الله كذبا إذ يلبسون الحق بالباطل ، فيختلقون من الوقائع مايناقض الحقائق ، وصحف التاريخ ناطقة بما يعصف بأراجيفهم .

إنهم يجترئون على التاريخ حين يزعم أحدهم أن مصر كانت عالة على سوريا فى عصر المماليك !

وحين يزعم كاتب آخر أن الشعر يحيا فى سوريا والعراق ويموت فى مصر .

وحين يزعم ثالث أن الأزهر لم يعلم العرب إلا أن الأرض تدور على قرن ثور !

بين مصر وسوريا

من يقرأ قصائد شوقى وحافظ فى سوريا يعرف كيف ترجم الشاعران الكبيران مشاعر مصر نحو شقيقتها العزيزة ، فإذا جاء اليوم من يذكر أن سوريا وحدها هى التى دافعت عن العروبة فى عصر المماليك ، وأنها وحدها هى التى كانت منارة للعلم والثقافة فى البلاد العربية ، فإننا نؤكد له أننا نود أن تكون سوريا مشعل العلم والثقافة فى كل عصر ، ونود أن تكون قوة حربية لا تقف أمامها قوة .

وأقرب مرجع نذكره فى هذا المجال هو كتاب خطط الشام لمؤلفه الاستاذ محمد كرد على وزير المعارف الأسبق فى سوريا هذه الحقائق تنطق بأن مصر قد حملت رسالة الثقافة العلمية حين سقطت بغداد فى أيدى التتار ، وحين فر علماء الأندلس بعد ضياعها إلى ربوع النيل ، فكانت مصر ملاذ الوافدين من العلماء شرقا وغربا إذ ضمتهم جميعا إلى علمائها المبرزين .

أما التى دافعت عن العروبة حقا فى هذا العصر فهى مصر التى تقدمت جيوشها إلى لقاء التتار فى موقعة عين جالوت بعد أن سقطت حلب ودمشق فى أيديهم ، ولا تستشعر مصر فخراً حين تسجل ذلك ، فقد قامت بواجبها الحتمى نحو عروبتها وإسلامها ، فكيف تكون بذلك عالة على سوريا ، كما زعم الكاتب .

زعم شاعر الغزل المكشوف فى سوريا أن الشعر يولد فى سوريا ويحيا فى العراق ويموت فى مصر ، والذى يتعرض لحياة الشعر ميلادا وحياة ومماتا لابد أن يكون ناقدا أدبيا ودارسا لمراحل التطور الشعرى المعاصر .

وقد أثبت صاحب هذا الزعم أنه لا يعرف ما يحفظه طلاب المدارس ، حين يقررون أن النهضة الشعرية فى العالم العربى بدأت على يد محمود سامى البارودى فى مصر إذ أنقذ القريض من حضيض التفاهة اللفظية والمحسنات الملفقة إلى مجال الرصانة القوية والديباجة المشرقة بحيث رجع بالقصيدة إلى العهود الزاهرة محاكيا فحول العباسيين ثم خلفه صبرى وشوقى وحافظ ومحرم

ممن عرفوا بشعراء البعث ليجددوا فى الأغراض والمعانى وليجعلوا الشعر لسان الحياة اجتماعيا وسياسيا وعاطفيا .

فإذا كانت مصر قد بعثت الشعر المعاصر فكيف تكون هى التى أماتته ؟ وإذا كانت مدرسة البارودى قد حاكت القديم ، فإن الشعراء النقاد من المصريين قد طوروا القصيدة المعاصرة حتى اكتملت لها الوحدة الفنية ذات التجربة الصادقة فكان العقاد وشكرى والمازنى خطوة تالية فى الإبداع المعاصر . وعلى هديهم المنير نشأت الاتجاهات المعاصرة ما بين سريعة ومتئدة .

وثالث يكتب فى ادعاء فيقول إن البلاد العربية لم تتعلم من الأزهر إلا أن الأرض تدور فوق قرن ثور ، وصاحب هذا القول يجهل أن هذه الأسطورة قد سجلت فى كتب تاريخية قبل أن ينشأ الأزهر بقرنين ، كما يجهل أن كتب الأزهر قالت بكروية الأرض قبل أن يكتشف كولمبس أمريكا بمائة عام .

المواقف للامام عضد الدين الإيجى وهو مما يدرس فى الأزهر أشار إلى هذه الحقيقة .

كذلك أشار إليها الفخر الرازى والبيضاوى فى تفسيرهما .

وكلاهما من كتب الأزهر التى تدرس فى القديم وتعد من أمهات المراجع .

ولو كان لدى هذا الكاتب دراية يسيرة بأمثال هذه الكتب لسكت ، ولكنه اشتط حين تهكم بما قال ، ثم زعم أن الأزهر لم يفد العالم العربى شيئا ، مع أنه كان موئل الطلاب على مستوى العالم الإسلامى وكانت به إلى عهد قريب أروقه « جمع رواق » للأتراك والهنود والمغاربة والشوام والجاوميين واليمنيين والسودانيين مما تطور بعد إلى ما يسمى بمدينة البعوث الإسلامية وكان الوافد من هذه الممالك والدول يجد العلم والمعرفة كما يجد الزاد والمأوى دون من ، فالجميع أخوة فى دين الله يطلبون العلم ولا أكثر دلالة على هذا الإخاء الوثيق من أن الأزهر فى بعض عهوده القريبة جدا كان شيخه تونسيا وهو الامام الأكبر محمد الخضر حسين ووكيله سودانيا وهو الشيخ محمد نور الحسن وشيخ كلية الشريعة فلسطينيا وهو الاستاذ عيسى منون .

فإذا كانت مناصب الأزهر الكبرى وكلت فى زمن واحد إلى ثلاثة من شيوخ البلاد العربية مع وجود من يماثلهم من شيوخ المصريين ، أفلا يدل ذلك على تغلغل فكرة العروبة وروح الإسلام فى نفوس القائمين على أمره !

أننا نذكر ذلك لندعو الذين يحبون أن تشيع الفرقة بين مصر وأخواتها أن يفيقوا إلى رشدهم . وأن يعلموا أن إيجاد التنازع والشقاق بين أبناء الأمة الواحدة ، لن ينفع فريقا ويضر . فريقا بل سيدحر الجميع .

الأستاذ / عبد اللطيف فايد

عندما تكذب الفنون !

تظهر بين الحين والحين وسط نتاج أهل الموسيقى والغناء ميول إلى الأعمال التى يسمونها أعمالا دينية ، فتظهر فيها كلمات يلحنونها ويغنونها تحمل طابعا أخلاقيا ينزع إلى استلهام سيرة النبى ﷺ والاتجاه إلى الله سبحان وتعالى بالدعاء وطلب الهداية والمثوبة ، ومن هنا يشاع عنهم بين الناس أنهم يخدمون الطريق إلى الدين ويعبدونه لكل راغب فى الذهاب إليه ، بعد معايشة طويلة أو قصيرة للآثام والذنوب .. ويجد هؤلاء من الكتاب من يكتب مشيدا بأعمالهم وانتاجهم الذى كان فى زعمهم - الواحة الكبرى للذين أغرقتهم الخطايا فى لجتها ، فاستنشقوا رائحة الإيمان مع آهات هذه الألحان والأغانى ، بل إنهم يبالغون فى ذلك ويصورون أن الإنسان فى حاجة إلى هذه الكلمات فى صورها الفنية ، لتخرجه مما هو فيه من زحام الشهوات والميول العدوانية على الناس والأخلاق .

بهذا المقياس ينظر أهل الفن وأهل الكتابة الفنية إلى الأغانى التى تسمى بالأغانى الدينية تلقيها المغنيات على المسارح وفى الحفلات وقد لبسن لها

←

ثيابا كاسية لأجسادهن ، وهى ثياب غالية الثمن ، بل هى باهظة الثمن والتكاليف بعيدة عن المعانى الروحية التى تنطق بها ألسنتهم فى نغم يصلح لكلمات العشق غير البرىء والهوى الذى ينطلق مع الشهوات الدنيا ، على أن الثياب الكاسية تركت الرءوس عارية تكشف عن آخر صيحة فى تسريحات الشعر ، وتركت الأعناق مكشوفة تتدلى منها عقود تزينها اللآلىء الكريمة فضلا عن الأقراط تتدلى من الآذان والأحزمة المزركشة تطوق الخصور ، وهى كلها تصنع زينة واضحة تتنافى مع روح الكلمات التى تنطق بها الألحان .

فهذه تغنى كلمات فى مدح النبى ﷺ والنبي برىء تماما مما تفعل وتبدى للناس من زينة ، وهذه تتغنى بكلمات تلجأ بها إلى الله ، وهى خارجة عن طاعته بما تظهر به أمام الناس من ثياب وحلى وتمايل إلى اليمين وإلى اليسار مع اهتزازات من الرأس هى جزء من الإغراء المقصود سواء بالميل هكذا وهكذا وبخصلات الشعر تهتز موحية بما توحى به أغانى الهوي والهيام . ثم يقال إن هذه وتلك تخدم بأغانيها إشباع رغبات صوفية عند المستمعين ، وتؤكد أن للفن دوراً فى تعميق مشاعر الدين والأخلاق لا غناء عنه للناس ، ويصاحب ذلك كله موجات كلامية باللسان وبالكتابة عن خدمة الفنون للأهداف السامية التى ترقى بالمجتمع وتهذب مشاعر أفراده ، وتساهم بقدر كبير فى تعبئته للتنمية والإنتاج ، وتصف بالتأخر والرجعية كل مجتمع لا ترقى فيه الفنون ، ولا تأخذ حظها من رعاية المسئولين القوامين عليه .

ولقد شهدنا من مختلف الفنون كثيراً وهى تسيطر على أفكار الناس بالغناء والموسيقى والسينما والمسرح وبنواديها الذائعة وبما تنقله من صخبها الاذاعة والتليفزيون إلى الناس فى بيوتهم ، وشهدنا كذلك معارض الرسم والتصوير والنحت يمجدها كتاب بعينهم ، ويدقون لها الطبول ، ويغالون فيما تحدثه فى النفوس ومشاعرها من رقى بأحاسيسها ، ثم بالتعبير عن نوازع ومنازع ، وخلق تيار جديد للثقافة لا يعتمد على الكلمة ـ وهى الوسيلة « الأم » فى التعبير التى تغنى عن سواها ولا يغنى عنها سواها ، وهى أقرب كل وسائل الثقافة إلى الأفهام والعقول .. ولو كانت هذه الفنون بكل ما يبسط لها الباسطون ذات أثر حقيقى فى تهذيب المشاعر وبناء الحياة لأصبح مجتمعنا الذى نعيش فيه مجتمعا خاليا من الجرائم ، بل خاليا من المشكلات والأزمات ، لأنه حينئذ مجتمع من اناس لهم صفات الملائكة من كثرة ما تعاطوا من الوان الفنون وتعلموا فى مدارسها ، وهكذا تسقط قضية الفن من أساسها .

وحتى تؤدى الفنون دوراً بناء فى الحياة لابد أن يكون سلوك أهلها على مثل ما يدعون إليه من قيم وأخلاق ، فلا يكتب للوطنية ويلحن ويغنى لها من البسوها قوالب لهوهم فى الحفلات الخاصة وأقربها حفل عيد الميلاد لابنة أحد الأثرياء ، لأن الوطنية ترفض هذا العبث الذى يضع المال هدفا رئيسيا له ولا أقول وحيداً . فالوطنية تقتضى البذل والعطاء ، لا الشح والتقتير ، ونحن رأينا فى عالم السياسة زعماء باعوا كل ما يملكون فى سبيل أوطانهم ، وماتوا وليس فى بيوتهم أثمان أكفانهم ، وكذلك رأينا علماء فى الدين استشهدوا من أجل عقيدتهم ، وما أسفوا على حياة ولا مال ، فبنى هؤلاء وهؤلاء حياة أمسك فيها المهتدون على القيم ، فبقيت وتلك أمثلة لا تجدها بين أهل الفنون الذائعة ، بل إن الإثراء عندهم يسبق الإجادة ، ودعوى الإمساك بفرصة المال قبل أن تضيع هى التى يحاربون لكسبها ، ومن أجل ذلك تذهب دعوتهم إلى البناء والقيم الأخلاقية والدينية هباء ، ولا تؤتى ثمارها ، فالأساس فى أصحاب هذه الدعوة أن يلتزموا بمبادئها وآدابها وبالسلوك الذى تؤدى إليه ، وتلك أساسية من أساسيات المؤمنين الداعين إلى الفضيلة ، ولهذا فإن الله سبحانه ينكر على مَنْ يقولون مالا يفعلون سلوكهم هذا ويمقته أشد

المقت ، فيقول سبحانه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ ۔ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ » ...

الدكتور / عبد الله عبد الشكور :

نقطة البداية .. فى مسيرة الدعوة

تاريخ الدعوة يبدأ بالعبادة ، فقد كان غار حراء مسجد أو خلوة رسول الله ﷺ ، يتحنث فيه الليالى ذوات العدد ، ويأوى بين جنباته إلى ربه يناجيه ويناديه ، وفيه نزل عليه الوحى ، ومنه انطلق ليقص على زوجه ـ السيدة خديجة ـ رضى الله عنها أحسن القصص عمن رأى وعما سمع ومنذ ذلك الوقت ، بل ومنذ بعث الله أنبياءه كانت الصلاة هى معراج العابد يصعد بها إلى ربه ، ويقترب بها إليه فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

من هناء جاء ارتباط الصلاة بالمسجد باعتبار أنه المقر المختار لجماعة المسلمين وجماهيرهم ، يؤدون بساحته صلاتهم ، وينزلون به فى استضافة ربهم ، ويشهدون منافع لهم ، حين تقوى معنوية المسلم بالمصلين من أخوته ، وبالعابدين من جيرته ، فيتواصون بالخير ، والمرحمة ، فتزداد الألفة ، وتشتد أواصر القربى ، ويصبح المسجد بيئة الأخوة الجامعة ، والقلوب الراشدة ، والعائلة المتآلفة ، ومصنع الأمة الواحدة .

ومن المسجد كانت أضواء ، على هداها كتب التاريخ أزهى صفحاته ، فى قصة أمة ، وفى أروع حضارة كان بناتها من بين هؤلاء الذين وقفوا فى صفوف المصلين بالمساجد ، والساجدين على أرضها وثراها ، ذلك أن المسجد كان فى فهم هؤلاء القادة من السلف مجمع الدنيا والآخرة ، لم يكن كما هو الآن لدى الكثيرين « ممراً للآخرة فقط » وبهذا صنع المسجد « إنسان الإسلام » صدق باطن ، وصلاح نية ، واخلاص معتقد ، وعزة بالله ، ورحمة بخلق الله ، وبهذا الزاد المحمدي انطلق ذلك الإنسان يبشر بالكلمة الجديدة التى يملك بها الإنسان دنياه وآخرته ، والتى كان يقولها رسوله صلوات الله عليه وآله لقومه قولوها تملكون بها العرب والعجم وتملكون عز الدنيا والآخرة : أشهد أن لا اله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله .

وبتلك الكلمة الجديدة تغير التاريخ لأن الإنسان الذى يصنع ذلك التاريخ قد تغير ، والتاريخ دائما يأتى بعد بناته .

نهض المسجد فى حياة المسلمين بدور بناء .. ومازال المسجد مؤهلا لذلك الدور ، وذلك بالملايين من الجماهير التى تؤمه ، وبالاتجاه النفسي الذى يرى فى كلمة المسجد « رغبته ومنطلقه » ومن هنا تأتى الأهمية والخطورة لمكانة المسجد وتأثير عطائه فى حياة الإنسان والمجتمع ، ذلك أن أخطر الكلمات أثرا ، وأعمقها تأثيراً ، ما كان ارتكازه على أساس دينى ، ومنطلق روحى ذلك ما تقول به دراسات علم الاجتماع الدينى .

وعلى امتداد التاريخ الإسلامى وبخاصة فى مصر . كان المسجد مقياسا لنبض الجماهير وحماسهم فهو فى حقيقته « إيذان وآذان » .. إيذان بأن فى الطريق شيئا .. فليحذر من يحذر من العاقلين ، ولينم من ينم من الغافلين ، وأما أنه آذان فإن ذلك أعلام بواقع قد يدمر أو يعمر ، واسمعوا معى إلى رواة تاريخنا فى الأندلس يقولون : إن الفرنجة كانوا إذا ما رأوا المساجد عامرة ، تقام فيها الصلوات ويتلى فيها القرآن ، وتؤدى فيها العبادات والأذكار وصلاة التهجد ودروس العلم ، كانوا ينصحون أمراءهم بالتريث والانتظار فلا جدوى من حرب عدو هؤلاء جنوده ، وتلك دور عبادته .. وحين كانوا يرون المساجد قل عمارها ، وضمر زوارها ، وغاب روادها ، كانوا يقولون : أزف الوقت ، وحانت المعركة .

وبهذا كان المسجد مقياسا لواقع المجتمع وحاله .
ومن هنا فإن أى مسئول كائنا ما كان موقعه لا يجعل المسجد همه واهتمامه ، سيفقد « البوصلة » التى تشير إلى اتجاهات ذات دلالة ، وقد تغنى الدلالة عن العبارة ، بل إن مقياس توفيق المسئولين عن الدعوة فى أداء رسالتهم ، إنما يحدده نجاحهم فى تمكين المسجد كمؤسسة دينية من النهوض بوظيفته الدينية والاجتماعية وإلا فهو قد أضل الطريق أو أصابته دنيا .

ذلك أن كلمة المسجد أو صوته هو الذى يبنى جانبا كبيراً من الرأى العام ، فتتحرك به الجماهير ، أو تتحدث بما نبه إليه أو يعالجه من قضايا ، ومن هنا فإن رعايتنا لذلك الصوت زاد فكرى وعنايتنا به مدد ثقافى وتقديرنا لصاحبه ورجله مكانا وانسانا يصبح فى قضية المسجد حجر الأساس وركيزته ، وذلك حين نطمئن إلى صدق العبارة فهل نترجم ذلك كله خطة وتنفيذا ومتابعة « ؟ » إن ذلك سيكون نداء لجيل جديد من شبابنا يتجه إلى الدعوة حياة وعملاً .

الدكتور / عبد الحليم عويس

لم تخلف المسلمون .. لماذا ؟

الجمع بين العلوم الانسانية والعلوم التطبيقية هو السبيل لتقدم المسلمين

إن الحديث عن توقف - أو تعطل - دولاب أية حضارة يحتاج إلى نظر ثاقب من زاويتين :

● زاوية بناء الحضارة نفسه . وهل أصيب هذا البناء من داخله فاختلطت فى بنائه الفكرى .. التصورات وامتزجت المقولات الكبرى بالأهواء الصغرى ، أو أن البناء سليم وإنما أتى الخلل من عوامل خارجية .. ؟

● وزاوية « الناس » الذين ينتمون إلى هذه الحضارة .. ومدى قدرتهم العقلية على الاحتفاظ بنقاء البناء الفكرى للحضارة .. أو العكس - استسلامهم لتصورات دخيلة .. وفى الوقت نفسه .. معرفة مدى قدرة سواعدهم - بعد عقولهم - على أداء حق هذه الحضارة ورسالتها ..

وعندما ننظر إلى التاريخ الحضارى نجد معظم الحضارات قد سقطت للسبب الأول ..

أى أنها إنما أصيبت - فى البداية - من داخلها ثم عجز أهلها - عقلاً وسواعد - عن حمل رسالتها .. لكن الحضارة الإسلامية - وهذا ما تتفرد به - بقيت على امتداد تاريخها صامدة من داخلها تقاوم بقوة الدفع القرآنى والنبوي - كل اختراق إلى الداخل .. فبقى القرآن ، محفوظا أدق حفظ وأروعه فى التاريخ حتى بالحرف الواحد ، والكلمة الواحدة ، وبقيت السنة النبوية تحظى بأدق منهج للجرح والتعديل في العالم .. ثم أنها تقاس على القرآن وكل ما يتعارض مع القرآن لا يقبل منها .

وعلى هذا الأساس فإن بحثنا فى قضية تخلف المسلمين يجب أن يستقر عند الزاوية الثانية .. أى البحث فى الناس الذين ينتمون إلى هذه الحضارة .. إنهم هم الذين كلت

عقولهم وسواعدهم وأصابهم الوهن ... وهم ـ كذلك ـ الذين عجزوا ـ لأسباب كثيرة ـ عن التعامل مع الحقائق القرآنية الحضارية بالمستوى الذي تتطلبه ..

إن هذه الأمة التى قيل لها:"اقرأ" قد مشت فى أحقاب من تاريخها مشياً معوجاً .. حتى وهى تقرأ وتكتب وتتصدر البشرية .. ففى بعض العصور حصرت هذه الأمة قراءتها واهتماماتها الثقافية فى العلوم النظرية .. وحتى كثير من العلوم الإنسانية لم تحظ بالاهتمام الكافى ـ فصارت القراءة ـ أو صار العلم ـ كأنه فقط ما يعرف بعلوم الدين ... أما العلوم الطبيعية والرياضية والتطبيقية بعامة فقد انزوت ـ بعد عصور التألق .

ـــ وفى يقيني أن تخلفنا ليس « معضلة » أو شيئاً أصيلاً وإنما هو « مرض عارض » يجب أن تلتحم كل أبنية الحضارة الإسلامية المخلصة لعلاجه ـ وليس علاجه إلا العودة إلى « سـنن الله » و« فقه الحضارة » .

فهـــرس العـــدد

الموضوع — **الصفحة**

◆ **الصحابـــة الأبنـــاء المحمـــدون**
د . على أحمد الخطيب ٥٧٧
◆ **الاســـلام وصحـــة الإنســـان**
للشيخ جاد الحق على جاد الحق ٥٨٧

دراســـات اسلاميـــة

◆ **الجـــن يستمعـــون القـــرآن ويؤمنـــون**
للشيخ مصطفى الحديدى الطير ٥٩٤
◆ **سقـــوط الأقنعـــة**
د . عبد الودود شلبى ٥٩٨
◆ **ادارة الخلفـــاء الراشديـــن**
للأستاذ محمد صابر البرديسى ٦٠٦
◆ **دعـــاء ابراهيـــم عليـــه الســـلام بمكـــة**
للدكتور محمد محمد خليفة ٦٠٩
◆ **رد الخطـــأ عـــن السيـــرة النبويـــة**
للأستاذ عبد المهدى بن عبد القادر ٦١٥
◆ **الآثار الاستراتيجية للحرب العادلة فى الاسلام**
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ٦٢٠
◆ **مـــع قمـــة فـــى القـــراءة والعربيـــة [الإمـــام الكسائـــى]**
للشيخ حسن سليم حسن صالح ٦٢٤
◆ **الفتـــاوى**
اعداد عبد الحميد السيد شاهين ٦٢٨

مـــن اعـــلام الأزهـــر

◆ **ابى الشيخ محمود أبو العيون**
بقلم السيد السفير جمال الدين محمود أبو العيون ٦٣٢
◆ **الحسينـــى عبد المجيـــد هاشـــم**
للأستاذ السيد حسن قرون ٦٤١

الشعـــر والشعـــراء
اشـــراف د . حســـن جـــاد

◆ **الأزهـــر المعمـــور**
للأستاذ عبد العليم القبانى ٦٤٨
◆ **فـــى محـــراب الفجـــر**
للأستاذ رشاد محمد يوسف ٦٥٠

◆ ألحـــان الخلـــود
شعر جليلة رضا ٦٥١

◆ تسبيحـــــة
للأستاذةنعمت عامر ٦٥٢

العلـــوم الكونيـــة

◆ مســار البحـث العلمـى فـى القـرآن الكريـم
د . محمد وسيم نصار ٦٥٤

◆ قرحــة المعــدة وقرحــة الاثنــى عشــر
د . السيد الجميلي ٦٦٠

◆ طـــرائف ومـــواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٦٤

◆ مجلــة الأزهــر مــن خمسيــن عامــا
اعداد الأستاذ عبد الفتاح الزيات ٦٦٦

اللغــة والأدب والنقــد

◆ مــن أســرار العربيــة فــى البيــان القرآنــى
« سر الكلمة فى القرآن الكريم »
للدكتورة سهير محمد خليفة ٦٧٢

◆ وقفــات علــى شاطــىء آيــة
« والبحــر المسجــور »
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ٦٨٠

◆ بين التوحيدى وابى الفضل بن العميد
د . حامد الخطيب ٦٨٤

◆ انبــاء واراء
د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد ٦٩٢

◆ مــن خيــر ما كتــب
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام ٦٩٩

القســم الانجليــزى

◆ المقالــة الثانيــة
الامام جاد الحق على جاد الحق ٧١٢

◆ المقــالة الأولــى
د . انس مصطفى النجار ٧١٨

resuscitation methods or medication when the physician observes the onset of the death process. Such condition requires that all instrumental equipment helping respiration or heart beats should be removed when death is inevitable.

The issue concerning the discretion between patients similar in their morbid condition regarding their need for transplantation, transfusion and medication; while the availability of such is not enough. Priority is left to the experienced discretion of the medical authority judging on the bases of probable benefit. If, however, this is not possible, Islamic teaching allow drawing lots (lottery) as means to determine whoever deserves the service. After all, Allah be praised is Highest and Knows best.

opened if the valuables are substantial. The valuables are returned to owner, the name of the deceased becomes cleared and the heritors keep the estate intact.

The comprehension of the Zaydi school of Fiqh, mandates that the abdomen of a dead woman with a living faetus in her womb should be opened to extract the faetus; on condition that the faetus is of age and growth to remain alive after extraction. Also, the process must be conducted by an experienced knowledged person, and that there should be someone to support and care for the new born after his/her extraction.

In summary, the trend of Abu Hanifa and Al-Shaffi permits opening the abdomen of the dead whether to deliver living faetuses or to extract valuables. The trend of Malik and Hanbal permits opening the abdomen of the dead to extract valuables but not to deliver faetuses. The author personally chooses the trend of Abu Hanifa and Shaffi, which allows the opening of the abdomen of the deceased for a good logic cause. This understanding conforms with the principles and teachings of Islam based on the priority of the prepondrant good; and allowing the lesser harm bring about some good, the absence of which would be greater harm.

An organ from a cadaver should not be removed except after the death is verified. The verification of death depends on certain definite signs which are fixation of gaze, loss of muscle tone, relaxation of feet, twisting of the ala nasi, sinking of the cheeks, and loss of wrinkles of facial skin. Medically, there is loss of cardiac beats, arrest of respiration, and loss of all reflexes. Based on such considerations, a person is considered dead when signs of life leave him and the above mentioned signs of death are observed. If is permissible to use medical equipment to verify the death of the nervous system. The death of the nervous system alone does not establish death as defined to mean the cessation of life; the continued respiration and cardiac beats are evidence of life even if medical equipments show the nervous system to have lost its function. Death is the complete and total absence of life from all body organs, and the human body cannot be pronounced as dead except when life has left all the whole body.

In Islamic teachings, it is forbidden to prolong the agony of a dying patient by using forcible instrumental

part of the dead; in similarity to eating part of the dead under compulsion of necessity. This on condition that the faetus would live after its extraction. If the viability of the faetus is not expected; in one opinion the abdomen of the dead mother is not opened and she is not burried until the death of the faetus, and in another opinion, the abdomen is opened and the faetus with doubtful viability is extracted.

Regarding the issue of opening the abdomen of a dead person to extract valuables he had swallowed, opinions are not conclusive. If the deceased swallowed a jewel claimed by someone else, the abdomen is opened, the jewel extracted and returned to rightful owner.

If the jewel belongs to the deceased man, one opinion states that the abdomen should be opened to extract the jewel since it now belongs to the heirs, no longer belongs to the deceased. The other opinion states that the abdomen should not be opened since the jewel has been disposed of by the owner during his lifetime, and is not therefore the property of the heirs.

According to the Maliki school of Fiqh, the abdomen of the deceased should be opened to extract valuables swallowed during life, whether these valuable belong to the deceased or to someone else. On the other hand, the Maliki school mandates that the abdomen of a pregnant dead women should not be opened even if the faetus was viable.

According to the Hanbal school of Fiqh, the abdomen of the dead pregnant woman should not be opened to deliver a live faetus; however, that faetus should be delivered through the normal route for delivery. In the case of the deceased person who had swallowed valuables before death, his abdomen should not be opened if the valuables were little on the logic that he had consumed it. If, however, the valuables were expensive, his abdomen should be opened and the valuables extracted, to avoid the loss and benefit the heritors.

If the valuables belong to someone else, and the valuables were swallowed with the consent of the owner, the valuables should be treated as the possession of the deceased. If the valuables were swallowed injustly, two opinions are given. In one opinion, the abdomen is not opened and the valuables are rewarded from the estate of the deceased. In the second opinion, the abdomen should be

➜

permitted under certain circumstances. The authorities of Islamic Fiqh discussed this matter in the section dealing with Funerals. The issues being the opening of the abdomen of pregnant woman who died carring a live faetus; and if the faetus is dead and the woman alive. Also, about opening the abdomen of a dead person to retrieve the valuables that he might have swallowed before his death.

In that respect, the authorities of the Hanafi school did state that if a pregnant woman dies while the faetus is alive and moving, the abdomen should be opened on the lert side and the child extracted. Conversely, if the faetus dies in the womb of the living mother, the faetus must be excoriated. The logic being that preserving the consecration of life overrules preserving the consecration of the dead. If the dead faetus in the womb of a living mother threatens her life and the delivery of the faetus was impossible without excoriation; it is permissible to introduce an instrument and perform instrumental excoriation to preserve the life of the mother.

The issue of opening the abdomen of a dead person to extract valuables he had swallowed is conclusive. If the person swallowed valuables of his own possessions and died, his abdomen is not opened because the consecration of the human being and his dignity alive or dead have precedence over the consecration of the valuables; and a higher consecration cannot be suspended to enact a lower one. If the valuables swallowed were the property of another person, the abdomen of the deceased person is not opened on condition two requirements are fulfilled; that the property of the deceased can equate the valuables swallowed, and that the act of swallowing was not intentional in order to exclude the action of transgression.

If however, the act of swallowing was intentional, then it becomes permissible to open up the abdomen of the deceased to extract the valuables, on the grounds that the right of the owner has precedence over the right of Allah. Emphysis on the fact that the deceased had transgressed injustly by intentionally swallowing someone else's valuables, thereby cancelling his own consecration by that transgression.

The authorities of the Shafie school of Fiqh state that if a woman dies with a living faetus in her womb, her abdomen is to be opened to preserve life by destroying

ORGAN TANSPLANTATION

IN HUMAN BEINGS*

By :
His Eminence Al-Emam, Gad El-Haq Ali Gad Al- Haq
The Grand Sheikh of Al-Azhar

In a previous article **, four issues were discussed in the light of Islamic jurisprudence (Fiqh) which defined the various schools of thought regarding the different aspects of organ transplantation. The remaining four issues are in essence only indirectly related to the subject of organ transplantation. However, the inclusion of these issues provides more understanding and completion of the subject as a whole.

The issues to be discussed in this present article are; the comprehensive definition of death according to Islamic Fiqh; the Islamic Ordinance on the abdominal incision of a pregnant woman after her death, and of a dead man to retrieve valuables; the ruling on discriminating between a number of patients with regards to organ transplants; and finally the Islamic premise on the use of intensive resuscitation medical equipment to help respiration and heart beat, when death of the nervous system is confirmed.

With a genuine praise to Allah, and prayers and peace be upon the magnanemous Prophet Muhammad, considerations of these issues will follow. May Allah the All-Mighty bestow upon us the light of knowledge, and the reality of truth and understanding.

Islamic teachings have respected and honoured the human body both alive and dead; and therefore mutilation of the body after death by opening the abdomen is only

* Article originally published in Arabic in the Al-Azhar Magazine Vol. 55, Shawal 1403, H.; July, 1983 AD.
** Article published in English in the Al-Azhar Magazine Vol. 59, Rabie Al-Akhar, 1407; December, 1986 AD.

almost all the Arab peninsula. The Divine Referendum was declared in the Holy Revelation to legislate the Muslim relationship with unbelievers; and other doctrines in the Holy Revelation also specified Muslim relationship with the "People of the Book". The expansion of Islam required a structure of knowledge necessary to carry on the "Call unto the path of Allah" for the "Muslim Ummah" and the generations of mankind to follow. This structure of knowledge was precisely formulated, practiced and instructed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Prayers and peace by upon our magnanemous Prophet.

overtly, and any hostile act against this call is considered a rejection of a peaceful call to logic, reason and fruitful argument. Men differ is their use of logic and reason, however, from the Islamic standpoint, the critical rational truth must be known which eventually will overspan differences, and the act of calling unto the path of Allah becomes not merely an act of faith, but one of conviction and sincere devotion to what is critically and rationally right.

In his teachings, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stressed the fact that the call unto the path of Allah must be continuous, being essentially an act of an anamnesis and remembrance, a mental and spiritual exercise to retain the Kinetic needs of the self conviction. Islamic doctrines are innate natural constituents of human nature. The natural sence of understanding (fitrah) in humans is to recognize Allah, Creator, Transcendent, Ultimate, Master, and One. The impact of history either confirms and activates this human faculty or stagnates and wraps it into forgetfulness and even imposes diversions and rejection. For such reason, the teachings of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) emphasized the need that man must be rememebered to return to himself, to what is innate in him, to the objective thinking away from the precipitate of indoctrinations and inculcations of history. The foremost function of Islam is to remind mankind with what is already in them, to enrich it, to cultivate it, so that the life of mankind is fulfilled.

The call unto the path of Allah was primarily the main concern of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from the time of his commission as Prophet by receiving the Holy Revelation, and for twenty three years till the begining of the tenth year of Hijrah. With constant patience, confident hope, perpetual conflict, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued to call unto the path of Allah. The implementation of this process differed from one stage to another, from one circumstance to another, and from one situation to another. However, throughout the years. The proliferation of Islam was performed essentially in peace and pivoting on reason, logic, and the awakening of the innate "fitrah" of mankind.

During the months of the tenth year after Hijrah, it became clear that the proliferation of Islam had covered

dignity. Islam puts its trust in man's rational power to discriminate between what is true and what is false, and is therefore an invitation to think, reason and conceptualize which is innate and natural to human beings. The essential bearings of Dawah as taught by the Quran and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that man is the Khalifah (vicegerent) of Allah on earth and therefore carrier of responsibility entrusted to him for the fulfillment of the Divine will in the moral law in the life of man. Any coercion in that function is a violation of man's relation to the Divine will.

In his teachings, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stressed the fact that the call to Allah must preserve the freedom and full consciousness of choice. This protects the cause to be for anything but the sake of Allah. It is directed to Muslims and non-Muslims as well, being of a universal nature. This universalism of the call to the path of Allah "Dawah" is addressed to the non-Muslim to join the ranks of those who make the pursuit of the word of Allah supreme; and to the Muslim to press forward towards actualization to achieve felicity through a continuous unceasing effort. The call unto the path of Allah had been recognized and processed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as a rational necessity and a critical process of intellection, never to be dogmatic by its own authority and renewal of form in cognizance to scientific knowledge in accordance to the human situation. Moreover, conversion to Islam is not the extreme realization of accomplishment, it is rather a growing dynamic process. If the faith of a Muslim stagnates and becomes lethargic, it degenerates into impoverishment. The certitude of a Muslim (Yaqin) is continuously vitalized and enriched by new knowledge, by rational thinking and conviction.

The policy of understanding which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) adopted indicated that Islam is "Din Al-Fitrah" conforming with the primal elements of human nature. It is the basic axiom of all religions a fact that was strictly reaffirmed in different verses of the Holy Quran. With this understanding, the call unto the path of Allah through the implementation of Islamic doctrines is a highly developed means of ecumenical practice; since Islam regards that social relationship between Muslim and non-Muslim is domestic to human needs, being both kins in the human race. Based on such realization, Muslims call for the path of Allah is

path of Allah. The fulfilment of this commandment "the call unto the path of Allah" had been the care and nucleus of the life and activity of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from the start of the Revelation till his death. This vital commandment has also become the prime concern of all Muslims from the time of the Prophet till now, and will continue to be.

The start of the tenth year of Hijrah marked an era in Islamic history whose nature was different. The tenth year of Hijrah marked the cresendo of Islamic propagation and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recognized with inherent wisdom the great need for the proper education of the multitudes of new converts into Islam. Here was established the extensive knowledge of the Sunnah (traditions) and the compelling need for it to be the source of reference of all Quranic legislations. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputized from his companions to instruct distant new convert tribes in Islam, and to come up with questions in matters to be understood. Throughout all the years of turmoil and hardship before the Hijrah in Maccah, and after the Hijrah at Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had been highly concerned and occupied to "Call men unto the path of Allah". The latter years at Al-Madinah particularly the tenth year witnessed the most active era of Islamic instruction and schooling on a large scale. The Quranic Revelation was coming to completeness, Islamic jurisprudence (Shariah) was well formulated, and the greater population of the Arab peninsula had converted into Islam. The dominating issue was that those masses should understand and practice Islam correctly. This need was forcing itself into the life of the Muslim community at all stages of individual, family, social and tribal levels.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) formulated the basic foundations of the "Call unto the path of Allah". The nature of Islamic "Dawah" must spring from the religious truth underlying it and must be axiological and practical to conform with the premise of belief. No coercion in religion is a basic fundamental and a Quranic axiom. This indicated that Dawah is an invitation whose objective can be fulfilled only by the free response of the invited. The Prophet "prayers and peace from Allah upon him) gave the example by allowing the Christians from Nejran who were not convinced by his Dawah to Islam, to keep their faith and return home in

Islam means submission, surrender and obedience with all vital functions to Allah. In contrast, Kufr or disbelief means concealing a reality and truth. Disbelief (Kufr) is not a form of ignorance, rather, it is ignorance itself. What ignorance could be greater than to be ignorant of Allah. Knowledge of God and belief in Allah constitute the very root and foundation of Islam. Allah, the Maker and Sustainer of the cosmos, the Provider of man, the Active force and effective power in nature, the most Supreme. The Holy Quran states:

> "Allah who has made the night for you That ye may rest therein, and the Day as that which helps you to see. Verily, Allah is full of Grace and Bounty to men; Yet most men give no thanks. Such is Allah; your Lord, the Creator of all things, there is no God but He; then how are you deluded away from the truth. Thus are deluded those who are wont to reject the signs of Allah.
>
> He is Allah Who has made for you the earth as a resting place and the sky as a canopy and has given you shape, and made your shapes beautiful and has provided for you sustenance of things pure and good; such is Allah your Lord. So Glory to Allah, the Lord of the Worlds.
>
> (Surat Ghafer, XL, 61 - 64)

Allah is High and Supreme, very near the pious, answers their prayers; loves and forgives the sins of those who repent; grants peace and happiness, knowledge and success, life and protection; teaches and instructs man to be good, do the right and avoid the wrong. The door of Allah's forgiveness and domain is always open to those who seek Divine support and protection. This is the theme of the new creed that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him summonded for; the creed prescribed precisely by the Holy Revelation and taught to the generations of mankind by the tradition and Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Allah had commanded the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and all Muslims throughtout the ages to call with patience, wisdom and good counsel for the

THE CALL UNTO THE PATH OF ALLAH

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar
MD.Ph.D.

In the Name of Allah most Gracious, most Merciful

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued for twenty three years in constant patience, confident hope, perpetual conflict, and final triumph. He received the Holy Revelation from Allah, the Greater and the Ruler of the whole universe, the Divine law that constituted the complete framework of human life. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) conveyed the precise words of the Message and educated, enlightened, instructed and schooled his companions in every aspect of the profound spiritual truth. The messages of the Holy Quran came as an inspiration to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as the need arose on different occasions and in different places. He recited them to his loving disciples from amongest his companions; and the verses were recorded precisely by the pen, and were engraved and imprinted on the hearts and in the minds and memory of men.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) lived to portray the example in action, and formulate the code in words. He answered questions, appealed to men in their doubts and fears. He helped and supported at times of trial. He ordained laws and legislation by which all humanity could live in purity, chastity, harmony, goodness and peace. The body of the sacred scripture grew to completeness to declare the One Universal God "Allah", the Gracious, the Merciful, the Sublime, the All-Cognizant.....; and to lay down the foundations of the distinction between sacred and profane, and to optimize every human action to excellency and virtuousness.

➔

THE AZHAR MAGAZINE

Vol. 59, Part V

Jummada Al-Ula

1407 Hijriah

CONTENTS

1) The Call unto the Path of Allah.

By: Dr. Anas Moustafa El Naggar.

2) Organ Transplantation in Human Beings.

By: Al-Imam Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq.

Preparation of prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

١٢٨ م
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

ذمة المسلم

قال عبد الرحمن بن أبى ليلى ـ رضى الله عنه :

« حدثنا أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسير ؛ فنام رجل منهم ؛ فانطلق بعضهم إلى نَبْلٍ معه فأخذها ، فلما استيقظ الرجلُ فَزِع ؛ فضحك القوم ، فقال : ما يُضحِكُكُم ؟

فقالوا : لا ، إلَّا أَنَّا أخذنا نَبْلَ هذا ففزع !

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يُرَوِّعَ مسلماً »(1).

صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

* فبراير ١٩٨٧ م *
* جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ *
* الجزء السادس *
* السنة التاسعة والخمسون *

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

• صورة الغلاف

والحديث الشريف لا يسجل أكثر من « مداعبة » أرادها القوم مع أحدهم ، لا يرومون بها شراً ، ولا يبيتون بها لسوء ؛ بل لقد كان فى ضحكهم مانبّه الرجل إلى وجود حاجته ، والاطمئنان إلى عدم ضياعها ، لكنها ـ لأول صَحْوِهِ ـ تركت فى نفسه « رَوْعَةً » لم تستغرق وقتاً يذكر ، لكنها روعة على أى حال ! وشأن المسلم أن يكون ـ بين المسلمين ـ آمناً مطمئناً لا يتوقع من أحدهم أذى ، أو يستشعر مكروها ... فكان تحريم رسول الله،صلى الله عليه وسلم،وإنه لتحريم ناطق بفظاعة ماسواه مهما احتيل له بمبررات أو أسباب .

وأين يأمن المسلم إذا لم يأمن بين المسلمين ؟!

أليس كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه ؟! .

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضَيْعَتَهُ ، ويحوطه من ورائه »[٢]

كذا شأن المسلم ، خير كله للناس ، لا يطوى أذى ولا يسارع بحقد ، وهذا هو خُلُق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وإذا كانت الدعابة المؤذية حرام ، وهى شىء نلمسه ، فهناك حرام آخر قد يطويه الضمير ، وهو أن يحقر المسلم أخاه ، وإنه لمن الفسوق الذى نزلت به الآية الكريمة حيث يقول ـ تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ** »[٣]... **الآية** .

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[٤]

فما بالك بعد ـ بالاستطالة عليه بالأذى ، أو تعريضه لمكروه ، أو إقحامه فى بلاء طَهُرَتْ يدُه منه ؟! إن ذلك لهو الإثم العظيم ، يقول تعالى :

« **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً** »[٥] .

سَمِعَ إسماعيلُ بن بشير جابرَ بن عبد الله وأبا طلحة الأنصارى ـ رضى الله عنهما ـ يقولان : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ما من امرىء يخذل امرءًامسلماً فى موضع تُنْتَهَكُ فيه حرمته ، ويُنْتَقَصُ فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته .

وما من امرىء ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب نصرته .»[٦]

إن المسلم كنز ينبغى رعايته وحفظه ، ثم هو فى ذمة الله ما استقام على دينه ، فلا يَخْفِرَنَّ أحد ذمَّةَ الله ، روى الترمذى بسنده قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم » .

وبعد :فهل يجوز لِمُسْلِمَيْن أن يتقاتلا ،أو لِمُسْلِمِينَ أن يتقاتلوا؟اللهم لا . وإليك ـ ربنا ـ نبرأ .

د.على أحمد الخطيب

(١) الحديث ـ بهذا اللفظ ـ رواه أحمد ـ رضى الله عنه ـ بمسنده ٣٦٢/٥ ـ الميمنية ورواه أبو داود بسننه ٥٩٧/٢ طبع مصطفى البابى الحلبى .

(٢) أبو داود ٥٧٨/٢ (٣) الحجرات ١١ (٤) أبو داود ٥٦٨/٢ (٥) النساء ـ ١١٢ (٦) أبو داود ٥٦٩/٢

دراسات إسلامية

في مقابلات الأديان وتطوراتها

أحوال الجن

رد الخطأ عن السيرة النبوية

فى مقابلات الأديان وتطوراتها

عنى الباحثون فى جوانب الفكر الـــدينى ، والفلاسفة المعنيون بنشأة العقائد وتطـــورها ببحث العقائد والطقوس الدينية بين البدائيين ، ويدخل فى هذا درس الخرافات والأســـاطير التى تشيع بينهم ، ووجدوا فى جوف القـــارة الافريقية وبين الهنود الحمر فى امريكا مـــواد واسعة للدرس والاستنتاج ، لأن حياة الانسان البدائى فى هذه البقاع ليست صورة مطـــابقة لما كان عليه الانسان الأول أو انسان ما قبـــل التاريخ . فلم يكن بـــد مـــن اللجـــوء الى الاستنتاج .

واذا نحن استثنينا مظاهر الطوطميـــات والفيتشـــية Eitishism وجدنا بين هذه القبائل مظاهر دينية تقرب من طقوس وعقائد الديانات السماوية ، وقد كان كشـــف القارة الامريكية والتجول فيها تدريجيا خلال القـــرن السادس عشر ينبوعا لمعلومات كثيرة عن عقائد البدائيين ، ثم كانت الدعوة الى تنصـــير هذه القبائل عاملا مستجدا الى مزج هذه المعتقدات بطرق ومقادير مختلفة ، وهذا موضـــوع يهم الباحثين فى تطورات الفكر الدينى .

من المعروف أن رحلة كولـــومب الأولى لم تكن رحلة الى امريكا فيما قصد هو وقصـــدت الهيئة التى جهزت سفنه لها . فلم تكن امريكا معروفة لهم . ولكن كان الغرض من الرحلـــة هو محاصرة المسلمين فى الهنـــد من الشرق ، حتى يكونوا بين مسيحى الحبشـــة وبين هؤلاء الوافدين فيقضى عليهم قضاء نهائيا . ولهـــذا زودت الرحلـــة بالقسس المبشرين ، وظـــلت الرحلات التى تلتها تصطحب القسس الفاقهين ليعلموا المسيحية وينشروا الأناجيل . ولم يكن البدائيون الأمريكـــان على غـــير دين ، ولكن دياناتهم وطقوسهم لم تكن معروفة للقسس ، فمن ناحية لم يكونوا يعرفون لغتهم ومن ناحية أخرى لم يعنهم أن يعرفوا أو يدرسوا ديانة أو ديانات لا أســـاس لها . وبتقـــدم الـــزمن والدراســـة عنى رجـــال « الانثروبولوجى » ودارسو الديانات أن يتعـــرفوا على هـــذه الطقوس والعقائد ، وكشفت هذه الدراســـة عن وجود عناصر دينية تتحد أحيانا وتحـــوى أحيانا أخرى تشابه من الديانات التى فى نصف الكرة الأرضية الشرقى .

ومن أهم هذه العناصر أنهم يعرفون حادث

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

الطوفان ونجاة المؤمنين منه فى سفينة ، وتفاصيل هذا الحادث تختلف عما فى التوراة وعما فى القرآن ولكن الحادث موجود على أية حال ، كما وجدوا بينهم أفكار الخلاص والتكفير والايمان بالمعزى أو المخلص المرتقب وهى أفكار ليست بعيدة عن تعاليم المسيحية • وذهب القسس والمفكرن يبحثون هذا التشابه وأسبابه ، فقال بعض منهم انها رسالة قديمة لنبى مجهول بشر بها منذ زمن قديم ،ثم شوهت والتوت أو دخلها الزيف بمرور السنين واختلاف الوعاظ ما يلائم هذه البيئات ، وقال آخرون انها من أضاليل الشيطان الذى يقذف فى عقول الناس بأشياء من الحق ومن الباطل ، ولم ينل أى من الرأيين قبولا ولا وجد أصحابه أدلة كافية •

ورأى فريق ثالث أن قدماء المصريين كانوا قد عرفوا امريكا ونقلوا اليها الايمان بالبعث والحساب والدار الآخرة ، فبقيت العقيدة بينهم ، ثم نالها التغيير بمرور الزمن وحجة هؤلاء أنه وجد فى المكسيك أهرامات صغيرة تشبه الاهرامات المصرية ، وأهرام مصر بنيت لأغراض دينية فلابد أن المصريين نقلوا مع أهرامهم عقيدتهم •

ولا يزال لهذا الرأى صدى ولكنه لا يجد الدليل الكافى لبدايته ولا لنهايته •

واطمأن من اطمأن الى أى من هذه التفاسير وظل على حيرته من بقى ، حتى كانت بداية القرن التاسع عشر أو أواخر القرن الثامن عشر حين بدأت موجة الاستعمار وكثرت رحلات المستكشفين • ووجدت قبائل متناثرة فى جوف القارتين لا تربط بين واحدة منها وبين الأخرى أية صلة ، ولا لغة أى منها هى لغة الأخرى ، ووجد التشابه فى الطقوس الدينية والعقائد بينها جميعا ، فأثبت ذلك بطلان التفسيرات السابقة كلها • وقد كان التجول فى أعماق القارة الامريكية والهجوم عليها بآلات الزراعة الحديثة والصناعات داعيا الى التجول فى أعماق القارة الافريقية أيضا ، اذ دعت الحاجة الى الايدى العاملة فى القارة الجديدة الى نقل الافريقيين اليها ، وكان النهب والأسر الجماعى عملا مألوفا ، وكانت وسائله وحشية رهيبة • ولكن هذا الموقف هيأ للدارسين أن يعرفوا أكثر من حياة البدائيين هنا وهناك •

وازدادت الحيرة أمام هذا التشابه • وكانت موجة الشك التى نمت منذ عهد فولتير وبنيامين فرانكين ، وأستاذهما كولنس ، قد اتسعت فى القرن الثامن عشر ، وشجع عليها الباس دعوتهم ثوب التفكير الحر ، فنمت دعوة الالحاد ، وقال دعاتها ان الدين خرافة ينبتها الخوف من الطبيعة ، وان الانسان فى كل بيئة يضع قواعد الدين التى تناسبه • وقال رجال الدين ان الله — سبحانه — يلهم الدين ويوحيه لبنى الانسان

حتى من غير ان يرسل اليهم رسلا يعلمونهم ، فميزه الانسان هى العقل والتفكير ، وحقا ان الفعل وحده كفيل بالهداية ومعرفة الخالق ، ولكنه مع استنارة العقل وادامة التفكير وعمقه يأتى الالهام الالهى •

وقال جماعات آخرون : ان المسيحية أقدم من المسيح ، وأنه — عليه السلام — كان مذكرا بها ولم يكن منشئا ، ولم يعدموا أن يجدوا فى كلامه ما يسندون به آراءهم ومهما يكن من أمر هذه الطوائف وآرائها فقد ثبت المتدينون على ايمانهم ووجدوا فى هذه الظواهر حجة على أن الدين شيء ضرورى للانسان ، وأنه لم يوجد انسان بغير دين ولم توجد أمة بغير رسول من الله ، ولكن الرسالات يشوبها السحر والخرافات فما وجد بين هذه القبائل العديدة من تشابه فهو من وحى السماء ، وما يوجد بها من خلافات فهو من عمل السحرة والمخرفين •

واذا كان المنكرون والشكاكون قد عجزوا عن ايجاد تفسير لشيوع فكرة الطوفان بين الافريقيين على اختلاف قبائلهم وبين القبائل الامريكية العديدة المنقطع بعضها عن بعض فقد وجد المتدينون لها حلا يرونه ملائما وهو ضرورة الدين لكل مجتمع •

وهناك مسألة قريبة التناول ، وهى هبوط المسيح على بعض الناس وتلقينه اياهم تعاليم المسيحية ، وهذه ظاهرة لم تنقطع ، ومنذ مقابلة تلاميذه بعد قيامه من قبره ظل يتراءى للكثيرين بين حين وآخر • وبسبب هذه اللقاءات أو هذا الانكشاف قامت المسيحية الشائعة الآن فهو قد ظهر • بعد لقائه تلاميذه لعدوهم بولس ، الذى لم ير المسيح من قبل وكان من أعداء دعوته ، وقد أدخل بولس على المسيحية تعاليمها وأفكارها التى هى قائمة عليها الآن ، وهو الذى بث بين المسيحيين فكرة أن المسيح ابن الله ، وكان المسيح يكرر فى خطبه أنه ابن الانسان ، ويقول أبى وأبوكم الذى فى السماء وقد لاحظ أستاذ الأديان الفرنسى شارل جنينز أن بولس وقع فى خطأ الترجمة عندما قال المسيح ابن الله ، ومنشأ الخطأ أن ترجمة التوراة السبعينية استعملت كلمة خادم الله ، وهى تعبير شائع فى الديانه اليهودية ، فلما نقلت الى اللغة اليونانية فى هذه الترجمة الشهيرة استعملت كلمة مشتركة فى اليونانية تصلح أن تكون خادم الله أو طفل الله ، فاختار بولس هذا المعنى الأخير واستعمله بمعنى ابن وأراد به البنوة الحقيقية ، ثم أشاع بالتدريج افكارا هيلينية تقبلها اتباع المسيح بسبب أن بولس قابله شخصيا وتحمل وصاياه • وبذا حورت المسيحية أو على الاصح خرجت عن منهجها نهائيا •

ولم ينقطع ظهور المسيح بعد ذلك ، بل ظل يتراءى بنفسه أحيانا وتتراءى ملائكة مبشرة أحيانا أخرى وعلى هذه الرؤى قامت مذاهب مسيحية معاصرة وكنائس خاصة لها مناهجها وطرق عبادتها •

ومن الكنائس الكبيرة ذات النشاط التبشيرى الآن كنيسة « الميثوديزم » « النظام » وكان مؤسسها وداعيها جون ويزلى يتبع الكنيسة

الانجليكانية ، ثم (تجلى) له المسيح (١) وهو يمشى فى حى اليهود فى لندن • ومنذ ذلك الوقت أنشأ مذهبه ، وانتقل به الى امريكا واستباح أن يعين الأساقفة المبشرين بدون الرجوع الى البابا • ويقول أتباع هذا المذهب انه من الخطأ أن نحسبه مذهبا حديثا أنشأه ويزلى ، فهو فى واقعه تيار مسيحى قديم ، ويقول بعض أيضا ان المسيحية موجودة من قبل المسيح نفسه •

وفى القرن الثامن عشر ظهرت جماعة متواضعة فى انجلترا يمكن ان تسمى الجماعة المجددة وبعض مؤرخى الأديان يسمى اتباعها « الشيكرز » — وهى تسمية حرفية ، لكلمة Shokers الانجليزية ، من الفعل To Sahake بمعنى يهز بعنف أو يغير وناسب ان يسموا بالمجددين • ويرجع ازدهارها الى رؤى رأتها فتاة تدعى آن لى • وكانت ذات آثام وخطايا كثيرة ، وعوقبت بالسجن والتعذيب فى سجنها ، وتراءت لها أنواع من الانكشافات والنبوءات ، وتلقت وحيا يأمرها بالهجرة الى أرض عما نويل فى امريكا فى مقاطعة نيويورك فأزمعت الرحلة اليها •ومع أنها كانت ذات أثر فعال فى كنيستها لم يهاجر معها غير تسعة من أتباعها ، وهناك اشتروا أرضا وكونوا كنيسة ولهم الآن نشاط تبشيرى ونشير مجرد اشارة الى جماعة المورمون ، فهى الآن جماعة مستقلة لها بجانب الاناجيل كتابها المقدس • وترجع نشأتها الى رؤى رآها جوزيف سميث • اذ تمثل له (٢) ملاك أرشده الى مكان فى سفح الجبل به كتاب مخطوط على الواح من الذهب ومعه كتيب آخر يساعد على تفسيره وشرحه • وترجم هذا الكتاب وتقوم على مبادئه جماعة كبيرة وقد لقى يوسف اسميث وأخ له مصرعه اغتيالا حينما كانا يعدان للمحاكمة ، وقد ترك فى مذكراته تصويرا لمشاعره يوم أن قبض عليه ، وقال انه يشعر أنه مسوق الى ذبحه ، وكانت هذه النبوءة مما شجع على اتباع مذهبه •

وهناك آخرون لهم رؤى قامت عليها مذاهب مستقلة أو غير مستقلة •

ونقف من هذا كله على صور من تطورات الفكر الدينى ، وقيامه على رؤى ونبوءات واذا وازناها بالأسلام وجدنا أنها كلها ينقصها البرهان والدليل الكافى • فهى فكر بشرى بحت•ومن هنا ساغ لبعض الباحثين ان يقول أنه ليس من المستبعد أن يكون بعض الزنوج قد رأى مثل هذه الرؤى ، وبها نشأت الطقوس التى شوهدوا عليها • وهو مجرد رأى لا يخرج عن الخرافة • أو هو أَيّدَ الخرافة بخرافة •

ولقاءات المسيح لم تكن من السعة والتكرار بحيث تذكر أخبار الأولين أو تفاصيل طقوس وعبادات ، وبذا تظل المسألة على غموضها •

وأقرب الآراء ما قاله بعض الفاقهين — وأشرنا اليه فيما سبق — ان الانسان يهتدى لمعرفة الله بغير وحى أحيانا والهداية بالوحى أقنع وأقطع •

وبعد فهل نحن بحاجة الى أن ندرس الاسلام فى هذه الموازنات ؟ انه دين له سنده وحجته ، لم يقم على خرافة أو رؤى ولكنه قام على كتاب معجز •

د • عبد الجليل شلبى

---

(١) كذا يعتقدون

(٢) كذا يقول

أحوال الجن

٢

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » الآيات » .

البيان

ذكرنا في العدد السابق ان الجن حقيقة واقعة يسلم بها الإسلام ومعظم الأديان ، وأنهم مكلفون ، وان بعضهم آمن بالنبي ﷺ لما سمع القرآن ، وان لهم وفادات ستا على رسول الله ﷺ .

واليوم نتكلم عن أمور أخرى يسأل عنها الناس ويريدون أن يعرفوها ، وفيما يلي بيان ذلك .

مساكن الجن

مساكن الجن في الأرض التي نحن عليها ، فهم من أهل الأرض ، وقد أرسل إليهم النبي ﷺ كما تقدم .

وفي ذلك يقول الله حكاية عنهم : « **وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** » .

وقد مر في المقال السابق أن بعض من وفد على النبي ﷺ من أهل « الموصل » وبعضهم من « نصيبين » ، وما من مكان في الأرض الا الجن تشاركنا فيه ، ومن رحمة الله تعالى أن جعلهم محجوبين عن أعين الناس ، حتى لا ينزعجوا برؤيتهم ، ويضاروا بلقائهم فقد خلقوا من نار وخلقنا من طين ، وقد جعل صورهم غير صورنا ، وأعطاهم قوى خارقة يخشى منها على حياة الناس .

وقد حال الله بينهم وبين الإضرار بالناس بنواميس يعلمها الله تعالى ، ومن النادر أن تحدث منهم أضرار بالبشر ، ولعل ذلك ليشعر الناس بوجودهم ، ويدركون عظمة الله وقدرته إلى جانب رحمته وفضله ، فبضدها تتميز الأشياء ، فكما تعرف نعمة الصحة بحلول المرض بالجسم ، فكذلك يعرف الحفظ من أضرارهم بحدوث بعضها وهذه من قوانين الله العجيبة ، إذ يخلق كائنات من شأنها الاضرار بالناس ، ولكنه يلزمها حدودها ، فلا تعتدى على أحد إلا نادرا .

فالحيوانات المفترسة الزمها الغابات والأحراش والأماكن البعيدة عن السكان فلا تؤذيهم إلا نادراً ، حتى النمل الزمه الله حدوده في جوف الأرض ، فلم يسلطه على جسد الإنسان بل يخشاه ، ولو سلط على جسده لاجتمع عليه وقتله ، لهذا تراه يعيش على

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

فضلات البيوت ، وعلى ما تصرفه الإنسان من طعام ، فلم يحفظه فى مكان أمين منه .

ويقول الزمخشرى فى « ربيع الابرار » عن وجود الجن : تقول الاعراب : ربما نزلنا بجمع كثير ، ورأينا خياما وناسا ، ثم فقدناهم من ساعتنا ، يعتقدون أنهم الجن ، وأن تلك خيامهم وقبابهم : أهـ

وروى مالك فى الموطأ أنه بلغه أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق ، فقال له كعب الأحبار : لا تخرج ياأمير المؤمنين ، فإن بها تسعة أعشار السحر أو الشر ، وفيها فسقة الجن ، وبها الداء العضال .

وروى القاسم بن عبيد فى مكايد الشيطان ـ روى ـ عن جابر : ما من أهل بيتٍ من المسلمين إلا وفى سقف بيتهم من الجن المسلمين ، إذا وضع غداؤهم ، نزلوا فتغدوا معهم ، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم » .

وقال القاضى والمحدث بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلى فى كتابه « آكام المرجان » : غالبا ما يوجد الجن فى مواضع النجاسات ، كالحمامات والحشوش ومعاطن الأبل ونحوها ، وقد جاءت الآثار بالنهى عن الصلاة فيها ، لأنها مأوى الشياطين ، ولكونها مظنة النجاسة .

ولهذا يسن قبيل دخول المرحاض أن يقول الداخل : اللهم إنى أعوذ بك من الخُبُث والخبائث .

ثم قال الشيخ بدر الدين : إن أهل الضلال والبدع الذين يتظاهرون بالزهد والعبادة على غير الوجه الشرعى ، ولهم أحيانا مكاشفات وتأثيرات ، يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها ، وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان وكما كانت تدخل فى الأصنام وتكلم عابدى الأصنام ، وتفتنهم فى بعض المطالب كما تفتن السحرة ، وكما تفتن عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب ، إذ عبدوها بالعبادات التى يظنون إنها تناسبها ، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك ، فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب ، وقد تقضى بعض حوائجهم إلى آخر ما قال محذراً من الانخداع بأهل الضلال الذين يسخرون الجن بعزائم وعبادات تناسبهم وهى مخالفة للإسلام .

ما يمنع الشياطين من المبيت بالمنازل

روى الإمام مسلم وأبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا ذكر اسم الله عند دخوله ولم يذكره عند الطعام يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم ، وإذا لم يذكر الله عند دخوله قال : ادركتم المبيت والعشاء » .

قرين الإنسان

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرنى إلا بحق » .

وفى رواية أخرى لمسلم « ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا إلا أن الله تعالى أعاننى عليه فـأسلـم ، فليس يـأمـرنـى إلا بخـير » .

طعام الجن

أما طعامهم فمن نوع الطعام الذى نأكله ، فهم يأكلون الحب والخضروات واللحم والفاكهة ، والعظم الذى نلقيه خارج أطباق الطعام ، يكسوه الله لهم لحماً فيأكلونه ، فقد جاء فى الصحيحين أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعر علف لدوابهم » وزاد ابن سلام فى تفسيره أن البعر يعود خضرا لدوابهم .

وقد نهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث وقال : إنه زاد إخوانكم من الجن ، وقد ثبت نهيه ﷺ عن الاستنجاء بالعظم والروث فى أحاديثه ففى صحيح مسلم وغيره عن سلمان الفارسى قال: « نهانا رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، أو أن نستنجى باليمين أو أن يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجى برجيع[1] أو عظم » .

وفى صحيح مسلم وغيره عن جابر قال : « نهى رسول الله ﷺ أن نتمسح بعظم أو بعرة » وقد بين علة ذلك فى حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « أتانى داعى الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال-صلى الله عليه وسلم:فلا تستنجوا بهما لأنهما طعام إخوانكم » .

وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة أنه كان يحمل مع النبى ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها قال : من هذا ؟ قال:أنا أبو هريرة ، فقال ابغنى[2] أحجارا استنفض بها ، ولا تأتنى بعظم ولا بروثة ، فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى ، حتى وضعت إلى جنبه ثم انصرفت ، حتى إذا فرغ مشيت : فقلت : ما بال الروث والعظم ؟ قال هما طعام الجن ، وإنه حين أتانى جن نصيبين - ونعم الجن فسألونى الزاد ، دعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بعظم ولا روث إلا وجدوا عليه طعاما .

وقد يقال : إذا كانوا يأكلون كما نأكل فإنهم يكونون أجساما كثيفة - وقد مر أنهم أجسام لطيفة فالجواب إنهم ينتفعون من تلك الأغذية بالعناصر التى تناسب لطافتهم ، والله أقدرهم على ذلك أو يقال : إن كونهم أجساماً لطيفة هو رأى ناشىء عن أننا لا نراهم ، فأى مانع من أن يكونوا أجساما كثيفة ، ولكن الله حجبهم عنا ، فكف أبصارنا عن رؤيتهم ، أو خلق بيننا وبينهم حجابا من غيب الله حال دون رؤيتهم على صورتهم الحقيقية ، والله تعالى أعلم .

البسملة تمنع الشيطان من الطعام

يستحب أن يبدأ الإنسان طعامه باسم الله ، فإذا نسى وذكر آخر الطعام فليقل : بسم الله أوله وآخره ، حتى لا ينتفع الشيطان بطعامه .

فقد روى أبو داود بسنده عن أمية بن مخشى - رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال « كان رسول

« ١ » الرجيع الروث أى البعر

« ٢ » أى احضر لى .

الله ﷺ جالساً ورجل يأكل ، حتى إذا لم يبق من طعامه إلا لقمة ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : مازال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه .

وبالجملة فإن الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون .

راى ابن تيمية فى سؤال الجن

قال أبو العباس أحمد بن تيمية : أما سؤال الجن وسؤال من يسألهم ، فهذا إن كان على وجه التصديق لهم فى كل ما يخبرون به ، والتعظيم للسؤال فهذا حرام ، كما ثبت فى الصحيح عن معاوية بن الحكم : « أن النبى ﷺ قيل له : إن قوماً منا يأتون الكهان ؟ قال : فلا تأتوهم » .

وفى صحيح مسلم عنه ﷺ انه قال : « من اتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل صلاته أربعين يوما » .

وأما إن كان يسأل المسئول فيمتحن حاله ، ويختبر باطن أمره ، وعنده ما يميز صدقه من كذبه فهذا جائز ، كما ثبت فى الصحيحين « أن النبى ﷺ سأل ابن صياد فقال : ما يأتيك ؟ قال : يأتينى صادق وكاذب ، قال : ما ترى ؟ قال أرى عرشا على الماء ، قال فإنى قد خبأت لك خبيئا ، قال هو الدخ ، قال أخسأ فلن تعدو قدرك ، فإنما أنت من إخوان الكهان » .

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن ، كما يسمع المسلمون ما يقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم ، فكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا يكذبه الا ببينة .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أهل الكتاب كانوا يقرءون التوراة ويفسرونها بالعربية ، فقال النبى ﷺ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه ، « وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » فقد أجاز للمسلمين سماع ما يقولونه - وإن لم يصدقوه ولم يكذبوه ، ثم ساق حديث بريد الجن الذى قدمناه ، وحديث أبى مسلم الأشعرى الذى ذكرناه .

رأى القاضى بدر الدين فى سؤالهم

قال القاضى بدر الدين الشبلى صاحب كتاب « آكام المرجان » : لا شك أن الله تعالى أقدر الجن على قطع المسافات الطويلة فى الزمن القصير ، بدليل قوله تعالى : « قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ » فإذا سأل سائل عن حادثة وقعت أو شخص فى بلد بعيد ، فمن الجائز أن يكون الجنى عنده علم من تلك الحادثة وحال ذلك الشخص فيخبر به .

ومن الجائز أن لا يكون عنده علم فيذهب ويكشف ، ثم يعود فيخبر ، ومع هذا فهو خبر واحد لا يفيد غير الظن ، ولا يترتب عليه حكم غير الاستئناس ، ثم قال : وأما سؤالهم عما لم يقع وتصديقهم فيه بناء على أنهم يعلمون الغيب فكفر ، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تأتوهم » وقوله : « من أتى عرافا .. » الحديث - والله تعالى أعلم وفى الموضوع كلام كثير وأحكام عديدة ، وحسب القراء ما تقدم .

أمتنا خير الأمم

عاش الناس قبل الإسلام الحنيف ، أجيالاً طوالاً ، متنازعين مختلفين ، يعتدي قويهم على ضعيفهم ، وتشتعل نيران الحروب لأوهى الأسباب بينهم ، ولم يجد المؤرخون اسماً لهذه الحقبة من الزمان ، يتمشى مع حالة البشر حينذاك ، إلا لفظ الجاهلية ، نسبة إلى أن كل واحد من أهل هذا العصر ، كان جاهلاً بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما تسعد به الإنسانية ، وتبلغ من ورائه الرقي والكمال . ثم تجلى الله تبارك وتعالى برحمته ورضوانه على العالم ، ولكل بداية نهاية ، فأطلع نور المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في البلد الأمين مكة ، وأعده للنبوة والرسالة أعظم إعداد ، ثم أرسله صلوات الله وسلامه عليه ، بالهدى ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وجعله خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، ورحمته للعالمين ، وسيد الأولين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، والشفيع يوم الزحام في المذنبين ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس إلى يوم الدين ، وخصه عليه الصلاة والسلام بأمور لم يخص بها أحداً من الأنبياء السابقين ، وأرسله صلى الله عليه وسلم للإنس والجن أجمعين ارسال تكليف ، وللملائكة المكرمين ، ارسال تشريف ، وقضى عز وجل بأن شرع المصطفى لا ينسخ بغيره أبداً لا كلاً ولا بعضاً ، وأنه مستمر إلى أن تقوم الساعة ، وحكم ربنا وهو السميع العليم ، بأن شرع نبينا ، ناسخ لشرع كل نبى قبلنا ، لأن الإسلام الشريف ، خاتمة الأديان السماوية ، ودين العدالة والإخاء والحرية ، وأعظم الرسالات الإلهية ، وأكثرها ملاءمة للطبائع البشرية ، وعملاً على إسعاد الإنسانية ، ولهذا أمر المكلفين جميعاً باتباعه وترك ما عداه ، وقال في ذلك وقوله الحق ، بالآية الخامسة والثمانين ، من سورة آل عمران الكريمة : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ والأحاديث النبوية الشريفة في ذلك كثيرة بلغت في جملتها مبلغ التواتر .

ولقد صرح التنزيل الحكيم ، بأن أمتنا خير الأمم ، في مواضع عدة ، منها قول الله عز علاه ، في سورة آل عمران الشريفة ، من الآية العاشرة بعد المائة ، إلى الآية الثانية عشرة بعد المائة ونصه :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ . لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ . ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

لفضيلة الشيخ
أحمد على منصور

وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

فقد أوجدنا الله تعالى خير أمة إلى يوم الحساب ، أوكنا في علمه ، أو في اللوح المحفوظ خير أمة ، أو كنا في الأمم السابقة علينا ، مذكورين بأننا خير أمة ، أظهرت للناس ، نأمر بالإيمان وطاعة الرسول ، ونحذر من الكفر والمعاصي وكل محظور . ونداوم على الإيمان بالله وطاعته ، ولو صدق أهل الكتاب بنبينا ، واتبعوا ما جاء به ، لكان ذلك خيراً لهم ، مما هم عليه ، من ايثارهم دينهم ، بالرغم مما اعتراه من تغيير وتبديل ، على دين الإسلام المجيد ، حباً للرياسة وجرياً وراء اتباع العوام لهم ، وطلباً لحظوظ الدنيا الفانية ، ولو آمنوا بالمصطفى الكريم لكان خيراً لهم من كل ذلك ، مع الفوز بما وعدوا على التصديق به ، والسير في طريقه السوي من إيتاء الأجر مرتين ، ومنهم المؤمنون ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ، وأكثرهم المتمردون في الكفر ، وانهم لن يضروكم يا معشر المؤمنين ، إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول ، من طعن في الدين ، أو تهديد ، أو نحو ذلك ، وإن ينازلوكم في الحرب يولوكم الأدبار منهزمين ، ولا يضروكم بقتل أو أسر ، ثم لا يكن لهم نصر من أحد ، ولا يمنعون منكم ، وفى هذا السياق الكريم تثبيت لمن آمن بهم ، لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم ، وثم لا ينصرون ابتداء اخبار ، معطوف على جملة الشرط والجزاء ، وليس بمعطوف على يولوكم ، ولو كان معطوفاً عليه لقيل ثم لا ينصروا ، وإنما استؤنف ليؤذن أن الله عز وجل ، لا ينصرهم أبداً قاتلوا أو لم يقاتلوا ، وتقدير الأسلوب الحكيم : أخبركم بأنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ، ثم أخبركم بأنهم لا ينصرون بحال ، فثم هنا للتراخي في المرتبة ، لأن الأخبار بتسليط الخذلان عليهم ، أعظم من الأخبار بتوليتهم الأدبار .

وفي الآية الأخيرة من هذا النص الكريم ، يخبرنا الله جل جلاله ، بأن اليهود ألزمت عليهم الذلة والهوان ، في أي مكان كانوا ، وعلى أية حال وجدوا ، إلا معتصمين أو متمسكين ، بحبل الله وحبل الناس ، يعنى ذمة الله تعالى ، وذمة المسلمين ، فلا عزلهم إلا من هذه الناحية ، دون سواها ، وهى التجاؤهم إلى الذمة كما قبلوه من الجزية ، ولقد استوجبوا غضب الله سبحانه ، وما يبدو على محياهم ، من الفقر والمسكنة ، عقوبة لهم على قولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء » أو خوف الفقر مع وجود السعة واليسار ، ولقد حل بهم هذا بسبب كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وذلك الكفر ، وذلك القتل . كائنان بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده .

وفي التنويه باكرام الله تعالى لنا ، وان أمتنا خير أمة إلى يوم القيامة ، يقول مولانا عز علاه ، في ختام الآية الأخيرة ، من سورة البقرة الشريفة :

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا . رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

والأصر : العبء الذي يأصر حامله ، ويحبسه مكانه لثقله ، واستعير في النص الكريم للتكاليف

امتنا خير الأمم

الشاقة ، التي كانت عند السابقين ، لكفرهم وعنادهم ، كتعليق قبول التوبة على قتل المذنب ، والطهارة بالماء فقط ، والصلاة في مواضع العبادة لا غير ، كالبيع ، والصوامع والكنائس ، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب ، ونحو هذا مما يصعب على المكلف النهوض به ، فتضرعنا إلى مولانا فأكرمنا ، وكلفنا بما نستطيع القيام به ، ولم يحملنا ما لا طاقة لنا بحمله ، من العقوبات النازلة بمن قبلنا ، وندعوه جلت حكمته ، ان يمحو كبائر سيئاتنا ، وأن يغفر صغائر ذنوبنا ، وأن يثقل بالحسنات موازيننا ، فنحن عبيده ، وهو سيدنا ، وناصرنا ومتولى أمورنا ، ومن حق المولى القوى المتين ، أن ينصر عبيده كل وقت وحين ، على القوم الكافرين ، وهو عز شأنه ، أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين .

رفع شأن رسولنا والإشارة

إلى فضل أمته

وفي مضمار إعلاء الله عز وجل لشأن رسولنا ، صلى الله عليه وسلم . والإشارة إلى تفضيله لأمته على سواها من الأمم ، يقول تبارك اسمه في سورة القصص ، من الآية الرابعة والأربعين إلى الآية السادسة والأربعين .

﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وماكنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾

يخبر الله تبارك وتعالى ، رسولنا الكريم ، بأنه لم يكن موجوداً بجانب الجبل الغربي ، وهو المكان الواقع في شق الغرب ، بالمكان الذي وقع فيه ميقات موسى ، حين قضى العلى القدير إليه الأمر ، فكلمه وقربه نجياً ، وبأن الصادق الأمين ، لم يكن من جملة الشاهدين ، للوحى الذي نزل على الكليم ، حتى يقف من جهة المشاهدة ، على ما جرى من أمر أخيه موسى في ميقاته ، ولكن مولانا بقدرته وعظمته ، وتدبيره وحكمته ، أنشأ من بعد موسى قروناً ، طالت أعمارهم ، وفترت النبوة ، واندرست العلوم ، ووقع التحريف في كثير منها ، وكادت الأخبار تخفي ، فأرسل الله سبحانه ، خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، بالهدى ودين الحق ، لخير أمة أخرجت للناس ، علماؤها كأنبياء بنى إسرائيل ، حتى يجدد المصطفى وحي الله ، ويعيد لكلمات الله التامات بهاءها وروعتها ، ويوضح الأخبار على وجهها الصحيح ، ويبين ما وقع فيه التحريف ، وينبىء الله تعالى إمام الهدى ، صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه لم يكن ثاوياً ومقيماً في أهل مدين ، وهم شعيب عليه السلام ، والمؤمنون به ، يقرأ عليهم ، الآيات التي أنزلت إليهم ، تعلماً منهم ، ولكن الله عز علاه ، أرسل نبينا وأخبره بهذه الآيات ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضله عليه عظيماً . ويذكر الله تعالى سير الأولين والآخرين ، بأنه لم يكن بجانب جبل الطور حين نادى العلى العظيم موسى ، ان خذ الكتاب بقوة ، ولكن السميع العليم ، بعث رسولنا الكريم وأعلمه بما كان ، وأرسله رحمة للعالمين ، لأمة أفضل الأمم على الإطلاق ، لم يأت لأفرادها نذير من قبله ، في زمان الفترة بينه وبين عيسى ، وهو خمسمائة وخمسون سنة . لعلهم يتذكرون ويعتبرون ويتعظون ، وفي ذلك سعادة لهم في العاجل والآجل .

من فضل الله على حبيبه ومصطفاه

وفي رياض السنة النبوية الشريفة ، نصوص كثيرة رائعة ، تنطق بفضل الله ، على حبيبه

ومصطفاه ، وتنادى بأن أمته عليه الصلاة والسلام خير الأمم ، حتى تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ويقف الخلائق بين يدي الله الواحد القهار .

ومن هذه النصوص ما رواه الإمام البخاري وغيره ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، رضى الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

وعند الإمام مسلم ، من حديث أبى هريرة : « فضلت على الأنبياء بست » فذكر الخمس المذكورة فى حديث جابر إلا الشفاعة ، وزاد اثنتين وهما : « وأعطيت جوامع الكلم ، وختم بى النبيون » فتحصل منه ومن حديث جابر سبع ، وعند الإمام مسلم أيضاً : « جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش » يشير إلى عدم مؤاخدة الله عز وجل لأمتنا على الخطأ والنسيان ، وحطه عنها الأصر والتكاليف الشاقة ، التى ألزم بها السابقين فصارت الخصال تسعا ، وعند أحمد : « أعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعلت أمتى خير الأمم » .

وعند البزار : « وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ، وأعطيت الكوثر ، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ، وكان قرينى كافرا ، فأعاننى الله تعالى عليه فأسلم » فصارت الخصال إلى هذا ست عشرة خصلة . قال فى فتح البارى : ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أحسن التتبع .

ولقد ذكر أبو أسعد النيسابورى رحمه الله تعالى ، فى كتاب شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل اختص نبينا من بين الأنبياء بستين خصلة ، ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث ، بأن التنصيص على عدد لا يدل على نفى ما عداه ، لأن مفهوم العدد ليس بحجة ، ولعل رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، قد أطلع أولا على بعض ما اختص به ، ثم اطلع صلى الله عليه وسلم على الباقى .

وفى حديث ابن عباس ، رضى الله عنهما : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، لا أقولهن فخرا » وظاهر الحديث أن كل واحدة من هذه الخمس لم تكن لأحد قبله عليه الصلاة والسلام ، وجعل الغاية فى النصر بالرعب شهرا ، لأنه لم يكن بين بلده ، وبين أحد من أعدائه أكثر منه ، ولم تُبَح الصلوات للأمم السابقة إلا فى أماكن عبادتها ، وأحلت لنا الغنائم ، ولم تحل لمن قبلنا ، لأن منهم من لم يؤذن له فى الجهاد أصلا ، فلم يكن هناك غنائم ، ومن أذن لهم فى الجهاد لم تحل لهم الغنائم ، بل كانت تنزل من السماء ألسنة نيران تحرقها ، وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى فى القيامة ، لإخراج من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار ، أو لمن ليس له عمل صالح إلا التوحيد ، أو لرفع الدرجات فى الجنة ، أو لإدخال قوم دار النعيم بغير حساب ، فكل هذا خاص به عليه الصلاة والسلام .

وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث الصادق الأمينُ إلى الناس عامة : قومه وغيرهم ، من العرب والعجم .. الأسود والأحمر . وفى رواية أبى هريرة عند الإمام مسلم : « وأرسلت إلى الخلق كافة » وهى أصرح الروايات وأعمها وأشملها ، ولا يرد على هذا أن نوحا عليه السلام ، بعث إلى أهل الأرض بعد الطوفان لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه ، وقد كان مرسلا إليهم ، فهذا العموم لم يكن فى أصل بعثته ، ولكنه جاء اتفاقا بالحادث الذى وقع ، وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعد هلاك سائر

الناس ، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم ، فعموم رسالته من أصل البعثة ، وقول أهل الموقف لنوح كما فى حديث الشفاعة « أنت أول رسول إلى أهل الأرض ، فليس المراد به عموم بعثته ، بل اثبات أولية ارساله لمن هو موجود حينذاك » .

مقام محمود لرسولنا بالسموات

العلا وتفضيل الله لأمته

ولقد روى النسائى وابن حبان وغيرهما ، من طرق يقوى بعضها بعضا ، أن نبينا صلى الله عليه وسلم ، حينما عرج به إلى السموات العلا ، كان معه جبريل عليه السلام ، وفى السماء السابعة بلغ مكانا تأخر عنه فيه أمين الوحى ، فقال له هل هنا يفارق الحبيب حبيبه ياجبريل ؟ فقال يارسول الله ، وما منا إلا له مقام معلوم ، لقد انتهت منزلتى عند هذا الموضع ، ولو تقدمت لاحترقت ، وأما منزلتك أنت فإلى الأمام .

قال صلى الله عليه وسلم : « وهنا أحسست بنفسى أتخطى مناطق شاسعة من الجلال والبهاء ، ثم غمرت فى بحار من النور والضياء » ثم دنا فتدلى ، فكان من أحكم الحاكمين قاب قوسين أو أدنى ، وانعكس بصره فى بصيرته ، فرأى بعينى رأسه من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وكلم حبيبه وناجاه ، وقربه واصطفاه ، وقال له يامحمد : سل تعط ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إلهى لقد اتخذت إبراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، وألنت لداود الحديد ، يعمل منه دروعا سابغات ، وسخرت له الجبال والطير ، وشددت ملكه ، وآتيته الحكمة وفصل الخطاب ، وآتيت ابنه سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وسخرت له الريح ، والجن يعملون له ما يشاء ، من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات وأعذت عيسى وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل » .

فقال الله عز وجل : « وأنت يارسول الله ، قد اتخذتك حبيبا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا وذكرت معى يارسول الله ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، ورفعت عنهم الخطأ والنسيان وما يستكرهون عليه ، وجعلتك خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وأولهم يقضى له يوم الدين ، وأعطيتك الشفاعة فى المذنبين ، وآتيتك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ، وأرسلتك رحمة للعالمين ، بالهدى ودين الحق ، بشيراً ونذيرا ، وداعيا إلىّ باذنى وسراجا منيرا ، وفرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فى اليوم والليلة » وشاء مولانا جلت حكمته ، أن تصير بعد خمسا ، ولها ثواب الخمسين ، لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها .

وجوه المؤمنين الناضرة ، إلى ربها

يوم الدين ناظرة

ومما يدل أوضح الدلالة ، على أن أمتنا بفضل الله تعالى وكرمه خير الأمم ، ما رواه الإمام البخارى وغيره ، عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ، رضى الله تعالى عنهما ، أن الصحابة رضوان الله عليهم ، قالوا ذات يوم للرسول صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : « هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » فقالوا » ،لا يارسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : « فهل تمارون فى الشمس ليس دونها حجاب ؟» فقالوا لا يارسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : « فأنكم سترون ربكم بعيون رءوسكم ، كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ، وكما ترون الشمس ليس دونها حجاب » ثم قال صلوات الله وسلامه عليه :

« وإن الناس إذا حشروا يوم القيامة ، يقول الله عز وجل : من كان يعبد شيئاً فليتبع ، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها ، فيأتيهم الله عز وجل ويقول لهم أنا ربكم ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل ، وكلامهم فى هذا الموقف : اللهم سلم سلم . وإن فى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان . فهل رأيتم شوك السعدان ؟ فقالوا نعم . فقال صلى الله عليه وسلم : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله تعالى رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا منها من كان يعبد الله فيخرجونهم منها ، ويعرفونهم بآثار السجود التى حرم الله على النار أن تأكلها ، فيخرجون منها وقد امتحشوا ـ أثرت فيهم النار حتى اسودت أجسامهم فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، فيتمنى على الله ، أن يصرف وجهه عن النار ، وأن يقربه من الجنة ، وأن يدخله دار النعيم ، فيحقق أمنيته ، ثم يقول الله تعالى له زد من كذا وكذا ، فيزيد حتى إذا انتهت به الأمانى ، يقول الله تعالى له : لك ذلك ومثله معه » .

وقال أبو سعيد الخدرى لأبى هريرة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل لك ذلك وعشرة أمثاله . فقال أبو هريرة : لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا قوله لك ذلك ومثله معه . فقال أبو سعيد بل إنى سمعته يقول : ذلك لك وعشرة أمثاله .

بقاؤنا فيما سلف قبلنا من الأمم

ولقد روى الإمام البخارى وغيره ، عن عبد الله بن أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا من الأجر قيراطا قيراطا ، ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى إذا كان حين صلاة العصر عجزوا ، فأعطوا من الأجر قيراطا ـ قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا به إلى غروب الشمس ، فأعطينا من الأجر قيراطين قيراطين . فقال أهل الكتابين :

أى ربنا أعطيت هؤلاء المسلمين من الأجر قيراطين قيراطين وأعطيتنا منه قيراطا قيراطا ونحن كنا أطول أعمارا ، وأكثر أعمالا ، فيقول الله عز وجل ردا عليهم : هل ظلمتكم من أجركم من شىء ؟ فيقولون لا ، فيقول تعالى لهم : فذلك فضلى أوتيه من أشاء » .

وفى هذا ما فيه من كرم الله عز علاه لنا ، ورحمته بنا ، ورضاه عنا ، واحسانه إلينا ، وتفضيلنا إلى يوم الدين على غيرنا ، يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

مثلنا مع نبينا ومثل اليهود والنصارى مع أنبيائهم

ولقد روى الإمام البخارى وغيره ، عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مثل

المسلمين واليهود والنصارى ، كمثل رجل استأجر قوما ، يعملون له عملا ، يوما إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا له إلى نصف النهار ، وقالوا لا حاجة بنا إلى أجرك الذى شرطت لنا وما عَمِلْنَا باطلُ ، فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملا ، فأبوا وتركوا ، ثم استأجر آخرين بعدهم ، وقال لهم : أكملوا بقية يومكم هذا ، ولكم الذى شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه ، فقال لهم أكملوا بقية عملكم ، فإنما بقى من النهار شىء يسير فأبوا ، ثم استأجر قوما فعملوا له بقية يومهم ، حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » .

والقوم الأولون هم اليهود ، وعملهم إلى نصف النهار ، وعدم اكماله ، اشارة إلى أنهم كفروا وتولوا واستغنى الله تعالى عنهم ، وفى قولهم وما عملنا باطل ، اشارة إلى احباط ما فعلوا ، لأنهم كفروا بعيسى ، فلا ينفعهم الإيمان بموسى وحده بعد إرسال عيسى عليهما السلام . والقوم الذين بعد اليهود هم النصارى ، ولما لم يؤمنوا برسولنا صاروا من الكافرين ، وحبط عملهم كاليهود ، لأنه لا ينفعهم ايمانهم بعيسى وحده ، بعد بعثة سيد الأولين والآخرين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، فى كل وقت وحين .

والقوم الأخيرون هم المسلمون ، الذين عملوا بقية اليوم ، حتى غابت الشمس ، وأخذوا أجر اليهود والنصارى كاملا ، لإيمانهم بخير الورى ، وموسى وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام . فهذا مثلنا ، ومثل ما قبلنا من هذا النور المحمدى الشريف ، الذى اهتدينا به إلى يوم القيامة .

وللإسماعيلى رحمه الله : « فذلك مثل المسلمين الذين قبلوا هدى الله ، وما جاء به رسوله ، ومثل اليهود والنصارى ، فى تركهم ما أمرهم الله تعالى به » .

اللهم اجعلنا فى حياتنا من الفائزين ، وعلى أعدائنا من المنصورين ، وفى آخرتنا من الناجين ، واحشرنا يوم الحساب مع الذين أنعمت عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

أحمد على منصور

الصلاح والاصلاح

فى القرآن الكريم

للأستاذ أحمد عزت البرادعى

الصلاح فى اللغة ضد الفساد ، أو ضد السيىء ، والصلح أيضا هو ازالة النفار بين الناس .

ويقال : اصطلح القوم وتصالحوا . واصلاح الله تعالى الانسان يكون :

تارة بخلقه اياه صالحا .

وتارة بازالة ما فيه من فساد بعد وجوده .

وتارة يكون بالحكم له بالصلاح .

والعمل الصالح هو ما يصلح للقبول ، أو الذى ليس فيه عيب أو آفة .

والصلاح يراد به هنا أن يكون الانسان صالحا فى ذاته ، قد بدأ بنفسه ، فطهرها وهذبها ، وأقامها على الصراط ، فأصبحت طيبة صالحة ، ثم انتقل الانسان بعد ذلك الى اصلاح غيره وتهذيب سواه ، ولذلك قال حكيم : « الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الامم » .

وقد أشار أبو حامد الغزالى أن الجدير بالمسلم هو أن يبدأ بنفسه حتى يتحقق لها الصلاح ، ثم يتدرج فى اصلاح من حوله ، مرحلة بعد مرحلة . قال على طريقته فى « الاحياء » :

« فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه ، فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ، ثم الى أهل محلته ، ثم الى أهل بلده ، ثم الى أهل السواد المكتنف ببلده ، ثم الى أهل البوادى من الاكراد والعرب وغيرهم ، وهكذا الى أقصى العالم فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد ، ولا حرج به على كل قادر عليه ، قريبا كان أو بعيدا .

ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه ، وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو غيره ، فيعلمه فرضه . وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر

دينه ، يشغله عن تجزئة الاوقات فى التفريعات النادرة . والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات . ولا يتقدم على هذا الا فرض عين ، أو فرض كفاية هو أهم منه .

وبتوافر عنصر الصلاح فى النفس ، وعنصر الاصلاح للنفس ، يتحقق للانسان اكتمال فضيلة اخلاقية قرآنية . ذات شعبتين تكمل احداهما الاخرى ، تلك الفضيلة هى ما عبرت عنه بكلمتى « الصلاح » و « الاصلاح » .

ولقد تكررت مادة « الصلاح » فى القرآن المجيد أكثر من مائة وسبعين مرة ، ونستطيع أن نرى من مراجعة هذه المواضع أن الترتيب الطبيعى أو الغالب فيها أن الايمان مدخل الى الاصلاح وأن الاصلاح يكون ثمرة أو نتيجة للصلاح . ومن هنا ينبغى أن نلاحظ هذا الاقتران المتكرر الغالب بين ذكر « الايمان » وذكر « العمل الصالح » وقد تكرر قول القرآن الحكيم : « **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** » أكثر من خمسين مرة .

وليس هناك من ضرورة تلجىء الى ايراد كل هذه المواطن . وحسبنا هنا نماذج منها ، ففى سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى :

« **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** » .

وفى سورة المائدة ، « **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** » .

وفى سورة يونس :

« **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** » .

وفى سورة الرعد :

« **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** » .

وفى سورة الكهف :

« **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** ... الخ .

والله تبارك وتعالى يمن على الاخيار من عباده . فيصلح لهم أعمالهم ، وفى هذا تشريف للصلاح والاصلاح يقول الله تبارك وتعالى : فى سورة الاحزاب :

« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** » .

والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم النماذج العليا من البشر — قد أمرهم الله — جل جلاله — بأن يؤدوا أعالهم صالحة ، وأن يكونوا أئمة فى هذا المجال ، وبعد أن صنعهم الله على عينه . فجعلهم أئمة فى الصلاح ، يقول التنزيل فى سورة المؤمنون :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » .

يقول بعض أهل التفسير ، يأمر الله عباده المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، بالاكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح ، فقام الانبياء بهذا أتم القيام ، وجمعوا بين كل خير ، قولا وعملا ، ودلالة ونصحا ، فجزاهم الله عن العباد خيرا .

ومن سنة الرسل : أن لا تأكل الا طيبا ، ولاتعمل الا صالحا .

وقد ذكر القرآن المجيد طائفة من الأنبياء والمرسلين ، وعقب كل منهم وصفه بالصلاح ، ففى سورة البقرة يقول عن ابراهيم :

« وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى سورة آل عمران يقول عن يحيى :

« فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى السورة نفسها يقول عن عيسى :

« وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى سورة الأنعام يقول :

« وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى سورة الأنبياء :

« وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ » .

وفى السورة ذاتها :

« وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وهذا شعيب ينادى ــ كما فى سورة هود ــ بأنه لايريد الا الاصلاح الناشىء عن الصلاح العام لقومه . ولايتحقق مايرجوه الا بفضل الله وقوته .

وللاصلاح مواطن ، وكلما كان الموطن عاما واسعا شاملا لكثير من عباد الله كان أنفع وأمتع وأروع . ولذلك يقول التنزيل فى سورة الأنفال:

« وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ » أى الأحوال الواقعة بينكم معشر المسلمين ، فاتقوا الله فى أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولاتخاصموا ولا تستبوا .

ويقول القشيرى : أصلحوا ذات بينكم بالانسلاخ عن شح النفس ، وايثار حق الغير على مالكم من النصيب والحظ ، وتنقية القلوب من خفايا الحسد والحقد .

والاصلاح كذلك واجب بين الجماعتين الاسلاميتين اللتين قد تقتتلان ، ففى سورة الحجرات .

« وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا

الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَــإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » •

ويقول الحق جل جلاله فى سورة النساء :

« لَاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَــرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَــن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » •

فالاصلاح بين الناس مجــال فسيح يســع جهود الصالحين المصلحين من عبـــاد اللـــه سبحانه ، ولقد عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى روى أنس عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال لأبى أيوب : الا أدلك على تجارة ؟ قال : بلى يارسول الله •

قال : « اصلاح ذات البين » وفســاد ذات البين هى الحالقة (١) (متفق عليه) •

✱ كذلك فان المسلم مرآة أخيه ، فاذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه ونجد للصـــوفية فى فهم الآية السابقة طريقة أخرى الى جــانب ذلك حيث يرى بعضهم أن يظهر الداعيــة بعملــه ومعاملته وتصرفاته قدوة عليا لهم ، فهو بهــذا ينشر الصلاح بينهم ، فيكون ذلك اصـــــلاحا لهم (٢) •

يقول القشيرى فى التعليق على الآية الكريمة: « ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه ، وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ، ولم يخرج بالانتقام لنفسه ، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية الى ربه ، وأصلح بين الناس بصدقه فى حاله ، فان لسان فعله أبلغ فى الوعظ من لسان نطقه ، فهو الصديق فى وقت » •

ومن لـــم يؤدب نفسه لم يتأدب به غيره ، وكذلك من لم يهذب حالة لم يتهذب به غيره ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله : غير سائل به مالا ، أو حائزا لنفسه به حالا ، فعن قريب يبلغ رتبة الامامة فى طريق الله ، وهــذا هــو الأجر الموعود فى هذه الآية •

ولا عجب فى ذلك، فان الانسان بعمله وتصرفه حينئذ يكون صالحا مصلحا ، وهذا هو طــريق الكمال •

ومن مواطن الصلاح والاصلاح المهمةمايشير اليه قوله تعالى فى سورة البقرة :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّــهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ » ؟ واصلاح احوالهم بتأديبهم قــد يكون أهم من الاصلاح المتعلق بأموالهم •

وثمة ملاحظة نشاهدها فى الاسلوب القرآنى فنحن نجده فى كثير من المواطن يجمع بين ذكر التوبة وذكر الاصلاح ويأتى ذكر التوبة أولا وكأن هذه اشــارة واللــه أعلم بمراده الى أن

---

(١) كنا نود ــ بنــاء على خطة المجلة ــ ان يذكر الكاتب مرجع الحــديث الشريف اينمــا أورده •
(٢) وليس ينفى ذلك ما تقدم فى المعنى ٠٠٠٠ مجلة الأزهر •

الانسان الصالح يبدأ أولا بالتوبة للتطهر والتنظيف •

وهذه مرحلة نستطيع أن نسميها مرحلة (التخلية) أى التخلص من الرواسب والآثام وتأتى مرحلة نستطيع أن نسميها مرحلة التحلية التى يحلى الانسان الفاضل فيها نفسه بالمكارم والمحامد وفى طليعتها الاسهام فى اصلاح الناس فلنستعرض بعض الشواهد على ذلك :

١ ــ فى سورة الأنعام :

(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٢ ــ فى سورة المائدة :

(فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٣ ــ فى سورة النساء :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) •

٤ ــ فى سورة النحل :

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٥ ــ فى سورة النور :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٦ ــ فى سورة البقرة :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) الخ •

وفى هذه الآية الأخيرة يقول القرطبى (استثنى الله تعالى التائبين الصالحين المصلحين لأعمالهم وأقوالهم المنيبين لتوبتهم ولا يكفى فى التوبة عند علمائنا قول القائل (قد تبت حتى يظهر منه فى الثانى خلاف الأول فان كان مرتدا رجع الى الاسلام مظهرا شرائعه وان كان من أهل الأوثان جانبهم وخالط أهل الاسلام وهكذا يظهر عكس ما كان عليه) •

وقد ذكر الكتاب العزيز كثيرا من أنواع الجزاء والثواب على العمل الصالح مع مايقترن به من توبة وتقوى واستقامة فهناك تكفير السيئات ففى سورة الاسراء

(إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) •

وفى سورة التغابن :

(وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) •

وهناك مضاعفة الثواب ، ففى سورة سبأ :

« وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ

عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّــعْفِ بِمَـا عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُــرُفَاتِ آمِنُونَ »

وهناك وراثة الأرض والسـيادة فيها ، ففى سورة الأنبياء :

« وَلَقَــدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْــدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ » ٠

وهناك ولاية الله تعالى ، وأنعم بها من ولاية ، ففى سورة الأعراف :

« إِنَّ وَلِيِّىَ اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ »

وهناك الحياة الطيبة والأجر الحسن ، ففى سورة النحل :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

ويفهم من حديث القرآن الكريم عن (العمل الصالح والمغفرة) أن المعاصى لا تحبط الطاعات، فالله تعالى يقول فى سورة المائدة : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » ٠والمغفرة ــ كما فى لطائف الاشارات ــ لا تــكون الا للــذنب ، فوصــفهم بالأعمــال الصالحات ، ثم وعدهم المغفرة ، لنعلم أن العبد تكون له أعمال صــالحة ، وان كانت لــه ذنوب تحتاج الى الغفران ، بخلاف ما قيل أن المعاصى تحبط الطاعات ٠ وقيل ان المعنى أن العبد ــ وان كانت له اعمال صالحة ــ فانه يحتاج الى عفو الله ورضوانه وغفرانه ، ولولا ذلك لهلك(١) ٠

ونفهم كذلك من حــديث القرآن الكريم عن « الاصلاح » أنه يبعد أهله عن الهلاك ، يقول الحق جل جلاله فى سورة هود :

« وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْــلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَــا مُصْلِحُونَ » ٠ ولتفســير المنــار كلام مهم فى التعليق على هذه الآية الكريمة جاء فيه : « **أى وما كان من شأن ربك وســنته فى الاجتمــاع البشرى أن يهلك الأمم بظلم منه لها ، فى حــال كون أهلهــا مصــلحين فى الأرض ، مجتنبين للفساد والظلم ، وانما أهلكهم ويهلكهم بظلمهم وافسادهم فيها** » ، كما ترى فى الآيات العديدة من هذه السورة « هود » وغيرها ٠

وفى الآية وجه آخر ، وهو أنه ليس من سنته تعالى أن يهلك القرى بظلم يقــع فيهــا ، مع تفســير الظلم بالشرك وأهلهــا مصــلحون فى أعمالهم الاجتماعيــة والعمرانيــة ، وأحكامهم المدنية والتأديبية ، فلا يبخسون الحقوق كقوم

(١) هــذه ـ أيضــا ـ لا تخالف الأولى فى التفســير بل تتمم احداهما الأخرى ٠٠٠ مجلة الأزهر ٠

شعيب ، ولا يرتكبون الفواحش ، كقوم لوط ، ولا يبطشون بالناس بطش الجبارين كقوم هود، ولا يذلون لمتكبر جبار يستعبد الضعفاء كقـــوم فرعون •

بل لابد أن يضـــموا الى الشرك والافســـاد الظلم فى الأعمال والأحكام . وهو الظلم المدمر للعمران •

ويحتمل أن يراد أنه لا يهلكها بظلم قليل من أهلها لأنفسهم ، اذا كان الجمهور الأكبر منهم مصلحين فى جل أعمالهم ومعاملاتهم للناس •

أخرج الطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمى ، عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يســأل عن تفســير هذه الآية ، فقال : « وأهلهـا ينصف بعضهم بعضا » •

وروى موقوفا على جرير رضى الله عنـــه • فتنكير الظلم فى هذا للتقليل والتحقير ، وفيما قبله للتعظيم ، وهو مأخوذ من قوله تعـــالى : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » و الآية تدل على أن اهلاك المصلحين ظلم ، فلذلك يتنزه الله عنه •

وذكر المفسرون فى الوجــه الثانى القـــول المشهور المعبر عن تجارب الناس ، وهو : ان الأمم تبقى مع الكفر ، ولا تبقى مع الظلم •

ثم يأتى حديث الصــوفية عن الصـــــلاح والاصلاح :

فهذا معروف الكرخى يقول على طريقتهم : « ما أكثر الصـــالحين وأقل الصـــــادقين فى الصالحين » •

ويقول ابراهيم بن أدهم :

« اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين ، حتى تجوز ست عقاب :

أولاها : أن تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشـــدة •

والثانية : أن تغلق باب العز وتفتح بـــاب الـــذل •

والثالثة أن تغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجهـــد •

والرابعة : أن تغلق باب النوم وتفتح باب الســـهر •

والخامسة : أن تغلق باب الغنى ، وتفتح باب الفقـــر •

والسادسة : أن تغلق باب الامـــل ، وتفتح باب الاستعداد للموت •

ويقول أبو العباس بن عطاء : « خلق اللـــه الصـــالحين للملازمة » • قـــال الله تعـــالى : « وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » •

وبعد ، فلنتوجه الى الله بالرجاء فى تحقيق الصلاح والاصلاح لأنفسنا ، فضلا من اللـــه ونعمة ، ولندع مع معاوية بن قـــرة قـــائلين : « اللهم ان الصالحين أنت أصلحتهم : ورزقتهم ان عملوا بطاعتك ، فرضيت عنهم • اللهم كمـــا أصلحتهم فأصلحنا ، وكما رزقتهم ان عمـــلوا بطاعتك فرضيت عنهم ، فارزقنا العمل بطاعتك وأرض عنـــا •

وعلى الله قصد السبيل •

مقارئ الحديث النبوى في مصر

أما مقارىء كتاب الله العزيز ، فلا زالت بحمد الله آهلة عامرة فى مصر ، ففى المساجد الكبرى يجتمع القارئون فى ساعات محددة ليتناوبوا القراءة فى أجزاء المصحف ، كما أن جماعات شتى فى المدن والقرى يحدد ليلات الجمعة ميعادا للتلاوة المباركة فى منازل مشتهرة يؤمها القارئون وفق نظام متبع ، حيث تكون لكل قارىء ليلته الآهلة فى منزله يستقبل بها اخوانه ومعهم أجزاء المصحف الكريم ليقوموا بالقراءة أسبوعيا دون عائق ، هذا غير الاجتماعات التعليمية لأعلام القراء ممن يتلون بقراءات غير قراءة حفص المشتهرة فى هذه البلاد ، تدارسا وتثقيفا والماما بأحد علوم القرآن .

هذا عن قراءة كتاب الله .

فماذا عن قراءة الحديث النبوى الشريف ؟

الحق أن الجيل الماضى كان خاتمة لعهد زاهر حظيت فيه الكتب المشتهرة الجامعة لأحاديث رسول الله بالتلاوة المباركة اذ كانت تلقى من الاحتفاء والاقبال ما يجعل انتشارها سنة متبعة ، والمسنون من رجالنا اليوم يذكرون مجالس الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ محمد ابراهيم السمالوطى والشيخ منصور ناصف ، وكلهم من علماء الحديث ، يشرحونه فى الدروس الدينية تارة ، ويجلسون للاستماع المتصل تارة أخرى ، مما سنلم ببعضه بعد حين .

وقد يظن ظان أن تلاوة الحديث فى مجالس العلم لا تؤدى فائدتها الجزيلة اذا لم تقترن بالشرح بحيث يكون مجلس الحديث درسا لا قراءة ، والحقيقة أن نور الحديث يشع على القلوب المؤمنة فتأخذ بنصيبها فيه ، كل على حسب استعداده .

والحديث كلام عربى يفيض على سامعه وتاليه معا بأطيب النفحات ، وفيه ذكرى وفقه لمن كان له قلب ، فمحاولة الصد عن قراءته المتتابعة استجابة لمعانى العجز والكسل ، وحرمان من مجالس الخشوع والسمو ، واصغاء لهواجس الريب الخادع ، فلينتبه الغافلون .

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

ومن فضل الله أن مصر ــ كنانة الله فى أرضه ــ قد سعدت بالحديث النبوى منذ أشرق الاسلام فى ربوعها الآهلة ، اذ عرف تاريخها العلمى من رجالها محدثين أفذاذا عكفوا على آثار رسول الله حفظا واستظهارا وفهما واستنباطا واسنادا ، وصحائف التاريخ العلمى لمصر تنطق باحتفائها البالغ بهذا العلم الشريف ، كقد اشتهر من رجال الحديث بها الامام الشافعى صاحب المذهب الفقهى والليث بن سعد وعبد الله بن وهب المصرى صاحب كتاب (الجامع فى الحديث) وشهرة الامام الطحاوى المصرى بالحديث ذائعة لدى الدارسين ، وله اجتهادات كانت موضع النظر حيث أجاز الرواية عن مستورى الحال ، وعارضه بعض من لم يجيزوا اتجاهه بأدلة لا مجال لاستقصائها الآن ، ثم توالى ركب المحدثين فى مصر ليضم أبا بكر بن الحداد ، والحافظ ابن خزابة ، وأبا اسحق المالينى وأبا نصر البكرى ، وأبا اسحق النعمانى والحافظ السلفى وابن دحية والحافظ المنذرى وابن دقيق العيد وتقى الدين السبكى والبلقينى وابن حجر والعينى والقسطلانى والسيوطى ، ولكل منهم مقامه الجهير فى دنيا الحديث ، وكيلا نطيل بذكر أمثال هؤلاء الأفذاذ فاننا نذكر ما يغنى عن السرد الطويل حين ننقل عن تاريخ الحركة العلمية فى العصر المملوكى أن صحيح البخارى وحده قد شرحه أكثر من أربعين محدثا من أئمة هذا العصر ، نذكر منهم : سراج الدين البلقينى وأبا على بن المنير ، والحافظ مغلطاى ، وشهاب الدين بن حجر ، وبدر الدين الزركشى ، وسراج الدين بن الملقن ، وبدر الدين العينى وأبا العباس القسطلانى وبدر الدين الدمامينى ، هذا عن البخارى وحده .

أما شروح مسلم والترمذى وسنن أبى داود والموطأ وسنن البيهقى وسنن ابن ماجه فقد ذاعت كما ذاع شرح البخارى فى تصانيفه العديدة ذات الأجزاء الطوال ، وقد يفيد فى هذا المجال أن يرجع القارىء الى ما كتبه الأستاذ محمود رزق سليم فى الجزء الثالث من موسوعته ، ففيه غناء واشباع (١) ، وكل ذلك يشير الى احتفاء مصر بحديث رسول الله فى زمنها السالف !

←

(١) عصر سلاطين المماليك جـ ٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

وقد يكون ما ذكرناه تمهيدا منطقيا لبعض ما نريد .

كان الأزهريون فى قديمهم الغابر لا يدرسون السنة فى موجزات أو مختارات تتبع ببعض الشروح والتعليقات ، وتوصف بالمذكرات كما نشاهد اليوم ولكنهم كانوا يدرسون السنة فى مصادرها الأصيلة ، حيث يقرأ الكتاب من ألفه الى يائه بعناية واحكام ، والمتتبع لتراجم العلماء فى تاريخ الجبرتى ، يعجبه أن يجد الكتب الأصيلة فى السنة المطهرة مما درس طالب الأزهر ، فالشيخ شمس الدين الحنفى مثلا يدرس فى مجال السنة سنن أبى داود وسنن النسائى وسنن ابن ماجه والموطأ للامام مالك ، ومسند الامام الشافعى ومعاجم الطبرانى وصحيح أبى حيان والمستدرك للنيسابورى .

وليس الحفنى بدعا فى هذا الامام البارع بأمهات كتب الحديث ، بل ان زملاءه وأساتذته وتلاميذه كانوا ينتحون ما انتحاه ! وأكثرهم كان حريصا على أن يتصل اسمه برجال السند ليكون حلقة فى السلسلة المنتهية بصاحب الأثر كالبخارى ومسلم ومالك !

هذا الشغف البالغ باتصال السند الى أرقى مصادره فى الكتاب المشروح دفع العلماء الى الحرص على سماع المتن من الأساتذة فى مجالس التلاوة ! وقد تخصص كل دارس بكتاب يختاره من كتب السنة ليذكر فى حلقة اسناده ! ولكن العلامة الأمير رحمه الله قد دفعته همته الى أن يكون حلقة فى سلسلة السند لا فى كتاب واحد بل فى ثلاثة كتب من أمهات كتب الحديث هى الموطأ للامام مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، وعنه روى الكثيرون فى مجالس القراءة الواعية متون مالك والبخارى ومسلم ، وتوالى تلاميذه ومن تبعهم باحسان ، حتى ما قبل جيلنا المعاصر ، فاجتهدوا فى الرواية ليصلوا بالسلسلة الى مدها المتصل ، وياله من مجد حافل يحس الدارس شرفه فى نفسه حين يعلم أنه سعد بعده بين الرواة ! لهذا كثرت مجالس القراءة للحديث النبوى يتصدرها محدث حافظ يتصل نسبه العلمى بآباء من كرام المحدثين ، وهو فى مجلسه يستمع المتن مصححا ، وشارحا ومجيزا ، ولمجلس الحديث رسمه الطاهر مأخوذا عن الامام مالك بن انس اذ كان يتزين لمجلس الحديث ، متوضئا فمصليا ركعتين ، فمستمعا الى النص النبوى يتلى عليه من الموطأ فى مهابة تعم الحلقة بمن فيها حتى قال فيه القائل :

يدع السؤال فلا يراجع هيبة
والحاضرون نواكس الأذقان

وأى هيبة أروع من هيبة عالم امام بين يدى حديث رسول الله ، وفى حرمه الشريف ، على قيد خطوة من مقامه الكريم ، أجل ، كثرت مجالس التلاوة للحديث منذ ثابر عليها االعلامة الأمير الكبير فى مساجد عدة ، حتى اذا لحق بربه كان نجله العلامة محمد الأمير

الصغير خليفته فى أستاذية هذه المجالس ، وكأنه أحس أن مؤلفاتوالده وحواشيه فى النحو والفقه والبيان والتفسير والتوحيد لم تكون وحدها شخصيته العلمية ، بل لابد من محاكاته فى مجلس القراءة للحديث النبوى بمصر ليكون حلقة بعده فى سلسلة الاسناد ، ثم جاء من بعده تلميذه العلامة ابراهيم السقا خطيب الجامع الأزهر ، فتسلم الراية هو ونفر من زملائه ، لكل شيخ مسجد خاص يتلى فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عم الفضل وازدهر ، حين أخرجت حلقة الشيخ السقا تلميذها المحدث الامام سليم البشرى ، شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، اذ كان مع تنوع معرفته العلمية متخصصا فى الحديث رواية ودراية ، وقد قضى أكثر من تسعين عاما فى حياته ، انصرف أكثرها الى دراسة الحديث النبوى وتلاوته فى مساجد السيدة زينب والسلطان الحنفى ومحمد أبى الذهب ! هذه المساجد التى أذاعت شهرة الشيخ سليم الحقيقة فى علم الحديث حتى عرف بالشيخ المحدث وقال شاعر النيل حافظ ابراهيم فى رثائه :

هوى ركن الحديث فاى ركن
لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عز البخارى
ودع لله تعزية الكتاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملى
على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسعون عزما
ولا صدته عن درك الطلاب

وكأنى بحافظ ابراهيم يشير فى البيت الأخير الى جودة حفظه مع ارتفاع سنه ، لأن الشباب من تلاميذه قد هالهم أن يحفظ الأستاذ الأكبر موطأ مالك وصحيحى البخارى ومسلم حفظا لم تنقص منه التسعون ، اذ بقيت له فى شيخوخته ذاكرة الشباب بالنسبة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومانحقق ذلك الا بمجالس القراءة المتواصلة للحديث الشريف ، وقد خرجت هذه المجالس ثلاثة من أفذاذ العلماء فى هذا المضمار هم الأساتذة الكبار : محمد ابراهيم السمالوطى ، ويوسف الدجوى ، ومنصور ناصف ، وكلهم صاحب حلقة فى تلاوة الحديث •

أما الأستاذ محمد ابراهيم السمالوطى فقد كان صاحب حلقة حديثية للشرح بالمسجد الحسينى ، وحلقة أخرى للقراءة بمسجد السيدة زينب ، وقد ذكرت مجلة الأزهر فى نعيه ، بعدد صفر ١٣٥٥ هـ وكانت تسمى حينئذ مجلة (نور الاسلام) ذكرت أن له عناية خاصة بعلم الحديث دراية ورواية ، فكان نبراسا منيرا طالما سطع ضوؤه فى أفق هذا العلم فانتفع به الطلاب وجماهير المسلمين ، وحاز بذلك عظيم التقدير » ، وسلسلة نسبه الحديثى تتصل هكذا :

يروى السمالوطى عن سليم البشرى عن ابراهيم السقا عن الأمير الصغير عن الأمير الكبير عن على الصعيدى عن محمد عقيلة المكى عن حسن العجمى عن أحمد بن محمد اليمنى عن يحيى بن مكرم الطبرى عن ابن صدفة الدمشقى عن ابن عبد الأول الغوغانى عن أبى لقمان يحيى بن عماد عن محمد بن يوسف الفربرى عن الامام البخارى رضى الله عنه : وقد يكون راو أو اثنان قد سقطا دون قصد ، ولكن السلسلة ذات واقع متداول لا لبس فيه :

أما الشيخ منصور ناصف ، فقد ألف كتاب التاج الجامع للأصول فى خمسة أجزاء كبار ، وقد كان تلميذا فى حلقة الشيخ سليم البشرى ، وعهدى به فى أوائل الأربعينيات من هذا القرن اذ كان يعقد مجلس القراءة بعد العصر من أيام الاثنين فى المسجد الزينبى حيث كان أحد أئمته ، وكان هو الذى يتولى قراءة الحديث بنفسه ، اذ لم يكن له من تلاميذه من يقرأ وهو يستمع ! وأذكر أن أحد زملائنا من طلبة كلية اللغة العربية حينئذ لم يدرك مغزى الحلقة ، فبادر بعد انتهاء الشيخ من مجلسه ليسأله : ما فائدة القراءة دون شرح ؟ فابتسم الشيخ وقال : الشرح موجود ، وله أوقات كثيرة ، ، والكتب المشروحة أكثر ، والشيخ منصور تلميذ البشرى ، يقرأ البخارى عن سماعه مسلسلة الاسناد الخاصة به هى سلسلة الشيخ السمالوطى حيث تماثل التلميذان فى هذا المجال .

أما النادرة العجيبة حقا فهو الأستاذ العلامة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله ، وكان له مجلسان ، مجلس للتفسير بالرواق العباسى ، ومجلس للحديث بالجامع الأزهر أولا ، وبمنزله أخيرا حين تقدمت به السن ، يقول الأستاذ الامام عبد الحليم محمود عن مجلس الدجوى فى التفسير (١) .

« لقد كنا نحضر درس المرحوم العالم الكبير العارف بالله فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، فى الرواق العباسى ، بعد صلاة الفجر ، وكان درسا فى التفسير ، كان درسا رائعا حقا ، يجمع بين الدراسة الكسبية ، والالهامات الربانية ومما يؤسف له أن أحدا لم يدون هذه الدروس ولو دونت لأفادت علما ، وأفادت دررا من الالهامات » .

أما مجلس الحديث فما أكثر من انتفعوا بمشاهدته ، وكان من طلابه الأستاذ الكبير محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة العثمانية وهو من غزارة علم ، وعمق بحث وسعة اطلاع ، يقول الشيخ الكوثرى (٢) .

« وقد تلقيت موطأ مالك من الأستاذ الدجوى رحمه الله فى مجالس آخرها فى اليوم

---

(١) شمس : الدين الحفنى ص ٣٥ للدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) الغيث المروى فى ترجمة الدجوى ص ٤٣

الثانى والعشرين من صفر ١٣٦١ هـ بقـراءتى عليه لجميعه الا بعض مواضع يسيرة منه ، فقد ناوبنى فيها الشيخ على الخصـوصى فى بعض المجالس فأجازنى به ، وبجميع ماله من الروايات اجازة عامة ، وساق سنده فى الموطأ عن الشيخ أحمد منـة الله عن الأمـير الكبير بسنده بطريق السقاط ، ورجال هذا السـند كلهم من المالكية من الأسـتاذ الدجـوى الى الامام مالك رضى الله عنه •

واذن فالكوثرى من رواة الموطأ عن الدجوى حتى ينتهى الى مالك ابن أنس ، وقـد ذكـر الشيخ محمد حبيب الشنقيطى مـؤلف (زاد المسلم) سلسلة له تتصل أيضـا بصـاحب الموطأ • وكان الشيخ حبيب الله أسـتاذا للحديث النبوى بكلية أصول الدين ، وكـان يقرأ البخارى فى ليال معروفة بمنزله القاهرى بالقلعة ، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، والكهرباء منطفئة ، ولكن أنوار الشموع تضىء فى منزل الشيخ الشنقيطى بالقلعة ليواصـل القارىء تلاوة الحديث باطمئنان ! •

هذه نماذج من مجالس الحديث النبوى فى مصر ، نؤرخ لها لنحث على اسـتعادتها ، ولن أقول ان احياء الحديث النبوى قد اندثر بعـد هذه المجالس فلدينا كتب أفـردت للحـديث النبوى مابين جديد وقـديم ، فحـركة النشر والتأليف والتحقيق والتخريج والنقد والجرح والتعديل لا تزال تجـد من المتخصصـين فى جامعات العلم من يقوم بها ، ودروس الحديث فى المعاهد والكليـات ، لا ينقطـع لهـا مد ، ومعاجم الحـديث المفهـرس تنشر وتذاع ، والدفاع عن السنة المطهرة له أبطاله المعلمون فى ساحات الصيال ، يردون الهجـوم المغـرض ممن يلوون الحق بألسنتهم ليظهر فى صـورة الباطل ، ولكننا بعد ذلك كلـه فى حـاجة الى مجالس الحـديث تلاوة وعبـادة ، لأن نور الحديث المتلو يضىء قلب المؤمن كمـا يضىء القمر صـفحة السماء •

أذكر أن الأستاذ الدكتور منصور فهمى قـد تقدم للدكتوراه فى باريس برسالة عن المـرأة جانبت الحق فى اتجاهها المعوج ، اذ ألصـقت بالاسـلام ماليس فيه ، وقامت القيـامة فى مصر ، تفنيدا واستنكارا ، ولم يسـتطع الدكتور منصور أن يواجه العاصفة ، ولكنـه اهتدى الى الشيخ الأكبر حسـونة النـووى شـيخ الأزهر اذ ذاك يسترشده ويستهديه ، فما كان من الشيخ الا أن قـدم له صـحيح البخارى ليقرأ أحاديثه بامعان ، وخلا الدكتور الى كلام الرسول شهورا متصلة ، فأشرق نور الحق فى قلبه ، ولمس من أسرار الشريعة ما كان غائبا عن وعيه ، وأعلن فى مذكراته أن صحيح البخارى قد هداه الى الصراط المسـتقيم ، والدكتور منصور أديب مفكر ذو منطق وبيان، ومثله لا يصدر حكمه دون اقتناع ، فاذا صحح لـه حـديث الرسـول ما شـط من آرائه ، فعن يقين يرفده العقل وتضيئه الحجة حتى يسلس القياد ، وهذا ما كان •

ان مجـالس الحديث النبـوى تنتظر من يعيدها ، وحبـذا لو عرفت مسـاجد خاصـة بتلاوتها فى أيام تحدد ، وساعات ترصد ، انها تكون حينئذ واحة الظل فى هجير الصـحراء ، ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله •

د• محمد رجب البيومى .

رد الخطأ عن السيرة النبوية

٢

ثالثا : سلام الحجر عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وفى ص ٨٨ سطر ١٤ ، ص ٩٩ سطر ٩ يرد حديث سلام الشجر والحجر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وهذا الرد للحديث مردود ، فان كان يدفع حديث ابن اسحاق بأن اسناده ضعيف فماذا يفعل فى حديث جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « انى لا أعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث انى لأعرفه الآن » وهو حديث صحيح (١) ؟ ! وماذا يفعل فى حديث على بن أبى طالب قال: كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولاجبل الا قال السلام عليك يارسول الله (٢) .

والعجب أن المؤلف يلمز الحديث بضعف اسناده فى حين هو لم يراع هذا الأمر ـ الاسناد ـ فى كتابه ، ولو أنه راعى الاسناد لبحث له عن طريق آخر ، شأن أهل الدراية بالاسناد ، ولو راعى ذلك لطبقه فى كل الأسانيد التى اعتمد عليها ، والكثير منها ملىء بالبلايا !!

وإذا كان يعلم عن الاسناد فكيف يرد الحديث بهذه الطريقة من أنه مادام كان هناك حجر يسلم عليه اذن لا يمكن أن يخاف من جبريل ؟ من يعرف الاسناد لا يرد الحديث بهذه الطريقة . وانما يرد لمغمز فيه يجعله فى دائرة الواهى أو الموضوع على أن لايثبت من طريق آخر .

ثم من أين جاء التلازم بأن من سلم عليه الحجر لا يخاف جبريل ؟ هذا التلازم باطل وانما يصح لو أن الذى سلم عليه جبريل ، وجاء فى نفس الصورة التى كان يسلم عليه

---

(١) اخرجه مسلم فى الفضائل الحديث الثانى ١٣٤/٥ طبعة الشعب وأخرجه الترمذى فى المناقب الباب الثالث ، واخرجه الدارمى فى المقدمة الباب الرابع واخرجه أحمد ٨٩/٥ ، ٩٥ ، ١٠٥ .

(٢) اخرجه الحاكم فى المستدرك ٦٢٠/٢ وصححه ووافقه الذهبى واخرجه الدارمى فى المقدمة باب ما اكرم الله به نبيه من ايمان الشجر والبهائم والجن ١٩/١ وقال محققه : اخرجه الترمذى واخرجه الطبرانى فى الاوسط كذا فى المجمع ٢٦٠/٨ واخرجه أبو نعيم فى الدلائل ٣٣١/٢ ، ٣٣٢ .

للأستاذ الدكتور
عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى

فيها ، أما أن يسلم عليه حجر ويخبره أنه رسول الله فهذا لا يمنع أن ينزعج من جبريل وبخاصة أنه جاءه هذه المرة فى صورته التى خلق عليها كما تفيده بقية النصوص .

فعن عبد الله بن مسعود قال : رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جبريل فى حلة من رفرف قد ملأ مابين السماء والأرض (٣) .

رابعا : القدوة بالمصطفى — صلى الله عليه وسلم : —

وفى ص ٦٣ سطر ٩ ينتقد علماء السيرة ثم يقول فى سطر ١٥ : ان اسلوب الرسول سهل ممتنع . وهذا يتنافى مع ما أمرنا به من الاقتداء ، فاذا كان أسلوبه — صلى الله عليه وسلم — ممتنعا فكيف نقتدى به ؟ الذى ندين الله به أن أسلوب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سهل ميسور ، وصدق الله العظيم «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (٤) .

خامسا : بين الأنبياء : —

فى ص ٨٥ سطر ١١ يقول ان موسى ولد نبيا .

وهذا شىء يخالف القرآن الكريم ، فموسى لم يولد نبيا ، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد انه — أى موسى عليه السلام — عاش فى مصر قبل النبوة ، وخرج من مصر ، وعمل عند الرجل الصالح عشر سنين ، فلما سار بأهله بدأت نبوته ، وبدأ الوحى على جبل الطور . اقرأ فى ذلك قول الله سبحانه .

«وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُم مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِىَ يَامُوسَى إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى.وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (٥) » .

الى هذا الوقت ماكان موسى يعلم شيئا عن هذه الأنوار بل انه ظنها نارا ، فجاءه الوحى فى هذا الوقت ، فهل يقال اننا لا نعرف رحلة

(٣) اخرجه الترمذى فى التفسير ، سورة النجم ١٧١/٩ تحفة الاحوذى حديث رقم ٣٣٣٧ وقال : حسن صحيح .

(٤) سورة الحج : آخر آية ورقمها ٧٨ ، والمذكور هنا جزء من الآية .
(٥) سورة طه الآيات ٩ — ١٣ .

انتقال نبى من البشرية الى النبوة . وهل يقال بعد ذلك ان موسى ولد نبيا ؟

رحم الله ابن كثير : اذ يقول فى تفسير هذه الآيات : من ههنا شرع تبارك وتعالى فى ذكر قصة موسى . وكيف كان ابتداء الوحى اليه وتكليمه اياه وذلك بعد ماقضى موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره فى رعاية الغنم .. الخ (٦)

وقضية بدء الوحى الى موسى تقرؤها فى سورة طه — ومنها الآيات المتقدمة — وفى سورة الشعراء ، وفى سورة النمل ، وفى سورة القصص ، وفى غير هذه السور (٧) .

سادسا : رهن درعه صلى الله عليه وسلم

وفى ص ٢١١ سطر ١٩ ينكر أن يكون صلى الله عليه وسلم — رهن درعه عند يهودى ، ينكر هذا بناء على خط عنده يفصل بين مانقبل ومالا نقبل ، ولم يعرفنا هذا الخط ، ولم يسبق اليه !!

وانكاره رهن الدرع انكار لحديث صحيح أخرجه البخارى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبى — صلى الله عليه وسلم — اشترى طعاما من يهودى الى أجل ، ورهنه درعا من حديد (٨) ثم بأى شىء يرد الحديث؟! يرد لأن المقاتل لا يستغنى عن درعه ؟! هذا اذا لم يكن له غيره ، والرواية فيها (٩) « درعا من حديد » وليس « درعه » فتفيد الرواية أنه — صلى الله عليه وسلم — كان عنده أكثر من درع . وهى وان كانت تفيد ذلك من خلال ألفاظها ، فانه ثبت صراحة أنه — صلى الله عليه وسلم كانت له درع يقال لها : السعدية ودرع يقال لها : فضة ودرع يقال لها : ذات الفضول (١٠) .

أو يرد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم — عاش ميسورا ؟ أقول : رحم الله الحافظ بن حجر اذ قال فى شرح هذا الحديث : وفيه — أى حديث رهن الدرع — ما كان عليه النبى — صلى الله عليه وسلم — من التواضع والزهد فى الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها، والكرم الذى أفضى به الى عدم الادخار حتى احتاج الى رهن درعه ، والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير (١١) . اه

ومجمل القول أنه — صلى الله عليه وسلم — كان ميسورا لكن هو الذى قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى من المؤمنين

(٦) تفسير ابن كثير ٣/١٤٣ .
(٧) وراجع تفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لا بوم ص ٨٣ — ١٠١ .
(٨) أخرجه البخارى فى البيوع باب شراء النبى صلى الله عليه وسلم بالنسيئة ٤/٣٠٢ رقم ٢٠٦٨ ، وفى الرهن باب الرهن فى الحضر ٥/١٤٠ وفى غير هذين الموضعين وأخرجه الترمذى والنسائى والدارمى واحمد .
(٩) أى رواية البخارى السابقة .
(١٠) راجع طبقات ابن سعد ١/٤٨٧ .
(١١) فتح البارى ٥/١٤١ .

فترك دينا فعلى قضاؤه ومـن ترك مـــالا فلورثته » (١٢) وهو الذى قال : مالى وللدنيا، انما أنا كراكب قال تحت شجرة ثم تركهـا وانصرف (١٣) .

فاعراضه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عـن الدنيا ، مع كرمه ، مع تحمله أعباء الدعوة كل ذلك كان سببا فى أن رهن درعه .

وفى الحديث تساؤلات أكثر من ذلك تراجع من كتب الشروح (١٤) .

سابعا : تجريح الصحابة :

وفى ص ٢٧٧ سطر ٥ يتشكك فى صدق عمر حينما قال : ان الرسول ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ لم يمت !! والسؤال : متى كان عمر غير صادق ؟ ولم يفعل ذلك عمر ، وهو الذى لم يعط الخلافة لابنه من بعده ؟

لقد قال عمر أن الرسول لم يمت بناء عـلى اجتهاد عنده ، فلقد أداه اجتهاده أن رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم لن يموت الا بعد القضاء على المنافقين كما صرح بذلك فى قوله « ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يموت حتى يفض الله المنـافقين (١٥) وفى رواية أخرى « وليبعثنه الله فليقطعن أيـدى رجال وأرجلهم (١٦) .

وفى ص ٢٨٠ سطر ٢ كلام مفاده أن السياسة تفسد الدين والايمان وقد كان أبو بكر وعمر سـياسيين ، لكن كان الايمـان غالبـا على السياسة .

وأقول : الذى فى الاسلام خلافة وامارةوهى من الاســلام .

وفى ص ٢٨٦ سطر ١٤ يركز على أن عويم ابن ساعدة ، ومعن بن عـدى ناديا أبا بكـر وعمر لأخذ الخلافة ، حتى لا يأخذها خزرجى ــ هو سعد ابن عبادة ــ لأنهما من الأوس . وان اختلاف الأنصار هو الذى أتاح لأبى بكر أخذ الخلافة . وأن عمر رد هذا الجميل لعويم اذ وقف على قبره لما مات وقال : لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول انه خـير مـن صاحب هذا القبر ، ما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الا وعويم تحت ظلها .

وهذا الكـلام معترض عليـه فى ثـلاث نقاط :

---

(١٢) أخرجه البخـارى فى الكفالة باب الدين ٤/٤٧٧ رقم ٢٢٩٨ وفى غير هذا الموضع واخرجه مسلم وغيرهما .

(١٣) اخرجه أحمد والترمذى وابن ماجـه والحاكم والضياء عن مسعود . وقد كتبته مـن حفظى .

(١٤) راجع من ذلك فتح البارى ج ٥ ص ١٤٠ ــ ١٤٢ وراجع عمدة القارى .

(١٥) اخرجه احمد ٦/٢١٩ ، ٢٢٠ .

(١٦) اخرجه البخارى فى فضـائل الصـحابة باب قول النبى لو كنت متخذا خليلا ٧/١٩ .

الأولى : أن عويما ومعنا لم يناديا أبـا بكر وعمر ، ففى رواية مالك عن الزهرى أن هذين الرجلين لم يطلبا البكور الى السقيفة ، وانما نصحا بالبقاء الى الانتهاء من تجهيز رسـول الله صلى الله عليه وسلم (١٧) ، وما عند أبى يعلى أصح مما عند الواقدى (١٨) .

الثانية : ليس اختلاف الأنصار هو الـذى أعطى الخلافة للصديق وانما سلم بهـا لـه الانصار عنـد سماعهم حديث « الأئمة من قريش (١٩) وسماعهم حديث » « قريش ولاة هذا الأمر » حتى قال أبو بكر : ولقـد علمت ياسـعد — يعنى ابن عبـادة — أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال وأنت قـاعد « قريش ولاة هذا الامر ، فبر النـاس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم ، فقـال لـه سـعد : صـدقت ، نحن الـوزراء وأنتم الأمراء (٢٠) .

الثالثة : ان مقولة عمر فى شأن عويم ليس أساسها موقفه من الخلافة ، وانما أسـاسها أنه شهد جميع المشـاهد — كمـا قال عمـر نفسـه — أى الغزوات مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم . ومدحه عمر بحرصه عـلى الجهاد ، ولم يمدحه بأنه كان ذا مـوقف فى الخلافة .

وعويم هذا أثنى عليه ربنا ومدحه نبينـا ، فلقد قيل لرسول الله صـلى الله عليه وسلم : من الذين قال الله فيهم ، « **رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا** » ؟ (٢١) فقال نعم المرء منهم عويم ابن ساعدة (٢٢) « ولو كانت المسألة مسـألة مكافأة لأعطاه أبو بكر وعمر الكثير من المـال والمناصب ، ولم يقع من ذلك شىء .

وفى ص ٢٧٨ سطر ١٩ يقول : والعبـاس كان يفكر تفكيرا جاهليا .

وفى ص ٢٧٩ سطر ٣ يقـول : والعبـاس الى ذلك الحين كان جاهلى الفكر والاحساس .

وفى ص ٢٨١ سـطر ٧ يتشـكك فى سرعة أبى بكر للحضور بعد علمه بموت رسول اللـه ﷺ وأنـه حضـر يـوم الاربعاء .. فى حين هو حضر بعد الوفاة بقليل ، وتمت البيعة فى نفس اليوم « الاثنين » (٢٣) .

وفى ص ٢٨٥ سطر ٢ يطلق على الصحابة لفظ « قطيع » .

وفى ص ٢٨٤ السطر الاخـير ، وص ٢٨٥ السطر الأول ينتقد أهل السنة بأنهم تكلفـوا

---

(١٧) أخرجه أبو يعلى ، كذا فى الفتح ٧/ ٣٠ .
(١٨) سيأتى كلام فى هذا .
(١٩) أخـرجه الحـاكم والبيهقى عن على ، واخرجه احمد والنسائى .
(٢٠) أخرجه أحمد ١/ ٥ .
(٢١) سورة التوبة آية ١٠٨ .
(٢٢) راجع الاصابة ٤/ ٧٤٦ .
(٢٣) راجـع البداية ٥/ ٢٧٩ « ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يـوم السقيفة » وسيأتى مزيد لذلك ان يسر اللـه سبحانه وتعالى الاستمرار فى الرد .

فى الدفاع عن خلافة أبى بكر وهذا لقلة علمهم بالتاريخ .. ص ٢٨٥ .

وفى ص ٦١ ينتقد السلف فيقول « لأن السلف عاطفيون ... وليس هذا صحيحا أصلا » ولست أدرى ماذا يريد بعد تجريح الصحابة وأهل السنة والسلف ؟ .

ثامنا ــ تغير رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفى ص ٢٧٦ سطر ١٢ ، وص ٢٨٢ سطر ١٠ ، وص ٢٨٥ سطر ١٢ اصرار على أن الرسول صلى الله عليه وسلم تغير قبل دفنه ، ويبنى هذا على أساس أنه صلى الله عليه وسلم ظل بلا دفن أكثر من ٤٨ ساعة اذ مات يوم الاثنين ودفن فى نهاية الأربعاء ، ويرجع السبب فى تأخير الدفن الى السياسة ، وأن الانشغال بالبيعة هو الذى أخر الدفن .

وكل هذا ليس مسلما له ، بل هو خطأ محض . وذلك لما يلى : ــ

القول بأنه صلى الله عليه وسلم دفن بعد أكثر من ٤٨ ساعة وأن الدفن تم ليلة الخميس يعارضه حديث عائشة رضى الله عنها قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن ليلة الاربعاء (٢٤) .

وأيضا حديث عائشة : ماعلمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل ليلة الأربعاء (٢٥) .

ومن عجيب أمر المؤلف أنه لما وجد أثرا فى الطبقات الكبرى يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دفن بعد الوفاة بيوم وليلة (٢٦) ، راح يعترض وقال « الأصح يومين وليلتين ونيف (٢٧) فجعل هذا الأثر أيضا يتعارض مع الحديثين الماضيين وأتساءل معه : أتصحح النص أو ترده ؟ ان كنت تصححه فلم تسلك المنهج العلمى فى تصويب نص ، وان كنت ترده فلم استدللت به ؟ وشىء آخر ماذا تقول فى الأحاديث التى قبله ، والتى تفيد أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الثلاثاء ؟ أليس من الأمانة العلمية دراسة كل مافى الموضوع ؟ .

ان الآثار التى فى الموضوع منها ما يثبت أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الثلاثاء ، ومنها ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم دفن ليلة الأربعاء ، ولا تعارض فمن نظر لبداية اجراءات الدفن ، قال يوم الثلاثاء ، ومن نظر الى نفس الدفن قال ليلة الأربعاء .

وعلى هذا ــ أنه صلى الله عليه وسلم دفن ليلة الاربعاء ــ يبطل كل ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم دفن بعد أكثر من ٤٨ ساعة ، وأنه تغير ، وأن السياسة عطلت الدفن .

ويبطل كذلك قوله : ان أبا بكر عاد من السنح فى ضحى الأربعاء (٢٨) فان أبا بكر رضى الله

(٢٤) أخرجه أحمد فى المسند ١/١١٠ .
(٢٥) أحمد ٦/٦٢ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ .
(٢٦) هو فى طبقات ابن سعد ٢/٢٧٤ .
(٢٧) ص ٣٠٣ .
(٢٨) قال هذا فى ص ٢٨١ .

عنه عاد فى نفس يوم الوفاة ، والسنح على بعد ميل واحد من المدينة فكيف يتأخر كل هذا الوقت ، ان القول بتأخره الى ضحى الاربعاء لا يصح أن يقال ؟ بل انه فى يوم الاثنين يوم الوفاة كان أبو بكر قد أصبح خليفة ، فان البيعة بدأت يوم الاثنين واكتملت يوم الثلاثاء .

ورحم الله ابن كثير اذ يقول (٢٩) كان هذا — مبايعة أبى بكر — فى بقية يوم الاثنين ، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس فى المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة ، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما .

وأخرج البخارى — رحمه الله تعالى — عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا — يريد بذلك أن يكون آخرهم — فان يك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات ، فان الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وان أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين ، فانه أولى الناس بأموركم فقدموا فبايعوه . وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة ، كانت بيعة العامة على المنبر (٣٠) .

وواضح من حديث أنس هذا أن البيعة تمت فى اليوم الثانى للوفاة وهو يوم الثلاثاء وكان بعض الناس قد بايع قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة فهل يقال ان أبا بكر جاء ضحى الأربعاء ؟ .

وفى ص ٢٨٧ السطر الأخير يقول : وعطلت السياسة دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الليل . وهذا خطأ ، فالسياسة — والتى هى بالتعبير الاسلامى الخلافة — لم تأخذ من وقت الأمة سوى جزء قليل من يوم (٣١) ، وانما كان الدفن فى نهاية اليوم الثانى لأن اجراءات التجهيز استغرقت وقتا طويلا ، فتصور أن الجميع يحرص على أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم والبيت صغير لا يسع أناسا كثيرين ثم ان الدفن سيكون فى الموضع الذى قبض فيه ، ولو كان فى غيره لأعد أثناء الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فلم تعطل السياسة شيئا ، ولا أثرت أى تأثير فى توقيت دفنه صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن أبطلت القول بتأخر دفنه صلى الله عليه وسلم أكثر من ٤٨ ساعة وأبطلت

---

(٢٩) البداية ٥/٢٧٩ . باب ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة .

(٣٠) اخرجه البخارى فى الاحكام باب الاستخلاف ١٣/٢٠٦ رقم ٧٢١٩ .

(٣١) كذا قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٧/٣٢ .

القول بأنه دفن ليلــة الخميس ، وهما يترتب عليهما القول بالتغير فيكــون القــول بالتغير باطلا ، وأبطلت القــول بتأخــر أبى بكر الى ضحى الأربعاء ، وأبطلت القول بأن السياسة أخرت الــدفن ، بعــد أن أبطلت كــل ذلك ، أتساءل : لم الحرص على القول بالتغير ؟ ثم ان الكاتب يذهب الى التحلل بدليل قوله ص ٣٠٣ وهذه تفاصيل نذكرهــا للكثيرين ممــن يقولون ان الولى الفلانى ظل على حاله بعــد موته لا أدرى كم شهرا .... ولهؤلاء نقول :

لابد أن أولياءكم هؤلاء خير من رسول اللــه صلى الله عليه وسلم حتى اختصهم الله بهذه الخوارق وفضلهم على نبيه المصطفى ورسوله الى العالمين أ هـ كلامه .

وظاهر من كلامه أنه يريد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ يتغير فهو لا يبقى عــلى حاله ؟ وهذا خطأ صريح — يقع فيه من أخضع المرسلين ومعجزاتهم وكرامتهم لرأيه الشخصى — لأنه يتعارض مع حــديث أنس بن مــالك رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم « الأنبياء أحياء فى قبــورهم يصــلون » وهــو حديث صحيح بل متواتر ، ذكره فى نظم المتناثر (٣٢) ثم نقل عن السيوطى قوله : حياة النبى صلى الله عليه وســلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علمــا قطعيا ، لما قام عنــدنا من الأدلــة فى ذلك ، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك . ونقــل عن ابن قيم الجوزية أنه نقل عن ابى عبد الله القرطبى قوله : صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجســاد الأنبيــاء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس ، وفى السماء خصوصا بموسى ، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يســلم عليه الا رد الله عليه روحــه حتى يرد عليــه الســلام ، الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء انما هو راجع الى أن غيبوا عنا بحيث لا نــدركهم ، وان كــــانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال فى الملائكةفانهم أحياء موجودون ولا نراهم (٣٣) وبعــد :

فهذه أمور (٣٤) أخــذتها على الكتــاب المذكور ، مع أمور أخرى ، لو كتبتها لطــال المكتوب ، فأكتفى بهذا القــدر .

وأسأل الله الكريم دوام وتمام التوفيق .

« وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْــهِ أُنِيبُ .. »

عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى

---

(٣٢) هو نظم المتناثر من الحــديث المتواتر للشيخ الكتانى ، والحديث فيــه رقم ١١٥ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣٣) وراجع كتاب حياة الأنبياء للبيهقى .
(٣٤) تزيد على العشرين .

موقع الاقتصاد فى بناء القدرات الدفاعية فى توجيهات الاسلام

من المبادىء الأساسية للعسكرية الاسلامية أن الاقتصاد يشكل ركنا رئيسيا من أركان القدرة الدفاعية للأمة الاسلامية ، وأن سياسة الدولة لبناء قوتها الحربية يجب أن تشمل بناء قاعدة اقتصادية قوية قادرة على تلبية احتياجات جيشها وقت الحرب مهما طال أمدها •

أولا : الربط بين العسكرية والاقتصاد :

فالاسلام يربط بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد برباط وثيق كما يفهم من قول الله تعالى : « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** » (الأنفال ٦٠) ، فهذا الارتباط يتضح فيما يلى :

١ ــ ورود لفظ « قوة » فى الآية الكريمة مطلقا دون قيد أو تحديد ، يوحى بأن القوة التى يأمر الله تعالى باعدادها تشمل « كل مصادر القوة » كالقوة الاقتصادية والقوة الاجتماعية والقوة السياسية وليست القوة الحربية وحدها •

٢ ــ ورود ذكر « الانفاق » (**وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ••) فى نفس الآية الكريمة يؤكد هذا الارتباط ، ويقرر أن القوة الحربية تحتاج الى مال وانفاق وأن قدرتها على أداء مهمتها فى دفع العدوان تعتمد اعتمادا كبيرا على القوة الاقتصادية •

٣ ــ ثم يتأكد هذا الارتباط أكثر وأكثر فيما ترشد اليه تلك الآية الكريمة من أن الاقتصاد ركن من أركان « استراتيجية الردع الاسلامية » ، فالقصد من اعداد القوة هو ارهاب الأعداء واخافتهم من عاقبة عدوانهم (**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ••) فاذا عرف الأعداء وهم يفكرون فى العدوان أنهم سوف يواجهون قوة عسكرية متفوقة تساندها

اللــواء . أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

وتدعمها قوة اقتصادية لاتنفد، فسوف يتخلون عن فكرة العــدوان ، أمــا اذا ركبــوا رأسهم واعتـــدوا ، فان المسلمين ســـوف يقاتلونهم مدفوعين بفكرة « الارهاب والردع » ويلقنونهم درسا يوقع الرهبة فى قلوبهم فلا يعودون مرة أخرى الى العدوان •

٤ ــ وأخيرا فان ربط العسكرية بالاقتصــاد يجعل كلا منهما فى حاجة الى الآخر ولاغنــى له عنه : فالقوة الحربية فى حاجة الى قاعـــدة اقتصــادية تسندهــا وتدعمهــا ، والقاعدة الاقتصادية هى الأخرى فى حاجة الى « قــوة تحميها » •

ثانيا : الجهاد بالأموال :

وقد فرض الله الجهــاد بالمال كمــا فرض الجهاد بالنفس ، بل ان الجهاد بالمال ورد مقدما على الجهاد بالنفس فى أكثر الآيات التى تحث على الجهاد :

ــ « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِــى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** » (الحجرات ١٥) •

« **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُــونَ** » (التوبة ٤١) •

ــ « **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُــوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** » (الانفال ٧٢) •

وقال الرسول القائد صلى الله عليه وســلم : جاهـــدوا المشركين بأموالكــم وأنفســـكم وألسنتكم » (أخرجه النسائى) •

وينطوى التوجيه الاسلامى حول الجهـــاد بالأموال على معان هامة نذكر منها :

١ ــ أن الجهاد بالمال قد يكون أشـــد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لأن الجهـــــاد بالمال فضـــلا عن كونه أمرا لابـــد منه لتزويد الجيش بمطالبه ، فهـــو أمر لا حـــدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العـــدو

أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، ولذلك قيل « المال عصب الحرب » .

٢ ـ أن غير القادرين على الجهاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب البعد عن مكان المواجهة مع العدو ، عليهم أن يساهموا فى المعركة بالمال (أو ما يقوم مقامه من المؤن والوقود والسلاح وغيرها) بقدر استطاعتهم ، وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عند الله تعالى ، ويكونون راضين عن أنفسهم .

٣ ـ والجهاد بالمال كالجهاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق أفضل منه فى الأوقات الأخرى كما بين الله تعالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام فى أول أمره فى حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عن الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، مع ان الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد ، لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلها من الأجر والثواب ، قال عز وجل : « **وَمَالَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ** » (الحديد ١٠) .

وفى فضل الانفاق فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى :

« **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** » (البقرة ٢٦١) .

ومن الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد بالمال وعظيم أجره وثوابه :

ـ عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله فقد غزا » .
(رواه الترمذى والبخارى ومسلم) .

ـ وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة فى سبيل الله تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » (رواه الترمذى وحسنه والنسائى) .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » (رواه البخارى) ،

ومثل الفرس كل عـدة من عـدد الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان .

ـ وجاء رجل بناقة مخطومة (أى فى أنفها خطام وهو الزمام) فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلهـا مخطومة » (رواه مسلم والنسائى) .

ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبـى صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله ، نودى مـن أبواب الجنة كلها : ياعبد الله ، هلم » (أى أن كل أبواب الجنة تنادى عليه ليدخل ، وهـذا زيادة فى التكريم) رواه البخارى .

ولقد أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله :

أنفق أبو بكر جميع ماله فى سبيل الله وكـان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين ، وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهز عثمـان ابن عفان جيش العسرة فى غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها مـن الغزوات .. أما آل محمد صـلى اللـه عليه وسـلم فقـد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

* « والله ما أمسى فى آل محمد صاع مـن طعـام وانها لتسعة أبيـات » والله ماقالهـا استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته ..

ثالثا : الضن بالمال يوقع الأمة فى الهـلاك :

قال الله تعالى : « **وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** » (البقرة ١٩٥)

انظر الى تحذير الله لنا من التهاون فى امتثـال أمره بأن ننفق أموالنا فى سـبيل الله وهـو تعريضنا لأن نلقى بأنفسنا فى التهلكة ، فبعـد أن أمرنـا بالانفـاق نهانا بقوله « **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** » لنفهم الحكمة فى الأمـر بالانفـاق .

والمعنى أنكم اذا لم تبذلوا فى سبيل الله وفى سبيل تأييد الحق وحماية أنفسكم وبلادكم ، كل ما تستطيعون من المال ، ومن استعداد للدفاع ، فقد أهلكتم أنفسكم . فانفاق المال والاستعداد للقتال قبل وقوعه هو الذى يقى البـلاد من الهلاك ، والضن بالمال والحرص عليه وامساكه عن البذل فى سبيل الخير والبر والدفاع عـن النفس والوطن والحق ، يوقع الأمة فى الهلاك ، ويعرضها لأن ينتهك العـدو حرماتها ويغـزو بلادها ويستعبد أبناءها ويعتدى على مقدساتها ويسلبها حقها فى اقامة شعائر دينها وفى حريتها فى عقيدتها .

رابعا : مقتضيات الربط فى سياسة الدولة :

وفى ضوء توجيهات الاسلام حول الموقـع الذى يحتله الاقتصاد فىبناء القدرات الدفاعية، ينبغى أن تراعى سياسة الدولة على أعـلى مستوى الاعتبارات التالية :

(١) أن البناء الاقتصادى فى الأمة الاسلامية ـ وان كان يخضع لقوانين خاصة به ـ يجب أن يراعى فى أهـدافه وخططه الاعتبـارات الاستراتيجية المتعلقة بشئون الدفاع •

(٢) أن اقتصاد الأمة الاسلامية فى حالـة الحرب ، يتقرر كلية وفقا للمتطلبات العسكرية، أى يتحول الى « اقتصاد حرب » ولذلك يجب أن يكون البنيان الاقتصادى قادرا على التكيف مع متطلبات الحرب واحتياجاتها •

(٣) أن تنظيم الدولة ، ينبغى أن يشـمل الأجهزة والمجالس المشتركة التى تتولى التنسيق بين خطط التنمية الاقتصـادية ومتطلبـات الاستراتيجية العسكرية عموما ، ووضع الخطط الاقتصادية الكفيلة بتزويد القوات المسـلحة بكافة احتياجاتها وقت الحرب •

ويدخل هذا العمل فى اطار ما يسـمى اليوم « بالاستراتيجية العليا للدولة » (١) التى تختص بها أعلى قيادة سياسية وعسـكرية فى الدولة ، والتى تباشر تنسيق وتوجيه جميع امكانيات الدولة السياسـية والاقتصـادية والعسكرية نحو تحقيق الغاية السياسية مـن الحـرب •

(١) الاستراتيجية العليـا (أو الكبرى أو الشاملة) Grand Strategy مصطلح من مصطلحات الفن الحربى يعبر عن تنسيق وتوجيه جميل امكانات الدولة السياسيه والاقتصـادية والاجتماعية والعسـكرية ... الخ نحو تحقيق الغاية السياسية للحرب ، ومعنى ذلك أن القوات المسلحة ليسـت الا أداة واحـدة من أدوات الاستراتيجية العليـا لتحقيق الأهـداف العليا ، وبمعنى آخر فالاستراتيجية العليا هى « سياسة الحرب » .. أما الجانب العسكرى البحت الذى تختص به القيادة العسكريه فينطوى على مستويين من مستويات العمل : «الاستراتيجية» و «التكتيك» وتعنى الاستراتيجية بالقضايا العسكرية العليـا كتوزيع القوات على الجبهـات وتدبير امدادها باحتياجاتها وقيادة الحـرب عامـة ، ويعنى « التكتيك » بأعمال القتـال الفعلى فى الميدان (فن القتال) .

الدولة الإسلامية في
اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا

٤

الحريات الاقتصادية

- أ -

للدكتور / فوزى محمد طايل

لما كانت الشريعة الاسلامية هى خاتمة الشرائع الى أن تقوم الساعة ، وهى تحكم كل جوانب الحياة فى المجتمع فقد تناولت بالتنظيم جوانب الحريات الاقتصادية ، فوازنت بين اشباع الغرائز الفطرية ، وبين ضرورة تحقيق التكافل الاجتماعى والعدالة الاجتماعية .

الدولة الاسلامية تتدخل فى النشاط الاقتصادى الفردى :

أقر الاسلام الحريات الاقتصادية جميعا وحماها وحض على ممارستها بيد أنه فرض عليها من القيود ما يضمن عدم انحرافها أو اضرارها بالمجتمع ، فحدد ما هو محرم من أوجه النشاط الاقتصادى ، وحد من بعض صوره التى تضر بالمجتمع .

ويحكم النشاط الاقتصادى المشروع مجموعة من المبادىء الأخلاقية التى تجعل منه نموذجا فريدا يفوق سائر الأنظمة الاقتصادية الأخرى فلابد أن تسود معاملات الأفراد الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، وحسن المعاملة ، كما أن على الأفراد أن يتجنبوا فى معاملاتهم ما يثير النزاع أو يفسد الثقة من غش أو منافسة غير مشروعة ، وما اليها من وسائل المعايرة والقياس .

اذا كان « الأصل فى الأشياء الاباحة » فان كل نشاط اقتصادى يعتبر مشروعا مالم يرد نص قرآنى أو سنى بتحريمه ، وما لم تكن هناك مصلحة مغتبرة شرعا تمنع منه ، وذلك لعموم قول الله تعالى : « **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ**

←

اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » • (الأعراف/ ٣٢)

ان الغاية من تحريم بعض صور النشاط الاقتصادى هى ضمان تكافؤ الفرص بين الأفراد والحفاظ على التوازن بين صوالحهم ، فيسود التكافل والاحترام والتراحم والتعاطف والعدل بدلا من التباغض والصراع الطبقى واضطراب حياة المجتمع •

مما يؤدى الى تكاسل بعض الأفراد الذين يمتلكون القدرة المادية ، أو الالتجاء الى الاستغلال والتحايل لجمع المال وتكديس الثروة فى أيدى قلة تسيطر على مقدرات المجتمع •

وانما تتدخل السلطة العامة فى هذا النشاط الاقتصادى ، الفردى تنفيذا لشرع الله وسدا للذرائع •

صور ومظاهر النشاط الاقتصادى المحرم :

اولا ــ الربا :

ان الصورة المشروعة لاكتساب المال واستثماره انما تكون بالتجارة ، التى تعتبر الحلقة الأخيرة فى سلسلة النشاط الاقتصادى سواء أكان صناعيا أم زراعيا وفى هذا يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ » (النساء / ٢٩) •

وفى مقابل هذا حرم الله الربا ، أخذا أو عطاء ، كما يشمل كتابة الدين المتضمن للربا ، والشهادة عليه • يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه » وكاتبه (رواه النسائى) •

والربا فى اللغة العربية يعنى الزيادة وفى الاصطلاح الشرعى هو « زيادة مال بلا مقابل فى معاوضة مال بمال » •

وقد جاء تحريم الربا بنص القرآن الكريم ، وبنص السنة النبوية الصحيحة • فيقول الله تعالى فى سورة البقرة : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ • فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ

فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ » •

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة / ٢٧٥ — ٢٨١) •

والربا كما عرفته انسانية نوعان : ربا الفضل ، ويكون فى مقايضة شيئين من جنس واحد ، وهذا النوع لانكاد نجده فى عصرنا الحاضر ، — وان كان حكم تحريمه باق الى يوم القيامة وربا النسيئة ، أى الاقتراض لأجل مسمى مع زيادة رأس المال بمقدار محدد • ولا فرق بين أن يكون هذا الاقراض قد تم لأغراض استهلاكية أو لأغراض اقتصادية انتاجية ، فالربا محرم اذا توافر ركناه (الزيادة فى رأس المال المقترض بمقدار محدد — الأجل الذى تؤدى بعده هذه الزيادة) • وعلى هذا فاقراض البنوك ، والايداع بها بفائدة ، والسندات التى تستحق بعد مدة معينة مضافا اليها (فائدة) محددة ، وشهادات الاستثمار ذات الفوائد ، والودائع ذات الدخل الثابت ، — اذا تحقق فيها الركنان السابقان — تدخل كلها فى عداد الربا المحرم شرعا •

ويرجع تحريم الربا الى ما يسببه من مضار اقتصادية واجتماعية : فهو يؤدى الى تقليل السعى والجهد البشرى الانتاجى ، لأنه كسب مادى لا يقابله انتاج يعود على المجتمع بالفائدة ، فلا يضيف الى الناتج القومى شيئا ، •هو يدعو الى الكسل والبطالة • وهذا مناف لقيم الاسلام التى تحض على العمل ، وتجعل منه عبادة لكونه امتثالا لأمر الله تعالى •

كما أن الربا يؤدى الى اضطراب المعاملات بسبب التلاعب فى سعر الفائدة زيادة أو نقصا ، فيؤدى هذا الى حدوث حالات التضخم ، أو حالات الركود الاقتصادى ، وكلاهما ضار بصوالح الأفراد ، والمجتمع ، فضلا عن أنه يخل بالتوازن الاقتصادى •

ومن الناحية الاجتماعية ، فان الربا لا يعدو استغلال حاجة المعوزين ، وانتهاك المثل العليا التى تحض على الاخاء ، والتعاون ، والتكافل فى المجتمع الاسلامى • والربا يشيع الشره والطمع والأثرة ، كما أنه محاباة للمال وايثاره على العمل ، فيمس البناء الاجتماعى مسا عنيفا يوسع المسافة ويعمق الهوة بين طبقات المجتمع ولا يساعد على التجانس بينهما • وللقرآن الكريم تعبير جامع اذ يقول الله تعالى : « **كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ** » (الحشر / ٧) •

فتحريم الربا أصل من أصول النظام الاقتصادى الاسلامى ، كما أنه أصل من أصوله الاجتماعية • ولذا يحرم قيام النظام الاقتصادى الاسلامى على أساس رأسمالى ، اذ أن الربا جوهره •

ثانيا — بيوع الغرر :

هى ما يؤدى الى الخصومة والتنازع بين الطرفين أو يؤدى الى وقوع غبن على أحد

الطرفين ، نتيجة جهالة المبيع أو عدم تحقق نتائج الشيء المبيع لتوقفها على أمر مستقبل مجهول قد يقع وقد لا يقع • فهو يعد اخفاء للحقيقة ، وأكلا لأموال الناس بالباطل • وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها الا أن يشترط القطع فى الحال وقال : « أرأيت اذا منع الله الثمرة بم يستحل أحدكم مال أخيه ••• » (رواه البخارى) • كما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وبيع الغرر » (رواه مسلم) • وعلة تحريم هذا النوع من البيوع هو سد باب النزاع ، وكل ما من شأنه أن يفسد الجو العام للمعاملات •

ثالثا ــ استغلال النفوذ للحصول على المال : (الرشوة)

هى استيلاء على أموال الناس بالباطل فى مقابل اشاعة الظلم ، وهدم العدالة وتكافؤ الفرص • يقول الله تعالى : « **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** » (البقرة ١٨٨) •

وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد من يستغل نفوذه للحصول على المال ، أو يحصل عليه بسبب توليه أمرا من أمور المسلمين ، فقد روى الامام أحمد فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما » •

وقد كان التربح من الولاية سببا قويا ومبررا لعزل الوالى عن ولايته على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه

رابعا ــ البذخ والمغالاة فى الانفاق :

يؤدى الاسراف والترف الى اختلال التوازن فى المعاملات ، والى تعميق الهوة الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء • لذا فقد حرم الاسلام كل صور الاسراف والتبذير والترف التى تؤدى الى اهدار ثروات الأفراد ، فالقوة الاقتصادية للدولة ، فضلا عما تؤدى اليه من نعومة تدفع بالناس الى الرذائل فتتفشو الامراض الاجتماعية ويسود التحاسد والتباغض بدلا من التعاون •

ويؤدى هذا ــ عند تفاقم الأمر ــ الى حدوث الصراع الطبقى بين المجتمع •

يقول الله تعالى : « ••• **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا • إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** » (الاسراء / ٢٦ ــ ٢٧) •

وعن حذيفة قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه » (رواه البخارى) •

ولما كان الترف والاسراف ، مرضا اجتماعيا واقتصاديا ، فقد اعتبر الاسلام الأمة كلها مسئولة عنه •

يقول سبحانه : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا » • (الاسراء / ١٦) •

خامسا ــ الاحتكار :

هو من صور الانحراف لما فيه من اخلال بالتوازن لصالح البعض دون نظر لصوالح باقى أفراد المجتمع فيلجئون الى الاستغلال والكسب الحرام عن طريقه ، بحبس السلع التى يحتاج اليها المجتمع فيقل عرضها ويزيد الطلب عليها فترتفع أسعارها •

والاحتكار محرم فى الاسلام لما يؤدى اليه من مضار تنزل بالناس •

فضلا عن شبهه بالربا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » (رواه ابن ماجة) ويقول عليه الصلاة والسلام : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس والجذام » (رواه احمد) ، فضلا عن أن تحريم الاحتكار يستند الى القاعدة الشرعية المشهورة « لا ضرر ولا ضرار » •

سادسا : التدخل فى الصفقات التجارية :

نهى الاسلام عن كل ما يعوق حركة التبادل التجارى المباشر بين من يقوم بتسويق السلعة وبين مستهلكها النهائى طالما أن هذا المتدخل لا يقوم بجهد ، أو بعمل ، أو بوظيفة انتاجية تضيف شيئا الى المنتج (بفتح التاء) • قال رسول ــ الله صلى الله عليه وسلم ــ « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظيم من النار يوم القيامة (رواه مسلم)•

من أجل هذا نهى الاسلام عن تلقى الركبان وعن بيع الحاضر للباد ، لما يؤدى اليه ذلك من فى اضطراب الاسعار ، فقد يؤدى الى احتكار السلعة ومنعها من التداول فيزيد الطلب ويقل العرض •

يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد » (رواه البخارى) • « لا يبع حاضر لباد ، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » (رواه مسلم) •

وهنا قد يتساءل البعض هل السمسرة حلال ام حرام ••• ؟

لقد ذهب بعض الفقهاء الى أن السمسرة حلال بأمرين :

١ ــ ألا يخدع أحد المتعاقدين لحساب الآخر أو لحساب نفسه •

٢ ــ أن يأخذ من الأجر ما يكافىء جهده دون غبن أو استغلال لحاجة الناس أو طيبتهم ولنا فى هذا المجال رأى آخر :

فالسمسار فى القانون التجارى ــ « وسيط يعمل باسمه الشخصى (أى لمصلحته

الشخصية) وبكل استقلال عن طرفى التعاقد الأصلى الذى يسعى هو الى ابرامه دون أن يكون طرفا فيه • ومن الأمور الغريزية المعتادة « أن يبالغ السمسار قبل من سطه فى اعتبار الصفقة فرصة فريدة لمصلحة هذا الأخير وأن يبالغ فى الآمال المعقودة عليها والأرباح الطائلة التى ينتظر تحقيقها منها « وهذا فى اعتقادنا — لا يعدو التناجش المنهى عنه شرعا فى قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل » (رواه البخارى) • وعن مالك عن نافع عن ابن عمر « أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نهى عن النجش » (متفق عليه) •

وقد سئل ابن عباس عن معنى « لايبيع حاضر لباد » • فقال « لا يكون له سمسارا » (رواه البخارى) •

والسمسار دون شك لن يرعى سوى مصلحته ليحصل على عمولته •

أما القول بأن الحاجة أصبحت ماسة فى أيامنا هذه لتدخل « السماسرة » فى الصفقات التجارية فهو أمر مردود ، خاصة مع التقدم الكبير لوسائل الاعلان التى يمكنها الوصول الى الكافة فى أى وقت وفى أى مكان فى العالم، فضلا عن أن نظام الممثلين التجاريين ييسر عمليات البيع بالأسعار التى يحددها منتج السلعة ، وبذا لا يحدث تدخل فى الصفقة التجارية بين المنتج والمستهلك ، يؤدى الى رفع السلع •

يتبع

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الأهرام — شارع جلاء — القاهرة •

قيمة الاشتراك سنويا •

*** جمهورية مصر العربية**

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى •• « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها •

*** باقى دول العالم •**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها •

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة •

الضمير النصراني
وقضية فلسطين

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

● يوافق هذا الشهر صدور « تصريح بلفور » الذى تعهدت بريطانيا فيه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وبذل كل مساعيها للوصول إلى هذا الهدف وكان ذلك فى ١٩١٧/١١/٢ .

وقد تناولت صحيفة الصنداى « تلجراف » البريطانية مبررات هذا التصريح فى مقال لها بعنوان « العـودة إلى الأراضى المقـدسـة » نشر فى ١٩٦٣/١٢/٣٠ فكان مما ذكرته أن المسيحيين قدموا لليهود دولة إسرائيل عوضا عن اضطهادهم لهم ألفى سنة وأن ذلك قد تم على حساب العرب ودفع الفلسطينيون وحدهم الثمن المباشر وزعمت أن عقدة الشعور بالذنب قد سيطرت على المسيحيين بعد ـ هتلر ـ لدرجة استحال معها مقاومة هذا الشعور ومن هنا تحملت بريطانيا مسئولية تطهير الضمير العالمى[1] .

وأهمية المقال ـ بصرف النظر عن المبررات التى يقدمها ـ فى أنه يكشف لنا عن عوامل التأثير فى ضمير المسيحى الغربى ازاء قضية من قضايانا ستظل تفرض نفسها على الرأى العام العالمى إلى أن يتحقق للفلسطينيين استرداد حقهم ويستوقفنا فى هذا المجال التذكير باضطهاد اليهود إذ يشير إلى اتجاه صهيونى من ورائه يستهدف الضغط على الضمير المسيحى المثقل بعقدة الذنب لكى يتقبل هذه المعادلة الصعبة ـ أن يتحمل العرب تبعة وزره ـ بينما يقتضى المنطق أن يكونوا أبعد الشعوب عن المحاسبة إذ نادرا ما كان ينال اليهود عطفا يضارع عطف العرب عليهم لدى الأمم الأخرى فى رأى « ايل ليفى »[2] .

والذى يسهل عليه عملية التقبل أن « الضمير العالمى » ارتضى أن تكون عملية تطهيره من ذنبه على هذا النحو عندما قدم دولة إسرائيل لليهود وأن ذلك قد تم على حساب العرب كما تذكر الصحيفة وتعنى بتطهير الضمير العالمى اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل عام ١٩٤٩ .

كما ورد فى المقال أن الذى دفع الثمن المباشر فى عملية تعويض اليهود عن اضطهاد المسيحيين لهم هم الفلسطينيون وحدهم وهذا أمر له مغزاه بالنسبة للضمير المسيحى إذ الفلسطينيون والأدوميون

←

١ ـ الصهيونية فى الستينيات ـ محمود مقناعة ص ٢٦٧ .

٢ ـ ايلى ليفى مؤلف كتاب يقظة العالم اليهودى طبع فى القاهرة سنة ١٩٤٣ لم ينكر فيه فضل العرب وإن لم يخف أطماع اليهود فى السيطرة على الأرض من النيل للفرات .

والمؤابيون والفينقيون السكان الأصليون لفلسطين هم أعداء الشعب اليهودي التقليديين فى العهد القديم وينسب إليهم الكثير من المطاعن .

ولما كانت جميع المذاهب المسيحية على اختلافها تعتبر (العهد القديم) مقدسا إذ هو كلمة الرب ، من يخرج عليه يبوء بغضبه تعالى ؛ فإنه يصعب على الضمير المسيحى مهما كان نصيبه من الاستنارة الفكرية أن يتخلص من التراث اليهودى فى المسيحية ؛ لأنه كامن فى شعوره الباطنى وبالتالى فهو - أى العهد القديم - يوجه مسار تفكيره ومصداقا لذلك موقف الرئيس الأمريكى السابق « چيمى كارتر » فقد كان فى حملاته الانتخابية عام ١٩٧٦ يردد فى لقاءاته مع اليهود أنه يؤيد إسرائيل لأن هذا ما تمليه عقيدته المسيحية . وهو يؤمن بأن قيام إسرائيل الحديثة كان تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس ، وايمانه بالكتاب المقدس يحتم عليه أن ينظر إلى إسرائيل نظرة دينية توجب عليه أن يؤيد إسرائيل أو يتعهد بامدادها بكل أسباب الحماية والقوة(٣) وما يقوله « كارتر » ليس من قبيل التملق لليهود بسبب انتخابات الرئاسة لأنه معروف عنه الاستقامة والتمسك بعقيدته الدينية .

واليهود من جانبهم يدركون هذه الحقيقة ويعملون على تقويتها بتأسيس جمعيات للصداقة المسيحية اليهودية فى معظم البلدان التى تعترف بإسرائيل وتقيم علاقات معها كما أنشأت ما يسمى بالمجلس المسيحى اليهودى لمكافحة الاضطهاد الدينى والعنصرى ومن خلال هذه الجمعيات والمجالس كان سعيها للحصول من الفاتيكان على وثيقة تبرئهم من دم المسيح عليه السلام .

غير أنه لا ينبغى أن يفهم من ذلك تخلى اليهود عن موقفهم العدائى من المسيحية فهم إلى اليوم كما يقول المؤرخ « آرنولد توينبى » (يعتبرون المسيح عليه السلام حاخاما يهوديا اجتمع حوله خونة العقيدة اليهودية ويرون المسيحية نحلة يهودية مارقة ويصفون انجيلها بأنه إضافة أقحمت على التوراة »(٤) .

وقد شهد العام الأول لقيام دولتهم (١٩٤٨) وحده احتلال وتدمير أكثر من ثلاثين ديرا وكنيسة تحت ستار الضرورات الحربية كما قتلوا قاضى المجلس الكنائسى الأب « مائير فيونيه » وهم يسعون للقضاء على معالم كل ما هو غير يهودى فى إسرائيل »(٥) .

وسبب كراهيتهم للمسيحية أن السيد المسيح رفع عنهم « الْخَيْرِية » وفجعهم فى آمالهم القومية حين قال :

« إن كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم واسحاق ويعقوب فى ملكوت السموات ، وأمابنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة »(٦) .

فقد درجوا على اعتقاد أنهم المصطفون من الله وأنه تعالى خصهم بالملكوت ؛ أى بدولة عاصمتها أورشليم تتحكم فى أنحاء العالم بأسره ويكون اليهود فيها السادة وغيرهم العبيد .

وكانت كراهيتهم للمسيحية السبب المباشر فى اضطهادهم طوال العصور الوسطى .

أما اضطهادهم أيام هتلر الذى أشارت إليه الصحيفة فكان يرجع إلى عدم مشاركتهم فى تحمل الأعباء الوطنية بعد أن حصلوا على كل الحقوق

٣ - إسرائيل والكنيسة الأمريكية - عبد الحميد الكاتب ص ١٨٢ (الهلال يونيو ٨٦) .
٤ - دارسة تحليلية لآراء توينبى - محمد شبل ص ٧٩ (المكتبة الثقافية) .
٥ - كذا نقلا عن الصهيونية فى الستينيات - ص ٢٦٩ .
٦ - متى ٨ : ١١ - ١٢ .

المدنية والسياسية نتيجة لانتشار وسيادة روح المساواة والاخاء والحرية بعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٩٨ فأثار ذلك مواطنيهم عليهم فكانت حركة معاداة السامية (اليهودية) .

والذى يترتب على ذلك أن الاضطهاد الذى وقع لهم لم يكن سوى رد فعل لسلوكهم المعادى للغير وهذا من شأنه ألا يُحدِث أى عُقَد للضمير المسيحى وإن كانت الصهيونية دائماً ما تُذكِّر به ولا تشير للأسْباب ليبقى أمره غامضا غموضا مربكا للضمير المسيحى المعاصر فيتعاطف معها ويستجيب لمطالبها .

وإذا كان قد تبين لنا زيف واقع عقدة الذنب لدى الضمير المسيحى الغربى عندما قدم دولة إسرائيل لليهود فعلينا أن نبحث عن الدوافع الأخرى باستعراض المحاولات الأوروبية لايجاد وطن لليهود فى فلسطين لنرى إلى أى مدى لا تتفق دوافع هذه المحاولات مع ما تدعيه الصحيفة .

ففى ١٧٩٩/٤/٢٠ نشرت صحيفة ـ چازيت ناشيونال ـ مقالا لنابليون بونابرت أثناء حملته على مصر يعرض فيه على يهود آسيا وأفريقيا مساعدته فى الاستيلاء على الشرق مقابل أن يحقق لهم الأمل الذى يراودهم وهو اعادتهم إلى فلسطين حين تصبح فى حوزة الامبراطورية الفرنسية وقد جاءه رد اليهود فى خطاب أرسل إليه فى مصر ونشر صورته اليهودى « ايل ليفى » قالوا فيه :

« إن عددنا ستة ملايين ونحن منتشرون فى جميع أنحاء العالم وفى حوزتنا ثروات طائلة فيجب أن نتذرع بكل الوسائل لاستعادة فلسطين .

وأما البلاد التى ننوى قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهى اقليم الوجه البحرى من مصر مع حفظ منطقة يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر فهذا المركز الملائم أكثر من أى مركز آخر يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا .

وموقع بلادنا على البحر الأبيض المتوسط سيمكننا من اقامة مواصلات سهلة مع فرنسا وبقية دول أوروبا أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى الخاصة باقتراحاتنا على الباب العالى فلا يسوغ نشرها علنا وسنكون مضطرين لابقاء هذه المسألة منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية ويجب ألا ندخر وسيلة أو تضحية فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية »[٧] .

فالذى يكشف عنه المقال والخطاب هو تآمر « مسيحى كاثوليكى يهودى » يتحرك من منطلق تبادل المنافع وتحقيق أطماع نابليون فى امبراطورية فرنسية فى الشرق ، وأطماع الصهيونية فى اقامة وطن فى فلسطين ، وهو يقوم على معاملة الند للند ؛ فكل يعرض طلباته على الآخر ويحددها ولا نشعر فيه بأى أثر للتعاطف المدفوع بالرغبة فى التخلص من عقدة الذنب كما لا نجد من اليهود أى أثر يدل على ضَعْف « المُضطهد » وإنما مدار اختياره اعتبارات اقتصادية تمكن اليهود من السيطرة على تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا ؛ فضلا عما لليهود من أطماع ذات أسس دينية خالصة .

فإذا كان هذا هو حال فرنسا فى أمر الوطن اليهودى فما هو موقف بريطانيا منه ؟ إذا كان تصريح « بلفور » يقول :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إنشاءَ وطن لليهود فى فلسطين .. إلخ » فإن الوقائع المادية تكذبُ هذا الادعاء البريطانى .

---

٧ ـ القدس عبر التاريخ ـ ميخائيل مكس ص ٧٧ .

فإن الحملة الفرنسية وإن كانت فشلت فى تحقيق أهدافها فى الشرق إلا أنها أظهرت أهمية موقع مصر على طريق اتصال بريطانيا بمستعمراتها فى الهند وظهرت الحاجة إلى تأمينه بصورة أقوى بعد فتح قناة السويس وعليه قامت باحتلال مصر عام ١٨٨٢ لتأمين القناة من الغرب .

ولما كانت فلسطين تقع على الجانب الشرقى من القناة وهذا يعطيها قيمة عسكرية يمكن استخدامها فى تهديد هذه الناحية من الممر الذى صار حيويا لبريطانيا وللتجارة العالمية مما يجعله مطمعا للجميع ، فإن بريطانيا البروتستانتية قد اتجهت هى أيضاً إلى اليهود الذين كانوا بدورهم يدركون حاجة بريطانيا إليهم فبدأت العروض بينها على تبادل المنافع على النحو التالى : ـ

ــ فى عام ١٨٨٥ عرض اللورد « شافتسيرى » على وزير خارجية بريطانيا عودة اليهود إلى فلسطين وكانت حجته أنهم بما لديهم من امكانات مالية قادرون على تعميرها والنهوض بها لتصبح قوة مساندة لسياسة بريطانيا ومصالحها فى منطقة الشرق الأدنى .

ــ وفى عام ١٩٠٣ عرض « هرتسل » على « اللورد كرومر » المعتمد البريطانى فى مصر توطين اليهود فى سيناء لقربها من فلسطين على أن تقوم مصر بامدادها بالمياه إلا أن المشروع توقف بسبب رفض مصر ذلك الأمر .

ثم تأجل الموضوع بسبب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ حيث دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا وأثناء سير الحرب تبين لانجلترا بأنها لن تكسبها بدون معاونة العرب ودعم إيجابى من أمريكا يستلزم دخولها الحرب إلى جانبها ، واليهود لهم فيها قوة مؤثرة على سلطة اتخاذ القرار (الكونجرس الأمريكى) فأصدرت وعدا للعرب بمنحهم الاستقلال عن طريق خطابات تم تبادلها عام ١٩١٦ بين السير مكماهون والحسين أمير الحجاز وبمقتضاها مكنها العرب من دخول فلسطين بقيادة « اللينبى » (١٩١٦) .

وفى عام ١٩١٧ أصدرت وعدا لليهود بتمكينهم من فلسطين على اثره دخلت أمريكا الحرب التى انتهت بهزيمة ألمانيا وتركيا (١٩١٨) .

وعندما قامت عصبة الأمم عام ١٩٢٠ لتصفية ما خلفته الحرب من آثار وضعت نظام « الانتداب » ويقضى بوضع البلاد التى كانت محتلة من ألمانيا وتركيا تحت وصاية دولة كبرى بهدف الوصول بها إلى الرقى الحضارى والسياسى مع عدم جواز تصرف الدولة المنتدبة فى أملاك البلد الواقع تحت وصايتها بأى شكل من الأشكال .

وعليه وضعت كل من فلسطين والعراق والأردن تحت الانتداب البريطانى وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى .

وقد تقدمت بريطانيا بطلب أخذ موافقة العصبة على اضافة نص فى صك انتدابها على فلسطين يقضى بأن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة ملك بريطانيا فى ١٩١٧/١١/٢ للشعب اليهودى ورفض المندوب البلچيكى الموافقة على هذا النص إلا أن باقى العصبة صدقوا عليه بتاريخ ١٩٢٢/٧/٢٤ .

وكان هدف بريطانيا من ذلك اخفاء الشرعية الدولية على تصريح بلفور بالموافقة عليه من منظمة عالمية « بالاسم فقط » لأن كثيرا من الدول لم تكن عضوا فيها .

ثم استغلت هذه الموافقة فى خلق واقع يهودى مادى فى فلسطين يتعادل ووضع العرب وعندما اطمأنت إلى القدرة العسكرية لليهود انسحبت من فلسطين عام ١٩٤٨ ونفضت يدها منها وحالت الأمر بعد إعلان اليهود دولتهم فى نفس العام إلى الأمم

المتحدة التى حلت محل عصبة الأمم فأصدرت قرارا فى نوفمبر ١٩٤٩ يقضى بتقسيم فلسطين على النحو التالى : ـ

أ ـ ٥٦٪ من الأراضى تقوم عليه الدولة اليهودية .
ب ـ ٤٣٪ من الأرض تقوم فيه دولة عربية .
جـ ـ ١٪ منطقة دولية وهى الجزء الذى يضم مدينة القدس .

إلا أن إسرائيل خرقت هذا القرار واستولت على ٧٧٪ من مساحة أرض فلسطين وأكثر من ذلك تقدمت تطلب عضوية الأمم المتحدة غير أن الدول اللاتينية الكاثوليكية ـ وكانت تشكل أكثر من نصف الأعضاء ـ والدول العربية والاسلامية اشترطوا موافقة إسرائيل على قرار التقسيم لكى تقبل عضوا فى المنظمة ، لكن الذى حدث بعد ذلك أن « الفاتيكان » حض الدول المسيحية الكاثوليكية على التصويت بالموافقة على طلب إسرائيل وفى جلسة ١١/٥/١٩٤٩ كان أن فازت إسرائيل بموافقة أغلبية ساحقة من الأعضاء لتصبح العضو رقم ٥٢ ولتكتمل لها مقومات الشرعية الدولية .

ومن كل ما سردناه يتبين أن موقف بريطانيا من الوطن اليهودى لا يتحرك من منطلق « العطف » كما جاء فى نص تصريح بلفور وإنما كان الدافع إليه أن يكونوا قوة مساندة لسياسة ومصالح بريطانيا فى المنطقة العربية وكسب الحرب ضد ألمانيا وتركيا بأى ثمن أما الضمير العالمى الذى تحملت مسئولية تطهيره على حد زعم الصحيفة فهى فى الحقيقة عملت على تزييفه بأن خرقت المبادىء التى نص عليها الانتداب فى عدم جواز التصرف فى أملاك الدولة الواقعة تحت الانتداب والوصاية أو تغيير معالمها أو المساس بحقوق السكان ولا يعتد فى هذا المجال بموافقة الوصية على « تصريح بلفور لروتشيلد اليهودى » لأنه باطل من أساسه فهو صادر من غير ذى صفة (ليس المالك) وغير ذى الصفة هو فرد عادى ليس له أى كيان دولى ومن ثم فما يجرى بينه وبين الحكومة البريطانية لاتحكمه قواعد القانون الدولى .

كما أخطأ الضمير العالمى ممثلاً فى الأمم المتحدة عندما قبل إسرائيل عضوا فى المنظمة وهى لا تعترف أصلا بقراراها ولا تلتزم به .

واستكمالا للموضوع تبقى نقطة : ولماذا بريطانيا بالذات هى التى تحملت مسئولية الوطن اليهودى ؟

ويمكننا الإجابة على هذا السؤال إذا ما عرفنا أن ديانة بريطانية هى البروتستانتية وهذه تعتبر العهد القديم مصدر شريعتها وقيمها ومثلها وأنها كاليهودية قد تعرضت لاضطهاد الكاثوليكية فالمحنة المشتركة أوجدت عطفا على اليهود تمثل فى تولى الكثير منهم مناصب على مستوى الدولة فتجد « موسى مونتفيور » شريفا للندن ، وهربرت صمويل عضوا فى الوزارة ورأسها دزرائيلى إلا أنه تبدى متنصرا وحاييم وايزمان أستاذا للكيمياء فى جامعة مانشستر ، وكان يدير حملة « بلفور » فى انتخابات مجلس اللوردات يهودى يدعى « دريفوس » .

وبفضل اليهود تمكن بلفور من الوصول إلى رئاسة الوزارة البريطانية عام ١٩٠٣ وتقديرا منه لجميلهم .

عرض عليهم توطينهم فى شرق أفريقيا إلا أنهم رفضوا وكان أول مندوب سامى بريطانى على فلسطين يهودى هو « هربرت صمويل » فكان بداية عمله نزع السلاح من العرب الفلسطينيين فى أول عهدهم بالانتداب .

والذى لا شك فيه هو أن وضعهم فى الدول المسيحية التى تدين بالبروتستانتية قد مكنهم من النفوذ إلى مراكز التأثير فى هذه الدول وبالتالى حقق لهم الكثير من أمانيهم .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

الفتاوى

س : من السيد / ع . أ . فرغلى ... الزمالك

توفى والد زوجتى وترك : زوجتين ـ ثلاثة أبناء ـ أربع بنات متزوجات .... وقد أودع باسم زوجتى مبلغ خمسة عشر ألف جنيه فى شهادات استثمار ذات العائد الجارى ، وقد أوصى أن هذا المبلغ لا يورث ويصرف عائده نصف السنوى على الأسر المحتاجة صدقة جارية يرجو بها رضا الله .

وعند تصفية المبلغ الذى يورث فعلاً ووجد أنه أزيد من ضعف هذا المبلغ أقر الورثة هذه الوصية وارتضوها إلا أنه بمرور الأيام وبعد وفاة زوجتى أخشى أن ينزغ الشيطان فى نفوس أولادى ولا يتحملون الأمانة .

لذلك أرجو إفتائى فى هذا الأمر ..

ج : الوصية تنفذ فى حدود الثلث ـ أى ثلث التركة ـ سواء رضى ووافق الورثة أم لا ، ونوصى بنقل هذا المبلغ « قيمة شهادات الاستثمار » المذكورة إلى بنك إسلامى .

ومن عهد إليها بالوصية ، إن كان الموصى قد أخبر بأنها ستكون فى عقبها من بعدها كان الأمر كما وصى الموصى ، وإلا تكون هذه الوصية لوزارة الأوقاف تتصرف فيها كما وصى الموصى .

س : من السيد / أ . ع . أبو موسى من الإسماعيلية

توفيت امرأة هى وأولادها الثلاثة فى حادث طائرة ، ولم يعرف أى منهم مات قبل الآخر .

وقد تركت المتوفاه : زوجاً ، أما ـ أبا ـ إخوة ، وأولادها الثلاثة تركوا : أبا ـ جدة لأم ـ جد لأم ... فمن يرث ؟ وما نصيبه ؟ علما أن المتوفاه تركت منقولاتها ومصاغها كما تركت مصاغا قد اشتراه الزوج لها وأعطاه لها حال حياتها ..

ج : ما دام قد توفوا جميعاً فى حادث ـ ولم يعرف أيهم مات قبل الآخرين ـ فلا توارث بينهم ، وكل واحد منهم توزع تركته على ورثته .

فبالنسبة لتركة الزوج : فكل ما تركته الزوجة من منقولات ومصاغ وتعويض وكذلك المصاغ الذى اشتراه زوجها لها يعد ميراثا : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة ، والباقى للأب تعصيباً .

أما بالنسبة لتركة الأولاد الثلاثة فهى : للجدة لأم السدس فى كل واحد منهم والباقى للأب تعصيباً ، ولا شىء للجد لأم لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث من أصحاب الفروض والعصبات .

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س: من السيد / ع . ف . مطاوع من أسيوط

توفيت امرأة عن ثلاث بنات . أبناء عم ذكور فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للبنات الثلاث الثلثان فرضاً لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى لأبناء العم الذكور تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى .

س: من السيد / م . أ . عيسى . الإسكندرية

توفى رجل سنة ١٩٨٦ عن زوجة - ثلاثة أولاد ذكور - ثلاث بنات - بنتى بنت . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنتى البنت المتوفاه قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ ، وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاهم شيئاً حال حياته يساوى نصيب أمهما.....

فتقسم التركة ثمانون جزءاً : منها سبعة أجزاء وصية واجبة لبنتى البنت يقسم بينهما بالتساوى دون أن يشاركهما أحد ... والباقى وهو ثلاثة وسبعون جزءاً هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث ، والباقى للذكور الثلاثة وللبنات الثلاث الأحياء تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

س: من السيد/ وجمال الدين .. من طنطا

حلفت على زوجتى قائلاً : انت طالق وراجعتها أثناء العدة ، ومرة ثانية قلت لها : إذا لم تردى على فأنت طالق ولم ترد .. وأريد به التهديد ... ، ومرة ثالثة : ذهبت إلى المأذون وطلقتها على الإبراء وأثبته المأذون أنه الطلاق الأول على الإبراء .. فما الحكم ؟

ج : يقع بالأول طلقة واحدة رجعية ، وحيث إنك راجعتها أثناء العدة فإن الرجعة صحيحة ..

أما الثانى : فإنه يمين معلق ، وحيث الحالف قصد به التهديد فلا يقع به طلاق .

أما الثالث : فيقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لا تحل لك إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها وتبقى معك على طلقة واحدة .

س: من السيد / م . ع . عساكر الشرقية

١ - حلفت والله العظيم إن خرجت أنت حرة - وخرجت ولم أقصد الطلاق وأقصد التهديد

٢ - قلت لها : على الطلاق ما انت خارجة . وخرجت !!!!

٣ - قلت لها : انت طالق ... فما الحكم ؟

ج : عن الأول : يلزمك كفارة يمين وهى إطعام عشرة مساكين .

وعن الثانى : بأنه يمين لا يقع به طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الإسلامية .

وعن الثالث : يقع به طلقة واحدة رجعية .....

والله أعلم ....

أبى الشيخ محمود أبو العيون

٢

٩ ــ واعمراه !!

لم يترك الشيخ أبو العيون مجالا من مجالات الاصلاح الاجتماعى الا طرقه : فكتب ضــد الحفلات الماجنة ــ الخمر ــ القمار ــ الرقص والاختلاط ــ التمثيل والغناء ــ وســاهم فى التشريعــات الزواج والطــلاق ــ المحــاكم الحسبية ــ التعليم •• الــخ ولم تكن تخــلو صحيفة أو مجلة من مقال له أو حديث معه فى الدين والأدب أو فى السياسة والتاريخ ، فقد كان له فى كل مشــــكلة رأى ، ومع ذلك فقد تناسوا هذا كله وألصقوا به لقب « عدو المرأة » فمن أين جاء هذا الوصف ؟

الواقع أنه لم يكن عــدوا للمرأة وانما كان نصيرا لها مدافعــا عنها فى المرحلة الحــرجة التى أعقبت الحرب وثورة ١٩١٩ ، فقد شهدت هذه الفترة مرحلة تحول حاسمة ، ليس فى مصر وحدها بل فى العالم أجمع نحو التحرر ، وشبت ثورات عديدة ، وظهرت نظــريات سياســية واقتصادية جديدة ، وهذا شأن كل الحــروب والثــورات • ولقد تمخضت هــذه المرحلة عن انطــلاقة كبيرة فى الآداب والفنــون بل وفى أسلوب الحياة نفسها ، وبدءا من خلع المرأة المصرية النقاب عن وجهها الى اشــتراكها فى المظاهرات فدخولها الجامعة والتحاقها بالوظائف العامة ، ولكن صاحب هذا للاسف الشديد لون من الانحلال الاجتماعى الذى لم يفهم الحرية حق فهمها ، فكان لابد من داعيــة يتصــدى لهــذا الانحــلال ويقف فى وجهــه ، فكان الشيخ ابو العيون هو هذا الداعية،تشهد بذلك مقالاته الجريئة التى كان ينشرها فى الصحف تحت عنــاوين نارية يتناقلها القــراء بشــغف واعجــاب مثل : « واعمراه » ــ « يا للشرف المضاع » حتى النساء يلعبن القمار ــ الحفلات الماجنة : « أعذر من أنذر » ــ « بائعــات الاثم والهوى » •

ولقد قامت مساجلات عنيفة بين الشــيخ أبى العيون وبين أبرز كتــاب ذلك العهد ومن بينهم العقاد وطه حسين ومحمود تيمور وفكرى أباظة وهدى شعراوى ونبوية موسى ودريــة شفيق ، لكنها كانت مساجلات أدبية لا مهاترات، وكان الجميع فى النهــاية يجلونه ويحترمونه ويقدرونه حق قدره •

ومن الغريب بعد ذلك أن الشيخ أبا العيون لم يسلم من هجوم جماعات دينيــة عــديدة ، متطرفة ، كانت على الجانب الآخر تنهال عليه باللوم والتأنيب لما وصفته بالمواقف المتخاذلة والمتهادنة منه حيال الفساد فى المجتمع، وكأنما

بقلم السفير :
جمال الدين محمود أبو العيون

كان عليه أن يلغى وحده الفساد بجرة قلم وهو الذى قاد حملته دون أن ينضم الى حزب أو فرقة أو جماعة دينية ، ولو قام هؤلاء بنصف ما قام به هو وحده لكان جهدا مشكورا ينسب اليهم •

ويطيب لنا هنا أن نسوق رأى « عدو المرأة » فى المرأة من واقع مقال نشر له فى احدى المجلات بعنوان « نساء فى حياتى » قال فيه :

جاء يوم كانت كل جرائد البلد فى تهاجمنى بقسوة وتطاردنى بصفات بينها النصاب والدجال والمشعوذ ، بل طالب بعضها بالقبض على •• وعدت ذات يوم الى منزلى أحمل أربع جرائد يومية اشتطت فى الحملة على وانتحيت من البيت ناحية أبكى فيها فما أشعر الا وزوجتى تواسينى قائلة : (امض لشانك لاتبال كلام الناس) • هذه هى زوجتى صاحبة الفضل الأول فى نجاح ثقتى فهى التى جعلتنى أجد وأكافح •

١٠ ــ مواقف مشهودة ••

كان للشيخ أبى العيون شخصية متعددة الجوانب ، ومن أبرز تلك الجوانب الحلم والشجاعة فى الحق وعزة النفس ، تدل على ذلك الأمثلة الثلاثة التالية :

كنت أتجول وأنا طفل فى حدائق معهد الزقازيق الدينى ، ووجدتنى أدلف الى القسم الداخلى لطلبة المعهد الذين استقبلونى بالحفاوة والترحاب ، وتقدم منى أحدهم وكان اسمه

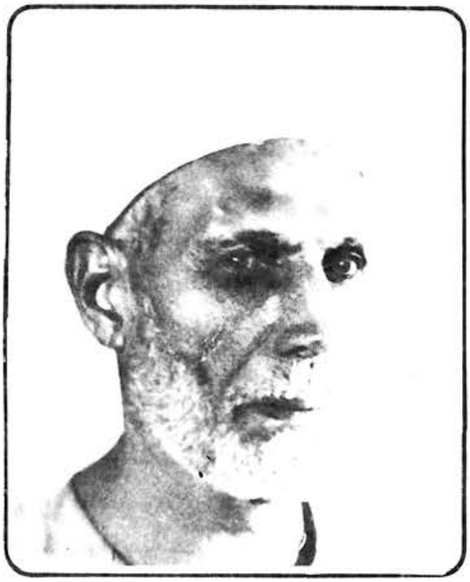

« الشيخ رشاد » ، وذكر أنه ارتكب مخالفة أغضبت منه فضيلة الشيخ فقرر أن يعاقبه ، وطلب منى الشيخ رشاد أن أتشفع له عند أبى ، فذهبت اليه فى مكتبه وقلت له فى سذاجة : « أرجو أن تقبل شفاعتى فى الشيخ رشاد » فتعجب أبى ، ولما علم بالقصة أرسل يستدعى رشادا وقال له : « أنت استشفعت بابنى وأنا قبلت شفاعته وعفوت عنك هذه المرة بشرط ألا تعود لما فعلت •

وأشهد أن هذه الحادثة أثرت فى نفسى تأثيرا عميقا لسنين طويلة •

والموقف الثانى وقع وهو شيخ لعلماء الاسكندرية حيث يروى أنه ذهب ذات صيف لرئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لمقابلة أحد الوزراء فى رمضان ، وكان المجلس يومها منعقدا ، وشاهد الشيخ الحاجب متجها لقاعة الجلسة حاملا صينية عليها العديد من فناجين القهوة والماء والثلج ، وهال الشيخ ما رأى ، فالتفت الى الحاجب ثائرا ، فأجاب بأن « الصينية وما حملت » هى للوزير القبطى صليب سامى باشا ، وهنا ثار الشيخ ثورة مضرية ورفع هراوته فأطاح بالصينية وما عليها .. وسمع الوزراء الضجة وهرول أحدهم الى خارج القاعة فلما رأى ما حدث أنب الحاجب واعتذر للشيخ ووعد بعدم تكرار ما حدث مرة أخرى . والرواية حقيقية ولكن زادت عليها حكاية هراوة الشيخ المزعومة والتى صارت مضرب الأمثال .

أما الموقف الثالث ، والذى يدل على عزة النفس ، فقد وقع عام ١٩٤٧ حين حدث تصادم بين طلبة معهد القاهرة الدينى ورجال الشرطة ، فأراد الشيخ ، وكان وقتها سكرتيرا عاما للجامع الأزهر ، أن يتدخل لتهدئة الموقف ، ونزل بشخصه لتفريق الطلبة وتهدئتهم ، ولكن بعض رجال الشرطة الذين لم يراعوا سنه ولا مركزه اعتدوا عليه بالضرب حتى أصيب وسقطت عمامته من فوق رأسه وغشى عليه ، وكان للحادث وقعه الأليم فى جميع الأوساط ، واشتعلت المظاهرات فى الأزهر ، وحاول المسئولون فى الحكومة الاعتذار للشيخ وترضيته ولكنه أبى الا أن يعتذر له رئيس الحكومة ووزير الداخلية بنفسه وهو يومئذ المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا ، وقال قولته المشهورة التى تناقلتها الصحف والأندية : « عمامتى بطربوش النقراشى» ومازال الشيخ معتكفا فى بيته حتى توسط أصدقاء الطرفين للصلح بينه وبين النقراشى باشا الذى قدم له الترضية الكافية .

١١ — حياته العائلية :

واذا ما انتقلنا من ساحة المعارك والكفاح الى راحة البيت الظليلة ، لألفينا « السيد محمود » رجلا عطوفا بارا بأهله . وقد ظل حتى مماته يذكر بالفضل الكبير شقيقه الأكبر السيد ابراهيم أبا العيون الذى تعهده بالرعاية والتوجيه منذ الصغر ، فكان له الأب والمرشد الأمين ، كما كان وفيا لأمه التى لم تدخر قرشا كى يتعلم ابنها ويصبح عالما فى الأزهر ، فلما أن تخرج أرسل يستدعيها من البلد لتقيم معه فى مصر حتى توفيت الى رحمة الله تعالى وهى راضية عنه .

وكانت أجمل أمانيه فى الحياة أن يتزوج فتاة صالحة من أسرة طيبة كريمة ، فنال ما تمنى ، ولكن زوجته الشابة لم تلبث أن توفيت بعد قليل تاركة له ولدا فحزن عليها الى ماشاءالله، ثم مالبث أن تزوج مرة ثانية من والدتى،وكانت من حلوان من بيت عز تركى قديم ، فرزق منها بسائر أبنائه ، فكنت أوسطهم سنا وأكبر الذكور فيهم .

ورغم ضيق موارده كمدرس بالأزهر ، فقد حمل على عاتقه تربية عدد من أبناء اخوته الذين

قدموا اليه من البلد ، فنبغ منهم فضيلة الشيخ محمد أبو العيون ، وابن اخته الاستاذ (على بك بدوى) وزير العدل والمحامى الكبير • كذلك كان شديد البر بأهله وأهل زوجته،فلم يقصده قاصد منهم الا أكرمه وقدم له كل ما وسعه من عون ومساعدة •

ولقد عاشت أمى معه ٢٥ عاما مليئة بالكفاح، فما شكت ، وكانت له نعم المعينة الصابرة • وان أنسى فلا أنسى المأساة التى عاشها أبى حين حلت به المصائب كلها خلال عام واحد بعد نقله الى الاسكندرية ، فقد نشبت الحرب العالمية الثانية ، وبعدها بأشهر قليلة توفيت أمى ، ثم لحق بها عمى الأكبر ، فأحس أبى بالحزن يعتصر قلبه والأسى يزلزل كيانه بعد أن فقد الزوجة الحبيبة والأخ المعين ، فكان كالريشة فى مهب الريح ، لولا أنه كان يتأسى بما وقع للرسول عليه الصلاة والسلام حين فقد زوجته وعمه فى عام واحد • وكان عمله بالاسكندرية يتطلب بقاءه هناك بعيدا عن أولاده بالقاهرة فلا يزورهم الا فى عطلة نهاية الاسبوع ، ولا يستطيع احضارهم معه بالاسكندرية بسبب الغارات الجوية عليها ، فكانت حياته فى تلك الآونة مأساة لا يعلمها الا من عاشها ولا يصمد لها الا من أوتى الحظ العظيم من الايمان والتسليم المطلق •

وحين توفى أبى لم يترك لنا شيئا من متاع الدنيا الا القليل من المال • وأحسب أنه كان يدخره لنفقات أداء فريضة الحج ، فقد انتقل أبى الى رحمة الله قبل عام من بلوغه سن المعاش ، وكنت أسمعه يردد فى أخريات أيامه أنه يود قبيل اعتزال الخدمة أن يحج الى بيت الله الحرام ليعود من هناك رأسا الى بيته فى الحلمية الجديدة ، رضى الله عنه وأرضاه •

١٢ ـ طرائف ودعابات

كان أبى فى قرارة نفسه فنانا رقيق الحاشية جياش المشاعر ، يخفق فؤاده لكل ماهو جميل فى الحياة ، وكان يحلو له فى أوقات صفائه أن ينشد الشعر القديم بصوت شجى ، أو أن يترنم بأغانى الحب العفيف ، فتدمع عيناه وهو ينشد ويغنى :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى نهى عليك ولا أمر

وكان فى الوقت نفسه يطرب للنكتة المستملحة فيحفظها ويرددها لأصدقائه وخاصته ومن بين هذه النكت ما حفلت به رسوم (الكاريكاتير) المنشورة فى مجلة آخر ساعة وغيرها عن كفاحه ضد العرى فى البلاجات ، وخاصة الكاريكاتير الذى يصور الشيخ أبا العيون وهو يقترب من البلاج المخصص للسيدات للتفتيش عليه ، والعسكرى المكلف بالحراسة يظنه يريد « الفرجة » فيهمس فى أذنه قائلا : « ان كنت عاوز تدخل انتظر شوية لغاية ما يفوت الشيخ أبو العيون » •

ونكتة ثانية تقول على لسان آنسة لزميلتها : « أنا عمرى ماسمعت عن الشيخ محمد عبده •• يظهر انه ماكانش بيمشى على البلاج زى الشيخ أبو العيون » •

وفى البيت كانت له مع أبنائه وبناته قفشات لطيفة ••• ففى ذات يوم تلقى من لبنان هدية

←

من صديق عزيز هى عبارة عن صندوق من الحلوى الشامية ، وراح أبى يسألنا : « أود أن أبعث الى عمكم حسين بك فهمى برقية شكر ، ترى ماذا تقترحون أن أقول فيها ؟ » ،وتصايحنا جميعا ، كل منا يقترح ردا طريفا ، حتى اذا جاء الدور على شقيقتى الصغرى ، وكانت دون العاشرة ، ردت على البديهة قائلة : « تستطيع أن تقول فى البرقية : « وصلت العينة فأين البضاعة » .

وطرب أبى طربا شديدا لهذا الاقتراح وأرسله فى الحال .

وفى مناسبة أخرى ، وكان لأبى صديق حميم يقيم بالاسكندرية واسمه « الشيخ جمعة » ، وكان له قط جميل اسمه « الغازى رضا » . وكان الشيخ جمعة يزعم أن قطه هذا من « الأسياد » وأنه يحمل له رسائله لأصحابه فى مصر فيسير بها حتى يأتيهم فيدق أبوابهم ويسلمهم رسائلهم . وذات ليلة دق جرس الباب فى بيتنا بالحلمية الجديدة ، وفتحت شقيقتى لتجد أمامها رجلا وسيما ذا شوارب مهذبة وهو يقول « اسمى غازى وأريد أن أقابل سيدنا الشيخ » وطارت الطفلة فرحا فقد ظنته « الغازى رضا » ، وأدخلته حجرة الضيوف ، وصارت تداعبه وهو يلاعبها .. وسألها أبى عن الزائر فأجابت بسذاجة محببة بأنه القط

فاندهش أبى غاية الاندهاش لأن القط لا يستطيع دق الجرس ، فأجابته مؤكدة بأنه لا شىء مستحيل على « الغازى رضا » .. ودخل أبى الحجرة وسرعان ما انطلق ضاحكا بعد أن اكتشف أن الضيف مجرد زائر عادى لا صلة له بالقطط ولا بالشيخ جمعة ، ولكنه كان يساير شقيقتى « على قد عقلها » ويقول لها « ناو .. ناو .. » كلما قالت له « بس .. بس » وصارت مثلا يرويه أبى فى كل مجلس ...

١٣ ــ كيف ربى أولاده

كان النهج الذى ارتضاه أبى لتربيتنا هو ضرب القدوة الحسنة لنا .. فكان يحرص على أن نجتمع كلنا يوميا على مائدة الغذاء لنشكل ما يطلق عليه « برلمان الأسرة » فيتبسط معنا ، ويتحدث ونحن فى شتى المواضيع ، الجادة منها والخفيفة ، وكان يستمع الينا وكأنه واحد منا ، ثم يوجه كلا منا توجيها غير مباشر وكأنه أستاذ متفنن فى علم النفس .

علمنى الصلاة بالقدوة .. كانت حجرة نومى تجاور شرفة « بحرية » واسعة فى بيتنا بالحلمية الجديدة ، فكان لا يحلو له اقامة الصلاة ، وخاصة (صلاة الفجر) ، الا فى تلك الشرفة قريبا من مرقدى ، فكنت استيقظ من نومى على صوته وهو يؤذن للصلاة قائلا « الصلاة خير من النوم » ثم وهو يختم الصلاة بالدعاء لى بالخير والبركات .. وكان الشيطان يغرينى بالتشبث بالأغطية وخاصة اذا كان الجو باردا ، وتدريجيا بدأت أحس بالخجل وبأننى مقصر فى حق ربى ان لم أؤد فريضة الصلاة التى يؤديها أبى الشيخ فى عزم ونشاط برغم كبر سنه ، وأنا فى ريعان شبابى أتدثر بالأغطية الدافئة .. وذات يوم حزمت أمرى ونفذت عزمى الى يومنا هذا بأن أقيم الصلاة فى مواقيتها والحمد لله ...

وكنت فى مطلع شبابى أهوى السهر خارج البيت فى كل ليلة مع رفاقى •• كانت سهرات بريئة ولكن أبى كان ضد التأخير فماذا يصنع ؟ كان يجلس فى الشرفة « البحرية » قلقا لحين عودتى ، فاذا ماعدت متأخرا سرت على أطراف أصابعى حتى لا يحس بى فاذا بى أفاجأ به أمامى وهو يقول معاتبا : « قلقت عليك يابنى ، وانتظرتك حتى هذه الساعة لنتعشى سويا وأنا الآن جائع » فكنت أحس بعقدة الذنب وأتصبب عرقا •• وتدريجيا صرت أحرص على العودة مبكرا الى البيت حرصا منى على مشاعر أبى الكريم •

أيضا أغرانى الشيطان بالتدخين ، وكنت حينئذ فى السنة النهائية بكلية الحقوق ، ثم صار التدخين عادة لى •• وكنت أحسب ان أبى لا يعلم بسرى ، ولكن الواقع أنه كان يعلم وكان يتجاهل ، حتى اذا جلسنا للغذاء أو اجتمعنا ساعة العصر توجه الى وهو يحتسى القهوة قائلا : « ما أشد فخرى واعجابى بابنى الطاهر الذى لا يقترف ما يقترفه زملاؤه من شرور •• انه لا يحتسى حتى القهوة ولا يعرف السيجارة أو التدخين ••• اللهم زده كمالا فوق كماله •• اللهم اشهد أننى راض عنه فارض عنه » •

وكنت أسمع هذا كله فأذوب خجلا وأتضاءل فى نفسى وأود لو أن الأرض انشقت فابتلعتنى ولازمنى تأنيب الضمير والشعور بالذنب حتى توفى أبى الى رحمة الله ولم يعد له سلطان على ، ولكن بقى سلطانه الروحى قائما ، فاذا بى أقرر عقب وفاته بقليل أن أنقطع عن التدخين من تلقاء نفسى وحتى الآن ، وذلك لأحقق أمله فى ، وأرجو أن يكون قد تحقق •

١٤ ــ الصيحة الأخيرة

فى اكتوبر ١٩٥١ دخلت مصر مرحلة حاسمة من مراحل تاريخها القومى باعلان النحاس باشا رئيس الحكومة الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، فكان ذلك ايذانا ببدء الكفاح الايجابى لاستخلاص حقوق البلاد واجلاء الانجليز عن ترابها •

وعاد الأزهر يشهد الاجتماعات الوطنية من جديد ، تلك الاجتماعات التى شهدها سنة ١٩١٩ وما تلاها من المناسبات الوطنية الكبرى ، ومرة أخرى وقف الشيخ أبو العيون يخطب الآلاف كما كان يفعل أيام الثورة •

ففى يوم الجمعة ١٩ اكتوبر عقد مؤتمر وطنى كبير فى الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة ، وافتتحه الشيخ بكلمة قال فيها :

ان هذا المكان هو الذى انبثقت منه الشرارة الأولى لثورة ١٩١٩ ثم طلب من الجماهير أن تنظم صفوفها فى كتائب المقاومة ، وأن تعطى الحكومة الفرصة لتنظيم هذه الكتائب •

وارتجت مصر من أدناها الى أقصاها ، وارتفعت الأصوات مطالبة بتنظيم مظاهرة كبرى يوم ١٤ نوفمبر باعتباره «يوم الشهداء» الذين سقطوا صرعى برصاص الانجليز فى مثل ذلك اليوم من عام ١٩٣٥ • وتشكلت لتنظيم المظاهرة « لجنة الميثاق الوطنى » المؤلفة من ممثلى جميع الأحزاب والهيئات ، واشترك فيها الشيخ أبو العيون ممثلا للأزهر الشريف •

وفى اليوم المحدد سارت المظاهرة الكبرى التى اشترك فيها الألوف من أبناء مصر ، ودخل الشيخ أبو العيون ثكنات قصر النيل ليجلس

←

مع زملائه رجال الدين فى السرادق المعد لاستقبالهم • ومر أمام عينى الشيخ شريط الذكريات عندما وطئت قدماه أرض ذلك المكان لأول مرة قبل ٣٢ عاما ، حين اعتقله الانجليز فى أعقاب المظاهرات الوطنية التى كان يتصدرها عام ١٩١٩ •

وفى يوم ٢٠ نوفمبر ، وهو اليوم الذى استشهد فيه ، ظهر آخر حديث له فى احدى المجلات الأسبوعية — ولعله لم يقرأه — عن رأيه فى الموقف الراهن فى البلاد ، وسأله المحرر عن نصيحته للشباب فى هذا الوقت العصيب ، فأجابه الشيخ :

« نصيحتى للشباب أن يذكروا أن المستقبل لهم ، وأن الخير فيه سيعود عليهم ، فعليهم أن يقيموا دعائمه بسواعدهم القوية وأرواحهم الفتية ودمائهم المتدفقة ، وأن يذكروا دائما أن الكفاح فى سبيل الحرية شاق ومرير ، فليروضوا أنفسهم على خشونة العيش وطول السهر وادمان الفكر حتى ينعموا بطيب الحرية ونعيم الاستقلال » •

تلك كانت آخر وصية يوجهها الشيخ لشباب هذه الأمة فى حديثه الذى نشر فى المجلة تحت عنوان « دم الانجليز غير معصوم » ، فكانت هذه العبارة هى الصيحة الأخيرة فى سجل تاريخ « الشيخ محمود أبى العيون » الحافل بالكفاح •

١٥ — الشيخ أبو العيون فى ذمة الله

كان موعده مع القدر مساء الثلاثاء ٢٠ صفر ١٣٧١ هـ • الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٥١ م • يومها قرر أبى أن يزور بعض الأصدقاء فى مصر الجديدة • وفى رحلة العودة استقل (المترو) المتجه لميدان (باب الحديد) •• فى الميدان كانت اشارة المرور حمراء فتوقف المترو وانفتحت أبوابه آليا••ظن الشيخ أنها محطة المترو فنزل •• فى نفس اللحظة اختفت اشارة المرور الحمراء وأضاءت الاشارة الخضراء •• انقفلت أبواب المترو آليا وواصل المترو سيره • أمسكت الأبواب بجبة أبى فلم يستطع أن يتخلص منه وانكفأ على وجهه •• جره (المترو) مسافة طويلة قبل أن يتنبه المارة ويتمكنون من ايقافه •• نقلوا أبى الى قسم الأزبكية القريب• كانت روحه الكريمة قد فاضت •• اتصل بنا القسم فنزل علينا النبأ كالصاعقة •• ذهل الناس وهم يستمعون الى نشرة الأخبار فى الاذاعة وهى تنعى الشيخ الى الأمة العربية والاسلامية •

فى اليوم التالى سار الألوف فى جنازته التى سدت جميع الطرقات من ميدان الحلمية الجديدة حتى الجامع الأزهر حيث صلوا عليه وهم يبكون وينتحبون •

كتبت عنه جميع الصحف والمجلات •

رثته جميع الهيئات ••• ورثاه خصومه قبل أصدقائه •• وقالت صحيفة الأهرام تنعيه :

« فى موجة طاغية من الألم تنعى (الأهرام) الى العالم الاسلامى أجمع فقيد الشرق والاسلام صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمود أبا العيون السكرتير العام للجامع الأزهر ، فقد فدحت الفجيعة بوفاته ليلة أمس على اثر حادث أليم ، ففقدت مصر والشرق بفقده عالما من خيرة العلماء العاملين ، ومجاهدا

البقية ص ٨٣٣

العلوم الكونية

مسار البحث العلمي في القرآن الكريم

عنصر السيليكون وتكنولوجيا الألكترونيك

انتاركتيكا "القارة القطبية الجنوبية"

مسار البحث العلمى فى القرآن الكريم

٢

السمع مفتاح العلم :

جاء السمع ـ فى كل الآيات القرآنية ـ مفرداً ، بينما جاء البصر غالباً جمعاً « أبصار » وذلك لأنه بالسمع تعرف صفة واحدة من صفات الأشياء والأحياء حين حركتها أو احتكاكها أو نطقها وهى الصوت المصاحب أو المميز لها ، وأما البصر فتعرف به العديد من الصفات كاللون والشكل والحجم والنوع ، وهذه الصفات كلها ـ عدا اللون ـ يمكن إدراكها بالحواس الأخرى وهى اللمس والشم والذوق فكل منها له صورة بصرية ، فمثلاً يستطيع الإنسان أن يدرك أن شيئاً ما أملس ناعم أو معرج خشن إما بلمسه أو برؤية تضاريسه ، أو أن الشيء مستدير أو مثلث إما بلمسه أو برؤية شكله ، أو أن هذا الشيء برتقالة أو ليمونة إما بتذوقها أو رؤية منظرها ولونها ، أو أن هناك ناراً إما بالإحساس بحرارتها أو شم دخانها .. وبذلك فالسمع لا بديل له من الحواس الأخرى بينما البصر له بديل من تلك الحواس .

والسمع ـ فى جل الآيات القرآنية ـ مقدم على البصر .. وفى ذلك إشارة إلى أنه أهم وأعظم من البصر ، فعلم الأجنة يثبت أن الجنين تكتمل عنده حاسة السمع قبل ولادته .. بل إنه يستطيع أن يسمع الأصوات منذ الشهر الرابع أى ببداية نبض الحياة فيه ، بينما لا تكتمل حاسة البصر قبل ستة شهور من الولادة [١] . وعلم التشريح يؤكد أن الأذن تقع بداخل العظمة الصخرية وهى أقوى عظام جسم الإنسان لذا فالسمع من العسير أن يصاب مهما كانت شدة الحادثة ما لم تؤد إلى كسر بقاع الجمجمة قد يودى بحياة الإنسان [٢] . فالسمع بذلك يبدأ ببداية الحياة وينتهى بنهايتها .

وعلم وظائف الأعضاء يعطينا الأدلة الدامغة على أهمية السمع ، فالبصر ـ وإن كان يبدو أن مداه أبعد ـ له خداع فقد ترى العين مالا وجود له ، ومجاله نقطة واقعة أمام العين بغير ساتر ، أما السمع فدليل وجوده مصدر للصوت ومجاله دائرة واضحة حول الأذن ومهما تعددت الحواجز ، والسمع لا يتأثر بالزمان والمكان وإرادة الإنسان فالأذن تسمع الأصوات ليلاً ونهاراً ومن أى اتجاه وهى مفتوحة دائماً ، بينما البصر يتأثر بالزمان والمكان وإرادة الإنسان . والأذن أكثر حساسية من العين فى التقاط موجات

1- Hamilton, Bayd & Mossman : «Human Emberyology » . 4th Edition
2- Dawis,D.v.: «Gray·s Anatamy » . 34th Ed :iTian,1987 .

للدكتور محمد وسيم نصار

ذات طاقة منخفضة ولهذا كان السمع آخر ما يفقد من الحواس عند غياب الوعى والإدراك (٣) .

للعيون لغة عالمية .. « فالعين توضح وتنبىء عن الشخص ، كذلك حالته الصحية يمكن الاستدلال عليها من فحص قاع العين مثل داء السكر والضغط المرتفع والأورام بالمخ والاضطرابات فى الدورة الدموية والحميات وغير ذلك ... والتعبير عن إحساسات الشخص الداخلية . بما فيها من مشاعر سواء أكانت إيجابية أو سلبية : لمعان العيون عند الحب والفرح والأمل وانطفاؤها عند الكره والحزن والألم ، كل هذه المعانى لا يمكن التعبير عنها إلا من خلال العينين . كذلك حركاتها ونظراتها وتغيراتها اللونية كل ذلك له معنى يمكن الاستفادة منه . والتأثير فى الغير بافتعال شعور خارجي وإحساس معين يقصد به الإيحاء بفكرة ما أو عمل ما ، فالحسد والجلاء البصرى والتنويم المغناطيسى أمثلة لمثل هذا التأثير تؤكد علاقة العين بالروح (٤) . ورغم ذلك فهى لغة قليلة الكلمات بسيطة المدركات ،

وأما اللغة الحقيقية للإنسان فى كل زمان ومكان فهى لغة اللسان والشفتين .. لغة غزيرة الكلمات عظيمة المعانى والمدركات سهلة البيان خطيرة التأثير .

« .. ويتعلم المولود بواسطة السمع أضعاف أضعاف ما يتعلمه بواسطة البصر ، والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً فهو أبكم أيضاً .. بينما المولود بدون نعمة البصر يستطيع أن يتعلم اللغة .. بل اللغات بكل يسر ، وتستطيع أن تعد مئات بل آلاف العباقرة من فاقدى نعمة البصر ولكنه من العسير أن تعد الآحاد من العباقرة الذين فقدوا نعمة السمع وخاصة إذا كان فقد السمع منذ الولادة أو فى الطفولة المبكرة » (٥) .

« لقد توصل الإنسان فى هذه الأيام إلى تعليم الأصم بطرق ابتدعها ونجح فى مساعدته على فهم ونطق بعض الكلام والقراءة والكتابة ، كما نجح فى تعليم الأعمى القراءة عن طريق أطراف أصابعه وهذه الوسائل لم تكن موجودة فى الأيام الخالية ، ومع ذلك نبغ الأعمى فى الفهم والشعر والأدب بدون هذه الوسائل الجديدة ، ولكن الأصم لم ينبغ قط فى شىء ما من علوم الكلام والأدب والشعر ...

والأعمى يحسن الجدال والحوار مع غيره ويحسن التعبير عما يشعر به فى بلاغة ، أما الأصم فإنه يرى الأشكال والألوان والأحجام والحركات والدمامة والوسامة وبديع صنع الله ، ولكن بلا معرفة لمن صنعه حق المعرفة ولمن أنعم عليه بالبصر وبما يبصره مهما كان ذكياً ، والأصم لم ينطق قط قبل هذه الطرق التعليمية بالرغم من سلامة لسانه وذلك لأنه لم يسمع كلاماً حتى يتعلم الكلام ، فالسمع هو الطريق الأول والأقرب للعقل والفهم ، وبالسمع يتعلم المرء الكلام (٦) .

وارتباط النطق والوعى بالسمع ارتباط أكيد ووثيق .. فمن لا يسمع دائماً هو أبكم أبدا ولا يفهم إلا القليل فيتخلف عقلياً واجتماعياً ، فالسمع أقرب وسيلة للوعى والإدراك ، وبفقده أو إهماله يصير الإنسان أقرب إلى الحيوان لفقده أهم خصائصه وهى النطق

←

(3) Mountcostld, V.B. : « Medical Physiolgy », 13th Edition, V.1, 1974 .

٤ ـ محمد عبد العزيز محمد : « التصرف الزين فى مناجزة سقم العين » ـ ط ١ ـ مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٥ ـ محمد على البار : « خلق الإنسان بين الطب والقرآن » ـ ط ٥ ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٦ ـ نعمت صدقى : « معجزة القرآن » ـ ط ٣ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

والعقل .. بل يكون الإنسان هو والأموات سواء حيث لا أثر له ولا تأثير فى الحياة .. وصدق الحق حيث يقول :

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ « الحاقة : ١٢ » .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ « ق : ٣٧ » .

﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِ ﴾ « فاطر : ٢٢ » .

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِى الْعُمْىِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ « النمل : ٨٠ ، ٨١ » .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ « الأنفال : ٢٢ » .

●● ●● ●●

وللأبصار لغة بسيطة تعبر عن خواطر النفس وانفعالها حين يضطرب القلب وينعقد اللسان .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ « المعارج : ٤٤ » .

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ « القيامة : ٧ »

وللبصر زيغ وطغيان ، والزيغ ميل وانحراف وكلل والطغيان تجاوز الحد إما مدى أو خداعاً ، فإذا لم يزغ البصر ولم يطغ وكان الشىء قريباً وتكرر النظر إليه يكن للرؤية بالعين يقينا لا شك فيه .. ولذلك يؤكد الله عز وجل صدق ما رآه النبى ﷺ ليلة الإسراء يقينا بلا أدنى ريب فيقول :

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ « النجم : ١١ ـ ١٧ » .

ويصف العالم والطبيب المسلم الفذ عبد الواحد بن محمد المغربى المدنى « ت ٩٤٤ هـ » العين وماهيتها .. فى رسالة له تسمى رسالة الضوء ـ ما تزال مخطوطة ـ فيقول : « إن أشرف الحواس الظاهرة حاسة البصر عند الحكماء لأنه لا يقع فيما تدل عليه شك » .. (٧) .

ويقين العين دليل ثقة بوعى العقل وإدراكه ، ولكن يقين السمع يتجاوز الثقة بالعقل إلى الثقة بطهارة النفس الإنسانية واستقامتها .. وتأتى الآيات الكريمة توضيحاً وتبياناً

فيقول الله عز وجل :

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ . « يونس : ٦٧ » .

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ « النحل : ٦٥ »

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ « الروم : ٢٣ »

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ! ﴾ « السجدة : ٢٦ »

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ! » « القصص : ٧١ »

٧ ـ حسنى عبد الحافظ : « المسلمون وطب العيون » ـ مجلة منار الاسلام ـ العدد ٧ ـ السنة العاشرة رجب ١٤٠٥ ـ ابريل ١٩٨٥ .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

« النمل : ٨٦ »

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ • يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

« النحل : ١٠ ، ١١ »

﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

« الجاثية : ٥ »

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾

« طه : ١٢٨ »

فلو أن قوما فقدوا أبصارهم وكانوا سليمى السمع والأفئدة فإنهم سيشعرون أنه فى وقت ما يهدأ كل شىء من حولهم ويلفه السكون ثم يعقبه وقت يشعرون فيه بحركة الحياة من حولهم مصحوبة بالصخب والضجيج فإن سألوا فسيأتى الجواب من كل البشرة أن الليل زمن السكون والهدوء وأن النهار زمن الحركة والضجيج ، وسيشعرون أن أجسادهم فى حاجة إلى الراحة فيخلدون إلى النوم فإن سألوا فستأتى الإجابة من الناس جميعاً أنهم ينامون بالليل عادة وبالنهار أحياناً لأنهم يعملون ويكدون فى طلب الرزق بالنهار عادة .. وبالليل أحياناً ، وسيشعرون أنهم فى حاجة ضرورية للماء والغذاء فيطلبون الشراب والطعام .. وقد يسمعون صوت الرعد والرياح وصوت هطول المطر .. أو يسمعون أن بلداً امتنع ماؤه فأصابه القحط وييبس الزرع وجف الضرع وهلك الحيوان والإنسان عطشاً وجوعاً ؛ فإن سألوا أتى الجواب عل كل لسان : أن الماء ـ ذلك الجماد الذى لا لون له ولا طعم ولا رائحة ـ به حياة النبات النامى من الأرض وكذلك حياة الحيوان والإنسان ... فإن علموا ذلك كله .. وتفكروا لأدركوا أن الكون من حولهم يجرى بنظام محكم بديع ولهداهم فكرهم إلى الإيمان بالخالق سبحانه ولأمرهم عقلهم أن يتبعوا منهج الحق والخير ويبتعدوا عن الشرك والظلم والفساد .

●● ●● ●●

وإنه لمن دواعى التأمل والتفكر ذكر الله سبحانه لذاته بأنه سميع بصير عشر مرات ووصفه للإنسان بهذه الصفة مرة واحدة ، ووصفه تعالى لذاته بأنه سميع قريب مرة واحدة وأنه سميع الدعاء مرتين .. فسبحانه قريب بغير تحديد بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد .. يسمع دعاء الإنسان بالخير أو بالشر ، وبالسمع والبصر يسمو الإنسان ويرقى فوق سائر الخلق بما يتحصل بواسطتهما من علم وإدراك . ثم يصف الله تعالى ذاته بأنه سميع عليم إحدى وثلاثين مرة وبأنه بصير ثنتين وعشرين مرة وبأنه خبير بصير ثلاث مرات .. وقد يكون فى ذلك إشارة وتنبيها بأن حاسة السمع فينا أوسع أبواب العلم والإدراك والبصر باب اليقين والإتقان .

وعلى ذلك فالفهم والإدراك والنطق والبيان أمور مكتسبة بالسمع ممن سبق أى من الآباء ، ومن ثم يتسلسل الأمر إلى أول إنسان ـ آدم عليه السلام ـ ... فممن سمع المفاهيم والمدركات التى بها يزن العقل أمور الكون ؟ ! ... إنه سمع من الله السميع العليم .. خالق كل شىء وبديع السموات والأرض .

وصدق الحق حيث يقول : ـ

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ● قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

« البقرة : ٣٠ ، ٣١ »

﴿ الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

« الرحمن : ١ ـ ٤ »

والإنسان فيما يعلم من علم ـ حتى فيما تخصص فيه ـ لم يتيقن إلا من القليل من حقائقه عن طريق إبصاره بينما لم يتيقن من معظمه بل سمعه .. فمن أين أتى يقينه

←

ببقية علمه رغم أنه لم يختبره ليتيقن منه ؟ .. ذلك لأنه يعلم أن هناك المئات أو الألوف من العلماء الذين يتقنوا من تلك الحقائق التى نسمعها ووصلت إلينا بأمانة ... فلم لا نصدق الأنبياء والرسل وهم كثير .. وهم جميعاً أكثر البشر صدقاً وأمانة بل إن الصدق والأمانة ثنتان من الصفات الملازمة لهم عليهم الصلاة والسلام ـ فيما يقولونه : إن الله سبحانه خالق الكون ولم يدع أحد ذلك .. وإنه إليه المرجع بعد الممات ولم يدع أحد أن لإنسان خلود .. فالموت حق .. والبعث حق .. والآخرة حق ، والجنة حق ، والنار حق .. والقيم الأخلاقية أساس تقدم الأمم ودوام رقيها .. ولقد تيقنا من بعض تلك الحقائق فلم نصدق بقيتها ونتبع نفس المنهج الذى نتبعه فى علمنا المحدود عن الكون والكائنات !! فنعلم أن ماقاله الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حق .. فنؤمن بالله وحده .. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله .. وأن نتخذ منهج الحق وميزانه الصدق وسيلتنا للحياة الكريمة فى الدنيا والآخرة .

ولقد أيد الله سبحانه رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالمعجزات دليل يقين على صدقهم وكلها معجزات بصرية .. إشارة إلى أن الرسالات جميعاً محدودة الزمان والمكان ، أما الرسالة الخاتمة التى بعث بها النبى محمد ﷺ فكانت معجزتها الكبرى القرآن الكريم .. وهو معجزة سمعية .. إشارة بأن هذه الرسالة غير محدودة الزمان أو المكان .. بل ويزداد اليقين بها كلما أمعن الإنسان النظر فيما حوله بصراً وبصيرة .. ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ! ● وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ● وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ● وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ● وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ● كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ● وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ● خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ .

« الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٧ »

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

« الأعراف : ١٨٥ »

يقول تعالى : « أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا فى ملك الله وسلطانه فى السموات والأرض وفيما خلق من شىء فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه ، ومن فعل من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ويخلعوا الأنداد والأوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه .. فبأى تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى أى كتابه يصدقون إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذى جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ [٨] » ..

فبأى حديث بعد حديث العلم .. وهذا القرآن كماله ومنتهاه .. يمكن إقناعهم بالإيمان بالله سبحانه والتصديق بنبيه الكريم وكتابه العظيم ..

---

٨ ـ إسماعيل بن كثير : « تفسير القرآن العظيم » .

عنصر السيلكون
وتكنولوجيا الألكترونيات

دكتور مصطفى السيد محمد

● جيوكيمياء عنصر السيلكون

يعتبر عنصر السيلكون بحق أحد المواد الأساسية التي يقام عليها صرح الصناعات الالكترونية في العصر الحديث ، وإلى وقت قريب ارتبط اسم « السيلكون » ببحار الرمال والكثبان الرملية ورمال الشواطىء أي بكل ما هو ليس بذى قيمة تذكر على أساس أن الرمال في مجملها تتكون من (ثاني أكسيد السيلكون) . ($Si\ O_2$) .

وفي أوائل النصف الثاني من القرن الحالي ، ظهرت الحاجة إلى تصنيع المواد من أشباه الموصلات وذلك لأهميتها في الصناعات الإلكترونية وبتطور الأبحاث في هذا المجال أمكن تحويل عنصر (السيلكون) من مادة عازلة إلى مادة شبه موصلة (Semi Canductor) وذلك بحقنه (Dopping) بإحدى الشوائب من عناصر (الجاليوم) أو (البورون) أو الزرنيخ) وذلك أثناء النمو البللوري للعنصر . ويجدر الإشارة هنا إلى أن أشباه العناصر تتواجد أيضا في الطبيعة على هيئة معادن ذات تركيب كيميائي ثابت تعرف بأشباه الموصلات الذاتية (Intrinsic Semiconductor) منها على سبيل المثال معدن (الجالينا) (Pds) أو (كبريتيد الرصاص) ، وهى مواد لها نفس خواص أشباه الموصلات الصناعية ولكن النوعية الأخيرة تصنع لتفي باحتياجات ومواصفات كهربية خاصة .

وباكتشاف المواد من أشباه الموصلات الصناعية حل عصر (الترانزستور) في الستينيات من هذا القرن محل عصر الصمامات الزجاجية (Valves) وكذلك اكتشاف الدوائر المتجمعة أو المتكاملة وتصنيعها ، تلك التي أسهمت بحق في دخول الانسان عصر الإلكترونيات الدقيقة (Mic-ro Electronics)

وسنتناول فيما يلي عرضاً سريعاً مجملاً عن الخواص الكيميائية (والجيوكيميائية) لعنصر (السيلكون) والتي هي بمثابة خلفية علمية لتفهم سلوكياته في الطبيعة .

يمثل عنصر (السيلكون) المكون الأساسي لصخور القشرة الأرضية وذلك في صورة معادن (السيلكات) وسيلكات العناصر من حديد ومنجنيز وماجنزيوم وكالسيوم) وكذلك سيلكات الألومنيوم مع بعض

عنصر السيلكون وتكنولوجيا الألكترونيات

العناصر القاعدية أو القلوية من (كالسيوم وصوديوم وبوتاسيوم) . ويعتبر عنصر السيلكون أحد ثماني عناصر أساسية تكون في مجموعها حوالي ٩٩ في المائة بالوزن من تركيب القشرة الأرضية بعمق يصل إلى حوالي من ٣٠ إلى ٦٠ كم . ويعتبر (السيلكون) ثانى العناصر من حيث الوفرة بعد الأكسجين كما هو مبين في الجدول التالي :

متوسط التركيب الكيميائي للقشرة الأرضية

اسم العنصر	الرمز	النسبة المئوية
الأكسجين	أ	٤٦,٧١
السيلكون	س	٢٧,٦٩
الالومنيوم	لو	٨,٠٧
الحديد	ح	٥,٠٥
الكالسيوم	كا	٣,٦٥
الصوديوم	ص	٢,٧٥
البوتاسيوم	بو	٢,٥٨
المغنسيوم	ما	٢,٠٨
المجموع الكلي		٩٨,٥٨

كيمياء السيلكون :

والوزن الذري للسيلكون ٢٨,٨٦ (عند الأخذ في الاعتبار الوفرة النسبية لنظائر السيلكون) (عدد البروتونات + النيوترونات) والعدد الذري ١٤ (عدد البروتونات = عدد الالكترونيات حول النواة) . ويحتوى المدار الخارجي لذرات السيلكون على أربعة (الكترونات) ومن ثم فهو عنصر رباعي التكافؤ سلباً أو إيجاباً حسبما يفقد أو يكتسب أربعة الكترونيات أخرى عن طريق ترابط الذرات مع نفسها أو مع عناصر أخرى في التفاعلات الكيميائية .

ولعنصر السيلكون ثلاثة نظائر مستقرة (Stable Isotopes) تختلف في وفرتها النسبية كما يلي :

س^{28} (٩٢,٢٧٪)

س^{29} (٤,٤٨٪)

س^{30} (٣,٠٥٪)

ويلاحظ أن عنصر السيلكون لا يتواجد في الطبيعة في صورته العنصرية (Native Form) ولكنه عنصر شَرِهُ الاتحاد بالأكسجين (Oxyphile) حيث تتكون معادن (الاوكسيسيلكاتية) ويعتبر الزجاج والبللور وحجر الجلخ (خبث الحديد في الأفران العالية) إحدى صور معادن السيلكا الصناعية (Synthetic Minerals)

وعنصر السيلكون في الظروف العادية غير نشط ولكنه يتفاعل مع المواد البسيطة (ما عدا الفلورين) فقط مع زيادة درجات الحرارة مكتسباً خاصية الاختزال بوجه عام وعلى سبيل المثال يتفاعل مع الكربون عند درجة حرارة (٢٠٠٠ م°) مكوناً معدن (الكاربورندوم) (Sic) شديد الصلابة (وهو مكافىء لصلابة الماس) كما تظهر خصية السيلكون الأخرى كعامل مؤكسد وذلك في تفاعله مع عناصر محددة مكوناً سيلسيد الماغنسيوم (Mg_2 Si) .

ويحضر عنصر السيلكون في الصناعة (٩٥ ـ ٩٨٪ نقاوة) وذلك باختزال السيلكا (Si O_2) بواسطة فحم الكوك في أفران كهربية ، أما في المعامل فيستخدم (الماجنزيوم) كعامل اختزال والذي ينتج عنه مسحوق (السيلكا) ذو اللون البنى الثقيل .

ويحضر عنصر السيلكون ذو النقاوة الفائقة باختزال مادة (رابع كلوريد السيلكون) (Si CL) بواسطة الزنك عند درجات حرارة عالية .

وقد نشأ علم وهندسة الإلكترونيات ليحل بعض المسائل الأساسية التي واجهت المشتغلين في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

١ ـ تحويل التيارات المترددة

الناتجة على سبيل المثال من المولدات إلى تيارات مستمرة لتشغيل الصمامات والدوائر الإلكترونية المختلفة . وتعرف هذه بدوائر تقويم التيار (Rectifiers)

٢ ـ تحويل التيار المستمر إلى تيار متردد وتقوم به دوائر التذبذب (Oscillators)

٣ ـ تكبير الاشارات الكهربية الدقيقة مع المحافظة على شكلها قدر الاستطاعة وهذه دوائر التكبير (Amplifiers)

وتتكون الدوائر الإلكترونية من عناصر المقاومة والمكثف والملف بالإضافة إلى العناصر الإيجابية

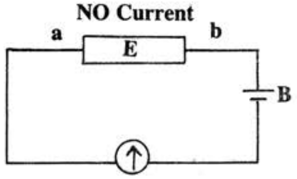

وهذا معناه بلغة الالكترونيات أن المقاومة الأمامية للعنصر (E) والتي تقترب من قيمة الصفر أصغر بكثير جداً من المقاومة العكسية التي تقترب من قيمة اللانهاية أي أن : (Reverse Resistance »» Foruard Resistance) .

لو تصورنا توصيل مصدر تيار متردد محل مصدر التيار المستمر (B) في الدائرة السابقة فإن العنصر (E) في هذه الحالة يقوم بعملية تقويم التيار المتردد أي يسمح له بالمرور في نصف دورته الموجبة وقطعه تماماً في نصف دورته السالبة .

وما يعنينا في هذا المقال ليست وهي الصمام والترانزستور والدائرة المجمعة حسب تطورها التاريخي .

وتقوم المكونات الإيجابية بتحديد وظيفة الدائرة وذلك بالتفاعل مع المكونات السلبية والمصدر أو المصادر الكهربية اللازمة .

وتنحصر أهمية العنصر الإيجابي في الدوائر الإلكترونية في أبسط أشكاله في ضرورة إيجاد عنصر ذى خاصية على قدر بالغ من الأهمية وهي مقدرته على توصيل التيار الكهربي من a إلى b كما في الشكل المرفق وقطعه تماماً عند مروره من b إلى a عند عكس أقطاب المصدر .

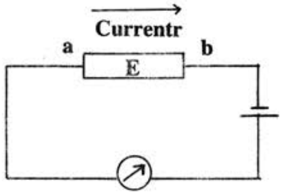

الدوائر الإلكترونية بقدر ما يعنينا طبيعة العنصر (E) ذو خاصية التوصيل الكهربي في اتجاه وقطعه تماماً في الاتجاه العكسي والعنصر (E) هو في الواقع ليس إلا الصمام الثنائي أو الوصلة الثنائية (وصلة ترانزستور) والتي حلت محل الصمام الثنائي بعد اكتشاف أشباه الموصلات واستخدامها في هذا المجال .

وكما سبق ذكره فإن عنصر السيلكون يتواجد في الطبيعة في صورة معدن ثاني أوكسيد السيلكون (عروق المرو والرمال) والمعادن السيلكاتية . وعنصر السيلكون رباعي التكافؤ أي أن المدار الخارجي لذراته يحتوى على أربعة إلكترونات ولذا فذرات السيلكون تتحد بأربعة ذرات مجاورة بواسطة الرابطة المشتركة أو التساهمية وذلك بتشبع المدار الخارجي للذرة بعدد ثمان إلكترونات لتنتج ذرات مستقرة ذات أشكال وأبعاد ثابتة وتتميز المعادن أو العناصر ذات الرابطة المشتركة بأنها غير قابلة للتأمين ورديئة التوصيل للكهرباء وذلك لعدم تواجد إلكترونات حرة كما هو الحال في الرابطة الفلزية في العناصر والتي تجعلها موصل جيد للكهرباء .

وتحضر أشباه الموصلات الصناعية من العناصر غير الموصلة مثل السيلكون أو الجرمانيوم وذلك بإضافة شوائب من بعض العناصر التي تقل أو تزيد في التكافؤ عن العنصر المضاف إليه مثل الفوسفور أو البورون إلى بللورة المواد غير الموصلة في حالة النمو لتصير شبه موصلة ، وتسمى هذه العملية بحقن الشوائب .

ويتلخص الأساس النظري لهذه العملية بإحلال ونشر بعض من ذرات الفوسفور خماسي التكافؤ (المدار الخارجي يحتوى على ٥ إلكترونات) في مادة السيلكون وعلى هذا فإن أربعة من الخمس إلكترونات الفوسفورية تستخدم لتشبع الرابطة التساهمية لذرات السيلكون المجاورة وعلى هذا فهناك الكترون زائد لكل ذرة من ذرات

عنصر السيلكون وتكنولوجيا الألكترونيات

شائب الفوسفور وينتج عن ذلك إلكترونات حرة أو سحابة إلكترونية تتجول داخل بللورة شبه الموصل السيلكون .

P - type

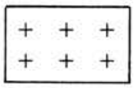

(b)

N - type

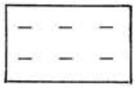

(a)

Silicon Junctions

(a) $Si^{+4} + As^{+5} \rightarrow$ N - Type + free electrons (−)

(b) $Si^{+4} + B^{+3} \rightarrow$ P - Type + free holes (+)

ويمكن بهذه الوسيلة تحضير مواد شبه موصلة تسمى وصلة Junction حيث يتم التوصيل الكهربي من خلال الالكترونات الحرة شكل (a)

وعلى عكس ذلك فلو حقنت مادة السيلكون بشائب مثل (الجاليوم أو البورون « المدار الخارجي يحتوي على ثلاثة إلكترونات ») أي ثلاثي التكافؤ فإن مدارات ذرات السيلكون المجاورة تنتقض إلى إلكترون آخر لتصبح في حالة تشبع وفي هذه الحالة يستوجب الأمر أن يقفز إلكترون من المدار المشبع الداخلي للعنصر الشائب ليجعل ذرات السيلكون المجاورة في حالة تشبع لتكون ذرات العنصر الشائب سحابة حرة من الفيض موجب التكهرب (الفجوات الموجبة) لتقوم بعملية التوصيل الكهربي ويمكن بهذه الوسيلة تحضير مواد شبه موصلة من النوع (p-type) حيث يتم التوصيل الكهربي من خلال فيض الكهرباء الموجبة والجدير بالذكر إنه في عملية التوصيل الكهربي فإن حركة سريان الإلكترونات يقابلها حركة سريان الفجوات الموجبة في الاتجاه الآخر أي تيار الشحنات السالبة يقابله في الإتجاه العكسي تيار الشحنات الموجة .

وفيما يلي سنرى خاصية التقويم الكهربي واضحة عند عمل وصلة ثنائية من N and p - types

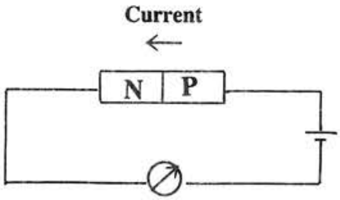

هذه الوصلة الثنائية هي المكافىء للعنصر (E) في الدائرة السابقة حيث تتميز بمقاومة أمامية صغيرة تسمح بمرور التيار من الوصلة P إلى الوصلة N ولا تسمح له وتقطعه تماماً عند المرور من الوصلة N إلى الوصلة P لحيث المقاومة العكسية كبيرة جداً ـ وعلى هذا فإن الوصلة الثنائية تستعمل كمقوم للتيار وتعرف بالموحد السيلكوني ويرمز له بالرمز (⊀) .

وتصنع موحدات السيلكون حسب شدة التيار المار به ، وتحدد جودته حسب المقاومة العكسية التي يجب أن تصل إلى ما لا نهاية في حالة المثالية .

وعلى هذا الأساس فإن الوصلة الثنائية (N - P) تكافىء الصمام الثنائي والوصلة الثلاثية (N - P - N) أو (P-N-P) تكافىء الصمام الثلاثي وقد أمكن عمل العديد من الموصلات وفقاً لمقاييس هندسية تفي بأغراض الدوائر الالكترونية المختلفة .

د . مصطفى السيد

انتاركتيكا

القارة القطبية الجنوبية*

للأستاذ زكريا ماهر الشيمى

● **فى أسفل الكرة الأرضية ، قارة كبيرة ، تقبع فى عزلة تحت غياهب الجليد ، وكأنها البقية الباقية من العصر الجليدى ، التى قنع بها مع منطقة القطب الشمالى ، بعد أن تقلص وانحسر عن سطح الأرض ، منهزما أمام التحولات العظيمة فى الأحوال المناخية التى سادت العالم . تلك هى القارة القطبية الجنوبية أو « أنتاركتيكا » .**

وفى هذه السطور سألقى بعض الضوء على هذه القارة . ولست بصدد دراسة جغرافية متكاملة العناصر .. وإنما بقدر ما توفر لنا من معلومات سنتعرف على بعض هذه الجوانب من الدراسة . إن علينا أن ندرك أن الكشف عن القارة الجنوبية بأكملها عمل طويل شاق لم يكتمل بعد ، وأن الذى تم حتى الآن جزء يسير . وهناك أعوام طويلة ، وجهود جبارة لابد أن تبذل ، حتى يتم لنا الإلمام بالأحوال الجغرافية المختلفة للقارة . ويزاح الستار عن جبالها وأنهارها التى لم تقع عليها عين بشر . ونعرف تأثير هوائها فى التيارات الهوائية المجاورة وفى الدورة المناخية العامة . كما أن هذا الجليد الهائل قد يخفى تحته كنوزا من الثروة العلمية ، بالإضافة إلى ما قد يكشف عنه من موارد متنوعة للثروات الطبيعية .

مساحتها وأسرارها

تبلغ القارة القطبية الجنوبية فى حجمها ، أو تكاد ، مبلغ أوربا واستراليا مجتمعين ، وعلى الرغم من هذا فإن أديمها الذى حظى بارتياد الإنسان لا يتعدى واحدا فى المائة من مساحتها ، فقد ظلت أسرار هذه القارة المغمورة بالجليد تجتذب قلوب المغامرين سنوات عدة ، حتى كشف عنها النقاب فى السابع من ديسمبر عام ١٩١١ عندما نجح « أموندسن Amundsen » النرويجى مع أربعة من زملائه فى الوصول إلى القطب الجنوبى ورفعوا رايتهم فوقه .

←

* « White land of adventure » By Walter Sullivan . Published by the Me-Graw Hill Book Comp. New york.

أنتــاركتيكا

وإذا كان القطب الشمالى لم يكشف على يد ذلك المهندس البحرى الأمريكى « روبرت بيرى R. Peary » إلا فى اليوم السادس من شهر أبريل ١٩٠٩ ، فإنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون التوقيت متقاربا ، ذلك أن اهتمام الجغرافيين والمستكشفين بل والناس عامة ، كان منصرفا أول الأمر إلى الكشف عن الجهات المأهولة من آسيا وأمريكا وجزر المحيط الهادى ، حتى إن أفريقيا وهى قلب العالم القديم ، لم يتم ارتيادها إلا فى غضون النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فليس بمستغرب إذن أن يتأخر الكشف عن القطب الشمالى والقطب الجنوبى إلى أوائل القرن العشرين .

كان معروفا بالطبع أن الكرة الأرضية تدور حول محور يمتد من أقصى الشمال حيث القطب الشمالى إلى أقصى الجنوب حيث القطب الجنوبى . ولكن الوصول إلى القطبين ، وهما أبعد نقطتين موغلتين فى المناطق المتجمدة ، كان عملاً بطولياً يتطلب جهداً جباراً ، وإعداداً طويلاً ، وتمرسا على تحمل الصعاب والشدائد ، كما تكتنفه الأخطار والأهوال . وأكبر الظن أن الإنسان ما كان ليبلغ مأربه فى الوصول إلى تلك الجهات ، لولا تقدم المخترعات الحديثة ، وبصفة خاصة صناعة السفن ومحطمات الجليد .

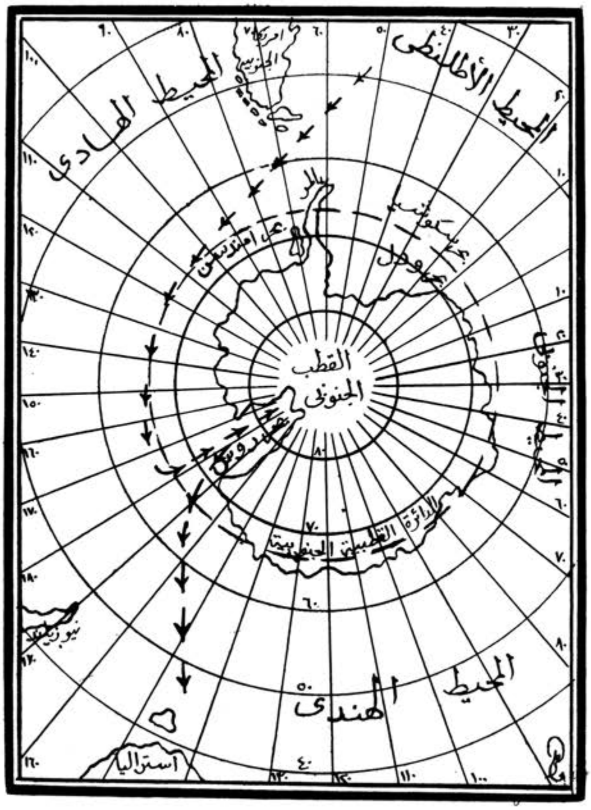

القارة القطبية الجنوبية

محاولات كشفية

وقد سجل التاريخ تلك الأعمال المجيدة ، التى قام بها أولئك المغامرون ، أمثال « ناثانيل بالمر N. Palmer » الأمــريكــى ، « سكوت » البريطانى ، « چيمس ويدل J. Weddell » الاسكتلندى ، « دومــون دورفيــل » الفــرنسى وغيرهم ، وهم يقومون بالعديد من المحاولات ، لإماطة اللثام عن طبيعة تلك الجهات وحقيقة كنهها ، وهل تشكل هذه المساحة الهائلة من الجليد غطاءات يختفى تحتها اليابس القارى ، أم أنها هى بذاتها فحسب التى تكون هذا السمك الهائل من الجليد . وأضافوا لعلم الجغرافيا ، ما جعله يثرى بما كشف عنه النقاب من حقائق عن هذه المناطق . عانوا فى سبيل ذلك أشد المعاناة ، وتحملوا أصعب وأقسى الظروف المناخية ، حتى أن منهم من ذهب عقله ، ومنهم من سقط صريع المرض ، أو الجوع

وسوء التغذية . ولست هنا بصدد سرد هذه البطولات ، وإنما أردت الإشارة إليها فحسب .

دراســة ومقارنــة

والقـارة القطبية الجنـوبية ، تختلف اختلافا جوهريا وأساسيا عن مناطق القطب الشمالى ، التى تقابلها فى أعلى الكرة الأرضية .

فمنطقة القطب الشمالى عبارة عن محيط متجمد المياه ، تحيط به دائريا كتل اليابس التى تتكون منها قـارات أوربا وآسيـا وأمريكـا الشمالية . وطبقا لنظام تـوزيع اليابس والماء وأن كل يابس يقابله فى الجهة المضادة ماء .. نجد أن منطقة القطب الجنوبى عبارة عن قارة ضخمة ، تتمركز بصفة عامة حول القطب الجنوبى ، وتبلـغ مساحتها نحو ستة ملايين من الأميال المربعة ، وعرة المسالك ، تكتنفها الهضاب العالية ، والقمم الجبلية البركانية ، ويكسوها غطاء سميك من الجليد يبلغ متوسط سمكه نحو ثلاثة كيلومترات ، وقد دفنت تحته سلاسل جبال بكاملها .

ولو قدر لهذا الجليد أن ينصهر ، لارتفع منسوب مياه المحيطات حوالى ستين مترا ، غامرا تمثال الحرية فى نيويورك إلى منتصفه وهذا الجليد المتراكم تكتنفه الشقوق والهوات السحيقة ، بعضها ظاهر وبعضها خفى . وتعتبر القارة أبعد مناطق الأرض منالا ، يحف بها الزمهرير القارس ، وتتراكم حولها الثلوج .

أما القطب الجنوبى نفسه فهو أشد بعدا ، وأقسى مناخا ، والوصول إلى رحابه يتطلب رحلة شاقة خطرة .

والسفينة التى تخترق الآفاق حتى تصل إلى هذه المناطق ، تكون بعيدة بعدا عظيما عن وطنها ، ومراكز تموينها وإسعافها ، وتحيط بهذه القارة أهم محيطات العالم ، وهى الأطلنطى والهـادى ، والهندى ، بالإضافة إلى المحيط الجنوبى الذى يحيط بها أولاً ، وقد بدأت تظهر حديثا أهمية القارة القطبية فى الحفاظ على توازن المناخ العام للأرض حيث يقوم الجليد فيها بوظيفة مكيف هواء عملاق فى نصف الكرة الجنوبى .

وهذه القارة تختلف فى شكلها ، وموقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض من وجوه كثيرة ، عن نظام القارات الأخرى المـألوف عـلى الخرائط . فخطوط العرض هنا عبارة عن دوائر كاملة مركزها القطب . أما أطراف القارة ، فتصل إلى الدائرة القطبية الجنوبية . وتمتد خطوط الطول كلها فى خطوط مستقيمة ، كأنها عصى عجلة من العجلات ، تمتد من الوسط إلى الأطراف .

وترسم القارة عادة بحيث يكون المحيط الهندى إلى أسفل ، والهادى إلى اليسار وإلى أعلى ، والأطلنطى إلى اليمين . والجزء الذى يفصل الأطلنطى عن الهادى ، عبارة عن شبه جزيرة « بالمر » ، التى توغل فى المحيط الجنوبى نحو ٨٠٠ ميل تجاه أمريكا الجنوبية .

وتجرى الفصول الأربعة فى القارة ، على غرار ما تجرى عليه فى نصف الكرة الجنوبى . فيبـدأ الصيف فى ديسمبر ، ويحل الشتاء فى يونية . وتطول أيام الصيف وليالى الشتاء كلما اقترب الإنسان من القارة ، حتى إذا ما اجتاز دائرة العرض ٧٠° جنوبا ، وجد فى منتصف الصيف ، فترة يسودها نهار دائم متصل ، وفى منتصف الشتاء فترة من الظلام المدلهم لا يغشاه أى ضوء . وتطول هذه الفترة كلما استمر الإنسان فى السير صوب القطب الجنوبى ، حتى إذا ما بلغه ، وجد أن السنة هناك كأنها يوم واحد ، حيث تتكون من ستة أشهر ، يسودها النهار ، المستمر ، ترتفع الحرارة فيه إلى ٣٥° مئوية تحت الصفر ، وهو نهار صيفى ممتاز بالنسبة إلى القطب الجنوبى .

وستة أشهر أخرى ، يغشاها الليل الدائم ، تهبط الحرارة فيه إلى ٧٣° مئوية تحت الصفر .

وفى معظم جهـات الاسكا ، وسيبـيريا ، واسكنـدناوة ، وهى منـاطق تـابعـة لمنطقـة القطب الشمالى ، نجد مدنا وعمرانا ، وغابات وصناعات تعدين ولكن الحال فى منطقة القطب الجنوبى ، على النقيض من هذا ، فنحن لا نجد شجرة واحدة ، أو صناعة واحدة ، أو قرية واحدة ، اللهم إلا عددا من محطات الأرصاد العلمية ، لمراقبة

أنتاركتيكا

الأحوال المناخية ، ولدراسة القوى المغنطيسية ، والأشعة الكونية ، وغير ذلك .

القارة والدول

وهناك أعداد كثيرة من العلماء والعاملين ، ينتمون إلى ثلاث عشرة دولة ينتشرون فى ست وثلاثين محطة للأبحاث فى القطب الجنوبى . ويرجع اهتمام بعض دول العالم بهذه الأبحاث إلى عام ١٩٥٧ حيث تعاونت الولايات المتحدة الأمريكية مع اثنتى عشرة دولة ، فى الأبحاث (الچيوفيزيائية) عن الجليد . وقد أدى نجاح هذه الأبحاث ، إلى عقد معاهدة بينها عام ١٩٥٩ ، تؤكد فيها تكريس القارة مع بحارها للسلام والعلم . وبحلول عام ١٩٨٥ ، أصبح عدد الدول الأعضاء فى هذه المعاهدة (معاهدة أنتاركتيكا) ، ست عشرة دولة . وبعض هذه الدول كالولايات المتحدة والاتحاد السوڤيتى لا يطالب بملكية أراض فى القارة ، ولا يعترف بشرعية أية مطالبة من هذا النوع . ولكن هناك سبع دول تطالب بحقوق ملكية مستندة إلى ما تسميه حقوق الاكتشاف ★

وتنتشر مراكز الأبحاث فى هذه الأصقاع ، على شكل مخيمات ميدانية ، ترفرف عليها أعلام هذه الدول . ويسود بينها التعاون الكامل ، بعيداً عن السياسة . ففى عام ١٩٨١ مثلا ، قام ثلاثة عشر أمريكيا ، مع عدد مماثل من الروس ، فى رحلة أبحاث فى بحر (ديدل) استمرت ٤٧ يوما . وتقوم « اللجنة العلمية للأبحاث الانتاركتيكية » وهى منظمة دولية غير حكومية بتحديد مشروعات البحث ، والتنسيق بينها . ومن أكبر هذه المشروعات ، مشروع « بيوماس » الذى يبحث فى (بيولوچيا) مياه القارة القطبية الجنوبية ، وتشارك فيه احدى عشرة دولة . ويهدف المشروع إلى دراسة « الكريل » التى تعتبر أكبر مصدر بروتينى بحرى غير مستغل .

الانكماش

وإذا كانت طبقات الجليد فى منطقة القطب الشمالى قد انكمشت ، مخلفة بعض الآثار المعروفة ، كالبحيرات والركامات الجليدية وغيرها ، فكذلك كشفت الأبحاث فى منطقة القطب الجنوبى ، عن أن الجليد قد انكمش نطاقه ، ونقصت ثخانته ألف قدم على الأقل ، مما أدى إلى تعرية بعض الأودية المنعزلة ، وبعض مناطق من أرض الساحل . وأدى كذلك إلى ظهور بعض قمم الجبال عظيمة الارتفاع ، والمخروطات البركانية ، حيث اندفعت تطل برءوسها النارية من خلال الجليد ، مثل جبل « أريبوس » الذى يرتفع نحو (٣٨٠٠ متر) وينفث الأبخرة من فوهته البركانية .

يتبع

★ الدول المطالبة هى المملكة المتحدة ، فرنسا ، النرويج ، الأرجنتين ، شيلى ، استراليا ، نيوزيلنده . والدول غير المطالبة هى الولايات المتحدة الأمريكية ، الاتحاد السوڤيتى ، اليابان ، ألمانيا الغربية ، البرازيل ، بولنده ، الهند ، بلچيكا ، جنوب أفريقيا .

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم (١٥)

العمق الرابع عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

أ. د. محمد جمال الدين الفندى

تقديم :

المعروف علميا والثابت ان الفضاء الكونى لا يعرف الخط المستقيم كما عرفته لنا (هندسة اقليدس) ، وكما نرسمه فى كافة مجالات نشاطنا على الأرض .

ولقد ثبت لنا عمليا ان اسفار الفضاء مثلاً لا تتم فى خطوط مستقيمة ، ولكن فى مسارات منحنية او منعرجة .

وان الكون كله ينحنى على نفسه ويقفل .

وبصرف النظر عن أشكال تلك المسارات ، لم يتوسع العلماء فى دراساتها إلا بعد ان عرف الإنسان المحرك الصاروخى او المحرك النفاث ، واستطاع ان يفلت من قبضته جذب الأرض ، وراح ينطلق فى الفضاء الكونى صاعدا فى السماء إلى حيث القمر مثلاً .

وما من شك أن (هندسة إقليدس) التى لا تزال تدرس فى الثانوى والمراحل الأولى فى كليات العلوم لا تصلح فى حسابات أسفار الفضاء . وقد ظهرت هندسة أخرى اكثر قبولا وأقرب تطابقا لطبيعة الفضاء وأسفاره الممتدة إلى ما شاء الله . فأما هندسة إقليدس المبنية على أساس الخط المستقيم فإنما تصلح لاستخداماتنا الأرضية على مقياس صغير جداً نسبيا .

وأعجب العجب ، بل من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز ، أن يطلق هذا الكتاب مسبقا على أسفار الفضاء الكونى والصعود قدما فى السماء اسم العروج أو المعراج مغبرا بذلك عن حقيقة أن مسارات تلك الأسفار كلها منعرجة أو منحنية ، فأى اعجاز علمى أظهر من ذلك يتحدى الناس فى عصر الفضاء ؟

الآيات الكريمة :

١ - « تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ » . .

- المعارج (٤) -

٢ - « ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ »

- السجدة (٥) -

٣ - « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ »

- سبأ (٢) -

٤ - « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ »

- الحديد (٤) -

٥ - « وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ » .

- الحجر « ١٤ » -

العمق الرابع عشر من اعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

٦ - « مِنَ اللهِ ذِى الْمَعَارِجِ »
- المعارج (٣) -

وواضح أن معنى العروج هو الصعود فى السماء ، وهو تعبير قرآنى يطابق الواقع .

ويمضى القرآن الكريم فيصف فى اعجاز أخاذ حال وما يصادف رواد الفضاء من الوان المناظر التى لم يألفوها على الأرض أثر العروج فيقول :

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ »
- الحجر (١٤ - ١٥) -

والمعنى أن المجرمين لا يؤمنون حتى لو مكنهم الله تعالى من الرقى إلى السماء والصعود فيها ليروا عجائب الخلق المذهلة مما لم يألفوه على الأرض ، وكأنما سكرت ابصارهم أو وقعوا تحت تأثير السحر .

وفى هذا العصر فتح الله تعالى على الناس بابا للرقى فى السماء والسبح فى الفضاء باستخدام المحرك الصاروخى أو المحرك النفاث ، فرأوا أهوال الفضاء وعجائبه ما كان سببا فى انهيار أعصاب كثير من رواد الفضاء حتى كادوا لا يصدقون ما يرون ، ولا يحتملون هول ما حل بهم !

ولقد علمتنا أسفار الفضاء عمليا أن طبيعة الفضاء الكونى تختلف تماما عن كل ما ألفناه على الأرض ، ولا تقتصر على مجرد أن أسفار الفضاء انما تتم فى مسارات منعرجة وهذا عين ما تشير إليه الآية الكريمة :

« لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ »
- الحجر (١٥) -

فى اعجاز علمى منقطع النظير تجلى فى عصر الفضاء .

إن أول ما يعانى منه رائد الفضاء هو انعدام الوزن ، إلا أن آثار هذه الظاهرة يتم معالجتها بالتعرض لما يماثلها مبدئيا على الأرض فى معاهد اعدت صناعيا لذلك حتى يعتاد رواد الفضاء عليها .

وعندما يصعد رواد الفضاء فوق القبة الزرقاء ، وهى القشرة من الغلاف الجوى المضيئة بضوء النهار ، والتى لا يتعدى سمكها نحو ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض ، والتى هى بمثابة طبقة رقيقة من غلاف الأرض الجوى تواجه الشمس دائما بأن تنسلخ من جسم الغلاف الجوى المظلم بطبيعته والذى يدور مع الأرض اثناء دورانها حول محورها أمام الشمس مصداقا لقوله تعالى :

« وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ »
- يس (٣٧) -

عندما يصعد رواد الفضاء فوق هذه القبة تظلم الدنيا من جديد رغم ظهور الشمس ، وتظهر نجوم السماء جنبا إلى جنب مع الشمس ، لأن الفضاء الكونى مظلم جداً ، وكما قلنا يقتصر ضوء النهار على قشرة رقيقة من غلاف الأرض الجوى تواجه الشمس دائما أثناء دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ..

ويزداد عدد النجوم فى السماء ، لأن هواء الأرض يحجب ضوء عدد وفير منها فلا يصل إلى سطح الأرض ومن ثم نراها . وهكذا يخيل لرواد الفضاء أن قد سكرت أبصارهم. وتخز أشعة الشمس الأجسام وخز الآبر ، كما تدفعها بالضغط عليها .

وكثيرا ما يصاب بعض رواد الفضاء من جراء ذلك بانهيار عصبى ، خصوصا جراء الاهتزازات الدائمة المتلاحقة التى تولدها آلات وأجهزة سفن الفضاء .

ويزود الرواد بعقاقير لعلاج مثل هذه الحالات ، كما جرت العادة على أن يتم تدريبهم على ذلك تدريجيا على الأرض ، ثم بالصعود إلى الفضاء الكونى على فترات .

ويعتبر السفر إلى القمر مثلاً ، وهو أقصى ما وصل إليه الرواد وحطوا رحالهم عليه ، يعتبر مهمة بسيطة بالنسبة إلى الوصول إلى الكواكب السيارة داخل مجموعتنا الشمسية وقطر هذه المجموعة طوله خمس ساعات ضوئية ، أى يقطعه الضوء فى خمس ساعات بسرعته البالغة ٣٠٠,٠٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة .

ويتطلب الخروج من مجموعتنا الشمسية من أجل الوصول إلى أقرب مجموعات الشموس الينا فى مجرتنا ، المعروفة باسم طريق التبانة أو الطريق اللبنى ، ضرورة السفر عبر الفضاء مسافة تزيد على أربع سنوات ضوئية . وتعرف هذه المجموعة باسم (مجموعة قنطورس) ويفيض الفضاء الكونى الخارجى بالوان من الأشعة الكونية التى تقتل الخلايا الحية وهى بمثابة النار التى لا دخان لها .

والتى يعبر عنها القرآن بكلمة (نحاس) فى قوله تعالى :

« يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ »
ـ الرحمن (٣٣ ـ ٣٥) ـ

وإن اختيار لفظ (أقطار) فى الآية (٣٣) فيه اعجاز علمى عظيم ويدل على حقيقة أن مسالك الفضاء الكونى منعرجة ، وإن سائر ما يسبح فيه انما ينطلق فى مسارات منحنية ، (أغلبها بيضاوى الشكل يعرف علميا باسم القطْاع الناقص) .

وفى الآيات الكريمة قطع باستحالة النفاذ من أقطار السماوات والأرض من غير تقدير الخالق ـ عز وجل ـ وعنايته ورعايته . والقطر على أية حال هو على حد مفهومنا العلمى الخط الواصل نقطتين متقابلتين على السطح المنحنى أو المسار المُغلق ويمر بالمركز أو بالبؤرة .

وجلى أن النفاذ من أقطار الأرض مثلاً إنما يعنى اختراق قشرتها اليابسة التى لا يزيد سمكها على نحو ٦٠ كيلو مترا والانطلاق عبر باطنها الملتهب الذى تربو درجة حرارته على ٥,٠٠٠ درجة سنتجراد . وعلى أية حال فإن مجرد اختراق القشرة اليابسة انما يعنى انبثاق مواد الباطن المنصهرة على هيئة بركان ثائر يرسل شواظ النار والنحاس . أما النفاذ من أقطار السماوات فهو أشد هولا وأعظم استحالة من غير سلطان من الله تعالى ، إذ يستلزم غالبا عبور نجم كالشمس أو أكبر منها يرسل إلى الفضاء أكداسا من شواظ النار والنحاس .

وليس المراد بالسلطان هو سلطان العلم كما قد يتبادر إلى الأذهان ؛ لأن قوانين العلم التى نعرفها إنما تقودنا إلى ضرورة أن يمضى رائد الفضاء على الأقل ملايين السنين قبل أن ينفذ من قطر من أقطار مجرتنا !!

والكون الذى يضم الطاقة والمادة تقع حدوده على أبعاد تفوق حدود الوصف والخيال ، وينحنى على

العمق الرابع عشر من اعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

نفسه ويقفل فى الفضاء الذى لا يعلم مداه إلا الله تعالى ويبقى ما وراء ذلك فراغاً تاماً ، والله تعالى أعلم بما فيه .

ومن ناحية أخرى يستخدم القرآن الكريم لفظ (السماء) للدلالة على غلاف الأرض الجوى الذى يمتد إلى ارتفاع ألف كيلو متر فوق سطحها .. ذلك لأن (السماء) فى اللغة تعنى كل ما علانا وارتفع فوق رءوسنا . فيقول القرآن مثلا :

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ » - الروم (٤٨) -

وكما هو معروف ومألوف تتم اثارة السحاب ويتم نموه وانتشاره فى الهواء الذى يكون غلاف الأرض الجوى ، وفيه غاز الاكسچين الذى نستنشقه ليجدد نشاط الخلايا الحية ويكسبنا القدرة على العمل .

وتقل مقادير الهواء عامة ومنها الاكسچين بالارتفاع فوق سطح الأرض ولهذا يشعر الإنسان بضيق الصدر عندما يصعد فى الجو من غير حماية أو تكييف خارجى يوفر له نفس مقادير الهواء التى الفها على سطح الأرض كما فى الطائرات ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فى اعجاز علمى رائع إذ يقول :

«وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ » - الأنعام (١٢٥) -

والله تعالى أعلم

للحديث بقية

د . جمال الفندى

---

* ما ورد بهذا المقال من تفسير هو اجتهاد كاتبه ومسئوليته وحده ، ومن حق أي متخصص نقده نقداً علمياً نزيهاً . . مجلة الأزهر . .

الشعر والشعراء

إشراف د. حسن جاد

يا إلهي

أيها الإنسان

صولة الروح

أمومة هرة

يا إلهي

للأستاذ عبد العليم القباني

إذا الليل يارب ضم الوجود ولف المروج ضياء القمر
وعادت إلى صمتها الكائنات فما عدت أسمع همس الشجر
دعوتك يارب هذا السكون ويا من تعاليت فى قدرتك
ذنوبى تهبط بى للقرار وروحى تسمو إلى رحمتك

الهى ، وإن لاح صبح جديد وأشرقت الشمس فوق الربا
وغنت على الأغصن الباسمات صوادح فيهن سحر الصبا
دعوتك ياربَّ هذى الحياة ويامن على عرشه قد سما
على الأرض ألقيتُ ما فى يدىَّ وجئت لأطرق باب السما

إلهى دعوتك فى وحدتى وفى الجمع والناس حولى زُمَرْ
مع الليل أدعو وحين الضحى وعند الأصيل ووقت السحر
إلهى ، ضياك دليل القلوب لشط النجاة ونعم الدليل
فجد ياإلهى بنور الطريق لمن ضل يوما سواء السبيل

أيها الإنسان

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

أنت الغـريب فما وقـوفك هـاهنا ... بـين العواصف والمـزالق والعنا ؟
متطلـعـا متحفـزا بـل حـالمـا ... تبنى قصورا من أفانـين الهنى !!
ومعـاقـلا تـزهـو بهـا لا تنبغى ... إلا لمن ضمن الخلـود محصنـا !!
ضحكت لـك الدنيـا فهمت بحبها ... وحسبتهـا متعـا تـدوم ومـوطنـا
فمضيت تلهـو فى حمـاهـا ذاهـلا ... فإذا بوضـاح الحقيقة قـد دنا !!
كم مَـرَّ مثلك فى الطـريق مؤمـلا ... وانكب فى نهم عـلى عرض الـدُنا
ذا طـارفٌ ، ذا تَـالِـدُ ، فَتَجَمَّعَتْ ... فى كفـه الكـزاء أسبـاب الـغنى
ومضت بـه فُلْكُ المنـون مُخَليًـا ... ما حاز من نشب الحياة وما اقتنى
طيف من الأطيـاف لاح هنيـهـة ... ثم اختفى .. قد كان يوما هاهنا
اتحس من رِكـزٍ له أو نـأمـة ؟ ... اتـرى له ظـلا يخايـل أعينـا ؟ !

* * *

انت الغريب وإن ابيت وان بدت ... دنيـاك فى حلل الخـديعة مسكنـا
هـلا سالت عـلى الطـريق معمـرا ... عما رأى فى عمره .. عمـا اجتنى
إذ ذاك تنطق حـالـه بفصـاحـة ... تغنى ، وتسبق فى البيان الألسنا
سيجيب ـ والأنـات تلهث ـ : إنـه ... لا شىء إلا حســرة وتحــزنـا
وهَنـا وسقما فى العظـام ورجفـة ... فى مـهجتـى وكـآبـة وتـغضنـاً !
المـوت اخشى والحيـاة كليـهمـا ... لكننى أحيا على جُـرف الفنـا
اصبحت انتظـر الحمـام مـروعـا ... صفر اليدين .. ، ولست أدرى من أنا !
وتمـر سـاعـات الـزمـان كئيبـة ... تغتـال أعصـابا وجسمـا مـوهنـا
وعلمت ـ بعد الفَوْت ـ أنى كنت أعدو خلف آل ، غرنى منه السَّنـا !
ياسائـل ـ والدَّوْر يُـومىء نحوه ـ ... دعنى على شوك الملالة والضنى !!

صولة الروح

للأستاذ أحمد محمود مبارك

كان سعيى على الدروب هباء   حينما الخطو عن ضياك تناءى
قصة الأمس فى دروب الليالى   قد تبدت حروفها شوهاء
هاهو الصرح فى المفازات رمل   كم أضعت السنين فيه بناء
والغراس الذى بحقل الأمانى   سنبلات لم تعط إلا الشقاء
نازعتنى نوازع النفس حتى   ألبستنى من الظلام غشاء
قادنى الاثم غافيا فى طريق   رافق الغيم والهوى والبلاء
رحت أمشى وكل درب أمامى   لا يزيل الصباح عنه المساء
ابتغى الرى من زلالٍ تراءى   أشرب الوهم لا أحس ارتواء

•••

غير أنى وفى عروقى نبض   لم يزل يعزف الهدى والنقاء
وبعينى رغم الخطايا حنين   لشعاع يبدد الظلماء
أشرق الصبح فى عيونى وراحت   صولة الروح تقهر الأهواء
إننى بعد ما غسلت إهابى   بوميض التقى اطلت الدعاء
قصة الأمس لم تزل فى كتابى   تثقل العمر شقوة وعناء

•••

وفؤادى أمام فيضك يهفو   ظامئا هَبْهُ من رضاك رواء
ليس غير الرضاء منك ضياء   يجعل الأمس صفحة بيضاء
ويحيل العناء يارب فى النفـ   ـس حبوراً وهداة وهناء

أمومة هرة

للشاعر: رمضان أبو غالية

لى هرة سكنت رحيم كيانى ... بزت أمومتها بنى الإنسان
فى غيبة منها رفعت صغيرها ... يوما على شرف من الجدران
وأخذت أدفعه .. ذهابا .. جيئة ... ويدى عليه .. كحارس ، متفان
وأخو الصغار مواؤه متوزع ... بين البكاء ، ودهشة الجذلان
وأنا تجلجل فى الفضاء سعادتى ... والمرء يضحكه أقل هوان
وإذا بها ينشق عنها فجأة ... سطح خلا منها لبعض ثوان
لتكون بين يدى .. تغرس مخلبا ... وتعض بالأنياب كل بنانى
وكأننا لسنا صديقى فترة ... طالت ، ووثقها الاخا بأمان
ولروعتى الفيت كفى تنثنى ... ودماؤها فى فورة البركان
ورأيت صاحبتى بفكيها وقد ... حملت مضيعها بغير توان
ما قدرت أن النيوب تضره ... فالوقت ليس لأضعف الحسبان
ومشت به فوق الجدار حريصة ... ما أشفقت من كثرة الدوران
وهناك عند حلول أقرب نقطة ... للسطح ألقت حملها بحنان
وهوت عليه .. تطبه بلعابها ... من ذيله لذوائب الآدان ..
ودعته فى حدب ليأخذ حظه ... ويزيل رهبته .. بخير لبان ..
.. بتناوم .. فوق الثرى .. فى رحمة ... لتقول : يارمضان ، ذا احسانى !!

* * *

وإذا استجم صغيرها ، وتيقنت ... أن الصغير - بما تحقق - هان
دلفت إلى ، فمسحت أعطافها ... ورنت إلى كطالب غفرانى !!
ياموقف العجماء ، انت أخذتنى ... أخذا إلى موهوبك الربانى
قدرت ياربى ، هديت ، فياله ... من موقف يدعو إلى الإيمان !!

* * *

أتظننى خاصمتها لمصيبتى ؟ ... أبدا ، وربى ، ما جرى بجنانى
بل إننى بالغت فى إكرامها ... ورأيت فيها رحمة الرحمن !!

* * *

الحرية العلمية فى الاسلام

كيف طبقها ملوكه فى المشرق والأندلس ؟

للاستاذ محمد ناصف

التاريخ الأمين خير شاهد على الأحداث بما يسجله المؤرخون من وقائع يصورونها فى أمانة ودون تعصب ، تلك الوقائع التى يمثل بعضها فاصلا واضحا بين الاسلام وغيره من العقائد ، فيبدو من بينها ــ كما هو دائما ــ عملاقا شامخا بما يذود عن حرية البحث حتى لا تتزعزع ، وحرية الرأى حتى لا تزول وفى المقال التالى مصداق ذلك .

قال الأستاذ ــ رحمه الله :

يرى المفكرون أن الحرية العلمية اعترض طريقها فى كل جيل أمران خطيران : الجهل ، والحكومة الظالمة .

فالجهل يثور على العلم ويتخذه عدوا له ، وقد يطلب من الحكومة أن تعينه عليه وتثأر له منه ، لائذا بالدين مرة ، ومخوفا من الالحاد أخرى ،وقد تكون الحكومة ضعيفة فى حاجة الى معونة الجهل فتنصره ، وقد تكون جاهلة فتبالغ فى التنكيل بالعلم ، وقد تكون حكيمة فتعالج الأمر فى رفق وحكمة ، فتسترضى الجهل ولا تظلم العلم ، وكثيرا ما رأينا العوام يسوقون الحكومات فتبطش بالعلم بطشة كبرى كما سنبينه فى موضعه .

قد يضيف بعض الناس الى هذين الأمرين المعترضين طريق العلم وحريته ، أمرا آخر له شأن وخطر ، وهو الدين ، يشجعهم على ذلك استبداد الكنيسة فى القرون الوسطى بكل شىء ، ولكن الاسلام لم يقرر سلطة روحية . فدين هذا شأنه لا يعقل أن يشاق العلم ولا يضيق حريته ، ولكن يجرى معه جنبا الى جنب ، ويرى فيه ما يعزز قواعده ، ويثبت أركانه ، مما سنرى أثره بعد .

فلما مضى عهد الخلفاء الراشدين وجاء بنو أمية ، اشتغلوا بلغتهم ودينهم ، وقرأ بعضهم شيئا من الطب ، واستقدم خالد ابن يزيد بن معاوية نفرا من مصر ترجموا له كتبا فى الكيمياء ، وانقضت دولتهم ولم يزيدوا على هذا شيئا .

قال صاعد بن أحمد الأندلسى : « ان العرب فى صدر الاسلام لم تعن بشىء من العلوم الا بلغتها ومعرفةأحكام شريعتها،حاشى صناعة الطب ، فانها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس اليها .

إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

فهذه كانت حالة العرب فى الدولة الأموية •

مضت هذه الدولة ولم تحدث فيها خلافات دينية ، غير أن الجعد بن درهم بذر بذور المحنة الشديدة التى كان لها أثرها وضحاياها فى الدولة العباسية ، وهى القول بخلق القرآن ، وأظهر فى ذلك مقالته ، فهاج الناس وغضب الخليفة ، وأرسله الى أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه ولم يقتله ، فبلغ هشاما فشدد فى قتله ، فقتل • وكان ابن درهم يقول : ما كلم الله موسى ، ولا اتخذ ابراهيم خليلا •

وأخذ مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية اخذ ابن درهم فى القول بخلق القرآن ، ولكن تتابع الحوادث ، واستعار الحروب بين الأمويين والعباسيين ، وخوف العامة ، دفن هذه الفكرة مؤقتا حتى رفعت رأسها فى القرن الثالث كما سيجىء بعد •

نستعرض الآن حالة العلم فى عهد الدولة العباسية التى قامت على سواعد الفرس ، فنشط رجالهم لامداد الأدب العربى بحاجاته ، فترجموا له عيون الكتب المؤلفة بلسانهم ، واستخدم الخلفاء المترجمين عن اليونانية والعبرية والسريانية ، فترجم يحيى بن البطريق المجسطى فى الفلك ، وجورجيس بن جبريل كتبا فى الطب ، وكان المنصور مع تضلعه فى الفقه كلفا بالنظر فى علوم الأوائل • فلما جاء الرشيد كان للحرية العلمية فى عهده شأن عظيم ، فأطلق البرامكة للناس عقولهم وأقلامهم ، غير أن حرية العلم ونقل الكتب الى اللغة العربية لم يصلا الى غايتهما الا فى عهد المأمون •

كان المأمون قد نظر فيما ترجم من علوم المتقدمين ، وصادف ذلك هوى فى نفسه ، وملكت الفلسفة عليه كل حواسه ، فكان يذكرها قائما وقاعدا •

قال ابن أبى أصيبعة : حكى ابن عدى أن المأمون قال : « رأيت فيما يرى النائم كأن رجلا على كرسى جالسا فى المجلس الذى أجلس فيه ، فتعاظمته وتهايبته وسألت عنه ، فقيل : هو أرسطوطاليس ، فقلت : أسأله عن شىء ، فسألته : ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول • فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنته الشريعة • فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنه الجمهور • فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ثم لا ثم » • وهذا يرينا الى أى حد تمكنت الفلسفة والعلوم من نفس المأمون • وكان يقدم أرسطو وفلسفته على من عداه ، وأعد دارا للحكمة حشد فيها من التراجمة والعلماء جمعا كبيرا • وأرسل الى حاكم صقلية فى أن يرسل اليه مكتبة صقلية الشهيرة ، ففعل كما أرسل الى ملك الروم يستأذنه فى أن يوفد اليه من يختار له من كتب اليونان وعلومهم ، فأجابه الى ذلك ، فأنفذ اليه جماعة من بينهم سالم وابن البطريق والحجاج ابن مطر ويوحنا بن ماسويه ، فاختاروا من كتب اليونان جمهرة عظيمة حملوها الى بيت الحكمة ، ونقلوها الى العربية •

لم يكن أمر الترغيب فى النقل والترجمة قاصرا على دار الخلافة ، وانما جرى الناس فى هذا على مذهب مليكهم ، فكان كثير منهم ينفق

الآلاف من الدنانير فى الشهر على النقل الى العربية ٠

نشط الناس الى النظر والتفكير على الأسلوب المقتبس من تلك الكتب ، فنشأت لهم آراء ومذاهب خالفت ما عليه العامة ، وشجع على ظهورها اطلاق المأمون حرية العلم ، وفتح باب الجدال على مصراعيه ، فلم يتهيب الناس مما كانوا يتهيبون منه من قبل ، وأدلوا بما عندهم ولو كان ضد الخليفة نفسه ، وكان المأمون يقبل ذلك ولا ينكره ، ويرحب بالآراء وتضاربها حتى تظهر الحقيقة ناصعة ٠

وكان المأمون يشترك مع الباحثين (١) ، وقد يخالفونه فيرحب بهذا الخلاف ، لا يهمه شىء الا الوصول الى الحق ٠ وكثيرا ما كانت مخالفة العلماء له مصحوبة بشىء لايليق، وكان ينرامى اليه أشياء ، وكانت تحز فى نفسه كثيرا ، كما حصل من تفضيله عليا ، واتهامه بتنقص الخلفاء الراشدين ، فكان يألم من ذلك ويقول : « والله ما استحل أن أتنقص الحجاج فكيف السلف الطيب ؟ » ٠

قال يحيى بن أكثم : « لما دخل المأمون بغداد أمرنى أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد ، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلا وأحضرتهم ، وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض فى فنون الحديث والعلم فلما انقضى ذلك المجلس الذى جعلناه للنظر فى أمر الدين قال المأمون : يا أبا محمد قد شغل الناس أهواءهم ٠٠ » ولم يسترح لما جرى ولكن ذلك لم يفت فى عضده ، بل صبر على ذلك ، ورأى أن مداومة البحث والنظر قد تقوم المعوج وتصلح ما فسد من الأمور ٠

الى هذا الحد بلغ هوى المأمون فى حماية الحرية الفكرية والعلمية مما لم يكن له مثيل الا فى هذه العصور ، ولكنه لم يلبث أن أتى على جل ما بناه من صرح فخم لهذه الحرية ، فأصدر أمره ، وهو يحارب الروم ، الى نائبه ببغداد أن يستدعى علماء الدين بدون استثناء ويلقى عليهم هذا السؤال ، وهو من مباحث المعتزلة : القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ وأمره أن يبطش بكل من يقول انه غير مخلوق ٠ فصدع نائبه اسحق ابن ابراهيم بالأمر ، وضرب عددا لا يحصى من كبار العلماء ٠

فعجب المفكرون من هذا التناقض ، وزاد عجبهم أن يأمر بالتعذيب على القول بأمر ليس له أدنى علاقة باصلاح دين ولا دنيا ، فشاب بهذا العمل ما كان سيخلد له من الذكر فى اقامة صرح الحرية الفكرية والعقلية ٠

على أن هذه الحادثة لا يجوز أن تنسينا ما كان عليه المأمون من الخلال الكريمة ، وما خدم به العلم الكونى والفلسفة ، من ترجمة كتبها الى العربية ، الأمر الذى أثمر ثمراته فى الأجيال التالية لجيله ، وتولدت منه المدنية الاسلامية التى أصبحت مفخرة الانسانية الى اليوم ٠

---

(١) هذه الجملة « وكان المأمون يشترك مع الباحثين » أوردناها لتوضيح المقام مجلة الازهر

اللغة والأدب والنقد

القيمة البيانية للاستعارة

من أخلاق العظماء

شوقي والجامعة الإسلامية

القيمة البيانية للاستعارة

ومعايير حسنها عند البلاغيين والنقاد؟

٢ ـ عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً :

أما المعيار الآخر الذي يرتكز عليه حسن الاستعارة ـ وهو متصل بالأول ومتشابك معه ـ فهو عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً ، وهذا المعيار مستنبط من كلام الإمام عبد القاهر كما ذكرت ، وذلك في أثناء حديثه عن زيادة حسن الاستعارة كلما ازداد التشبيه الذي بنيت عليه خفاء ، بمعنى انك لا تستطيع رد التركيب الاستعاري الذي وردت عليه إلى التشبيه بسهولة ، وقارن في هذا المجال بين استعارة العناب في قول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحته　　لجناة الحسن عنابا

وبين استعارته في قول الوأواء :

فاسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت　　ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقد سبق كل ذلك .

وإنما قيد الإشمام هنا باللفظ ، لأن المعنى في الاستعارة على التشبيه قطعاً بواسطة القرينة ، ولفظ « رائحة » دقيق جداً في موضعه مع الإشمام ، لأنه يفيد أن الإشمام المقصود هنا هو ما لا يخرج به الكلام عن الاستعارة ، وأما إذا زاد الأمر في التشبيه عن حد إشمام رائحته انتقل الكلام من مرحلة الاستعارة إلى مرحلة التشبيه ، وبذلك يكون التشبيه المنافي للاستعارة هنا نوعين :

١ ـ نوعا ينافي حسنها ، وهو ما تشم رائحته كما في قول الشاعر :

لاتعجبوا من بلى غلالته
قد زر أزراره على القمر

فرائحة التشبيه هنا تشم من الضمير في « غلالته » و « أزراره » لكن لا يتحول بها التشبيه إلى استعارة ، لأنه لم يذكر المشبه على وجه ينبىء عن التشبيه .

ومن إشمام رائحة التشبيه قولك : أسد يرمي بالنشاب ، فإن قدر « أسد » خبر المبتدأ محذوف تقديره هو كان تشبيهاً ، وإن قدر مبتدأ وخبره طرف محذوف تقديره عندي مثلا كان استعارة يشم منها رائحة التشبيه لاحتمال تقدير التشبيه فيها .

٢ ـ نوعا ينافي الاستعارة نفسها ، والاحتراز عنه شرط لصحتها ، وهذا يشمل :

أ) ما إذا ذكر المشبه صراحة كما في قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

للدكتور عبد الجواد محمد طبق

﴿مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[1] فقد بين المراد بالخيط الأبيض صراحة بلفظ « الفجر » .

ب) ما إذا ذكر المشبه ضمناً كما في هذه الآية نفسها ، لأن ذكر الفجر يوحى أن المراد بالخيط الأسود هو الليل ، وبذا يكون المشبه مذكوراً ضمناً .

جـ) ما إذا ذكر وجه الشبه كقولك : رأيت أسداً في الشجاعة ، أو ذكرت الأداة كقولك : زيد كالأسد .

وإنما اشترط هذا الشرط لحسن الاستعارة ، لأن إشمام رائحة التشبيه ينافي الغرض من الاستعارة ، إذ هي قائمة على دعوى دخول المشبه جنس المشبه به لتساويهما في وجه الشبه ادعاء ، أو قل انها قائمة على تناسي التشبيه أصلا ، فينبغي ألا يكون فيها ما يجعل رائحته مشمومة ، بل يأتي التركيب فيها وكأنه وارد على حقيقته ، ومن أجل هذا استحسنوا الاستعارة المرشحة ، لإشتمالها على ما يبعدها عن شبح التشبيه ، وجعلوا المطلقة تالية لها لعدم ورود ما يضعف التشبيه فيها ، وجعلوا الاستعارة المجردة أقل في الحسن من سابقتيها لورود مايجعل رائحة التشبيه فيها مشمومة بذكر ملائم المشبه ، وإن كان تقليل التجريد من حسن الاستعارة المجردة ليس مسلماً عند الجميع ، ولذلك يرى البعض أن الإشمام الذي يقلل الحسن هنا ليس على اطلاقه ، بل كأنه خص بذكر الوجه أو المشبه لا على وجه ينبىء عن التشبيه كما سبق[2] .

ومن أجل اعتبار هذا المعيار كأساس لحسن الاستعارة رأى البلاغيون أن يكون الوجه جليا بنفسه أو بواسطة عرف عام أو خاص .

أما جلاؤه بنفسه فلكونه مما يرى مثلا كما في تشبيه الثريا بعنقود الملاحية حين نورا ، ثم استعارة المشبه به للمشبه ، وأما جلاؤه بواسطة عرف عام فكما في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد في الجراءة ، وأما جلاؤه بواسطة اصطلاح خاص فكما في تشبيه نائب الفاعل بالفاعل في رفعه وعدم الاستغناء عنه ..

وتقييد هذا المعيار لحسن الاستعارة ـ وهو عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً ـ بجلاء الوجه حتى لا تصير الاستعارة الغازاً وتعمية قد وضع أساسه عبد القاهر أيضا كما وضع أساس هذا المعيار كما هو مفهوم مما سبق .

وتقييد هذا المعيار للحسن بهذا القيد راجع إلى أن عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً يجعل التشبيه خفياً ، فإذا ما انضم إليه خفاء آخر في وجه الشبه صارت الاستعارة ألغازاً وتعمية .

ولا بأس هنا من ايراد بعض عبارات عبد القاهر التى أوردها في هذا المجال لتتضح الصورة بشكل أظهر ، يقول : ينبغى أن تعلم أنه ليس كل شىء يجىء مشبهاً به بكاف أو باضافة مثل إليه يجوز أن تسلط عليه الاستعارة وينفذ حكمها فيه حتى تنقله عن صاحبه وتدعيه للمشبه على حد قولك أبديت نورا تريد علماً ، وسللت سيفاً صارماً ، تريد رأيا نافذاً ، وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله ، ويكون في الحال دليل عليه ، وفي العرف شاهد له حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت الاسم أن يعرف الغرض ، ويعلم ما أردت » ، ثم أورد شواهد عدة لهذه التشبيهات التي لا يجوز أن تنتقل إلى مرحلة الاستعارة لعدم تقرر الشبه بين الشيئين ، من ذلك قول الرسول عليه

« ١ » البقرة ١٨٧

« ٢ » ينظر الأطول للعصام ١٦٥/٢ ومواهب الفتاح لابن يعقوب ٢٢٤/٤ « شروح التلخيص » .

الصلاة والسلام : الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة »[٣] ،وقوله أيضا : مثل المؤمن كمثل النخلة أو مثل الخامة ، فلا تستطيع أن تتعاطى الاستعارة في شيء منه فتقول : رأيت نخلة أو خامة على معنى رأيت مؤمناً ، إن رام مثل هذا كان كما قال صاحب الكتاب ، ملغزاً تاركاً لكلام الناس الذي يسبق إلى أفئدتهم[٥] وكما في تشبيه زيد بالأسد في البحر لا في الشجاعة ، وقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأي عنك واسع

ثم يؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى وهو يفرق بين التشبيه المحذوف الوجه والأداة والاستعارة بقوله : « ومما يجب أن تجعله على ذكر منك أبداً وفيه البيان الشافي أن بين القسمين تبايناً شديداً ، أعنى بين قولك : زيد أسد ، وقولك : رأيت أسداً ، وهو ما قدمته لك من أنك قد تجد الشيء يصلح في نحو « زيد أسد » حيث يذكر المشبه باسمه أولا ، ثم يجري اسم المشبه به عليه ، ولا يصلح في القسم الآخر الذي لا يذكر فيه المشبه أصلا وتطرحه ، ومن الأمثلة البينة في ذلك قول أبي تمام :

وكان المطل في بدء وعود
دخاناً للصنيعة وهى نار

قد شبه المطل بالدخان ، والصنيعة بالنار ، ولكنه صرح بذكر المشبه وأوقع المشبه به خبرا عنه ، وهو كلام مستقيم ، ولو سلكت به طريقة ما يسقط فيه ذكر المشبه فقلت مثلا : « أقبستني نارا لها دخان » كان ساقطاً ، ولو قلت : « اقبستني نوراً أضاء أفقي به » تريد علما كان حسناً حسنه ، إذا قلت : « علمك نور أفقي » والسبب في ذلك أن اطراح ذكر المشبه والاقتصار على اسم المشبه به ، وتنزيله منزلته ، وإعطائه الخلافة على المقصود إنما يصح إذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ما تستعير اسمه له وتستبينه في الدلالة ، وقد تقرر في العرف الشبه بين النور والعلم وظهر واشتهر كما تقرر الشبه بين المرأة والظبية ، وبينها وبين الشمس ، ولم يتقرر في العرف شبه بين الصنيعة والنار ، وإنما هو شيء يضعه الآن أبو تمام ويتمحله ويعمل في تصويره ، فلابد له من ذكر المشبه والمشبه به جميعاً ، حتى يعقل عندما يريده ، ويبين الغرض الذي يقصده ، وإلا كان بمنزلة من يريد إعلام السامع أن عنده رجلا هو مثل زيد في العلم مثلا فيقول له : عندي زيد ، ويوم أن يعقل من كلامه أنه أراد أن يقول : عندي رجل مثل زيد أو غيره من المعاني ، وذلك تكليف علم الغيب ، فاعرف هذا الأصل وتبينه »[٤]«.»

هذا وقد يقال : إن الالغاز كما يكون بالاستعارة لخفاء الوجه يكون بالتشبيه أيضا عند عدم ذكر الوجه ، فلو قيل مثلا : الناس كالإبل « كان ألغازاً بالتشبيه ، فلا يختص الألغاز بالاستعارة ، والمفهوم مما سبق أنه إن عدل في مثل هذا التشبيه عن الاستعارة إليه كان حسناً ولم يكن ألغازاً حتى ولو لم يذكر الوجه ، لأنه مازال تشبيها وقوله أيضا لا استعارة على المشهور وبذلك لا يكون التشبيه ألغازاً وضح الوجه أم خفى ما دام تشبيها مع أن الواقع بخلاف ذلك .

وهذا الاعتراض غير مسلم لأن هناك فرقاً بين التشبيه والاستعارة هنا ؛ لأن المقصود فى الاستعارة التوصل بالوجه إلى المراد ، ومتى خفى لم يتحقق

« ٣ » هذا الحديث ورد في صحيح مسلم بشرح النووي في باب « فضل أهل فارس » ولفظة : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تجدون الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ينظر ص ١٠١ /١٦

« ٤ » الأسرار ٢١١/٢١٣ وينظر عروس الأفراح للبهاء السبكي ٤/٢٢٦ ـ ٢٢٧ « شروح التلخيص » والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٤٣٥ .

« ٥ » الأسرار ٢٨٩ / ٢٩٠

المقصود ، وأما التشبيه فإن كان الغرض مجرد الإلحاق لم يضر الخفاء ، وإن كان الغرض الإلحاق بوجه خاص فلابد من البيان إن خفى كما فى الحديث الشريف الذى أخذت منه هذه الاستعارة الممثل بها ، فلذلك أشير إلى الوجه فى التشبيه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجد فيها راحلة » فكون التشبيه إلغازاً عند عدم ذكر الوجه مع خفائه أمر عارض بخلاف المجاز(٦).

ومن الملاحظ أن هذا الحديث الذى ساقه الخطيب(٧) دليلاً على عدم إمكان الصيرورة إلى الاستعارة التمثيلية فيه بدلاً من التشبيه لخفاء الوجه ، فلا يقال : رأيت إبلامائة لا تجد فيها راحلة ، وقد تابع فيه عبد القاهر كما سبق ، قد يقال فيه : إن الخفاء راجع إلى عدم وجود القرينة المانعة لا لخفاء الوجه « إذ لوقيل « رأيت يوم الجمعة فى المسجد إبلامائة لا تجد فيها راحلة . تبين المراد ، لأن قوله مائة لا تجد فيها راحلة ، تبين الوجه ، فالأولى فى التمثيل أن يقال رأيت يوم الجمعة فى المسجد والإمام يخطب إبلامائة لا تجد فيها راحلة ، فإن هذه صورة التجوز مع خفاء الوجه ؛ إذ المفهوم أن الناس المرئيين فى المسجد كالإبل ، والمتبادر أنهم كالإبل فى البهيمية وقلة الفهم وكبر الأعضاء وطولها مثلاً ؛ إذ هو المتبادر ، وقد ينتقل إلى أنهم فى غاية الصبر ، لأن الإبل مشهورة بالصبر على ما تستعمل ، وأما عزة الكمال مع الكثرة فلا تفهم ، وإنما قلنا هكذا لأن كلامنا فيما تحقق فيه التجوز مع الخفاء »(٨) هكذا يرى ابن يعقوب المغربى .

والواقع أن ما رآه ابن يعقوب هنا ونقله عنه الدسوقى غير مسلم تماماً ، ذلك أن المجاز كما يتحقق بالقرينة اللفظية يتحقق أيضاً بالقرينة الحالية ، فلو قيل فى معرض مجموعة كبيرة من الناس ليس فيهم من يتصف بصفات طيبة ، رأيت إبلامائة لا تجد فيها راحلة تحقق المجاز ، وإن بقى الخفاء فيه ؛ لأن القرينة الحالية أضعف فى الدلالة القطعية على المراد من اللفظية ؛ إذ الأولى ليست مطلقة ، بل مقيدة بزمان ومكان معينين ، وبظروف ملابسات خاصة ، ولذلك لا يفهم المراد منها إلا من خلال ذلك كله . هذا أولاً .

وثانياً : أنه لو ذكر فى هذه الصورة التى أوردها ابن يعقوب القرينة اللفظية على النحو الذى أورده مع الإشارة إلى الوجه « لا تجد فيها راحلة » لم يبق هناك خفاء فى المراد بالمشبه ، ولا فى المراد بالوجه ، بدليل قوله فى العبارة السابقة « تبين المراد »؛ لأن قوله : مائة لا تجد فيها راحلة . تبين الوجه ، وهذا يتناقض مع مارده من احتمالات عديدة للوجه ؛ إذ أنه أصبح بهذه الصورة واضحاً ، لا يحتمل إلا الوجه الأخير الذى ذكره وهو عزة الكمال مع الكثرة ، وبذلك يبدو - من وجهة نظرى - التناقض فى عبارة ابن يعقوب السابقة ، ولعل الدسوقى قد أدرك ذلك حينما أسقط من عبارة ابن يعقوب السابقة جملة « لأن قوله : مائة لا تجد فيها راحلة . تبين الوجه » .

ومن الملاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أورد الحديث على صورة التشبيه المذكور فيه الطرفان مع الإيماء إلى الوجه ، وأى تعديل فى هذه الصورة لا يؤدى إلى المراد ، كما لو ذكر الطرفان فقط دون الإيماء إلى الوجه ، أو ذكر المشبه به فقط مع الإيماء إلى الوجه على سبيل الاستعارة كما استشهد عبد القاهر والخطيب ، فقيل : رأيت إبلامائة لا تجد فيها راحلة ، لضعف القرينة الحالية كما ذكرت ، ولذلك كان الفساد فى نقل الحديث إلى صورة

---

(٦) ينظر مواهب الفتاح لابن يعقوب ٤/٢٢٦

(٧) ينظر الإيضاح ٤/٢٢٦ « شروح التلخيص »

(٨) مواهب الفتاح لابن يعقوب ٤/٢٢٦ من الشروح وينظر حاشية الدسوقى على المختصر فى الموضوع نفسه .

القيمة البيانية للاستعارة

الاستعارة مع بقاء القرينة حالية لا لفظية حتى يتأتى الخفاء .

والملاحظ أن حسن التشبيه دون الاستعارة فيما كان الوجه فيه خفياً كما سبق من أمثلة ، أساسه أن الاستعارة يمتنع فيها ذكر الوجه فلا يتضح المراد بخلاف التشبيه ، وتستوى الاستعارة مع التشبيه فى القبح إن كان الوجه خفياً ولم يذكر فى التشبيه المراد به الإلحاق فى صفة خاصة كما ذكر المغربى فيما سبق .

رأى لابن السبكى فى الإلغاز فى الاستعارة

نازع ابن السبكى فيما تواصى به البلاغيون هنا من جلاء الوجه فى الاستعارة حتى لا تكون إلغازاً ، فرأى أنه لا مانع من صيرورة الاستعارة إلغازاً لخفاء الوجه ، لأن الإلغاز من أنواع البديع المستحسنة ، وله مواقع لا يصلح فيها غيره ، وإن كان لا يصلح فى كل المواقع ، والمجاز بصفة عامة ربما يصير إلغازاً إذا ضعفت القرينة ، أما دون القرينة فلا استعارة ولا مجاز ، وما ذهب إليه البعض من أن الإلغاز وإن كان من مقاصد الأدباء إلا أن المقصود من الاستعارة خلافه ـ مردود ؛ لأن الإلغاز تارة يكون بالحقيقة ، وتارة يكون بالاستعارة ، فالأولى أن يحمل ما رأوه من جلاء الوجه فى الاستعارة على إذا لم يقصد التعمية(٩).

واعتبار الإلغاز من أنواع البديع المستحسنة ليس على إطلاقه ، بل هو محمول على إذا لم يؤد إلى التعقيد أو التعمية فى الكلام فيخل بفصاحته ، ولذلك رأينا الخطيب القزوينى ـ تبعاً للسكاكى ـ لم يذكره من أنواع البديع المستحسنة(١٠) هذا فضلاً عن أن الإلغاز لا يحسن إلا إذا استدعاه المقام فى الاستعارة ، وله اعتباراته الخاصة ، وليس هو الشائع فى الكلام ، أو الأساس العام فى الاستعارة حتى لا يشترط جلاء الوجه فيها مطلقاً كما يرى ابن السبكى .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن اعتبار جلاء الوجه بنفسه فى الاستعارة هنا خاص بالتصريحية فقط ، لأن خفاء الوجه فى المكنية لا يؤثر للتصريح بالمشبه فيها ، وكذلك بعض لوازم المشبه به ، وبذلك لا يجعلها خفاء الوجه من الإلغاز المعيب .

خلاصة للعلاقة بين الاستعارة والتشبيه فى الحسن

يمكن القول فى النهاية إنه ليست هناك حدود فاصلة دقيقة وضعها القدماء أو المتأخرون للتشبيهات التى ينبغى أن تقف عند مرحلة التشبيه ، ولا تتجاوزها إلى الاستعارة ، والأخرى التى يسوغ فيها أن تصعد إلى مرحلة الاستعارة ، وغاية ما يمكن قوله فى هذا المقام : « إن الشبه إذا كان وصفاً معروفاً فى الشىء قد جرى العرف بأنه يشبه من أجله به ، وتعورف كونه أصلاً فيه يقاس عليه كالنور والحسن فى الشمس ، أو الاتشهاد والظهور وأنها لا تخفى فيها أيضاً ، وكالطيب فى المسك ، والحلاوة فى العسل ، والمرارة فى الصاب ، والشجاعة فى الأسد ، والفيضان فى البحر والغيث ، والمضاء والقطع والحدة فى السيف ، والنفاذ فى السنان ، وسرعة المرور فى السهم ، وسرعة الحركة فى شعلة النار ، وما شاكل ذلك من الأوصاف التى لكل وصف منها جنس هو أصل فيه ، ومقدم فى معانيه ، فاستعارة الاسم للشىء على معنى ذلك الشبه تجىء

(٩) ينظر عروس الأفراح ٤/٢٢٤ ـ ٢٢٥ شروح التلخيص .
(١٠) ينظر دور العبارات للحموى ١٧٥ ـ ١٧٦

سهلة منقادة ، وتقع مألوفة معتادة ، وذلك أن هذه الأوصاف من هذه الأسماء قد تعورف كونها أصولاً فيها ، وأنها أخص ما توجد فيه بها ، فكل أحد يعلم أن أخص المنيرات بالنور الشمس ، فإذا أطلقت ودل الحال على التشبيه لم يخف المراد ، ولو أنك أردت من الشمس الاستدارة لم يجز أن تدل عليه بالاستعارة ، ولكن إن أردتها من الفلك جاز ، فإن قصدتها من الكرة كان أبين ، لأن الاستدارة من الكرة أشهر وصف فيها ، ومتى صلحت الاستعارة فى شىء فالمبالغة فيه أصلح ، وطريقها أوضح ، ولسان الحال بها أفصح »(١١).

أرسى الإمام عبد القاهر فى عبارته السابقة ثلاثة أصول مهمة فى هذا الموطن :

أولها : إمكان تحويل التشبيه إلى استعارة إن كان الوجه مشتهراً فى المشبه به ، وكان الغرض إلحاق المشبه بالمشبه به فى صفته المشهور بها ، والتى هى أخص خصائصه ويضرب به المثل فيها .

ثانيها : إذا كان الغرض الإلحاق فى صفة خاصة ليست مما اشتهر به المشبه به لم يجز أن يتنقل التشبيه إلى مرحلة الاستعارة لخفاء الوجه .

ثالثها : إذا أمكن صيرورة التشبيه إلى استعارة للمبالغة فى الإلحاق فالاستعارة أولى من التشبيه ، لأن المبالغة تتحقق فيها بصورة أكثر .

وإذا كان هناك بعض التشبيهات يمكن أن تصعد إلى مرحلة الاستعارة لظهور الوجه فى المشبه به ، وبعضها الآخر لا يسوغ فيه ذلك لخفاء الوجه كما سبق ، فإن هناك نوعا من الاستعارة لا يستحسن أن نهبط به إلى مرحلة التشبيه الذى بنيت عليه ، وذلك إذا كان هذا التشبيه مبتذلا بأن ارتبط أحد الطرفين بالآخر ارتباطا قويا جعلهما كالشىء الواحد كما إذا استعير النور للعلم والإيمان ، والظلمة للكفر كما ذكرت آنفا « فهذا النحو لتمكنه وقوة شبهه ومتانة سببه قد صار كأنه حقيقة ، ولا يحسن لذلك أن تقول فى العلم كأنه نور ، وفى الجهل كأنه ظلمة ، ولا تكاد تقول للرجل من هذا الجنس كأنك أوقعتنى فى ظلمة ، بل تقول : أوقعتنى فى ظلمة .

وهذه ميزة أخرى تضاف إلى مزايا الاستعارة ، وهى الاحتراز عن تشبيه الشىء بنفسه كما يقول العصام(١٣) .

وقد ظهر مما تقدم أن بين حسن التشبيه وحسن الاستعارة من هذه الجهة عموما وخصوصا وجهيا ، يجتمعان فيما لاخفاء فى وجهه ولا اتحاد ، ثم ينفرد حسن التشبيه فيما فى وجهه خفاء ، وينفرد حسن الاستعارة عند شيوع التشبيه الذى بنيت عليه وذيوعه للتقارب الشديد بين الطرفين فى الشبه .

أما لو نظرنا إلى مطلق التشبيه والاستعارة الحسنة فالتشبيه أعم محلا من الاستعارة ؛ لأنه يتأتى فى كل ما تتأتى فيه الاستعارة الحسنة ، وهذا معنى قول الخطيب : « وبهذا ظهر أنهما أى التحقيقية والتمثيلية لا يجيئان فى كل ما يجىء فيه التشبيه »(١٤) وأما مطلق تشبيه ومطلق استعارة فهما متصادقان .

هذا ومما يزيد فى حسن الاستعارة الترشيح الواقع فيها بالنسبة للإطلاق والتجريد ، أو الاطلاق بالنسبة للتجريد إذا كان كل من الترشيح والاطلاق والتجريد واقعا موقعه المناسب فى الكلام ، وهذا الاعتبار فى الحسن قائم على معيار عدم اتمام رائحة التشبيه لفظا فى الاستعارة كشرط من شروط الحسن كما سبق .

(١١) الأسرار ٢١٧

« ١٢ » المرجع السابق ص ٢٨٩ .

(١٣) » ينظر الأطول ١٦٦/٢ .

(١٤)» الايضاح (شروح التلخيص) ٢٢٧/٤ .

♦ القيمة البيانية للاستعارة

خلاصة لمعايير حسن الاستعارة

يمكن - استنباطا مما سبق عرضه - أن نوجز أهم معايير حسن الاستعارة فيما يأتى :

١ - رعاية جهات حسن التشبيه .

٢ - دقة النظم الواقعة فيه .

٣ - التقاء عدة استعارات فى تصوير الغرض المقصود .

٤ - عدم اشمام رائحة التشبيه فيها لفظا مع تقرر الشبه بين الطرفين .

أمور أخرى تؤثر فى حسن الاستعارة

بالإضافة إلى المعايير السابقة فى حسن الاستعارة نورد بعض الأمور الأخرى التى تؤثر تأثيرا مباشراً فى حسنها أيضاً .. من ذلك :

١ - أن تفيد فائدة زائدة على ما تفيده الحقيقة من بيان أو ايجاز ، وبعبارة أخرى ألا يغنى غيرها غناءها ، أو يسد مسدها ، ومن هذا المنطلق عاب الآمدى الاستعارة الواقعة فى بيت أبى تمام :

سأشكر فرجة اللبب الرخى
ولين أخادع الدهر الأبى(١٥)

بقوله : « أى حاجة دعته إلى الأخادع حتى يستعيرها للدهر .. إلى أن قال : « وإنما قبح الأخدع لما جاء به مستعارا للدهر ، ولو جاء فى غير هذا الموضع ، أو أتى به حقيقة ، ووضعه فى موضعه لما قبح »(١٦)

وقد ذكر الرمانى هذا الأصل أيضاً فى حسن الاستعارة عندما تحدث عن الغرض منها ، والذى يجعلها تفضل الحقيقة ، وهو الإبانة .

وكذلك أشار إليه أبو هلال العسكرى بقوله : « ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا »(١٧) .

٢ - أن يقوم التصوير فيها على أساس سليم ، ولذلك قبحت الاستعارة فى قول بعض المولدين : أسفرى للعيون ياضرة الشمس . كأنه ظن أن الضرة لا تكون إلا قبيحة . هكذا أورد الحموى هذه العبارة وهذا التعليق ، ولما رجعت إليها فى العمدة لابن رشيق وجدتها هكذا « واسترذل (الرمانى) قول بعض المولدين : اسفرى لى النقاب ياضرة الشمس . بأن قال : أتراه ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة ، وإلا فأى حاجة لاختيار هذه الاستعارة »(١٨) .

فقبح الاستعارة إذاً يرجع إلى خطأ فى التصوير ، وهو أن الضرة للشمس لا تكون إلا حسنة ، بينما ذكر الحموى أن خطأ التصوير مبعثه ظنه أن الضرة لا تكون إلا قبيحة .

وسواء كان هذا أم ذاك فالاستعارة معيبة لخطأ فى التصور ؛ حيث لا يلزم أن تكون ضرة الشمس حسنة أو قبيحة ، بل الأمر على الاحتمال ، وتصور أحدهما فقط دون الآخر غير متعين ، فإذا فهمت الضرة بمعنى المنافسة كانت حسنة ، وإن فهمت بمعنى المضادة للشمس كانت قبيحة .

٣ - ألا يحيط بها لبس يوهم الحقيقة ، ومن هذا المنطلق « قال قوم منهم أبو محمد الحسن بن على بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد وعلم من أول وهلة أنه

---

(١٥)» شرح التبريزى للديوان ٣/٣٥٤ وقد سبق توضيح مفردات البيت .

(١٦) » ينظر النكت فى اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ٨٥/٨٦ .

»(١٧)» كتاب الصناعتين ٢٧٤ .

»(١٨)» العمدة ١/٢٧٢ ودور العبارات للحموى ١٧٣ وما بعدها .

مستعار ، فلم يدخله لبس ، وعاب على أبى الطيب قوله :

وقد مدت الخيل العتاق عيونها
إلى وقت تبديل الركاب من النعل

إذا كانت الخيل لها عيون فى الحقيقة ، ورجح عليه قول أبى تمام :

ساس الأمور سياسة ابن تجارب
رقصة عين الملك وهو جنين

إذ كان الملك لا عين له فى الحقيقة(١٩) .

فالاستعارة فى البيت الأول فى العيون بقرينة الفعل « مدت » وهى موهمة للحقيقة ؛ لأن للخيل عيونا حقيقية ، ولعل المراد تشبيه العيون فى لهفتها وتطلعها إلى هذا الوقت بالأعناق فى امتدادها نحو ما تحبه وتهواه ، ولما كان الملك ليس له عين فى البيت الثانى علم لأول وهلة أن العين مستعارة للرعاية والعناية منذ نشأته فى بطن أمه .

٤ ـ الاهتمام باختيار اللفظ فى الاستعارة ، وتحسين المعرض الذى تبرز فيه ، فهناك بعض الألفاظ تثير الهزء والسخرية فى الاستعارة أكثر مما تثير الإعجاب والاستحسان ، من ذلك قول امرىء القيس :

وهر تصيد قلوب الرجال
وأفلت منها ابن عمرو حجر(٢٠)

ومن ذلك أيضا ما أنشده الأخفش عن ثعلب يذم رجلا :

مازال مذموما على است الدهر
ذا حسد ينمى وعقل يجرى(٢١)

وقد كان عدم الدقة فى مراعاة هذا المعيار فى حسن الاستعارة سببا فى كثير مما عيب على أبى تمام من تشبيهات واستعارات « ذلك أنه لم يبال فى كثير من مخاطبات الممدوح بتحسين ظاهر اللفظ ، واقتصر على صميم التشبيه ، وأطلق اسم الجنس الخسيس كإطلاق الشريف النبيه كقوله :

وإذا ما أردت كنت رشاء
وإذا ما أردت كنت قليبا(٢٢)

فصك ووجه الممدوح كما ترى بأنه رشاء وقليب ، ولم يحتشم أن قال :

مازال يهذى بالمكارم والعلى
حتى ظننا أنه محموم(٢٣)

فجعله يهذى ، وجعل عليه الحمى ، وظن أنه إذا حصل له المبالغة فى اثبات المكارم له ، وجعلها مستبدة بأفكاره وخواطره حتى لا يصدر عنها غيرها فلا ضير أن يتلقاه بمثل هذا الخطاب الجافى والمدح المتنافى(٢٤) والمعنى جيد حسن ، والتعبير عنه بالاستعارة قبيح مستكره .

٥ ـ ملاءمتها لذوق العصر وأهله ، ولهذا تعاب الاستعارة إذا بنيت على التشبيه فى قول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبى أو مساريك اسحل(٢٥)

فلا يسوغ أن نستعير الدود الصغير للبنان ؛ لأن طريق العرب القدماء فى كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت ، وأشكل بأهله

فالتشبيه هنا معيب لعدم ملاءمته لذوق العصر ، وكذلك الاستعارة التى تبنى عليه أو على مثله .

---

(١٩) المرجع السابق ١/ ٢٧٠ لابن رشيق .

(٢٠) ديوان امرىء القيس ١٠٩ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢/ ١٩٧٢ والهر هى ابنة سلامة بن علندا العامرية ، كان يشبب بها الشاعر أيام ان نفاه ابوه .

(٢١) تنظر الموازنة للآمدى ١/ ٢٧٤ .

(٢٢) الرشاء : حبل الدلو والقليب : البئر ، ينظر ديوان أبى تمام ١/ ١٧١ ط ٤ .

(٢٣) الديوان ٣/ ٢٩١ ط ٣ دار المعارف .

(٢٤) الأسرار ٢٢٠ .

(٢٥) ديوان امرىء القيس ٤٦ تعطو : تتناول ، برخص : أراد به بنانا رخصا لينا ، غير شثن : ليس بخشن ، أساريع : دود صغير ، ظبى : اسم رملة بعينها ، اسحل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالأراك .

٦ ـ بعدها عن الافراط فى المبالغة التى تجعلها ممقوتة « لأن للاستعارة حدا تصلح فيه ، فإذا تجاوزته فسدت وقبحت »(٢٦) .

ومن هذا المنطلق عاب الآمدى على أبى تمام قوله :

لم تسق بعد الهوى ماء على ظمأ
من ماء قافية يسقيكها فهم(٢٧)

حيث جعل للقافية ماء على الاستعارة ، وهذا ليس قبيحا فى حد ذاته ؛ لأنه قد يستعار الماء للرونق والبهاء والجمال ، كما نقول : هذا الثوب له ماء ، وهذا الشعر له ماء .. إلخ لكنه بالغ فجعل الماء مشروبا ، وهذه مبالغة ممقوتة ؛ إذ لا يجوز أن تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيته على فلان ، وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قفانبك » أو أعذب من قصيدة كذا ؛ لأن للاستعارة حدا تصلح به فإذا تجاوزته فسدت وقبحت »

ومن هذا القبيل أيضاً قول المتنبى :

تجمعت فى فؤاده همم
ملء فؤاد الزمان احداها(٢٨)

« وربما كان هذا سببا للقبح وراء كل سبب ؛ لأن العبارة التى تصف الحسن وصفا دقيقا وصادقا تراها خالية من مثل هذه الأكدار ، وإذا نظرت فى مثل هذه الاستعارات الرديئة أحسست أن العبارة فيها تنفصل عن الحس ، وأن الخيال ينهض وحده من غير أن يكون محمولا على قوة من الفكر وطاقة من الشعور »(٢٩) .

وبعد

فإذا ما أضفنا هذه الاعتبارات إلى معايير الحسن السابقة التى تحدثت عنها تفصيلاً وتلخيصاً اكتملت لدينا صورة أعتقد أنها أقرب إلى الاكتمال ـ لمعايير حسن الاستعارة ، ولا أدعى أننى أتيت على كل معايير حسن الاستعارة أو حددتها تحديداً دقيقاً ، لا يقبل زيادة أو نقصاً ، لأن هذه القضية قضية شعور ووجدان ، وذوق وإحساس بالدرجة الأولى ، وهى أمور تختلف من شخص لآخر ، كما أنها تقوم على اعتبارات عديدة من الصعب حصرها ، وليست مسائل البلاغة وقضاياها بصفة عامة ، ومعايير الحسن أو القبح فيها بصفة خاصة كمسائل الرياضيات أو الطبيعة التى لها حد مرسوم.

وما ذكرته من معايير واعتبارات فى هذا الحسن إنما كان محاولة لوضع هذه القضية فى إطار عام له معالم رئيسية تقبل المناقشة والمزيد من البحث ، وتتسع للكثير من الاعتبارات والتفاصيل تبعا لتطور العقول واختلاف الأذواق ، وتقدم الحضارات وتبدلها ، والرؤى الجديدة المرتكزة على شتى المعارف الإنسانية .

ويبقى ماقاله القاضى الجرجانى فى هذا المضار . وأكثر هذا الصنف من الباب الذى قدمت لك القول فيه ، وأقمت لك الشواهد عليه ، وأعلمتك أنه يميز بقبول النفس ونفورها ، وينتقد بسكون القلب وبنوه ، وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه ، واهتدت إلى الكشف عن صوابه وغلطه .. (٣٠)

وقول أبى هلال العسكرى : « ليس لحسن الاستعارة وسوئها مثال يعتمد ، وإنما يعتبر ذلك بما تقبله النفس أو ترده ، وتعلق به أو تنبو عنه » (٣١)

وقول العلوى بعد أن تعرض لبعض معايير حسن

(٢٦) ، الموازنة ١ / ٢٧٦

(٢٧) ، ديوان أبى تمام ٤٩٠ شرح التبريزى وتنظر الموازنة ١ / ٢٥٩

(٢٨) شرح ديوان المتنبى لليازجى ٢ / ٤٩٩ دار صادر بيروت ١٣٨٤ / ١٩٦٤

(٢٩) التصوير اللبيانى ٣٣٧

(٣٠) ، الوساطة ٤٢٩

(٣١) ، كتاب الصناعتين ٣٠٩

الاستعارة : « فهذه الأمور إذاً تعرف بالذهن الصافى ويحكم فيها الذوق المعتدل » [٣٢]

أقول : تبقى أقوالهم هذه أصولاً مهمة فى هذا الباب ، ومعالم على طريق البحث .

مراجع البحث

١ ـ الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ـ دار الفكر ـ بيروت

٢ ـ أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى تعليق محمد رشيد رضا ط ٣ دار المنار

٣ ـ الأطول للعصام . المطبعة العامرة ١٢٨٤

٤ ـ الاكسير فى علم التفسير للطوفى . مكتبة الآداب بالقاهرة

٥ ـ الايضاح للخطيب القزوينى ـ دار الجيل بيروت

٦ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق الاستاذ أبى الفضل ابراهيم . مطبعة الحلبى .

٧ ـ التبيان فى علمى المعانى والبيان للطيبى ـ مخطوط رقم ٢٦٨ بدار الكتب المصرية .

٨ ـ التصوير البيانى . د . محمد أبو موسى . مكتبة وهبة ط ٢ ١٤٠٠ / ١٩٨٠

٩ ـ تقرير الانبابى على شرح سعد الدين التفتازانى وتجريد البنانى ـ مطبعة السعادة بمصر ـ

١٠ ـ حاشية الدسوقى على المختصر .. « شروح التلخيص » مطبعة الحلبى بمصر

١١ ـ حاشية عبد الحكيم على المطول . طبع استانبول ـ تركيا ١٣٠٦

١٢ ـ الخصائص لابن جنى . تحقيق الشيخ النجار . دار الهيئة للطباعة بيروت

١٣ ـ دور العبارات وغرر الاشارات فى تحقيق معانى الاستعارات للحموى تحقيق عبد الحليم شادى

١٤ ـ دلائل الاعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى . تحقيق . محمد رشيد رضا . مطبعة المنار ١٣٩٨ / ١٩٧٨

١٥ ـ ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى .

١٦ ـ ديوان البحترى تحقيق حسن كامل الصيرفى ط ٣ دار المعارف .

١٧ ـ ديوان ابن المعتز شرح وتقديم ميشيل نعمان طبع الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩

١٨ ـ ديوان الفرزدق . دار صادر بيروت ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦

١٩ ـ ديوان امرىء القيس . دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢ / ١٩٧٢

٢٠ ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى . مطبعة صبيح . تعليق عبد المتعال الصعيدي

٢١ ـ شرح ديوان المتنبى لليازجى

٢٢ ـ الطراز للعلوى . دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠ / ١٩٨٠

٢٣ ـ عروس الأفراح للبهاء السبكى « شروح التلخيص »

٢٤ ـ العمدة لابن رشيق القيروانى . دار الجيل ـ بيروت

٢٥ ـ كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ـ مطبعة عيسى الحلبى

٢٦ ـ المثل السائر لابن الأثير . تعليق د . الحوفى ٤ . دار نهضة مصر

٢٧ ـ مختصر سعد الدين التفتازانى « شروح التلخيص »

٢٨ ـ المزهر للسيوطى . مطبعة صبيح

٢٩ ـ مفتاح العلوم للسكاكى . طبعة أولى . مصطفى الحلبى

٣٠ ـ الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى ـ دار المعارف ـ بمصر

٣١ ـ مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربى « شروح التلخيص »

٣٢ ـ نظرية المعنى فى النقد الأدبى . د . مصطفى ناصف

٣٣ ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر .

٣٤ ـ النكت فى إعجاز القرآن للرمانى « ضمن ثلاثة رسائل فى إعجاز القرآن ـ دار المعارف

٣٥ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى . مطبعة الحلبى تحقيق أبى الفضل ابراهيم وعلى البجاوى .

(٣٢) « الطراز ١ / ٢٤٣

طرائف

علماء ثم زهاد ثم غزاة ثم ولاة أمور ثم تجار

فالعلماء ورثة الأنبياء .

والزهاد ملوك الأرض

والغزاة أنصار الله ،

والأمراء رعاة الله على خلقه

والتجار أمناء الله .

فإذا طمع العلماء فى جمع المال فبمن يهتدى ؟

وإذا راءى الزهاد فبمن يقتدى ؟

وإذا غل الغزاة فبمن يكون الظفر ؟

وإذا خان التجار فبمن يؤتمن ؟

وإذا كان الرعاة كالذئاب فبمن تحاط الرعية ؟

« فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

الظلمات أربع وسراجها كذلك

الذنوب ظلمة وسراجها التوبة .

والقبر ظلمة وسراجه التوحيد .

والقيامة ظلمة وسراجها العمل الصالح

والصراط ظلمة وسراجه اليقين .

أعجبتنى نفسى

جلس مقاتل بن سليمان يوما فأعجبته نفسه .

فقال : سلونى عما دون العرش .

فقال له رجل : آدم لما حج من حلق رأسه ؟ .

وقال آخر : أمعاء النملة فى مقدمها أو مؤخرها ؟ فلم يدر ما يقول .

ثم قال : هذا ليس من علمكم ولكن أعجبتنى نفسى فابتليت .

أسوأ الناس

قيل لبعض العلماء من أسوأ الناس حالا ؟

قال : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ومن لم يثق فيه أحد لسوء فعله .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

حلم وجود

جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له : مشت جرذان بيتي على العفاء[1] فقال : سأدعهم يثبون وثب الأسد ثم أرسل لها ما ملأ بيتها من سائر الحبوب والأطعمة وكان حليما جواداً .

في الصمت سبعة آلاف خير وقد جمعت في سبع كلمات

أولها : أنه عبادة من غير تعب .

ثانيها : زينة من غير حلي .

ثالثها : أنه هيبة من غير سلطان .

رابعها : حصن من غير حائط .

خامسها : فيه غنى عن الاعتذار من فضول الكلام .

سادسها : أنه راحة للكرام الكاتبين .

سابعها : أنّ فيه سترا للعيوب الحاصلة من فضول الكلام التي يعرف بها الجاهل .

أسنان بني آدم

يقال للمرء (صبي) إلى اثنتي عشرة سنة .

ثم (غلام) إلى أربع وعشرين سنة .

ثم (حدث) إلى ست وثلاثين سنة .

ثم (شاب) إلى ثمان وأربعين سنة .

ثم (كهل) إلى ستين سنة .

ثم (شيخ) إلى ثمانين سنة .

ثم بعد ذلك هرم وخرف .

دعاء

اللهم ألهمني علما أفقه به أوامرك ونواهيك ، **وارزقني فهما أعلم** به كيف أناجيك ياأرحم **الراحمين** .

---

(1) والعفاء : التراب ، ومرادها انه لم يبق في بيتها شيء ياكله الفار فاستخدمت الجملة كناية .

من أخلاق العظماء

ليس ما نقدمه فى هذه الصفحات حديثا عن العظماء كالذى سطره (بلوطرخوس) عن أبطاله الوثنيين ، ولا هو – أيضا – حديث خيال محض عن رؤى أحلام ٠ انما هو شىء من مجد هذا الاسلام ورجاله ٠٠ ثمرات الحكمة الخالصة التى أثمرت عن نبع الكتاب العزيز والسنة المطهرة ٠

ولقد عنى كتابنا القدماء من أمثال : أبى على القالى ، والجاحظ ، وابن عبد ربه وأمثالهم – بحصد آثار السلف الكريم حتى أمكن – بهذا الحصاد الطاهر – أن تجد الصراط المستقيم ميسورا لكل هدف فى أى شىء يطلبه العظيم من الناس – ان أراد حقا أن يكون – باذنه تعالى – مرموقا فى غير كبر عظيما فى غير أنف ، فارسا لا يتخلى عن واجب ، شهما لا ينوء بالمروءة ٠

وسمة العظمة ان أرادها حقا ليست الا فى حبه للانسان عن اخلاص ، وتجاوزه عن زلاته ، وحفظ سره وتقدير حرمته واستعلائه بأخيه حتى يكون أخلص من الود ، وأنقى من العفاف ، وليحرص – الى ذلك – على علم نافع وقدوة خلاقة ، أعنى قدوة تريك من أعمالها جلالا ، ومن فكرها سؤددا ، ومن اخلاصها طهارة ٠

وفى القمة من ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

قيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

قال : ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

قال : ان كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم » ٠

ولايزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فان ظن أنه عالم فقد جهل ٠

ومن عجب أن العالم الحق أداه علمه الى « الحكمة » فهى فى قلبه ولسانه ، قد أوت به الى تواضع فى غير ضعة ، ونظافة فى غير عجب ، وسعة تغفر زلات الناس ٠

شتم رجل الشعبى فقال له :

ان كنت صادقا فغفر الله لى ، وان كنت كاذبا فغفر الله لك ٠

وحدث نفس الشىء لأبى ذر ، فقال لصاحبه :

يا هذا ، لا تغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر مما نطيع الله فيه ٠

والعظيم بحق ليس وراءه نسبه ولا أهله انه مشرق بنفسه لا بأبيه ولا جده ، فـ « من أسرع به عمله لم يبطىء به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ٠

قالت عائشة – رضى الله عنها :

« كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به » تريد :

للأستاذ السيد عبد الفتاح خضير

ان أولى الأمور بالانسان (خصال نفسه) ، فان كان كريما وآباؤه لئام لم يضره ذلك ، وان كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك •

والمروءة من « العظمة » وهى عند عمر — رضى الله عنه — مروءتان :

ظاهرة ، وهى فى الرياش ، وباطنة ، وهى فى العفاف •

قيل لأبى هريرة :

ما المروءة ••؟ قال :

تقوى الله ، وتفقد الصنيعة •

فأما الأحنف بن قيس فيقول :

« لا مروة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق » •

وما قال أحد : إن الكذب والبخل وسوء الخلق يسلك فى عقد العظيم •

عندما سئل عبد الملك بن مروان : أكان مصعب ابن الزبير يشرب الطلاء (١) ؟ قال : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه •

والعظمة فى الاسلام تقتضى الحرص على الناس ابتغاء الخير لهم واستبقاء لمودتهم فلابد من زلات ينبغى أن تقابل بالتجاوز مع شيء من العقاب دون الاستكثار منه ، فان كثرة العتاب مدرجة الى القطيعة •

وينسب لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه — أنه قال :

« لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استعتاب » •

وللهجر — فى الاسلام — حدود ، وانما يكون اذا بلغ السيل الزبى ، وأى الرجال المهذب ؟ ومعاتبة الأخ خير من فقده •

اذا ذهب العتاب فليس ود
ويبقى الود ما بقى العتاب

وفى ذلك بر كبير — فى الاسلام درجة أرفع منه هى فى برك أصدقاء والديك بعد وفاتهما ، وقد روى فى ذلك :

لا تقطع من كان يواصل أباك تطفيء بذلك نوره ، فان ودك ود أبيك والعفة من لوازم العظمة ، وفى الحديث الشريف عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر » (٢) •

وكما تكون فى اللسان تكون بالكف عما فى أيدى الناس ، وللعرب فى هذا البال مجال فقد قالوا : اطلب تطفر •

من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره •

من العجز نتجت الفاقة •

وأكمل ذلك كله الطهارة مع الرب — جل جلاله • قال عبد الله بن مسعود فى كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له ، « **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** الآية » ، « **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** » •

---

(١) يكنى به عن الخمر •

(٢) رواه الشيخان واحمد رضى الله عنهم •

على هامش النقد

ذو الرمة بين :

صيدح ومى

« فى العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسى جاءت النادرة الآتية :

طلب الى ذى الرمة أن ينشد « مروان بن محمد » مدحا وقد انحلت عمامته فقال : أنى أجل أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحا بلوثة عمامتى .

فقال مروان : ما أملت أن أبقت انا منك مى ولا صيدح فى كلامك امتاعا ، قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، ثم انشده :

فقلت لها : سيرى أمامك سيد
تفرع من مروان أو من محمد

فقال له : ما فعلت مى ؟ فقال :

طويت غدائرها ببرد بلى
ومحا التراب محاسن الخد

فالتفت الى العباس بن الوليد وقال له : أما ترى القوافى تنثال انثيالا ؟ يعطى بكل من سمى من آبائى ألف دينار .

قال ذو الرمة : لو علمت ... لبلغت به عبد شمس .

وأنا أقول : ان هذه النادرة بعد تقويم ما جاء بها من أخبار تعطينا فكرة واضحة عن شهرة الشاعر بنوعين من المخلوقات :

الأولى : ناقته واسمها صيدح .

والأخرى حبيبته واسمها مية وفى الشعر « مى » أما أخبار تلك النادرة ففيها تجاوزات صارخة .

أولها أن ذا الرمة لم يمتد به أجله حتى يحضر خلافة مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بنى أمية ، لأن ذا الرمة توفى سنة ١١٧هـ زمن هشام بن عبد الملك ومروان تولى الخلافة سنة ١٢٧ هـ .

وثانيها البيت الثانى الذى يفيد وفاة مى التى محا التراب محاسن خدها ، وليس من المستساغ أن يطلب من الشاعر أن ينشد ، لأنه ما جاء الى مجلس الأمير الا ليمدحه . وما أدرى ماذا جرى لذى الرمة حتى تنحل عمامته فى ذلك المجلس ؟ .

ولو نظرت الى قول ذى الرمة أن لو علمت لبلغت به عبد شمس » لوجدته تلفه القناعة من جميع نواحيه ، فكم عدد آباء مروان الى عبد شمس ؟ لو حذفت مروان وعبد شمس لكانوا خمسة ينال بذكرهم خمسة آلاف دينار فالأمير هو « ابن محمد بن مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية » بن عبد شمس ، ولو كان الشاعر غيرهلبلغ به عدنان على الأقل . ومما يدل على قناعته وتجافيه عن الطمع والنظر الى مافى أيدى الناس ما رواه الأصمعى عن عيسى بن عمر النحوى قال : قدمت من

للأستاذ السيد حسن قرون

سفر ، فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت عليه لأعطيه شيئا ، فقال : أنا وأنت نأخذ ولا نعطى • ومع عفة نفسه وترفعه عن الدنايا واجماله فى الطلب نجده يفخر بأخذ جوائز الملوك ، والنقاد يجعلون ذلك من تقاليد العرب • قال ذو الرمة :

وما كان مالى من تراث ورثته

ولا دية كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة

الى كل محجوب السرادق خضرم

« وخضرم » كثير المال • وقد كانت أغلب رحلاته الى الأمراء حكام الولايات ولاسيما والى « البصرة » بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى » فقد أكثر من مدحه والرحلة اليه والتنويه بشأنه ، ولم يدخل ذو الرمة فى الحزبية التى كانت فى عصره،فلم تره متشعيا لا لبنى أمية ولا لبنى هاشم ولم يذهب مذهب الخوارج ولا أهل المقالات ولولا حاجته الى المال لم يمدح أحدا ولاكتفى بالتغنى بالحب وحرقة النوى وتباريح الهوى ، فهو صادق الحب لا يقول الغزل تكلفا أو ليسترعى أسماع رواة الشعر ونقده ، يشبه جميل بثينة الا أن جميلا لم يمدح ولم يذهب بشعره لغير بثينة ، وقد يشبه كثير غزة فى أنه يمدح ويعشق وان كان كثيرا عند النقاد لم يتيمه الحب ولم يحس بلوعة النوى ، ولكنه شاعر قادر على نظم الروائع من شعر الحب والهوى وتصوير الأحاسيس ، والحقبة التى حوت ذا الرمةامتازت بشعراء العشق والغرام وأفردوا للشعر الغزلى القصائد والدواوين ، ولن تجد عصرا جمع من شعراء الحب العفيف ما جمع العصر الأموى ، فلك أن تعد « مجنون ليلى » « وقيس بن ذريح » « وتوبة بن الحمير » وظهر الشعر العذرى بعفافه وشفافيته وصدقه وحسن أدائه ، وذو الرمة يعد من هؤلاء الذين أحبوا وعفوا وليس المجال هنا يتسع لأتناوله وأتناول الغزل الصريح الذى عاصره ورفع لواءه عمر بن أبى ربيعة القرشى والأحوص بن محمد الأنصارى ، وانما هى اشارة الى عصر ذى الرمة •

ومن عجيب أخبار ذى الرمة أنه اذا رحل الى ممدوح اتخذ ناقته صيدح وسيلة انتقال ورفيق رحلة أما اذا رحل الى مى ليراها ويجالسها استعان بغيرها فكأنه يضن على نفسه بجمع الحبيبين فى مكان واحد ولنذكر لذلك أمثلة أو شواهد وقبل ذلك نذكر نسبه • وموطنه لتسهل علينا معرفة رحلاته •

ذو الرمة :

هو أبو الحارث غيلان بن عقبة ينتهى نسبه الى عدى بن عبد مناة بن أدبن طانجة بن الياس ابن مضر فيقال • غيلان بن عقبة العدوى ، « وعدى وثور وعكل وتميم » قبائل من مضر سمو « الرباب » لأنهم تحالفوا فوضعوا

أيديهم فى جفنة فيها رب ، والشعر فى العصر الأموى برز فيه بنو تميم بالفرزدق وجرير والبعيث وغيرهم فقد استقر الشعر فى تميم بعد أن تنقل من ربيعة الى قيس وأقرب القبائل لتميم عدى قبيلة ذى الرمة فهو من بيئة شعر موروث وتقطن قبيلته (بادية اليمامة المتاخمة للدهناء » (١) نشأ فى تلك البادية فشرب طابعها وشب انسانا عاطفيا مفطورا على الطهر والنقاء ، وجد الناس فى عصره لاينكرون على الشعراء تكسبهم بالشعر فسار على نهجهم ولقب بذى الرمة لأنه استسقى امرأة ماء — وكانت على كتفه رمة (قطعة من حبل) فقالت : اشرب يا ذا الرمة فلقب به وكاد الناس ينسون اسمه ، وقيل غير ذلك .

واليمامة وباديتها والدهناء أقرب الأماكن الى البصرة ، ومن ثم كان انتجاعه الدائم نحوها ، وأغلب الظن أنه كان يذهب اليها ويطيل المقام بها ، ثم يرجع بما يقيم أوده ويقضى مطالبه ، ولذلك تجدنى معه ومع بلال والى البصرة ، أحضر المجلس وأسمع الانشاد .

يقول المبرد فى الكامل : ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله :

تقول عجوز مدرجى متروحا
على بيتها من عند أهلى وغاديا
أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا ؟
فقلت لها : « لا » ان أهلى لجيرة
لأكثبة الدهنا جميعا وماليا
وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة
أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا
ولكنى أقبلت من جانبى قسا
أزور فتى نجدا كريما يمانيا
من آل أبى موسى ترى القوم حوله
كأنهم الكروان أبصرن بازيا
مرمين من ليث عليه مهابة
تفادى أسود الغاب منه تفاديا
وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى
عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

وأنا لا أحب شعر المدح ، ولكنى اخترت هذه الأبيات لأرد على الأصمعى ونقاد عصره الذين حطوا من قدره ، لأنه لا يحسن المدح والهجاء والفخر : فهذه الأبيات التى اختارها المبرد وسايرته فى اختيارها تدل على ضعفه فى المدح ، كلا ، ففى هذا الشعر فن جميل ، فيه قصص وحوار يبين منه مقام الشاعر فى المصر « البصرة » وأسباب مقامه ، ورده الى تلك العجوز بأنه ليس فى خصومة وليس له زوج انما جاء لزيارة فتى كريم منسوب الى اليمن ، وله صفات تميزه عن غيره فهو حفيد الصحابى أبى موسى الأشعرى وهو صاحب مروءة وذو هيبة ، وله أخلاق كريمة .

والشاعر يعطيك موطن الشاعر ، ومقر الحكم ، فأهل البادية يذهبون الى الحضر

١ — نراها فى الكتب ممدودة الا أن المبرد يصر على أنها مقصورة تكتب دون همزة « الدهنا » .

لأمرين اما لاتخاذ زوجة واما للذهاب الى المحكمة ، والبصرة مدينة عظيمة منذ أنشئت على عهد عمر رضى الله عنه فصارت مقر حكم وموطن علم ونور ومثابة لكل شاعر يريد الشهرة أو الدفاع عن قبيلته ، وفى الشعر قضايا أدبية يطول شرحها ، ولم تذكر صيدح فى ذلك المجال لأن الأمر والحوار كانا فى البصرة ولا حاجة اليها ، ولكنه حين رجع اليه بعد مشقة وسفر قال له :

سمعت « الناس ينتجعون غيثا »
فقلت لصيدح انتجعى بلالا
تناخى عند خير فتى يمان
اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله : « فقلت لصيدح انتجعى بلالا » قال : ياغلام مر لها بقت ونوى • أراد أن ذا الرمة لا يحسن المدح ، ويخيل الى أن ذلك الموقف هو السبب فى وصم الشاعر بالضعف فى المدح •

وقد دافع عن ذى الرمة أديبان كبيران لهما بصر بالأدب والشعر وأحدهما يجيد نظم الشعر وهما ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » والمبرد فى كتابه « الكامل » •

يقول ابن عبد ربه : هذا من التعنت الذى لا انصاف معه ، لأن قوله انتجعى بلالا انما أراد نفسه ومثله فى كتاب الله تعالى :

« **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا** ••• » (٨٢ سورة يوسف) وانما أراد أهل القرية وأهل العير ، وكان عمر بن الخطاب يرتجز :

اليك يغدو قلقا وضينها
مخالفا دين النصارى دينها

فجعل الدين للناقة ، وانما أراد صاحب الناقة • وورد ابن عبد ربه ينبع من نظرة بلاغية تتصل بالايجاز ومنه الحذف ، وهو يعطى الكلام قوة وجمالا •

ونظر المبرد الى الصياغة وتأليف العبارة حسب المعانى فقال : قوله « سمعت الناس ينتجعون غيثا » حكاية والمعنى اذا حقق انما هو سمعت هذه اللفظة أى قائلا يقول : « الناس ينتجعون غيثا » ومثل هذا قوله :

وجدنا فى كتاب بنى تميم
أحق الخيل بالركض المعار « (٢)

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة ، فقوله أحق الخيل ابتداء والمعار خبره ، وكذلك الناس ابتداء وينتجعون خبره (جملة فعلية) ومثل هذا فى الكلام (النثر) قرأت « الحمد لله رب العالمين » انما حكيت قرأت ، وكذلك قرأت على خاتمه الله أكبر — يافتى — (٣) فهذا لا يجوز سواء •

وابن عبد ربه والمبرد أنصفا الشاعر ووضعا شعره فى معرض البلاغة الجميل ، نظر الأول الى الايجاز وجماله فى العربية ونظر المبرد الى الاستعمال الفنى وأثره فى النفوس والعقول • ونحن لانشك فى أن الممدوح ما خفى عليه جمال الشعر ، ولكنه آثر دعابة عنت له يداعب بها شاعره •

---

٢ — المعار : النشيط والكثير الحركه .

٣ — تعبير من لوازم المبرد حين يرتاح لما يقول .

مع مى •

ومى من أسرة عريقة فى تميم ، وجدها قيس ابن عاصم قدم على النبى ﷺ فى وفد بنى تميم فقال له : أنت سيد أهل الوبر » •

فهى : « مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس ابن عاصم المنقرى » ذات حسب ونسب وجمال اشتهر بحبها ذو الرمة وبها عد من عشاق العرب ، ولا أستطيع أن أصل الى دخيلة نفسها والوصول الى ما يكنه قلبها نحو ذى الرمة ، فلقد هجاها مرة حين صدت عنه فقال :

على جه مى مسحة من ملاحة
وتحت الثياب العار او كان باديا

ولولا أن النقاد وكتاب السير عنوا بتسجيل هذا الشعر لنفيته عن ذى الرمة ، لأنه يحبها ويخلص لها ولا يقدر على السلو عنها • وقد دار حول هذا البيت قصص نعف عن ذكره •

ولنذهب معه فى رحلاته اليها ، والرواية لصديق له يسمى عصمة الفزارى ، وحين قصها كان فى سن متقدمة ولكنه يعى ما يقول ولا ينسى ما حدث ونوجز حديثه على النحو التالى :

طلب ذو الرمة الى صديقه أن يحضر له ناقة للرحلة ، لأنه لا يستطيع أن يستخدم صيدح ، لأن ميه منقرية وبنو منقر أخبث حى أقفى للأثر ، فقال له : عندى الجؤذر ، قال : على بها يريد ناقة تشبه الجؤذر (ابن البقرة الوحشية) ركبا وذهبا الى ديار بنى منقر ، فاذا القوم خلوف (غائبون) والنساء فى الرحال فعرفن ذا الرمة ، فأسرعن الى مى ، ولكن القادمين بلغا مى معهن ، وجلس الجميع يتحدثون ، وقالت الفتيات أنشدنا ياذا الرمة فقال أنشدهن ياعصمة ، فأنشدهن ، وكانت احداهن تعلق على كل بيت من الشعر الى أن أنشد :

اذا راجعتك القول مية أو بدا
لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق
رخيم ومن خلق تعلل جاد به

فقال المعلقة الظريفة : أما هذه فقد راجعتك وقد بدا لك الوجه منها فمن لك بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها مية : قاتلك الله ما أنكر ما تجيبين به •

يقول عصمة : لقد تركناهما معا ، فجلست فى بيت أراهما منه فما رأيته برح من مقعده ولا تعدته ، فسمعتها قالت له : كذبت والله ، ولا أدرى ما قال لها •

رجع من عندها ذو الرمة بهدايا • قال عصمة فكنا نختلف اليها حتى انقضى الربيع ودعا الناس المصيف ، فأتانى فقال : هيا عصمة ، رحلت ولم يبق الا الآثار والرسوم من الديار وأنشدنى :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى
ولا زال منهلا بجرعائك (٤) القطر

---

٤ ــ الجرعاء : الارض السهلة .

وهذه القصيدة من عيون الشعر العـربى ، ومما يحفظه الأدباء منها قوله :

لهـا بشر مثـل الحـــرير ومنطق
رخيم الحـواشى لاهـــراء ولانزر
وعينـان قال الله كونـا فكـــانتا
فعولان بالألبـاب ما تفعل الخمـــر

ومما يصور حال العرب فى التفاؤل والتشاؤم قوله منها :

رأيت غرابـا سـاقطا فـوق قضبة
من القضب لم ينبت لهـــا ورق نضر
فقلت غـراب لاغتراب وقضـــــبة
لقضب النوى هذى العيافة والزجـر

العيافة ضرب من الفراسة والتكهن بهـــا يستدلون على معرفة الأحيـاء والأشـياء ، والزجر اثارة الطير ، فان طار الى جهة اليمين تيمن صاحبه وان طار الى اليسار تشاءم ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الطيرة وعن عادات الجاهلية • عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاعدوى ولاطيرة ويعجبنى الفأل » • قالوا : وما الفأل قال « كلمة طيبة » متفق عليه • ولكن ذا الرمة ولهته مى فنسى أن يكون على طريق الاسلام ، ولنا أن نقول ان للشعراء تقاليد يتبعونهـــا فى الأداء الفنى ، يعبرون به عن لواعج الشوق وجوى النوى بذم الزمان أو التطير بالحيوان

وقد يتشاءمون من انسان ، والغـراب الذى يذمونه ويخافونه ويتطيرون منه له جميله على بنى آدم ، هداهم الى دفن الموتى كما ذكـر القرآن الكريم ، وأداء الشعراء لا يضـعهم تحت الفسوق أو الكفر . وان كنا لا نستسيغه فى بعض الأحيان ، وقد أنصفه شعراء العصر الحديث فمحمود حسن اسماعيل نظم فيـــه قصيدة عصماء عنوانها « راهب النخيل » •

وتمضى الحياة بمى وذى الرمة ، ويطـول فراقهما . فأحدهما فوق الأرض وثانيهما تحتها ويجد الناس متاعا فى الذكرى ، وينطلق أناس الى مواطن الهوى واللقـاء ، ويحلو السـمر بانشاء ما قيل من شعر وما قص فيه من قصص وقد يرحل مشوق الى تلك الأقاصيص فيذهب الى صاحب الأمر أو صاحبته •

حدث هذا مـع مى . فقـد ارتحل اليهـــا أبو المهلهل الخزاعى ثم رجع يقص علينا هـذا القصص :

ارتحلت الى الدهناء فسألت عـن « مى » صاحبة ذى الرمة . فدفعت الى خيمة فيهـــا عجـوز هيفـاء فسلمت عليها وقلت : أيـن منزل مى ؟ فقالت ها أنا مى ، فقلت : عجبـــا من ذى الرمة وكثرة قولـه فيك • قـالت : لا تعجب . فانى سـأقوم بعذره • ثم قـالت : فلانة ، فخرجت من الخيمة جارية ناهدة عليها برقع • فقالت لها : أسفرى ، فلما أسـفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها • فقالت : عاقنى ذو الرمة وأنا فى سن هذه ، وكل جديد الى بلى • قلت عذرته والله ، واستنشدتهـا من شعره فأنشدتنى •

كانت حياته قصيرة فقد ولد سنة ٦٩٦ م وتوفى سنة ٧٣٥ م • ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد :

يا قابض الروح عن نفسى اذا حصرت
وغـافر الذنب أخرجنى مـن النـار

ومعنى هذا أن عمر الهرم عنده ثمانون سنة، فلو عاش حتى يكون هرما لترك لنا شعرا جميلا وعملا نبيلا ، ولكن ما تركه وجد متلقين يحفظونه ويدرسونه ، ويوازنون بينه وبين غيره من شعر الشعراء .

جاء في أخبار أبي نواس أنه كان منصرفا من بعض المواخير فاجتاز بمقبرة ، وجرى بخاطره بيت شعر لذي الرمة وهو ماش فرفع صوته به كأنه يغني :

بطينا باذكرم ما مررت به
الا تعجبت ممن يشرب الماء

يقول أبو نواس فأجابني مجيب من المقبرة أسمع صوته ولا أرى شخصه .

وفي جهنم ماء ماتجرعه
خاق فأبقى له في الجوف أمعاء

فارتاع أبو نواس وعاد الى منزل صديق له ... الحمام ولبس ملابس جديدة وقضى ليلته في الصلاة ثم أصبح صائما .

وأنا لا يهمني من تلك الرواية الا عناية أبي‌نواس بشعر ذي الرمة ونذكره في وحدته وأبو نواس خير من يتذوق الحرف ويجس الكلمة .

لكني أنا لم يعجبني موقف ذي الرمة من صيدح ، وكنت أرجو منه أن يبادلها حبا بحب وبرا ببر ، فماذا كان منه ؟ في رحلة منه الى ممدوحه المفضل بلال والى البصرة وقد تحدثنا عنه في صدر المقال قال يخاطبها :

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته
فقام بفأس بين وصليك جازر

وما من شك في أنه أخطأ المجازاة فكان من حقها عليه أن يكرمها لأنها بلغته الممدوح ، وقد اتبع في هذا الشماخ فقد مدح عرابة الأوسي فقال لناقته :

اذا بلغتني وحملت رحلي
عرابة فاشرقي بدم الوتين

ولو أنه عرف قصة الانصارية المأسورة بمكة ، وكانت نجت على ناقة رسل الله فلما وصلنا اليه قالت يارسول الله : انى نذرت ان نجوت عليها أن أنحرها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبئس ما جزيتها . لو عرف القصة لتغير مقاله ، ولكن أبا نواس اهتدى الى المعنى المقبول فقال في الخليفة محمد الأمين :

واذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام

وبذلك حظى بثناء النقاد عليه . قال بعضهم هذا المعنى والله الذي كانت العرب تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه حتى كشفه أبو نواس . ومعناه ليس في حاجة الى أن يرحل الى غيره بعد أن يبلغه .

عروبة ذي الرمة :

حين عقل ذو الرمة كانت الأمة الاسلامية في أروع أيامها انتصارا وسلوكا واتساعا في البلاد والعباد ولكن الحزبية في سبيل السلطة كانت قوية تكاد تعوق الانتصار والانتشار ، وأول عصبية ظهرت بعد خمود العصبية على يد الرسول وخلفائه كانت القيسية واليمنية في موقعة مرج راهط » حيث كان القيسيون من مضر يناصرون عبد الله بن الزبير وهم جيش كبير ، وكان اليمانيون في جيش مروان ابن الحكم الأموي وبالحزبية انتصر مروان

وانهزم القيسيون فعاش من عاش منهم فى حزن كبير •• واستغل الأميون هذه العصبية لتمكين خلافتهم ، ولكن الأمر زاد عن حده ، فانقسم العرب قسمين : عدنانية وقحطانية ، والعدنانية الى ربعية ومضرية ، ثم المضرية الىقيسية وتميمية •• وفى أيام ذى الرمة تعصب الأمويون لمضر بعد عصيان بنى المهلب عليهم بخراسان ، وقسوة خالد بن عبد الله القسرى على المضريين فى ولايته •

وكان ذو الرمة يجتمع مع شعراء عصره ومع الكميت المتشيع لبنى هاشم والمتعصب لمضر ضد اليمانيين ومع ذلك نجد ذا الرمة على مستوى العروبة بوجه عام لا يتشيع كما قلنا سابقا ولا يتعصب لمضر بل يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وبلال رأس فى اليمانية ، ولكنه يحب العرب ويراهم هداة ذى الرمة مما ذكره الرواة • قال ذو الرمة : رأيت عبدا أسود لبنى أسد قدم علينا من شق اليمامة . وكان وحشيا لطول تغربه فى الابل•• فلما رآنى سكن الى • ثم قال لى : ياغيلان (اسم ذى الرمة) لعن الله بلادا ليس فيها عربى ، وقاتل الله الشاعر حيث يقول :

« وحر الثرى مستغرب التراب » وما رأيت هذه العرب فى جميع الناس الا مقدار القرحة فى جلد الفرس ، ولولا أن الله رق عليهم فجعلهم فى حشاه لطمست هذه العجمان آثارهم • والله ما أمر الله نبيه بقتلهم الا لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية الا تنزيها لهم •

فذو الرمة يضن بالعرب عن أعدائهم بأخذه برأى العبد الأسود ، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها •

أبى الشيخ محمد أبو العيون
"بقية"

من صفوف المجاهدين المخلصين ، ومصلحا سلكته جهوده الاصلاحية التامة فى الخالدين »•

ولقد سافرت بعد وفاته بحكم عملى بالسلك الدبلوماسى، وطوفت الآفاق شرقا وغربا ، وما من بلد حللت فيه الا وكان للشيخ أبى العيون فيه ذكر عاطر ••• عملت سفيرا فى النيجر واذا بالشيخ أبى العيون يفتح أمامى قلوب أهل النيجر الذين أقبلوا على مهللين مرحبين ••• أغلقوا سفارة اسرائيل فى بلادهم قبل حرب رمضان بسنة وافتتحوا سفارة لبلادهم فى القاهرة •

فى « سرىلانكا » حدث نفس الشىء مع الجالية الاسلامية التى ساعدنى أفرادها بكل قواهم فى شراء بيت الزعيم المصرى « عرابى باشا » الذى عاش هناك فى المنفى ، وبفضلهم أمكننى تحويله الى متحف قومى لمصر ولأحمد عرابى الذى ولد أبى ابان ثورته •

وفى المالديف اكتشفت ان رئيس الجمهورية « مأمون عبد القيوم » كان من تلامذة الشيخ أبى العيون ، وحضرت معه احتفال الأزهر بالذكرى الألفية لانشائه ، وهناك قابلت أصدقاء أبى وتلامذته ومحبيه ، وأحسست أن أبى لم يمت وأنه مازال يعيش الى جانبى ويشد من أزرى فى خضم الحياة •

شوقي والجامعة الإسلامية

٢

وكانت لشاعرنا - أحمد شوقى - بالسلطان (عبد الحميد) صلة تقدير، وإجلال ، إذ كان يراه - على حد تعبير نجله - (ضحية تشهير الأجانب ؛ لأنه كان حجر عثرة لمطامعهم في تركيا) ويقول : إنه وَجَدَهُ (عكس ما كان يشاع عنه .. رأى عاهلا حييًّا متواضعا مثقفا للغاية ...)[١] :

غير أنه لم يؤثره بكثير من مدائحه نشدانا لجاه أو مال ، بل ابتغاء مرضاة الله ، وأملا في لم شمل المسلمين :

فلولاك مُلْكُ المسلمين مُضَيَّع
ولولاك شَمْلُ المسلمين شتاتُ
زهدتُ الذى في راحتيك وشاقنى
جوائزُ عند (الله) مبتغَياتُ[٢]

فهو إذن يمدحه حبا فى (الله) ، ورغبة فى الإصلاح .

فالخليفة يدعو إلى الجامعة الإسلامية ، ووحدة الأمة من أبرز أهدافها .

١ - وها هو ذا (شوقى) فى اشادته به يشير - متأثرا بدعوة الجامعة الإسلامية إلى وحدة المسلمين فبالخليفة ينتظم جمعهم ، ويلتئم شملهم ، وهو السلم بينهم والوئام ، وغداً يخيب الظن فى استسلامهم لغفلة السكر عن النهوض بالواجب ، فلهم يقظة الحق ، وصحو المهلهل والخليفة من حماة شرق تكاتل معه بما يليق به من ولاء ، ومن ضل عن الحق ، أو كان غادرا ، أو به غل ، أو حقد فمالنا ولهؤلاء ، لقد ألفت عيونهم الظلام ، فبهرهم نور اليقين فأعماهم . ثم يلتفت إليهم : أما لكم فى أن تعودوا ، فتلك ساحة الإسلام ، وأنتم ملتقى سهام الغرب ؟ فإلام التفرق والنوم ؟ وما لكم بُدٌّ من قوة التكتل ، ووثبة الحق ؟ أتطلبون المعالى ، وأنتم نيام ؟ يقول فى قصيدته (ضيف أمير المؤمنين) :

رضى المسلمون والإسلام
فرع عثمان دم فداك الدوام
أمة (الترك) و (العراق) وأهلو
هُ و (لبنان) والربى والخيام
عالم لم يكن لينظم لولا
أنك السلم وسطه والوئام

---

(١) ابى (شوقى) : ٢٤ .

(٢) الشوقيات : ١/ ٩١ - ٩٢ .

للدكتور محمد سلامه صالح

أيقولون سكرة لن تجلى
وقعود مع الهوى وقيام
ليذوقن (للمهلل) صحوا
تشرف الكأس عنده والمدام
وضع الشرق فى يديك يديه
وأتت من حماته الأقسام
بالولاء الذى تريد الأيادى
والولاء الذى يريد المقام
غير عاد أو خائن أو حسود
برئت من أولئك الأحلام
كيف تُهتدى لما تشيد عيون
فى الثرى ملؤها حصى ورغام
مقل عانت الظلام طويلا
فعماها فى أن يزول الظلام
قد تعيش النفوس فى الضيم حتى
لترى الضيم أنها لا تضام
أيها النافرون عودوا إلينا
ولجوا الباب إنه الإسلام
غرض أنتم وفى الدهر سهم
يوم لا تدفع السهام السهام
نِمْتُمُ ثم تطلبون المعالى
والمعالى على النيام حرام[٢]

٢ ـ فإذا كان عام ١٩٠٥ ، وقد سلم الخليفة من قذيفة كادت تودى به خف الشاعر مهنئا ، أليس الخليفة أمير المؤمنين ، وفى حياته حياة للدين والأمة ؟! إذن ففى نجاته لهما نجاة ! (فالكعبة) ، و (عرفات) والمساجد تكاد تسعى شاكرة ربها ، هاتفة ، خاشعة ، مستغفرة ! وكيف لا ؟!! المسلمين ملك لولاك ؟ وهل من يجمع شملهم عداك ؟!

فتلك أمة نجت بنجاتك ، وذاك دين امتد بحياتك ، فصين جلاله ، وحُفِظَتْ قوته ، وعم الأمان ربوعه ، يقول تحت عنوان (نجاة) :

هنيئا أمير المؤمنين فإنما
نجاتك للدين الحنيف نجاةُ
هنيئا (لطه) والكتاب وأمة
بقاؤك ابقاء لها وحياة

يكاد يسير (البيت) شكرا لربه
إليك ويسعى هاتفا (عرفات)
وتستوهب الصفح المساجد خشعا
وتبسط راح التوبة الجمعات

فلولاك مُلْكُ المسلمين مضيَّع
ولولاك شملُ المسلمين شتاتُ

نجت أمه لما نجوت ودُوركت
بلاد وطالت للسرير حياة
وصين جلالُ الملك وامتدَّ عزّه
ودام عليه الحسنُ والحسنات
وأمِّنَ فى شرق البلاد وغربها
يتامى على أقواتهم وعفاة

←

(٢) نشرتها الأهرام فى ١١ أغسطس ١٩٨٣ ، ونشرت بالشوقيات القديمة ، وبالطبعة الثانية وبالديوان ١/٥٣٦ ، ٥٤٠ .

سلامى عن هذا المقام مقصر
عليك سلام (الله) والبركات[٤]

٣ ـ ومن أبرز أهداف الجامعة الإسلامية ضرورة تدعيم قواعد الحكم على أسس الشورى تطبيقا لمبادىء الإسلام ، لكن السلطان (عبد الحميد) كمَّمَ أنفاس الدستور ، وأخذ يعبث فى الحكم وفق هواه ، منذ عام ١٨٧٧ ، وإذا رجال الفكر ، والإصلاح ما بين مقيم أخذ بمحكم الرقابة ، أو مشرد لاذ بالهجرة إلى أن استبدت بالأحرار نوازع الحرية ، فخفت جيوشهم بقيادة (أنور) و (نيازى) زاحفة إلى السلطان المستبد مزمجرة بغضبة الحق لانتزاع الدستور ، وما أن علم السلطان بذلك حتى استجاب ـ مأخوذا بالثورة العسكرية ـ فأعلن الدستور : (الذى كان من أعز رغباته) فى الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٨[٥] :

فعمت البشرى مختلف بلدان الأمة الإسلامية ، وانطلقت الأقلام معربة عن مظاهر البهجة فى نفوس أبنائها نقرأ فى وصف ذلك للأستاذ (أنيس الخورى المقدسى) قوله : (وباعلان الدستور سرت فى نفوس العثمانيين عموما وأبناء العربية خصوصا نشوة حبور لم يعهد لها مثيل ، فعقدوا الحفلات الباهرة فى (الوطن) ، وفى (المهجر) وانبرى خطباؤهم ، وشعراؤهم يشيدون بحسنات الانقلاب ، وأعمال القائمين به ولا نبالغ إذا قلنا : إنه ما من حدث حرك الأقلام العربية كهذا الحدث العظيم . فقولنا قول من شهد بعينه تلك الحال ، وعرف باختياره شعور الناس ، وشاركهم فى غبطتهم العامة ، وآمالهم الواسعة)[٦] : و (مصر) المستقلة سياسيا عن (تركيا) عدا صلتها الروحية بالخلافة الإسلامية لم تكن أدنى من غيرها اعرابا عن مشاعرها ، فقد نهضت تقاسم الأمة بهجتها ، إذ كانت تنشد حكما نيابيا ، فأنست بالدستور العثمانى ، واطمأنت إليه ، ومضت تفصح عن رغبتها تلك يقول الأستاذ (أحمد لطفى السيد) مخاطبا الجماهير فى عام ١٩٠٨ م

(أيها السادة : نحن على ذلك نستقبل هذا الدستور بالفرح الذى يستقبله به جميع اخواننا العثمانيين ، لأنه بشرى للدستور فى (مصر) فإن من شأنه أن يشحذ عزائمنا ، ويقوى أصواتنا فى طلب الدستور ، من شأنه أن يجعل الذين ينكرون علينا القول بسلطة الأمة ، لا يجدون عن الاتفاق معنا فى الرأى محيصا . ذلك كل ما يسبب فرحتنا بالدستور العثمانى ، وما هو بالشىء القليل)[٧]

(٤). الشوقيات ١/٨٨ ـ ٩٣ ـ والديوان ١/٤٣٢ ـ ٤٣٧ .
(٥). راجع (كمال أتاتورك : ٥٨ ـ ٦٠ ، وانظر يقظة العرب : ١٠٧ .
(٦). الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ٤٤ ـ ٤٥ ، والعوامل الفعالة فى الأدب العربى الحديث .
(٧). صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى (مصر) : ٣٦

وهاهو ذا (شوقى) يستجيب لأهداف الجامعة الإسلامية بتدعيم الحكم الشورى ، فيعبر فى قصيدته المسماة بـ « الدستور العثمانى » مهللا يزف البشرى للجميع ، شاكرا للخليفة جليل نعماه بتثبيت شورى (الله) مكبرا فيه استجابته لمطالب الجيش ، دون اراقة دم ، وفى التفاتته إلى الأمة مهنئا فى نهاية قصيدته ما تفوته الاشادة ببطلى الدستور (أنور) و (نيازى) ملمعا بحاجة (مصر) إلى حكم دستورى :

بشرى البرية قاصيها ودانيها
حاط الخلافة بالدستور حاميها

أسدى إليا (أمير المؤمنين) يداً
جلَّت كما جلَّ فى الاملاك مُسديها

بيضاء ما شابها للأبرياء دم
ولا تكدر بالآثام صافيها

وإنما هى شورى (الله) جاء بها
كتابه الحقُّ يُعليها ويُغليها

حقنت عند مناداة الجيوش بها
دم البرية ارضاءً لباريها

ولو منعت أريقت للعباد دماً
وطاح من مهج الأجناد غاليها

أما ترى الملُك فى عرس وفى فرح
بدولة الرأى والشُّورى وأهليها

ياشعب (عثمان) تركٍ ومن عربٍ
حياك من يبعث الموتى ويحييها

صبرت للحقِّ حين النفسُ حازعة
و (الله) بالصبر عند الحقِّ موصيها

نلت الذى لم ينله بالقنا أحد
فاهتف (لأنورها) وأحمد (نيازيها)

ما بين آمالها اللاتى ظفرت بها
وبين (مصر) معان أنت تدريها[8]

٤ ـ وما تساور السلطان هواتف الحكم الفردى ، فيتآمر من جديد على الدستور حتى تنحسر عنه أيدى الثوار ، وقد أسلموه إلى غياهب النفى فى (سالونيك) ومن هناك سمع اطلاق المدافع معلنة خلعه فى السابع والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٠٩ م ، وتنصيب أخيه الأمير (رشاد) الذى سُمِّى بالسلطان (محمد الخامس) »[9] .

فما موقف (شوقى) حينئذ ، وقد بات السلطان مخلوعا ؟

لقد تعاطف معه فى أول الأمر ، ورثى لنهايته ، وأسِيَ لقصره ، ونسائه ولم ينس منزلته كعاهل كبير ، فاستغفر (الله) له ، وصانه عن الشماتة ، والنيل منه ، ففى قصيدته (الانقلاب العثمانى ، وسقوط « السلطان عبد الحميد ») .

نصغى إلى قوله :

خطب الإمام على النظيم يعز شرحا والنثير
شيخ الملوك وإن تضعضع فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى له
و « الله » يعفو عن كثير
ونراه عند مُصابه
أولى ببباك أو عَذير
ونصونه ونجله
بين الشماتة والنكير[10]

---

(٨) الشوقيات : ٣٥٨/١ ـ ٣٦٢ ، وديوان (شوقى) ٤١٢/١ ـ ٤١٦ .
(٩)ـ راجع (كمال اتاتورك) : ٦٢ ـ ٦٣ ، وانظر يقظة العرب : ١١١ ـ ١١٢ .
(١٠) الشوقيات ١٢٨/١ ، وديوان (شوقى) : ٣٤٣/١ .

مما حدا (بولى الدين يكن) إلى معارضته لقصيدة على نفس البحر والروى منها قوله : لما أديل عن السرير بكاه عباد السرير[(١١)].

فما سر هذا التعاطف من (شوقى) ، وما سبب هذا اللين ؟

إنه لم ينس فضل (عبد الحميد) ، وولاءه له ، ولم ينس أن المصريين كانوا يتعاطفون مع السلطان المخلوع ، لأنهم لم يذوقوا من حكمه ما ذاقه أعوانهم فى الأقطار الأخرى ، ولأنهم كانوا محتلين ، وطالما أشادوا بالخليفة ، فليس من السهل أن يتحولوا فجأة فيحطوا من شأنه أمام المحتلين ، ومهما يكن من شأن (عبد الحميد) ، فهو أقرب إلى قلوبهم ودينهم من هؤلاء الأجانب .

هذه اعتبارات ثانوية على كل حال بالنسبة (لشوقى) ، أما الاعتبار الأساسى ، فهو إيمانه بأهمية الخلافة للمسلمين ، وإعلاء شأن الدستور ، واقامة نظام الشورى ، ويتضح هذا من موقفه مع السلطان (عبد الحميد) حين ينتهى إلى الحديث عن الدستور ، فإن نبرته تتغير معه إلى نبرة أخرى ، هى إلى التقريع له أقرب منها إلى الاشفاق عليه .

ويجب أن نذكر أولا ما قاله فى السلطان (عبد الحميد) فى قصيدته التى هَنَّأَهُ فيها بالدستور ، إنه يقول له :

ومن يسس دُولةً قد سستها زمناً
تهنْ عليه من الدنيا عواديها

أتى ثلاثون حولا لم تذقْ سنةً
ولا استخفك للذات داعيها[(١٢)]

مُسَهَّد الجفن مكدود الفؤاد بما
يُضْنِى القلوب شجىَّ النفس عانيها

فالسلطان (عبد الحميد) يحكم ثلاثين عاما لا يستبد به هوى شخصى ، وإنما يضحى براحته فى سبيل شعبه ، ولا يذوق النوم سهرا على راحته لكن (شوقى) يلتفت هنا إلى السلطان بعد خلعه بلوم لا يخلو من مرارة ، فيقول ، سُدْت فترة حكمك ، وليست بالقصيرة ، مستبدا برأيك ، متحكما فى الكبير والصغير من رعيتك ، وفى مهام شئون خلافتك ، فما أصغيت لمشير ، وفى وزرائك ، وبين رجال حكمك من جاوز العد ، ممن وترت ظهورهم خضوعا لك .

لقد صبروا على استبداد حكمك ثلاثين عاما ، فما بالك حين نزلت على ارادتهم باعلان الشورى ضقت بها ذرعا ، ولم تمض بعد شهور ؟ أآذتك شوراهم ، فعطفتك شهوة استبداد (المنصور) أو حفيده (هارون) وذا زمن مضى أمره فقد اشتد منهم الحرص على انتزاع حق سليب ، واستبدلت بك نوازع الحق المطلق ومالك من حَق ، والحق معهم !! فليتك استجبت لهم خفيا بالدستور ، مبتهجا به ، فهو للعاقل الرشيد من الملوك حلية ، ولمن يعوزه منهم حسن تدبير الأمور عصمة ، وهو ما أقيم مصدر خير وبركة للممالك والملوك .

(١١) المعلوم والمجهول (لولى الدين يكن) : ٢/٥ (م المعارف سنة ١٩٦١ م) ، وانظر موازنة وتحليل بين (شوقى) و (ولى الدين يكن) ـ سقوط (عبد الحميد) للدكتور (محمد رجب البيومى) ـ الرسالة ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وانظر أيضاً ـ فى الأدب الحديث : ٢ : ١٤٩ ، وانظر كذلك (شوقى) شعره الإسلامى ١٧٢

(١٢) الشوقيات ١/٣٥٩ ، وديوان (شوقى) : ١/٤١٣ ـ ٤١٤ .

لتلك المعانى نصغى من قصيدته (الانقلاب العثمانى) إلى قوله :

(عبد الحميد) حساب مثلك فى يد الملك الغفور
سُدتَ الثلاثين الطوا
لَ وَلَسْن بالحكم القصير
تنهى وتأمر مابدا
لك فى الكبير وفى الصغير
لا تستشير وفى الحمى
عدد الكواكب من مُشير
كم سبحوا لك فى الروا
ح وألْهوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجدا
كسجود (موسى) فى الحضور
خفضوا الرءوس ووتروا
بالذل أقواس الظهور

صبروا لدولتك السنيـ
ـنَ وما صبرت سوى شهور
أوذيت من دستورهم
وحننت للحكم العسير
وغضبت (كالمنصور) أو
(هارون) فى خالى العصور
ضنوا بضائع حقهم
وضننت بالدنيا الغرور
هلا احتفظت به احتفا
ظ مرحب فرح قرير
هو حلية الملك الرشيد وعصمة الملك الغرير
وبه يبارك فى المما
لك والملوك على الدهور

ألا يبدو لنا الآن أن (شوقى) يعود فيشفى من السلطان ، ويذكر أن لثلاثين عاما التى حكمها كانت استبدادا بالأمة ، واستئثارا بالحكم ، واهدارا للشورى وظلما صبر عليه الشعب بينما هو لم يصبر على الدستور بضعة شهور ؟!!

فبماذا نفسر هذا التناقض ؟ كيف يصبح (عبد الحميد) المضحى براحته وهواه فى سبيل راحة شعبه وسعادته أنانيا مستبدا مهدراً لعقول الأفذاذ من المستشارين ، ولكرامة هذا الشعب وحريته ؟!!

إن هذا الموقف الذى يبدو متناقضا يؤكد ما قلناه من قبل : من أن (شوقى) إنما كان يدين بالمبادىء قبل كل شىء لا بالأشخاص ، فحين كان يمدح (عبد الحميد) ، ويشيد بحكمه ، إنما كان يتغاضى عن أخطائه فى سبيل ابقائه على نظام الخلافة ، والدستور ، فلما تنكر (عبد الحميد) للدستور وخلع ، وجه إليه (شوقى) هذا العتاب المتشفى المرير .

ولعل موقف الشاعر فى نفس القصيدة يوضح ما ذهبت إليه ، فهو ينتهى من اطراء حركة الجيش لينسل فى ذكاء إلى (الخليفة الجديد) فيستقبله محييا عاقدا عليه آمال المسلمين فى بعث الدستور فيقول :
المؤمنون (بمصر) يهدون السلام إلى الأمير
ويبايعونك يا(محمدُ) فى الضمائر والصدور

قد أملوا لهلالهم
حظ الأهلة فى المسير

فابلغ به أوج الكما
ل بقوة (الله) النصير

بشرى الإمام (محمد)
بخلافة (الله) القدير

بشرى الخلافة بالإما
م العادل النَّزه الجدير

البـاعـث الـدسـتـور فى الآ
اسـلام من حفر القبـول[١٤]

يقول (شكيب أرسلان) :

(إن (شوقى) وإن كان أودع خطابه للسلطان (عبد الحميد) ما أودعه من اللوم فى القالب الجميل لم ينس ولاءه للخليفة السابق الذى طالما تغنى بمدائحه ، فأشار بوجوب توقيره ، وحفظ كرامته ، وتذكر امامته ، والاغضاء عن سيئاته ، متروكا حسابه إلى (الله) الذى سيفصل فيه ومازال (شوقى) ـ يوصى بالسلطان (عبد الحميد) فى شخصه إلى الآخر ، ولكن (شوقى) لم يكن يهمه السلطان (عبد الحميد) لأجل شخصية ، بل لأجل منصب الخلافة الذى كان يتقلده ، وهو منصب تهوى إليه أفئدة جميع المسلمين . وهذا المنصب لا يزول بزوال (عبد الحميد) بل قد شغله الآن أخوه السلطان (محمد رشاد) الذى بويع سلطانا وخليفة باسم (محمد الخامس) .

فالشاعر الإسلامى الأمين عملا بمبدئه الذى لا يحيد عنه يودع السلف ويحيّى الخلف ، لأن الخلافة يجب أن تبقى ...)[١٥] .

والخلافة رمز للأمة ، وملتقى يجمعها ، ومن عاش للأمة ، وأخلص لها ، فهو مناط اعجاب الشاعر وتقديره ، خليفة أو غير خليفة ، ومن الترك أو العرب فقد عرف (شوقى) بميله للأتراك ، وتعصبه لهم ، وما كان ذلك منه إلا حبا فى الدين ، وحرصا على تماسك الأمة ، فإن بدا منهم جنوح إلى نعرة التعصب التركى ، ولمس الشاعر فيهم ذلك تغيرت أوتار قيثارته ووقفنا منه على لحن جديد .

٥ ـ كان (شوقى) عربيا مسلما قبل كل شىء ، مهما يكن من ولائه للأتراك وخلفائهم ، فإذا وضع موضع الاختبار والاختيار وقف إلى جانب العرب والإسلام .

حين تبين للعرب بعد بهجتهم بالدستور العثمانى ، واندماجهم مع الاتحاديين أنهم يَدْعون إلى قوميتهم التركية ـ شرعوا بدورهم فى إنشاء جمعيات عربية دفاعا عنهم ، وتعزيزا لشأنهم[١٦] .

وكان لبعض شعراء العرب ، وأدبائهم مواقف خالدة فى مواجهة هذه النزعة التركية ، كموقف الشاعر السورى (عبد الحميد الرافعى) الذى بدا له من الاتحاديين نزوع إلى التعصب التركى ، حتى تنكروا لأسماء كبار العرب والصحابة ، وهموا بتنقيح اللغة التركية من الكلمات العربية وعندئذ ـ انبرى (عبد الحميد الرافعى) بالثورة على الاتحاديين ، بنظم عدة قصائد منها قوله :

مـا تصلـح الـدنيـا ولا نـاسُـهـا
مـا لـم يـل الأقـوام أجنـاسـهـا
هبـوا بنـى العُـرب إلامَ الكـرى
وقـد وهـى الآمـال دُهـاسُـهـا
طلبتـم الاصـلاح مـن عصبـةٍ
تـوتـر بـالإفسـاد أقـواسهـا[١٧]

وحين أقيم للأستاذ (الرافعى) حفل تكريم فى (طرابلس الشام) تحت رياسة (رئيس الجمهورية

١٤ ـ الشوقيات : ١/١٣٦ ـ ١٤١ ، وديوان (شوقى) : ١/٣٤١ ـ ٣٤٧ .
١٥ ـ (شوقى) أو صداقة أربعين سنة : ٢٩٠ ـ ٢٩١ .
١٦ ـ راجع الثورة العربية الكبرى : ١/٦ ـ ١٢ و ١٤ ـ ٥٠ ، وأنظر الاتجاهات الأدبية : ١٢٣ وما بعدها ، والعوامل الفعالة فى الأدب العربى الحديث : ٥٩ .
١٧ ـ راجع ما نشر فى (المقتبس) عن الحركات العربية المنظمة ، وأثرها الأدبى فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ م ، وانظر الاتجاهات الأدبية : ١١٧ ـ ١٢٧ .

اللبنانية) شارك (شوقى) فيه بقصيدة أيد فيها موقفه العربى المخلص ، وأشاد بمجد الأمة العربية ، وأعلامها الأبطال .

وفى هذا ما يدل على أن حب (شوقى) للعرب ، والمسلمين كان فى المقام الأول قبل حبه للأتراك يقول (شوقى) فى « تكريم عبد الحميد الرافعى » :

أعرنى النجم أوهب لى يراعا
يزيد الرافعيين ارتفاعا
بنو الشرق الكرام الوارثوه
خلال البر والشرف البقاعا
فلم تر (مصر) أصدق من (أمين)
ولا أوفى إذا رِيعَتْ دفاعا
فتى لم يعط مِقوده زمانا
شرى الأحرار بالدنيا وباعا
كأنك بالقبائل فى عكاظ
تجاذبت المنابر والتلاعا(١٨)
بنت ملكا من الفصحى وشادت
بوحدتها الحياة والاجتماعا
فعادت أمة عجبا وكانت
رعاة الشاء والبدو الشعاعا
كسا جنباتك الماضى جلالا
وراق عليه ميسمه وراعا
وما من « أمس » للأقوام بد
وإن ظنوا عن الماضى انقطاعا
ألم تسقى الجهاد وتطعميه
وتحمى ظهره حقبا تباعا
شراعك فى الفنيقيين جلَّى
وذكرك فى الصليبيين شاعا
كأنى بالسفن غدت وراحت
حيالك تحمل العلم المطاعا
(صلاح الدين) يرسلها رياحا
وآونة يصفقها قلاعا
أليس البحر كان لنا غديرا
وكانت فلكنا البجع الرتاعا
غمرنا بالحضارة ساحليه
فما عيّا بحائطها اضطلاعا(١٩)
توارثناه أبلج عبقريا
ذلول المتن منبسطا وساعا
ترى حافاته انفجرت عيونا
ورقّت من جوانبه ضياعا(٢٠)

وقد وضح مما سلفت دراسته أن نزعة (شوقى) فى مؤازرة حركة الجامعة الإسلامية كانت استجابة لأهداف دينية ترمى إلى وحدة الأمة واستقلالها ، وتؤكد لها حياة نيابية على أساس شورى قويم ، مستمد من تعاليم ديننا الإسلامى .

وما كانت اشادته بسلاطين الأتراك استجابة لِدَم تركى ، بل تأكيداً لنزعته الدينية ، حبا فى (الله) ، وأملا فى الإصلاح قبل كل شىء ، فهو تركى الهوى وأخلص الأتراك لمبادىء الدين ، وأهداف الأمة ، وإن حادوا عن اخلاصهم ، فأعرضوا عن الشورى ، أو تنكروا للأمة بدافع من حمق التعصب التركى ، فالعرب لا الأتراك ، هم أعلام الإسلام ، وأبطال الجهاد ، وبناة الحضارة .

وهو فى كل مواقفه تلك معبر عن مشاعر الأمة الإسلامية والمصرية بصفة خاصة ، وترجمان مبادئها ونزعاتها .

---

١٨ ـ التلاع : جمع : (تَلْعة) وهى : ما ارتفع من الأرض .
١٩ ـ الوساع من الخيل : الجواد ، أو الواسع الخطو والزرع .
٢٠ ـ نشرت (بالأهرام) فى ١١ أبريل سنة ١٩٤٩ ، ثم الشوقيات المجهولة : ٢١٩/٢ ـ ٢٢٢ .

أنباء وآراء

ألف شخص يعتنقون الاسلام

اعتنق ألف شخص من قبيلة « اقير » بأعالى النيل الاسلام بينهم عمدة وخمسة عشر وكيلاً له نتيجة الجهود المكثفة وأسلوب الدعوة الذى انتهجه العاملون ببعثة « منظمة الدعوة الإسلامية » . وكانت القبيلة قد نزحت من منطقة « ملوط » نتيجة الهجمات المتكررة التى شنها المتمردون على قراهم . وقد أعلنوا أنهم اعتنقوا الاسلام بعد أن أوضح لهم أعضاء البعثة عظمة الاسلام ومبادئه .

وقبيلة الدينكا أيضا :

شهر ٢٠٠ شخص من أفراد قبيلة الدينكا أكبر القبائل بجنوب السودان إسلامهم فى مدينة « كوستى » جنوب العاصمة السودانية .

أكبر هجرة لليهود من إيران إلى إسرائيل

ذكرت مجلة « بروفيل » النمساوية أن أكبر موجة لهجرة اليهود من إيران إلى إسرائيل منذ عام ١٩٧٩ تمت منذ بضعة أسابيع وأشارت الصحيفة إلى أن مئات اليهود موجودن حاليا فى أسطنبول وأثينا وروما وفرانكفورت تمهيدا لنقلهم إلى تل أبيب .

وأوضحت المجلة أن النظام الإيرانى يسهل حاليا عملية هجرة اليهود مقابل حصوله على معدات عسكرية إسرائيلية .

تعزيز التعاون بين الدول الإسلامية فى المجال التكنولوجى

وافقت اللجنة الدائمة لمنظمة المؤتمر الاسلامى للتعاون الفنى والعلمى على اقتراح يقضى بتعزيز وتكثيف التعاون بين الدول الاسلامية فى مجال التكنولوجيا المتقدمة ويتضمن الاقتراح ـ الذى تقدمت به تركيا فى اجتماعات اللجنة بإسلام اباد ـ إقامة وكالة للأنشطة البحثية للدول الاسلامية ووافقت اللجنة من حيث المبدأ على الاقتراح الأردنى الخاص بإقامة بنك للتنمية الاسلامية يقدم الخدمات الاسلامية ويكون مقره « جده » لجمع ومقارنة ونشر المعلومات والبيانات المتعلقة بالتجارة والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا وتداولها فى الدول الاسلامية كما رحبت اللجنة بإنشاء الأكاديمية الاسلامية للعلوم والرابطة الاسلامية للمعاهد للدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى .

الاسلام والأطفال فى مؤتمر آسيوى

أكدت الوفود الاسلامية التى اشتركت فى مؤتمر جنوب آسيا حول الأطفال أن

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

الإسلام يعتبر الأطفال أفضل رأس مال إنسانى ، وأن انفاق أية أموال لتحسين صحتهم وتنمية قدراتهم هو واجب أولى ، وقالت الوفود الاسلامية التى تحدثت فى المؤتمر إن تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام تؤكد أن أحسن مايفعله الأب هو تربية أبنائه تربية صالحة وعقد المؤتمر الذى استمر عدة أيام فى العاصمة الهندية « نيودلهى » .

كتاب جديد عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى

يبلغ عدد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى فى الوقت الحالى حوالى ٥٠ مليون مسلم وقد صدرت عن أوضاع مسلمى الاتحاد السوفيتى فى السنوات الأخيرة مجموعة كبيرة من الكتب آخرها صدر فى لندن بعنوان « المسلمون فى الامبراطورية السوفيتية » وهو من تأليف الكسندر بيتحسين وسندز ويمبوش . ويناقش الجزء الأول من الكتاب خلفية تاريخية عن دخول الاسلام المناطق الجنوبية من الاتحاد السوفيتى وأوضاع المسلمين حاليا وقياداتهم الدينية والإصدارات التى تنشر فى هذه المناطق وعدد المساجد ويتضمن الجزء الثانى سجلا للمجموعات الاسلامية وحجم كل منها ومنطقة تركزها وغير ذلك من المعلومات .

شركة إسلامية بين الصين ومصر

تم رسميا إنشاء شركة « فينفشيا فيصل » الاسلامية للاستثمار الدولى التى تنظمها شركة الاستثمار والائتمان الدولية بمنطقة فينفشيا فى الصين وبنك فيصل الاسلامى المصرى تقدم كل من الشركتين المصرية والصينية ٥٠٪ من رأسمال الشركة المشتركة ، ويبلغ رأسمالها المسجل ١٢٠ مليون دولار أمريكى وسيقدم الجانبان ٤٠ مليون دولارا فى المرحلة الأولى ومدة التعاون بينهما ٥٠ سنة وتشمل مهمات هذه الشركة الاستثمار فى مجالات الصناعة والزراعة والعقارات والتجارة وقبول الودائع المالية الكبيرة وتوقيع عقود الضمان وإصدار السندات والتأمين وتطبق الشركة فى أعمالها مبادىء الاسلام الاقتصادية .

المسلمون فى أمريكا الشمالية

دعا الدكتور خالد بن سعيد أستاذ العلوم السياسية فى جامعة كوينز الكندية الجمعية الاسلامية لأمريكا الشمالية إلى تشكيل لجنة لدراسة العملية السياسية فى الولايات المتحدة وكندا حتى يمكن معرفة كيف يمكن للمسلمين فيهما التعاون لحماية مصالحهم وكيف يمكن تجميع الخبراء المسلمين المتناثرين فى البلدين للعمل من أجل رفاهية المسلمين وقال : إن المسلمين فى أمريكا الشمالية يجب أن ينظموا

أنفسهم على المستوى المحلى ومستوى المقاطعات والمستوى الوطنى وكذلك الدولى وقال : إن عليهم أن يحققوا لأنفسهم قوة اقتصادية ووضعا سياسيا وأن ينشئوا مؤسسات خاصة بهم ابتداء من المدارس والمكتبات وحتى دور الصحف والمجلات وقال : إن الطريق إلى ذلك هو إنشاء تنظيمات محلية اسلامية وأضاف : أن المسلمين فى أمريكا الشمالية لا تنقصهم الموارد البشرية أو المادية أو الخبرة والمهارة وما ينقصهم فقط هو التصميم على العمل معاً .

مؤتمر دولى يطالب بإنشاء مؤسسة للسيرة والسنة فى باكستان

أوصى المؤتمر الدولى الخاص بالمرأة الذى اختتم أعماله مؤخراً فى « إسلام اباد » عاصمة باكستان بإنشاء مؤسسة للسيرة والسنة فى باكستان تكون لها فروع فى مختلف الأقاليم والمدن . ويناط بهذه المؤسسة عقد الدورات الدراسية والمؤتمرات والندوات والمسابقات فى مجال السيرة النبوية الشريفة مما يمكن النساء فى باكستان من دراسة حياة الرسول ﷺ والقيام بدورهن فى إقامة مجتمع اسلامى حقيقى .

وقد حضر هذا المؤتمر وفود نسائية من مصر وتركيا والمغرب والسودان وسرى لانكا وألمانيا الغربية .

مؤتمر الشريعة والقضايا الطبية المعاصرة

تشير الأنباء إلى أن هناك عشرين دولة وستا وخمسين جامعة ومركزا اسلاميا سوف يحضرون المؤتمر الدولى الذى يعقد بالقاهرة عن الشريعة الاسلامية وقضايا الطب المعاصر ويشارك فيه الأزهر الشريف .

التحذير من حملات التشكيك

حذر الدكتور فؤاد فخر الدين مدير الأكاديمية العربية بأندونسيا من حملات التشكيك التى تمارس ضد المسلمين فى أندونسيا بشكل خاص ودول جنوب شرق آسيا بشكل عام .

وقال : إن القضايا الاسلامية تواجه من خصوم الاسلام بإثارة الشبهات والتعتيم المقصود ودفع المسلمين إلى الإنشغال بالقضايا السطحية التافهة . وقال : إن أندونسيا بلد **المائة والعشرين مليون مسلم** تفتقر إلى مؤسسات تعليمية ضخمة تقوم على تعريف المسلمين بكلمة الاسلام وتعليم المسلمين أصول اللغة العربية السليمة فى الوقت الذى ينشر فيه الخصوم لغتهم وثقافتهم .

الرئيس مبارك يفتتح المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية

● يعقد فى القاهرة ـ بإذن الله ـ المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية وذلك فى الفترة ٨ ـ ١٣ مارس المقبل ومن المقرر أن يفتتح الرئيس مبارك أعمال المؤتمر فى الجلسة الافتتاحية ، وسوف تعقد جلسات المؤتمر بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ويتولى أعمال المؤتمر والإشراف عليه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية وتعقد حالياً اللجان التحضيرية للمؤتمر وذلك بالمركز العام للشبان المسلمين برئاسة الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى نائب رئيس جامعة القاهرة وأمانة سر الأستاذ جمال خشبة الأمين العام للمركز وسوف يكون المؤتمر تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك .

افتتاح أول معهد

لأمراض الكبد فى مصر

● تم افتتاح أول معهد متخصص لأمراض الكبد فى الشرق الأوسط بكلية طب المنوفية فى مدينة شبين الكوم تكلف المعهد ٣ ملايين جنيه وهو مزود بثلاث وحدات موجات فوق الصوتية ووحدة مناظير .

صرح الدكتور يأسين عبد الغفار المشرف على المعهد أنه تم اختيار المنوفية لإنشاء المعهد بها لتوسطها دلتا مصر حيث تنتشر الإصابة بأمراض الكبد فى الريف المصرى كما أن خدمات المعهد ستمتد إلى الدول العربية وتدريب الأطباء على أمراض الكبد ودراسة هذه الأمراض علمياً وإحصائياً والتنسيق مع الوحدات التى سيتم إنشاؤها قريباً بكل محافظات مصر .

ومن ناحية أخرى تبدأ بالقاهرة يوم ١٤ مارس القادم دورة تدريبية دولية حول أمراض الكبد تشترك فيها وفود من فرنسا وألمانيا وأمريكا وانجلترا واليونان والسودان وقطر والبحرين والكويت والعراق واليمن والسعودية والمغرب وتونس ومصر .

« اكتشاف مسجد بكينيا »

● فى أحدث دليل على سرعة انتشار الإسلام فى أفريقيا أعلنت السلطات الكينية أن علماء الحفريات انتشلوا بقايا مسجد أقيم منذ ألف عام على ساحل كينيا فى شرق أفريقيا والكشف الجديد عبارة عن مبنى مربع الشكل ذى أساسات من الحجر فى جزيرة [بات] التى تسكنها جالية صغيرة من التجار بالقرب من الحدود مع الصومال .

حركة ترقيات بالأزهر تشمل ٣٠٠ مدرس

● بحثت إدارة المعاهد الأزهرية اعتماد حركة ترقيات ونقل وتثبيت بعض العاملين فى حقل التعليم الابتدائى الأزهرى وتشمل هذه الحركة ثلاثمائة ما بين مدير مرحلة وشيخ معهد ومدرسين أوائل ومدرسين .

الاحتفال بتخريج الدورة الرابعة

من دعاة العالم الاسلامى

● تم الاحتفال بتخريج ثمانين عالماً وداعية من ٧ دول هى : السودان والصومال ونيجيريا وبنجلاديش والمغرب وزائير وغانا وقد تلقى هؤلاء الدعاة محاضرات استمرت شهرين بمدينة البعوث الإسلامية فى الاستشراق والتبشير والخطابة والحديث والتفسير وقد شارك فى هذه المحاضرات أساتذة متخصصون من جامعة الأزهر وكبار المفكرين الإسلاميين .

وصرح الدكتور عبد الودود شلبى الأمين

العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر التى تنظم هذه الدورات بأن الغرض منها تبصير علماء وقيادات الدعوة فى الدول الإسلامية ومحاربة القيادات المنحرفة كالقاديانية والبهائية والتنصير . وأضاف الأمين العام قائلاً أن الدورات تتم بالتناوب بين الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقيا وبعض الدول الأوروبية وأنها شملت حتى الآن أكثر من مائتى داعية .

هذا وقد شمل برنامج الدورة رحلات ترفيهية للمعالم الأثرية الإسلامية بالقاهرة والمحافظات .

نجاح أول عملية جراحية لسد ثقبين فى قلب طفلة عمرها ثلاث سنوات !

● نجح فريق من الأطباء المصريين فى إجراء أول عملية جراحية من نوعها فى مصر فى قلب طفلة عمرها ثلاثة أعوام حيث قام فريق الأطباء المصرى بإغلاق ثقب بين البطينين وثقب آخر فى الأذين وأهمية هذه الجراحة ترجع لصغر عمر المريضة وتدهور صحتها لدرجة جعلت من التدخل الجراحى ضرورة لإنقاذ حياة الطفلة وقد استغرقت العملية ٦ ساعات كاملة وقد نجحت العملية وتعيش الطفلة مروة حياة سعيدة .

من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

بيان من شيخ الأزهر :

حول الاعتداء على أفغانستان !
على المسلمين فى جميع أنحاء العالم
مساندة جهاد شعب أفغانستان

ما زال أعداء الإسلام يبيتون لأبنائه بليل ، وما زالت الأقليات المسلمة فى أماكن عديدة من العالم يعانون من تسلط غير المسلمين عليهم ، وما زال المسلمون يعتدى عليهم فى داخل ديارهم وأوطانهم وتخترق حدودهم ، وما زالت وسائل الاعلام تطالعنا كل يوم بالمزيد من هذه الاعتداءات ، ومازالت الأمة الإسلامية لاهية عما يحاك لها .. تصطلى بنار فرقتها ، وتمكن لأعدائها منها بتشرذمها ، وتذوق وبال أمرها .

وهذا الشعب الأفغانى المسلم ، وقد ديست أرضه فى مثل هذا اليوم ، ولم تحترم سيادته ، فقد تسلط عليه أعداؤه ، يسفكون دماء شبابه ، ويسلبونه أغلى حرماته ، لا لذنب ارتكبه ، ولا لاثم اقترفه سوى أنه يعتز بدينه ، ويغار على كرامته ، وينادى بحريته ، فكان مصير الضعفاء منه أن شردوا وصاروا يعيشون عيش الغرباء .

وكان قدر الأقوياء منه أن يأووا إلى الكهوف ، ويتسلقوا الجبال ، ويفترشوا الأرض ، ويلتحفوا بالسماء ، غير آبهين بحرارة الصيف ، ولا صقيع الشتاء ، يحملون أسلحتهم ـ وما أقلها ـ ويواجهون بها جيشاً من أعتى الجيوش ، يحاولون رده وصده . يحفزهم إلى ذلك إيمانهم بربهم ، وحبهم لوطنهم ويسترخصون الموت طلباً للاستشهاد فى سبيل الله .

إن الأزهر كثيراً ما دعا المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى إلى تحمل التبعة ، والقيام بالمسئولية ، والاضطلاع بما يجب عليها نحو هذا الشعب وغيره من الشعوب المقهورة ، فتوقف المعتدى عن عدوانه ، وتعيد للمعتدى عليه حقوقه ، وتساعده على أن يكون حراً على أرضه ، آمناً فى وطنه ، يستثمر خيراته لأهله .

وما زال الأزهر يجدد ويكرر دعوته من أجل الحق والعدل والسلام .. « فهل من مجيب » .

إنه إلى أن تتحرك الضمائر لدى المنظمات الدولية تجاه المسلمين فى أفغانستان ، هناك واجب يفرضه الاسلام على أبنائه فى شتى بقاع الأرض شعوباً وحكومات ، أن يقدموا كل ما يستطيعون من عون لاخوانهم المسلمين فى أفغانستان ، ليدعموا موقفهم ، ويساندوهم فى محنتهم سواء المحاربون منهم الذين حملوا أرواحهم على أكفهم ، وصار حرصهم على الموت

من خير ماكتب

لا يقل عن حرصهم على الحياة ، وقدموا للتاريخ صوراً فذة فى البطولة والفداء . ونماذج رائعة فى الإيمان والتضحية .. فقد استمعوا لقول ربهم « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » أو أولئك الضعفاء الذين شردوا وهاجروا وتركوا ديارهم وأموالهم ولجأوا إلى ديار غير ديارهم . فراراً بحياتهم ، وطلباً لأمنهم .

هؤلاء وهؤلاء أعضاء فى الجسد الاسلامى والصرح الإيمانى ، الذى جاء الإسلام يؤسسه ويبنيه ، ويشيده ويعليه ، المؤمن للمؤمن فيه .. كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وامداد المحاربين بما يلزمهم ويشد من ازرهم ، والمهاجرين بما يعينهم على استئناف حياتهم فى مهجرهم من مؤن وتعليم وتثقيف ورعاية طبية ونفسية حتى يعودوا إلى بلادهم وأرضهم أصلب عوداً ، وأقوى عزيمة على النضال والكفاح ضد عدو الله وعدوهم .

إنه وقد مضت هذه السنوات الطوال والشعب الأفغانى يكافح ويواجه حرباً من عدو أهدر كل حقوق الجوار وكل الصفات الانسانية .

فإن الأزهر يدعو المجاهدين الأفغان كى يحرصوا على جمع الكلمة ، ووحدة الصف ، ونبل الغاية ، وسمو الهدف . ونظافة القصد ، معتصمين بحبل الله .. وملتزمين بأمره .. ومخلصين العمل لوجهه .. فالنتائج مرتبطة بالمقدمات .. و « إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

الدكتور/ عبد الجليل شلبى :

قرآن وسنة

مما يجب أن نعمل ونتواصى به أن يكون المرء على صلة دائمة بخالقه ، إننا لا نرى الله تعالى بأعيننا ولا نمسه بأيدينا ، ولكننا نجد آثار قدرته فى كل شىء ، حولنا وفى أنفسنا وكل شئون حياتنا ، الهواء الذى نتنفسه والطعام الذى نأكله والماء الذى نشربه ... لا نحن أنشأناه ولا ندرى شيئاً عن العمليات الكيماوية العديدة المعقدة التى تحدث له فى أجسامنا ، وإذا اختلت جزئية صغيرة فى أى من هذه العمليات شعرنا بالآلام والعجز واضطربت حياتنا ، وبجانب هذه الجوانب المادية نحن نعيش فى قبضة المقادير ، لا ندرى ماذا نكسب فى غدنا ، ولا ماذا يولد لنا من زوجاتنا ، ولا إلى أى مدى تمتد حياتنا ، ولا ، ولا . وإنما الله وحده خالقنا ومربينا على نعمه وعطائه يدبر لنا كل ذلك ، ونحن لا نملك شيئاً ولا ندرى ما يفعل بنا .

والقرآن يخاطبنا بذلك خطاباً صريحاً : « أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ » « أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » « أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ » « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ » « نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » .

سبحان الله الخالق له الجلال وله العظمة ، سبحانك يارب هذا الكون ماعبدناك حق عبادتك ولا قدرناك حق قدرك .

نحن نذكر الله وندعوه حين تمسنا الشدائد ونشعر الحاجة إلى العون ، ثم ننساه حين يعمنا الرخاء وتملأ أجسامنا العافية ، وما هكذا ينبغى أن تكون معاملاتنا لله ولا صلتنا به . « وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ » .

« وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا » الاساء ما يفعل الانسان حين يسرع بنسيان النعمة وكفران الصنيع .

وليست صلة المسلم بربه هى مجرد أداء العبادة ، فلابد أن يشمل شكر الله حسن المعاملة مع عباده ، معاونة الضعيف ومساعدة المحتاج واخلاص النصيحة للمستنصح ، وتحاشى الحقد والحسد لما يصيب الناس من نعم ، وحب الخير للآخرين كما يحبه الشخص لنفسه .

كل هذه معالم تحدد صلة المسلم بربه وتبين إلى أى مدى هو يرعى حقوق الله وتعاليم الإسلام ، ليس إنساناً من لم يقدم الخير للإنسان ، وليس شاكراً لله من لم يرع عيال الله .

الدكتور/ أحمد عمر هاشم .

سنة الرسول .. منهاج وتشريع

إن من يتدبر سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه يجدها منهاجاً واضح الملامح للحياة الراشدة .. وتشريعاً مفصلاً للعبادات والعقائد والمعاملات والأخلاق ..

ولهذا لم تتوافر همم المسلمين على نقل تراث نبي من الأنبياء أو عظيم من العظماء كما توافرت لنقل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وتقريراً وصفة في السلم وفي الحرب ، في السفر وفي الإقامة . في اليقظة وفي النوم ، في خارج بيته وفي داخله حتى كيفية غسله وحتى خصائص حياته ودقائقها ... كل ذلك نقل جميعه .. وبادق طرق النقل والتوثيق التي لا تعرف الدنيا لها مثيلاً .

وفي تتبع سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه كمنهاج وتشريع تشرق عظمة الرسالة والرسول من جوانب الحياة : في عباداته ومعاملاته ، في وجوده وسعة صدره . وفي صدقه وأمانته ، وفي رأفته ووفائه وحسن معاشرته ، يقول الامام علي كرم الله وجهه :

كان أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناوعته :

« لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط إلا أعطاه ».

ويقول أنس رضي الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ».

ويجمل القرآن عظمته في قول الله تعالى « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ».

ومنهاج سنته يتسم بالحق والخير ، والسمو والاعتدال ، ففي جانب السرور أو الحزن وفي المشاعر الظاهرة أو الوجدانية كان صلوات الله وسلامه عليه يتسم بضبط النفس فيما يسر أو يحزن ، فإذا فرح بما يسر ابتسم وإذا ضحك لم يقهقه ، عن جابر بن سمرة قال : كان لا يضحك إلا تبسماً وإذا تعرض لما يحزنه طوى الحزن في داخله وكظم الغيظ ».

في جانب الحياة المنزلية وشئون المعيشة مع الأهل كان المتعاون البار بحيث لا تشغله شئونه تلك عن عبادة ربه ، سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

إن منهاج حياته وسنته يمد الحياة بضوء كاشف لتمضي على رشد وهدى ، فلا تحيد يمنة أو يسرة ، ولا تتعثر خطاها في الدروب المعتمة ، وإنما تتجمع خطوطها العريضة من جميع زوايا الحياة عبادة وعملاً لتلتقي عند هدف واحد وملتقى ثابت حيث تتمخض في الأعمال كلها وتخلص في اتجاهها لله رب العالمين . « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ».

سنته أساس حياة المسلم

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كتفسير لآي القرآن وتفصيل لأحكامه ـ جاءت مشتملة على منهاج الحياة الإسلامية العملية وإضاءة طريقها في الحياة الدنيا ، إلى جانب كونها تشريعاً فصل ما أجمل في القرآن . وقيد ما أطلق فيه ، بل واستقلت السنة بالتشريع في بعض الأحكام على رأى بعض العلماء والمحققين .. أى أنها جاءت تفسر وتفصل أصول الحياة الدينية والدنيوية .. فكانت دعوة إلى العقيدة الصحيحة التي هي مناط حياة المسلم وأساسها .. وبها تشرق شخصيته محوطة بعزة ألبسها الإسلام إياها فهي لا تستكين لأحد من أجل ضر نزل بها فلا كاشف له إلا الله ، ولا تخشى رد الخير من أحد فلا راد لفضل الله ، ومن كلام بعض السلف :

[يارب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك] وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو ويقول : اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك .

كما جاءت السنة دعوة إلى الرقى الاخلاقى ، وإلى الصدق فى القول ، والأخلاص فى العمل دعوة للعامل أن يتقن عمله وإلى الصانع أن يراقب الله فى صناعته ، وإلى الأب أن يكون راعياً لأسرته وإلى الابن أن يكون باراً وهكذا فى كل قطاعات الحياة وشئونها ولما كان للسنة النبوية هذه المكانة ، وتلك الأهمية العظمى ، فقد وقف رجال السنة انفسهم على حمايتها ، وصيانتها كأعظم تراث فى الوجود ، وكان جهادهم كجهاد الرابضين على الخطوط الأمامية ، يصونون الثغور وينافحون عن الوطن الإسلامى هذا .. والأمة الاسلامية اليوم بحاجة إلى إبراز ما فى السنة النبوية من جوانب اسلامية جديرة بالبحث والتحليل لتتلاقى مع التوسع الحضارى والتقدم فى شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغيرها ..

الدكتور/ على عبد الواحد وافى

التكافل الاجتماعى فى الاسلام

من مظاهر حرص الإسلام على تحقيق التكافل والضمان الاجتماعيين أنه أوجب على بيت المال [أى على الدولة نفسها] الانفاق على الزمن [وهو العاجز عن الكسب] وعلى الشيخ الفانى وعلى المرأة [لأن المرأة لا يكلفها الإسلام بالإنفاق على نفسها] إذا لم يكن لواحد من هؤلاء من تجب عليه نفقته ولا يفرق الإسلام فى ذلك بين المسلم وغير المسلم فقد روى الإمام أبو يوسف فى كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مربباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخاً ضريراً ويبدو عليه أنه ذمى فضرب عمر بعضده وقال من أى أهل الكتاب أنت ؟

فقال يهودى ، قال ما ألجأك إلى ما أرى ؟

فقال أسأل الجزية والحاجة والسن [أى أسأل حتى أستطيع أن أدفع الجزية الواجبة على ولكى أسد حاجتى وقد بلغت من السن مبلغاً لا أقوى فيه على العمل] فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه شيئاً مما وجده فيه ولم يكن فى منزله شىء كثير ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له « أنظر هذا فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند هرمه » ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [يشير بذلك إلى الآية ٦٠ من سورة التوبة التى تبين مصارف الزكاة] وهذا من المساكين من أهل الكتاب فأعطه مايسد حاجته ورد عنه الجزية وعن أمثاله ».

ولحرص الإسلام على تحقيق التكافل والضمان الاجتماعيين بين الناس أوجب فى حالات الشدة والضرورة أن يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته . فقد روى الإمام البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وشدة فقال « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر [أى مطية] فليعد به على من لا ظهر له] .

قال أبو سعيد : ثم أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بعدد من أنواع الأموال حتى ظننا أن ليس لنا من مال إلا ما يكفينا].

وأخرج البخارى كذلك عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأشعريين [وهم رهط أبى موسى الأشعرى] إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم ».

وذكر ابن حزم فى كتابه المحلى بالآثار أنه صح عن أبى عبيدة بن الجراح وثلثمائة من الصحابة أن زادهم كاد ينفد فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم فى مزودين وجعل يقوتهم اياها على السواء].

كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد رأى عدم توقيع حد السرقة على غلمان حاطب ابن أبى بلتعة الذين سرقوا ناقة المزنى وأكلوا لحمها لجوعهم وبخل سيدهم عليهم .. وفرض على سيدهم لتقصيره فى واجبه التكافل نحوهم أن يغرم لصاحب الناقة ثمنها ضعفين وقرر كذلك عدم توقيع حد السرقة فى عام الرمادة وهو عام مجاعة وشدة وحدث فى عهده واعتبر عدم قيام حاطب بن أبى بلتعة بواجبه التكافلى نحو غلمانه كما اعتبر المجاعة العامة فى عام الرمادة واضطرار بعض المعوزين إلى السرقة لعدم قيام الأغنياء بواجبهم نحوهم اعتبر هذا وذاك من الشبهات التى تدرأ هذا الحد عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

وقد حدثت فى مصر مجاعة شديدة فى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى ورأى أن الأغنياء يختزنون الغلال ويقصرون فى واجبهم نحو فقرائهم فركب حماره وتوجه إلى الجامع

معلناً قسمه الشهير الذى قال فيه « اننى ماض إلى الجامع واقسم بالله لئن عدت فوجدت فى الطريق موضعاً يطؤه حمارى مكشوفاً من الغلة لاضربن رقبة كل من يقال لى أنه يختزن شيئاً منها ولأحرقن داره ولأنهبن أمواله » فبادر جميع من كانوا يختزنون الغلال بإخراجها ووضعها فى طريق عودته حتى أنه لم يبق موضع مكشوف منها .

وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام بأعماله ، حتى قبل أن يبعث أروع مثال للتكافل الاجتماعى يدل على ذلك ما وصفته خديجة رضى الله عنها عند نزول الوحى عليه لأول مرة فذهب إليها يرتجف خوفاً وفزعاً مما أصابه من مفاجأة جبريل له وغطه أياه وقال لها زملونى زملونى [أى غطونى وأدفئونى] وبعد أن زملته حتى ذهب عنه الروع قص عليها ما حدث وقال « والله لقد خشيت على نفسى » فقالت له « كلا والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصل الرحم . وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر] وصلة الرحم هى الإحسان إلى القريب ورعايته وقرى الضيف إكرامه والحفاوة به والكل [بفتح الكاف] هو اليتيم والعاجز عن العمل ، وتحمل الكل أى تكفيه مؤنته وتسد حاجته .

الأستاذ/ عبد اللطيف فايد :

● خواطر اسلامية ●
الكلمة .. والمسئولية

لم يعد الحديث عن الإسلام فى الزمان الحالى مقصوراً على العالمين به ، المخلصين له ، الداعين إليه ، فقد دخل فى هذا الحديث من ليس له ثقافة فيه تؤهله للتحدث به والتحدث عنه ، ودخل فيه أيضاً اعداؤه الذين يكيدون له ، ومن العجيب أن بعضاً منهم يحمل أسماء اسلامية وينتمى إلى اسر وآباء اشتهروا بالإسلام ولم يشتهروا بشىء سواه .

ومن هؤلاء الذين يتحدثون عن الاسلام بغير علم أو يهدفون إلى الكيد له وصرف المؤمنين عند من يتطلب الشهرة هنا وهناك . فقد تطلعت نفوسهم إلى شهرة ما فلم يجدوا غير العداء للاسلام يلفت انظار الناس إليهم من شدة حبهم لهذا الدين الذى جعله الله خاتم رسالاته إلى البشرية . يخرجهم من الظلمات إلى النور بالعقيدة والشريعة ، فالعقيدة بالله الواحد الأحد ، والشريعة بما تضمنت من نظم للعبادات والمعاملات والعلاقات الشخصية والاجتماعية والدولية ، وهى تغنى عن سواها ولا يغنى عنها سواها مهما يبتكر المبتكرون .

هواة الشهرة هؤلاء يسعدون كل السعادة إذا ناقشهم أحد فيما يكتبون على صفحات الصحف والمجلات والكتب ، لانهم حينئذ يكونون قد اشتهروا بالشىء الواحد مما كتبوه مرتين ، مرة عندما قرأ الناس كلامهم ، ومرة أخرى عندما قرأوا ما كتبه من يناقشونهم ، ولذلك يطلقون نغمة قد تحلو فى بعض الأسماع وهى أن لكل انسان الحرية فى أن يقول ما يشاء ولكل من سواه الحرية فى مناقشته فيما يقول ورفض ما يدعى .

يحلو هذا القول فى بعض الأسماع ، وما هو بالصواب ولا شبه الصواب ؛ لأن الاسلام هو الكلمة الخاتمة لرسالات الله . وفيه القول الفصل فى كل قضايا البشرية ، من شاء آمن به ، ومن شاء بقى على دين سابق له ، ومن شاء الضلال الكامل ورغب أن يظل فى الشرك والالحاد فهو وما شاء لنفسه ، لا يرغم الله احداً على الدخول فى دينه الحق ، وحساب الجميع إلى رب العالمين يوم القيامة لكن بعد أن تبين الرشد من الغى برسالة الاسلام ، فلا يجوز فى مجتمع المسلمين ان يبيت منحرفا أو متعصبا ضد هذا الرشد الذى ارتضاه الناس فاعتنقوه ، وتمنوا لو وجدوا شريعته هى الحاكمة لحركة حياتهم .

والحكومات بما لها من سلطات تضرب على أيدى العابثين بمصالح الناس ، فهى تعاقب من يبيع للناس أقواتهم بأكثر من أسعارها ، ومن يحترف الطب أو حتى يعطى حقنة لمريض دون أن يكون مؤهلًا لذلك بالعلم والتدريب ، كذلك فهى تشترط رسوماً هندسية للأبنية التى تقام لسكنى الناس ومصالحهم حتى لا تتعرض أرواحهم للخطر إن تلاعب صاحب البناء بشروط اقامته وارتفاعاته ، والحكومات إذا كانت تحرص على ذلك الحرص كله ، فواجبها أن تحرص أيضاً على سلامة عقيدة الناس وشريعتهم فتعاقب الكاتب الذى يفتن الناس فى دينهم بما يكتب ، وتعاقب أيضاً الناشر الذى ينشر له هذا الذى يكتبه ، ذلك لأنهما شريكان فى الجريمة ، فالأول مثل صاحب النميمة ، والثانى مثل من يمشى بها بين الناس .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
ذمة المسلم	
د. على احمد الخطيب	٧٢١
* دراسات اسلامية *	
● فى مقابلات الاديان وتطوراتها	
د . عبد الجليل شلبى	٧٢٤
● احوال الجن	
الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير	٧٢٨
● امتنا خير الأمم	
الشيخ احمد على منصور	٧٣٢
● الصلاح والإصلاح فى القرآن الكريم	
الاستاذ احمد عزت البرادعى	٧٣٩
● مقارىء الحديث النبوي فى مصر	
د . محمد رجب البيومى	٧٤٦
● رد الخطأ عن السيرة النبوية	
د . عبد المهدى بن عبد القادر	٧٥٢
● موقع الاقتصاد فى بناء القدرات الدفاعيــة فــى توجيهــات الاســــلام	
لواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ	٧٦٠
● الدولة الاسلامية « اجتماعيا .. اقتصاديا .. سياسياً »	
د . فوزى محمد طايل	٧٦٥
● الضمير النصرانى وقضية فلسطين	
الاستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف	٧٧١
● الفتــــاوى	
الاستاذ عبد الحميد السيد شاهين	٧٧٦
● من اعلام الأزهــــر	
ابى الشيخ محمود ابو العيون	
بقلم السفير : جمال الدين محمود ابو العيون	٧٧٨
* العلوم الكونية *	
● مسار البحث العلمى فى القرآن الكريم	
د . محمد وسيم نصار	٧٨٦
● عنصر السيليكون وتكنولوجيا الالكترونيات	
د . مصطفى السيد محمد	٧٩١
● انتاركتيكا «القارة القطبية الجنوبية»	
الاستاذ ماهر زكريا الشيمى	٧٩٥
● الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم	
د . محمد جمال الدين الفندى	٧٧٩
* الشعر والشعراء *	
إشراف د . حسن جاد	
● يا إلهــــى	
للاستاذ عبد العليم القبانى	٨٠٤
● ايها الإنسان	
للاستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	٨٠٥
● صولة الروح	
للاستاذ احمد محمود مبارك	٨٠٦
● امومة هرة	
للاستاذ رمضان ابو غالية	٨٠٧
● مجلة الأزهر من خمسين عاماً « الحرية العلمية فى الاسلام »	
للشيخ محمد ناصف	٨٠٨
إعداد الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	
* اللغة والأدب والنقد *	
● القيمة البيانية للاستعارة	
د . عبد الجواد محمد محمد طبق	٨١٢
● طرائف ومواقف	
للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٢٢
● من اخلاق العظماء	
الاستاذ السيد عبد الفتاح خضير	٨٢٤
● على هامش النقد « ذو الرمة بين صيدح ومى »	
للاستاذ السيد حسن قرون	٨٢٦
● شوقى والجامعة العربية	
د . محمد سلامة صالح	٨٣٤
● انباء واراء	
د احمد عبد الرحيم السايح	
الاستاذ صفوت عبد الجواد	٨٤٢
● من خير ما كتب	
إعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام	٨٤٧
* القسم الإنجليزي *	
● المقالة الثانية	
د . فوزى محمد طايل	٨٥٨
● المقالة الاولى	
د . انس مصطفى النجار	٨٦٢

Islam has provided fourteen centuries ago a complete manifesto of human life in all and every aspect. Islamic doctrines deal with the spiritual, matrimonial, family, social, moral, economical, health, aspects of man; and goes into so much detail. Justice, freedom, and human rights are the main elements upon which Islamic jurisprudence is constituted. There is no conflict between state authority, and religious life and authority. Both are integrated in one system, which is absolutely divine in origin, cannot perish, and is exact fitting to the needs of mankind in life. Secularism has proved a failure together with all the other man-made patterns of life and state rule. All the systems adopted mowadays suffer defects and gaps to suit human nature and its real true wellfare. Secularism capitalism, communism, and all man-made systems will remain to prove unsuitable for human life and the welfare of man.

secrets of heaven And earth, and I know
what ye reveal And what ye conceal ?
(Surat Al Baqara: II : 31 - 33)

Islam always encourages education and learning to respect the minds of man, and holds in reverence people of knowledge. The Quran reveals:

"Travel through the earth (to learn and
see the wonderful things in His Creation)
And see how God did originate creation.."
(Surat Ankabut XXIX:20)

"Do they not travel through the land, so
that their hearts (and minds) May thus
Learn wisdom And their ears may thus
Learn to hear ? ....."
(Surat Hajj XXII : 46)

"All this because only those who know
fear God, and they know that the fear of
God is the beginning of wisdom... Those
truely fear God, among His Servants who
have knowledge : For God is Exalted in
Might, Oft-Forgiving ".
(Surat Fatir XXXV : 28)

The conclusion is that secularism was approved to be a logical and inevitable pattern of solution for solving the political and social problems of the Christian countries. It aimed to stop the conflict between the temporal and the religious powers, to interfere in matters of civil policy, and to guarantee the freedom of thought; and the right of difference of opinion, and also to consider material agencies in man's life.

Secularism has eventually proved an utter failure in solving the problems of mankind, and in achieving man's inspiration. The term as currently used means anything not religious. Such a wrong use of the word has defined non-theologic sciences as secular which gives the very wrong and opposite understanding to that in Islam. Islam conceives that all sciences in creation are the signs of Allah the Creator; consequently, any study or progress or knowledge of these sciences is certainly beneficial to mankind, and therefore considered an act of worship. Islam also conceives that theologic and non-theologic sciences are closely inter-related.

Diligence (Ijtihad) is a very important Islamic concept which always guarantees the development of legislations so as to make the Shariah, within the limits of the texts of Quran and Sunnah, meet the changes and the developments which always take place in the life of mankind.

Islam as a non theoretical religion constitutes aspects of spiritual moral and material teachings, codes, principles and guidelines. Islam fully organized all the material relations between the people. For example, the Shariah organized the right of ownership, and other economical affairs. Shariah organized all family affairs in details, and organized the economical, social, and political affairs leaving the details to be determined according to the circumstances of the various generations within the general principles of Shariah.

The relation between the Islamic System and knowledge is very coherent. From the very beginning, Quran ordered Muslems to read, write, and to learn both religious and other knowledge. Education advancing in knowledge, and consequently scientific research are considered elements of worship. The Quran reads:

> "... but say, O may Lord ! advance me In Knowledge. "
>
> (Surate Ta-Ha XX: 114)

Islamic teachings seriously advocate and encourage the pursuit of beneficial scientific knowledge that will advance the welfare, the benefits, and the happiness of mankind. There is no discrimination between religious knowledge and other beneficial knowledge; all these originate as the creation of Allah. The Quran reveals:

> "And He taught Adam the nature of all things, then He placed them before the Angles, and said: Tell Me the nature of these if ye are right. They said: Glory to Thee: Of knowledge, We have none save what Thou Hast taught us: In trust, it is Thou Who art perfect in knowledge and wisdom. He said: O Adam ! tell them their natures. When he had told them, God said: Did I not tell you that I know the

the ordinary laws, the reglementations, or even individual decisions, in all the walks of life.

All the individuals in the Islamic State; the head of state, members of the government, or any individual citizen, are equally submitted to the same law of Islamic Shariah and live subject to its jurisprudence.

There is no dulaity of power in the Islamic system. There is no religious body, nor religious power in the Islamic state. The head of State (khalifa), and the members of the Islamic government have no religious immunity; they are not infallible persons, and have no divine right or preference. The head of state (khalifa) has no power gained directly or indirectly from God, nor does he rule "by the grace of God". In the Islamic State, the Khalifa must be critically elected by the people,, and they can dispose of him if he does not rule according to the Shariah. The first Islamic Khalifa Abu Bakre, said to the Muslim people after he had been elected: "Obey me as long as I obey Allah and follow the traditions of the Prophet in my decisions and behaviour".

Based upon such understanding the head of State and members of the Islamic government are totally responsible, and equal to any ordinary citizen in face of any civil or criminal responsibility.

Islam, as an immortal and final religion admits all individual rights and freedoms especially the rights of belief, thinking, and declaring one's opinion. Islam promoted these rights and freedoms by considering them duties having an active and positive role in the society. The Islamic government the communities, and individuals must act positively to guarantee and safeguard practicing every one of these rights and freedoms. The Quran has stated this fact in several verses.

> "Let there be no compulsion in religion:
> truth stands out clear from Error..... "
> (Surat Al Baqarah II: 256)
>
> - "Say: The Truth is From your Lord:
> Let him who will Believe, and let him who will reject ....."
> (Surat Al Kahf : XVIII: 29)

authority of the church. The "divine right" theory was severely criticised, and substituted by the "social contract" theory. This aimed to enable the citizen to enjoy his natural rights and freeaoms especially the right of thinking and the freedom of belief, which are the essence of democracy. The theory of the "social contract" implies, infact, the essence of secularism and inherently bears its philosophy. This "social contact" theory and the proliferation of its understaning were essentially formulated to separate and end the conflict between the temporal and religious authorities.

On applying secularism we found that some European countries, especially those countries nominally classified as almost entirely catholic, the church established its own political parties and trade unions. Other liberalist countries encourage missionaries and their educational establishments by all moral, financial and material means. Loose moral civil legislations were compromised and became aplicable apart from religious values and teachings. In communist countries, secularism actually lead to the complete rejection and cancelling of all religious doctrines and elements of faith.

Christianity is basically constituted of spiritual and moral teachings, with no legislation in civil or material matters in the everyday life of mankind. This inevitably resulted in the undevelopment of this important matter of legislation in medeavals. The needs of development of the Christian world, taking into consideration the above mentioned circumstances, found that secularism affords what appeared to be a logical and inevitable solution to their own financial, political and social problems.

The Islamic system based on the Quran and the Sunnah of the Prophet makes the Shariah its system of governance in all walks of life. Such system has another view to legislation, power of the state, rights and freedoms, knowledge, and material aspects in the society.

All the legislations in the Islamic system must be derived from the texts of Quran and Sunnah, or from Islamic general principles derived from these texts. This remark is valid either for the constitutional law,

THE ISLAMIC SYSTEM AND SECULARISM

By :
Dr. Fawzy Muhammad Tayel

Secularism is a materialistic apparently rationalistic movement which started in England by George Holyoake in 1846. It was primarily defined as a system of ethical principles but soon developed into an agnostic anti-Christian and speedily became an atheistic movement. In 1870, Charles Bradlaugh assumed the leadership of the movement, and he changed the activities of the movement into vigorous anti-religious efforts based on a business like utilitarian philosophy. Secularism now assumes a scientific front as a non-religious drive characteristic of most western societies.

Secularism carries the view that consideration of the present well being of mankind should predominate over religious considerations in Civil affairs or public education. It is a system of philosphies, which rejects all forms of religious belief, or worship; and that public education and civil policy should be conducted without the introduction of the religious element. Morality is based only on regard to the well-being of mankind in the present life excluding all doctrines drawn from belief in God or in future state. Secularism advocates freedom of thought, and the right to debate all issues dealing with moral obligations, the existance of God, the immortality of the soul, the authority of conscience, and similar subjects.

The idea of secularism was put mainly to solve the conflict between the civil authority of the state and the religious authority of the church. There were other previous attempts to solve this problem using the theory of the "divine" right of kings". This considered that the kings had recieved their authority directly from God, and that they themselves as persons, ruled "by the grace of God". That theory was adopted to reinforce the temporal authority of kings infront of the religious

where they remained there for the day and the whole night till dawn of the nineth day. At sunrise, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) mounted his camel and rode towards the mount of Arafat followed by all the pilgrims.

The precise minutes of the farewell pilgrimage of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was very meticulously documented in action and words by the companions on this unique journey. It has become a reference for knowledge in the jurisprudence of the various affairs in the life of a Muslim, particularly so in matters dealing with Pilgrimage. Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

(to be continued)

educated by the Messenger of Allah in every detail with love, mercy and profound kindness. On the way, they were all eager in anticipation to reach the Holy places of Pilgrimage and to gain the excellence of the spiritual experience.

They reached Macca on the fourth day of Zu Al-Hijja, after having spent the night at the pass of Zi Tuwa. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) came within sight of the Kaabah, (the Holy Shrine) he raised his hand in reverence and supplication to Allah saying "O Allah, increase this House in honour, magnification, bounty, reverence and piety that it receives from mankind". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) entered towards the Holy Shrine of the Kaabah, started at the Black Stone after kissing it, he made the seven circumbulations then made prayer at the station of Ibrahim, went back and kissed the Black Stone. After that he went out to the Safa, and recited from the Holy Quran "Verily, Safa and Marwa are among the symbols of Allah". Then going out from Safa he went seven times between Safa and Marwah, and all those with him did their best to record in their memories the exact words of praise and prayer that he ultered at every station and on every occasion. They also followed all his actions with careful precision. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced to the people that those without cattle to sacrifice should end their Ihram. People were very reluctant to end their Ihram. This angered the Prophet, expecting that whatever he instructed should be obeyed without hesitation or reluctance. When the people knew that their reluctance angered the Prophet, they obeyed by ending their Ihram, who did not have the cattle for sacrifice. Only those with their cattle for sacrifice retained their Ihram.

Ali Ibn Abi Taleb returned from Yemen with his companions to meet the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in Macca with the intention to perform Pilgrimage. He had been comissioned to go to Yemen with Khaled Ibn Al-Walid to instruct tribes in Islam, and where they were forced to subdue some insurrections. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions remained in Macca for four days, and on the eighth day of the month of Zu Al-Hijja, they went out of Macca to Mena; and those who had terminated their Ihram, put it on again with the intendion to perform Hajj. They arrived at Mena,

most exemplary and integrating manner and with superb magnanimity.

The latter months of the tenth year of Hijrah were nearing, and the nineth month of Ramadan had passed during which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) made a spiritual retreat in the mosque for a longer time than was his custom. The tenth month of Shawal passed, and in the eleventh month of the tenth year, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced his intention to perform pilgrimage in that year. The news spread out to desert tribes, nomads, the multitudes residing all over the Arab peninsula. To perform pilgrimage in the company of the Messenger of Allah was a very special and unequalled privilage. The chance to experience the superb example, the schooling, the kindness, the companionship, the blessing, the living continuous education in conduct, behavior, patience, endurance, and the built up of the real Islamic way of life as taken from the Master himself, the Messenger of Allah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This pilgrimage would be unlike any that had taken place for hundreds of years; the pilgrims of that year would for the first time all be worshippers of the One God, and no idolator would desecrate the Holy Shrine with the performance of any heathen rites. From all corners of the Arab Peninsula, people came to Al-Medinah all brothers in Islam thrilled to become part of that consortium community of brotherhood, eager to accompany the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) on that very highly special journey of worship and spiritual experience.

On the Twenty Fifth day of Zu Al-Qidda of the tenth year of Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left Al-Madinah to perform Pilgrimage accompanied by all his wives, and the multitudes of pilgrims of more than hundred thousand men and women. At Za-Al-Hulayfa, a place ten miles south of Al-Madinah, they spent the first night, and in the following morning, they dressed their Ihram the attire of equality of man before Allah. All together they announced the answer to the call of Allah, repeating it continuously. The resonance of their voice echoed in the distant valleys declaring the submission of mankind to Allah the Creator. The human masses continued to march the long distance from Al-Medinah to Macca. On the way, they were instructed, and

THE FAREWELL PILGRIMAGE

(PART I)

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D.,Ph.D.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

Pilgrimage (Hajj) was ordained in the Holy Revelation upon Muslims as a formal ritual sacrament in the ninth year of Hijrah according to most chroniclers. During the pre-Islamic times, pilgrimage was performed according to the disciplines of the various individual creeds, without any harmony or homogenity of performance. When Islam came, the exact disciplines of pilgrimage according to Islamic Teachings were specified in great detail in time and particulars of practice. In Islam, the time for Hajj is the period of five days from the eighth to twelveth day of the last month of Zu Al-Hijja of that year. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had not previously performed Hajj before or during the prophethood. In the Hajj season of the nineth year of Hijrah, conditions were not yet completely suitable, and for that reason, Abu Bakre was commissioned to lead the Hajj party of Muslim pilgrims. The Divine Referundum was revealed in the Holy Quran which legislated and specified the intricate inter-relatons between believers and non-believers, and also between Muslims and people of the book. Matters became vey precise and distinct, and the various creeds inhabiting the Arab peninsula recognised their exact situation in relation to the widespread dominating power of the Islamic nation. The whole social and creedal structure of the Arab peninsula was autonomously distinct and legislated by Quranic Revelation. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued to call unto the path of Allah and to expedite the progress and proliferation of Islam in the

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 59, Part VI

JUMMADA AL-AKHIR, 1407 HIJRAH

CONTENTS:

1) The Farewell Pilgrimage (Part I).

By: Dr. Anas El-Naggar.

2) The Islamic System and Secularism.

By: Dr. Fawzy Muhammad Tayel.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION